جامع البيان

عن

تأويل آي القرآن

تأليف

أبي جعفر محمد بن جرير الطبري

المتوفى سنة ٣١٠ هـ

الجزءان

٧ - ٨

دار الفكر

جامع البيان
عن
تأويل آي القرآن

تأليف

أبي جعفر محمد بن جرير الطبري

المتوفى سنة ٣١٠ هـ

الجزء السابع

دار الفكر

١٤٠٥ هـ - ١٩٨٤ م



بيروت
لبنان

المكاتب : البناية المركزية - هاتف : ٢٤٤٧٣٩ - ص.ب : ١١/٧٠٦١
المطابع والمعمل : حارة حريك - شارع عبد النور - هاتف : ٢٧٣٦٥٠ - ٢٧٣٤٨٧
برقياً : فكسي - تلكس ٤١٣٩٢ فكر FIKR 41392 LE

فهارس الجزء السابع

من

جامع البيان عن تأويل آي القرآن

لأبي جعفر محمد بن جرير الطبري

الفهرس الأول : للآيات المفسرة

الفهرس الثاني : مواضيع الآيات المفسرة

الفهرس الثالث : للقوافي

الفهرس الرابع : للأحاديث النبوية .

فهارس الجزء السابع من جامع البيان عن تأويل آى القرآن

١ ــ فهرس الآيات

سورة الأنعام

٢ ــ فهرس الموضوعات

٣ ـ فهرس القوافى

٤ ـ فهرس الأحاديث

بسم الله الرحمن الرحيم

القول في تأويل قوله تعالى :

لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَدَاوَةً لِّلَّذِينَ آمَنُوا الْيَهُودَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا ۖ وَلَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُم مَّوَدَّةً لِّلَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصَارَىٰ ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّ مِنْهُمْ قِسِّيسِينَ وَرُهْبَانًا وَأَنَّهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ﴿٨٢﴾

⁂ يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم : (لَتَجِدَنَّ) يامحمد (أَشَدَّ النَّاسِ عَدَاوَةً) للذين صدّقوك واتبعوك ، وصدّقوا بما جئتهم به من أهل الإسلام (الْيَهُودَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا) يعنى عبدة الأوثان ، الذين اتخذوا الأوثان آلهة يعبدونها من دون الله (وَلَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُمْ مَوَدَّةً لِلَّذِينَ آمَنُوا) يقول : ولتجدنّ أقرب الناس مودّة ومحبة ، والمودّة : المفعلة من قول الرجل : وددت كذا أودّه ودّا وودّا وودّا ومودّة : إذا أحببته. (للذين آمنوا) ، يقول : للذين صدّقوا الله ورسوله محمدا صلى الله عليه وسلم (الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصَارَى ذَلِكَ بِأَنَّ مِنْهُمْ قِسِّيسِينَ وَرُهْبَانًا ، وَأَنَّهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ) عن قبول الحقّ واتباعه ، والإذعان به ؛ وقيل : إن هذه الآية والتى بعدها نزلت فى نفر قدموا على رسول الله صلى الله عليه وسلم من نصارى الحبشة ، فلما سمعوا القرآن أسلموا ، واتبعوا رسول الله صلى الله عليه وسلم. وقيل : إنها نزلت فى النجاشى ملك الحبشة وأصحاب له أسلموا معه .

ذكر من قال ذلك

حدثنا محمد بن عبد الملك بن أبى الشوارب ، قال : ثنا عبد الواحد بن زياد ، قال: ثنا خَصِيف ، عن سعيد بن جبير ، قال : بعث النجاشىّ وفدا إلى النبىّ صلى الله عليه وسلم ، فقرأ عليهم النبىّ صلى الله عليه وسلم فأسلموا ، قال : فأنزل الله تعالى فيهم (لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَدَاوَةً لِلَّذِينَ آمَنُوا الْيَهُودَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا) . . . إلى آخر الآية ، قال : فرجعوا إلى النجاشى فأخبروه ، فأسلم النجاشىّ ، فلم يزل مسلما حتى مات ، قال : فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : إنَّ أَخَاكُمُ النَّجَاشِيَّ قَدْ مَاتَ ، فَصَلُّوا عَلَيْهِ ، فصلى عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم بالمدينة والنجاشىّ بالحبشة .

ثم حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ،

في قول الله (وَلَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُمْ مَوَدَّةً لِلَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصَارَى) قال : هم الوفد الذين جاءوا مع جعفر وأصحابه من أرض الحبشة .

حدثني المثنى ، قال : ثنا عبد الله بن صالح ، قال : ثني معاوية بن صالح ، عن عليّ بن أبي طلحة ، عن ابن عباس (وَلَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُمْ مَوَدَّةً لِلَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصَارَى) قال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وهو بمكة خاف على أصحابه من المشركين ، فبعث جعفر بن أبي طالب وابن مسعود ، وعثمان بن مظعون في رهط من أصحابه إلى النجاشيّ ملك الحبشة ؛ فلما بلغ ذلك المشركين ، بعثوا عمرو بن العاص في رهط منهم ذكر أنهم سبقوا أصحاب النبيّ صلى الله عليه وسلم إلى النجاشيّ ، فقالوا إنه خرج فينا رجل سفّه عقول قريش وأحلامها ، زعم أنه نبيّ ، وإنه بعث إليك رهطا ليفسدوا عليك قومك ، فأحببنا أن نأتيك ، ونخبرك خبرهم ، قال : إن جاءوني نظرت فيما يقولون ، فقدم أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأقاموا بباب النجاشي ، فقالوا : أتأذن لأولياء الله ؟ فقال : ائذن لهم ، فرحبا بأولياء الله ، فلما دخلوا عليه سلموا ، فقال له الرهط من المشركين : ألا ترى أيها الملك أنا صدقناك ، لم يحيوك بتحيتك التي تحيا بها ؟ فقال لهم : ما منعكم أن تحيُّوني بتحيتي ، فقالوا : إنا حييناك بتحية أهل الجنة وتحية الملائكة ، قال لهم : ما يقول صاحبكم في عيسى وأمه ؟ قال : يقول : هو عبد الله وكلمة من الله ألقاها إلى مريم وروح منه ، ويقول في مريم : إنها العذراء البتول ، قال : فأخذ عودا من الأرض ، فقال : ما زاد عيسى وأمه على ما قال صاحبكم قدر هذا العود ، فكره المشركون قوله ، وتغيرت وجوههم ، قال لهم : هل تعرفون شيئا مما أنزل عليكم ؟ قالوا : نعم ، قال : اقرءوا ، فقرءوا ، وهنالك منهم قسيسون ورهبان وسائر النصارى ، فعرفت كلّ ماقرءوا ، وانحدرت دموعهم مما عرفوا من الحقّ ، قال : الله تعالى ذكره (ذَلِكَ بِأَنَّ مِنْهُمْ قِسِّيسِينَ وَرُهْبَانًا ، وَأَنَّهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ . وَإِذَا سَمِعُوا مَا أُنْزِلَ إِلَى الرَّسُولِ) . . . الآية .

حدثني محمد بن الحسين ، قال : ثني أحمد بن مفضل ، قال : ثنا أسباط عن السديّ (وَلَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُمْ مَوَدَّةً لِلَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصَارَى) . . . الآية ، قال : بعث النجاشيّ إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم اثني عشر رجلا من الحبشة ، سبعة قسيسين ، وخمسة رهبانا ، ينظرون إليه ويسألونه ، فلما لقوه ، فقرأ عليهم ماأنزل الله بكوا وآمنوا ، فأنزل الله عليهم فيهم (وَأَنَّهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ وَإِذَا سَمِعُوا مَا أُنْزِلَ إِلَى الرَّسُولِ تَرَى أَعْيُنَهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ مِمَّا عَرَفُوا مِنَ الْحَقِّ يَقُولُونَ رَبَّنَا آمَنَّا فَاكْتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ) فآمنوا ثم رجعوا إلى النجاشيّ ، فهاجر النجاشيّ معهم ، فمات في الطريق ، فصلى عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم والمسلمون ، واستغفروا له .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثني حجاج ، عن ابن جريج ، قال : قال عطاء في قوله (وَلَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُمْ مَوَدَّةً لِلَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصَارَى)... الآية ، هم ناس من الحبشة آمنوا ، إذ جاءتهم مهاجرة المؤمنين .

وقال آخرون : بل هذه صفة قوم كانوا على شريعة عيسى من أهل الإيمان ؛ فلما بعث الله تعالى ذكره نبيه محمدا صلى الله عليه وسلم آمنوا به .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر بن معاذ ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (وَلَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُمْ مَوَدَّةً لِلَّذِينَ آمَنُوا) ، فقرأ حتى بلغ (فَاكْتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ) : أناس من أهل الكتاب كانوا على شريعة من الحق مما جاء به عيسى ، يؤمنون به ، وينتهون إليه ؛ فلما بعث الله نبيه محمدا صلى الله عليه وسلم صدقوا به وآمنوا ، وعرفوا الذى جاء به أنه الحق ، فأثنى عليهم ما تسمعون .

والصواب فى ذلك من القول عندى أن الله تعالى وصف صفة قوم قالوا : إنا نصارى ، أن نبي الله صلى الله عليه وسلم يجدهم أقرب الناس ودادا لأهل الإيمان بالله ورسوله ، ولم يسم لنا أسماءهم ، وقد يجوز أن يكون أريد بذلك أصحاب النجاشى ، ويجوز أن يكون أريد به قوم كانوا على شريعة عيسى ، فأدركهم الإسلام فأسلموا ، لما سمعوا القرآن ، وعرفوا أنه الحق ، ولم يستكبروا عنه .

وأما قوله تعالى (ذَلِكَ بِأَنَّ مِنْهُمْ قِسِّيسِينَ وَرُهْبَانًا) فإنه يقول : قربت مودة هؤلاء الذين وصف الله صفتهم للمؤمنين من أجل أن منهم قسيسين ورهبانا ، والقسيسون : جمع قسيس ، وقد يجمع القسيس : قسوس ، لأن القس والقسيس بمعنى واحد .

وكان ابن زيد يقول فى القسيس بما حدثنا يونس ، قال : حدثنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد : القسيسين : عبادهم .

وأما الرهبان ، فإنه يكون واحدا وجمعا ؛ فأما إذا كان جمعا ، فان واحدهم يكون راهبا ، ويكون الراهب حينئذ فاعلا من قول القائل : رهب الله فلان ، بمعنى : خافه ، يرهبه رَهَبا ورُهْبا ، ثم يجمع الراهب رهبان ، مثل راكب وركبان ، وفارس وفرسان ، ومن الدليل على أنه قد يكون عند العرب جمعا قول الشاعر :

رُهْبَانُ مَدْيَنَ لَوْ رَأَوْكِ تَنَزَّلُوا والعُصْمُ مِنْ شَعَفِ العُقُولِ الفادِرِ ١

وقد يكون الرهبان واحدا ، وإذا كان واحدا كان جمعه رهابين ، مثل قربان وقرابين ، وجردان وجرادين . ويجوز جمعه أيضا رهابنة إذا كان كذلك ؛ ومن الدليل على أنه قد يكون عند العرب واحدا قول الشاعر :

لَوْ عايَنَتْ رُهْبانَ دَيْرٍ فِي القُلَلْ لانحَدَرَ الرُّهْبانُ يَمْشِي وَنَزَلْ ٢

(١) البيت لجرير (اللسان : رهب) وهو شاهد على أن الرهبان جمع لراهب . قال : ووعل عاقل : صعد الجبل . والفادر : المسن من الوعول . وشعف الجبال : جمع شعفة ، وهى رأس الجبل ، ويجمع أيضا على شعاف وشعوف . وانظره أيضا فى ديوان جرير ص ٣٠٥ ، وقبله :

يَا أُمَّ طَلْحَةَ مَا لَقِينَا مِثْلَكُمْ فِي المُنْجِدِينَ وَلَا بِغَوْرِ الغائِرِ

(٢) البيت فى (اللسان : رهب) أنشده ابن الأعرابى شاهدا على أن الرهبان قد يكون واحدا ، قال : ووجه الكلام أن يكون جمعا بالنون . قال : وإن جمعت الرهبان الواحد رهابين ورهابنة جاز . والقلل : جمع قلة ، وهى رأس الجبل . ورواية البيت فى تفسير القرطبى (٦ : ٢٥٨) لو كلمت . . . . . . الرهبان يسعى ويصل .

واختلف أهل التأويل في المعنيّ بقوله (ذَلِكَ بِأَنَّ مِنْهُمْ قِسِّيسِينَ وَرُهْبَانًا) فقال بعضهم : عني بذلك قوم كانوا استجابوا لعيسى بن مريم حين دعاهم ، واتبعوه على شريعته .

ذكر من قال ذلك

حدثني يعقوب بن إبراهيم ، قال : ثنا هشيم ، عن حصين عمن حدّثه ، عن ابن عباس في قوله (ذَلِكَ بِأَنَّ مِنْهُمْ قِسِّيسِينَ وَرُهْبَانًا) قال : كانوا نَوَاتِيَّ في البحر ، يعني مَلاَّحين ، قال : فمرّ بهم عيسى بن مريم ، فدعاهم إلى الإسلام فأجابوه ، قال : فذلك قوله (قِسِّيسِينَ وَرُهْبَانًا) .

وقال آخرون : بل عني بذلك : القوم الذين كان النجاشيّ بعثهم إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا حكام بن سلم ، قال : ثنا عنبسة عمن حدثه ، عن أبي صالح في قوله (ذَلِكَ بِأَنَّ مِنْهُمْ قِسِّيسِينَ وَرُهْبَانًا) قال : ستة وستون ، أو سبعة وستون ، أو اثنان وستون من الحبشة ، كلهم صاحب صومعة ، عليهم ثياب الصوف .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا عبد الرحمن بن مهديّ ، عن سفيان ، عن سالم ، عن سعيد بن جبير (ذَلِكَ بِأَنَّ مِنْهُمْ قِسِّيسِينَ وَرُهْبَانًا) قال : بعث النجاشيّ إلى النبيّ صلى الله عليه وسلم خمسين أو سبعين من خيارهم ، فجعلوا يبكون ، فقال : هم هؤلاء .

حدثني الحرث ، قال : ثنا عبد العزيز ، قال : ثنا قيس ، عن سالم الأفطس ، عن سعيد بن جبير (ذَلِكَ بِأَنَّ مِنْهُمْ قِسِّيسِينَ وَرُهْبَانًا) قال : هم رسل النجاشيّ الذين أرسل بإسلامه وإسلام قومه ، كانوا سبعين رجلا ، اختارهم ، الخير فالخير ، فدخلوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقرأ عليهم (يس وَالْقُرْآنِ الْحَكِيمِ) فبكوا وعرفوا الحقّ ، فأنزل الله فيهم (ذَلِكَ بِأَنَّ مِنْهُمْ قِسِّيسِينَ وَرُهْبَانًا ، وَأَنَّهُمْ لاَ يَسْتَكْبِرُونَ) ، وأنزل فيهم (الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِهِ هُمْ بِهِ يُؤْمِنُونَ) . . . إلى قوله (يُؤْتَوْنَ أَجْرَهُمْ مَرَّتَيْنِ بِمَا صَبَرُوا) .

☆ والصواب في ذلك من القول عندنا أن يقال : إن الله تعالى ذكره ، أخبر عن النفر الذين أثنى عليهم من النصارى بقرب مودّتهم لأهل الإيمان بالله ورسوله ، أن ذلك إنما كان منهم ، لأن منهم أهل اجتهاد في العبادة وترهيب في الديارات والصوامع ، وأن منهم علماء بكتبهم ، وأهل تلاوة لها ، فهم لا يبعدون من المؤمنين لتواضعهم للحقّ إذا عرفوه ، ولا يستكبرون عن قبوله إذا تبينوه ، لأنهم أهل دين واجتهاد فيه ونصيحة لأنفسهم في ذات الله ، وليسوا كاليهود الذين قد دربوا بقتل الأنبياء والرسل ، ومعاندة الله في أمره ونهيه وتحريف تنزيله الذي أنزل له في كتبه .

القول في تأويل قوله تعالى :

وَإِذَا سَمِعُوا مَا أُنزِلَ إِلَى الرَّسُولِ تَرَىٰ أَعْيُنَهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ مِمَّا عَرَفُوا مِنَ الْحَقِّ يَقُولُونَ رَبَّنَا آمَنَّا فَاكْتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ ﴿٨٣﴾

يقول تعالى ذكره : وإذا سمع هؤلاء الذين قالوا إنا نصارى ، الذين وصفت لك يا محمد صفتهم ، أنك تجدهم أقرب الناس مودّة للذين آمنوا ، ما أنزل إليك من الكتاب يتلى ، (تَرَى أَعْيُنَهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ) وفيض العين من الدمع : امتلاؤها منه ، ثم سيلانه منها كفيض النهر من الماء ، وفيض الإناء ، وذلك سيلانه عن شدّة امتلائه ؛ ومنه قول الأعشى :

فَفَاضَتْ دُمُوعِى فَظَلَّ الشُّئُو نِ إمَّا وَكِيفاً وإمَّا انْحِدَارَا[١]

وقوله (مِمَّا عَرَفُوا مِنَ الحَقِّ) يقول : فيض دموعهم لمعرفتهم بأن الذى يتلى عليهم من كتاب الله الذى أنزله إلى رسول الله حقّ .

كما حدثنا هناد بن السرىّ ، قال : ثنا يونس بن بكير ، قال : ثنا أسباط بن نصر الهمدانى ، عن إسماعيل بن عبد الرحمن السدىّ ، قال : بعث النجاشىّ إلى النبىّ صلى الله عليه وسلم اثنى عشر رجلا يسألونه ويأتونه بخبره ، فقرأ عليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم القرآن فبكوا ، وكان منهم سبعة رهبان ، وخمسة قسيسون ، أو خمسة رهبان وسبعة قسيسون ، فأنزل الله فيهم (وَإِذَا سَمِعُوا ما أُنْزِلَ إلى الرَّسُولِ تَرَى أَعْيُنَهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ) . . . إلى آخر الآية .

حدثنا عمرو بن علىّ ، قال : ثنا عمر بن علىّ بن مقدّم ، قال : سمعت هشام بن عروة يحدّث عن أبيه ، عن عبد الله بن الزبير ، قال : نزلت فى النجاشىّ وأصحابه (وَإِذَا سَمِعُوا ما أُنْزِلَ إلى الرَّسُولِ تَرَى أَعْيُنَهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ) .

حدثنا هناد ، قال : ثنا عبدة بن سليم ، عن هشام بن عروة ، عن أبيه ، فى قوله (تَرَى أَعْيُنَهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ مِمَّا عَرَفُوا مِنَ الحَقِّ) قال : ذلك فى النجاشىّ .

حدثنا هناد وابن وكيع ، قالا : ثنا أبو معاوية ، عن هشام بن عروة ، عن أبيه ، قال : كانوا يرون أن هذه الآية أنزلت فى النجاشىّ (وَإِذَا سَمِعُوا ما أُنْزِلَ إلى الرَّسُولِ تَرَى أَعْيُنَهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ) .

حدثنا هناد ، قال : ثنا يونس بن بكير ، قال : قال ابن إسحاق : سألت الزهرى عن الآيات (ذَلِكَ بِأَنَّ مِنْهُمْ قِسِّيسِينَ وَرُهْبانا ، وأَنَّهُمْ لا يَسْتَكْبِرُونَ . وَإِذَا سَمِعُوا ما أُنْزِلَ إلى الرَّسُولِ تَرَى أَعْيُنَهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ) . . . الآية .

وقوله (وَإِذَا خاطَبَهُمُ الجاهِلُونَ قالُوا سَلاما) قال : ما زلت أسمع علماءنا يقولون : نزلت فى النجاشىّ وأصحابه . وأما قوله (يَقُولُونَ) فإنه لو كان بلفظ اسم ، كان نصبا على الحال ، لأنّ معنى

(١) البيت للأعشى من قصيدة له فى مدح قيس بن معديكرب (ديوانه طبع القاهرة بشرح الدكتور محمد حسين ص ٤٥) وقد جاء محرفا فى نسخ التفسير . وفى الديوان : الغروب ، فى موضع الشئون . والظل فى رواية المؤلف : قطرات المطر ، والشئون : جمع شأن ، وهو مجرى الدمع إلى العين . والغروب كما فى رواية الديوان : جمع غرب ، وهو بمعنى الشأن . والوكيف : مصدر وكف الدمع يكف وكفا ووكيفا ووكوفا ووكفانا : سال ، والدلو : قطرات . وانحدار الدمع وتحدره : نزوله قطرات . يريد أن دموعه كانت تنهمر وتسيل حينا ، وتقطر قطرات حينا آخر .

الكلام : وإذا سمعوا ما أنزل إلى الرسول ترى أعينهم تفيض من الدمع مما عرفوا من الحقّ ، قائلين ربنا آمنا . ويعنى بقوله تعالى ذكره (يَقُولُونَ رَبَّنَا آمَنَّا) أنهم يقولون : يا ربنا صدّقنا لما سمعنا ما أنزلته إلى نبيك محمد صلى الله عليه وسلم من كتابك ، وأقررنا به أنه من عندك ، وأنه الحقّ لاشكّ فيه .

وأما قوله (فاكْتُبْنا مَعَ الشَّاهِدِينَ) فإنه روى عن ابن عباس وغيره فى تأويله ، ما حدثنا به هناد قال : ثنا وكيع ، وحدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبى وابن نمير جميعا ، عن إسرائيل ، عن سماك ، عن عكرمة عن ابن عباس فى قوله (اكْتُبْنا مَعَ الشَّاهِدِينَ) قال : أمة محمد صلى الله عليه وسلم .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج (فاكْتُبْنا مَعَ الشَّاهِدِينَ) مع أمة محمد صلى الله عليه وسلم .

حدثنى المثنى ، قال : ثنا عبد الله بن صالح ، قال : ثنى معاوية ، عن علىّ بن أبى طلحة ، عن ابن عباس (فاكْتُبْنا مَعَ الشَّاهِدِينَ) يعنون بالشاهدين : محمدا صلى الله عليه وسلم وأمته .

حدثنى الحرث ، قال : ثنا عبد العزيز ، قال : ثنا إسرائيل ، عن سماك ، عن عكرمة عن ابن عباس ، فى قوله (فاكْتُبْنا مَعَ الشَّاهِدِينَ) قال محمد صلى الله عليه وسلم وأمته ، أنهم شهدوا أنه قد بلّغ ، وشهدوا أن الرسل قد بلّغت .

حدثنا الربيع ، قال : ثنا أسد بن موسى ، قال : ثنا يحيى بن زكريا ، قال : ثنى إسرائيل ، عن سماك ، عن عكرمة ، عن ابن عباس ، مثل حديث الحرث بن عبد العزيز ، غير أنه قال : وشهدوا للرسل أنهم قد بلّغوا ، فكأنّ متأوّل هذا التأويل قصد بتأويله هذا إلى معنى قول الله تعالى ذكره ، (وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ ، وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا) فذهب ابن عباس إلى أن الشاهدين هم الشهداء فى قوله (لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ) وهم أمة محمد صلى الله عليه وسلم .

❊ وإذا كان التأويل ذلك ، كان معنى الكلام ، يقولون ربنا آمنا فاكتبنا مع الشاهدين ، الذين يشهدون لأنبيائك يوم القيامة ، أنهم قد بلّغوا أممهم رسالاتك .

❊ ولو قال قائل : معنى ذلك : فاكتبنا مع الشاهدين الذين يشدون أن ما أنزلته إلى رسولك من الكتاب حقّ ، كان صوابا ، لأن ذلك خاتمة قوله (وَإِذَا سَمِعُوا ما أُنْزِلَ إِلَى الرَّسُولِ تَرَى أَعْيُنَهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ مِمَّا عَرَفُوا مِنَ الْحَقِّ ، يَقُولُونَ رَبَّنَا آمَنَّا فاكْتُبْنا مَعَ الشَّاهِدِينَ) وذلك صفة من الله تعالى ذكره لهم بإيمانهم ، لما سمعوا من كتاب الله ، فتكون مسئلتهم أيضا الله أن يجعلهم ممن صحت عنده شهادتهم بذلك ، ويُلحقهم فى الثواب والجزاء منازلهم ، ومعنى الكتاب فى هذا الموضع : الجعل ، يقول : فاجْعَلْنا مَعَ الشَّاهِدِينَ ، وأثبتنا معهم فى عدادهم .

القول فى تأويل قوله تعالى :

وَمَا لَنَا لَا نُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَمَا جَاءَنَا مِنَ الْحَقِّ وَنَطْمَعُ أَنْ يُدْخِلَنَا رَبُّنَا مَعَ الْقَوْمِ الصَّالِحِينَ ﴿٨٤﴾

❁ وهذا خبر من الله تعالى ذكره عن هؤلاء القوم الذين وصف صفتهم فى هذه الآيات ، أنهم إذا سمعوا ما أنزل إلى رسوله محمد صلى الله عليه وسلم من كتابه ، آمنوا به ، وصدّقوا كتاب الله ، وقالو : مالنا لانؤمن بالله ، يقول : لانقرّ بوحدانية الله ، وما جاءنا من الحقّ ، يقول : وما جاءنا من عند الله من كتابه وآى تنزيله ، ونحن نطمع بإيماننا بذلك ، أن يدخلنا ربنا مع القوم الصالحين . يعنى بالقوم الصالحين : المؤمنين بالله المطيعين له ، الذين استحقوا من الله الجنة بطاعتهم إياه . وإنما معنى ذلك : ونحن نطمع أن يدخلنا ربنا مع أهل طاعته مداخلهم من جنته يوم القيامة ، ويلحق منازلنا بمنازلهم ، ودرجاتنا بدرجاتهم فى جناته .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك ، قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنى يونس بن عبد الأعلى ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد فى قوله (وَمَا لَنَا لَانُؤْمِنُ بِاللهِ وَمَا جَاءَنَا مِنَ الْحَقِّ وَنَطْمَعُ أَنْ يُدْخِلَنَا رَبُّنَا مَعَ الْقَوْمِ الصَّالِحِينَ) قال : القوم الصالحون رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه .

القول فى تأويل قوله تعالى :

فَأَثَٰبَهُمُ ٱللَّهُ بِمَا قَالُواْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ وَذَٰلِكَ جَزَآءُ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٨٥﴾

❁ يقول تعالى ذكره : فجزاهم الله بقولهم : ربنا آمنا فاكتبنا مع الشاهدين ، وما لنا لانؤمن بالله وما جاءنا من الحقّ ، ونطمع أن يدخلنا ربنا مع القوم الصالحين ، جنات تجرى من تحتها الأنهار ، يعنى : بساتين تجرى من تحت أشجارها الأنهار ، خالدين فيها ، يقول : دائما فيها مكثهم ، لايخرجون منها ، ولا يحولون عنها ، وذلك جزاء المحسنين ، يقول : وهذا الذى جزيت هؤلاء القائلين بما وصفت عنهم من قيلهم على ما قالوا من الجنات التى هم فيها خالدون ، جزاء كلّ محسن فى قيله وفعله ، وإحسان المحسن فى ذلك أن يوحد الله توحيدا خالصا محضا ، لاشرك فيه ، ويقرّ بأنبياء الله ، وما جاءت به من عند الله من الكتب ، ويؤدّى فرائضه ، ويجتنب معاصيه ، فذلك كمال إحسان المحسنين الذين قال الله تعالى (جَنَّاتٍ تَجْرِى مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا) .

القول فى تأويل قوله تعالى :

وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَكَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَآ أُوْلَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلْجَحِيمِ ﴿٨٦﴾

❁ يقول تعالى ذكره : وأما الذين جحدوا توحيد الله ، وأنكروا نبوّة محمد صلى الله عليه وسلم ، وكذّبوا

بآيات كتابه ، فإن أولئك أصحاب الجحيم ، يقول : هم سكانها ، واللابثون فيها . والجحيم : ما اشتد من النار ، وهو الجاحم والجحيم .

القول في تأويل قوله تعالى :

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُحَرِّمُوا طَيِّبَاتِ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ ﴾

يقول تعالى ذكره : يا أيها الذين صدقوا الله ورسوله ، وأقروا بما جاءهم به نبيهم صلى الله عليه وسلم أنه حق من عند الله (لا تُحَرِّمُوا طَيِّبَاتِ ما أَحَلَّ لَكُمْ) يعني بالطيبات : اللذيذات التي تشتهيها النفوس وتميل إليها القلوب ، فتمنعوها إياها ، كالذي فعله القسيسون والرهبان ، فحرّموا على أنفسهم النساء والمطاعم الطيبة ، والمشارب اللذيذة ، وحبس في الصوامع بعضهم أنفسهم ، وساح في الأرض بعضهم ، يقول تعالى ذكره : فلا تفعلوا أيها المؤمنون كما فعل أولئك ، ولا تعتدوا حد الله الذي حد لكم فيما أحل لكم ، وفيما حرّم عليكم ، فتجاوزوا حدّه الذي حدّه ، فتخالفوا بذلك طاعته ، فإن الله لا يحب من اعتدى حدّه الذي حدّه لخلقه ، فيما أحل لهم ، وحرّم عليهم :

وبنحو الذي قلنا في ذلك ، قال أهل التأويل :

ذكر من قال ذلك

حدثني أبو حصين عبد الله بن أحمد بن يونس ، قال : ثنا عبثر أبو زبيد ، قال : ثنا حصين ، عن أبي مالك في هذه الآية (يا أَيُّها الَّذِينَ آمَنُوا لا تُحَرِّمُوا طَيِّبَاتِ ما أَحَلَّ اللهُ لَكُمْ) . . . الآية ، قال عثمان بن مظعون وأناس من المسلمين : حرّموا عليهم النساء ، وامتنعوا من الطعام الطيب ، وأراد بعضهم أن يقطع ذكره ، فنزلت هذه الآية .

حدثنا حميد بن مسعدة ، قال : ثنا يزيد بن زريع ، قال : ثني خالد الحذاء ، عن عكرمة ، قال : كان أناس من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم هموا بالخصاء وترك اللحم والنساء ، فنزلت هذه الآية (يا أَيُّها الَّذِينَ آمَنُوا لا تُحَرِّمُوا طَيِّبَاتِ ما أَحَلَّ اللهُ لَكُمْ ، وَلا تَعْتَدُوا إِنَّ اللهَ لا يُحِبُّ المُعْتَدِينَ) .

حدثني يعقوب قال : ثنا ابن علية ، عن خالد ، عن عكرمة ، أن رجالا أرادوا كذا وكذا ، وأرادوا كذا وكذا ، وأن يختصوا ، فنزلت (يا أَيُّها الَّذِينَ آمَنُوا لا تُحَرِّمُوا طَيِّبَاتِ ما أَحَلَّ اللهُ لَكُمْ) إلى قوله (الَّذِي أَنْتُمْ بِهِ مُؤْمِنُونَ) .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا جرير ، عن مغيرة ، عن إبراهيم (يا أَيُّها الَّذِينَ آمَنُوا لا تُحَرِّمُوا طَيِّبَاتِ ما أَحَلَّ اللهُ لَكُمْ) قال : كانوا حرّموا الطيب واللحم ، فأنزل الله تعالى هذا فيهم .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا عبد الوهاب الثقفي ، قال : ثنا خالد ، عن عكرمة أن أناسا قالوا : لا نتزوّج ، ولا نأكل ، ولا نفعل كذا وكذا ، فأنزل الله تعالى (يا أَيُّها الَّذِينَ آمَنُوا لا تُحَرِّمُوا طَيِّبَاتِ ما أَحَلَّ اللهُ لَكُمْ ، وَلا تَعْتَدُوا إِنَّ اللهَ لا يُحِبُّ المُعْتَدِينَ) .

حدثنا الحسن بن يحيى ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا معمر ، عن أيوب ، عن أبي قلابة قال « أراد أناس من أصحاب النبيّ صلى الله عليه وسلم أن يرفضوا الدنيا ويتركوا النساء ويترهبوا ، فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم فغلظ فيهم المقالة ، ثم قال « إنما هلك من كان قبلكم بالتشديد ، شدّدوا على أنفسهم فشدّد الله عليهم ، فأولئك بقاياهم الديار والصوامع ، اعبدوا الله ، ولا تشركوا به شيئا ، وحجوا واعتمروا ، واستقيموا يستقم لكم ، قال : ونزلت فيهم (يا أيُّها الَّذينَ آمَنُوا لا تُحَرِّمُوا طَيِّباتِ ما أحَلَّ اللهُ لَكُمْ) . . . الآية .

حدثنا الحسن بن يحيى ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا معمر ، عن قتادة ، في قوله (لا تُحَرِّمُوا طَيِّباتِ ما أحَلَّ اللهُ لَكُمْ) قال : نزلت في أناس من أصحاب النبيّ صلى الله عليه وسلم ، أرادوا أن يتخلوا من اللباس ، ويتركوا النساء ، ويتزهدوا : منهم عليّ بن أبي طالب ، وعثمان بن مظعون .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبي ، عن سفيان ، عن زياد بن فياض ، عن أبي عبد الرحمن ، قال : قال النبيّ صلى الله عليه وسلم : « لا آمُرُكُمْ أنْ تَكُونُوا قِسِّيسِينَ وَرُهْباناً » .

حدثنا بشر بن معاذ ، قال : ثنا جامع بن حماد ، قال : ثنا يزيد بن زريع ، عن سعيد ، عن قتادة ، في قوله (يا أيُّها الَّذينَ آمَنُوا لا تُحَرِّمُوا طَيِّباتِ ما أحَلَّ اللهُ لَكُمْ) . . . الآية « ذكر لنا أن رجالا من أصحاب النبيّ صلى الله عليه وسلم رفضوا النساء واللحم ، وأرادوا أن يتخذوا الصوامع ؛ فلما بلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قال « ليس في ديني ترك النساء واللحم ، ولا اتخاذ الصوامع » وخُبّرنا أن ثلاثة نفر على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم اتفقوا ، فقال أحدهم : أما أنا فأقوم الليل لا أنام ، وقال أحدهم : أما أنا فأصوم النهار فلا أفطر ، وقال الآخر : أما أنا فلا آتي النساء ، فبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم إليهم ، فقال : « ألَمْ أُنَبَّأْ أنَّكُمُ اتَّفَقْتُمْ على كَذَا ؟ قالوا : بلى يا رسول الله ، وما أردنا إلا الخير ، قال : لَكِنِّي أقُومُ وأنامُ وأصُومُ وأُفْطِرُ وآتي النِّساءَ ، فَمَنْ رَغِبَ عَنْ سُنَّتِي فَلَيْسَ مِنِّي » وكان في بعض القراءة : من رغب عن سنتك فليس من أمتك وقد ضلّ عن سواء السبيل . وذكر لنا أن نبيّ الله صلى الله عليه وسلم قال لأناس من أصحابه « إنّ مَن قبلكم شدّدوا على أنفسهم ، فشدّد الله عليهم ، فهؤلاء إخوانهم في الدور والصوامع ، اعبدوا الله ولا تشركوا به شيئا ، وأقيموا الصلاة ، وآتوا الزكاة ، وصوموا رمضان ، وحجوا واعتمروا ، واستقيموا يُسْتَقَمْ لكم » .

حدثني محمد بن الحسين ، قال : ثنا أحمد بن مفضل ، قال : ثنا أسباط ، عن السديّ (يا أيُّها الَّذينَ آمَنُوا لا تحرّموا طَيِّباتِ ما أحَلَّ اللهُ لَكُمْ ، وَلا تَعْتَدُوا إنَّ اللهَ لا يُحِبُّ المُعْتَدِينَ) وذلك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم جلس يوما ، فذكّر الناس ، ثم قام ولم يزدهم على التخويف ، فقال أناس من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم كانوا عشرة ، منهم عليّ بن أبي طالب ، وعثمان بن مظعون : ما حقنا إن لم نحدث عملا ، فإن النصارى قد حرّموا على أنفسهم ، فنحن نحرّم ، فحرّم بعضهم أكل اللحم والوَدَك ، وأن يأكل بالنهار ، وحرّم بعضهم النوم ، وحرّم بعضهم النساء ، فكان عثمان بن مظعون ممن

حرّم النساء ، وكان لايدنو من أهله ، ولا يدنون منه ، فأتت امرأته عائشة وكان يقال لها : الحولاء ، فقالت لها عائشة ومَن عندها من نساء النبيّ صلى الله عليه وسلم : مابالك ياحولاء متغيرة اللون ، لاتمتشطين ولا تطيبين ؟ فقالت : وكيف أتطيب وأمتشط ، وما وقع عليّ زوجي ، ولا رفع عني ثوبا منذ كذا وكذا ، فجعلن يضحكن من كلامها ، فدخل رسول الله صلى الله عليه وسلم وهن يضحكن ، فقال : ما يضحككنّ قالت : يا رسول الله الحولاء ، سألتها عن أمرها ، فقالت : ما رفع عني زوجي ثوبا منذ كذا وكذا ، فأرسل إليه فدعاه ، فقال : ما بالك يا عُثْمانُ ؟ قال : إني تركته لله لكي أتخلى للعبادة ، وقصّ عليه أمره ، وكان عثمان قد أراد أن يجبّ نفسه ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : أقْسَمْتُ عَلَيْكَ إلاَّ رَجَعْتَ فَوَاقَعْتَ أهْلَكَ ، فقال : يارسول الله إني صائم ، قال : أفْطِرْ ، فأفطرَ وأتى أهله ، فرجعت الحوْلاء إلى عائشة قد اكتحلت وامتشطت وتطيبت ، فضحكت عائشة فقالت : ما بالك يا حولاء ؟ فقالت : إنه أتاها أمس ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « ما بالُ أقْوَامٍ حَرَّمُوا النِّساءَ وَالطَّعامَ والنَّوْمَ ، ألا إنِّي أنامُ وأقُومُ وأفطِرُ وأصُومُ وأنْكِحُ النِّساءَ ، فَمَنْ رَغِبَ عَنْ سُنَّتِي فَلَيْسَ مِنِّي ، فنزلت (يا أيُّها الَّذِينَ آمَنُوا لا تُحَرِّمُوا طَيِّباتِ ما أحَلَّ اللهُ لَكُمْ وَلا تَعْتَدُوا) يقول لعثمان : لاتجبّ نفسك ، فإن هذا هو الاعتداء ، وأمرهم أن يكفروا أيمانهم ، فقال : (لايؤاخذكمُ اللهُ باللَّغوِ في أيْمانِكُمْ وَلَكِنْ يُؤاخِذُكُمْ بِمَا عَقَّدْتُمُ الأيْمانَ) .

حدثني المثنى ، قال : ثنا عبد الله بن صالح ، قال : ثني معاوية ، عن عليّ ، عن ابن عباس ، قوله (يا أيُّها الَّذِينَ آمَنُوا لا تُحَرِّمُوا طَيِّباتِ ماأحَلَّ اللهُ لَكُمْ) قال : هم رهط من أصحاب النبيّ صلى الله عليه وسلم قالوا : نقطع مذاكيرنا ، ونترك شهوات الدنيا ، ونسيح في الأرض كما تفعل الرهبان ، فبلغ ذلك النبيّ صلى الله عليه وسلم ، فأرسل إليهم ، فذكر ذلك لهم ، فقالوا : نعم ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « لَكِنِّي أصُومُ وأفْطِرُ وأُصَلِّي وأنامُ وأنْكِحُ النِّساءَ ، فَمَنْ أخَذَ بِسُنَّتِي فَهُوَ مِنِّي ، وَمَنْ لَمْ يَأْخُذْ بِسُنَّتِي فَلَيْسَ مِنِّي » .

حدثني محمد بن سعد ، قال : ثني أبي ، قال : ثني عمي ، قال : ثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس قوله (يا أيُّها الَّذِينَ آمَنُوا لا تُحَرِّمُوا طَيِّباتِ ما أحَلَّ اللهُ لَكُمْ) وذلك أن رجالا من أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم منهم عثمان بن مظعون حرّموا النِّساءَ وَاللَّحْمَ على أنْفُسِهِمْ ، وأخذوا الشفار ليقطعوا مذاكيرهم لكي تنقطع الشهوة ، ويتفرّغوا لعبادة ربهم ، فأخبر بذلك النبيّ صلى الله عليه وسلم ، فقال : ما أردتم ؟ فقالوا : أردنا أن نقطع الشهوة عنا ، ونتفرّغ لعبادة ربنا ، ونلهو عن النساء ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : لَمْ أُومَرْ بِذَلِكَ ، وَلَكِنِّي أُمِرْتُ في دِينِي أنْ أتَزَوَّجَ النِّساءَ ، فقالوا : نطيع رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأنزل الله (ياأيُّها الَّذِينَ آمَنُوا لا تُحَرِّمُوا طَيِّباتِ ما أحَلَّ اللهُ لَكُمْ ، وَلا تَعْتَدُوا إنَّ اللهَ لا يُحِبُّ المُعْتَدِينَ) . . . إلى قوله (الَّذِي أنْتُمْ بِهِ مُؤْمِنُونَ) .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثني حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، قال : أراد

رجال ، منهم عثمان بن مظعون ، وعبد الله بن عمرو أن يتبتلوا ، ويخصوا أنفسهم ، ويلبسوا المسوح ، فنزلت هذه الآية إلى قوله (واتَّقُوا اللهَ الَّذِى أَنْتُمْ بِهِ مُؤْمِنُونَ) .

قال ابن جريج عن عكرمة : إن عثمان بن مظعون ، وعليّ بن أبي طالب ، وابن مسعود ، والمقداد بن الأسود ، وسالما مولى أبي حذيفة في أصحاب تبتلوا ، فجلسوا في البيوت ، واعتزلوا النساء ، ولبسوا المسوح وحرّموا طيبات الطعام واللباس ، إلا ما أكل ولبس أهل السياحة من بني إسرائيل ، وهمّوا بالاختصاء ، وأجمعوا لقيام الليل ، وصيام النهار ، فنزلت (يا أَيُّها الَّذِينَ آمَنُوا لا تُحَرِّمُوا طَيِّباتِ ما أَحَلَّ اللهُ لَكُمْ وَلا تَعْتَدُوا إِنَّ اللهَ لا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ) يقول : لا تستنّوا بغير سنة المسلمين ، يريد ما حرّموا من النساء والطعام واللباس ، وما أجمعوا له من صيام النهار ، وقيام الليل ، وما همّوا له من الإخصاء ؛ فلما نزلت فيهم بعث إليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال « إِنَّ لِأَنْفُسِكُمْ حَقًّا ، وَإِنَّ لِأَعْيُنِكُمْ حَقًّا ، صُومُوا وَأَفْطِرُوا وَصَلُّوا وَنَامُوا ، فَلَيْسَ مِنَّا مَنْ تَرَكَ سُنَّتَنَا ، فقالوا : اللهمّ أسلمنا ، واتبعنا ما أنزلت .

حدثني يونس بن عبد الأعلى ، قال : أخبرنا ابن وهب ، عن ابن زيد في قوله (يا أَيُّها الَّذِينَ آمَنُوا لا تُحَرِّمُوا طَيِّباتِ ما أَحَلَّ اللهُ لَكُمْ) قال : قال أبيّ : ضاف عبد الله بن رواحة ضيف ، فانقلب ابن رواحة ولم يتعشّ ، فقال لأهله : ما عشيتِه ؟ فقالت : كان الطعام قليلا ، فانتظرت أن تأتي ، قال : فحبستِ ضيفي من أجلي ، فطعامك عليّ حرام إن ذقته ، فقالت : هي وهو عليّ حرام إن ذقته إن لم تذقه ، وقال الضيف : هو عليّ حرام إن ذقته إن لم تذوقوه ، فلما رأى ذلك ، قال ابن رواحة : قرّبي طعامك ، كلوا بسم الله ، وغدا إلى النبيّ صلى الله عليه وسلم ، فأخبره ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : قَدْ أَحْسَنْتَ ، فنزلت هذه الآية (يا أَيُّها الَّذِينَ آمَنُوا لا تُحَرِّمُوا طَيِّباتِ ما أَحَلَّ اللهُ لَكُمْ) ... وقرأ حتى بلغ (لا يُؤاخِذُكُمُ اللهُ بِاللَّغْوِ فِي أَيْمانِكُمْ ، وَلَكِنْ يُؤاخِذُكُمْ بِما عَقَّدْتُمُ الْأَيْمانَ) إذا قلت : والله لا أذوقه ، فذلك العقد .

حدثنا عمرو بن عليّ ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عثمان بن سعيد ، قال : ثنا عكرمة ، عن ابن عباس « أن رجلا أتى النبيّ صلى الله عليه وسلم ، فقال : يا رسول الله ، إني إذا أصبت من اللحم انتشرت وأخذتني شهوتي ، فحرّمت اللحم ، فأنزل الله تعالى ذكره (يا أَيُّها الَّذِينَ آمَنُوا لا تُحَرِّمُوا طَيِّباتِ ما أَحَلَّ اللهُ لَكُمْ ، وَلا تَعْتَدُوا إِنَّ اللهَ لا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ) » .

حدثنا عمرو بن عليّ ، قال : ثنا يزيد بن زريع ، قال : ثنا خالد الحذّاء ، عن عكرمة ، قال : همّ أناس من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم بترك النساء والخصاء ، فأنزل الله تعالى (يا أَيُّها الَّذِينَ آمَنُوا لا تُحَرِّمُوا طَيِّباتِ ما أَحَلَّ اللهُ لَكُمْ) . . . الآية .

واختلفوا في معنى الاعتداء الذي قال تعالى ذكره (وَلا تَعْتَدُوا إِنَّ اللهَ لا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ) فقال

بعضهم : الاعتداء الذى نهى الله عنه فى هذا الموضع هو ما كان عثمان بن مظعون همّ به من جبّ نفسه ، فنهى عن ذلك ، وقيل له : هذا هو الاعتداء ، وممن قال ذلك السدىّ .

حدثنا محمد بن الحسين ، قال : ثنى أحمد بن المفضل ، قال : ثنا أسباط ، عنه به .

وقال آخرون : بل ذلك هو ما كان الجماعة من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم همّوا به من تحريم النساء والطعام واللباس والنوم ، فنُهوا أن يفعلوا ذلك ، وأن يستنُّوا بغير سنة نبيهم محمد صلى الله عليه وسلم ، وممن قال ذلك عكرمة .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، عنه به .

وقال بعضهم : بل ذلك نهى من الله تعالى ذكره أن يتجاوز الحلال إلى الحرام .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا المحاربى ، عن عاصم ، عن الحسن (يا أيُّها الَّذِينَ آمَنُوا لا تُحَرِّمُوا طَيِّبَاتِ ما أحَلَّ اللهُ لَكُمْ ، وَلا تَعْتَدُوا) قال : لا تعتدوا إلى ما حرّم عليكم .

❁ وقد بيَّنا أن معنى الاعتداء : تجاوز المرء ماله إلى ما ليس له فى كلّ شىء ، فيما مضى ، بما أغنى عن إعادته . وإذ كان ذلك كذلك ، وكان الله تعالى ذكره قد عمّ بقوله (لا تَعْتَدُوا) النهى عن العدوان كله ، كان الواجب أن يكون محكوما لما عمه بالعموم ، حتى يخصه ما يجب التسليم له ، وليس لأحد أن يتعدّى حدّ الله تعالى فى شىء من الأشياء ، مما أحلّ أو حرّم ، فمن تعدّاه فهو داخل فى جملة من قال تعالى ذكره (إنَّ اللهَ لا يُحِبُّ المُعْتَدِينَ) وغير مستحيل أن تكون الآية نزلت فى أمر عثمان بن مظعون ، والرهط الذين همّوا من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم بما همّوا به من تحريم بعض ما أحلّ الله لهم على أنفسهم ، ويكون مرادا بحكمها كلّ من كان فى مثل معناهم ، ممن حرّم على نفسه ما أحلّ الله له ، أو أحلّ ما حرّم الله عليه ، أو تجاوز حدّا حدّه الله له ، وذلك أن الذين همّوا بما همّوا به من تحريم بعض ما أحلّ لهم على أنفسهم ، إنما عوتبوا على ما همّوا به من تجاوزهم ما سنّ لهم ، وحدّ إلى غيره .

القول في تأويل قوله تعالى :

وَكُلُوا مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ حَلَالًا طَيِّبًا وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي أَنتُم بِهِ مُؤْمِنُونَ ﴿٨٨﴾

❁ يقول تعالى ذكره لهؤلاء المؤمنين الذين نهاهم أن يحرّموا طيبات ما أحلّ الله لهم : كلوا أيها المؤمنون من رزق الله الذى رزقكم ، وأحله لكم حلالا طيبا .

كما حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، عن عكرمة (وَكُلُوا مِمَّا رَزَقَكُمُ اللهُ حَلالاً طَيِّبًا) يعنى : ما أحلّ الله لهم من الطعام

وأما قوله (وَاتَّقُوا اللهَ الَّذِى أنْتُمْ بِهِ مُؤْمِنُونَ) فإنه يقول : وخافوا أيها المؤمنون أن تعتدوا فى حدوده ، فتحلوا ما حرّم عليكم ، وتحرّموا ما أحلّ لكم ، واحذروه فى ذلك أن تخالفوه ، فينزل بكم

سخطه ، أو تستوجبوا به عقوبته ، الذى أنتم به مؤمنون ، يقول : الذى أنتم بوحدانيته مقرّون، وبربوبيته مصدّقون :

القول فى تأويل قوله تعالى :

لَا يُؤَاخِذُكُمُ اللَّهُ بِاللَّغْوِ فِي أَيْمَانِكُمْ وَلَٰكِن يُؤَاخِذُكُم بِمَا عَقَّدتُّمُ الْأَيْمَانَ فَكَفَّارَتُهُ إِطْعَامُ عَشَرَةِ مَسَاكِينَ مِنْ أَوْسَطِ مَا تُطْعِمُونَ أَهْلِيكُمْ أَوْ كِسْوَتُهُمْ أَوْ تَحْرِيرُ رَقَبَةٍ فَمَن لَّمْ يَجِدْ فَصِيَامُ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ ذَٰلِكَ كَفَّارَةُ أَيْمَانِكُمْ إِذَا حَلَفْتُمْ وَاحْفَظُوا أَيْمَانَكُمْ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٨٩﴾

يقول تعالى ذكره للذين كانوا حرّموا على أنفسهم الطيبات من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وكانوا حرّموا ذلك بأيمان حلفوا بها ، فنهاهم عن تحريمها ، وقال لهم : لايؤاخذكم ربكم باللغو فى أيمانكم :

كما حدثنى محمد بن سعد ، قال : ثنى أبى ، قال : ثنى عمى ، قال : ثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قال : لما نزلت (يا أيُّها الَّذِينَ آمَنُوا لا تُحَرِّمُوا طَيِّبَاتِ ما أحَلَّ اللهُ لَكُمْ) فى القوم الذين كانوا حرّموا النساء ، واللحم على أنفسهم ، قالوا : يارسول الله ، كيف نصنع بأيماننا التى حلفنا عليها ؟ فأنزل الله تعالى ذكره (لا يُؤَاخِذُكُمُ اللهُ باللَّغْوِ فِى أَيْمَانِكُمْ) . . . الآية ، فهذا يدلّ على ما قلنا من أن القوم كانوا حرّموا ماحرّموا على أنفسهم بأيمان حلفوا بها ، فنزلت هذه الآية بسببهم .

واختلفت القراء فى قراءة ذلك ، فقرأته عامة قرّاء الحجاز وبعض البصريين (وَلَكِنْ يُؤَاخِذُكُمْ بِمَا عَقَّدْتُمُ الأَيْمَانَ) بتشديد القاف ، بمعنى : وكدتم الأيمان وردّدتموها ؛ وقرّاء الكوفيين (بِمَا عَقَدْتُمُ الأَيْمَانَ) بتخفيف القاف ، بمعنى : أوجبتموها على أنفسكم ، وعزمت عليها قلوبكم .

وأولى القراءتين بالصواب فى ذلك ، قراءة من قرأ بتخفيف القاف ، وذلك أن العرب لاتكاد تستعمل فعلت فى الكلام ، إلا فيما يكون فيه تردّد مرّة بعد مرّة ، مثل قولهم : شدّدت على فلان فى كذا إذا كرّر عليه الشدّ مرّة بعد أخرى ، فاذا أرادوا الخبر عن فعل مرّة واحدة ، قيل : شدّدت عليه بالتخفيف ، وقد أجمع الجميع لاخلاف بينهم ، أن اليمين التى تجب بالحنث فيها الكفارة ، تلزم بالحنث فى حلف مرّة واحدة ، وإن لم يكرّرها الحالف مرّات ، وكان معلوما بذلك أن الله مؤاخذ الحالف العاقد قلبه على حلفه وإن لم يكرّره ولم يردّده . وإذا كان ذلك كذلك لم يكن لتشديد القاف من عقّدتم وجه مفهوم. فتأويل الكلام إذن : لايؤاخذكم الله أيها المؤمنون من أيمانكم بما لغوتم فيه ، ولكن يؤاخذكم بما أوجبتموه على أنفسكم منها ، وعقدت عليه قلوبكم . وقد بينا اليمين التى هى لغو ، والتى الله مؤاخذ العبد بها ، والتى فيها الحنث ، والتى لاحنث فيها ، فيما مضى من كتابنا هذا ، فكرهنا إعادة ذلك فى هذا الموضع .

وأما قوله (بِمَا عَقَّدْتُمُ الأَيْمَانَ) فإن هنادا حدثنا ، قال : ثنا وكيع ، عن سفيان ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد (وَلَكِنْ يُؤَاخِذُكُمْ بِمَا عَقَّدْتُمُ الأَيْمَانَ) قال : بما تعمدتم .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبي ، عن سفيان ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، مثله .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد، عن قتادة ، عن الحسن (وَلَكِنْ يُؤَاخِذُكُمْ بِمَا عَقَّدْتُمُ الأَيْمَانَ) يقول : ماتعمدتَ فيه المأثم ، فعليك فيه الكفارة .

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿فَكَفَّارَتُهُ إِطْعَامُ عَشَرَةِ مَسَاكِينَ﴾ :

اختلف أهل التأويل فى الهاء التى فى قوله (فَكَفَّارَتُهُ) على ما هى عائدة، ومن ذكر ما ، فقال بعضهم : هى عائدة على « ما » التى فى قوله (بِمَا عَقَّدْتُمُ الأَيْمَانَ) .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا ابن أبى عدىّ عن عدىّ ، عن الحسن فى هذه الآية (لايُؤَاخِذُكُمُ اللهُ بِاللَّغْوِ فِي أَيْمَانِكُمْ) قال : هو أن تحلف على الشىء ، وأنت يخيل إليك أنه كما حلفت وليس كذلك ، فلا يؤاخذكم الله ، فلا كفارة ، ولكن المؤاخذة والكفارة فيما حلفت عليه على علم .

حدثنا ابن حميد ، وابن وكيع ، قالا : ثنا جرير ، عن منصور ، عن مغيرة ، عن الشعبى ، قال : اللغو ليس فيه كفارة (وَلَكِنْ يُؤَاخِذُكُمْ بِمَا عَقَّدْتُمُ الأَيْمَانَ) قال : ما عقد فيه يمينه ، فعليه الكفارة .

حدثنى يعقوب ، قال : ثنا هشيم ، قال : أخبرنا حصين ، عن أبى مالك ، قال : الأيمان ثلاث : يمين تكفَّر ، ويمين لاتكفر ، ويمين لايؤاخذ بها صاحبها . فأما اليمين التى تكفر ، فالرجل يحلف على الأمر لا يفعله ثم يفعله ، فعليه الكفارة . وأما اليمين التى لا تكفر : فالرجل يحلف على الأمر يتعمد فيه الكذب ، فليس فيه كفارة ؛ وأما اليمين التى لايؤاخذ بها صاحبها : فالرجل يحلف على الأمر ، يرى أنه كما حلف عليه ، فلا يكون كذلك ، فليس عليه فيه كفارة ، وهو اللغو .

حدثنى يعقوب ، قال : ثنا هشيم ، قال : أخبرنا ابن أبى ليلى، عن عطاء ، قال : قالت عائشة : لغو اليمين ما لم يعقد عليه الحالف قلبه .

حدثنى يعقوب ، قال : ثنا ابن علية ، قال : ثنا هشام ، قال : ثنا حماد ، عن إبراهيم ، قال : ليس فى لغو اليمين كفارة .

حدثنى يونس بن عبد الأعلى ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : أخبرنى يونس، عن ابن شهاب ، أن عروة حدثه أن عائشة قالت : أيمان الكفارة كلّ يمين حلف فيها الرجل على جدّ من الأمور فى غضب أو غيره ليفعلنّ ليتركنّ ، فذلك عقد الأيمان التى فرض الله فيها الكفارة ، وقال تعالى ذكره (لايُؤَاخِذُكُمُ اللهُ بِاللَّغْوِ فِي أَيْمَانِكُمْ ، وَلَكِنْ يُؤَاخِذُكُمْ بِمَا عَقَّدْتُمُ الأَيْمَانَ) .

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : أخبرنى معاوية بن صالح ، عن يحيى بن سعد ، وعن علىّ بن أبى طلحة ، قالا : ليس فى لغو اليمين كفارة .

حدثنا بشر ، قال : ثنا جامع بن حماد ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، عن الحسن (وَلَكِنْ يُؤَاخِذُكُمْ بِمَا عَقَّدْتُمُ الأَيْمَانَ) يقول : ماتعمدت فيه المأثم فعليك فيه الكفارة ، قال : وقال قتادة : أما اللغو فلا كفارة فيه .

حدثنا هناد ، قال : ثنا عبدة ، عن سعيد ، عن قتادة ، عن الحسن ، قال : لا كفارة فى لغو اليمين .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا عمرو العبقرىّ ، عن أسباط ، عن السدىّ : ليس فى لغو اليمين كفارة .

فعنى الكلام على هذا التأويل : لايؤاخذكم الله باللغو فى أيمانكم ، ولكن يؤاخذكم بما عقدتم الأيمان ، فكفارة ما عقدتم منها : إطعام عشرة مساكين .

وقال آخرون : الهاء فى قوله (فَكَفَّارَتُهُ) عائدة على اللغو ، وهى كناية عنه .

قالوا : وإنما معنى الكلام : لايؤاخذكم الله باللغو فى أيمانكم إذا كفرتموه ، ولكن يؤاخذكم إذا عقدتم الأيمان ، فأقمتم على المضىّ عليه بترك الحنث ، والكفارة فيه ، والإقامة على المضىّ عليه غير جائزة لكم ، فكفارة اللغو منها إذا حنثتم فيه : إطعام عشرة مساكين .

ذكر من قال ذلك

حدثنى المثنى ، قال : ثنا عبد الله بن صالح ، قال : ثنى معاوية بن صالح ، عن علىّ بن أبى طلحة ، عن ابن عباس قوله (لَا يُؤَاخِذُكُمُ اللهُ بِاللَّغْوِ فِى أَيْمَانِكُمْ) قال : هو الرجل يحلف على أمر ضرار أن يفعله فلا يفعله ، فيرى الذى هو خير منه ، فأمره الله أن يكفر عن يمينه ، ويأتى الذى هو خير ، وقال مرّة أخرى قوله (لَا يُؤَاخِذُكُمُ اللهُ بِاللَّغْوِ فِى أَيْمَانِكُمْ) . . . إلى قوله (بِمَا عَقَّدْتُمُ الأَيْمَانَ) قال : واللغو من اليمين هى التى تكفر ، لايؤاخذ الله بها ، ولكن من أقام على تحريم ما أحلّ الله له ، ولم يتحوّل عنه ، ولم يكفّر عن يمينه ، فتلك التى يؤاخذ بها .

حدثنا هناد ، قال : ثنا حفص بن غياث ، عن داود بن أبى هند ، عن سعيد بن جبير ، قوله (لَا يُؤَاخِذُكُمُ اللهُ بِاللَّغْوِ فِى أَيْمَانِكُمْ) قال : هو الذى يحلف على المعصية فلا يفى ، فيكفر .

حدثنا محمد بن المثنى ، قال : ثنا عبد الوهاب ، قال : ثنا داود ، عن سعيد بن جبير (لَا يُؤَاخِذُكُمُ اللهُ بِاللَّغْوِ فِى أَيْمَانِكُمْ) قال : هو الرجل يحلف على المعصية ، فلا يؤاخذه الله تعالى ، يكفّر عن يمينه ، ويأتى الذى هو خير ، ولكن يؤاخذكم بما عقدتم الأيمان : الرجل يحلف على المعصية ثم يقيم عليها ، فكفارته إطعام عشرة مساكين .

حدثنى يعقوب ، قال : ثنا ابن علية ، قال : أخبرنا داود ، عن سعيد بن جبير ، قال : فى لغو اليمين هى اليمين فى المعصية ، فقال : أو لاتقرأ فتفهم ؟ قال (لَا يُؤَاخِذُكُمُ اللهُ بِاللَّغْوِ فِى أَيْمَانِكُمْ) ،

وَلَكِنْ يُؤَاخِذُكُمْ بِمَا عَقَّدْتُمُ الأَيْمَانَ) قال : فلايؤاخذه بالإلغاء ، ولكن يؤاخذه بالمقام عليها ، قال : وقال (وَلاَ تَجْعَلُوا اللهَ عُرْضَةً لأَيْمَانِكُمْ) .

حدثنى يعقوب ، قال : ثنا هشيم ، قال : أخبرنا أبو بشر ، عن سعيد بن جبير ، فى قوله (لاَيُؤَاخِذُكُمُ اللهُ بِاللَّغْوِ فِى أَيْمَانِكُمْ) قال : هو الرجل يحلف على المعصية ، فلا يؤاخذه الله بتركها إن تركها ، قلت : وكيف يصنع ؟ قال : يكفر يمينه ، ويترك المعصية .

حدثنى يحيى بن جعفر ، قال : ثنا يزيد بن هارون ، قال : أخبرنا جويبر ، عن الضحاك ، فى قوله (لاَيُؤَاخِذُكُمُ اللهُ بِاللَّغْوِ فِى أَيْمَانِكُمْ) قال : اليمين المكفرة .

حدثنا هناد ، قال : ثنا أبو الأحوص ، عن مغيرة ، عن إبراهيم ، قال : اللغو : يمين لايؤاخذ بها صاحبها ، وفيها كفارة .

﴿ والذى هو أولى عندى بالصواب فى ذلك ، أن تكون الهاء فى قوله (فَكَفَّارَتُهُ) عائدة على «ما» التى فى قوله (بِمَا عَقَّدْتُمُ الأَيْمَانَ) لما قدمنا فيما مضى قبل ، أن من لزمته فى يمينه كفارة ، وأوخذ بها ، غير جائز أن يقال لمن قد أوخذ : لايؤاخذه الله باللغو ؛ وفى قوله تعالى (لاَيُؤَاخِذُكُمُ اللهُ بِاللَّغْوِ فِى أَيْمَانِكُمْ) دليل واضح ، أنه لايكون مؤاخذ بوجه من الوجوه ، من أخبرنا تعالى ذكره أنه غير مؤاخذ.

﴿ فان ظن ظان أنه إنما عنى تعالى ذكره بقوله (لاَيُؤَاخِذُكُمُ اللهُ بِاللَّغْوِ فِى أَيْمَانِكُمْ) بالعقوبة عليها فى الآخرة إذا حنثتم وكفرتم ، لاأنه لايؤاخذهم بها فى الدنيا بتكفير ، فإن إخبار الله تعالى ذكره وأمره ونهيه فى كتابه على الظاهر العام عندنا ، بما قد دللنا على صحة القول به فى غير هذا الموضع ، فأغنى عن إعادته ، دون الباطن العام الذى لادلالة على خصوصه فى عقل ولا خبر ولادلالة من عقل ولا خبر ، أنه عنى تعالى ذكره بقوله (لاَيُؤَاخِذُكُمُ اللهُ بِاللَّغْوِ فِى أَيْمَانِكُمْ) بعض معانى المؤاخذة دون جميعها . وإذ كان ذلك كذلك ، وكان من لزمته كفارة فى يمين حنث فيها مؤاخذا بها بعقوبة فى ماله عاجلة ، كان معلوما أنه غير الذى أخبرنا تعالى ذكره أنه لايؤاخذه بها . وإذا كان الصحيح من التأويل فى ذلك ما قلنا بالذى عليه دللنا ، فمعنى الكلام إذن : لايؤاخذكم الله أيها الناس بلغو من القول والأيمان إذا لم تتعمدوا بها معصية الله تعالى ، ولا خلاف أمره ، ولم تقصدوا بها إثما ، ولكن يؤاخذكم بما تعمدتم به الإثم ، وأوجبتموه على أنفسكم ، وعزمت عليه قلوبكم ، ويكفر ذلك عنكم ، فيغطى على سيئ ما كان منكم من كذب وزور قول ، ويمحوه عنكم ، فلا يتبعكم به ربكم إطعام عشرة مساكين من أوسط ما تطعمون أهليكم .

القول فى تأويل قوله تعالى : ﴿مِنْ أَوْسَطِ مَا تُطْعِمُونَ أَهْلِيكُمْ﴾ :

يعنى تعالى ذكره بقوله (مِنْ أَوْسَطِ مَا تُطْعِمُونَ أَهْلِيكُمْ) :) أعدله .

كما حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : أخبرنا ابن جريج ، قال : سمعت عطاء يقول فى هذه الآية (مِنْ أَوْسَطِ مَا تُطْعِمُونَ أَهْلِيكُمْ أَوْ كِسْوَتُهُمْ) قال عطاء : أوسطه : أعدله ؛

واختلف أهل التأويل فى معنى قوله (مِنْ أَوْسَطِ ما تُطْعِمُونَ أَهْلِيكُمْ) فقال بعضهم : معناه : من أوسط ما يطعم من أجناس الطعام الذى يقتاته أهل بلد المكفر أهاليهم :

ذكر من قال ذلك

حدثنا هناد ، قال : أخبرنا شريك ، عن عبد الله بن حَنَش ، عن الأسود ، قال : سألته عن (أَوْسَطِ ما تُطْعِمُونَ أَهْلِيكُمْ) قال : الخبز والتمر والزيت والسمن ، وأفضله اللحم.

حدثنا هناد ، قال : ثنا وكيع ، وحدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبى ، عن سفيان ، عن عبد الله بن حَنَش ، قال : سألت الأسود بن يزيد ، عن ذلك ، فقال : الخبز والتمر ، زاد هناد فى حديثه : والزيت ، قال : وأحسبه الخلّ .

حدثنا هناد وابن وكيع ، قالا : ثنا أبو الأحوص ، عن عاصم الأحول ، عن ابن سيرين ، عن ابن عمر فى قوله (مِنْ أَوْسَطِ ما تُطْعِمُونَ أَهْلِيكُمْ) قال : من أوسط ما يطعم أهله الخبز والتمر ، والخبز والسمن ، والخبز والزيت ، ومن أفضل ما يطعمهم : الخبز واللحم .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا محمد بن فضيل ، عن ليث ، عن ابن سيرين ، عن ابن عمر (مِنْ أَوْسَطِ ما تُطْعِمُونَ أَهْلِيكُمْ) الخبز واللحم ، والخبز والسمن ، والخبز والجبن ، والخبز والخلّ .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا عبد الرحمن ، قال : ثنا سفيان ، عن عبد الله بن حنش ، قال : سألت الأسود بن يزيد ، عن أوسط ما تطعمون أهليكم ؟ قال : الخبز والتمر .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا يحيى ، قال : ثنا سفيان ، قال : ثنا عبد الله بن حنش ، قال : سألت الأسود بن يزيد ، فذكر مثله .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا عبد الرحمن ، قال : ثنا سعيد بن عبد الرحمن ، عن محمد بن سيرين ، عن عبيدة السلمانى (مِنْ أَوْسَطِ ما تُطْعِمُونَ أَهْلِيكُمْ) قال : الخبز والسمن .

حدثنا هناد ، قال : ثنا وكيع ، وحدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبى ، عن سعيد بن عبد الرحمن ، عن ابن سيرين ، قال : سألت عبيدة عن ذلك ، فذكر مثله .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا أزهر ، قال : أخبرنا ابن عون ، عن محمد بن سيرين ، عن عبيدة (مِنْ أَوْسَطِ ما تُطْعِمُونَ أَهْلِيكُمْ) الخبز والسمن .

حدثنا هناد ، قال : ثنا وكيع ، وحدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبى ، عن يزيد بن إبراهيم ، عن ابن سيرين ، قال : كانوا يقولون : أفضله الخبز واللحم ، وأوسطه : الخبز والسمن ، وأخسه : الخبز والتمر .

حدثنا هناد ، قال : ثنا وكيع ، وحدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبى ، عن الربيع ، عن الحسن ، قال : خبز ولحم ، أو خبز وسمن ، أو خبز ولبن .

حدثنا هناد وابن وكيع ، قالا : ثنا عمر بن هارون ، عن أبى مصلح ، عن الضحاك فى قوله (مِنْ أَوْسَطِ ما تُطْعِمُونَ أَهْلِيكُمْ) قال : الخبز واللحم والمرقة .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا عبد الرحمن ، قال : ثنا زائدة ، عن يحيى بن حبان الطائى ، قال : كنت عند شريح ، فأتاه رجل ، فقال : إنى حلفت على يمين فأثمت ، قال شريح : ما حملك على ذلك؟ قال : قدّر علىّ ، فما أوسط ما أطعم أهلى ؟ قال له شريح : الخبز والزيت والخلّ طيب ، قال : فأعاد عليه ، فقال له شريح ذلك ثلاث مرار لايزيده شريح على ذلك ، فقال له : أرأيت إن أطعمت الخبز واللحم ؟ قال : ذاك أرفع طعام أهلك وطعام الناس .

حدثنا هناد ، قال : ثنا أبو خالد الأحمر ، عن حجاج ، عن أبى إسحاق ، عن الحرث ، عن علىّ ، قال فى كفارة اليمين : يغديهم ويعشّيهم خبزا وزيتا ، أو خبزا وسمنا ، أو خلاّ وزيتا .

حدثنا هناد وابن وكيع ، قالا : ثنا أبو أسامة ، عن زبرقان ، عن أبى رزين (مِنْ أَوْسَطِ ما تُطْعِمُونَ أَهْلِيكُمْ) خبز وزيت وخلّ .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا عبد الأعلى ، عن هشام بن محمد ، قال : أكلة واحدة خبز ولحم ، قال : وهو من أوسط ما تطعمون أهليكم ، وإنكم لتأكلون الخبيص والفاكهة .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا عبد الأعلى ، وحدثنا هناد ، قال : ثنا أبوأسامة ، عن هشام ، عن الحسن قال : فى كفارة اليمين يجزيك أن تطعم عشرة مساكين ، أكلة واحدة خبزا ولحما ، فإن لم تجد فخبزا وسمنا ولبنا ، فإن لم تجد فخبزا وخلا وزيتا حتى يشبعوا .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا ابن نمير ، عن زبرقان ، قال : سألت أبا رزين ، عن كفارة اليمين ما يطعم ؟ قال : خبزا وخلا وزيتا من أوسط ما تطعمون أهليكم ، وذلك قدر قوتهم يوما واحدا .

ثم اختلف قائلو ذلك فى مَبْلَغِه ، فقال بعضهم : مبلغ ذلك نصف صاع من حنطة ، أو صاع من سائر الحبوب غيرها .

ذكر من قال ذلك

حدثنا هناد ، قال : ثنا وكيع ، وحدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبى ، عن عبد الله بن عمرو بن مرّة ، عن أبيه ، عن إبراهيم ، عن عمر ، قال : إنى أحلف على اليمين ثم يبدو لى ، فاذا رأيتنى قد فعلت ذلك فأطعم عشرة مساكين لكل مسكين مدّان من حنطة .

حدثنا هناد ، قال : ثنا أبومعاوية ، ويعلى عن الأعمش ، عن شقيق ، عن يسار بن نُمير ، قال : قال عمر : إنى أحلف أن لاأعطى أقواما ثم يبدو لى أن أعطيهم ، فاذا رأيتنى فعلت ذلك ، فأطعم عنى عشرة مساكين بين كلّ مسكينين صاعا من برّ ، أو صاعا من تمر .

حدثنا هناد ومحمد بن العلاء قالا : ثنا وكيع ، وحدثنا ابن وكيع قال : ثنا أبى ، عن ابن أبى ليلى ، عن عمرو بن مُرّة ، عن عبد الله بن سلمة ، عن علىّ ، قال : كفارة اليمين إطعام عشرة مساكين ، لكلّ مسكين نصف صاع من حنطة .

حدثنا هناد ، قال : ثنا أبو الأحوص ، عن مغيرة ، عن إبراهيم (مِنْ أَوْسَطِ ما تُطْعِمُونَ أَهْلِيكُمْ) نصف صاع برّ كلّ مسكين .

حدثنا هناد ، قال : ثنا حفص عن عبد الكريم الجزرى ، قال : قلت لسعيد بن جبير أجمعهم ، قال : لا ، أعطهم مدّينَ من حنطة ، مدّا لطعامه ، ومدّا لإدامه .

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا وكيع ، وحدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبى ، عن سفيان ، عن عبد الكريم الجزرى ، قال : قلت لسعيد ، فذكر نحوه .

حدثنا هناد ، قال : ثنا أبو زيد ، عن حصين ، قال : سألت الشعبى ، عن كفارة اليمين ، فقال : مكوكين : مكوكا لطعامه ، ومكوكا لإدامه .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا عبد الأعلى ، قال : ثنا هشام ، عن عطاء ، عن ابن عباس ، قال : لكلّ مسكين مدّين .

حدثنا هناد ، قال : ثنا أبو أسامة ، عن هشام ، عن عطاء ، عن ابن عباس ، قال : لكلّ مسكين مدّين من برّ فى كفارة اليمين .

حدثنا هناد ، قال : ثنا وكيع ، وحدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبى ، عن سفيان ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، قال : مدّان من طعام لكلّ مسكين .

حدثنى يعقوب ، قال : ثنا ابن عُلَيّة ، قال : ثنا سعد بن يزيد أبو سَلَمة ، قال : سألت جابر بن زيد عن إطعام المسكين فى كفارة اليمين ، فقال : أكلة . قلت : فإن الحسن يقول : مكوك برّ ، ومكوك تمر ، فما ترى فى مكوك برّ ؟ فقال : إن مكوك برّ لا ، أو مكوك تمر لا ، قال يعقوب : قال ابن عُلَيّة وقال[١] أبو سلمة بيده ، كأنه يراه حسنا ، وقلب أبو سلمة يده .

حدثنا هناد ، قال : ثنا أبو أسامة ، عن هشام ، عن الحسن أنه كان يقول فى كفارة اليمين فيما وجب فيه الطعام : مكوك تمر ، ومكوك برّ لكلّ مسكين .

حدثنا هناد ، قال : ثنا وكيع ، قال : ثنا أبى ، عن الربيع ، عن الحسن ، قال : : قال : إن جمعهم أشبعهم إشباعة واحدة ، وإن أعطاهم أعطاهم مكوكا مكوكا .

حدثنا يعقوب ، قال : ثنا ابن علية ، عن يونس ، قال : كان الحسن يقول : فإن أعطاهم فى أيديهم فكوك برّ ، ومكوك تمر .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا عبيد الله ، عن إسرائيل ، عن السدىّ ، عن أبى مالك فى كفّارة اليمين : نصف صاع لكلّ مسكين .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا ابن علية ، عن أبيه ، عن الحكم ، فى قوله (إطْعامُ عَشَرَةِ مَساكِينَ مِنْ أَوْسَطِ ما تُطْعِمُونَ أَهْلِيكُمْ) قال : إطعام نصف صاع لكلّ مسكين .

(١) قال بيده : أشار بها أو حركها .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا عبد الرحمن ، قال : ثنا زائدة ، عن مغيرة ، عن إبراهيم ، قال : (أَوْسَطِ ما تُطْعِمُونَ أَهْلِيكُمْ) نصف صاع .

حُدثت عن الحسين بن الفرج ، قال : سمعت أبا معاذ الفضل بن خالد ، قال : ثنا عبيد بن سليمان ، قال : سمعت الضحاك بن مزاحم يقول في قوله (فَكَفَّارَتُهُ إِطْعامُ عَشَرَةِ مَساكِينَ) قال : الطعام لكلّ مسكين : نصف صاع من تمر أو برّ .

وقال آخرون : بل مبلغ ذلك من كلّ شيء من الحبوب مدّ واحد .

ذكر من قال ذلك

حدثنا هناد وأبو كريب ، قالا : ثنا وكيع ، وحدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبي ، عن هشام الدَّستوائي ، عن يحيى بن أبي كثير ، عن أبي سلمة ، عن زيد بن ثابت ، أنه قال في كفارة اليمين : مدّ من حنطة لكلّ مسكين .

حدثنا هناد ، قال : ثنا أبو معاوية ، عن داود بن أبي هند ، عن عكرمة ، عن ابن عباس ، قال : في كفَّارة اليمين : مدّ من حنطة لكلّ مسكين ربعه إدامُه .

حدثنا هناد وأبو كريب ، قالا : ثنا وكيع ، عن سفيان ، عن داود بن أبي هند ، عن عكرمة ، عن ابن عباس ، نحوه .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا جرير ، عن ابن عجلان ، عن نافع ، عن ابن عمر : إطعام عشرة مساكين لكلّ مسكين مدّ .

حدثنا هناد وأبو كريب ، قالا : ثنا وكيع ، قال : ثنا العمري ، عن نافع ، عن ابن عمر ، قال : مدّ من حنطة لكلّ مسكين .

حدثنا هناد ، قال : ثنا أبو الأحوص ، عن يحيى بن سعيد ، عن نافع ، عن ابن عمر أنه كان يكفّر اليمين بعشرة أمداد ، بالمدّ الأصغر .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا ابن مهدي ، عن حماد بن سلمة ، عن عبيد الله ، عن القاسم وسالم في كفَّارة اليمين ما يطعم ؟ قالا : مدّ لكلّ مسكين .

حدثنا هناد ، قال : ثنا أبو الأحوص ، عن يحيى بن سعيد ، عن سليمان بن يسار ، قال : كان الناس إذا كفَّر أحدهم ، كفَّر بعشرة أمداد ، بالمدّ الأصغر .

حدثنا هناد ، قال : ثنا عمر بن هارون ، عن ابن جريج ، عن عطاء في قوله (إِطْعامُ عَشَرَةِ مَساكِينَ) قال : عشرة أمداد لعشرة مساكين .

حدثنا بشر ، قال : ثنا جامع بن حماد ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، عن الحسن (إِطْعامُ عَشَرَةِ مَساكِينَ مِنْ أَوْسَطِ ما تُطْعِمُونَ أَهْلِيكُمْ) قال : كان يقال : البرّ والتمر ، لكلّ مسكين مدّ من تمر ، ومدّ من برّ .

حدثنا أبو كريب وهناد ، قالا : ثنا وكيع ، وحدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبى ، عن مالك بن مِغْوَل ، عن عطاء ، قال : مدّ لكلّ مسكين .

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد فى قوله (مِنْ أَوْسَطِ مَا تُطْعِمُونَ أَهْلِيكُمْ) قال : من أوسط ما تعولونهم ، قال : وكان المسلمون رأوا أوسط ذلك : مدًّا بمدّ رسول الله صلى الله عليه وسلم من حنطة ، قال أبو زيد : هو الوسط مما يقوت به أهله ، ليس بأدناه ، ولا بأرفعه .

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : أخبرنى يحيى بن عبد الله بن سالم ، عن يحيى بن سعيد ، عن سعيد بن المسيب (مِنْ أَوْسَطِ مَا تُطْعِمُونَ أَهْلِيكُمْ) قال : مدّ .

وقال آخرون : بل ذلك غَدَاء وعَشاء .

ذكر من قال ذلك

حدثنا هناد ، قال : ثنا أبو خالد الأحمر ، عن حجاج ، عن أبى إسحاق ، عن الحرث ، عن علىّ ، قال : فى كفّارة اليمين يغديهم ويعشيهم .

حدثنا هناد ، قال : ثنا عمر بن هارون ، عن موسى بن عبيدة ، عن محمد بن كعب القرظى فى كفّارة اليمين قال : غداء وعشاء .

حدثنا هناد ، قال : ثنا وكيع ، وحدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبى ، عن سفيان ، عن يونس ، عن الحسن ، قال : يغدّيهم ويعشيهم .

وقال آخرون : إنما عنى بقوله (مِنْ أَوْسَطِ مَا تُطْعِمُونَ أَهْلِيكُمْ) : من أوسط ما يطعم المكفّر أهله ، قال : إن كان ممن يشبع أهله أشبع المساكين العشرة ، وإن كان ممن لا يشبعهم لعجزه عن ذلك أطعم المساكين على قدر ما يفعل من ذلك بأهله فى عسره ويسره .

ذكر من قال ذلك

حدثنى المثنى ، قال : ثنا عبد الله بن صالح ، قال : ثنى معاوية بن صالح ، عن علىّ بن أبى طلحة ، عن ابن عباس ، قوله (فَكَفَّارَتُهُ إِطْعَامُ عَشَرَةِ مَسَاكِينَ مِنْ أَوْسَطِ مَا تُطْعِمُونَ أَهْلِيكُمْ) قال : إن كنت تشبع أهلك ، فأشبع المساكين ، وإلا فعلى ما تطعم أهلك بقدره .

حدثنى محمد بن سعد ، قال : ثنى أبى ، قال : ثنى عمى ، قال : ثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس (فَكَفَّارَتُهُ إِطْعَامُ عَشَرَةِ مَسَاكِينَ مِنْ أَوْسَطِ مَا تُطْعِمُونَ أَهْلِيكُمْ) وهو أن تطعم كلّ مسكين من نحو ما تطعم أهلك من الشبع ، أو نصف صاع من برّ .

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا وكيع ، قال : ثنا أبى ، عن إسرائيل ، عن جابر ، عن عامر ، عن ابن عباس ، قال : من عسرهم ويسرهم .

حدثنا هناد ، قال : ثنا وكيع ، عن إسرائيل ، عن جابر ، عن عامر ، قال : من عسرهم ويسرهم .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا ابن مهدى ، قال : ثنا سفيان ، عن سليمان بن أبي المغيرة ، عن سعيد بن جبير (مِنْ أَوْسَطِ ما تُطْعِمُونَ أَهْلِيكُمْ) قال : قوتهم .

حدثنا هناد وأبو كريب ، قالا : ثنا وكيع ، وحدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبى ، عن سفيان ، عن سليمان العبسى ، عن سعيد بن جبير ، فى قوله (مِنْ أَوْسَطِ ما تُطْعِمُونَ أَهْلِيكُمْ) قال : قوتهم .

حدثنا أبو حميد ، قال : ثنا حكام بن سلم ، قال : ثنا عنبسة ، عن سليمان بن عبيد العبسى ، عن سعيد بن جبير فى قوله (مِنْ أَوْسَطِ ما تُطْعِمُونَ أَهْلِيكُمْ) قال : كانوا يفضلون الحرّ على العبد ، والكبير على الصغير ، فنزلت (مِنْ أَوْسَطِ ما تُطْعِمُونَ أَهْلِيكُمْ) .

حدثنا الحرث ، قال : ثنا عبد العزيز ، قال : ثنا قيس بن الربيع ، عن سالم الأفطس ، عن سعيد بن جبير ، قال : كانوا يطعمون الكبير ما لايطعمون الصغير ، ويطعمون الحرّ ما لايطعمون العبد ، فقال (مِنْ أَوْسَطِ ما تُطْعِمُونَ أَهْلِيكُمْ) .

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا هشيم ، قال : ثنا جويبر ، عن الضحاك، فى قوله (مِنْ أَوْسَطِ ما تُطْعِمُونَ أَهْلِيكُمْ) قال : إن كنت تشبع أهلك فأشبعهم ، وإن كنت لاتشبعهم ، فكل قدر ذلك.

حدثنى الحرث ، قال : ثنا عبد العزيز ، قال : ثنا شيبان النحوي[١] ، عن جابر ، عن عامر ، عن ابن عباس (مِنْ أَوْسَطِ ما تُطْعِمُونَ أَهْلِيكُمْ) قال : من عسرهم ويسرهم .

حدثنا يونس ، قال : ثنا سفيان عن سليمان ، عن سعيد بن جبير ، قال : قال ابن عباس : كان الرجل يقوت بعض أهله قوتا دونا وبعضهم قوتا فيه سعة ، فقال الله (مِنْ أَوْسَطِ ما تُطْعِمُونَ أَهْلِيكُمْ) الخبز والزيت .

☆ وأولى الأقوال فى تأويل قوله (مِنْ أَوْسَطِ ما تُطْعِمُونَ أَهْلِيكُمْ)عندنا قول من قال : من أوسط ما تطعمون أهليكم فى القلة والكثرة ، وذلك أن أحكام رسول الله صلى الله عليه وسلم فى الكفّارات كلها بذلك وردت ، وذلك كحكمه صلى الله عليه وسلم فى كفّارة الحلق من الأذى بفرق[٢] من طعام بين ستة مساكين ، لكلّ مسكين نصف صاع ، وكحكمه فى كفّارة الوطء فى شهر رمضان بخمسة عشر صاعا بين ستين مسكينا ، لكلّ مسكين ربع صاع ، ولا يعرف له صلى الله عليه وسلم شىء من الكفارات أمر بإطعام خبز وإدام ، ولا بغداء وعشاء . فإذ كان ذلك كذلك ، وكانت كفارة اليمين إحدى الكفارات التى تلزم من لزمته ، كان سبيلها سبيل ما تولى الحكم فيه صلى الله عليه وسلم من أن الواجب على مكفّرها من الطعام مقدار للمساكين العشرة ، محدود بكيل دون جمعهم على غداء أو عشاء مخبوز مأدوم ، إذ كانت سنته صلى الله عليه وسلم فى سائر الكفارات كذلك . فإذ كان صحيحا ما قلنا بما به استشهدنا ، فبيّن أن تأويل الكلام : ولكن يؤاخذكم بما عقدتم الأيمان ، فكفارته إطعام عشرة مساكين من أعدل إطعامكم أهليكم ، وأن « ما » التى فى قوله (مِنْ أَوْسَطِ ما تُطْعِمُونَ أَهْلِيكُمْ) بمعنى المصدر ، لابمعنى الأسماء . وإذا كان ذلك كذلك ، فأعدل أقوات الموسع على أهله مدّان ، وذلك نصف صاع فى ربعه إدامه ، وذلك أعلى ماحكم

(١) هو شيبان بن عبد الرحمن التيمى أبو معاوية النحوى ، البصرى ثم الكوفى ، ثم البغدادى . مات سنة ١٦٤ هـ . عن الخلاصة .
(٢) الفرق بالتحريك : مكيال يسع ستة عشر رطلا ، وهى اثنا عشر مدا ، وثلاثة آصع عند أهل الحجاز .

به النبيّ صلى الله عليه وسلم فى كفارة فى إطعام مساكين ، وأعدل أقوات المقتر على أهله مدّ ، وذلك ربع صاع ، وهو أدنى ما حكم به فى كفارة فى إطعام مساكين. وأما الذين رأوا إطعام المساكين فى كفارة اليمين الخبز واللحم ، وما ذكرنا عنهم قبل ، والذين رأوا أن يغدّوا أو يعشوا ، والذين رأوا أن يغدوا ويعشوا ، فإنهم ذهبوا إلى تأويل قوله (مِنْ أَوْسَطِ ماتُطْعِمُونَ أَهْلِيكُمْ) : من أوسط الطعام الذى تطعمونه أهليكم ، فجعلوا « ما » التى فى قوله (مِنْ أَوْسَطِ ما تُطْعِمُونَ أَهْلِيكُمْ) اسماً لامصدراً ، فأوجبوا على المكفِّر إطعام المساكين من أعدل ما يطعم أهله من الأغذية ، وذلك مذهب لولا ما ذكرنا من سنن رسول الله صلى الله عليه وسلم فى الكفارات غيرها التى يجب إلحاق أشكالها بها ، وإن كفارة اليمين لها نظيرة وشبيهة ، يجب إلحاقها بها .

القول فى تأويل قوله تعالى: ﴿أَوْ كِسْوَتُهُمْ﴾ :

يعنى تعالى ذكره بذلك : فكفّارة ما عقدتم من الأيمان : إطعام عشرة مساكين أوكسوتهم ، يقول إما أن تطعموهم أو تكسوهم ، والخيار فى ذلك إلى المكفِّر.

واختلف أهل التأويل فى الكسوة التى عنى الله بقوله (أَوْ كِسْوَتُهُمْ) فقال بعضهم : عنى بذلك كسوة ثوب واحد .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا ابن علية ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد فى كسوة المساكين فى كفّارة اليمين : أدناه ثوب .

حدثنا هناد ، قال : ثنا وكيع ، وحدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبى ، عن سفيان ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، قال : أدناه ثوب ، وأعلاه ما شئت .

حدثنا هناد وأبو كريب ، قالا : ثنا وكيع ، عن الربيع ، عن الحسن ، قال فى كفّارة اليمين فى قوله (أَوْ كِسْوَتُهُمْ) ثوب لكلّ مسكين .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا ابن مهدىّ ، عن وهيب ، عن ابن طاوس ، عن أبيه (أَوْ كِسْوَتُهُمْ) قال : ثوب .

حدثنا هناد ، قال : ثنا عبيدة ، وحدثنا ابن حميد وابن وكيع ، قالا : ثنا جرير جميعا ، عن منصور ، عن مجاهد ، فى قوله (أَوْ كِسْوَتُهُمْ) قال : ثوب .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا جرير ، عن منصور ، عن مجاهد ، فى قوله (أَوْ كِسْوَتُهُمْ) قال : ثوب ثوب ، قال منصور : القميص ، أو الرداء ، أو الإزار .

حدثنا أبو كريب وهناد ، قالا : ثنا وكيع ، وحدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبى ، عن إسرائيل ، عن جابر ، عن أبى جعفر ، فى قوله (أَوْ كِسْوَتُهُمْ) قال : كسوة الشتاء والصيف ثوب ثوب .

حدثنا هناد ، قال : قال ثنا عمر بن هارون ، عن ابن جريج ، عن عطاء فى قوله (أَوْ كِسْوَتُهُمْ) قال : ثوب ثوب لكلّ مسكين .

حدثنا هناد ، قال : ثنا عبدة بن سلمان ، عن سعيد بن أبى عروبة ، عن أبى معشر ، عن إبراهيم ، فى قوله (أَوْ كِسْوَتُهُمْ) قال : إذا كساهم ثوبا ثوبا أجزأ عنه .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا إسحاق بن سليمان الرازى ، عن ابن سنان ، عن حماد ، قال : ثوب أو ثوبان ، وثوب لابدّ منه .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، عن عطاء الخُراسانى ، عن ابن عباس قال : ثوب ثوب لكلّ إنسان ، وقد كانت العباءة تقضى يومئذ من الكسوة .

حدثنى المثنى ، قال : ثنا عبد الله بن صالح ، عن معاوية بن صالح ، عن علىّ بن أبى طلحة ، عن ابن عباس (أَوْ كِسْوَتُهُمْ) قال : الكسوة : عباءة لكلّ مسكين أو شَمْلة .

حدثنى الحرث ، قال : ثنا عبد العزيز ، قال : ثنا إسرائيل ، عن السدىّ ، عن أبى مالك ، قال : ثوب ، أو قميص ، أو رداء ، أو إزار .

حدثنى محمد بن سعد ، قال : ثنى أبى ، قال : ثنى عمى ، قال : ثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس قال : إن اختار صاحب اليمين الكسوة ، كسا عشرة أناسىّ ، كلّ إنسان عباءة .

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : أخبرنا ابن جريج ، قال : سمعت عطاء يقول فى قوله (أَوْ كِسْوَتُهُمْ) الكسوة : ثوب ثوب .

وقال بعضهم : عنى بذلك : الكسوة ثوبين ثوبين .

ذكر من قال ذلك

حدثنا هناد ، قال : ثنا عبيدة ، وحدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبو معاوية جميعا ، عن داود بن أبى هند عن سعيد بن المسيب ، فى قوله (أَوْ كِسْوَتُهُمْ) قال : عباءة وعمامة .

حدثنا هناد وأبو كريب ، قالا : ثنا وكيع ، وحدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبى ، عن سفيان ، عن داود ابن أبى هند ، عن سعيد بن المسيب ، قال : عمامة يلفّ بها رأسه ، وعباءة يلتحف بها .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا محمد بن عبد الله الأنصارى ، عن أشعث ، عن الحسن وابن سيرين ، قال : ثوبين ثوبين .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا عبد الأعلى ، عن يونس ، عن الحسن ، قالا : ثوبين .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبى ، عن سفيان ، عن يونس ، عن الحسن ، مثله .

حدثنا أبو كريب وهناد ، قالا : ثنا وكيع ، عن سفيان ، عن يونس بن عبيد ، عن الحسن ، قال : ثوبان ثوبان لكلّ مسكين .

حدثنا هناد ، قال : ثنا ابن المبارك ، عن عاصم الأحول ، عن ابن سيرين ، عن أبى موسى أنه حلف على يمين ، فكسا ثوبين من مُعَقَّدة البحرين .

حدثنا هناد وأبو كريب ، قالا : ثنا وكيع ، عن يزيد بن إبراهيم ، عن ابن سيرين ، أن أبا موسى كسا ثوبين من معقدة[1] البحرين .

حدثنا هناد ، قال : ثنا أبو أسامة ، عن هشام ، عن محمد بن عبد الأعلى ، أن أبا موسى الأشعرى ، حلف على يمين ، فرأى أن يكفّر ففعل ، وكسا عشرةً ثوبين ثوبين .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا عبد الأعلى ، عن هشام ، عن محمد أن أباموسى ، حلف على يمين فكفَّر ، فكسا عشرة مساكين ثوبين ثوبين .

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا هشيم ، عن داود بن أبى هند ، عن سعيد بن المسيب ، قال : عباءة وعمامة لكل مسكين .

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا هشيم ، عن جويبر ، عن الضحاك ، مثله .

حدثنى يعقوب ، قال : ثنا ابن علية ، قال : ثنا داود بن أبى هند ، قال : قال رجل عند سعيد بن المسيب أو كاسوتهم فقال سعيد : لا إنما هى أو كسوتهم ، قال : فقلت : يا أبا محمد ما كسوتهم؟ قال : لكلّ مسكين عباءة وعمامة ، عباءة يلتحف بها ، وعمامة يشدّ بها رأسه .

حُدثت عن الحسين بن الفرج ، قال : سمعت أبا معاذ الفضل بن خالد ، قال : ثنا عبيد بن سلمان ، قال : سمعت الضحاك يقول فى قوله (أو كِسْوَتُهُمْ) قال : الكسوة لكلّ مسكين : رداء وإزار ، كنحو ما يجد من الميسرة والفاقة .

وقال آخرون : بل عَنَى بذلك : كسوتهم : ثوب جامع كالملحفة والكساء ، والشىء الذى يصلح للبس والنوم .

ذكر من قال ذلك

حدثنا هناد بن السرىّ ، قال : ثنا أبو الأحوص ، عن مغيرة ، عن حماد ، عن إبراهيم ، قال : الكسوة : ثوب جامع .

حدثنا هناد وابن وكيع قالا : ثنا ابن فضيل ، عن مغيرة ، عن إبراهيم ، فى قوله (أَوْ كِسْوَتُهُمْ) قال : ثوب جامع ، قال : وقال مغيرة : والثوب الجامع الملحفة أو الكساء ، أو نحوه ، ولا نرى الدرع والقميص والخمار ونحوه جامعا .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبى ، عن سفيان ، عن مغيرة ، عن إبراهيم ، قال : ثوب جامع .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا ابن إدريس ، عن أبيه ، عن مغيرة ، عن إبراهيم ، قال : ثوب جامع .

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا هشيم ، عن مغيرة ، عن إبراهيم (أَوْ كِسْوَتُهُمْ) قال : ثوب جامع لكلّ مسكين .

---

(١) فى النهاية لابن الأثير : المعقد : ضرب من برود هجر (فى البحرين) .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا عبد الرحمن ، قال : ثنا سفيان وشعبة ، عن المغيرة ، عن إبراهيم في قوله (أَوْ كِسْوَتُهُمْ) قال : ثوب جامع .

حدثنا ابن المثنى ، قال : ثنا ابن أبي عديّ ، عن شعبة ، عن المغيرة ، مثله .

وقال آخرون : عنى بذلك كسوة إزار ورداء أو قميص .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا عبد الأعلى ، عن بردة ، عن نافع ، عن ابن عمر ، قال في الكسوة في الكفّارة : إزار ، ورداء ، وقميص .

وقال آخرون : كل ما كسا فيجزى ، والآية على عمومها .

ذكر من قال ذلك

حدثنا هناد ، قال : ثنا عبد السلام بن حرب ، عن ليث ، عن مجاهد ، قال : يجزى في كفّارة اليمين كلّ شيء إلا التُّبان[1] .

حدثنا هناد وأبو كريب ، قالا : ثنا وكيع ، وحدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبي ، عن سفيان ، عن أشعث ، عن الحسن ، قال : يجزئ عمامة في كفّارة اليمين .

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا وكيع ، وحدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبي ، عن أويس الصيرفي ، عن أبي الهيثم ، قال : قال سلمان : نعم الثوب التُّبّان .

حدثني الحرث ، قال : ثنا عبد العزيز ، قال : ثنا سفيان ، عن الشيباني ، عن الحكم ، قال : عمامة يلفّ بها رأسه .

☆ وأولى الأقوال في ذلك عندنا بالصحة وأشبهها بتأويل القرآن قول من قال : عنى بقوله (أَوْ كِسْوَتُهُمْ) : ما وقع عليه اسم كسوة مما يكون ثوبا فصاعدا ، لأن ما دون الثوب لاخلاف بين جميع الحجة أنه ليس مما دخل في حكم الآية ، فكان ما دون قدر ذلك خارجا من أن يكون الله تعالى عناه بالنقل المستفيض ، والثوب وما فوقه داخل في حكم الآية ، إذ لم يأت من الله تعالى وحي ، ولا من رسوله صلى الله عليه وسلم خبر ، ولم يكن من الأمة إجماع بأنه غير داخل في حكمها ، وغير جائز إخراج ما كان ظاهر الآية محتمله من حكم الآية ، إلا بحجة يجب التسليم لها ، ولا حجة بذلك .

القول في تأويل قوله تعالى : ﴿أَوْ تَحْرِيرُ رَقَبَةٍ﴾ :

يعني تعالى ذكره بذلك : أو فكّ عبد من أسر العبودة وذلها ، وأصل التحرير : الفكّ من الأسر ، ومنه قول الفرزدق بن غالب :

أَبَنِي غُدَانَةَ إِنَّنِي حَرَّرْتُكُمْ فَوَهَبْتُكُمْ لِعَطِيَّةَ بْنِ جِعَالِ[2]

(١) التبان : سراويل قصيرة بلا رجلين يلبسه الملاحون .

(٢) البيت في ديوان الفرزدق (طبعة الصاوي ص ٧٢٦) من قصيدة عنوانها : وقال لجرير : وحررتكم : أي أعتقتكم ، يريد : من هجائي ، وعطية بن جعال كان صديقا له ، ولعله من بني غدانة ، وهم حي من بني يربوع . وقد شرح المؤلف البيت.

يعنى بقوله : حررتكم : فككت رقابكم من ذلّ الهجاء ولزوم العار ، وقيل : تحرير رقبة ، والمحرّر صاحب الرقبة ، لأن العرب كان من شأنها إذا أسرت أسيرا أن تجمع يديه إلى عنقه بقيد أو حبل ، أو غير ذلك ، وإذا أطلقته من الأسر أطلقت يديه ، وحلّتهما مما كانتا به مشدودتين إلى الرقبة ، فجرى الكلام عند إطلاقهم الأسير ، بالخبر عن فكّ يديه عن رقبته ، وهم يريدون الخبر عن إطلاقه من أسره ، كما يقال قبض فلان يده عن فلان : إذا أمسك يده عن نواله ، وبسط فيه لسانه ، إذا قال فيه سوءا ، فيضاف الفعل إلى الجارحة التى يكون بها ذلك الفعل دون فاعله ، لاستعمال الناس ذلك بينهم ، وعلمهم بمعنى ذلك فكذلك ذلك فى قول الله تعالى ذكره (أَوْ تَحْرِيرُ رَقَبَةٍ) أضيف التحرير إلى الرقبة ، وإن لم يكن هناك غلّ رقبته ، ولا شدّ يد إليها ، وكان المراد بالتحرير نفس العبد بما وصفنا من جَرْى استعمال الناس ذلك بينهم لمعرفتهم بمعناه .

❊ فإن قال قائل : أفكل الرقاب معنىّ بذلك ، أو بعضها ؟ قيل : بل معنىّ بذلك كلّ رقبة كانت سليمة من الإقعاد والعمى والخرس ، وقطع اليدين أو شللهما ، والجنون المطبق ، ونظائر ذلك ، فإن من كان به ذلك أو شىء منه من الرقاب ، فلا خلاف بين الجميع من الحجة ، أنه لايجزى فى كفّارة اليمين ، فكان معلوما بذلك ، أن الله تعالى ذكره لم يعنه بالتحرير فى هذه الآية . فأما الصغير والكبير والمسلم والكافر ، فإنهم معنيون به .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك ، قال جماعة من أهل العلم .

ذكر من قال ذلك

حدثنا هناد ، قال : ثنا مغيرة ، عن إبراهيم ، أنه كان يقول : من كانت عليه رقبة واجبة ، فاشترى نَسَمَة ، قال : إذا أنقذها من عمل أجزأته ، ولا يجوز عتق من لايعمل ؛ فأما الذى يعمل ، كالأعور ونحوه ؛ وأما الذى لايعمل فلا يجزى كالأعمى والمقعد .

حدثنا هناد ، قال : ثنا هشيم ، عن يونس ، عن الحسن ، قال : كان يكره عتق المخبل[1] فى شىء من الكفارات .

حدثنا هناد ، قال : ثنا هشيم ، عن مغيرة ، عن إبراهيم ، أنه كان لايرى عتق المغلوب على عقله ، يجزئ فى شىء من الكفارات .

وقال بعضهم : لايجزئ فى الكفّارة من الرقاب إلا صحيح ، ويجزئ الصغير فيها .

ذكر من قال ذلك

حدثنا هناد ، قال : ثنا وكيع ، عن سفيان ، عن ابن جريج ، عن عطاء ، قال : لايجزئ فى الرقبة إلا صحيح .

حدثنا هناد ، قال : ثنا وكيع ، عن سفيان ، عن ابن جريج ، عن عطاء ، قال : يجزئ المولود فى الإسلام من رقبة .

---

(١) المخبل : الذى به خبل ، بسكون الباء ، وهو قطع الرجل أو اليد . ورجل مخبل : كأنه قطعت أطرافه

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا وكيع ، عن الأعمش ، عن إبراهيم ، قال : ما كان فى القرآن من رقبة مؤمنة ، فلا يجزئ إلا ما صام وصلى ، وما كان ليس بمؤمنة فالصبيّ يجزئ .

وقال بعضهم : لايقال للمولود رقبة إلا بعد مدّة تأتى عليه .

ذكر من قال ذلك

حدثنى محمد بن يزيد الرفاعى ، قال : ثنا يحيى بن زكريا بن أبى زائدة ، عن محمد بن شعيب بن شابور ، عن النعمان بن المنذر ، عن سليمان ، قال : إذا وُلد الصبيّ فهو نسمة ، وإذا انقلب ظهرا لبطن ، فهو رقبة ، وإذا صلى فهو مؤمنة .

والصواب من القول فى ذلك عندنا ، أن يقال : إن الله تعالى عمّ بذكر الرقبة كلّ رقبة ، فأىّ رقبة حرّرها المكفر يمينه فى كفّارته ، فقد أدّى ما كلف ، إلا ما ذكرنا أن الحجة مجمعة على أن الله تعالى لم يعنه بالتحرير ، فذلك خارج من حكم الآية ، وما عدا ذلك فجائز تحريره فى الكفارة بظاهر التنزيل ، والمكفّر مخير فى تكفير يمينه التى حنث فيها بإحدى هذه الحالات الثلاث التى سماها الله فى كتابه ، وذلك : إطعام عشرة مساكين من أوسط ما يطعم أهله ، أو كسوتهم ، أو تحرير رقبة بإجماع من الجميع ، لاخلاف بينهم فى ذلك .

فإن ظنّ ظانّ أن ما قلنا : من أن ذلك إجماع من الجميع ليس كما قلنا لِمَا حدثنا محمد بن عبد الملك بن أبى الشوارب ، قال : ثنا عبد الواحد بن زياد ، قال : ثنا سليمان الشيبانى ، قال : ثنا أبو الضحى ، عن مسروق ، قال : جاء نعمان بن مقرّن إلى عبد الله ، فقال : إنى آليت من النساء والفراش ، فقرأ عبدالله هذه الآية (لاتُحَرِّمُوا طَيِّباتِ ما أحَلَّ اللهُ لَكُمْ وَلا تَعْتَدُوا ، إنَّ اللهَ لا يُحِبُّ المُعْتَدِينَ) قال : فقال نعمان : إنما سألتك لكونى أتيت على هذه الآية ، فقال عبد الله : ائت النساء ونم وأعتق رقبة ، فإنك موسر .

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : ثنى جرير بن حازم أن سليمان الأعمش حدثه عن إبراهيم بن يزيد النخعى ، عن همام بن الحرث ، أن نعمان بن مقرّن ، سأل عبد الله بن مسعود ، فقال : إنى حلفت أن لاأنام على فراشى سنة ، فقال ابن مسعود (يا أيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لاتُحَرِّمُوا طَيِّباتِ ما أحَلَّ اللهُ لَكُمْ) كفّر عن يمينك ونم على فراشك ، قال : بم أكفر عن يمينى ؟ قال : أعتق رقبة فإنك موسر . ونحو هذا من الأخبار التى رويت عن ابن مسعود وابن عمر وغيرهما ، فإن ذلك منهم كان على وجه الاستحباب لمن أمروه بالتكفير بما أمروه بالتكفير به من الرقاب ، لاعلى أنه كان لايجزى عندهم التكفير للموسر إلا بالرقبة ، لأنه لم ينقل أحد عن أحد منهم ، أنه قال : لايجزى الموسرَ التكفيرُ إلا بالرقبة ، والجميع من علماء الأمصار قديمهم وحديثهم مجمعون على أن التكفير بغير الرقاب جائز للموسر ، ففى ذلك مكتفى عن الاستشهاد على صحة ما قلنا فى ذلك بغيره .

القول فى تأويل قوله تعالى : (فَمَنْ لَمْ يَجِدْ فَصِيامُ ثَلاثَةِ أيَّامٍ) :

يقول تعالى ذكره : فمن لم يجد لكفارة يمينه التى لزمه تكفيرها من الطعام والكسوة والرقاب ما يكفرها به على مافرضنا عليه ، وأوجبناه فى كتابنا ، وعلى لسان رسولنا محمد صلى الله عليه وسلم ، فصيام ثلاثة أيام يقول : فعليه صيام ثلاثة أيام .

ثم اختلف أهل العلم فى معنى قوله (فَمَنْ لَمْ يَجِدْ) ومتى يستحقّ الحانث فى يمينه الذى قد لزمته الكفارة اسم غير واجد ، حتى يكون ممن له الصيام فى ذلك ؟ فقال بعضهم : إذا لم يكن للحانث فى وقت تكفيره عن يمينه إلا قدر قوته وقوت عياله يومه وليلته ، فإن له أن يكفّر بالصيام ، فإن كان عنده فى ذلك الوقت قوته وقوت عياله يومه وليلته ، ومن الفضل ما يطعم عشرة مساكين أو ما يكسوهم ، لزمه التكفير بالإطعام أو الكسوة ، ولم يجزه الصيام حينئذ ، وممن قال ذلك الشافعي . حدثنا بذلك عنه الربيع ،

وهذا القول قصد إن شاء الله ، ممن أوجب الطعام على من كان عنده درهمان ، وممن أوجبه على من عنده ثلاثة دراهم .

وبنحو ذلك ، حدثنا هناد ، قال : ثنا ابن المبارك ، عن حماد بن سلمة ، عن عبد الكريم ، عن سعيد ابن جبير ، قال : إذا لم يكن له إلا ثلاثة دراهم أطعم ، قال : يعنى فى الكفارة .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى معتمر بن سليمان ، قال : قلت لعمر بن راشد : الرجل يحلف ، ولا يكون عنده من الطعام إلا بقدر ما يكفّر ، قال : كان قتادة يقول : يصوم ثلاثة أيام .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنا المعتمر بن سليمان ، قال : ثنا يونس بن عبيد ، عن الحسن قال : إذا كان عنده درهمان :

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنا معتمر ، عن حماد ، عن عبد الكريم بن أبى أمية ، عن سعيد بن جبير ، قال : ثلاثة دراهم .

وقال آخرون : جائز لمن لم يكن عنده مِئتا درهم أن يصوم ، وهو ممن لايجد .

وقال آخرون : جائز لمن لم يكن عنده فضل ، عن رأس ماله يتصرّف به لمعاشه ما يكفّر به بالإطعام أن يصوم ، إلا أن يكون له كفاية من المال ما يتصرّف به لمعاشه ، ومن الفضل عن ذلك ما يكفّر به عن يمينه ، وهذا قول كان يقوله بعض متأخرى المتفقهة .

والصواب من القول فى ذلك عندنا ، أن من لم يكن عنده فى حال حنثه فى يمينه إلا قدر قوته وقوت عياله يومه وليلته ، لافضل له عن ذلك ، يصوم ثلاثة أيام ، وهو ممن دخل فى جملة من لايجد ما يطعم أو يكسو أو يعتق ، وإن كان عنده فى ذلك الوقت من الفضل عن قوته وقوت عياله يومه وليلته ما يطعم ، أو يكسو عشرة مساكين ، أو يُعتق رقبة فلا يجزيه حينئذ الصوم ، لأن إحدى الحالات الثلاث حينئذ من إطعام أو كسوة أو عتق حقّ ، قد أوجبه الله تعالى فى ماله وجوب الدين ، وقد قامت الحجة بأن المفلس إذا فرّق ماله بين غرمائه أنه لايترك ذلك اليوم إلا ما لابدّ له من قوته وقوت عياله يومه وليلته ، فكذلك حكم المعدم بالدين ، الذى أوجبه الله تعالى فى ماله بسبب الكفّارة التى لزمت ماله .

واختلف أهل العلم فى صفة الصوم الذى أوجبه الله فى كفارة اليمين ، فقال بعضهم : صفته أن يكون مواصلا بين الأيام الثلاثة غير مفرّقها .

ذكر من قال ذلك

حدثنا محمد بن العلاء ، قال : ثنا وكيع ، عن سفيان ، عن ليث ، عن مجاهد ، قال : كلّ صوم فى القرآن فهو متتابع ، إلا قضاء رمضان ، فإنه عدّة من أيام أخر .

حدثنا أبو كريب وهناد ، قالا : ثنا وكيع ، وحدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبى ، عن أبى جعفر ، عن الربيع بن أنس ، قال : كان أبىّ بن كعب يقرأ : فصيام ثلاثة أيام متتابعات .

حدثنا عبد الأعلى بن واصل الأسدىّ ، قال : ثنا عبيد الله بن موسى ، عن أبى جعفر الرازى ، عن الربيع ابن أنس ، عن أبى العالية ، عن أبىّ بن كعب ، أنه كان يقرأ : فصيام ثلاثة أيام متتابعات .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا يزيد بن هارون ، عن قزعة بن سويد ، عن سيف بن سليمان ، عن مجاهد ، قال فى قراءة عبد الله : فصيام ثلاثة أيام متتابعات .

حدثنا هناد ، قال : ثنا ابن المبارك ، عن ابن عون ، عن إبراهيم ، قال فى قراءتنا (فَصِيَامُ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ مُتَتَابِعَاتٍ) .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا ابن علية ، عن ابن عون ، عن إبراهيم ، مثله .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا جرير ، عن مغيرة ، عن إبراهيم فى قراءة أصحاب عبد الله : فصيام ثلاثة أيام متتابعات .

حدثنا هناد وأبو كريب ، قالا : ثنا وكيع ، عن سفيان ، عن جابر ، عن عامر ، قال : فى قراءة عبد الله : فصيام ثلاثة أيام متتابعات .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا محمد بن حميد ، عن معمر ، عن ابن إسحاق فى قراءة عبد الله : فصيام ثلاثة أيام متتابعات .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا محمد بن حميد ، عن معمر ، عن الأعمش ، قال : كان أصحاب عبد الله يقرءون : فصيام ثلاثة أيام متتابعات .

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا وكيع ، قال : سمعت سفيان ، يقول : إذا فرّق صيام ثلاثة أيام لم يجزه ، قال : وسمعته يقول فى رجل صام فى كفارة يمين ، ثم أفطر ، قال : يستقبل الصوم .

حدثنا بشر بن معاذ ، قال : ثنا جامع بن حماد ، قال : ثنا يزيد بن زريع ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (فَصِيَامُ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ) قال : إذا لم يجد طعاما ، وكان فى بعض القراءة : فصيام ثلاثة أيام متتابعات ، وبه كان يأخذ قتادة .

حدثنى المثنى ، قال : ثنا عبد الله بن صالح ، قال : ثنى معاوية بن صالح ، عن علىّ بن أبى طلحة ،

عن ابن عباس ، قال : هو بالخيار فى هؤلاء الثلاثة الأول فالأول ، فإن لم يجد من ذلك شيئا فصيام ثلاثة أيام متتابعات .

وقال آخرون : جائز لمن صامهن أن يصومهن كيف شاء مجتمعات ومفترقات .

ذكر من قال ذلك

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا أشهب ، قال : قال مالك : كل ما ذكر الله فى القرآن من الصيام ، فأن يصام تباعا أعجب ، فإن فرقها رجوت أن تجزى عنه .

والصواب من القول فى ذلك عندنا أن يقال : إن الله تعالى أوجب على من لزمته كفارة يمين إذا لم يجد إلى تكفيرها بالإطعام أو الكسوة أو العتق سبيلا ، أن يكفرها بصيام ثلاثة أيام ، ولم يشرط فى ذلك متتابعة ، فكيفما صامهن المكفر ، مفرقة ومتتابعة ، أجزأه ، لأن الله تعالى إنما أوجب عليه صيام ثلاثة أيام ، فكيفما أتى بصومهن أجزأ . فأما ما روى عن أبى وابن مسعود من قراءتهما فصيام ثلاثة أيام متتابعات فذلك خلاف ما فى مصاحفنا ، وغير جائز لنا أن نشهد بشىء ليس فى مصاحفنا من الكلام أنه من كتاب الله غير أنى أختار للصائم فى كفارة اليمين أن يتابع بين الأيام الثلاثة ، ولا يفرق ، لأنه لا خلاف بين الجميع أنه إذا فعل ذلك ، فقد أجزأ ذلك عنه من كفارته ، وهم فى غير ذلك مختلفون ، ففعل ما لا يختلف فى جوازه أحب إلى وإن كان الآخر جائزا .

القول فى تأويل قوله تعالى : ﴿ذَلِكَ كَفَّارَةُ أَيْمَانِكُمْ إِذَا حَلَفْتُمْ ، وَاحْفَظُوا أَيْمَانَكُمْ ، كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ :

القول فى تأويل قوله تعالى : ﴿ذَلِكَ﴾ هذا الذى ذكرت لكم أنه (كَفَّارَةُ أَيْمَانِكُمْ) من إطعام العشرة المساكين أو كسوتهم أو تحرير الرقبة ، وصيام الثلاثة الأيام إذا لم تجدوا من ذلك شيئا هو كفارة أيمانكم التى عقدتموها (إِذَا حَلَفْتُمْ ، وَاحْفَظُوا) أيها الذين آمنوا (أَيْمَانَكُمْ) أن تحنثوا فيها ، ثم تصنعوا الكفارة فيها بما وصفته لكم (كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللهُ لَكُمْ آيَاتِهِ) كما بين لكم كفارة أيمانكم ، كذلك يبين الله لكم جميع آياته ، يعنى : أعلام دينه ، فيوضحها لكم ، لئلا يقول المضيع المفرط فيما ألزمه الله : لم أعلم حكم الله فى ذلك (لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ) يقول : لتشكروا الله على هدايته إياكم ، وتوفيقه لكم .

القول فى تأويل قوله تعالى :

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالْأَنْصَابُ وَالْأَزْلَامُ رِجْسٌ مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾

وهذا بيان من الله تعالى ذكره للذين حرموا على أنفسهم النساء والنوم واللحم من أصحاب النبى صلى الله عليه وسلم ، تشبها منهم بالقسيسين والرهبان ، فأنزل الله فيهم على نبيه صلى الله عليه وسلم كتابه ، ينهاهم عن ذلك ، فقال : (يا أيها الذين آمنوا لا تحرموا طيبات ما أحل الله لكم) فنهاهم بذلك عن تحريم

ما أحلّ الله لهم من الطيبات ، ثم قال : ولا تعتدوا أيضا فى حدودى ، فتحلوا ما حرّمت عليكم ، فإن ذلك لكم غير جائز كما غير جائز لكم تحريم ما حللت ، وإنى لاأحبّ المعتدين ، ثم أخبرهم عن الذى حرّم عليهم مما إذا استحلوه ، وتقدّموا عليه كانوا من المعتدين فى حدوده ، فقال لهم : يا أيها الذين صدّقوا الله ورسوله ، إن الخمر التى تشربونها ، والميسر الذى تتياسرونه ، والأنصاب التى تذبحون عندها ، والأزلام التى تستقسمون بها رجس ، يقول : إثم ونَتْن ، سخطه الله وكرهه لكم ، من عمل الشيطان ، يقول : شربكم الخمر ، وقماركم على الجُزُر ، وذبحكم للأنصاب ، واستقسامكم بالأزلام من تزيين الشيطان لكم ، ودعائه إياكم إليه ، وتحسينه لكم ، لامن الأعمال التى ندبكم إليها ربكم ، ولا مما يرضاه لكم ، بل هو مما يسخطه لكم ، فاجتنبوه ، يقول : فاتركوه وارفضوه ، ولا تعملوه ، لعلكم تفلحون، يقول : لكى تنجحوا فتدركوا الفلاح عند ربكم ، بترككم ذلك . وقد بينا معنى الخمر والميسر والأزلام فيما مضى ، فكرهنا إعادته . وأما الأنصاب ، فإنها جمع نصب ، وقد بينا معنى النصب بشواهده فيما مضى .

ورُوِى عن ابن عباس فى معنى الرجس فى هذا الموضع ، ماحدثنى به المثنى ، قال : ثنا عبد الله بن صالح ، قال : ثنى معاوية بن صالح ، عن علىّ بن أبى طلحة ، عن ابن عباس ، قوله (رِجْسٌ مِنْ عَمَلِ الشَّيْطانِ) يقول : سخط .

وقال ابن زيد فى ذلك : ما حدثنى به يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد فى قوله (رِجْسٌ مِنْ عَمَلِ الشَّيْطانِ) قال : الرجس : الشرّ .

القول فى تأويل قوله تعالى :

إِنَّمَا يُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَن يُوقِعَ بَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ فِي الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ وَيَصُدَّكُمْ عَن ذِكْرِ اللَّهِ وَعَنِ الصَّلَاةِ فَهَلْ أَنتُم مُّنتَهُونَ ﴿٩١﴾

يقول تعالى ذكره : إنما يريد لكم الشيطان شرب الخمر ، والمياسرة بالقداح ، ويحسن ذلك لكم إرادة منه ، أن يوقع بينكم العداوة والبغضاء فى شربكم الخمر ، ومياسرتكم بالقداح ، ليعادى بعضكم بعضا ، ويبغّض بعضكم إلى بعض ، فيشتت أمركم بعد تأليف الله بينكم بالإيمان ، وجمعه بينكم بأخوة الإسلام ، ويصدّكم عن ذكر الله ، يقول : ويصرفكم بغلبة هذه الخمر بسكرها إياكم عليكم ، وباشتغالكم بهذا الميسر عن ذكر الله الذى به صلاح دنياكم وآخرتكم ، وعن الصلاة التى فرضها عليكم ربكم ، فهل أنتم منتهون ؟ يقول : فهل أنتم منتهون عن شرب هذه ، والمياسرة بهذا ، وعاملون بما أمركم به ربكم من أداء ما فرض عليكم من الصلاة لأوقاتها ، ولزوم ذكره الذى به نجح طلباتكم فى عاجل دنياكم وآخرتكم .

واختلف أهل التأويل فى السبب الذى من أجله نزلت هذه الآية ، فقال بعضهم : نزلت بسبب كان من عمر بن الخطاب ، وهو أنه ذكر مكروه عاقبة شربها لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، وسأل الله تحريمها

ذكر من قال ذلك

حدثنا هناد بن السرىّ ، قال : ثنا وكيع ، عن إسرائيل ، عن أبى إسحاق ، عن أبى ميسرة ، قال : قال عمر : اللهمّ بين لنا فى الخمر بيانا شافيا ، قال : فنزلت الآية التى فى البقرة (يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْخَمْرِ ، والمَيْسِرِ ، قُلْ فِيهِما إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنافِعُ لِلنَّاسِ) قال : فدُعى عمر فقرئت عليه ، فقال : اللهمّ بين لنا فى الخمر بيانا شافيا ، فنزلت الآية التى فى النساء (لاتَقْرَبُوا الصَّلاةَ وأَنْتُمْ سُكارَى حَتَّى تَعْلَمُوا ما تَقُولُونَ) قال : وكان منادى النبىّ صلى الله عليه وسلم ينادى إذا حضرت الصلاة : لايقربنّ الصلاة السكران ، قال : فدعى عمر ، فقرئت عليه ، فقال : اللهمّ بين لنا فى الخمر بيانا شافيا ، قال : فنزلت الآية التى فى المائدة (ياأَيُّها الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّما الخَمْرُ وَالمَيْسِرُ والأَنْصابُ والأَزْلامُ رِجْسٌ) . . . إلى قوله (فَهَلْ أَنْتُمْ مُنْتَهُونَ) فلما انتهى إلى قوله (فَهَلْ أَنْتُمْ مُنْتَهُونَ) قال عمر : انتهينا انتهينا .

حدثنا هناد ، قال : ثنا ابن أبى زائدة ، قال : ثنا أبى ، عن أبى إسحاق ، عن أبى ميسرة ، قال : قال عمر : اللهمّ بين لنا فى الخمر بيانا شافيا ، فإنها تذهب بالعقل والمال ، ثم ذكر نحو حديث وكيع .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبو أسامة ، عن زكريا ، عن أبى إسحاق ، عن أبى ميسرة ، قال : قال عمر بن الخطاب : اللهمّ بين لنا ، فذكر نحوه .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبى ، عن أبيه وإسرائيل ، عن أبى إسحاق ، عن أبى ميسرة ، عن عمر بن الخطاب ، مثله .

حدثنا هناد ، قال : ثنا يونس بن بكير ، قال : ثنا زكريا بن أبى زائدة ، عن أبى أبى إسحاق ، عن أبى ميسرة ، عن عمر بن الخطاب ، مثله .

حدثنا هناد ، قال : ثنا يونس بن بكير ، قال : ثنى أبو معشر المدنى ، عن محمد بن قيس ، قال : لما قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة أتاه الناس ، وقد كانوا يشربون الخمر ، ويأكلون الميسر ، فسألوه عن ذلك ، فأنزل الله تعالى (يَسْئَلُونَكَ عَنِ الخَمْرِ والمَيْسِرِ قُلْ فِيهِما إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنافِعُ لِلنَّاسِ ، وإِثْمُهُما أَكْبَرُ مِنْ نَفْعِهِما) فقالوا : هذا شىء قد جاء فيه رخصة ، نأكل الميسر ، ونشرب الخمر ، ونستغفر من ذلك ، حتى أتى رجل صلاة المغرب ، فجعل يقرأ : قل يا أيها الكافرون ، أعبد ما تعبدون ، ولاأنتم عابدون ما أعبد ، فجعل لايجوّد ذلك ، ولايدرى مايقرأ ، فأنزل الله (يا أَيُّها الَّذِينَ آمَنُوا لاتَقْرَبُوا الصَّلاةَ وأَنْتُمْ سُكارَى) فكان الناس يشربون الخمر حتى يجىء وقت الصلاة فيدعون شربها ، فيأتون الصلاة وهم يعلمون ما يقولون ، فلم يزالوا كذلك حتى أنزل الله تعالى (إِنَّما الخَمْرُ والمَيْسِرُ والأَنْصابُ والأَزْلامُ) . . . إلى قوله (فَهَلْ أَنْتُمْ مُنْتَهُونَ) فقالوا : انتهينا يا ربّ .

وقال آخرون : نزلت هذه الآية بسبب سعد بن أبى وقاص ، وذلك أنه كان لاحَى رجلا على شراب لهما ، فضربه صاحبه بلَحْيِ جمل ، ففزر أنفه ، فنزلت فيهما .

ذكر الرواية بذلك

حدثنا محمد بن المثنى ، قال : ثنا محمد بن جعفر ، قال : ثنا شعبة عن سماك بن حرب ، عن مصعب

ابن سعد عن أبيه سعد ، أنه قال : صنع رجل من الأنصار طعاما فدعانا قال : فشربنا الخمر حتى انتشينا فتفاخرت الأنصار وقريش ، فقالت الأنصار : نحن أفضل منكم ، قال : فأخذ رجل من الأنصار لحى جمل فضرب به أنف سعد ففزره ، فكان سعد أفزر الأنف ، قال : فنزلت هذه الآية (يا أيُّها الَّذينَ آمَنُوا إِنَّمَا الخَمْرُ والمَيْسِرُ) . . . إلى آخر الآية .

حدثنا هناد ، قال : ثنا أبوالأحوص ، عن سماك ، عن مصعب بن سعد ، قال : قال سعد : شربت مع قوم من الأنصار ، فضربت رجلا منهم ، أظنّ بفكّ جمل ، فكسرته ، فأتيت النبيّ صلى الله عليه وسلم فأخبرته ، فلم ألبث أن نزل تحريم الخمر (يا أيُّها الَّذينَ آمَنُوا إِنَّمَا الخَمْرُ وَالمَيْسِرُ) ... إلى آخر الآية.

حدثنا هناد ، قال : ثنا ابن أبي زائدة ، قال : ثنا إسرائيل ، عن سماك ، عن مصعب بن سعد ، عن أبيه ، قال : شربت الخمر مع قوم من الأنصار ، فذكر نحوه .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : أخبرني عمرو بن الحرث أن ابن شهاب أخبره أن سالم بن عبدالله ، حدثه أن أوّل ما حرّمت الخمر ، أن سعد بن أبي وقاص وأصحابا له شربوا ، فاقتتلوا ، فكسروا أنف سعد ، فأنزل الله (إِنَّمَا الخَمْرُ وَالمَيْسِرُ) . . . الآية .

وقال آخرون : نزلت في قبيلتين من قبائل الأنصار .

ذكر من قال ذلك

حدثنا الحسين بن عليّ الصدائي ، قال : ثنا حجاج بن المنهال ، قال : ثنا ربيعة بن كلثوم ، عن جبير ، عن أبيه ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس ، قال : نزل تحريم الخمر في قبيلتين من قبائل الأنصار ، شربوا حتى إذا ثملوا ، عبث بعضهم ببعض ؛ فلما أن صحوا جعل الرجل منهم يرى الأثر بوجهه ولحيته ، فيقول : فعل بي هذا أخي فلان ، وكانوا إخوة ليس في قلوبهم ضغائن ، والله لو كان بي رءوفا رحيما مافعل بي هذا حتى وقعت في قلوبهم الضغائن ، فأنزل الله (إِنَّمَا الخَمْرُ وَالمَيْسِرُ) . . . إلى قوله (فَهَلْ أَنْتُمْ مُنْتَهُونَ) فقال ناس من المتكلفين : هي رجس ، وهي في بطن فلان قتل يوم بدر ، وقتل فلان يوم أحد ، فأنزل الله (لَيْسَ على الَّذينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحاتِ جُنَاحٌ فِيما طَعِمُوا) ... الآية .

حدثنا محمد بن خلف ، قال : ثنا سعيد بن محمد الجرمي ، عن أبي تميلة ، عن سلام مولى حفص بن أبي قيس ، عن أبي بريدة ، عن أبيه ، قال : بينما نحن قعود على شراب لنا ، ونحن نشرب الخمر حلا ، إذ قمت حتى آتيَ رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأسلم عليه ، وقد نزل تحريم الخمر (يا أيُّها الَّذينَ آمَنُوا إِنَّمَا الخَمْرُ وَالمَيْسِرُ والأَنْصابُ والأَزْلامُ رِجْسٌ مِنْ عَمَلِ الشَّيْطانِ) . . . إلى آخر الآيتين (فَهَلْ أَنْتُمْ مُنْتَهُونَ) ، فجئت إلى أصحابي فقرأتها عليهم ، إلى قوله (فَهَلْ أَنْتُمْ مُنْتَهُونَ) قال : وبعض القوم شربته في يده قد شرب بعضا ، وبقي بعض في الإناء فقال بالإناء تحت شفته العليا ، كما يفعل الحجام ، ثم صبوا ما في باطيتهم ، فقالوا : انتهينا ربنا ، انتهينا ربَّنا .

وقال آخرون : إنما كانت العداوة والبغضاء ، كانت تكون بين الذين نزلت فيهم هذه الآية بسبب الميسر لا بسبب السكر الذى يحدث لهم من شرب الخمر ، فلذلك نهاهم الله عن الميسر .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا جامع بن حماد ، قال: ثنا يزيد بن زريع ، قال بشر : وقد سمعته من يزيد . وحدثنيه قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قال : كان الرجل فى الجاهلية يقامر على أهله وماله ، فيقعد حزينا سليبا ينظر إلى ماله فى يدى غيره ، فكانت تورث بينهم عداوة وبغضاء ، فنهى الله عن ذلك، وقدم فيه والله أعلم بالذى يُصْلح خلقه .

٭ والصواب من القول فى ذلك عندنا أن يقال : إن الله تعالى قد سمى هذه الأشياء التى سماها فى هذه الآية رجسا وأمر باجتنابها .

وقد اختلف أهل التأويل فى السبب الذى من أجله نزلت هذه الآية، وجائز أن يكون نزولها كان بسبب دعاء عمر رضى الله عنه فى أمر الخمر ، وجائز أن يكون ذلك كان بسبب ما نال سعدا من الأنصارىّ عند انتشائهما من الشراب ، وجائز أن يكون كان من أجل ما كان يلحق أحدهم عند ذهاب ماله بالقمار من عداوة من يَسَرَه وبغضه، وليس عندنا بأىّ ذلك كان خبر قاطع للعذر ، غير أنه : أى ذلك كان ، فقد لزم حكم الآية جميع أهل التكليف ، وغير ضائرهم الجهل بالسبب الذى له نزلت هذه الآية ، فالخمر والميسر والأنصاب والأزلام رجس من عمل الشيطان ، فرض على جميع من بلغته الآية من التكليف اجتناب جميع ذلك ، كما قال تعالى (فاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ) .

القول فى تأويل قوله تعالى :

وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَاحْذَرُوا فَإِن تَوَلَّيْتُمْ فَاعْلَمُوا أَنَّمَا عَلَىٰ رَسُولِنَا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ ﴿٩٢﴾

٭ يقول تعالى ذكره : إنما الخمر والميسر والأنصاب والأزلام رجس من عمل الشيطان فاجتنبوه ، وأطيعوا الله وأطيعوا الرسول فى اجتنابكم ذلك واتباعكم أمره فيما أمركم به من الانزجار عما زجركم عنه من هذه المعانى التى بينها لكم فى هذه الآية وغيرها ، وخالفوا الشيطان فى أمره إياكم بمعصية الله فى ذلك وفى غيره ، فإنه إنما يبغى لكم العداوة والبغضاء بينكم بالخمر والميسر ، واحذروا ، يقول : واتقوا الله وراقبوه أن يراكم عند ما نهاكم عنه من هذه الأمور التى حرّمها عليكم فى هذه الآية وغيرها ، أو يفقدكم عند ما أمركم به فتوبقوا أنفسكم وتهلكوها ، فإن توليتم ، يقول : فإن أنتم لم تعملوا بما أمرناكم به ، وتنتهوا عما نهيناكم عنه ، ورجعتم مدبرين عما أنتم عليه من الإيمان والتصديق بالله وبرسوله ، واتباع ماجاءكم به نبيكم (فاعْلَمُوا أَنَّمَا على رَسُولِنا البَلاغُ المُبِينُ) يقول : فاعلموا أنه ليس على من أرسلناه إليكم

بالنذارة غير إبلاغكم الرسالة التى أرسل بها إليكم ، مبينة لكم بيانا يوضح لكم سبيل الحقّ ، والطريق الذى أمرتم أن تسلكوه . وأما العقاب على التولية ، والانتقام بالمعصية ، فعلى المرسَل إليه دون الرسل ، وهذا من الله تعالى وعيد لمن تولى عن أمره ونهيه ، يقول لهم تعالى ذكره : فإن توليتم عن أمرى ونهيى ، فتوقعوا عقابى ، واحذروا سخطى .

القول فى تأويل قوله تعالى :

لَيْسَ عَلَى الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جُنَاحٌ فِيمَا طَعِمُوا إِذَا مَا اتَّقَوا وَّءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ ثُمَّ اتَّقَوا وَّءَامَنُوا ثُمَّ اتَّقَوا وَّأَحْسَنُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ﴿٩٣﴾

❁ يقول تعالى ذكره للقوم الذين قالوا ، إذ أنزل الله تحريم الخمر بقوله (إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالْأَنْصَابُ وَالْأَزْلَامُ رِجْسٌ مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ) كيف بمن هلك من إخواننا وهم يشربونها وبنا ، وقد كنا نشربها (لَيْسَ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ) منكم حرج فيما شربوا من ذلك فى الحال التى لم يكن الله تعالى حرّمه عليهم (إِذَا مَا اتَّقَوْا وَآمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ) يقول : إذا ما اتقى الله الأحياء منهم ، فخافوه وراقبوه فى اجتنابهم ماحرّم عليهم منه ، وصدّقوا الله ورسوله فيما أمراهم ونهاهم ، فأطاعوهما فى ذلك كله وعملوا الصالحات ، يقول واكتسبوا من الأعمال مايرضاه الله فى ذلك مما كلفهم بذلك ربهم (ثُمَّ اتَّقَوْا وَآمَنُوا) يقول : ثم خافوا الله وراقبوه ، باجتنابهم محارمه بعد ذلك التكليف أيضا ، فثبتوا على اتقاء الله فى ذلك ، والإيمان به ، ولم يغيروا ولم يبدّلوا (ثُمَّ اتَّقَوْا وَأَحْسَنُوا) يقول : ثم خافوا الله ، فدعاهم خوفهم الله إلى الإحسان ، وذلك الإحسان هو العمل بما لم يفرضه عليهم من الأعمال ، ولكنه نوافل تقرّبوا بها إلى ربهم طلب رضاه ، وهربا من عقابه (وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ) يقول : والله يحبّ المتقرّبين إليه بنوافل الأعمال التى يرضاها ، فالاتقاء الأوّل : هو الاتقاء بتلقى أمر الله بالقبول والتصديق والدينونة به والعمل ؛ والاتقاء الثانى : الاتقاء بالثبات على التصديق ، وترك التبديل والتغيير ؛ والاتقاء الثالث : هو الاتقاء بالإحسان ، والتقرب بنوافل الأعمال .

❁ فإن قال قائل : ماالدليل على أن الاتقاء الثالث هو الاتقاء بالنوافل ، دون أن يكون ذلك بالفرائض ، قيل : إنه تعالى ذكره ، قد أخبر عن وضعه الجناح عن شاربى الخمر التى شربوها قبل تحريمه إياها إذا هم اتقوا الله فى شربها بعد تحريمها ، وصدّقوا الله ورسوله فى تحريمها ، وعملوا الصالحات من الفرائض ، ولا وجه لتكرير ذلك ، وقد مضى ذكره فى آية واحدة .

وبنحو الذى قلنا من أن هذه الآية نزلت فيما ذكرنا أنها نزلت فيه ، جاءت الأخبار عن الصحابة والتابعين .

ذكر من قال ذلك

حدثنا هناد بن السرى وأبوكريب ، قالا : ثنا وكيع ، وحدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبى ، عن إسرائيل عن سماك ، عن عكرمة ، عن ابن عباس ، قال : لما تحريم الخمر قالوا : يا رسول الله ، فكيف بأصحابنا الذين ماتوا وهم يشربون الخمر ، فنزلت (لَيْسَ على الَّذِينَ آمَنُوا وعَمِلُوا الصَّالِحاتِ جُناحٌ) . . . الآية .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا عبد الله ، عن إسرائيل بإسناده نحوه ،

حدثنا محمد بن بشار ، قال : ثنى عبد الكبير بن عبد المجيد ، قال : أخبرنا عباد بن راشد ، عن قتادة ، عن أنس بن مالك ، قال : بينا أنا أدير الكأس على أبى طلحة وأبى عبيدة بن الجراح ومعاذ بن جبل ، وسهيل بن بيضاء ، وأبى دجانة ، حتى مالت رءوسهم من خليط بسر وتمر ، فسمعنا مناديا ينادى : ألا إن الخمر قد حرمت قال : فما دخل علينا داخل ، ولا خرج مناخارج حتى أهرقنا الشراب ، وكسرنا القلال ، وتوضأ بعضنا واغتسل بعضنا ، فأصبنا من طيب أم سليم ، ثم خرجنا إلى المسجد ، وإذا رسول الله صلى الله عليه وسلم يقرأ (يا أيُّها الَّذِينَ آمَنُوا إنَّمَا الخَمْرُ والمَيْسِرُ والأنْصابُ والأزْلامُ رِجْسٌ مِنْ عَمَلِ الشَّيْطانِ فاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ) ... إلى قوله (فَهَلْ أنْتُمْ مُنْتَهُونَ) « فقال رجل : يارسول الله ، فما منزلة من مات منا وهو يشربها ؟ فأنزل الله تعالى (لَيْسَ على الَّذِينَ آمَنُوا وعَمِلُوا الصَّالِحاتِ جُناحٌ فِيما طَعِمُوا) . . . الآية ، فقال رجل لقتادة : سمعته من أنس بن مالك ؟ قال : نعم ، وقال رجل لأنس بن مالك : أنت سمعته من رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ قال : نعم ، وحدثنى من لم يكذب ، والله ما كنا نكذب ، ولا ندرى ما الكذب .

حدثنا هناد ، قال : ثنا ابن أبى زائدة ، قال : أخبرنا إسرائيل ، عن أبى إسحاق ، عن البراء ، قال : لما حرمت الخمر ، قالوا : كيف بأصحابنا الذين ماتوا وهم يشربون الخمر؟ فنزلت (لَيْسَ على الَّذِينَ آمَنُوا وعَمِلُوا الصَّالِحاتِ جُناحٌ فِيما طَعِمُوا) . . . الآية .

حدثنا محمد بن المثنى ، قال : ثنا محمد بن جعفر ، قال : ثنا شعبة ، عن أبى إسحاق ، قال : قال البراء : مات ناس من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وهم يشربون الخمر ؛ فلما نزل تحريمها ، قال أناس من أصحاب النبى صلى الله عليه وسلم : فكيف بأصحابنا الذين ماتوا وهم يشربونها ؟ فنزلت هذه الآية (لَيْسَ على الَّذِينَ آمَنُوا وعَمِلُوا الصَّالِحاتِ) . . . الآية .

حدثنا هناد ، قال : ثنا ابن أبى زائدة ، قال : أخبرنا داود ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، قال : نزلت (لَيْسَ على الَّذِينَ آمَنُوا وعَمِلُوا الصَّالِحاتِ جُناحٌ فِيما طَعِمُوا) فيمن قتل ببدر وأحد مع محمد صلى الله عليه وسلم .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا خالد بن مخلد ، قال : ثنا على بن مسهر ، عن الأعمش ، عن إبراهيم عن علقمة ، عن عبد الله ، قال : لما نزلت (لَيْسَ على الَّذِينَ آمَنُوا وعَمِلُوا الصَّالِحاتِ جُناحٌ فِيما طَعِمُوا) قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « قِيلَ لى أنْتَ مِنْهُمْ » .

حدثنا بشر بن معاذ ، قال : ثنا جامع بن حماد ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد، عن قتادة ، قوله (لَيْسَ على الَّذِينَ آمَنُوا وعَمِلُوا الصَّالِحاتِ جُناحٌ فِيما طَعِمُوا) . . . إلى قوله (وَاللهُ يُحِبُّ المُحْسِنِينَ) لما أنزل الله تعالى ذكره تحريم الخمر فى سورة المائدة بعد سورة الأحزاب ، قال فى ذلك رجال من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم : أصيب فلان يوم بدر ، وفلان يوم أُحد وهم يشربونها ، فنحن نشهد أنهم من أهل الجنة ، فأنزل الله تعالى ذكره (لَيْسَ على الَّذِينَ آمَنُوا وعَمِلُوا الصَّالِحاتِ جُناحٌ فِيما طَعِمُوا إذَا ما اتَّقَوْا وآمَنُوا وعَمِلُوا الصَّالِحاتِ ، ثُمَّ اتَّقَوْا وآمَنُوا ، ثُمَّ اتَّقَوْا وأَحْسَنُوا ، وَاللهُ يُحِبُّ المُحْسِنِينَ) يقول : شربها القوم على تقوى من الله وإحسان ، وهى لهم يومئذ حلال ، ثم حرّمت بعدهم ، فلا جناح عليهم فى ذلك .

حدثنى المثنى ، قال : ثنا عبد الله بن صالح ، قال : ثنى معاوية بن صالح ، عن علىّ بن أبى طلحة ، عن ابن عباس ، قوله (لَيْسَ على الَّذِينَ آمَنُوا وعَمِلُوا الصَّالِحاتِ جُناحٌ فِيما طَعِمُوا) قالوا : يارسول الله ، ما نقول لإخواننا الذين مضوا ، كانوا يشربون الخمر ، ويأكلون الميسر ، فأنزل الله (لَيْسَ على الَّذِينَ آمَنُوا وعَمِلُوا الصَّالِحاتِ جُناحٌ فِيما طَعِمُوا) يعنى قبل التحريم إذا كانوا محسنين متقين . وقال مرّة أخرى : ليس على الذين آمنوا وعملوا الصالحات جناح فيما طعموا من الحرام قبل أن يحرّم عليهم إذا ما اتقوا وأحسنوا ، بعد ما حرّم ، وهو قوله (فَمَنْ جاءَهُ مَوْعِظَةٌ مِنْ رَبِّهِ فانْتَهَى فَلَهُ ما سَلَفَ) .

حدثنى محمد بن سعد ، قال : ثنى أبى ، قال : ثنى عمى ، قال : ثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس، قوله (لَيْسَ على الَّذِينَ آمَنُوا وعَمِلُوا الصَّالِحاتِ جُناحٌ فِيما طَعِمُوا) يعنى بذلك رجالا من أصحاب النبىّ صلى الله عليه وسلم ماتوا وهم يشربون الخمر قبل أن تحرّم الخمر ، فلم يكن عليهم فيها جناح قبل أن تحرّم ، فلما حرّمت قالوا : كيف تكون علينا حراما وقد مات إخواننا وهم يشربونها ؟ فأنزل الله تعالى (لَيْسَ على الَّذِينَ آمَنُوا وعَمِلُوا الصَّالِحاتِ جُناحٌ فِيما طَعِمُوا إذا ما اتَّقَوْا وآمَنُوا وعَمِلُوا الصَّالِحاتِ) يقول : ليس عليهم حرج فيما كانوا يشربون قبل أن أحرّمها إذا كانوا محسنين متقين ، والله يحبّ المحسنين .

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، فى قول الله تعالى (لَيْسَ على الَّذِينَ آمَنُوا وعَمِلُوا الصَّالِحاتِ جُناحٌ فِيما طَعِمُوا) لمن كان يشرب الخمر ، ممن قتل مع محمد صلى الله عليه وسلم ببدر وأُحد .

حُدثت عن الحسين بن الفرج ، قال : سمعت أبا معاذ الفضل بن خالد ، قال : ثنا عبيد بن سليمان ، عن الضحاك ، قوله (لَيْسَ على الَّذِينَ آمَنُوا وعَمِلُوا الصَّالِحاتِ جُناحٌ) . . . الآية ، هذا فى شأن الخمر حين حُرّمت ، سألوا نبىّ الله صلى الله عليه وسلم ، فقالوا : إخواننا الذين ماتوا وهم يشربونها ، فأنزل الله هذه الآية .

القول في تأويل قوله تعالى

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَيَبْلُوَنَّكُمُ اللَّهُ بِشَيْءٍ مِنَ الصَّيْدِ تَنَالُهُ أَيْدِيكُمْ وَرِمَاحُكُمْ لِيَعْلَمَ اللَّهُ مَنْ يَخَافُهُ بِالْغَيْبِ فَمَنِ اعْتَدَى بَعْدَ ذَلِكَ فَلَهُ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾

يقول تعالى ذكره : يا أيها الذين صدّقوا الله ورسوله (لَيَبْلُوَنَّكُمُ اللهُ بِشَيْءٍ مِنَ الصَّيْدِ) يقول : ليختبرنكم الله بشيء من الصيد ، يعني : ببعض الصيد ؛ وإنما أخبرهم تعالى ذكره ، أنه يبلوهم بشيء ، لأنه لم يبلهم بصيد البحر ، وإنما ابتلاهم بصيد البرّ ، فالابتلاء ببعض لم يمتنع ، وقوله(تَنَالُهُ أَيْدِيكُمْ) فإنه يعني : إما باليد ، كالبيض والفراخ ؛ وإما بإصابة النبل والرماح ، وذلك كالحمر والبقر والظباء ، فيمتحنكم به في حال إحرامكم بعمرتكم ، أو بحجكم .

وبنحو ذلك قالت جماعة من أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا هناد ، قال : ثنا ابن أبي زائدة ، قال : أخبرنا ورقاء ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، في قوله (لَيَبْلُوَنَّكُمُ اللهُ بِشَيْءٍ مِنَ الصَّيْدِ تَنَالُهُ أَيْدِيكُمْ وَرِمَاحُكُمْ) قال : أيديكم : صغار الصيد ، أخذ الفراخ والبيض . والرماح ، قال : كبار الصيد .

حدثنا هناد ، قال : ثنا ابن أبي زائدة ، عن داود ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، مثله .

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، عن عيسى ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، في قوله (تَنَالُهُ أَيْدِيكُمْ وَرِمَاحُكُمْ) قال : النبل ، ورماحكم تنال كبير الصيد ، وأيديكم تنال صغير الصيد ، أخذ الفراخ والبيض .

حدثنا هناد ، قال : ثنا وكيع ، وحدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبي ، عن سفيان ، عن حميد الأعرج ، عن مجاهد في قوله (لَيَبْلُوَنَّكُمُ اللهُ بِشَيْءٍ مِنَ الصَّيْدِ تَنَالُهُ أَيْدِيكُمْ وَرِمَاحُكُمْ) قال : ما لا يستطيع أن يفرّ من الصيد .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا يحيى بن سعيد وعبد الرحمن ، قالا : ثنا سفيان ، عن حميد الأعرج ، عن مجاهد ، مثله .

حدثني المثنى ، قال : ثنا عبدالله ، قال : ثني معاوية بن صالح ، عن عليّ بن أبي طلحة ، عن ابن عباس ، قوله (أَيْدِيكُمْ وَرِمَاحُكُمْ) قال : هو الضعيف من الصيد وصغيره ، يبتلي الله تعالى به عباده في إحرامهم ، حتى لو شاءوا نالوه بأيديهم ، فنهاهم الله أن يقربوه .

حدثني الحرث ، قال : ثنا عبد العزيز ، قال : ثنا سفيان الثورى ، عن حميد الأعرج ، وليث عن مجاهد في قوله (يا أيها الَّذِينَ آمَنُوا لَيَبْلُوَنَّكُمُ اللهُ بِشَيْءٍ مِنَ الصَّيْدِ تَنَالُهُ أَيْدِيكُمْ وَرِمَاحُكُمْ) قال : الفراخ والبيض ، وما لا يستطيع أن يفرّ .

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿ لِيَعْلَمَ اللهُ مَنْ يَخَافُهُ بِالْغَيْبِ، فَمَنِ اعْتَدَى بَعْدَ ذَلِكَ فَلَهُ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ :

يعني تعالى ذكره : ليختبرنكم الله أيها المؤمنون ببعض الصيد فى حال إحرامكم ، كى يعلم أهل طاعة الله والإيمان به ، والمنتهون إلى حدوده ، وأمره ونهيه ، من الذى يخاف الله ، فيتقى ما نهاه عنه ، ويجتنبه خوف عقابه بالغيب ، بمعنى : فى الدنيا بحيث لايراه ، وقد بينا أن الغيب إنما هو مصدر قول القائل : غاب عنى هذا الأمر ، فهويغيب غيبا وغيبة ، وأن ما لم يعاين ، فإن العرب تسميه غيبا .

فتأويل الكلام إذن : ليعلم أولياء الله من يخاف الله فيتقى محارمه التى حرّمها عليه من الصيد وغيره ، بحيث لايراه ولا يعاينه .

وأما قوله (فَمَنِ اعْتَدَى بَعْدَ ذَلِكَ) فإنه يعنى : فمن تجاوز حدّ الله الذى حدّه له بعد ابتلائه بتحريم الصيد عليه وهو حرام ، فاستحلّ ما حرم الله عليه منه بأخذه وقتله (فَلَهُ عَذَابٌ) من الله (أَلِيمٌ) يعنى : مؤلم موجع .

القول في تأويل قوله تعالى :

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقْتُلُوا الصَّيْدَ وَأَنْتُمْ حُرُمٌ وَمَنْ قَتَلَهُ مِنْكُمْ مُتَعَمِّدًا فَجَزَاءٌ مِثْلُ مَا قَتَلَ مِنَ النَّعَمِ يَحْكُمُ بِهِ ذَوَا عَدْلٍ مِنْكُمْ هَدْيًا بَالِغَ الْكَعْبَةِ أَوْ كَفَّارَةٌ طَعَامُ مَسَاكِينَ أَوْ عَدْلُ ذَلِكَ صِيَامًا لِيَذُوقَ وَبَالَ أَمْرِهِ عَفَا اللَّهُ عَمَّا سَلَفَ وَمَنْ عَادَ فَيَنْتَقِمُ اللَّهُ مِنْهُ وَاللَّهُ عَزِيزٌ ذُو انْتِقَامٍ ﴾

يقول تعالى ذكره : يا أيها الذين صدّقوا الله ورسوله (لَا تَقْتُلُوا الصَّيْدَ) الذى بينت لكم ، وهو صيد البرّ دون صيد البحر (وَأَنْتُمْ حُرُمٌ) يقول : وأنتم محرمون بحجّ أو عمرة ؛ والحرم : جمع حرام ، والذكر والأنثى فيه بلفظ واحد ، تقول : هذا رجل حَرَام ، وهذه امرأة حَرَام ، فإذا قيل مُحْرِم ، قيل للمرأة محرمة ؛ والإحرام : هو الدخول فيه ، يقال : أحرم القوم : إذا دخلوا فى الشهر الحرام ، أو فى الحرم. فتأويل الكلام : لاتقتلوا الصيد وأنتم محرمون بحجّ أو عمرة . وقوله (وَمَنْ قَتَلَهُ مِنْكُمْ مُتَعَمِّدًا) فإن هذا إعلام من الله تعالى ذكره عباده حكم القاتل من المحرمين الصيد الذى نهاه عن قتله متعمدا .

ثم اختلف أهل التأويل فى صفة العمد الذى أوجب الله على صاحبه به الكفارة والجزاء فى قتله الصيد .

فقال بعضهم : هو العمد لقتل الصيد مع نسيان قاتله إحرامه فى حال قتله ، وقال : إن قتله وهو ذاكر إحرامه متعمدا قتله ، فلا حكم عليه ، وأمره إلى الله ؛ قالوا : وهذا أجلّ أمرا من أن يحكم عليه ، أو يكون له كفّارة .

ذكر من قال ذلك

حدثنا سفيان بن وكيع ، قال : ثنا ابن عيينة ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد (وَمَنْ قَتَلَهُ مِنْكُمْ مُتَعَمِّدًا فَجَزَاءٌ مِثْلُ مَا قَتَلَ مِنَ النَّعَمِ) من قتله منكم ناسيا لإحرامه ، متعمدا لقتله ، فذلك الذى يُحكم عليه ، فإن قتله ذاكرا لحرمه ، متعمدا لقتله ، لم يحكم عليه .

حدثنا ابن وكيع وابن حميد ، قالا : ثنا جرير ، عن ليث ، عن مجاهد فى الذى يقتل الصيد متعمدا ، وهو يعلم أنه محرم ومتعمد قتله ، قال : لايحكم عليه ، ولا حجّ له ؛ وقوله (وَمَنْ قَتَلَهُ مِنْكُمْ مُتَعَمِّدًا) قال : هو العمد المكفر ، وفيه الكفارة والخطأ أن يصيبه ، وهو ناس حرامه ، متعمدا لقتله ، أو يصيبه وهو يريد غيره ، فذلك يحكم عليه مرّة .

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد (لاتَقْتُلُوا الصَّيْدَ وأَنْتُمْ حُرُمٌ ، وَمَنْ قَتَلَهُ مِنْكُمْ مُتَعَمِّدًا) غير ناس لحرمه ولا مريد غيره ، فقد حلّ ، وليست له رخصة ؛ ومن قتله ناسيا ، أو أراد غيره فأخطأ به ، فذلك العمد المكفر .

حدثنا يعقوب ، قال : ثنا هشيم ، عن ليث ، عن مجاهد ، فى قوله (وَمَنْ قَتَلَهُ مِنْكُمْ مُتَعَمِّدًا) قال : متعمدا لقتله ، ناسيا لإحرامه .

حدثنى يحيى بن طلحة اليربوعى ، قال : ثنا الفضيل بن عياض ، عن ليث ، عن مجاهد ، قال : العمد هو الخطأ المكفّر .

حدثنا الحسن بن عرفة ، قال : ثنا يونس بن محمد ، قال : ثنا عبد الواحد بن زياد ، قال : ثنا ليث قال : قال مجاهد : قول الله (وَمَنْ قَتَلَهُ مِنْكُمْ مُتَعَمِّدًا فَجَزَاءٌ مِثْلُ مَا قَتَلَ مِنَ النَّعَمِ) قال : فالعمد الذى ذكر الله تعالى أن يصيب الصيد وهو يريد غيره فيصيبه ، فهذا العمد المكفّر ؛ فأما الذى يصيبه غيرَ ناس ، ولا مريد لغيره ، فهذا لايحكم عليه هذا من أجل أن يحكم عليه .

حدثنا ابن وكيع ومحمد بن المثنى ، قالا : ثنا محمد بن جعفر ، عن شعبة ، عن الهيثم ، عن الحكم ، عن مجاهد ، أنه قال فى هذه الآية (وَمَنْ قَتَلَهُ مِنْكُمْ مُتَعَمِّدًا) قال : يقتله متعمدا لقتله ، ناسيا لإحرامه .

حدثنا ابن المثنى ، قال : ثنا ابن أبى عدىّ ، قال : ثنا شعبة ، عن الهيثم ، عن الحكم ، عن مجاهد ، مثله .

حدثنا هناد ، قال : ثنا ابن أبى زائدة ، قال : قال ابن جريج (وَمَنْ قَتَلَهُ مِنْكُمْ مُتَعَمِّدًا) غير ناس لحُرمه ، ولا مريد غيره فقد حلّ ، وليست له رخصة ، ومن قتله ناسيا لحرمه ، أو أراد غيره ، فأخطأ به فذلك العمد المكفّر .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا سهل بن يوسف ، عن عمرو ، عن الحسن (وَمَنْ قَتَلَهُ مِنْكُمْ مُتَعَمِّدًا) للصيد ، ناسيا لإحرامه ، فمن اعتدى بعد ذلك متعمدا للصيد يذكر إحرامه .

حدثنا عمرو بن علىّ ، قال : ثنا محمد بن أبى عدىّ ، قال : ثنا إسماعيل بن مسلم ، قال : كان الحسن يفتى فيمن قتل الصيد متعمدا ذاكرا لإحرامه لم يحكم عليه .

قال إسماعيل ، وقال حماد عن إبراهيم ، مثل ذلك .

حدثنا عمرو بن علىّ ، قال : ثنا عفان بن مسلم ، قال : ثنا حماد بن سلمة ، قال : أمرنى جعفر بن أبى وحشية ، أن أسأل عمرو بن دينار عن هذه الآية (وَمَنْ قَتَلَهُ مِنْكُمْ مُتَعَمِّدًا فَجَزَاءٌ مِثْلُ ما قَتَلَ مِنَ النَّعَمِ) . . . الآية ، فسألته ، فقال : كان عطاء يقول : هو بالخيار : أىّ ذلك شاء فعل ، إن شاء أهدى ، وإن شاء أطعم ، وإن شاء صام ، فأخبرت به جعفرا ، وقلت : ما سمعتَ فيه ، فتلكأ ساعة ثم جعل يضحك ولا يخبرنى ، ثم قال : كان سعيد بن جبير يقول يحكم عليه من النعم هديا بالغ الكعبة ، فإن لم يجد يحكم عليه ثمنه ، فقوّم طعاما فتصدّق به ، فإن لم يجد عليه حكم الصيام فيه من ثلاثة أيام إلى عشرة.

حدثنا ابن البرقى ، قال : ثنا ابن أبى مريم ، قال : أخبرنا نافع بن يزيد، قال : أخبرنى ابن جريج ، قال : قال مجاهد (وَمَنْ قَتَلَهُ مِنْكُمْ مُتَعَمِّدًا) غير ناس لحرمه ، ولا مريد غيره ، فقد حلّ ، وليست له رخصة ، ومن قتله ناسيا ، أو أراد غيره ، فأخطأ به ، فذلك العمد المكفَّر .

حدثنا يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد : أما الذى يتعمد فيه الصيد ، وهو ناس لحرمه أو جاهل أن قتله غير محرّم ، فهؤلاء الذين يحكم عليهم ؛ فأما من قتله متعمدا بعد نهى الله ، وهو يعرف أنه محروم ، وأنه حرام، فذلك يوكل إلى نقمة الله ، وذلك الذى جعل الله عليه النقمة .

حدثنى يعقوب ، قال : ثنا هشيم ، عن ليث ، عن مجاهد ، فى قوله (وَمَنْ قَتَلَهُ مِنْكُمْ مُتَعَمِّدًا) قال : متعمدا لقتله ، ناسيا لإحرامه .

وقال آخرون : بل ذلك هو العمد من المحرم لقتل الصيد ذاكرا لحرمه :

ذكر من قال ذلك

حدثنا هناد ، قال : ثنا وكيع ، وحدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبى ، عن سفيان ، عن ابن جريج ، عن عطاء ، قال : يحكم عليه فى العمد والخطإ والنسيان .

حدثنا هناد ، قال : ثنا ابن أبى زائدة ، قال : ثنا ابن جريج ، وحدثنا عمرو بن علىّ ، قال : ثنا أبوعاصم ، عن ابن جريج ، قال : قال طاوس : والله ما قال الله إلا (وَمَنْ قَتَلَهُ مِنْكُمْ مُتَعَمِّدًا)

حدثنى يعقوب بن إبراهيم ، قال : ثنا هشيم ، قال : أخبرنى بعض أصحابنا عن الزهرى أنه قال : نزل القرآن بالعمد ، وجرت السنة فى الخطإ ، يعنى فى المحرم يصيب الصيد .

حدثنى المثنى ، قال : ثنا عبد الله بن صالح ، قال : ثنى معاوية بن صالح ، عن علىّ بن أبى طلحة ، عن ابن عباس ، قوله (يا أيها الَّذِينَ آمَنُوا لا تَقْتُلُوا الصَّيْدَ وَأَنْتُمْ حُرُمٌ) قال : إن قتله متعمدا أو ناسيا حكم عليه ، وإن عاد متعمدا عجلت له العقوبة ، إلا أن يعفو الله .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبي ، عن الأعمش ، عن عمرو بن مرّة ، عن سعيد بن جبير ، قال : إنما جعلت الكفّارة فى العمد ، ولكن غلّظ عليهم فى الخطأ كى يتقوا .

حدثنا عمرو بن علىّ ، قال : ثنا أبو معاوية ووكيع ، قالا : ثنا الأعمش ، عن عمرو بن مرّة ، عن سعيد بن جبير ، نحوه .

حدثنا ابن البرقى ، قال : ثنا ابن أبي مريم ، قال : أخبرنا نافع بن يزيد ، قال : أخبرنا ابن جريج ، قال : كان طاوس يقول : والله ما قال الله إلا (وَمَنْ قَتَلَهُ مِنْكُمْ مُتَعَمِّدًا) .

❊ والصواب من القول فى ذلك عندنا ، أن يقال : إن الله تعالى حرّم قتل صيد البرّ على كل محرم فى حال إحرامه ما دام حراما ، بقوله (يا أيُّها الَّذِينَ آمَنُوا لاتَقْتُلُوا الصَّيْدَ) ثم بين حكم من قتل ما قتل من ذلك فى حال إحرامه متعمدا لقتله ، ولم يخصص به المتعمد قتله فى حال نسيانه إحرامه ، ولا المخطئَ فى قتله فى حال ذكره إحرامه ، بل عمّ فى التنزيل بإيجاب الجزاء ، كلّ قاتل صيد فى حال إحرامه متعمدا . وغير جائز إحالة ظاهر التنزيل إلى باطن من التأويل ، لادلالة عليه من نصّ كتاب ، ولا خبر لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، ولا إجماع من الأمة ، ولا دلالة من بعض هذه الوجوه . فإذ كان ذلك كذلك ، فسواء كان قاتل الصيد من المحرمين عامدا قتله ، ذاكرا لإحرامه ، أو عامدا قتله ، ناسيا لإحرامه ، أو قاصدا غيره فقتله ذاكرا لإحرامه ، فى أنّ على جميعهم من الجزاء ما قال ربنا تعالى وهو (مثل ماقتل من النَّعَم ، يحكم بِهِ ذوا عدل) من المسلمين (أو كفّارة طعام مساكين ، أو عدل ذلك صياما) وهذا قول عطاء والزهرى الذى ذكرناه عنهما ، دون القول الذى قاله مجاهد .

وأما ما يلزم بالخطأ قاتله ، فقد بينا القول فيه فى كتابنا [كتاب لطيف القول فى أحكام الشرائع] بما أغنى عن ذكره فى هذا الموضع ، وليس هذا الموضع موضع ذكره ، لأن قصدنا فى هذا الكتاب ، الإبانة عن تأويل التنزيل ، وليس فى التنزيل للخطإ ذكر ، فنذكر أحكامه .

وأما قوله (فَجَزَاءٌ مِثْلُ ما قَتَلَ مِنَ النَّعَمِ) فانه يقول : وعليه كفارة وبدل ، يعنى بذلك : جزاء الصيد المقتول ، يقول تعالى ذكره : فعلى قاتل الصيد جزاء الصيد المقتول ، مثل ماقتل من النعم ؛ وقد ذكر أن ذلك فى قراءة عبد الله (فَجَزَاؤُهُ مِثْلُ ما قَتَلَ مِنَ النَّعَمِ) .

وقد اختلفت القرّاء فى قراءة ذلك ، فقرأته عامة قرّاء المدينة وبعض البصريين (فَجَزَاءُ مِثْلِ ما قَتَلَ مِنَ النَّعَمِ) باضافة الجزاء إلى المثل وخفض المثل ؛ وقرأ ذلك عامة قرّاء الكوفيين (فَجَزَاءٌ مِثْلُ ما قَتَلَ) بتنوين الجزاء ، ورفع المثل بتأويل : فعليه جزاء مثل ما قتل .

❊ وأولى القراءتين فى ذلك بالصواب قراءة من قرأ (فَجَزَاءٌ مِثْلُ ما قَتَلَ) بتنوين الجزاء ورفع المثل ، لأن الجزاء هو المثل ، فلا وجه لإضافة الشىء إلى نفسه ؛ وأحسب أن الذين قرءوا ذلك بالإضافة ، رأوا أن الواجب على قاتل الصيد أن يجزى مثله من الصيد بمثل من النعم ، وليس كذلك كالذى ذهبوا إليه ، بل الواجب على قاتله أن يجزّى المقتول نظيره من النعم وإذ كان ذلك كذلك ، فالمثل هو الجزاء الذى أوجبه

الله تعالى على قاتل الصيد ، ولن يضاف الشيء إلى نفسه ، ولذلك لم يقرأ ذلك قارئ علمناه بالتنوين ونصب المثل ، ولوكان المثل غير الجزاء لجاز فى المثل النصب إذا نون الجزاء ، كما نصب اليتيم ، إذ كان غير الإطعام فى قوله (أَوْ إِطْعَامٌ فِي يَوْمٍ ذِي مَسْغَبَةٍ يَتِيماً ذَا مَقْرَبَةٍ) وكما نصب الأموات والأحياء ونون الكفات فى قوله (أَلَمْ نَجْعَلِ الأَرْضَ كِفاتاً . أَحْيَاءً وأَمْوَاتا) إذكان الكفات غير الأحياء والأموات ، وكذلك الجزاء ، لوكان غير المثل لاتسعت القراءة فى المثل بالنصب إذا نوّن الجزاء ، ولكن ذلك ضاق فلم يقرأه أحد بتنوين الجزاء ونصب المثل ، إذ كان المثل هو الجزاء ، وكان معنى الكلام : ومن قتله منكم متعمدا ، فعليه جزاء هو مثل ما قتل من النعم .

ثم اختلف أهل العلم فى صفة الجزاء ، وكيف يجزى قاتل الصيد من المحرمين ما قتل بمثله من النعم ، فقال بعضهم : ينظر إلى أشبه الأشياء به شبها من النعم ، فيجزيه به ويُهديه إلى الكعبة .

ذكر من قال ذلك

حدثنى محمد بن الحسين ، قال : ثنا أحمد بن مفضل ، قال : ثنا أسباط ، عن السدىّ ، قوله (وَمَنْ قَتَلَهُ مِنْكُمْ مُتَعَمِّداً فَجَزَاءٌ مِثْلُ ما قَتَلَ مِنَ النَّعَمِ) قال : أما جزاء مثل ماقتل من النعم ، فان قتل نعامة أو حمارا فعليه بدنة ، وإن قتل بقرة أو أيلا أو أروى ، فعليه بقرة ، أو قتل غزالا أو أرنبا ، فعليه شاة ؛ وإن قتل ضبا أو حرباء أو يربوعا ، فعليه سخلة قد أكلت العشب وشربت اللبن .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا هارون بن المغيرة ، عن أبى مجاهد ، قال : سئل عطاء : أيغرم فى صغير الصيد ، كما يغرم فى كبيره ، قال : أليس يقول الله تعالى (فَجَزَاءٌ مِثْلُ ما قَتَلَ مِنَ النَّعَمِ) .

حدثنا هناد ، قال : ثنا ابن أبى زائدة ، قال : أخبرنا ابن جريج ، قال : قال مجاهد (وَمَنْ قَتَلَهُ مِنْكُمْ مُتَعَمِّداً ، فَجَزَاءٌ مِثْلُ ما قَتَلَ مِنَ النَّعَمِ) قال : عليه من النعم مثله .

حدثنا هناد ، قال : ثنا جرير ، عن منصور ، عن الحكم ، عن مقسم ، عن ابن عباس ، فى قوله (فَجَزَاءٌ مِثْلُ ما قَتَلَ مِنَ النَّعَمِ) قال : إذا أصاب المحرم الصيد وجب عليه جزاؤه من النعم ، فإن وجد جزاءه ذبحه ، فتصدّق به ، فإن لم يجد جزاءه قوّم الجزاء دراهم ، ثم قوّم الدراهم حنطة ، ثم صام مكان كلّ نصف صاع يوما . قال : وإنما أريد بالطعام الصوم ، فاذا وجد طعاما وجد جزاء .

حدثنا ابن وكيع وابن حميد ، قالا : ثنا جرير ، عن منصور ، عن الحكم ، عن مقسم ، عن ابن عباس (فَجَزَاءٌ مِثْلُ ما قَتَلَ مِنَ النَّعَمِ ، يَحْكُمُ بِهِ ذَوَا عَدْلٍ مِنْكُمْ ، هَدْياً بالِغَ الكَعْبَةِ أَوْ كَفَّارَةٌ طَعَامُ مَساكِينَ ، أَوْ عَدْلُ ذَلِكَ صِياما) قال : إذا أصاب المحرم الصيد حكم عليه جزاؤه من النعم ، فإن لم يجد نظر كم ثمنه . قال ابن حميد : نظر كم قيمته ، فقوّم عليه ثمنه طعاما ، فصام مكان كل نصف صاع يوما ، أو كفّارة طعام مساكين ، أو عدل ذلك صياما ، قال : إنما أريد بالطعام : الصيام ، فاذا وجد الطعام ، وجد جزاءه .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا يزيد بن هارون ، عن سفيان بن حسين ، عن الحكم ، عن مقسم ، عن

ابن عباس (وَمَنْ قَتَلَهُ مِنْكُمْ مُتَعَمِّدًا فَجَزَاءٌ مِثْلُ مَا قَتَلَ مِنَ النَّعَمِ) فإن لم يجد هديا ، قوّم الهدى عليه طعاما ، وصام عن كل صاع يومين .

حدثنا هناد . قال : عبد بن حميد ، عن منصور ، عن الحكم ، عن مقسم ، عن ابن عباس فى هذه الآية (وَمَنْ قَتَلَهُ مِنْكُمْ مُتَعَمِّدًا فَجَزَاءٌ مِثْلُ مَا قَتَلَ مِنَ النَّعَمِ يَحْكُمُ بِهِ ذَوَا عَدْلٍ مِنْكُمْ هَدْيًا بَالِغَ الْكَعْبَةِ) قال : إذا أصاب الرجل الصيد حكم عليه ، فإن لم يكن عنده قوّم عليه ثمنه طعام ، ثم صام لكل نصف صاع يوما .

حدثنا أبو كريب ويعقوب ، قالا : ثنا هشيم ، قال : أخبرنا عبد الملك بن عمير ، عن قبيصة بن جابر ، قال : ابتدرت وصاحب لى ظبيا فى العقبة ، فأصبته ، فأتيت عمر بن الخطاب ، فذكرت ذلك له ، فأقبل على رجل إلى جنبه ، فنظرا فى ذلك ، فقال : اذبح كبشا .

حدثنى يعقوب ، قال : ثنا هشيم ، قال : أخبرنا حصين ، عن الشعبى ، قال : أخبرنى قبيصة بن جابر نحوا مما حدّث به عبد الملك .

حدثنا هناد ، قال : ثنا وكيع ، عن المسعودى ، عن عبد الملك بن عمير ، عن قبيصة بن جابر ، قال : قتل صاحب لى ظبيا ، وهو محرم ، فأمره عمر أن يذبح شاة ، فيتصدّق بلحمها ، ويُسْقِى إهابها .[1]

حدثنا هناد ، قال : ثنا ابن أبى زائدة ، عن داود بن أبى هند ، عن بكر بن عبد الله المزنى ، قال : قتل رجل من الأعراب وهو محرم ظبيا ، فسأل عمر ، فقال له عمر : أهد شاة .

حدثنا هناد ، قال : ثنا أبو الأحوص ، عن حصين ، وحدثنا أبو هشام الرفاعى ، قال : ثنا ابن فضيل ، قال : ثنا حصين ، عن الشعبىّ ، قال : قال قبيصة بن جابر : أصبت ظبيا وأنا محرم ، فأتيت عمر فسألته عن ذلك ، فأرسل إلى عبد الرحمن بن عوف ، فقلت : يا أمير المؤمنين إن أمره أهون من ذلك ، قال : فضربنى بالدرّة حتى سابقته عدوا ، قال : ثم قال : قتلت الصيد وأنت محرم ، ثم تَغمص الفتيا ؟ قال : فجاء عبد الرحمن ، فحكما شاة .

حدثنى المثنى ، قال : ثنا عبد الله بن صالح ، قال : ثنى معاوية بن صالح ، عن علىّ بن أبى طلحة ، عن ابن عباس (وَمَنْ قَتَلَهُ مِنْكُمْ مُتَعَمِّدًا فَجَزَاءٌ مِثْلُ مَا قَتَلَ مِنَ النَّعَمِ) قال : إذا قتل المحرم شيئا من الصيد حكم عليه ، فإن قتل ظبيا أو نحوه ، فعليه شاة تذبح بمكة ، فإن لم يجد ، فإطعام ستة مساكين ، فإن لم يجد فصيام ثلاثة أيام ، فإن قتل أيّلا أو نحوه فعليه بقرة ؛ وإن قتل نعامة أو حمار وحش أو نحوه فعليه بدنة من الإبل .

حدثنا محمد بن بشار ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : أخبرنا ابن جريج ، قال : قلت لعطاء : أرأيت إن قتلت صيدا فإذا هو أعور أو أعرج أو منقوص أغرم مثله ، قال نعم : إن شئت قلت : أوُفِى[2] أحبّ إليك ، قال نعم ، وقال عطاء : وإن قتلت ولد الظبى ، ففيه ولد شاة ، وإن قتلت ولد بقرة وحشية ، ففيه ولد بقرة إنسية مثله ، فكل ذلك على ذلك .

(١) يسقى إهابها : أى يعطيه لمن يجعله سقاء ، والسقاء : هو ظرف الماء من الجلد .
(٢) يريد : إن قولك أوفى أحب إليك من قولك : أغرم .

حُدثت عن الحسين بن الفرج ، قال : سمعت أبا معاذ الفضل بن خالد ، قال : أخبرنا عبيد بن سليمان الباهلي ، قال : سمعت الضحاك بن مزاحم يقول : (فَجَزَاءٌ مِثْلُ ما قَتَلَ مِنَ النَّعَمِ) : ما كان من صيد البرّ ، مما ليس له قرن الحمار والنعامة ، فعليه مثله من الإبل ، وما كان ذا قرن من صيد البرّ من وعل أو أيل ، فجزاؤه من البقر ؛ وما كان من ظبي ، فمن الغنم مثله ؛ وما كان من أرنب ، ففيها ثنية ؛ وما كان من يربوع وشبهه ، ففيه حمل صغير ؛ وما كان من جرادة أو نحوها ، ففيه قبضة من طعام ؛ وما كان من طير البرّ ، ففيه أن يقوّم ويتصدّق بثمنه ؛ وإن شاء صام لكلّ نصف صاع يوما ؛ وإن أصاب فرخ طير برية أو بيضها ، فالقيمة فيها طعام أو صوم على الذى يكون فى الطير ، غير أنه قد ذكر فى بيض النعام إذا أصابها المحرم أن يحمل الفحل [١] على عدّة من أصاب من البيض على بكارة الإبل ، فما لقح منها أهداه إلى البيت ، وما فسد منها فلا شىء فيه .

حدثنا ابن البرقى ، قال : ثنا ابن أبى مريم ، قال : أخبرنا نافع ، قال : أخبرنى ابن جريج ، قال : قال مجاهد : من قتله ، يعنى الصيد ناسيا ، أو أراد غيره فأخطأ به ، فذلك العمد المكفَّر ، فعليه مثله هديا بالغ الكعبة ، فإن لم يجد ابتاع بثمنه طعاما ، فإن لم يجد صام عن كلّ مدّ يوما . وقال عطاء : فإن أصاب إنسان نعامة ، كان له إن كان ذا يسار ما شاء ، إن شاء يهدى جزورا ، أو عَدلها طعاما ، أو عدلها صياما ، أيهنّ شاء من أجل قوله (فَجَزَاءٌ) أو كذا قال : فكلّ شىء فى القرآن أو أو ، فليختر منه صاحبه ما شاء .

حدثنا ابن البرقى ، قال : ثنا ابن أبى مريم ، قال : أخبرنا نافع ، قال : أخبرنى ابن جريج ، قال : أخبرنى الحسن بن مسلم ، قال : من أصاب من الصيد ما يبلغ أن يكون شاة فصاعدا ، فذلك الذى قال الله تعالى (فَجَزَاءٌ مِثْلُ ما قَتَلَ مِنَ النَّعَمِ) . وأما كفّارة طعام مساكين ، فذلك الذى لايبلغ أن يكون فيه هدى العصفور يقتل فلا يكون فيه ، قال : أو عدل ذلك صياما ، عدل النعامة ، أو عدل العصفور ، أو عدل ذلك كله .

وقال آخرون : بل يقوّم الصيد المقتول قيمته من الدراهم ، ثم يشترى القاتل بقيمته نِدّا من النعم ، ثم يهديه إلى الكعبة .

ذكر من قال ذلك

حدثنى يعقوب بن إبراهيم ، قال : ثنا هشيم ، قال : أخبرنا عبدة ، عن إبراهيم ، قال : ما أصاب المحرم من شىء حكم فيه قيمته .

حدثنا محمد بن المثنى ، قال : ثنا محمد بن جعفر ، قال : ثنا شعبة ، عن حماد ، قال : سمعت إبراهيم يقول : فى كلّ شىء من الصيد ثمنه .

وأولى القولين فى تأويل الآية ، ما قال عمر وابن عباس ، ومن قال بقولهما : إن المقتول من الصيد

(١) أى يحمل فحل الإبل على بكرات من الإبل ، بقدر عدد البيض المصاب ، فما لقح . . . الخ .

يجزى بمثله من النعم ، كما قال الله تعالى (فَجَزَاءٌ مِثْلُ ما قَتَلَ مِنَ النَّعَمِ) وغير جائز أن يكون مثل الذى قتل من الصيد دراهم ، وقد قال الله تعالى (مِنَ النَّعَمِ) لأن الدراهم ليست من النعم فى شىء .

فان قال قائل : فان الدراهم وإن لم تكن مثلا للمقتول من الصيد ، فإنه يشترى بها المثل من النعم ، فيهديه القاتل ، فيكون بفعله ذلك كذلك جازيا بما قتل من الصيد مثلا من النعم ؟ قيل له : أفرأيت إن كان المقتول من الصيد صغيرا أو كبيرا أو سليما ، أو كان المقتول من الصيد كبيرا أو سليما بقيمته من النعم[1] إلا صغيرا أو معيبا ، أيجوز له أن يشترى بقيمته بخلافه وخلاف صفته فيهديه ، أم لايجوز ذلك له ، وهو لايجد إلا خلافه ، فإن زعم أنه لايجوز له أن يشترى بقيمته إلا مثله ، تُرك قوله فى ذلك ، لأن أهل هذه المقالة يزعمون أنه لايجوز له أن يشترى بقيمته ذلك فيهديه ، إلا ما يجوز فى الضحايا ، وإذا أجازوا شرى مثل المقتول من الصيد بقيمته وإهداءها ، وقد يكون المقتول صغيرا معيبا ، أجازوا فى الهدى ما لايجوز فى الأضاحى ، وإن زعم أنه لايجوز أن يشترى بقيمته فيهديه ، إلا ما يجوز فى الضحايا أوضح بذلك من قوله : الخلاف لظاهر التنزيل ، وذلك أن الله تعالى أوجب على قاتل الصيد من المحرمين عمدا المثل من النعم ، إذا وجدوه ؛ وقد زعم قائل هذه المقالة أنه لايجب عليه المثل من النعم ، وهو إلى ذلك واجد سبيلا .

ويقال لقائل ذلك : أرأيت إن قال قائل آخر : ماعلى قاتل مالايبلغ من الصيد قيمته مايصاب به من النعم ، ما يجوز فى الأضاحى من إطعام ولا صيام ، لأن الله تعالى إنما خير قاتل الصيد من المحرمين فى أحد الثلاثة الأشياء التى سماها فى كتابه ، فإذا لم يكن له إلى واحد من ذلك سبيل سقط عنه فرض الآخرين ، لأن الخيار إنما كان له ، وله إلى الثلاثة سبيل ؛ فإذا لم يكن له إلى بعض ذلك سبيل بطل فرض الجزاء عنه ، لأنه ليس ممن عُنى بالآية نظير الذى قلت أنت ، إنه إذا لم يكن المقتول من الصيد يبلغ قيمته ما يصاب من النعم مما يجوز فى الضحايا ، فقد سقط فرض الجزاء بالمثل من النعم عنه ، وإنما عليه الجزاء بالإطعام أو الصيام ، هل بينك وبينه فرق من أصل أو نظير ، فلن يقول فى أحدهما قولا إلا ألزم فى الآخر مثله .

القول فى تأويل قوله تعالى : ﴿ يَحْكُمُ بِهِ ذَوَا عَدْلٍ مِنْكُمْ هَدْيًا بَالِغَ الْكَعْبَةِ ﴾ :

يقول تعالى ذكره : يحكم بذلك الجزاء الذى هو مثل المقتول من الصيد من النعم عدلان منكم ، يعنى : فقيهان عالمان من أهل الدين والفضل ، هديا ، يقول : يقضى بالجزاء ذوا عدل أن يُهدى فيبلغ الكعبة ، والهاء فى قوله يحكم به عائدة على الجزاء ، ووجه حكم العدلين إذا أرادا أن يحكما بمثل المقتول من الصيد من النعم على القاتل أن ينظرا إلى المقتول ويستوصفاه ، فإن ذكر أنه أصاب ظبيا صغيرا حكما عليه من ولد الضأن بنظير ذلك الذى قتله فى السنّ والجسم ، فإن كان الذى أصاب من ذلك كبيرا حكما عليه من الضأن بكبير ، وإن كان الذى أصاب حمار وحش حكما عليه ببقرة إن كان الذى أصاب كبيرا من البقر ، وإن كان صغيرا فصغيرا ، وإن كان المقتول ذكرا فمثله من ذكور البقر ، وإن كان أنثى فمثله من البقر أنثى ، ثم كذلك ينظران إلى أشبه الأشياء بالمقتول من الصيد ، شبها من النعم ، فيحكمان عليه به ، كما قال تعالى .

(١) فى العبارة تكرار من الناسخ ، وأصلها : أفرأيت إن كان المقتول من الصيد كبيرا أو سليما ولا يصيب بقيمته : الخ .

وبمثل الذى قلنا فى ذلك ، قال أهل التأويل على اختلاف فى ذلك بينهم .

ذكر من قال ذلك بنحو الذى قلنا فيه .

حدثنا هناد بن السرى ، قال : ثنا ابن أبي زائدة ، قال : أخبرنا داود بن أبي هند ، عن بكر بن عبد الله المزنى ، قال : كان رجلان من الأعراب محرمَين ، فأجاش أحدهما ظبيا فقتله الآخر ، فأتيا عمر وعنده عبد الرحمن بن عوف ، فقال له عمر : وما ترى ؟ قال : شاة ، قال : وأنا أرى ذلك ، اذهبا فاهديا شاة ؛ فلما مضيا ، قال أحدهما لصاحبه : ما درى أمير المؤمنين ما يقول حتى سأل صاحبه ، فسمعها عمر ، فردّهما فقال : هل تقرآن سورة المائدة ؟ فقالا : لا ، فقرأها عليهما (يَحْكُمُ بِهِ ذَوَا عَدْلٍ مِنكُمْ) ثم قال : استعنت بصاحبى هذا .

حدثنا أبوكريب ويعقوب ، قالا : ثنا هشيم ، قال : أخبرنا عبد الملك بن عمَير ، عن قبيصة بن جابر ، قال : ابتدرت أنا وصاحب لى ظبيا فى العقبة ، فأصبته ، فأتيت عمر بن الخطاب ، فذكرت ذلك له ، فأقبل على رجل إلى جنبه ، فنظرا فى ذلك ، قال : فقال : اذبح كبشا ، قال يعقوب فى حديثه : فقال لى اذبح شاة ، فانصرفت فأتيت صاحبى ، فقلت : إن أمير المؤمنين لم يدر ما يقول ، فقال صاحبى : انحر ناقتك ، فسمعها عمر بن الخطاب ، فأقبل علىّ ضربا بالدرّة ، وقال : تقتل الصيد وأنت محرم ، وتغمص الفتيا ، إن الله تعالى يقول فى كتابه (يَحْكُمُ بِهِ ذَوَا عَدْلٍ مِنكُمْ) هذا ابن عوف وأنا عمر .

حدثنى يعقوب ، قال : ثنا هشيم ، قال : أخبرنا حصين ، عن الشعبى ، قال : أخبرنى قبيصة بن جابر ، بنحو ما حدّث به عبد الملك .

حدثنا هناد وأبو هشام ، قالا : ثنا وكيع ، عن المسعودى ، عن عبد الملك بن عمير ، عن قبيصة بن جابر ، قال : خرجنا فكنا إذا صلينا الغداة ، اقتدرنا رواحلنا نتماشى نتحدّث ؛ قال : فبينا نحن ذات غداة ، إذ سنح لنا ظبى أو برّح ، فرماه رجل منا بحجر ، فما أخطأ خُشَشَاءه[1] ، فركب وودعه ميتا ، قال : فعظَّمنا عليه ؛ فلما قدمنا مكة ، خرجت معه حتى أتينا عمر ، فقصّ عليه القصة ، قال : وإذا إلى جنبه رجل كأن وجهه قُلْبُ[2] فضة ، يعنى عبد الرحمن بن عوف ، فالتفت إلى صاحبه فكلمه ؛ قال : ثم أقبل على الرجل ، قال : أعمدا قتلته ، أم خطأ ؟ قال الرجل : لقد تعمدت رميه ، وما أردت قتله ، فقال عمر : ما أراك إلا قد أشركت بين العمد والخطأ ، اعمد إلى شاة فاذبحها ، وتصدّق بلحمها ، وأسق[3] إهابها ؛ قال : فقمنا من عنده ، فقلت : أيها الرجل عظم شعائر الله ، ، فما درى أمير المؤمنين ما يفتيك حتى سأل صاحبه ، اعمد إلى ناقتك فانحرها ، ففعل ذاك ؛ قال قبيصة : ولا أذكر الآية من سورة المائدة (يَحْكُمُ بِهِ ذَوَا عَدْلٍ مِنكُمْ) قال : فبلغ عمر مقالتى ، فلم يفجأنا إلا ومعه الدرّة ، قال : فعلا صاحبى ضربا بالدرّة ، وجعل يقول : أقتلت فى الحرم ، وسفّهت الحكم ، قال : ثم أقبل علىّ فقلت : يا أمير المؤمنين ، لا أحلّ لك اليوم شيئا يحرم عليك منى ، قال : يا قبيصة بن جابر : إنى أراك شاب السنّ ، فسيح الصدر بيّن اللسان ، وإن

---

(١) الخششاء : العظم الناتئ خلف الأذن . (٢) القلب بضم القاف : السوار . (٣) أى أعطه لمن يجعله سقاء للماء .

الشاب يكون فيه تسعة أخلاق حسنة وخلق سيئ ، فيفسد الخلق السيئ الأخلاق الحسنة ، فإياك وعثرات الشباب .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا ابن عيينة ، عن مخارق ، عن طارق ، قال : أوطأ أربد ضبا فقتله وهو محرم ، فأتى عمر ليحكم عليه ، فقال له عمر : احكم معى ، فحكما فيه جديا قد جمع الماء والشجر ، ثم قال عمر (يَحْكُمُ بِهِ ذَوَا عَدْلٍ مِنْكُمْ) .

حدثنا بشر بن معاذ ، قال : ثنا جامع بن حماد ، قال : ثنا يزيد بن زريع ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة قال : ذكر لنا أن رجلا أصاب صيدا ، فأتى ابن عمر فسأله عن ذلك ، وعنده عبد الله بن صفوان ، فقال ابن عمر لابن صفوان : إما أن أقول فتصدّقنى ، وإما أن تقول فأصدّقك ، فقال ابن صفوان : بل أنت فقل ، فقال ابن عمر : ووافقه على ذلك عبد الله بن صفوان .

حدثنى يعقوب ، قال : ثنا هشيم ، قال : أخبرنا هشام ، عن ابن سيرين ، عن شريح ، أنه قال : لووجدت حكما عدلا لحكمت فى الثعلب جديا وجدى أحبّ إلىّ من الثعلب .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا محمد بن بكير ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، عن أبى مجلز ، أن رجلا سأل ابن عمر ، عن رجل أصاب صيدا وهو محرم ، وعنده ابن صفوان ، فقال له ابن عمر : إما أن تقول فأصدّقك ، أو أقول فتصدّقنى ، قال : قل وأصدّقك .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا عبد الرحمن ، قال : ثنا شعبة ، عن منصور ، عن أبى وائل ، قال : أخبرنى ابن جرير البجلى ، قال : أصبت ظبيا وأنا محرم ، فذكرت ذلك لعمر ، فقال : ائت رجلين من إخوانك فليحكما عليك ، فأتيت عبد الرحمن وسعيدا ، فحكما علىّ تيسا أعفر . قال أبو جعفر : الأعفر : الأبيض .

حدثنا محمد بن المثنى ، قال : ثنا محمد بن جعفر ، قال : ثنا شعبة ، عن منصور بإسناده ، عن عمر ، مثله .

حدثنا عبد الحميد ، قال : أخبرنا إسحاق ، عن شريك ، عن أشعث بن سوار ، عن ابن سيرين ، قال : كان رجل على ناقة وهو محرم ، فأبصر ظبيا يأوى إلى أكمة ، فقال : لأنظرْ أنا أسبق إلى هذه الأكمة أم هذا الظبى ، فوقعت عنز من الظباء تحت قوائم ناقته فقتلتها ، فأتى عمر ، فذكر ذلك له ، فحكم عليه هو وابن عوف عنزا عفراء ، قال : وهى البيضاء .

حدثنى يعقوب ، قال : ثنا ابن علية ، قال : أخبرنا أيوب ، عن محمد أن رجلا أوطأ ظبيا وهو محرم فأتى عمر فذكر ذلك له ، وإلى جنبه عبد الرحمن بن عوف ، فأقبل على عبد الرحمن فكلمه ، ثم أقبل على الرجل ، فقال : أهد عنزا عفراء .

حدثنى يعقوب ، قال : ثنا هشيم ، قال : أخبرنا مغيرة ، عن إبراهيم أنه كان يقول : ما أصاب المحرم من شىء لم يمض فيه حكومة استقبل به ، فيحكم فيه ذوا عدل ؛

حدثنا محمد بن المثنى ، قال : ثني وهب بن جرير ، قال : ثنا شعبة ، عن يعلى ، عن عمرو بن حبشى قال : سمعت رجلا يسأل عبد الله بن عمر ، عن رجل أصاب ولد أرنب ؛ فقال فيه ولد ماعز فيما أرى أنا ، ثم قال لى : أكذاك ؟ فقلت : أنت أعلم منى ، فقال : قال الله تعالى (يَحْكُمُ بِهِ ذَوَا عَدْلٍ مِنْكُمْ)

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا ابن أبي عدىّ ، وسهل بن يوسف ، عن حميد ، عن بكر : أن رجلين أبصرا ظبيا وهما محرمان ، فتراهنا ، وجعل كل واحد منهما لمن سبق إليه ، فسبق إليه أحدهما ، فرماه بعصاه فقتله ، فلما قدما مكة ، أتيا عمر يختصمان إليه ، وعنده عبد الرحمن بن عوف ، فذكرا ذلك له ، فقال عمر : هذا قمار ، ولا أجيزه ، ثم نظر إلى عبد الرحمن ، فقال : ما ترى ؟ قال : شاة ، فقال عمر : وأنا أرى ذلك ، فلما قفى الرجلان من عند عمر ، قال أحدهما لصاحبه : ما درى عمر مايقول حتى سأل الرجل ، فردّهما عمر فقال : إن الله تعالى لم يرض بعمر وحده ، فقال (يَحْكُمُ بِهِ ذَوَا عَدْلٍ مِنْكُمْ) وأنا عمر ، وهذا عبد الرحمن بن عوف .

وقال آخرون : بل ينظر العدلان إلى الصيد المقتول فيقوّمانه قيمته دراهم ، ثم يأمران القاتل أن يشترى بذلك من النعم هديا ، فالحاكمان يحكمان فى قول هؤلاء بالقيمة ، وإنما يحتاج إليهما لتقويم الصيد قيمته فى الموضع الذى أصابه فيه . وقد ذكرنا عن إبراهيم النخعى فيما مضى قبل أنه كان يقول : ما أصاب المحرم من شيء حكم فيه قيمته ، وهو قول جماعة من متفقهه الكوفيين .

وأما قوله (هَدْيًا) فإنه مصدر على الحال من الهاء التى فى قوله (يَحْكُمُ بِهِ) ، وقوله (بَالِغَ الْكَعْبَةِ) من نعت الهدى وصفته ، وإنما جاز أن ينعت وهو مضاف إلى معرفة ، لأنه فى معنى النكرة ، وذلك أن معنى قوله (بَالِغَ الْكَعْبَةِ) يبلغ الكعبة ، فهو وإن كان مضافا ، فمعناه التنوين ، لأنه بمعنى الاستقبال ، وهو نظير قوله (هَذَا عَارِضٌ مُمْطِرُنَا) فوصف بقوله : ممطرنا عارضا ، لأن فى ممطرنا معنى التنوين ، لأن تأويله الاستقبال ، فمعناه : هذا عارض يمطرنا ، فكذلك ذلك فى قوله (هَدْيًا بَالِغَ الْكَعْبَةِ) .

القول فى تأويل قوله تعالى : (أَوْ كَفَّارَةٌ طَعَامُ مَسَاكِينَ) :

يقول تعالى ذكره : أو عليه كفارة طعام مساكين ، والكفّارة معطوفة على الجزاء فى قوله (فَجَزَاءٌ مِثْلُ مَا قَتَلَ مِنَ النَّعَمِ) :

واختلف القرّاء فى قراءة ذلك ، فقرأته عامة قرّاء أهل المدينة (أَوْ كَفَّارَةُ طَعَامِ مَسَاكِينَ) بالإضافة . وأما قرّاء أهل العراق ، فإن عامتهم قرءوا ذلك بتنوين الكفّارة ، ورفع الطعام (أَوْ كَفَّارَةٌ طَعَامُ مَسَاكِينَ) .

وأولى القراءتين فى ذلك عندنا بالصواب ، قراءة من قرأ بتنوين الكفارة ورفع الطعام ، للعلة التى ذكرناها فى قوله (فَجَزَاءٌ مِثْلُ مَا قَتَلَ مِنَ النَّعَمِ) .

واختلف أهل التأويل فى معنى قوله (أَوْ كَفَّارَةٌ طَعَامُ مَسَاكِينَ) فقال بعضهم : معنى ذلك أن

القاتل وهو محرم صيدا عمدا ، لايخلو من وجوب بعض هذه الأشياء الثلاثة التى ذكر الله تعالى من مثل المقتول هديا بالغ الكعبة ، أو طعام مساكين كفارة لما فعل ، أو عدل ذلك صياما ، لأنه مخير فى أىّ ذلك شاء فعل ، وأنه بأيها كان كفر فقد أدّى الواجب عليه ، وإنما ذلك إعلام من الله تعالى عباده أن قاتل ذلك كما وصف لن يخرج حكمه من إحدى الخلال الثلاثة ، قالوا : فحكمه إن كان على المثل قادرا أن يحكم عليه بمثل المقتول من النعم ، لايجزيه غير ذلك ما دام للمثل واجدا ؛ قالوا : فإن لم يكن له واجدا ، أو لم يكن للمقتول مثل من النعم ، فكفارته حينئذ إطعام مساكين .

ذكر من قال ذلك

حدثنى المثنى ، قال : ثنا عبد الله بن صالح ، قال : ثنى معاوية بن صالح ، عن علىّ بن أبى طلحة ، عن ابن عباس (وَمَنْ قَتَلَهُ مِنْكُمْ مُتَعَمِّدًا فَجَزَاءٌ مِثْلُ ما قَتَلَ مِنَ النَّعَمِ ، يَحْكُمُ بِهِ ذَوَا عَدْلٍ مِنْكُمْ ، هَدْيا بالِغَ الكَعْبَةِ ، أَوْ كَفَّارَةٌ طَعامُ مَساكِينَ ، أَوْ عَدْلُ ذَلِكَ صِياما لِيَذُوقَ وَبالَ أَمْرِهِ) قال : إذا قتل المحرم شيئا من الصيد حكم عليه فيه ، فإن قتل ظبيا أو نحوه ، فعليه شاة تذبح بمكة ، فإن لم يجدها ، فاطعام ستة مساكين ، فإن لم يجد فصيام ثلاثة أيام ، وإن قتل أيلا أو نحوه ، فعليه بقرة ، فإن لم يجد ، أطعم عشرين مسكينا ، فإن لم يجد صام عشرين يوما ؛ وإن قتل نعامة أو حمار وحش أو نحوه ، فعليه بدنة من الإبل ، فإن لم يجد أطعم ثلاثين مسكينا ، فإن لم يجد صام ثلاثين يوما ، والطعام مدّ مدّ يشبعهم .

حدثنى محمد بن سعد ، قال : ثنى أبى ، قال : ثنى عمى ، قال : ثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس قوله (يا أَيُّها الَّذِينَ آمَنُوا لاتَقْتُلُوا الصَّيْدَ وأَنْتُمْ حُرُمٌ) . . . إلى قوله (يَحْكُمُ بِهِ ذَوَا عَدْلٍ مِنْكُمْ) فالكفارة من قتل ما دون الأرنب إطعام .

حدثنا هناد ، قال : ثنا جرير ، عن منصور ، عن الحكم ، عن مقسم ، عن ابن عباس ، قال : إذا أصاب المحرم الصيد حكم عليه جزاؤه من النعم ، فإن وجد جزاء ذبحه فتصدّق به ، وإن لم يجد جزاءه قوّم الجزاء دراهم ، ثم قوّمت الدراهم حنطة ، ثم صام مكان كلّ صاع يوما ، قال : إنما أريد بالطعام : الصوم ، فإذا وجد طعاما وجد جزاء .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا حميد بن عبد الرحمن ، عن زهير ، عن جابر ، عن عطاء ومجاهد وعامر (أَوْ عَدْلُ ذَلِكَ صِياما لِيَذُوقَ) قال : إنما الطعام لمن لم يجد الهدى .

حدثنى يعقوب ، قال : ثنا هشيم ، قال : أخبرنا مغيرة ، عن إبراهيم أنه كان يقول : إذا أصاب المحرم شيئا من الصيد ، عليه جزاؤه من النعم ، فإن لم يجد ، قوّم الجزاء دراهم ، ثم قوّمت الدراهم طعاما ، ثم صام لكلّ نصف صاع يوما .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا جرير ، عن مغيرة ، عن حماد ، قال : إذا أصاب المحرم الصيد فحكم عليه ، فإن فضل منه ما لايتمّ نصف صاع صام له يوما ، ولا يكون الصوم إلا على من لم يجد ثمن هدى ،

فيحكم عليه الطعام ، فإن لم يكن عنده طعام يتصدّق به ، حكم عليه الصوم ، فصام مكان كلّ نصف صاع يوما (كَفَّارَةٌ طَعَامُ مَسَاكِينَ) قال : فيما لايبلغ ثمن هدى (أَوْ عَدْلُ ذَلِكَ صِيَاما) من الجزاء إذا لم يجد ما يشترى به هديا ، أو ما يتصدّق به ، مما لايبلغ ثمن هدى حكم عليه الصيام مكان كلّ نصف صاع يوما .

حدثنا هناد ، قال : ثنا ابن أبي زائدة ، قال : أخبرنا ابن جريج ، قال : قال مجاهد (ومَنْ قَتَلَهُ مِنْكُمْ مُتَعَمِّدًا فَجَزَاءٌ مِثْلُ ما قَتَلَ مِنَ النَّعَمِ) قال : عليه من النعم مثله هديا بالغ الكعبة ، ومن لم يجد ابتاعٌ بقيمته طعاما ، فيطعم كلّ مسكين مدّين ، فإن لم يجد صام عن كلّ مدّين يوما .

حدثني محمد بن الحسين ، قال : ثنا أحمد بن مفضل ، قال : ثنا أسباط ، عن السديّ (وَمَنْ قَتَلَهُ مِنْكُمْ مُتَعَمِّدًا) . . . إلى قوله (وَمَنْ عادَ فَيَنْتَقِمُ اللهُ مِنْهُ) قال : إذا قتل صيدا فعليه جزاؤه مثل ماقتل من النعم ، فإن لم يجد ما حكم عليه قوِّم الفداء كم هو درهما ، وقدّر ثمن ذلك بالطعام على المسكين ، فصام عن كلّ مسكين يوما ، ولا يحلّ طعام المسكين ، لأن من وجد طعام المسكين ، فهو يجد الفداء .

حدثنا عمرو بن علىّ ، قال : ثنا أبو عاصم ، عن ابن جريج ، قال : قال لى الحسن بن مسلم : من أصاب الصيد مما جزاؤه شاة ، فذلك الذى قال الله تعالى (فَجَزَاءٌ مِثْلُ ما قَتَلَ مِنَ النَّعَمِ يَحْكُمُ بِهِ ذَوَا عَدْلٍ مِنْكُمْ) وما كان من كفّارة طعام مساكين ، مثل العصفور يقتل ولا يبلغ أن يكون فيه هدى ، أو عدل ذلك صياما ليذوق ، قال عدل النعامة أو العصفور ، أو عدل ذلك كله ، فذكرت ذلك لعطاء ، فقال : كلّ شيء فى القرآن أو أو ، فلصاحبه أن يختار ما شاء .

حدثنا عمرو بن علىّ ، قال : ثنا يزيد بن هارون ، قال : أخبرنا سفيان بن حسين ، عن الحكم ، عن مقسم ، عن ابن عباس ، فى قوله (لاتَقْتُلُوا الصَّيْدَ وأَنْتُمْ حُرُمٌ ، وَمَنْ قَتَلَهُ مِنْكُمْ مُتَعَمِّدًا فَجَزَاءٌ مِثْلُ ما قَتَلَ مِنَ النَّعَمِ) فإن لم يجد جزاء ، قوّم عليه الجزاء طعاما ، ثم صام لكلّ صاع يومين .

وقال آخرون : معنى ذلك : أن للقاتل صيدا عمدا ، وهو محرم ، الخيار بين إحدى الكفّارات الثلاث وهى الجزاء بمثله من النعم والطعام والصوم .

قالوا : وإنما تأويل قوله (فَجَزَاءٌ مِثْلُ ما قَتَلَ مِنَ النَّعَمِ ، أَوْ كَفَّارَةٌ طَعَامُ مَسَاكِينَ ، أَوْ عَدْلُ ذَلِكَ صِيَاما) فعليه أن يجزى بمثله من النعم ، أو يكفّر بإطعام مساكين ، أو بعدل الطعام من الصيام .

ذكر من قال ذلك

حدثنا هناد بن السرىّ ، قال : ثنا ابن أبي زائدة ، قال : أخبرنا ابن جريج ، عن عطاء ، فى قول الله تعالى (فَجَزَاءٌ مِثْلُ ما قَتَلَ مِنَ النَّعَمِ ، يَحْكُمُ بِهِ ذَوَا عَدْلٍ مِنْكُمْ ، هَدْيًا بالِغَ

الكَعْبَةِ ، أَوْ كَفَّارَةٌ طَعامُ مَساكِينَ ، أَوْ عَدْلُ ذَلِكَ صِياماً) قال : إن أصاب إنسان محرم نعامة ، فإن له إن كان ذا يسار أن يهدى ماشاء جزورا ، أو عدلها طعاما ، أو عدلها صياما ، قال : كلّ شيء فى القرآن أو أو ، فليختر منه صاحبه ما شاء .

حدثنى يعقوب ، قال : ثنا هشيم ، قال : أخبرنا حجاج ، عن عطاء ، فى قوله (فَجَزَاءٌ مِثْلُ ما قَتَلَ مِنَ النَّعَمِ) قال : ما كان فى القرآن أو كذا أو كذا ، فصاحبه فيه بالخيار ، أىّ ذلك شاء فعل .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أسباط وعبد الأعلى ، عن داود ، عن عكرمة ، قال : ما كان فى القرآن أو أو ، فهو فيه بالخيار ، وما كان فمن لم يجد فالأوّل ، ثم الذى يليه .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا حفص ، عن عمرو ، عن الحسن ، مثله .

حدثنى يعقوب ، قال : ثنا هشيم ، قال : أخبرنا ليث ، عن عطاء ومجاهد ، أنهما قالا فى قوله (فَجَزَاءٌ مِثْلُ ما قَتَلَ مِنَ النَّعَمِ) قالا : ما كان فى القرآن أو كذا أو كذا ، فصاحبه فيه بالخيار ، أىّ ذلك شاء فعل .

حدثنى يعقوب ، قال : ثنا هشيم ، عن جويبر ، عن الضحاك ، ما كان فى القرآن أو كذا أو كذا ، فصاحبه فيه بالخيار ، أىّ ذلك شاء فعل .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنا هشيم ، قال : أخبرنا أبو حمزة ، عن الحسن ؛ قال : وأخبرنا عبيدة ، عن إبراهيم قالا : كلّ شيء فى القرآن أو أو ، فهو بالخيار ، أىّ ذلك شاء فعل .

حدثنا هناد ، قال : ثنا حفص ، عن ليث ، عن مجاهد ، عن ابن عباس ، قال : كل شيء فى القرآن أو أو فصاحبه مخير فيه ، وكلّ شيء ، فمن لم يجد فالأول ، ثم الذى يليه .

واختلف القائلون بتخيير قاتل الصيد من المحرمين بين الأشياء الثلاثة فى صفة اللازم له من التكفير بالإطعام والصوم ، إذا اختار الكفّارة بأحدهما دون الهدى ، فقال بعضهم : إذا اختار التكفير بذلك ، فإن الواجب عليه ، أن يقوّم المثل من النعم طعاما ، ثم يصوم مكان كلّ مدّ يوما .

ذكر من قال ذلك

حدثنا هناد ، قال : أخبرنا ابن أبى زائدة ، قال : أخبرنا ابن جريج ، قال : قلت لعطاء : ما (أَوْ عَدْلُ ذَلِكَ صِياما) قال : إن أصاب ما عدله شاة ، أقيمت الشاة طعاما ، ثم جعل مكان كلّ مدّ يوما يصومه .

وقال آخرون : بل الواجب عليه إذا أراد التكفير بالإطعام أو الصوم ، أن يقوّم الصيد المقتول طعاما ، ثم يتصدّق بالطعام إن اختار الصدقة ، وإن اختار الصوم صام .

ثم اختلفوا أيضا فى الصوم ، فقال بعضهم : يصوم لكلّ مدّ يوما .

وقال آخرون : يصوم مكان كلّ نصف صاع يوما .

وقال آخرون : يصوم مكان كلّ صاع يوما .

ذكر من قال : المتقوّم للإطعام : هو الصيد المقتول .

حدثنا بشر بن معاذ ، قال : ثنا جامع بن حماد ، قال : ثنا يزيد بن زريع ، قال : ثنا شعبة ، عن قتادة (يا أيُّها الَّذِينَ آمَنُوا لاتَقْتُلُوا الصَّيْدَ) . . . الآية ، قال : كان قتادة يقول : يحكمان فى النعم ، فإن كان ليس صيده ما يبلغ ذلك ، نظروا ثمنه فقوّموه طعاما ، ثم صام مكان كلّ صاع يومين .

وقال آخرون : لامعنى للتكفير بالإطعام ، لأن من وجد سبيلا إلى التكفير بالإطعام ، فهو واجد إلى الجزاء بالمثل من النعم سبيلا ، ومن وجد إلى الجزاء بالمثل من النعم سبيلا لم يجزه التكفير بغيره ؛ قالوا : وإنما ذكر الله تعالى ذكره الكفّارة بالإطعام فى هذا الموضع ليدلّ على صفة التكفير بالصوم لأنه جعل التكفير بالإطعام إحدى الكفّارات التى يكفر بها قتل الصيد ، وقد ذكرنا تأويل ذلك فيما مضى قبل .

❊ وأولى الأقوال بالصواب عندى فى قول الله تعالى (فَجَزَاءٌ مِثْلُ ما قَتَلَ مِنَ النَّعَمِ) : أن يكون مرادا به : فعلى قاتله متعمدا مثل الذى قتل من النعم ، لاالقيمة إن اختار أن يجزيه بالمثل من النعم ، وذلك أن القيمة ، إنما هى من الدنانير أو الدراهم ، والدراهم أو الدنانير ليست للصيد بمثل ، والله تعالى إنما أوجب الجزاء مثلاً من النعم .

❊ وأولى الأقوال بالصواب عندى فى قوله (أَوْ كَفَّارَةٌ طَعَامُ مَسَاكِينَ ، أَوْ عَدْلُ ذَلِكَ صِياماً) : أن يكون تخييرا ، وأن يكون للقاتل الخيار فى تكفيره بقتله الصيد وهو محرم ، بأىّ هذه الكفارات الثلاث شاء ، لأن الله تعالى جعل ما أوجب فى قتل الصيد من الجزاء والكفارة عقوبة لفعله ، وتكفيرا لذنبه فى إتلافه ما أتلف من الصيد الذى كان حراما عليه إتلافه فى حال إحرامه ، وقد كان حلالا له قبل حال إحرامه ، كما جعل الفدية من صيام أو صدقة أو نسك ، فى حلق الشعر الذى حلقه المحرم فى حال إحرامه ، وقد كان له حلقه قبل حال إحرامه ، ثم منع من حلقه فى حال إحرامه نظير الصيد ، ثم جعل عليه إن حلقه جزاء من حلقه إياه ، فأجمع الجميع على أنه فى حلقه إياه إذا حلقه من إيذائه مخير فى تكفيره ، فعليه ذلك بأىّ الكفارات الثلاث شاء ، فمثله إن شاء الله قاتل الصيد من المحرمين ، وأنه مخير فى تكفيره قتله الصيد بأىّ الكفارات الثلاث شاء ، لافرق بين ذلك . ومن أبى ما قلنا فيه ، قيل له : حكم الله تعالى على قاتل الصيد بالمثل من النعم ، أو كفّارة طعام مساكين ، أو عدله صياما ، كما حكم على الحالق بفدية من صيام ، أو صدقة ، أو نسك ، فزعمت أن أحدهما مخير فى تكفير ما جعل منه ، عوض بأىّ الثلاث شاء ، وأنكرت أن يكون ذلك للآخر ، فهل بينك وبين من عكس عليك الأمر فى ذلك ، فجعل الخيار فيه حيث أبيت وأبى ، حيث جعلته له فرق من أصل أو نظير ، فلن يقول فى أحدهما قولا ، إلا ألزم فى الآخر مثله .

ثم اختلفوا فى صفة التقويم إذا أراد التكفير بالإطعام ، فقال بعضهم : يقوّم الصيد قيمته بالموضع الذى أصابه فيه ، وهو قول إبراهيم النخعى ، وحماد ، وأبى حنيفة ، وأبى يوسف ، ومحمد ؛ وقد ذكرت الرواية عن إبراهيم وحماد فيما مضى ، بما يدلّ على ذلك ، وهو نصّ قول أبى حنيفة وأصحابه .

وقال آخرون : بل يقوّم ذلك بسعر الأرض التى يكفّر بها .

ذكر من قال ذلك

حدثنا هناد ، قال : ثنا ابن أبى زائدة ، قال : ثنا إسرائيل ، عن جابر ، عن عامر ، قال فى محرم أصاب صيدا بخراسان ، قال : يكفِّر بمكة ، أو بمنى ، وقال : يقوّم الطعام بسعر الأرض التى يكفِّر بها .

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا أبو يمان ، عن إسرائيل ، عن جابر ، عن الشعبىّ ، فى رجل أصاب صيدا بخراسان ، قال : يحكم عليه بمكة .

والصواب من القول فى ذلك عندنا ، أن قاتل الصيد إذا جزاه بمثله من النعم ، فإنما يجزيه بنظيره فى خلق وقدره فى جسمه من أقرب الأشياء به شبها من الأنعام ، فإنْ جزاه بالإطعام قوّمه قيمته بموضعه الذى أصابه فيه ، لأنه هنالك وجب عليه التكفير بالإطعام ، ثم إن شاء أطعم بالموضع الذى أصابه فيه ، وإن شاء بمكة . وإن شاء بغير ذلك من المواضع حيث شاء ، لأن الله تعالى إنما شرط بلوغ الكعبة بالهدى فى قتل الصيد دون غيره من جزائه ، فللجازى بغير الهدى أن يجزيه بالإطعام والصوم حيث شاء من الأرض .

وبمثل الذى قلنا فى ذلك ، قال جماعة من أهل العلم .

ذكر من قال ذلك

حدثنا هناد ، قال : ثنا ابن أبى زائدة ، قال : ثنا ابن أبى عروبة ، عن أبى معشر ، عن إبراهيم قال : ما كان من دم فبمكة ، وما كان من صدقة أو صوم حيث شاء .

وقد خالف ذلك مخالفون ، فقالوا : لا يجزئ الهدى والإطعام إلا بمكة ؛ فأما الصوم فإن كفر به يصوم حيث شاء من الأرض .

ذكر من قال ذلك

حدثنا هناد ، قال : ثنا وكيع ، وحدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبى ، عن حماد بن سلمة ، عن قيس بن سعد ، عن عطاء ، قال : الدم والطعام بمكة ، والصيام حيث شاء .

حدثنا هناد ، قال : ثنا وكيع ، وحدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبى ، عن مالك بن مغول ، عن عطاء ، قال : كفّارة الحجّ بمكة .

حدثنا عمرو بن علىّ ، قال : ثنا أبو عاصم ، عن ابن جريج ، قال : قلت لعطاء : أين يتصدّق بالطعام إن بدا له ؟ قال : بمكة من أجل أنه بمنزلة الهدى ، قال (فَجَزَاءٌ مِثْلُ ما قَتَلَ مِنَ النَّعَمِ هَدْيًا بالِغَ الكَعْبَةِ) من أجل أنه أصابه فى حرم يريد البيت ، فجزاؤه عند البيت .

فأما الهدى ، فإنه من جرّاء ما قتل من الصيد ، فلن يجزئه من كفّارة ما قتل من ذلك إلا أن يبلغه الكعبة طيبا ، وينحره أو يذبحه ، ويتصدّق به على مساكين الحرم ، ويعنى بالكعبة فى هذا الموضع : الحرم كله ، ولمن قدم بهديه الواجب من جزاء الصيد أن ينحره فى كلّ وقت شاء قبل يوم النحر وبعده ، ويطعمه ؛ وكذلك إن كفَّر بالطعام فله أن يكفِّر به متى أحبّ وحيث أحبّ ، وإن كفَّر بالصوم فكذلك .

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ، خلا ما ذكرنا من اختلافهم في التكفير بالإطعام على ما قد بينا فيما مضى .

ذكر من قال ذلك

حدثنا هناد ، قال : ثنا ابن أبي زائدة ، قال : أخبرنا ابن جريج ، قال : قلت لعطاء (أَوْ عَدْلُ ذَلِكَ صِيَاماً) هل لصيامه وقت ؟ قال : لا إذا شاء ، وحيث شاء ، وتعجيله أحبّ إليّ .

حدثنا هناد ، قال : ثنا ابن أبي زائدة ، قال : أخبرنا ابن جريج ، قال : قلت لعطاء : رجل أصاب صيدا في الحج أو العمرة ، فأرسل بجزائه إلى الحرم في المحرّم أو غيره من الشهور ، أيجزئ عنه ؟ قال : نعم ، ثم قرأ (هَدْياً بَالِغَ الْكَعْبَةِ) قال هناد : قال يحيى : وبه نأخذ .

حدثنا هناد ، قال : ثنا ابن أبي زائدة ، قال : أخبرنا ابن جريج وابن أبي سليم ، عن عطاء ، قال : إذا قدمت مكة بجزاء صيد فانحره ، فإن الله تعالى يقول (هَدْياً بَالِغَ الْكَعْبَةِ) إلا أن يقدم في العشر ، فيؤخر إلى يوم النحر .

حدثنا هناد ، قال : ثنا ابن أبي زائدة ، قال : ثنا ابن جريج ، عن عطاء ، قال : يتصدّق الذي يصيب الصيد بمكة ، فإن الله تعالى يقول (هَدْياً بَالِغَ الْكَعْبَةِ) .

القول في تأويل قوله تعالى : ﴿أَوْ عَدْلُ ذَلِكَ صِيَاماً﴾ :

يعني تعالى ذكره بذلك : أو على قاتل الصيد محرما ، عدل الصيد المقتول من الصيام ، وذلك أن يقوّم الصيد حيا غير مقتول قيمته من الطعام ، بالموضع الذي قتله فيه المحرم ، ثم يصوم مكان كل مدّ يوما ، وذلك أن النبيّ صلى الله عليه وسلم عدل المدّ من الطعام بصوم يوم في كفّارة المواقع في شهر رمضان .

⁂ فإن قال قائل : فهلا جعلت مكان كلّ صاع في جزاء الصيد صوم يوم قياسا على حكم النبيّ صلى الله عليه وسلم في نظيره ، وذلك حكمه على كعب بن عجرة ، إذ أمره أن يطعم إن كفر بالإطعام فرقا من طعام وذلك ثلاثة آصع بين ستة مساكين ، فإن كفّر بالصيام ، أن يصوم ثلاثة أيام ، فجعل الأيام الثلاثة في الصوم عدلا من إطعام ثلاثة آصع ، فإن ذلك بالكفارة في جزاء الصيد أشبه من الكفارة في قتل الصيد بكفارة المواقع[1] امرأته في شهر رمضان ؟ قيل : إن القياس إنما هو ردّ الفروع المختلف فيها إلى نظائرها من الأصول المجمع عليها ، ولا خلاف بين الجميع من الحجة ، أنه لا يجزئ مكفّرا كفّر في قتل الصيد بالصوم ، أن يعدل صوم يوم بصاع طعام . فإن كان ذلك كذلك ، وكان غير جائز خلافها فيما حدّث به من الدين مجمعة عليه صحّ بذلك أن حكم معادلة الصوم الطعام في قتل الصيد مخالف حكم معادلته إياه في كفّارة الحلق ، إذا كان غير جائز ، وداخل على آخر قياسا ؛ وإنما يجوز أن يقاس الفرع على الأصل ، وسواء قال قائل : هلا رددت حكم الصوم في كفّارة قتل الصيد على حكمه في حلق الأذى فيما يعدل به من الطعام ؛ وآخر

(١) في التركيب تشويش ، ومراده أن إلحاق كفارة الصيد بكفارة الحلق أشبه من إلحاقها بكفارة المواقع .

قال : هلا رددت حكم الصوم فى الحلق على حكمه فى كفّارة قتل الصيد فيما يعدل به من الطعام ، فتوجب عليه مكان كل مدّ ، أو مكان كل نصف صاع صوم يوم .

وقد بينا فيما مضى قبل أن العدل فى كلام العرب بالفتح ، وهو قدر الشىء من غير جنسه ، وأن العِدل هو قدره من جنسه . وقد كان بعض أهل العلم بكلام العرب يقول : العدل مصدر من قول القائل : عدلت بهذا عدلا حسنا . قال : والعَدل أيضا بالفتح : المثل ، ولكنهم فرّقوا بين العدل فى هذا ، وبين عِدل المتاع ، بأن كسروا العين من عدل المتاع ، وفتحوها من قولهم (وَلا يُقْبَلُ مِنْها عَدْلٌ) وقول الله عزّ وجلّ (أَوْ عَدْلُ ذَلِكَ صِياما) كما قالوا : امرأة رزان ، وحجر رزين .

وقال بعضهم : العدل : هو القسط فى الحقّ ، والعِدل بالكسر : المثل ، وقد بينا ذلك بشواهده فيما مضى ؛ وأما نصب الصيام فإنه على التفسير كما يقال عندى ملءُ زقّ سمنا ، وقدر رطل عسلا .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك ، قال جماعة من أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا محمد بن بشار ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : أخبرنا ابن جريج ، قال : قلت لعطاء : ما عَدل ذلك صياما ؟ قال : عدل الطعام من الصيام ، قال : لكلّ مدّ يوما يؤخذ ، زعم بصيام رمضان وبالظهار ، وزعم أن ذلك رأى يراه ولم يسمعه من أحد ، ولم تمض به سنة ، قال : ثم عاودته بعد ذلك بحين . قلت : ما عدل ذلك صياما ؟ قال : إن أصاب ما عدله شاة ، قوّمت طعاما ، ثم صام مكان كلّ مدّ يوما ، قال : ولم أسأله : هذا رأى ، أو سنة مسنونة .

حدثنى يعقوب بن إبراهيم ، قال : ثنا هشيم ، قال : أخبرنا أبو بشر ، عن سعيد بن جبير ، فى قوله عزّ وجلّ (أَوْ عَدْلُ ذَلِكَ صِياما) قال : يصوم ثلاثة أيام ، إلى عشرة أيام .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا جرير ، عن مغيرة ، عن حماد (أَوْ عَدْلُ ذَلِكَ صِياما) من الجزاء إذا لم يجد ما يشترى به هديا ، أو ما يتصدّق به ، مما لا يبلغ ثمن هدى حكم عليه الصيام مكان كلّ نصف صاع يوما .

حدثنى المثنى ، قال : ثنا عبد الله بن صالح ، قال : ثنى معاوية بن صالح ، عن علىّ بن أبى طلحة ، عن ابن عباس (أَوْ عَدْلُ ذَلِكَ صِياما) قال : إذا قتل المحرم شيئا من الصيد حكم عليه فيه ، فإن قتل ظبيا أو نحوه ، فعليه شاة تذبح بمكة ، فإن لم يجد فإطعام ستة مساكين ؛ فإن لم يجد فصيام ثلاثة أيام ؛ وإن قتل أيّلا أو نحوه ، فعليه بقرة ، فإن لم يجد أطعم عشرين مسكينا ، فان لم يجد صام عشرين يوما ؛ وإن قتل نعامة أو حمار وحش ، أو نحوه ، فعليه بدنة من الإبل ؛ فإن لم يجد أطعم ثلاثين مسكينا ؛ فإن لم يجد صام ثلاثين يوما ، والطعام مدّ مدّ يشبعهم .

حدثنا ابن البرقى ، قال : ثنا عمرو بن أبى سلمة ، عن سعيد ، المحرم يصيب الصيد فيكون عليه الفدية

شاة ، أو البقرة أو البدنة ؛ فإن لم يجد ، فما عدل ذلك من الصيام أو الصدقة ، قال : ثمن ذلك ؛ فإن لم يجد ثمنه ، قوّم ثمنه طعاما يتصدّق به ، لكلّ مسكين مدّ ، ثم يصوم لكلّ مدّ يوما .

القول في تأويل قوله تعالى : ﴿لِيَذُوقَ وَبَالَ أَمْرِهِ﴾ :

يقول جلّ ثناؤه : أوجبت على قاتل الصيد محرما ما أوجبت من الحقّ أو الكفّارة الذى ذكرت فى هذه الآية ، كي يذوق وبال أمره وعذابه ، يعنى بأمره : ذنبه وفعله الذى فعله من قتله ما نهاه الله عزّ وجلّ ، عن قتله فى حال إحرامه ، يقول : فألزمته الكفّارة التى ألزمته إياها ، لأذيقه عقوبة ذنبه بالزامه الغرامة ، والعمل ببدنه ، مما يتعبه ويشقّ عليه . وأصل الوبال : الشدّة فى المكروه ، ومنه قول الله (فَعَصَى فِرْعَوْنُ الرَّسُولَ فَأَخَذْنَاهُ أَخْذًا وَبِيلًا)

وقد بين تعالى ذكره بقوله (لِيَذُوقَ وَبَالَ أَمْرِهِ) أن الكفّارات اللازمة الأموال والأبدان ، عقوبات منه لخلقه ، وإن كانت تمحيصا لهم ، وكفّارة لذنوبهم التى كفّروها بها .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك ، قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنى محمد بن الحسين ، قال : ثنا أحمد بن مفضل ، قال : ثنا أسباط ، عن السدىّ ، أما وَبال أمره : فعقوبة أمره .

القول في تأويل قوله تعالى : ﴿عَفَا اللَّهُ عَمَّا سَلَفَ ، وَمَنْ عَادَ فَيَنْتَقِمُ اللَّهُ مِنْهُ﴾ :

يقول جلّ ثناؤه لعباده المؤمنين به وبرسوله صلى الله عليه وسلم : عفا الله أيها المؤمنون عما سلف منكم فى جاهليتكم من إصابتكم الصيد وأنتم حرم ، وقتلكموه ، فلا يؤاخذكم بما كان منكم فى ذلك قبل تحريمه إياه عليكم ، ولا يلزمكم له كفّارة فى مال ولا نفس ، ولكن من عاد منكم لقتله ، وهو محرم بعد تحريمه بالمعنى الذى كان يقتله فى حال كفره ، وقبل تحريمه عليه ، من استحلاله قتله ، فينتقم الله منه .

وقد يحتمل أن يكون ذلك معناه : من عاد لقتله بعد تحريمه فى الإسلام ، فينتقم الله منه فى الآخرة ؛ فأما فى الدنيا ، فإن عليه من الجزاء والكفّارة فيها ما بينت .

واختلف أهل التأويل فى تأويل ذلك ، فقال بعضهم نحو الذى قلنا فيه .

ذكر من قال ذلك

حدثنا هناد ، قال : ثنا ابن أبى زائدة ، قال : أخبرنا ابن جريج ، قال : قلت لعطاء : (ما عَفَا اللَّهُ عَمَّا سَلَفَ ؟) قال : عما كان فى الجاهلية ؛ قال : قلت : وما (وَمَنْ عَادَ فَيَنْتَقِمُ اللَّهُ مِنْهُ) ؟ قال : من عاد فى الإسلام ، فينتقم الله منه ، وعليه مع ذلك الكفّارة .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : أخبرنا ابن جريج ، قال : قلت لعطاء ، فذكر نحوه . وزاد فيه ، وقال : وإن عاد فقتل عليه الكفّارة ، قلت : هل فى العود من حدّ يعلم ؟ قال : لا ، قلت : فترى حقا على الإمام أن يعاقبه ، قال : هو ذنب أذنبه فيما بينه وبين الله ، ولكن يفتدى .

حدثنا سفيان ، قال : ثنا محمد بن بكر ، وأبو خالد ، عن ابن جريج ، عن عطاء (وَمَنْ عادَ فَيَنْتَقِمُ اللهُ مِنْهُ) قال : فى الإسلام ، وعليه مع ذلك الكفّارة ، قلت : عليه من الإمام عقوبة ؟ قال لا .

حدثنا هناد ، قال : ثنا وكيع ، وحدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبى ، عن سفيان ، عن ابن جريج ، عن عطاء (عَفَا اللهُ عَمَّا سَلَفَ) عما كان فى الجاهلية (وَمَنْ عادَ) قال : فى الإسلام (فَيَنْتَقِمُ اللهُ مِنْهُ) وعليه الكفّارة ، قال : قلت لعطاء : فعليه من الإمام عقوبة ؟ قال : لا .

حدثنا محمد بن بشار ، قال : ثنا عبد الرحمن ، قال : ثنا سفيان ، عن ابن جريج ، عن عطاء ، قال : يحكم عليه فى الخطإ والعمد والنسيان ؛ وكلما أصاب قال الله عزّ وجلّ (عَفَا اللهُ عَمَّا سَلَفَ) قال : ما كان فى الجاهلية (وَمَنْ عادَ فَيَنْتَقِمُ اللهُ مِنْهُ) مع الكفّارة ، قال سفيان : قال ابن جريج : فقلت : أيعاقبه السلطان ؟ قال : لا .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا محمد بن بكر وأبو خالد ، عن ابن جريج ، قال : قلت لعطاء (عَفَا اللهُ عَمَّا سَلَفَ) قال : عما كان فى الجاهلية .

حدثنى يعقوب ، قال : ثنا هشيم ، عن أبى بشر ، عن عطاء بن أبى رباح ، أنه قال : يحكم عليه كلما عاد .

حدثنا هناد ، قال : ثنا جرير ، عن منصور ، عن مجاهد ، قال : كلما أصاب المحرم الصيد ناسيا حكم عليه .

حدثنى يحيى بن طلحة اليربوعى ، قال : ثنا فضيل بن عياض ، عن منصور ، عن إبراهيم ، قال : كلما أصاب الصيد المحرم حكم عليه .

حدثنا عمرو بن علىّ ، قال : ثنا سفيان بن عيينة ، عن ابن أبى نجيح ، عن عطاء ، قال : من قتل الصيد ثم عاد حكم عليه .

حدثنا عمرو ، قال : ثنا سفيان بن عيينة ، عن داود بن أبى هند ، عن سعيد بن جبير ، قال : يحكم عليه فيخلع ، أو يترك .

حدثنا عمرو ، قال : ثنا عبد الوهاب ، قال : ثنا داود بن أبى هند ، عن سعيد بن جبير : الذى يصيب الصيد وهو محرم ، فيحكم عليه ثم يعود ؟ قال : يحكم عليه .

حدثنا عمرو ، قال : ثنا كثير بن هشام ، قال : ثنا الفرات بن سليم ، عن عبد الكريم ، عن عطاء ، قال : يحكم عليه كلما عاد .

وقال آخرون : معنى ذلك : عفا الله عما سلف منكم فى ذلك فى الجاهلية ، ومن عاد فى الإسلام ، فينتقم الله منه ، بالزامه الكفّارة .

ذكر من قال ذلك

حدثنى ابن البرقى ، قال : ثنا عمرو ، عن زهير ، عن سعيد بن جبير وعطاء ، فى قول الله تعالى (وَمَنْ عادَ فَيَنْتَقِمُ اللهُ مِنْهُ) قالا : ينتقم الله، يعنى بالجزاء : عفا الله عما سلف فى الجاهلية .

وقال آخرون : فى ذلك : عفا الله عما سلف مِنْ قَتْلِ مَنْ قَتَلَ منكم الصيد حراما فى أوّل مرّة ، ومن عاد ثانية لقتله بعد أولى حراما ، فالله ولىّ الانتقام منه دون كفّارة تلزمه لقتله إياه .

ذكر من قال ذلك

حدثنى المثنى ، قال : ثنا عبد الله بن صالح ، قال : ثنى معاوية بن صالح ، عن علىّ بن أبى طلحة ، عن ابن عباس : من قتل شيئا من الصيد خطأ وهو محرم ، حكم عليه فيه مرّة واحدة ، فإن عاد يقال له ينتقم الله منك ، كما قال الله عزّ وجلّ .

حدثنا يحيى بن طلحة اليربوعى ، قال : ثنا فضيل بن عياض ، عن هشام ، عن عكرمة ، عن ابن عباس ، قال : إذا أصاب المحرم الصيد حكم عليه ، فإن عاد لم يحكم عليه ، وكان ذلك إلى الله عزّ وجلّ ، إن شاء عاقبه ، وإن شاء عفا عنه ، ثم قرأ هذه الآية (وَمَنْ عادَ فَيَنْتَقِمُ اللهُ مِنْهُ ، وَاللهُ عَزِيزٌ ذُو انْتِقامٍ) .

حدثنا هناد ، قال : ثنا يحيى بن أبى زائدة ، قال : ثنا داود ، عن عامر ، قال : جاء رجل إلى شريح ، فقال : إنى أصبت صيدا وأنا محرم ، فقال : هل أصبت قبل ذلك شيئا ؟ قال : لا ، قال : لو قلت نعم وكلتك إلى الله ، يكون هو ينتقم منك ، إنه عزيز ذو انتقام ؛ قال داود : فذكرت ذلك لسعيد بن جبير ، فقال : بل يحكم عليه ، أو يخلع .

حدثنى أبو السائب وعمرو بن علىّ ، قالا : ثنا أبو معاوية ، عن الأعمش ، عن إبراهيم ، قال : إذا أصاب الرجل الصيد وهو محرم ، وقيل له أصبت صيدا مثل هذا ؟ قال : فإن قال : نعم ، قيل له : اذهب ، فينتقم الله منك ، وإن قال لا ، حكم عليه .

حدثنا محمد بن المثنى ، قال : ثنا ابن أبى عدىّ ، عن شعبة ، عن سليمان ، عن إبراهيم فى الذى يقتل الصيد ، ثم يعود ، قال : كانوا يقولون : من عاد ، لايحكم عليه ، أمره إلى الله عزّ وجلّ .

حدثنا عمرو ، قال : ثنا ابن عيينة ، عن داود بن أبى هند ، عن الشعبى ، أن رجلا أتى شريحا ، فقال : أصبت صيدا ؟ قال : أصبت قبله صيدا ؟ قال : لا ، قال : أما إنك لو قلت نعم ، لم أحكم عليك .

حدثنا عمرو ، قال : ثنا ابن أبى عدىّ ، قال : ثنا داود ، عن الشعبىّ ، عن شريح ، مثله .

حدثنا عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، عن الأشعث ، عن محمد ، عن شريح فى الذى يصيب الصيد ، قال : يحكم عليه ، فإن عاد انتقم الله منه .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا حكام بن سلم ، عن عنبسة ، عن سالم ، عن سعيد بن جبير (وَمَنْ قَتَلَهُ مِنْكُمْ مُتَعَمِّدًا ، فَجَزاءٌ مِثْلُ ما قَتَلَ مِنَ النَّعَمِ ، يَحْكُمُ بِهِ ذَوَا عَدْلٍ مِنْكُمْ)

قال : يحكم عليه فى العمد مرّة واحدة ، فإن عاد لم يحكم عليه ، وقيل له : اذهب ينتقم الله منك ، ويحكم عليه فى الخطأ أبدا .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبى ، عن سفيان ، عن خصيف ، عن سعيد بن جبير ، قال : رخص فى قتل الصيد مرّة ، فمن عاد لم يدعه الله تعالى حتى ينتقم منه .

حدثنا هناد ، قال : ثنا وكيع ، عن سفيان ، عن خصيف ، عن سعيد بن جبير ، مثله .

حدثنا عمرو بن علىّ ، قال : ثنا يحيى بن سعيد وابن أبى عدىّ جميعا ، عن هشام ، عن عكرمة ، عن ابن عباس ، فيمن أصاب صيدا ، فحكم عليه ، ثم عاد ، قال : لايحكم ينتقم الله منه .

حدثنا عمرو ، قال : ثنا ابن عيينة ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، إنما قال الله عزّ وجلّ (وَمَنْ قَتَلَهُ مِنْكُمْ مُتَعَمِّدًا) يقول : متعمدا لقتله ، ناسيا لإحرامه ، فذلك الذى يحكم عليه ، فإن عاد لايحكم عليه ، وقيل له ينتقم الله منك .

حدثنا عمرو ، قال : ثنا كثير بن هشام ، قال : ثنا الفرات بن سليم ، عن عبد الكريم ، عن مجاهد : إن عاد لم يحكم عليه ، وقيل له : ينتقم الله منك .

حدثنا عمرو ، قال : ثنا يحيى بن سعيد ، قال : ثنا الأشعث ، عن الحسن فى الذى يصيب الصيد ، فيحكم عليه ثم يعود ، قال : لايحكم عليه .

وقال آخرون : معنى ذلك : عفا الله عما سلف من قتلكم الصيد قبل تحريم الله تعالى ذلك عليكم ، ومن عاد لقتله بعد تحريم الله إياه عليه عالما بتحريمه ذلك عليه ، عامدا لقتله ، ذاكرا لإحرامه ، فإن الله هو المنتقم منه ، ولا كفّارة لذنبه ذلك ، ولا جزاء يلزمه له فى الدنيا .

ذكر من قال ذلك

حدثنى يونس بن عبد الأعلى ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله (وَمَنْ عَادَ فَيَنْتَقِمُ اللهُ مِنْهُ) قال : من عاد بعد نهى الله بعد أن يعرف أنه محرّم ، وأنه ذاكر لحرمه لم ينبغ لأحد أن يحكم عليه ، ووكلوه إلى نقمة الله عزّ وجلّ . فأما الذى يتعمد قتل الصيد ، وهو ناس لحرمه ، أو جاهل أن قتله محرّم ، فهؤلاء الذين يحكم عليهم ، فأما من قتله متعمدا بعد نهى الله ، وهو يعرف أنه محرم وأنه حرام ، فذلك يوكل إلى نقمة الله ، فذلك الذى جعل الله عليه النقمة ، وهذا شبيه بقول مجاهد الذى ذكرناه قبل .

وقال آخرون : عنى بذلك شخص بعينه

ذكر من قال ذلك

حدثنا عمرو بن علىّ ، قال : ثنا معتمر بن سليمان ، قال : ثنا زيد أبو المعلى : أن رجلا أصاب صيدا وهو محرم ، فتجوّز له عنه ، ثم عاد ، فأرسل عليه نارا فأحرقته ، فذلك قوله (وَمَنْ عَادَ فَيَنْتَقِمُ اللهُ مِنْهُ) قال : فى الإسلام .

☆ وأولى الأقوال فى ذلك بالصواب عندنا ، قول من قال : معناه : ومن عاد فى الإسلام لقتله بعد نهى الله تعالى عنه ، فينتقم الله منه ، وعليه مع ذلك الكفّارة ، لأن الله عز وجل إذ أخبر أنه ينتقم منه لم يخبرنا ، وقد أوجب عليه فى قتله الصيد عمدا ما أوجب من الجزاء أو الكفّارة بقوله (وَمَنْ قَتَلَهُ مِنْكُمْ مُتَعَمِّدًا ، فَجَزَاءٌ مِثْلُ مَا قَتَلَ مِنَ النَّعَمِ) أنه قد أزال عنه الكفّارة فى المرّة الثانية والثالثة ، بل أعلم عباده ما أوجب من الحكم على قاتل الصيد من المحرمين عمدا ، ثم أخبر أنه منتقم ممن عاد ، ولم يقل : ولا كفّارة عليه فى الدنيا .

☆ فان ظنّ ظانّ أن الكفّارة مزيلة للعقاب ، ولو كانت الكفّارة لازمة له فى الدنيا ، لبطل العقاب فى الآخرة ، فقد ظنّ خطأ ، وذلك أن الله عزّ وجلّ أن يخالف بين عقوبات معاصيه بما شاء ، وأحبّ فيزيد فى عقوبته على بعض معاصيه ، مما ينقص من بعض ، وينقص من بعض مما يزيد فى بعض ، كالذى فعل من ذلك فى مخالفته بين عقوبته الزانى البكر ، والزانى الثيب المحصن ، وبين سارق ربع دينار ، وبين سارق أقلّ من ذلك ، فكذلك خالف بين عقوبته ، قاتل الصيد من المحرمين عمدا ابتداء ، وبين عقوبته عودا بعد بدء ، فأوجب على البادئ المثل من النعم ، أو الكفّارة بالإطعام ، أو العدل من الصيام ، وجعل ذلك عقوبة جرمه بقوله (لِيَذُوقَ وَبَالَ أَمْرِهِ) وجعل على العائد بعد البدء ، وزاده من عقوبته ما أخبر عباده أنه فاعل من الانتقام تغليظا منه للعود بعد البدء ، ولو كانت عقوباته على الأشياء متفقة ، لوجب أن لايكون حدّ فى شىء مخالفا حدّا فى غيره ، ولا عقاب فى الآخرة ، أغلظ من عقاب ، وذلك خلاف ما جاء به محكم الفرقان ، وقد زعم بعض الزاعمين أن معنى ذلك : ومن عاد فى الإسلام بعد نهى الله عن قتله لقتله بالمعنى الذى كان القوم يقتلونه فى جاهليتهم ، فعفا لهم عنه عند تحريم قتله عليهم ، وذلك قتله على استحلال قتله ، قال : فأما إذا قتله على غير ذلك الوجه ، وذلك أن يقتله على وجه الفسوق ، لاعلى وجه الاستحلال ، فعليه الجزاء والكفّارة كلما عاد ، وهذا قول لانعلم قائلا قاله : من أهل التأويل ، وكفى خطأ بقوله خروجه عن أقوال أهل العلم لو لم يكن على خطئه دلالة سواه ، فكيف وظاهر التنزيل ينبئ عن فساده ، وذلك أن الله عمّ بقوله (وَمَنْ عَادَ فَيَنْتَقِمُ اللهُ مِنْهُ) كل عائد لقتل الصيد بالمعنى الذى تقدم النهى منه به فى أوّل الآية ، ولم يخصّ به عائدا منهم دون عائد ، فمن ادّعى فى التنزيل ماليس فى ظاهره كلف البرهان على دعواه من الوجه الذى يجب التسليم له .

وأما من زعم أن معنى ذلك : ومن عاد فى قتله متعمدا بعد بدء لقتل تقدّم منه فى حال إحرامه ، فينتقم الله منه ، فإن معنى قوله (عَفَا اللهُ عَمَّا سَلَفَ) إنما هو : عفا الله عما سلف من ذنبه بقتله الصيد بدءا ، فإن فى قول الله تعالى (لِيَذُوقَ وَبَالَ أَمْرِهِ) دليلا واضحا على أن القول فى ذلك غير ما قال ، لأن العفو عن الجرم ترك المؤاخذة به ، ومن أذيق وبال جرمه ، فقد عوقب به ، وغير جائز أن يقال : لمن عوقب قد عفى عنه ، وخبر الله أصدق من أن يقع فيه تناقض .

☆ فان قال قائل : وما ينكر أن يكون قاتل الصيد من المحرمين فى أوّل مرّة قد أذيق وبال أمره ، بما ألزم

من الجزاء والكفارة ، وعفى له من العقوبة بأكثر من ذلك مما كان لله عز وجل أن يعاقبه به ؟ قيل له : فإن كان ذلك جائزا أن يكون تأويل الآية عندك ، وإن كان مخالفا لقول أهل التأويل ، فما ينكر أن يكون الانتقام الذى أوعده الله على العود بعد البدء ، هو تلك الزيادة التى عفاها عنه فى أول مرة مما كان له فعله به مع الذى أذاقه من وبال أمره ، فيذيقه فى عوده بعد البدء وبال أمره الذى أذاقه المرة الأولى ، ويترك عفوه عما عفا عنه فى البدء ، فيؤاخذه به ، فلم يقل فى ذلك شيئا إلا ألزم فى الآخر مثله .

القول في تأويل قوله تعالى ﴿وَاللهُ عَزِيزٌ ذُو انْتِقَامٍ﴾ :

يقول عز وجل : والله منيع فى سلطانه ، لايقهره قاهر ، ولا يمنعه من الانتقام ممن انتقم منه ، ولا من عقوبة من أراد عقوبته مانع ، لأن الخلق خلقه ، والأمر أمره ، له العزة والمنعة . وأما قوله (ذُو انتِقام) فانه يعنى به : معاقبته لمن عصاه على معصيته إياه .

القول في تأويل قوله تعالى :

أُحِلَّ لَكُمْ صَيْدُ الْبَحْرِ وَطَعَامُهُ مَتَاعًا لَكُمْ وَلِلسَّيَّارَةِ وَحُرِّمَ عَلَيْكُمْ صَيْدُ الْبَرِّ مَا دُمْتُمْ حُرُمًا وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴿٩٦﴾

❊ يقول تعالى ذكره (أُحِلَّ لَكُمْ) أيها المؤمنون (صَيْدُ البَحْرِ) وهو ما صيد طريا .

كما حدثنى يعقوب ، قال : ثنا هشيم ، قال : أخبرنا عمر بن أبى سلمة ، عن أبيه ، عن أبى هريرة . قال : قال عمر بن الخطاب فى قوله (أُحِلَّ لَكُمْ صَيْدُ البَحْرِ) قال : صيده : ما صيد منه .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا جرير ، عن مغيرة ، عن سماك ، قال : حُدثت ، عن ابن عباس . قال : خطب أبو بكر الناس ، فقال : أحل لكم صيد البحر ، قال : فصيده : ما أخذ .

حدثنى يعقوب ، قال : ثنا هشيم ، قال : أخبرنا حصين ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس ، فى قوله (أُحِلَّ لَكُمْ صَيْدُ البَحْرِ) قال : صيده : ما صيد منه .

حدثنا سليمان بن عمر بن خالد البرقى ، قال : ثنا محمد بن سلمة الحرانى ، عن خصيف ، عن عكرمة ، عن ابن عباس ، فى قوله (أُحِلَّ لَكُمْ صَيْدُ البَحْرِ) قال : صَيْدُه الطرىّ .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا يحيى بن واضح ، قال : ثنا الهذيل بن هلال ، قال : ثنا عبد الله بن عبيد ابن عمير ، عن ابن عباس ، فى قوله (أُحِلَّ لَكُمْ صَيْدُ البَحْرِ) قال : صيده : ما صيد .

حدثنى محمد بن سعد ، قال : ثنى أبى ، قال : ثنى عمى ، قال : ثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس : (أُحِلَّ لَكُمْ صَيْدُ البَحْرِ) قال : الطرىّ .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا الحسن بن علىّ الجعفى ، أو الحسين ، شكّ أبو جعفر ، عن الحكم بن أبان ، عن عكرمة ، قال : كان ابن عباس يقول : صيد البحر : ما اصطاده :

حدثنا أبوكريب ، قال : ثنا ابن يمان ، عن سفيان ، عن أبى حصين ، عن سعيد بن جبير (أُحِلَّ لَكُمْ صَيْدُ البَحْرِ) قال : الطرى .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا حكام ، عن عنبسة ، عن الحجاج ، عن العلاء بن بدر ، عن أبى سلمة ، قال : صيد البحر : ما صيد .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبى ، عن سفيان ، عن أبى حصين ، عن سعيد بن جبير (أُحِلَّ لَكُمْ صَيْدُ البَحْرِ) قال : الطرىّ .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا حميد بن عبد الرحمن ، عن سفيان ، عن أبى حصين ، عن سعيد بن جبير مثله .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا عبد الرحمن بن مهدى ، قال : ثنا سفيان ، عن أبى حصين ، عن سعيد بن جبير (أُحِلَّ لَكُمْ صَيْدُ البَحْرِ) قال : السمك الطرىّ .

حدثنا محمد بن الحسين ، قال : ثنا أحمد بن مفضل ، قال : ثنا أسباط ، عن السدىّ (أُحِلَّ لَكُمْ صَيْدُ البَحْرِ) أما صيد البحر : فهو السمك الطرىّ ، هى الحيتان .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنا أبوسفيان ، عن معمر ، عن الزهرى ، عن سعيد بن المسيب ، قال : صيده : ما اصطدته طريا . قال معمر : وقال قتادة : صيده : ما اصطدته .

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبوعاصم ، قال : ثنا عيسى ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد فى قول الله (أُحِلَّ لَكُمْ صَيْدُ البَحْرِ) قال : حيتانه .

قال : حدثنا ابن البرقى ، قال : ثنا عمر بن أبى سلمة ، قال : سئل سعيد عن صيد البحر ، فقال : قال مكحول : قال زيد بن ثابت : صيده : ما اصطدتَ .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا جرير ، عن ليث ، عن مجاهد ، فى قوله (أُحِلَّ لَكُمْ صَيْدُ البَحْرِ وَطَعَامُهُ مَتَاعا لَكُمْ وللسَّيَّارَةِ) قال : يصطاد المحرم والمحلّ من البحر ، ويأكل من صيده .

حدثنا عمرو بن عبد الحميد ، قال : ثنا ابن عيينة ، عن عمرو ، عن عكرمة ، قال : قال أبو بكر : طعام البحر : كلّ ما فيه . وقال جابر بن عبد الله : ما حسر عنه فكل ، وقال : كل ما فيه ، يعنى : جميع ما صيد .

حدثنا سعيد بن الربيع ، قال : ثنا سفيان ، عن عمرو ، سمع عكرمة يقول : قال أبو بكر (وَطَعَامُهُ مَتَاعا لَكُمْ وللسَّيَّارَةِ) قال : هو كل مافيه ؛ وعنى بالبحر فى هذا الموضع : الأنهار كلها ؛ والعرب تسمى الأنهار بحارا ، كما قال تعالى ذكره (ظَهَرَ الفَسَادُ فى البَرِّ والبَحْرِ) .

فتأويل الكلام : أحلّ لكم أيها المؤمنون طرىّ سمك الأنهار الذى صدتموه فى حال حلكم وحرمكم ، ومالم تصيدوه من طعامه الذى قتله ، ثم رمى به إلى ساحله .

واختلف أهل التأويل فى معنى قوله (وَطَعَامُهُ) فقال بعضهم : عُنِى بذلك : ما قذف به إلى ساحله ميتا ، نحو الذى قلنا فى ذلك .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا جرير ، عن مغيرة ، عن سماك ، قال : حدثت ، عن ابن عباس ، قال : خطب أبو بكر الناس ، فقال : أحلّ لكم صيد البحر وطعامه متاعا لكم ، وطعامه : ماقذف .

حدثنى يعقوب ، قال : ثنا هشيم ، قال : أخبرنا عمر بن أبى سلمة ، عن أبيه ، عن أبى هريرة ، قال : كنت بالبحرين ، فسألونى عما قذف البحر ، قال : فأفتيتهم أن يأكلوا ، فلما قدمت على عمر بن الخطاب رضى الله عنه ، ذكرت ذلك له ، فقال لى : بم أفتيتهم ؟ قال : قلت : أفتيتهم أن يأكلوا ، قال : لو أفتيتهم بغير ذلك لعلوتك بالدرّة ، قال : ثم قال : إن الله تعالى قال فى كتابه (أُحِلَّ لَكُمْ صَيْدُ البَحْرِ وَطَعَامُهُ مَتَاعا لَكُمْ) فصيده : ماصيد منه ، وطعامه : ما قذف .

حدثنى يعقوب ، قال : ثنا هشيم ، قال : أخبرنا حصين ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس (أُحِلَّ لَكُمْ صَيْدُ البَحْرِ وطَعَامُهُ مَتَاعاً لَكُمْ) قال : طعامه : ما قذف .

حدثنى يعقوب ، قال : ثنا ابن علية ، عن سليمان التيمى ، عن أبى مجلز ، عن ابن عباس ، فى قوله (أُحِلَّ لَكُمْ صَيْدُ البَحْرِ وَطَعامُهُ) قال : طعامه : ما قذف .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبو خالد الأحمر ، عن سليمان التيمى ، عن أبى مجلز ، عن ابن عباس ، مثله .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا حسين بن علىّ ، عن زائدة ، عن سماك ، عن عكرمة ، عن ابن عباس ، قال : طعامه : كلّ ما ألقاه البحر .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا الحسن بن علىّ أو الحسين بن علىّ الجعفى ، شكّ أبو جعفر ، عن الحكم ابن أبان ، عن عكرمة ، عن ابن عباس ، قال : طعامه : ما لفظ من ميتته .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا يحيى بن واضح ، قال : ثنا الهذيل بن هلال ، قال : ثنا عبد الله بن عبيد ابن عمير ، عن ابن عباس (أُحِلَّ لَكُمْ صَيْدُ البَحْرِ وَطَعامُهُ) قال : طعامه : ما وجد على الساحل ميتا .

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا ابن يمان ، عن سفيان ، عن سليمان التيمى ، عن أبى مجلز ، عن ابن عباس ، قال : طعامه : ماقذف به .

حدثنا سعيد بن الربيع ، قال : ثنا سفيان ، عن عمرو ، سمع عكرمة يقول : قال أبو بكر رضى الله عنه (وَطَعَامُهُ مَتَاعا لَكُمْ) قال : طعامه : هو كلّ ما فيه .

حدثنى محمد بن المثنى ، قال : ثنا الضحاك بن مخلد ، عن ابن جريج ، قال : أخبرنى عمرو بن دينار عن عكرمة مولى ابن عباس ، قال : قال أبو بكر (وَطَعَامُهُ مَتَاعا لَكُمْ) قال : طعامه : ميتته . قال عمرو : وسمعّ أبا الشعثاء يقول : ما كنت أحسب طعامه إلا مالحه .

حدثنا محمد بن المثنى ، قال : ثنى الضحاك بن مخلد ، عن ابن جريج ، قال : أخبرنى أبو بكر بن

حفص بن عمر بن سعد ، عن عكرمة ، عن ابن عباس ، فى قوله (وَطَعَامُهُ مَتَاعا لَكُمْ) قال : طعامه : ميتته .

حدثنا حميد بن مسعدة ، قال : ثنا يزيد بن زريع ، عن عثمان ، عن عكرمة (وَطَعَامُهُ مَتَاعا لَكُمْ) قال : طعامه : ماقذف .

حدثنا بن عبد الأعلى ، قال : ثنا معمر بن سليمان ، قال : سمعت عبيد الله ، عن نافع ، قال : جاء عبد الرحمن إلى عبد الله ، فقال : البحر قد ألقى حيتانا كثيرة ، قال : فنهاه عن أكلها ، ثم قال : يا نافع هات المصحف ، فأتيته به ، فقرأ هذه الآية (أُحِلَّ لَكُمْ صَيْدُ البَحْرِ وَطَعَامُهُ مَتَاعا لَكُمْ) قال : قلت : طعامه : هو الذى ألقاه ، قال : فالحقه ، فمره بأكله .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا عبد الوهاب ، قال : ثنا أيوب ، عن نافع أن عبد الرحمن بن أبى هريرة سأل ابن عمر ، فقال : إن البحر قذف حيتانا كثيرة ميتة أفنأكلها ؟ قال : لاتأكلوها ؛ فلما رجع عبد الله إلى أهله ، أخذ المصحف ، فقرأ سورة المائدة ، فأتى على هذه الآية (وَطَعَامُهُ مَتَاعا لَكُمْ وللسَّيَّارَةِ) قال : اذهب ، فقل له : فليأكله ، فإنه طعامه .

حدثنى يعقوب ، قال : ثنا ابن علية ، قال : أخبرنا أيوب ، عن نافع ، عن ابن عمر ، بنحوه .

حدثنى المثنى ، قال : ثنا الضحاك بن مخلد ، عن ابن جريج ، قال : أخبرنى عمرو بن دينار ، عن عكرمة ، مولى ابن عباس ، قال : قال أبو بكر رضى الله عنه (وَطَعَامُهُ مَتَاعا لَكُمْ) قال : ميتته ، قال عمرو : سمعت أبا الشعثاء يقول : ما كنت أحسب طعامه : إلا مالحه .

حدثنا محمد بن المثنى ، قال : ثنا الضحاك بن مخلد ، عن ابن جريج ، قال : أخبرنا نافع أن عبد الرحمن ابن أبى هريرة ، سأل ابن عمر عن حيتان كثيرة ألقاها البحر ، أميتة هى ؟ قال : نعم ، فنهاه عنها ، ثم دخل البيت ، فدعا بالمصحف ، فقرأ تلك الآية (أُحِلَّ لَكُمْ صَيْدُ البَحْرِ وَطَعَامُهُ مَتَاعا لَكُمْ) قال : طعامه : كل شىء أخرج منه فكله ، فليس به بأس ، وكل شىء فيه يؤكل ميتا أو بساحله .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنا أبوسفيان ، عن معمر ، قال : قتادة طعامه : ماقذف منه .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبو خالد ، عن ليث ، عن شهر ، عن أبى أيوب ، قال : ما لفظ البحر ، فهو طعامه ، وإن كان ميتا .

حدثنا هناد ، قال : ثنا أبوالأحوص ، عن ليث ، عن شهر ، قال : سئل أبوأيوب ، عن قول الله تعالى (أُحِلَّ لَكُمْ صَيْدُ البَحْرِ وَطَعَامُهُ مَتَاعا) قال : هو ما لفظ البحر .

وقال آخرون : عنى بقوله (وَطَعَامُهُ) : المليح من السمك .

فيكون تأويل الكلام على ذلك من تأويلهم : أحلّ لكم سمك البحر ومليحه فى كلّ حال ، إحلالكم ، وإحرامكم .

ذكر من قال ذلك

حدثنا سليمان بن عمرو بن خالد البرقى، قال : ثنا محمد بن سلمة ، عن خصيف ، عن عكرمة ، عن ابن عباس (وَطَعَامُهُ) قال : طعامه المالح منه .

حدثنى المثنى ، قال : ثنا عبد الله بن صالح ، قال : ثنى معاوية بن صالح ، عن علىّ بن أبى طلحة ، عن ابن عباس (وَطَعَامُهُ مَتَاعًا لَكُمْ) يعنى بطعامه : مالحه ، وما قذف البحر من مالحه .

حدثنى محمد بن سعد ، قال : ثنى أبى ، قال : ثنى عمى ، قال : ثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس (وَطَعَامُهُ مَتَاعًا لَكُمْ) وهو المالح .

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا ابن يمان ، عن سفيان بن مجمع التيمى ، عن عكرمة ، فى قوله (مَتَاعًا لَكُمْ) قال : المليح .

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا ابن يمان ، عن سفيان ، عن سالم الأفطس وأبى حصين ، عن سعيد بن جبير ، قال : المليح .

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا ابن يمان ، عن سفيان ، عن منصور ، عن إبراهيم (وَطَعَامُهُ مَتَاعًا لَكُمْ) قال : المليح وما لفظ .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا حكام ، عن عنبسة ، عن سالم ، عن سعيد بن جبير ، فى قوله (أُحِلَّ لَكُمْ صَيْدُ الْبَحْرِ وَطَعَامُهُ مَتَاعًا لَكُمْ) قال : يأتى الرجل أهل البحر فيقول : أطعمونى ، فإن قال : غريضا ، ألقوا شبكتهم فصادوا له ، وإن قال : أطعمونى من طعامكم ، أطعموه من سمكهم المالح .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا ابن فضيل ، عن عطاء ، عن سعيد (أُحِلَّ لَكُمْ صَيْدُ الْبَحْرِ وَطَعَامُهُ) قال : المنبوذ السمك المالح .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبى ، عن سفيان ، عن أبى حصين ، عن سعيد بن جبير (وَطَعَامُهُ) قال : المالح .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبى ، عن سفيان ، عن منصور ، عن إبراهيم وطعامه ، قال : هو مالحه ، ثم قال : ما قذف .

حدثنا ابن معاذ ، قال : ثنا جامع بن حماد ، قال : ثنا يزيد بن زريع ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (وَطَعَامُهُ) قال : مملوح السمك .

حدثنا هناد ، قال : ثنا ابن أبى زائدة ، قال : أخبرنى الثورى ، عن منصور ، قال : كان إبراهيم يقول : طعامه : السمك المليح ، ثم قال بعدُ : ما قذف به .

حدثنا هناد ، قال : ثنا ابن أبى زائدة ، قال : أخبرنا الثورى ، عن أبى حصين ، عن سعيد بن جبير ، قال : طعامه : المليح .

حدثنا هناد ، قال : ثنا ابن أبى زائدة ، قال : أخبرنا إسرائيل ، عن عبد الكريم ، عن مجاهد ، قال : طعامه : السمك المليح .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا محمد بن جعفر ، قال : ثنا شعبة ، عن أبى بشر ، عن سعيد بن جبير فى هذه الآية (وَطَعَامُهُ مَتَاعاً لَكُمْ) قال : الصير ، قال شعبة : فقلت لأبى بشر : ما الصِّير ؟ قال : المالح .

حدثنا ابن المثنى ، قال : ثنا هشام بن الوليد ، قال : ثنا شعبة ، عن أبى بشر ، عن جعفر بن أبى وحشية ، عن سعيد بن جبير ، قوله (وَطَعَامُهُ مَتَاعاً لَكُمْ) قال : الصير ، قال : قلت : ما الصير ؟ قال : المالح .

حدثنى محمد بن الحسين ، قال : ثنا أحمد بن مفضل ، قال : ثنا أسباط ، عن السدىّ (وَطَعَامُهُ مَتَاعاً لَكُمْ) قال : أما طعامه فهو المالح .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنا أبو سفيان ، عن معمر ، عن الزهرى ، عن سعيد بن المسيب (وَطَعَامُهُ مَتَاعاً لَكُمْ) قال : طعامه : ما تزوّدت مملوحا فى سفرك .

حدثنا عمرو بن عبد الحميد وسعيد بن الربيع الرازى ، قالا . ثنا سفيان بن عمر ، قال : قال جابر بن زيد : كنا نتحدّث أن طعامه مليحه ، ونكره الطافى منه .

وقال آخرون : طعامه : ما فيه .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا ابن عيينة ، عن عمرو ، عن عكرمة ، قال : طعام البحر : ما فيه .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبى ، عن حريث ، عن عكرمة (وَطَعَامُهُ مَتَاعاً لَكُمْ) قال : ما جاء به البحر بوجه .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا حميد بن عبد الرحمن ، عن حسن بن صالح ، عن ليث ، عن مجاهد ، قال : طعامه : كلّ ما صيد منه .

☼ وأولى هذه الأقوال بالصواب عندنا ، قول من قال : طعامه : ما قذفه البحر ، أو حسر عنه ، فوجد ميتا على ساحله ، وذلك أن الله تعالى ذكر قبله صيد الذى يصاد ، فقال (أُحِلَّ لَكُمْ صَيْدُ الْبَحْرِ) فالذى يجب أن يعطف عليه فى المفهوم ما لم يصد منه ، فقال : أحلّ لكم صيدُ ما صدتموه من البحر وما لم تصيدوه منه . وأما المليح ، فإنه ما كان منه ملّح بعد الاصطياد ، فقد دخل فى جملة قوله (أُحِلَّ لَكُمْ صَيْدُ الْبَحْرِ) فلا وجه لتكريره ، إذ لا فائدة فيه . وقد أعلم عباده تعالى إحلاله ما صيد من البحر بقوله (أُحِلَّ لَكُمْ صَيْدُ الْبَحْرِ) فلا فائدة أن يقال لهم بعد ذلك : ومليحه الذى صيد حلال لكم ، لأن ما صيد منه فقد بين تحليله ، طريا كان أو مليحا بقوله (أُحِلَّ لَكُمْ صَيْدُ الْبَحْرِ) والله يتعالى عن أن يخاطب عباده بما لا يفيدهم به فائدة .

وقد رُوِى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم بنحو الذى قلنا خبر ، وإن كان بعض نقلته يقف به على ناقله عنه من الصحابة ، وذلك ما حدثنا به هناد بن السرىّ ، قال : ثنا عبدة بن سليمان ، عن محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو سلمة ، عن أبى هريرة ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (أُحِلَّ لَكُمْ

صَيْدُ الْبَحْرِ وَطَعَامُهُ مَتَاعا لَكُمْ) قال : طعامه : ما لفظه ميتا فهوطعامه . وقد وقف هذا الحديث بعضهم على أبى هريرة :

حدثنا هناد ، قال : ثنا ابن أبى زائدة ، عن محمد بن عمرو ، عن أبى سلمة ، عن أبى هريرة فى قوله (أُحِلَّ لَكُمْ صَيْدُ الْبَحْرِ وَطَعَامُهُ) قال : طعامه : ما لفظه ميتا .

القول فى تأويل قوله تعالى : ﴿مَتَاعا لَكُمْ وللسَّيَّارَةِ﴾ :

يعنى تعالى ذكره بقوله (مَتَاعا لَكُمْ) منفعة لمن كان منكم مقيما أوحاضرا فى بلده يستمتع بأكله وينتفع به (وللسَّيَّارة) يقول : ومنفعة أيضا ومتعة للسائرين من أرض إلى أرض ، ومسافرين يتزوّدونه فى سفرهم مليحا : والسيَّارة : جمع سيَّار .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك ، قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنى يعقوب ، قال : ثنا هشيم ، قال : أخبرنى أبو إسحاق ، عن عكرمة ، أنه قال فى قوله (مَتَاعا لَكُمْ وللسَّيَّارَةِ) قال : لمن كان بحضرة البحر ، وللسيَّارة السفر .

حدثنى يعقوب ، قال : ثنا ابن علية ، عن سعيد بن أبى عروبة ، عن قتادة ، فى قوله (وَطَعَامُهُ مَتَاعا لَكُمْ وللسيَّارَةِ) ما قذف البحر ، وما يتزوّدون فى أسفارهم من هذا المالح ، يتأوّلها على هذا .

حدثنا بشر بن معاذ ، قال : ثنا جامع بن حماد ، قال : ثنا يزيد بن زريع ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (وَطَعَامُهُ مَتَاعا لَكُمْ وللسَّيَّارَةِ) : مملوح السمك ما يتزوّدون فى أسفارهم .

حدثنا سليمان بن عمرو بن خالد البرقى ، قال : ثنا مسكين بن بكير ، قال : ثنا عبد السلام بن حبيب النجارى ، عن الحسن ، فى قوله (وللسَّيَّارَةِ) قال : هم المحرمون .

حدثنى محمد بن الحسين ، قال : ثنا أحمد بن مفضل ، قال : ثنا أسباط ، عن السدىّ (وَطَعَامُهُ مَتَاعا لَكُمْ وللسَّيَّارَةِ) أما طعامه : فهو المالح منه بلاغ يأكل منه السيَّارة فى الأسفار .

حدثنا المثنى ، قال : ثنا أبوصالح ، قال : ثنى معاوية بن صالح ، عن علىّ بن أبى طلحة ، عن ابن عباس (وَطَعَامُهُ مَتَاعا لَكُمْ وللسَّيَّارَةِ) قال : طعامه : مالحه وما قذف البحر منه يتزوّده المسافر ، وقال مرّة أخرى : مالحه ، وما قذف البحر ، فمالحه يتزوّده المسافر .

حدثنى محمد بن سعد ، قال : ثنى أبى ، قال : ثنى عمى ، قال : ثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس (وَطَعَامُهُ مَتَاعالَكُمْ وللسَّيَّارَةِ) يعنى المالح فيتزوّده .

وكان مجاهد يقول فى ذلك بما حدثنى محمد بن عمر ، قال : ثنا أبوعاصم ، قال : ثنا عيسى ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد (وَطَعَامُهُ مَتَاعا لَكُمْ) قال : أهل القرى ، وللسيَّارة أهل الأمصار .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، قوله (مَتَاعا لَكُمْ) قال لأهل القرى ، وللسيارة ، قال : أهل الأمصار وأجناس الناس كلهم ، وهذا الذى قاله

مجاهد من أن السيارة هم أهل الأمصار لاوجه له مفهوم ، إلا أن يكون أراد بقوله هم أهل الأمصار : هم المسافرون من أهل الأمصار ، فيجب أن يدخل فى ذلك كلّ سيارة من أهل الأمصار كانوا ، أو من أهل القُرى ، فأما السيّارة فلا يشمل المقيمين فى أمصارهم .

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿وَحُرِّمَ عَلَيْكُمْ صَيْدُ الْبَرِّ ما دُمْتُمْ حُرُماً﴾ :

يعنى تعالى ذكره : وحرّم عليكم أيها المؤمنون ، صيد البرّ مادمتم حرما ، يقول : ما كنتم محرمين لم تحلوا من إحرامكم :

ثم اختلف أهل العلم فى المعنى الذى عنى الله تعالى ذكره بقوله (وَحُرِّمَ عَلَيْكُمْ صَيْدُ الْبَرِّ) فقال بعضهم : عنى بذلك : أنه حرّم علينا كلّ معانى صيد البرّ من اصطياد، وأكل وقتل ، وبيع وشراء ، وإمساك وتملكّ .

ذكر من قال ذلك

حدثنى يعقوب ، قال : ثنا هشيم ، عن يزيد بن أبى زياد ، عن عبد الله بن الحرث ، عن نوفل ، عن أبيه ، قال : حجّ عثمان بن عفان ، فحجّ علىّ معه ، قال : فأُتى عثمان بلحم صيد صاده حلال ، فأكل منه ولم يأكل علىّ ، فقال عثمان : والله ما صدنا ولا أمرنا ولا أشرنا ، فقال علىّ): (وَحُرِّمَ عَلَيْكُمْ صَيْدُ الْبَرِّ مادُمْتُمْ حُرُماً) .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا هارون بن المغيرة ، عن عمرو بن أبى قيس ، عن سماك ، عن صبيح بن عبيد الله العبسى ، قال : بعث عثمان بن عفان أبا سفيان بن الحرث على العروض ، فنزل قديدا ، فمرّ به رجل من أهل الشام معه باز وصقر ، فاستعاره منه ، فاصطاد به من اليعاقيب ، فجعلهنّ فى حظيرة : فلما مرّ به عثمان طبخهنّ ، ثم قدمهنّ إليه ، فقال عثمان : كلوا ، فقال بعضهم : حتى يجىء علىّ بن أبى طالب ، فلما جاء فرأى مابين أيديهم ، قال علىّ : إنا لن نأكل منه ، فقال عثمان : مالك لاتأكل ؟ فقال : هو صيد ، ولا يحلّ أكله وأنا محرم ، فقال عثمان : بيّن لنا ، فقال علىّ (يا أَيُّها الَّذِينَ آمَنُوا لاتَقْتُلُوا الصَّيْدَ وَأَنْتُمْ حُرُمٌ) فقال عثمان : أو نحن قتلناه ؟ فقرأ عليه (أُحِلَّ لَكُمْ صَيْدُ الْبَحْرِ وَطَعامُهُ مَتاعا لَكُمْ وللسَّيَّارَةِ ، وَحُرِّمَ عَلَيْكُمْ صَيْدُ الْبَرِّ ما دُمْتُمْ حُرُما) .

حدثنا تميم بن المنتصر وعبد الحميد بن بيان القناد ، قالا : أخبرنا أبو إسحاق الأزرق ، عن شريك ، عن سماك بن حرب ، عن صبيح بن عبيد الله العبسى ، قال : استعمل عثمان بن عفان أبا سفيان بن الحرث على العروض ، ثم ذكر نحوه ؛ وزاد فيه : قال : فمكث عثمان ما شاء الله أن يمكث ، ثم أتى فقيل له بمكة : هل لك فى ابن أبى طالب أهدى له صفيف حمار ، فهو يأكل منه ، فأرسل إليه عثمان وسأله عن أكل الصفيف ، فقال : أما أنت فتأكل ، وأما نحن فتنهانا ، فقال : إنه صيد عام أوّل ، وأنا حلال ، فليس علىّ بأكله بأس ، وصيد ذلك ، يعنى اليعاقيب وأنا محرم ، وذبحن وأنا حرام .

حدثنا عمران بن موسى القزّاز ، قال : ثنا عبد الوارث بن سعيد ، قال : ثنا يونس، عن الحسن ، أن عمر بن الخطاب لم يكن يرى بأسا بلحم الصيد للمحرم ، وكرهه علىّ بن أبى طالب رضى الله عنه .

حدثنا محمد بن عبد الله بن بزيع ، قال : ثنا بشر بن المفضل ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، عن سعيد بن المسيب ، أن عليا كره لحم الصيد للمحرم على كلّ حال .

حدثنا محمد بن المثنى ، قال : ثنا محمد بن جعفر ، قال : ثنا شعبة ، عن يزيد بن أبى زياد ، عن عبد الله بن الحرث ، أنه شهد عثمان وعليا أتيا بلحم ، فأكل عثمان ، ولم يأكل علىّ ، فقال عثمان : أنحن صدنا ، أوصيد لنا ؟ فقرأ علىّ هذه الآية (أُحِلَّ لَكُمْ صَيْدُ الْبَحْرِ وَطَعَامُهُ مَتَاعا لَكُمْ وَلِلسَّيَّارَةِ وَحُرِّمَ عَلَيْكُمْ صَيْدُ الْبَرِّ مَا دُمْتُمْ حُرُما) .

حدثنى يعقوب ، قال : ثنا هشيم ، قال : أخبرنا عمر بن أبى سلمة ، عن أبيه ، قال : حجّ عثمان بن عفان ، فحجّ معه علىّ ، فأتى بلحم صيد صاده حلال ، فأكل منه ، وهو محرم ، ولم يأكل منه علىّ ، فقال عثمان : إنه صيد قبل أن نحرم ، فقال له علىّ ونحن قد بدا لنا وأهالينا لنا حلال ، أفيحللن لنا اليوم .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا هارون ، عن عمرو بن عبد الكريم ، عن مجاهد ، عن عبد الله بن الحرث ابن نوفل ، أن عليا أُتى بشقّ عجز حمار وهو محرم ، فقال : إنى محرم .

حدثنا ابن بزيع ، قال : ثنا بشر بن المفضل قال : ثنا سعيد ، عن يعلى بن حكيم ، عن عكرمة ، عن ابن عباس ، أنه كان يكرهه على كلّ حال ما كان محرما .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا ابن جريج ، قال : أخبرنا نافع أن ابن عمر كان يكره كل شىء من الصيد وهو حرام ، أخذ له ، أو لم يؤخذ له وشيقة وغيرها .

حدثنا ابن المثنى ، قال : ثنا يحيى بن سعيد القطان ، عن عبد الله ، قال : أخبرنى نافع أن ابن عمر كان لايأكل الصيد وهو محرم ، وإن صاده الحلال .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : أخبرنا ابن جريج ، قال : أخبرنى الحسن بن مسلم بن يناق ، أن طاوسا كان ينهى الحرام عن أكل الصيد وشيقة وغيرها صيد له أو لم يصد له .

حدثنا عبد الأعلى ، قال : ثنا خالد بن الحرث ، قال : ثنا الأشعث ، قال : قال الحسن : إذا صاد الصيد ، ثم أحرم لم يأكل من لحمه حتى يحلّ ، فإن أكل منه وهو محرم ، لم ير الحسن عليه شيئا .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا حكام وهارون عن عنبسة ، عن سالم ، قال : سألت سعيد بن جبير ، عن الصيد يصيده الحلال ، أيأكل منه المحرم ؟ فقال : سأذكر لك من ذلك : إن الله تعالى قال (يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لاتَقْتُلُوا الصَّيْدَ وَأَنْتُمْ حُرُمٌ) فنهى عن قتله ، ثم قال (وَمَنْ قَتَلَهُ مِنْكُمْ مُتَعَمِّدًا ، فَجَزَاءٌ مِثْلُ ماقَتَلَ مِنَ النَّعَمِ) ثم قال تعالى (أُحِلَّ لَكُمْ صَيْدُ الْبَحْرِ وَطَعَامُهُ مَتَاعا لَكُمْ وَلِلسَّيَّارَةِ) قال : يأتى الرجل أهل البحر ، فيقول : أطعمونى ، فإن قال : غريضا ، ألقوا شبكتهم

فصادوا له ، وإن قال : أطعمونى من طعامكم ، أطعموه من سمكهم المالح ، ثم قال (وَحُرِّمَ عَلَيْكُمْ صَيْدُ الْبَرِّ ما دُمْتُمْ حُرُما) وهو عليك حرام ، صِدته أو صاده حلال .

وقال آخرون : إنما عنى الله تعالى بقوله (وَحُرِّمَ عَلَيْكُمْ صَيْدُ الْبَرِّ مادُمْتُمْ حُرُما) : ما استحدث المحرم صيده فى حال إحرامه أو ذبحه ، أو استحدث له ذلك فى تلك الحال . فأما ما ذبحه حلال ، وللحلال فلا بأس بأكله للمحرم ، وكذلك ما كان فى ملكه قبل حال إحرامه ، فغير محرّم عليه إمساكه .

ذكر من قال ذلك

حدثنى محمد بن عبد الله بن بزيع ، قال : ثنا بشر بن المفضل ، قال : ثنا سعيد ، قال : ثنا قتادة ، أن سعيد بن المسيب حدثه ، عن أبى هريرة ، أنه سئل عن صيد صاده حلال ، أيأكله المحرم ؟ قال : فأفتاه هو بأكله ، ثم لقى عمر بن الخطاب فأخبره بما كان من أمره ، فقال : لو أفتيتهم بغير هذا لأوجعت لك رأسك .

حدثنا أحمد بن عبدة الضبىّ ، قال : ثنا أبوعوانة ، عن عمر بن أبى سلمة ، عن أبيه ، قال : نزل عثمان بن عفان العرج وهو محرم ، فأهدى صاحب العرج له قَطاً ، قال : فقال لأصحابه : كلوا فإنه إنما اصطيد على اسمى ، قال : فأكلوا ولم يأكل .

حدثنا ابن بشار وابن المثنى ، قالا : ثنا ابن أبى عدىّ ، عن سعيد ، عن قتادة ، عن سعيد بن المسيب ، أن أباهريرة كان بالربذة ، فسألوه عن لحم صيد صاده حلال ، ثم ذكر نحو حديث ابن بزيع ، عن بشر .

حدثنا ابن المثنى ، قال : ثنا محمد بن جعفر ، قال : ثنا شعبة ، عن قتادة ، عن سعيد بن المسيب ، عن أبى هريرة ، عن عمر ، نحوه .

حدثنا ابن المثنى ، قال : ثنا ابن أبى عدىّ ، عن شعبة ، عن أبى إسحاق ، عن أبى الشعثاء ، قال : سألت ابن عمر عن لحم صيد يُهديه الحلال إلى الحرام ، فقال : أكله عمر ، وكان لايرى به بأسا ، قال : قلت : تأكله ، قال : عمر خير منى .

حدثنا ابن المثنى ، قال : ثنا يحيى بن سعيد ، عن شعبة ، قال : ثنا أبو إسحاق ، عن أبى الشعثاء ، قال : سألت ابن عمر عن صيد صاده حلال يأكل منه حرام ؟ قال : كان عمر يأكله ، قال : قلت : فأنت قال : كان عمر خيرا منى .

حدثنا ابن المثنى ، قال : ثنا ابن أبى عدىّ ، عن هشام ، عن يحيى ، عن أبى سلمة ، عن أبى هريرة ، قال : استفتانى رجل من أهل الشام فى لحم صيد أصابه وهو محرم ، فأمرته أن يأكله ، فأتيت عمر بن الخطاب فقلت له : إن رجلا من أهل الشام استفتانى فى لحم صيد أصابه وهو محرم ، قال : فما أفتيته ؟ قال : قلت أفتيته أن يأكله ، قال : فوالذى نفسى بيده ، لو أفتيته بغير ذلك لعلوتك بالدرّة ، وقال عمر : إنما نهيت أن تصطاده .

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا مصعب بن المقدام ، قال : ثنا خارجة عن زيد بن أسلم ، عن عطاء ،

عن كعب ، قال : أقبلت في أناس محرمين ، فأصبنا لحم حمار وحش ، فسألني الناس عن أكله ، فأفتيتهم بأكله وهم محرمون ، فقدمنا على عمر فأخبروه أني أفتيتهم بأكل حمار الوحش وهم محرمون ، فقال عمر : قد أمّرته عليكم حتى ترجعوا .

حدثني يعقوب ، قال : ثنا هشيم ، قال : أخبرنا يحيى بن سعيد ، عن سعيد بن المسيب ، عن أبي هريرة ، قال : مررت بالربذة ، فسألني أهلها عن المحرم يأكل ما صاده الحلال ، فأفتيتهم أن يأكلوه ، فلقيت عمر بن الخطاب ، فذكرت ذلك له ، قال : فبم أفتيتهم ؟ قال : أفتيتهم أن يأكلوا ، قال : لو أفتيتهم بغير ذلك لخالفتك .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا يحيى بن واضح ، عن يونس ، عن أبي الشعثاء الكندى ، قال : قلت لابن عمر : كيف ترى في قوم حرام لقوا قوما حلالا ، ومعهم لحم صيد ، فإما باعوهم ، وإما أطعموهم ؟ فقال : حلال .

حدثنا سعيد بن يحيى الأموى ، قال : ثنا محمد بن سعيد ، قال : ثنا هشام ، يعني ابن عروة ، قال : ثنا عروة ، عن يحيى بن عبد الرحمن بن حاطب ، أن عبد الرحمن حدثه ، أنه اعتمر مع عثمان بن عفان في ركب فيهم عمرو بن العاص حتى نزلوا بالروحاء ، فقرّب إليهم طير وهم محرمون ، فقال لهم عثمان : كلوا فإني غير آكله ، فقال عمرو بن العاص : أتأمرنا بما لست آكلا ؟ فقال عثمان : إني لولا أظنّ أنه صيد من أجلي لأكلت ، فأكل القوم .

حدثنا ابن المثنى ، قال : ثنا محمد بن جعفر ، قال : ثنا شعبة ، عن هشام بن عروة ، عن أبيه ، أن الزبير كان يتزوّد لحوم الوحش وهو محرم .

حدثنا عبد الحميد بن بيان ، قال : أخبرنا إسحاق ، عن شريك ، عن سماك بن حرب ، عن عكرمة ، عن ابن عباس ، قال : ما صيد أو ذبح وأنت حلال ، فهو لك حلال ، وما صيد أو ذبح وأنت حرام ، فهو عليك حرام .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا هارون ، عن عمرو ، عن سماك ، عن عكرمة ، عن ابن عباس ، قال : ما صيد من شيء وأنت حرام ، فهو عليك حرام ، وما صيد من شيء وأنت حلال ، فهو لك حلال .

حدثني محمد بن سعد ، قال : ثني أبي ، قال : ثني عمي ، قال : ثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس (وَحُرِّمَ عَلَيْكُمْ صَيْدُ الْبَرِّ مَا دُمْتُمْ حُرُمًا) فجعل الصيد حراما على المحرم صيده وأكله ما دام حراما ، وإن كان الصيد صيد قبل أن يحرم الرجل فهو حلال ، وإن صاده حرام لحلال فلا يحلّ له أكله .

حدثني يعقوب ، قال : ثنا هشيم ، قال : سألت أبا بشر ، عن المحرم يأكل مما صاده الحلال ، قال : كان سعيد بن جبير ومجاهد يقولان : ما صيد قبل أن يحرم أكل منه ، وما صيد بعد ما أحرم لم يأكل منه .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا ابن جريج ، قال : كان عطاء يقول : إذا سئل

فى العلانية أيأكل الحرام الوشيقة ، والشيء اليابس ، يقول : بينى وبينه لاأستطيع أن أبين لك فى مجلس ، إن ذبح قبل أن يحرم فكل ، وإلا فلا تبع لحمه ، ولا تبتع .

وقال آخرون : إنما عنى الله تعالى بقوله (وَحُرِّمَ عَلَيْكُمْ صَيْدُ الْبَرِّ مَا دُمْتُمْ حُرُمًا) وحرّم عليكم اصطياده ، قالوا : فأما شراؤه من مالك يملكه وذبحه وأكله بعد أن يكون ملكه إياه على غير وجه الاصطياد له وبيعه وشراؤه جائز ، قالوا : والنهى من الله تعالى عن صيده فى حال الإحرام دون سائر المعانى .

ذكر من قال ذلك

حدثنى عبد الله بن أحمد بن شبويه ، قال : ثنا ابن أبى مريم ، قال : ثنا يحيى بن أيوب ، قال : أخبرنى يحيى ، أن أباسلمة اشترى قَطا وهو بالعرج ، وهو محرم ، ومعه محمد بن المنكدر ، فأكله ، فعاب عليه ذلك الناس .

☆ والصواب فى ذلك من القول عندنا أن يقال : إن الله تعالى عمّ تحريم كلّ معانى صيد البرّ على المحرم فى حال إحرامه ، من غير أن يخصّ من ذلك شيئا دون شيء ، فكل معانى الصيد حرام على المحرم ما دام حراما بيعه وشراؤه واصطياده وقتله ، وغير ذلك من معانيه ، إلا أن يجده مذبوحا قد ذبحه حلال لحلال ، فيحلّ له حينئذ أكله ، للثابت من الخبر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، الذى حدثناه يعقوب بن إبراهيم ، قال : ثنا يحيى بن سعيد ، عن ابن جريج .

وحدثنى عبد الله بن أبى زياد ، قال : ثنا مكى بن إبراهيم ، قال : ثنا عبد الملك بن جريج ، قال : أخبرنى محمد بن المنكدر ، عن معاذ بن عبد الرحمن بن عثمان ، عن أبيه عبد الرحمن بن عثمان ، قال : كنا مع طلحة بن عبيد الله ، ونحن حرُم ، فأهدى لنا طائر ، فمنا من أكل ، ومنا من تورّع فلم يأكل ؛ فلما استيقظ طلحة وافق من أكل ، وقال : أكلناه مع رسول الله صلى الله عليه وسلم .

☆ فإن قال قائل : فما أنت قائل فيما روى عن الصعب بن جثامة « أنه أهدى إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم رَجُل حمار وحش يقطر دما ، فردّه فقال : إنا حرم » . وفيما روى عن عائشة ، أن وشيقة ظبى أهديت إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو محرم ، فردّها ، وما أشبه ذلك من الأخبار ؟ قيل : إنه ليس فى واحد من هذه الأخبار التى جاءت بهذا المعنى ، بيان أن رسول الله صلى الله عليه وسلم ردّ من ذلك ما ردّ ، وقد ذبحه الذابح إذ ذبحه وهو حلال لحلال ، ثم أهداه إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وهو حرام ، فردّه . وقال : إنه لايحلّ لنا لأنا حرم ، وإنما ذكر فيه أنه أهدى لرسول الله صلى الله عليه وسلم لحم صيد فردّه ، وقد يجوز أن يكون ردّه ذلك من أجل أن ذابحه ذبحه ، أو صائده صاده من أجله صلى الله عليه وسلم وهو محرم ، وقد بين خبر جابر عن النبىّ صلى الله عليه وسلم بقوله : لحم صيد للمحرم حلال ، إلا ما صاده ، أو صيد له ، معنى ذلك كله ، فإذا كان كلا الخبرين صحيحا مخرجهما ، فواجب التصديق بهما ، وتوجيه كل واحد منهما إلى الصحيح من وجه ، وأن يقال ردّه ما ردّ من ذلك

من أجل أنه كان صيد من أجله ، وإذنه فى كل ما أذن فى أكله منه ، من أجل أنه لم يكن صيد لمحرم ، ولا صاده محرم ، فيصحّ معنى الخبرين كليهما .

واختلفوا فى صفة الصيد الذى عنى الله تعالى بالتحريم ، فى قوله (وَحُرِّمَ عَلَيْكُمْ صَيْدُ البَرِّ ما دُمْتُمْ حُرُمًا) فقال بعضهم : صيد البرّ : كلّ ما كان يعيش فى البرّ والبحر ؛ وإنما صيد البحر ما كان يعيش فى الماء دون البرّ ، ويأوى إليه .

ذكر من قال ذلك

حدثنا هناد بن السرىّ ، قال : ثنا وكيع ، وحدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبى ، عن عمران بن حُدَير ، عن أبى مجلز (وَحُرِّمَ عَلَيْكُمْ صَيْدُ البَرِّ ما دُمْتُمْ حُرُمًا) قال : ما كان يعيش فى البرّ والبحر لايصيده ، وما كان حياته فى الماء فذاك .

حدثنى يعقوب بن إبراهيم ، قال : ثنا هشيم ، قال : أخبرنا الحجاج ، عن عطاء ، قال : ما كان يعيش فى البرّ فأصابه المحرم فعليه جزاؤه ، نحو السلحفاة والسرطان والضفادع .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا هارون بن المغيرة ، عن عمرو بن أبى قيس ، عن الحجاج ، عن عطاء ، قال : كلّ شىء عاش فى البرّ والبحر ، فأصابه المحرم فعليه الكفّارة .

حدثنا أبو كريب وأبو السائب ، قالا : ثنا ابن إدريس ، قال : ثنا يزيد بن أبى زياد ، عن عبد الملك ، عن سعيد بن جبير ، قال : خرجنا حجاجا ، معنا رجل من أهل السواد ، معه شصوص طير ماء ، فقال له أبى حين أحرمنا : اعزل هذا عنا .

وحدثنا به أبو كريب مرّة أخرى ، قال : ثنا ابن إدريس ، قال : سمعت يزيد بن أبى زياد ، [قال : ثنا حجاج ، عن عطاء أنه كره للمحرم أن يذبح الدجاج الزنجى ، لأن له أصلا فى البرّ .

وقال بعضهم : صيد البرّ ما كان كونه فى البرّ أكثر من كونه فى البحر .

ذكر من قال ذلك

حدثنا محمد بن بشار ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال ابن جريج : أخبرناه ، قال : سألت عطاء ، عن ابن الماء ، أصيد برّ ، أم بحر ؟ وعن أشباهه ، فقال : حيث يكون أكثر فهو صيده .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى وكيع ، عن سفيان ، عن رجل ، عن عطاء بن أبى رباح ، قال : أكثر ما يكون حيث يُفرخ ، فهو منه .

القول فى تأويل قوله تعالى : ﴿وَاتَّقُوا اللهَ الَّذِى إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ﴾ :

وهذا تقدّم من الله تعالى ذكره إلى خلقه بالحذر من عقابه على معاصيه ، يقول تعالى : واخشوا الله أيها الناس ، واحذروه بطاعته فيما أمركم به من فرائضه ، وفيما نهاكم عنه فى هذه الآيات التى أنزلها على نبيكم صلى الله عليه وسلم من النهى عن الخمر والميسر والأنصاب والأزلام ، وعن إصابة صيد البرّ وقتله فى حال

إحرامكم ، وفى غيرها ، فإن الله مصيركم ومرجعكم ، فيعاقبكم بمعصيتكم إياه ، ويجازيكم ، فيثيبكم على طاعتكم له .

القول في تأويل قوله تعالى :

جَعَلَ ٱللَّهُ ٱلْكَعْبَةَ ٱلْبَيْتَ ٱلْحَرَامَ قِيَـٰمًا لِّلنَّاسِ وَٱلشَّهْرَ ٱلْحَرَامَ وَٱلْهَدْىَ وَٱلْقَلَـٰٓئِدَ ۚ ذَٰلِكَ لِتَعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ وَأَنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿٩٧﴾

يقول تعالى ذكره : صير الله الكعبة البيت الحرام قواما للناس ، الذين لاقوام لهم من رئيس يحجز قويهم عن ضعيفهم ، ومسيئهم عن محسنهم ، وظالمهم عن مظلومهم ، والشهر الحرام ، والهدى والقلائد ، فحجز بكلّ واحد من ذلك بعضهم عن بعض ، إذ لم يكن لهم قيام غيره ، وجعلها معالم لدينهم ومصالح أمورهم ، والكعبة سميت فيما قيل كعبة لتربيعها .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبى ، عن سفيان ، عن ابن أبى نجيح عن مجاهد قال : إنما سميت الكعبة لأنها مربعة .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا هاشم بن القاسم ، عن أبى سعيد المؤدّب ، عن النضر بن عربى ، عن عكرمة ، قال : إنما سميت الكعبة لتربيعها » وقيل (قِياما للنَّاسِ) بالياء ، وهو من ذوات الواو لكسرة القاف ، وهى فاء الفعل ، فجعلت العين منه بالكسرة ياء ، كما قيل فى مصدر : قمت قياما ، وصمت صياما ، فحوّلت العين من الفعل وهى واو ياء لكسرة فائه ، وإنما هو فى الأصل : قمت قواما ، وصمت صواما ، وكذلك قوله (جَعَلَ اللهُ الكَعْبَةَ البَيْتَ الحَرَامَ قِياما للنَّاسِ) فحوّلت واوها ياء ، إذ هى قوام ، وقد جاء ذلك من كلامهم مقولا على أصله الذى هو أصله ، قال الراجز :

قِوَامُ دُنْيا وَقِوَامُ دِين [1]

فجاء به بالواو على أصله ، وجعل تعالى ذكره ، الكعبة ، والشهر الحرام ، والهدى ، والقلائد قواما لمن كان يحترم ذلك من العرب ويعظمه ، بمنزلة الرئيس الذى يقوم به أمر تباعه .

وأما الكعبة ، فالحرم كله ، وسماها الله تعالى حراما لتحريمه إياها أن يصاد صيدها ، أو يختلى خلاها ، أو يعضد شجرها . وقد بينا ذلك بشواهده فيما مضى قبل .

وقوله (وَالشَّهْرَ الحَرَامَ وَالهَدْىَ وَالقَلائِدَ) يقول تعالى ذكره : وجعل الشهر الحرام والهدى والقلائد أيضا قياما للناس ، كما جعل الكعبة البيت الحرام لهم قياما ، والناس الذين جعل ذلك لهم قياما مختلف فيهم ، فقال بعضهم : جعل الله ذلك فى الجاهلية قياما للناس كلهم . وقال بعضهم : بل عنى به العرب خاصة .

(١) فى (اللسان : قوم) : قوام الأمر ، بالكسر : نظامه وعماده . ويقال : هذا قوام الأمر وملاكه : الذى يقوم به . وقال الفراء فى معنى الآية : « ولا تؤتوا السفهاء أموالكم التى جعل الله لكم قياما » يعنى التى تقومون قياما وقواما . . . . وقوام كل شئ : ما استقام به . ولم نقف على قائل البيت .

وبمثل الذى قلنا فى تأويل القوام ، قال أهل التأويل .

ذكر من قال : عنى الله تعالى بقوله (جَعَلَ اللهُ الكَعْبَةَ البَيْتَ الحَرَامَ قِيَاما للنَّاسِ) القوام، على نحو ما قلنا .

حدثنا هناد ، قال : ثنا ابن أبى زائدة ، قال : أخبرنا من سمع خصيفا يحدث عن مجاهد فى (جعلَ اللهُ الكَعْبَةَ البَيْتَ الحَرَامَ قِيَاماً للنَّاسِ) قال : قواما للناس .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا عبيد الله ، عن إسرائيل ، عن خصيف ، عن سعيد بن جبير (قِيَاما للنَّاسِ) قال : صلاحا لدينهم .

حدثنا هناد ، قال : ثنا ابن أبى زائدة ، قال : أخبرنا داود ، عن ابن جريج ، عن مجاهد فى (جَعَلَ اللهُ الكَعْبَةَ البَيْتَ الحَرَامَ قِيَاماً للنَّاسِ) قال : حين لا يرجون جنة ، ولا يخافون نارا ، فشدّد الله ذلك بالإسلام .

حدثنا هناد ، قال : ثنا ابن أبى زائدة ، عن إسرائيل ، عن أبى الهيثم ، عن سعيد بن جبير ، قوله (جَعَلَ اللهُ الكَعْبَةَ البَيْتَ الحَرَامَ قِيَاما للنَّاسِ) قال : شدّة لدينهم .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبى ، عن إسرائيل ، عن أبى الهيثم ، عن سعيد بن جبير ، مثله .

حدثنى محمد بن سعد ، قال : ثنى أبى ، قال : ثنى عمى ، قال : ثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله (جَعَلَ اللهُ الكَعْبَةَ البَيْتَ الحَرَامَ قِيَاما للنَّاسِ) قال : قيامها أن يأمن من توجه إليها .

حدثنى المثنى ، قال : ثنا عبد الله بن صالح ، قال : ثنى معاوية ، عن علىّ ، عن ابن عباس ، قوله (جَعَلَ اللهُ الكَعْبَةَ البَيْتَ الحَرَامَ قِيَاما للنَّاسِ وَالشَّهْرَ الحَرَامَ وَالهَدْىَ وَالقَلَائِدَ) يعنى قياما لدينهم ، ومعالم لحجهم .

حدثنى محمد بن الحسين ، قال : ثنا أحمد بن مفضل ، قال : ثنا أسباط ، عن السدىّ (جَعَلَ اللهُ الكَعْبَةَ البَيْتَ الحَرَامَ قِيَاماً للنَّاسِ وَالشَّهْرَ الحَرَامَ وَالهَدْىَ وَالقَلَائِدَ) جعل الله هذه الأربعة قياما للناس ، هو قوام أمرهم .

وهذه الأقوال وإن اختلفت من قائلها ألفاظها ، فإن معانيها آيلة إلى ما قلنا فى ذلك ، من أن القوام للشىء ، هو الذى به صلاحه ، كالملك الأعظم قوام رعيته ومن فى سلطانه ، لأنه مدبر أمرهم ، وحاجز ظالمهم عن مظلومهم ، والدافع عنهم مكروه من بغاهم وعاداهم ، وكذلك كانت الكعبة والشهر الحرام والهدى والقلائد ، قوام أمر العرب الذى كان به صلاحهم فى الجاهلية ، وهى فى الإسلام لأهله معالم حجهم ومناسكهم ، ومتوجههم لصلاتهم ، وقبلتهم التى باستقبالها يتمّ فرضهم .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك ، قالت جماعة أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر بن معاذ ، قال : ثنا جامع بن حماد ، قال : ثنا يزيد بن زريع ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (جَعَلَ اللهُ الكَعْبَةَ البَيْتَ الحَرَامَ قِيَاما للنَّاسِ وَالشَّهْرَ الحَرَامَ وَالهَدْىَ وَالقَلَائِدَ) حواجز أبقاها الله بين الناس فى الجاهلية ، فكان الرجل لو جرّ كلّ جريرة ، ثم لجأ إلى الحرم ، لم يُتناول ،

ولم يقربه ، وكان الرجل لو لقى قاتل أبيه فى الشهر الحرام لم يعرض له ، ولم يقربه ، وكان الرجل إذا أراد البيت تقلد قلادة من شعر ، فأحمته ومنعته من الناس ، وكان إذا نفر تقلد قلادة من الإذخر ، أو من لحاء السَّمُر ، فمنعته من الناس ، حتى يأتى أهله ، حواجز أبقاها الله بين الناس فى الجاهلية .

حدثنا يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله (جَعَلَ اللهُ الكَعْبَةَ البَيْتَ الحَرَامَ قِياماً للنَّاسِ والشَّهْرَ الحَرَامَ والهَدْىَ والقَلائِدَ) قال : كان الناس كلهم فيهم ملوك تدفع بعضهم عن بعض . قال : ولم يكن فى العرب ملوك تدفع بعضهم عن بعض ، فجعل الله تعالى لهم البيت الحرام قياما ، يدفع بعضهم عن بعض به ، والشهر الحرام كذلك يدفع الله بعضهم عن بعض بالأشهر الحرم والقلائد ، قال : ويلقى الرجل قاتل أخيه أو ابن عمه فلا يعرض له ، وهذا كله قد نسخ .

حدثنى محمد بن سعد ، قال : ثنى أبى ، قال : ثنى عمى ، قال : ثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس (وَالقَلائِدَ) كان ناس يتقلدون لحاء الشجر فى الجاهلية ، إذا أرادوا الحجّ ، فيعرفون بذلك ؛ وقد أتينا على البيان عن ذكر الشهر الحرام والهدى والقلائد فيما مضى ، بما أغنى عن إعادته فى هذا الموضع .

القول فى تأويل قوله تعالى : ﴿ ذَلِكَ لِتَعْلَمُوا أَنَّ اللهَ يَعْلَمُ ما فِى السَّمَوَاتِ وَما فِى الأَرْضِ ، وأَنَّ اللهَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴾ :

يعنى تعالى ذكره بقوله (ذَلِكَ) تصييره الكعبة البيت الحرام قياما للناس والشهر الحرام والهدى والقلائد ، يقول تعالى ذكره : صيّرت لكم أيها الناس ذلك قياما ، كى تعلموا أن من أُحدِث لكم لمصالح دنياكم ما أحدث مما به قوامكم ، علما منه بمنافعكم ومضارّكم أنه كذلك يعلم جميع ما فى السموات وما فى الأرض ، مما فيه صلاح عاجلكم وآجلكم ، ولتعلموا أنه بكلّ شىء عليم ، لايخفى عليه شىء من أموركم وأعمالكم ، وهو محصيها عليكم حتى يجازى المحسن منكم باحسانه ، والمسىء منكم باساءته :

القول فى تأويل قوله تعالى

﴿ ٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ وَأَنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ (٩٨)

يقول تعالى ذكره : اعلموا أيها الناس أن ربكم الذى يعلم ما فى السموات وما فى الأرض ، ولا يخفى عليه شىء من سرائر أعمالكم وعلانيتها ، وهو يحصيها عليكم ليجازيكم بها ، شديد عقابه من عصاه ، وتمرّد عليه على معصيته إياه ، وهو غفور الذنوب من أطاعه ، وأناب إليه ، فساتر عليه ، وتارك فضيحته بها ، رحيم به أن يعاقبه على ما سلف من ذنوبه بعد إنابته وتوبته منها .

القول فى تأويل قوله تعالى :

﴿ مَّا عَلَى ٱلرَّسُولِ إِلَّا ٱلْبَلَـٰغُ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا تَكْتُمُونَ ﴾ (٩٩)

وهذا من الله تعالى ذكره تهديد لعباده ووعيد ، يقول تعالى ذكره : ليس على رسولنا الذى أرسلناه إليكم أيها الناس بانذاركم عقابنا ، بين يدى عذاب شديد ، وإعذارنا إليكم بما فيه قطع حججكم ، إلا أن

يؤدّى إليكم رسالتنا ، ثم إلينا الثواب على الطاعة ، وعلينا العقاب على المعصية (وَاللهُ يَعْلَمُ ما تُبْدُونَ وَما تَكْتُمُونَ) يقول : وغير خفىّ علينا ، المطيع منكم ، القابل رسالتنا ، العامل بما أمرته بالعمل به من العاصى التارك العمل بما أمرته بالعمل به ، لأنا نعلم ماعمله العامل منكم ، فأظهره بجوارحه ، ونطق به لسانه ، (وَما تَكْتُمُونَ) يعنى : ما تخفونه فى أنفسكم من إيمان وكفر ، أو يقين وشكّ ونفاق ، يقول تعالى ذكره : فمن كان كذلك لايخفى عليه شىء من ضمائر الصدور ، وظواهر أعمال النفوس ، مما فى السموات وما فى الأرض ، وبيده الثواب والعقاب ، فحقيق أن يتقى ، وأن يطاع فلا يعصى .

القول فى تأويل قوله تعالى :

قُلْ لَا يَسْتَوِي الْخَبِيثُ وَالطَّيِّبُ وَلَوْ أَعْجَبَكَ كَثْرَةُ الْخَبِيثِ فَاتَّقُوا اللَّهَ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿١٠٠﴾

يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم : قل يامحمد : لايعتدل الردىء والجيد ، والصالح والطالح ، والمطيع والعاصى (وَلَوْ أَعْجَبَكَ كَثْرَةُ الْخَبِيثِ) يقول : لايعتدل العاصى والمطيع لله عند الله ، ولو كثر أهل المعاصى ، فعجبت من كثرتهم ، لأن أهل طاعة الله هم المفلحون ، الفائزون بثواب الله يوم القيامة ، وإن قلوا دون أهل معصيته ، وإنّ أهل معاصيه هم الأخسرون الخائبون وإن كثروا ، يقول تعالى ذكره لنبيه صلى الله عليه وسلم : فلا تعجبنّ من كثرة من يعصى الله فيمهله ولا يعاجله بالعقوبة فإن العقبى الصالحة لأهل طاعة الله عنده دونهم .

كما حدثنى محمد بن الحسين ، قال : ثنا أحمد بن مفضل ، قال : ثنا أسباط ، عن السدىّ (لايَسْتَوِى الخَبِيثُ وَالطَّيِّبُ وَلَوْ أَعْجَبَكَ كَثْرَةُ الخَبِيثِ) قال : الخبيث : هم المشركون والطيِّب : هم المؤمنون ، وهذا الكلام وإن كان مخرجه مخرج الخطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، فالمراد به بعض أتباعه ، يدلّ على ذلك قوله (فاتَّقُوا اللهَ يا أُولى الألْبابِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ) :

القول فى تأويل قوله تعالى : ﴿ فاتَّقُوا اللهَ يا أُولى الألْبابِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾ :

يقول تعالى ذكره : واتقوا الله بطاعته فيما أمركم ونهاكم ، واحذروا أن يستحوذ عليكم الشيطان بإعجابكم كثرة الخبيث ، فتصيروا منهم (يا أُولى الألْبابِ) يعنى بذلك : أهل العقول والحجا ، الذين عقلوا عن الله آياته ، وعرفوا مواقع حججه (لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ) يقول : اتقوا الله لتفلحوا : أى كى تنجحوا فى طلبتكم ما عنده .

القول فى تأويل قوله تعالى :

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَسْأَلُوا عَنْ أَشْيَاءَ إِنْ تُبْدَ لَكُمْ تَسُؤْكُمْ وَإِنْ تَسْأَلُوا عَنْهَا حِينَ يُنَزَّلُ الْقُرْآنُ تُبْدَ لَكُمْ عَفَا اللَّهُ عَنْهَا وَاللَّهُ غَفُورٌ حَلِيمٌ ﴿١٠١﴾

ذكر أن هذه الآية أنزلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم بسبب مسائل كان يسألها إياه أقوام ، امتحانا له أحيانا ، واستهزاء أحيانا ، فيقول له بعضهم : من أبي ؟ ويقول له بعضهم إذا ضلت ناقته : أين ناقتي ؟ فقال لهم تعالى ذكره : لاتسألوا عن أشياء من ذلك ، كمسألة عبد الله بن حذافة إياه مَن أبوه ، (إنْ تُبْدَ لَكُمْ تَسُؤْكُمْ) يقول : إن أبدينا لكم حقيقة ما تسألون عنه ، ساءكم إبداؤها وإظهارها .

وبنحو الذي قلنا في ذلك ، تظاهرت الأخبار ، عن أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم .

ذكر الرواية بذلك

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا بعض بني نفيل ، قال : ثنا زهير بن معاوية ، قال : ثنا أبو الجويرية ، قال : قال ابن عباس لأعرابي من بني سليم : هل تدري فيما أنزلت هذه الآية (يا أيُّها الَّذِينَ آمَنُوا ، لاتَسْأَلُوا عَنْ أشْياءَ إنْ تُبْدَ لَكُمْ تَسُؤْكُمْ) حتى فرغ من الآية ، فقال : كان قوم يسألون رسول الله صلى الله عليه وسلم استهزاء ، فيقول الرجل : من أبي ؟ والرجل تضلّ ناقته فيقول : أين ناقتي ؟ فأنزل الله فيهم هذه الآية .

حدثني محمد بن المثنى ، قال : ثنا أبو عامر وأبو داود ، قالا : ثنا هشام ، عن قتادة ، عن أنس ، قال : سأل الناس رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى أحفوه بالمسألة ، فصعد المنبر ذات يوم ، فقال : « لاتَسْأَلُونِي عَنْ شَيْءٍ إلاَّ بَيَّنْتُهُ لَكُمْ » ، قال أنس : فجعلت أنظر يمينا وشمالا ، فأرى كلّ إنسان لافًّا ثوبه يبكي ، فأنشأ رجل كان إذا لاحى يدعى إلى غير أبيه ، فقال : يا رسول الله ، من أبي ؟ فقال : أبُوكَ حُذَافَةُ ، قال : فأنشأ عمر فقال : رضينا بالله ربا ، وبالإسلام دينا ، وبمحمد صلى الله عليه وسلم رسولا ، وأعوذ بالله من سوء الفتن ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : لَمْ أرَ فِي الشَّرِّ والخَيْرِ كاليَوْمِ قَطُّ ، إنَّهُ صُوِّرَتْ لِيَ الجَنَّةُ وَالنَّارُ حتى رأيْتُهُما وَرَاءَ الحائِطِ » ، وكان قتادة يذكر هذا الحديث عند هذه الآية (لاتَسْأَلُوا عَنْ أشْياءَ إنْ تُبْدَ لَكُمْ تَسُؤْكُمْ) .

حدثني محمد بن معمر البحراني ، قال : ثنا روح بن عبادة ، قال : ثنا شعبة ، قال : أخبرني موسى ابن أنس ، قال : سمعت أنسا يقول : قال رجل : يا رسول الله من أبي ؟ قال : أبُوكَ فُلانٌ ، قال : فنزلت (يا أيُّها الَّذِينَ آمَنُوا لاتَسْألُوا عَنْ أشْياءَ إنْ تُبْدَ لَكُمْ تَسُؤْكُمْ) .

حدثنا بشر بن معاذ ، قال : ثنا يزيد بن زريع ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، في قوله (يا أيُّها الَّذِينَ آمَنُوا لاتَسْألُوا عَنْ أشْياءَ إنْ تُبْدَ لَكُمْ تَسُؤْكُمْ) قال : فحدَّثنا أن أنس بن مالك حدثهم ، « أن رسول الله صلى الله عليه وسلم سألوه حتى أحفوه بالمسألة ، فخرج عليهم ذات يوم ، فصعد المنبر ، فقال : لاتَسْألُونِي اليَوْمَ عَنْ شَيْءٍ إلاَّ بَيَّنْتُهُ لَكُمْ ، فأشفق أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يكون بين يديه أمر قد حضر ، فجعلت لاألتفت يمينا ولا شمالا إلا وجدت كلا لافا رأسه في ثوبه يبكي ، فأنشأ رجل كان يلاحي فيدعى إلى غير أبيه ، فقال : يا نبيّ الله من أبي ؟ قال : أبُوكَ حُذَافَة ، قال : ثم قال عمر ، أوقال : فأنشأ عمر فقال : رضينا بالله ربا ، وبالإسلام دينا ، وبمحمد صلى الله عليه وسلم

رسولا عائذا بالله ، أو قال : أعوذ بالله من سوء الفتن ، قال : وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : «لَمْ أرَ فى الخَيْرِ والشَّرِّ كاليَوْمِ قَطُّ ، صُوِّرَتْ لىَ الجَنَّةُ والنَّارُ حتى رأيْتُهُما دُونَ الحائِطِ» .

حدثنا أحمد بن هشام وسفيان بن وكيع ، قالا : ثنا معاذ بن معاذ ، قال : ثنا ابن عون ، قال : « سألت عكرمة مولى ابن عباس ، عن قوله (يا أيُّها الَّذِينَ آمَنُوا لاتَسْألُوا عَنْ أشْياءَ إنْ تُبْدَ لَكُمْ تَسُؤْكُمْ) قال : ذاك يوم قام فيهم النبيّ صلى الله عليه وسلم ، فقال : لاتَسْألُونِي عَنْ شَيْءٍ إلاَّ أخْبَرْتُكُمْ بِهِ ؛ قال : فقام رجل ، فكره المسلمون مقامه يومئذ ، فقال : يا رسول الله ، من أبى ؟ قال : أبُوكَ حُذَافَةُ ، قال : فنزلت هذه الآية » .

حدثنا الحسن بن يحيى ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا معمر ، عن ابن طاوس ، عن أبيه قال : نزلت (لاتَسْألُوا عَنْ أشْياءَ إنْ تُبْدَ لَكُمْ تَسُؤْكُمْ) فى رجل قال : يا رسول الله من أبى ؟ قال : أبوك فلان .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى سفيان ، عن معمر ، عن قتادة ، قال : «سألوا النبيّ صلى الله عليه وسلم حتى أكثروا عليه ، فقام مغضبا خطيبا ، فقال : سَلُونِي فَوَاللهِ لاتَسْألُونِي عَنْ شَيْءٍ ما دُمْتُ فِى مَقامِى إلاَّ حَدَّثْتُكُمْ ، فقام رجل فقال : من أبى؟ قال : أبُوكَ حُذَافَةُ ، واشتدّ غضبه وقال : سَلُونِى ، فلما رأى الناس ذلك كثر بكاؤهم ، فجثا عمر على ركبتيه فقال : رضينا بالله ربّا». قال معمر : قال الزهريّ : قال أنس مثل ذلك « فجثا عمر على ركبتيه ، فقال : رضينا بالله ربا ، وبالإسلام دينا ، وبمحمد صلى الله عليه وسلم رسولا ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : أمَا وَالَّذِى نَفْسِى بِيَدِهِ ، لَقَدْ صُوِّرَتْ لىَ الجَنَّةُ وَالنَّارُ آنِفا فِى عَرْضِ هَذَا الحائِطِ ، فَلَمْ أرَ كالْيَوْمِ فِى الخَيْرِ والشَّرِّ » قال الزهريّ : فقالت أمّ عبد الله بن حُذافة : ما رأيت ولدا أعقّ منك قطّ ، أتأمن أن تكون أمك قارفت ماقارف أهل الجاهلية ، فتفضحها على رءوس الناس ، فقال : والله لو ألحقنى بعبد أسود للحقته .

حدثنى محمد بن الحسين ، قال : ثنا أحمد بن مفضل ، قال : ثنا أسباط ، عن السدىّ (يا أيُّها الَّذِينَ آمَنُوا لاتَسْألُوا عَنْ أشْياءَ إنْ تُبْدَ لَكُمْ تَسُؤْكُمْ) قال : غضب رسول الله صلى الله عليه وسلم يوما من الأيام فقام خطيبا ، فقال : سَلُونِى فإنَّكُمْ لاتَسْألُونِى عَنْ شَىْءٍ إلاَّ أنْبأْتُكُمْ بِهِ ، فقام إليه رجل من قريش من بنى سَهْم ، يقال له عبد الله بن حُذافة ، وكان يُطعَن فيه ، قال : فقال يا رسول الله ، من أبى ؟ قال : أبُوكَ فُلانٌ ، فدعاه لأبيه ، فقام إليه عمر ، فقبّل رجله وقال : يا رسول الله ، رضينا بالله ربا ، وبك نبيا ، وبالإسلام دينا ، وبالقرآن إماما ، فاعف عنا ، عفا الله عنك ، فلم يزل به حتى رضى ، فيومئذ قال : « الوَلَدُ للفِرَاش وللعاهِرِ الحَجَرُ » .

حدثنى الحرث ، قال : ثنا عبد العزيز ، قال : ثنا قيس ، عن أبى حصين ، عن أبى صالح ، عن أبى هريرة ، قال : «خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو غضبان محمارّ وجهُه ، حتى جلس على المنبر ،

فقام إليه رجل ، فقال : أين أبي ؟ قال : فى النَّارِ ، فقام آخر فقال : من أبي ؟ قال : أَبُوكَ حُذَافَةُ ، فقام عمر بن الخطاب فقال : رضينا بالله ربا ، وبالإسلام دينا ، وبمحمد صلى الله عليه وسلم نبيا ، وبالقرآن إماما ، إنا يا رسول الله حديثو عهد بجاهلية وشرك ، والله يعلم مَن آباؤنا ، قال : فسكن غضبه ، ونزلت (يا أيُّها الَّذِينَ آمَنُوا لاتَسْأَلُوا عَنْ أَشْياءَ إِنْ تُبْدَ لَكُمْ تَسُؤْكُمْ) .

وقال آخرون : نزلت هذه الآية على رسول الله صلى الله عليه وسلم من أجل مسألة سائل ، سأله عن شيء فى أمر الحجّ .

ذكر من قال ذلك

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا منصور بن وردان الأسديّ ، قال : ثنا عليّ بن عبد الأعلى ، قال : لما نزلت هذه الآية (ولِلهِ على النَّاسِ حِجُّ البَيْتِ مَنِ اسْتَطاعَ إِلَيْهِ سَبِيلاً) قالوا : يا رسول الله أفى كلّ عام ؟ فسكت ، ثم قالوا : أفى كلّ عام ؟ فسكت ، ثم قال : لا ، وَلَوْ قُلْتُ نَعَمْ لَوَجَبَتْ ، فأنزل الله هذه الآية (يا أيُّها الَّذِينَ آمَنُوا لاتَسْأَلُوا عَنْ أَشْياءَ إِنْ تُبْدَ لَكُمْ تَسُؤْكُمْ) .

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا عبد الرحمن بن سليمان ، عن إبراهيم بن مسلم الهَجَرىّ ، عن ابن عياض ، عن أبي هريرة ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إِنَّ اللهَ كَتَبَ عَلَيْكُمُ الحَجَّ ، فقال رجل : أفى كلّ عام يا رسول الله ؟ فأعرض عنه ، حتى عاد مرّتين أو ثلاثا ، فقال : مَنِ السَّائِلُ ؟ فقال : فلان ، فقال : والذى نَفْسِي بِيَدِهِ ، لَوْ قُلْتُ نَعَمْ لَوَجَبَتْ ، وَلَوْ وَجَبَتْ عَلَيْكُمْ ماأطَقْتُمُوه ، وَلَوْ تَرَكْتُمُوهُ لَكَفَرْتُمْ ، فأنزل الله هذه الآية (يا أيُّها الَّذِينَ آمَنُوا لاتَسْأَلُوا عَنْ أَشْياءَ إِنْ تُبْدَ لَكُمْ تَسُؤْكُمْ) حتى ختم الآية » .

حدثنى محمد بن عليّ بن الحسين بن شقيق ، قال : سمعت أبي ، قال : أخبرنا الحسين بن واقد ، عن محمد بن زياد ، قال : سمعت أبا هريرة يقول : خطبنا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : « يا أيُّها النَّاسُ ، كَتَبَ اللهُ عَلَيْكُمُ الحَجَّ ، فقام محصن الأسديّ ، فقال : أفى كلّ عام يا رسول الله ؟ فقال : أمَا إِنِّى لَوْ قُلْتُ نَعَمْ لَوَجَبَتْ ، وَلَوْ وَجَبَتْ ثُمَّ تَرَكْتُمْ لَضَلَلْتُمْ ، اسْكُتُوا عَنِّى ما سَكَتُّ عَنْكُمْ ، فإِنَّمَا هَلَكَ مَنْ كانَ قَبْلَكُمْ بِسُؤَالِهِمْ وَاخْتِلافِهِمْ على أَنْبِيائِهِمْ » فأنزل الله تعالى (يا أيُّها الَّذِينَ آمَنُوا لاتَسْأَلُوا عَنْ أَشْياءَ إِنْ تُبْدَ لَكُمْ تَسُؤْكُمْ) إلى آخر الآية.

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا يحيى بن واضح ، قال : ثنا الحسين بن واقد ، عن محمد بن زياد ، قال : سمعت أباهريرة يقول : خطبنا رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فذكر مثله ، إلا أنه قال : فقام عُكّاشة ابن مِحْصَن الأسديُّ .

حدثنا زكريا بن يحيى بن أبان المصرى ، قال : ثنا أبوزيد عبدالرحمن بن أبي العمر ، قال : ثنا أبومطيع معاوية بن يحيى ، عن صفوان بن عمرو ، قال : ثنى سليم بن عامر ، قال : سمعت أبا أمامة الباهلى يقول : « قام رسول الله صلى الله عليه وسلم فى الناس فقال : كُتِبَ عَلَيْكُمُ الحَجُّ ؟ فقام رجل من

الأعراب ، فقال : أفى كل عام ؟ قال : فعلا كلام رسول الله صلى الله عليه وسلم وأسكت وأغضب واستغضب ، فمكث طويلا ثم تكلم فقال : مَنِ السَّائِلُ ؟ فقال الأعرابىّ : أنا ذا ، فقال : وَيْحَكَ ماذَا يُؤْمِنُكَ أنْ أقُولَ نَعَمْ ، وَلَوْ قُلْتُ نَعَمْ لَوَجَبَتْ، وَلَوْ وَجَبَتْ لَكَفَرْتُمْ ، ألا إنَّهُ إنَّمَا أهْلَكَ الَّذِينَ قَبْلَكُمْ أئِمَّةُ الحَرَجِ ، وَاللهِ لَوْ أنّى أحْلَلْتُ لَكُمْ جَمِيعَ ما فِي الأرْضِ ، وَحَرَّمْتُ عَلَيْكُمْ مِنْها مَوْضِعَ خُفٍّ لَوَقَعْتُمْ فِيهِ » قال : فأنزل الله تعالى عند ذلك (يا أيُّها الَّذِينَ آمَنُوا لاتَسْألُوا عَنْ أشْياءَ) . . . إلى آخر الآية .

حدثنى محمد بن سعد ، قال : ثنى أبى ، قال : ثنى عمى ، قال : ثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله (يا أيُّها الَّذِينَ آمَنُوا لاتَسْألُوا عَنْ أشْياءَ إنْ تُبْدَ لَكُمْ تَسُؤْكُمْ) وذلك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أذّن فى الناس ، فقال : « ياقَوْمِ ، كُتِبَ عَلَيْكُمُ الحَجُّ ، فقام رجل من بنى أسد فقال : يا رسول الله ، أفى كلّ عام ؟ فأغضب رسول الله صلى الله عليه وسلم غضبا شديدا ، فقال : وَالَّذِى نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ لَوْ قُلْتُ نَعَمْ لَوَجَبَتْ ، وَلَوْ وَجَبَتْ ما اسْتَطَعْتُمْ ، وَإذَنْ لَكَفَرْتُمْ ، فاتْرُكُونِى ما تَرَكْتُكُمْ ، فإذَا أمَرْتُكُمْ بِشَىْءٍ فافْعَلُوا ، وَإذَا نَهَيْتُكُمْ عَنْ شَىْءٍ فانْتَهُوا عَنْهُ ، فأنزل الله تعالى (يا أيُّها الَّذِينَ آمَنُوا لاتَسْألُوا عَنْ أشْياءَ إنْ تُبْدَ لَكُمْ تَسُؤْكُمْ) نهاهم أن يسألوا عن مثل الذى سألت النصارى من المائدة ، فأصبحوا بها كافرين ؛ فنهى الله تعالى عن ذلك ، وقال : لاتسألوا عن أشياء إن نزل القرآن فيها بتغليظ ساءكم ذلك ، ولكن انتظروا فإذا نزل القرآن فإنَّكُمْ لاتسألون عن شىء إلا وجدتم تبيانه .

حدثنى أبو عاصم ، قال : ثنا شبل عن ابن ابى نجيح ، مثله .

حدثنى المثنى ، قال : ثنا عبدالله بن صالح ، قال : ثنى معاوية بن صالح ، قال : ثنا علىّ بن أبى طلحة ، عن ابن عباس ، قوله (يا أيُّها الَّذِينَ آمَنُوا لاتَسْألُوا عَنْ أشْياءَ إنْ تُبْدَ لَكُمْ تَسُؤْكُمْ ، وَإنْ تَسْألُوا عَنْها حِينَ يُنَزَّلُ القُرْآنُ تُبْدَ لَكُمْ) قال : لما أنزلت آية الحجّ ، نادى النبىّ صلى الله عليه وسلم فى الناس ، فقال « يا أيُّها النَّاسُ ، إنَّ اللهَ قَدْ كَتَبَ عَلَيْكُمُ الحَجَّ فَحُجُّوا ، فقالوا : يا رسول الله ، أعاما واحدا ؟ أم كل عام ؟ فقال : لا بَلْ عاما واحِدًا ، وَلَوْ قُلْتُ كُلَّ عامٍ لَوَجَبَتْ ، وَلَوْ وَجَبَتْ لَكَفَرْتُمْ » قال الله تعالى (يا أيُّها الَّذِينَ آمَنُوا لاتَسْألُوا عَنْ أشْياءَ إنْ تُبْدَ لَكُمْ تَسُؤْكُمْ) قال : سألوا النبىّ صلى الله عليه وسلم عن أشياء فوعظهم ، فانتهوا .

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، عن عيسى ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، فى قوله (يا أيُّها الَّذِينَ آمَنُوا لاتَسْألُوا عَنْ أشْياءَ إنْ تُبْدَ لَكُمْ تَسُؤْكُمْ) قال : ذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم الحجّ ، فقيل : أواجب هو يا رسول الله كلّ عام ؟ قال : لا ، لَوْ قُلْتُها لَوَجَبَتْ وَلَوْ وَجَبَتْ ما أطَقْتُمْ ، وَلَوْ لَمْ تُطِيقُوا لَكَفَرْتُمْ ، ثم قال : سَلُونِى فَلايَسْألُنِى رَجُلٌ فِى مَجْلِسِى هَذَا عَنْ شَىْءٍ إلاَّ أخْبَرْتُهُ ، وَإنْ سألَنِى عَنْ أبِيهِ ، فقام إليه رجل ، فقال : من أبى ؟

قال : أَبُوكَ حُذَافَةُ بْنُ قَيْسٍ ، فقام عمر ،فقال : يا رسول الله رضينا بالله ربا ،وبالإسلام دينا ، وبمحمد صلى الله عليه وسلم نبيا ، ونعوذ بالله من غضبه، وغضب رسوله .

وقال آخرون : بل نزلت هذه الآية من أجل أنهم سألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم عن البحيرة والسائبة والوصيلة والحامى .

ذكر من قال ذلك

حدثنى إسحاق بن إبراهيم بن حبيب بن الشهيد ، قال : ثنا عتاب بن بشير ، عن خصيف ، عن مجاهد ، عن ابن عباس (لاتَسْأَلُوا عَنْ أَشْياءَ) قال : هى البحيرة والسائبة والوصيلة والحام،ألا ترى أنه يقول بعد ذلك: ماجعل الله من كذا ولاكذا . قال : وأما عكرمة ، فإنه قال: إنهم كانوا يسألونه عن الآيات فنهوا عن ذلك ، ثم قال : قدسألها قوم من قبلكم ، ثم أصبحوا بها كافرين،قال : فقلت: قد حدثنى مجاهد بخلاف هذا عن ابن عباس ، فمالك تقول هذا ؟ ، فقال هيه .

حدثنا ابن وكيع ،قال: ثنا يزيد بن هارون، عن ابن عون، عن عكرمة عن الأعمش، قال: هو الذى سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم : من أبى؟ وقال سعيد بن جبير : هم الذين سألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم عن البحيرة والسائبة .

۞ وأولى الأقوال بالصواب فى ذلك قول من قال : نزلت هذه الآية من أجل إكثار السائلين رسول الله صلى الله عليه وسلم المسائل ، كمسئلة ابن حذافة إياه من أبوه ، ومسئلة سائله إذ قال : إنَّ اللهَ فَرَضَ عَلَيْكُمُ الحجَّ : أفى كلّ عام؟وما أشبه ذلك من المسائل،لتظاهر الأخبار بذلك عن الصحابة والتابعين ، وعامة أهل التأويل . وأما القول الذى رواه مجاهد عن ابن عباس ، فقول غير بعيد من الصواب، ولكن الأخبار المتظاهرة عن الصحابة والتابعين بخلافه، وكرهنا القول به من أجل ذلك، على أنه غير مستنكر أن تكون المسئلة عن البحيرة والسائبة والوصيلة والحام كانت فيما سألوا النبىّ صلى الله عليه وسلم عنه من المسائل التى كره الله لهم السؤال عنها ، كما كره الله لهم المسئلة عن الحجّ ، أكلّ عام هو ؟ أم عاما واحدا ؟ وكما كره لعبد الله بن حذافة مسئلته عن أبيه ، فنزلت الآية بالنهى عن المسائل كلها ، فأخبر كلّ مخبر منهم ببعض ما نزلت الآية من أجله ، أو أجل غيره . وهذا القول أولى الأقوال فى ذلك عندى بالصحة ، لأن مخارج الأخبار بجميع المعانى التى ذكرت صحاح ، فتوجيهها إلى الصواب من وجوهها أولى .

القول فى تأويل قوله تعالى: ﴿ وَإِنْ تَسْأَلُوا عَنْهَا حِينَ يُنَزَّلُ القُرْآنُ تُبْدَ لَكُمْ ، عَفَا اللهُ عَنْهَا ، وَاللهُ غَفُورٌ حَلِيمٌ ﴾ :

يقول تعالى ذكره للذين نهاهم من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم، عن مسألة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، عما نهاهم عن مسألتهم إياه عنه ، من فرائض لم يفرضها الله عليهم ، وتحليل أمور لم يحللها لهم ، وتحريم أشياء لم يحرّمها عليهم قبل نزول القرآن بذلك : أيها المؤمنون السائلون عما سألوا عنه رسولى مما لم أنزل به كتابا ولا وحيا ، لا تسألوا عنه ، فإنكم إن أظهر ذلك لكم تبيان بوحى وتنزيل ساءكم ، لأن

التنزيل بذلك إذا جاءكم إنما يجيئكم بما فيه امتحانكم واختباركم ، إما بإيجاب عمل عليكم ، ولزوم فرض لكم ، وفى ذلك عليكم مشقة ، ولزوم مؤنة وكلفة ؛ وإما بتحريم ما لو لم يأتكم بتحريمه وحى ، كنتم من التقدّم عليه فى فسحة وسعة ؛ وإما بتحليل ما تعتقدون تحريمه ، وفى ذلك لكم مساءة لنقلكم عما كنتم ترونه حقا ، إلى ما كنتم ترونه باطلا ، ولكنكم إن سألتم عنها بعد نزول القرآن بها ، وبعد ابتدائكم شأن أمرها فى كتابى إلى رسولى إليكم ، بين لكم ما أنزلته إليه من إتيان كتابى ، وتأويل تنزيلى ووحيى ، وذلك نظير الخبر الذى رُوِى عن بعض أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، الذى حدثنا به هناد بن السرىّ ، قال : ثنا أبومعاوية ، عن داود بن أبى هند ، عن مكحول ، عن أبى ثعلبة الخشنى ، قال : « إن الله تعالى فرض فرائض فلا تضيعوها ، ونهى عن أشياء فلا تنتهكوها ، وحدّ حدودا فلا تعتدوها ، وعفا عن أشياء من غير نسيان فلا تبحثوا عنها » .

حدثنا هناد ، قال : ثنا ابن أبى زائدة ، قال : أخبرنا ابن جريج ، عن عطاء ، قال : كان عبيد بن عمير يقول : إن الله تعالى أحلّ وحرّم ، فما أحلّ فاستحلوه ، وما حرّم فاجتنبوه ، وترك من ذلك أشياء لم يحلها ولم يحرّمها ، فذلك عفو من الله عفاه ، ثم يتلو (يا أيُّها الَّذِينَ آمَنُوا لا تَسْأَلُوا عَنْ أشْياءَ إنْ تُبْدَ لَكُمْ تَسُؤْكُمْ) .

حدثنا ابن المثنى ، قال : ثنا الضحاك ، قال : أخبرنا ابن جريج ، قال : أخبرنى عطاء ، عن عبيد ابن عمير ، أنه كان يقول : إن الله حرّم وأحلّ ، ثم ذكر نحوه .

وأما قوله (عَفَا اللهُ عَنْها) فانه يعنى به : عفا الله لكم عن مسألتكم عن الأشياء التى سألتم عنها رسول الله صلى الله عليه وسلم الذى كره الله لكم مسألتكم إياه عنها ، أن يؤاخذكم بها ، أو يعاقبكم عليها ، إن عرف منها توبتكم وإنابتكم (وَاللهُ غَفُورٌ) يقول : والله ساتر ذنوب من تاب منها ، فتارك أن يفضحه فى الآخرة (حَلِيمٌ) أن يعاقبه بها لتغمده التائب منها برحمته وعفوه ، عن عقوبته عليها .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك رُوِى الخبر عن ابن عباس الذى ذكرناه آنفا .

وذلك ما حدثنى به محمد بن سعد ، قال : ثنى أبى ، قال : ثنى عمى ، قال : ثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس (لا تَسْأَلُوا عَنْ أشْياءَ) إن نزل القرآن فيها بتغليظ ساءكم ذلك ، ولكن انتظروا فإذا نزل القرآن ، فإنكم لاتسألون عن شىء إلا وجدتم تبيانه .

القول فى تأويل قوله تعالى .

قَدْ سَأَلَهَا قَوْمٌ مِّن قَبْلِكُمْ ثُمَّ أَصْبَحُوا بِهَا كَافِرِينَ ﴿١٠٢﴾

يقول تعالى ذكره : قد سأل الآيات قوم من قبلكم : فلما آتاهموها الله ، أصبحوا بها جاحدين منكرين أن تكون دلالة على حقيقة ما احتجّ بها عليهم ، وبرهانا على صحة ما جعلت برهانا على تصحيحه ، كقوم صالح الذين سألوا الآية ؛ فلما جاءتهم الناقة آية عقروها ، وكالذين سألوا عيسى مائدة تنزل عليهم

من السماء : فلما أُعطُوها كفروا بها وما أشبه ذلك ، فحذّر الله تعالى المؤمنين بنبيه صلى الله عليه وسلم أن يسلكوا سبيل مَن قبلهم من الأمم التي هلكت بكفرهم بآيات الله لما جاءتهم عند مسألتهموها ، فقال لهم : لاتسألوا الآيات ، ولا تبحثوا عن أشياء إن تبد لكم تسؤكم ، فقد سأل الآيات من قبلكم قوم ؛ فلما أوتوها أصبحوا بها كافرين .

كالذى حدثني محمد بن سعد ، قال : ثنى أبي قال : ثني عمى ، قال : ثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس (يا أيُّها الَّذينَ آمَنُوا لاتَسْأَلُوا عَنْ أشْياءَ إنْ تُبْدَ لَكُمْ تَسُؤْكُمْ) نهاهم أن يسألوا عن مثل الذى سألت النصارى من المائدة ، فأصبحوا بها كافرين ، فنهى الله عن ذلك .

حدثني محمد بن الحسين ، قال : ثنا أحمد بن مفضل ، قال : ثنا أسباط ، عن السدىّ (قَدْ سأَلَها قَوْمٌ مِنْ قَبْلِكُمْ) قد سأل الآيات قوم من قبلكم ، وذلك حين قيل له : غيِّر لنا الصفا ذهبا .

القول في تأويل قوله تعالى :

مَا جَعَلَ اللَّهُ مِنۢ بَحِيرَةٍ وَلَا سَآئِبَةٍ وَلَا وَصِيلَةٍ وَلَا حَامٍ وَلَٰكِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يَفْتَرُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ وَأَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ ﴿١٠٣﴾

يقول تعالى ذكره : ما بحر الله بحيرة ولا سيب سائبة ، ولا وصل وصيلة ، ولا حمى حاميا ، ولكنكم الذين فعلتم ذلك أيها الكفرة ، فحرّمتموه افتراء على ربكم .

كالذى حدثني محمد بن عبد الله بن عبد الحكم ، قال : ثني أبي وشعيب بن الليث ، عن الليث ، عن ابن الهاد : وحدثني يونس ، قال : ثنا عبد الله بن يوسف ، قال : ثني الليث ، قال : ثني ابن الهاد ، عن ابن شهاب ، عن سعيد بن المسيب ، عن أبي هريرة ، قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « رأيْتُ عَمْرَو بْنَ عامِرٍ الخزَاعِىَّ يَجُرُّ قُصْبَهُ [١] في النَّارِ ، وكانَ أوَّلَ مَنْ سَيَّبَ السَّائِبَةَ » .

حدثنا هناد بن السرىّ ، قال : ثنا يونس بن بكير ، قال : ثنا محمد بن إسحاق ، قال : ثني محمد بن إبراهيم بن الحرث ، عن أبي صالح ، عن أبي هريرة ، قال : « سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لأكثم بن الجون : يا أكْثَمُ رأيْتُ عَمْرَو بنَ لُحَىِّ بْنِ قَمَعَةَ بنِ خِنْدِفَ يَجُرُّ قُصْبَهُ في النَّارِ ، فَمَا رأيْتُ رَجُلاً أشْبَهَ بِرَجُلٍ مِنْكَ بِهِ ، وَلا بِهِ مِنْكَ ، فقال أكثم : أخشى أن يضرّنى شبهه يارسول الله ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : لا ، إنَّكَ مُؤْمِنٌ وَهُوَ كافِرٌ ، إنَّهُ أوَّلُ مَنْ غير دين إسماعيل ؛ وبحّر البحيرة ، وسيب السائبة ، وحمى الحامى » .

حدثنا هناد ، قال : ثنا يونس ، قال : ثني هشام بن سعد ، عن زيد بن أسلم ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « قَدْ عَرَفْتُ أوَّلَ مَنْ بَحَّرَ البَحائِرَ رَجُلٌ مِنْ مُدْلِجٍ ، كانَتْ لَهُ ناقَتانِ ، فَجَدَعَ آذانَهُما وحَرَّمَ ألْبانَهُما وظُهُورَهُما وقال : هاتانِ لله ، ثُمَّ احْتاجَ إلَيْهِما فَشَرِبَ ألْبانَهُما وَرَكِبَ ظُهُورَهُما قالَ : فَلَقَدْ رأيْتُهُ في النَّارِ يُؤْذِى أهْلَ النَّارِ رِيحُ قُصْبِهِ » .

(١) القصب ، بوزن قفل : اسم للأمعاء كلها .

حدثنا هناد ، قال : ثنا عبيدة ، عن محمد بن عمرو ، عن أبي سلمة ، عن أبي هريرة ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « عُرِضَتْ علىَّ النَّارُ فرأيْتُ فيها عَمْرَو بْنَ فُلان بْنِ فُلان بْنِ خِنْدِفَ يجُرُّ قُصْبَهُ فى النَّارِ ، وهُوَ أوَّلُ مَنْ غَيَّرَ دِينَ إبْرَاهِيمَ ، وَسَيَّبَ السَّائِبَةَ ، وأشْبَهُ مَنْ رأيْتُ بِهِ أكْثَمُ بْنُ الجَوْنِ ، فقال أكثم : يا رسول الله ، أيضرّنى شبهه ؟ قال : لا ، لأنَّكَ مُسْلِمٌ ، وَإنَّهُ كافِرٌ » .

حدثنا الحسن بن يحيى ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : رأيت عمرو بن عامر الخزاعى يجرّ قصبه فى النار ، وهو أوّل من سيب السوائب .

حدثنا الحسن بن يحيى ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا معمر ، عن زيد بن أسلم ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إنّى لأعْرِفُ أوّلَ مَنْ سَيَّبَ السَّوَائِبَ ، وأوّلَ مَنْ غَيَّرَ عَهْدَ إبْرَاهِيمَ ، قالُوا : مَنْ هُوَ يارَسُولَ الله ؟ قال : عَمْرُو بْنُ لُحَيٍّ أخُو بَنِى كَعْبٍ ، لَقَدْ رأيْتُهُ يجُرُّ قُصْبَهُ فى النَّارِ ، يُؤْذِى رِيحُهُ أهْلَ النَّارِ ، وإنّى لأعْرِفُ أوّلَ مَنْ بَحَّرَ البَحَائِرَ ، قالوا : من هو يا رسول الله ؟ قال : رَجُلٌ مِنْ بَنِى مُدْلِجٍ كانَتْ لَهُ ناقَتانِ ، فَجَدَعَ آذانَهُما ، وَحَرَّمَ ألْبانَهُما ، ثُمَّ شَرِبَ ألْبانَهُما بَعْدَ ذَلِكَ ، فَلَقَدْ رأيْتُهُ فى النَّارِ هُوَ وهُمَا يَعَضَّانِهِ بأفْوَاهِهِما ، ويَخْبِطانِهِ بأخْفافِهِما » .

والبحيرة : الفَعيلة ، من قول القائل : بحَرتُ أذنَ هذه الناقة : إذا شقها أبحَرها بحرا ، والناقة مبحورة ، ثم تصرف المفعولة إلى فَعيلة ، فيقال : هى بحيرة . وأما البحِر من الإبل : فهو الذى قد أصابه داء من كثرة شرب الماء ، يقال منه : بحِر البعير يبحرَ بحَرا ، ومنه قول الشاعر :

لأعْلِطَنَّكَ وَسْماً لا تُفارِقُهُ ... كما يُحَزُّ بِحُمَّى المِيسَمِ البَحِرُ (١)

وبنحو الذى قلنا فى معنى البحيرة ، جاء الخبر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم .

حدثنا عبد الحميد بن بيان ، قال : أخبرنا محمد بن يزيد ، عن إسماعيل بن أبى خالد ، عن أبى إسحاق عن أبى الأحوص ، عن أبيه ، قال : دخلت على النبىّ صلى الله عليه وسلم ، فقال النبىّ صلى الله عليه وسلم : « أرأيْتَ إبِلَكَ ألَسْتَ تُنْتِجُها مُسَلَّمَةً آذانُها ، فَتَأْخُذُ المُوسَى فَتَجْدَعُها ، تَقُولُ : هَذِهِ بَحِيرَةٌ ، وَتَشُقُّ آذانَها تَقُولُ هَذِهِ حُرُمٌ ؟ قال : نعم ، قال : فإنَّ ساعِدَ اللهِ أشَدُّ ، وَمُوسَى اللهِ أحَدُّ ، كُلُّ مالِكَ لَكَ حَلالٌ لا يَحْرُمُ عَلَيْكَ مِنْهُ شَىْءٌ » .

حدثنا محمد بن المثنى ، قال : ثنا محمد بن جعفر ، قال : ثنا شعبة ، عن أبى إسحاق ، قال : سمعت

---

(١) البيت فى (اللسان : علط ، بحر) وروايته فيه : لأعلطنه » . . . « لايفارقه » . وهو من شواهد الفراء ، قال الفراء : البحر : أن يلغى البعير بالماء ، فيكثر منه ، حتى يصيبه منه داء . يقال : بحر يبحر بحرا ، فهو بحر ، وأنشد . . . البيت . قال : وإذا أصابه الداء يكوى فى مواضع فيبرأ . قال الأزهرى : الداء الذى يصيب البعير فلا يروى من الماء : هو النجر ، بالنون والجيم ، والبجر ، بالباء والجيم . وأما البحر فهو داء يورث السل ، وأبحر الرجل : إذا أخذه السل . ورجل بحير وبحر مسلول : ذاهب اللحم ، عن ابن الأعرابى . والبحير والبحر : الذى به السل . عن أبى عمرو . والعلط : الوسم بالعلاط وهو الميسم الذى يكوى به . وعلطه بالقول أو بالشر وسمه ، على المجاز ، وهو أن يرميه بعلامة يعرف بها .

أبا الأحوص ، عن أبيه ، قال أتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : « هَلْ تُنْتِجُ إبلُ قَوْمِكَ صِحَاحًا آذانُها فَتَعمِدُ إلى المُوسَى فَتَقْطَعُ آذانَها ، فَتَقُولُ هَذِهِ بَحْرٌ وَتَشُقُّها أوْ تَشُقُّ جُلُودَها ، فَتَقُولُ هَذِهِ حُرُمٌ ، فَتُحَرِّمُها عَلَيْكَ وَعلى أهْلِكَ ؟ قال : نعم ، قال : فإنَّ ما آتاكَ اللهُ لَكَ حِلٌّ ، وَساعِدُ اللهِ أشَدُّ ، ومُوسَى اللهِ أحَدُّ » وربما قال : ساعد الله أشدّ من ساعدك ، وموسى الله أحدّ من موساك .

وأما السائبة : فإنها المسيبة المخلاة ، وكانت الجاهلية يفعل ذلك أحدهم ببعض مواشيه ، فيحرم الانتفاع به على نفسه ، كما كان بعض أهل الإسلام ، يعتق عبده سائبة ، فلا ينتفع به ولا بولائه ، وأخرجت المسيبة بلفظ السائبة ، كما قيل : (عِيشَةٍ رَاضِيَةٍ) ، بمعنى : مرضية .

وأما الوصيلة ، فإن الأنثى من نعمهم فى الجاهلية كانت إذا أتأمت بطنا بذكر وأنثى ، قيل : قد وصلت الأنثى أخاها ، بدفعها عنه الذبح ، فسموها وصيلة .

وأما الحامى : فإنه الفحل من النعم يحمى ظهره من الركوب ، والانتفاع بسبب تتابع أولاد تحدث من فحلته .

وقد اختلف أهل التأويل فى صفات المسميات بهذه الأسماء ، وما السبب الذى من أجله كانت تفعل ذلك .

ذكر الرواية بما قيل فى ذلك

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة بن الفضل ، عن أبى إسحاق ، عن محمد بن إبراهيم بن الحرث التيمى أن أباصالح السمان ، حدثه أنه سمع أبا هريرة يقول : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لأكثم بن الجون الخزاعى : « يا أكْثَمُ رأيْتُ عَمْرَو بْنَ لُحَىِّ بْنِ قَمَعَةَ بْنِ خِنْدَفٍ يَجُرُّ قُصْبَهُ فِى النَّارِ فَمَا رأيْتُ مِنْ رَجُلٍ أشْبَهَ بِرَجُلٍ مِنْكَ بِهِ ، وَلا بِهِ مِنْكَ ، فقال أكثم : أيضرّنى شبهه يا نبىّ الله ؟ قال : لا ، لأنكَ مُؤْمِنٌ وَهُوَ كافِرٌ ، وإنَّهُ كانَ أوَّلَ مَنْ غَيَّرَ دِينَ إسْماعِيلَ وَنَصَبَ الأوْثانَ ، وَسَيَّبَ السَّوَائِبَ فِيهِمْ » . وذلك أن الناقة إذا تابعت ثنتى عشرة إناثا ليس فيها ذكر سيبت ، فلم يركب ظهرها ، ولم يجزّ وبرها ، ولم يشرب لبنها إلا ضيف ، فما نتجت بعد ذلك من أنثى شقّ أذنها ثم خلى سبيلها مع أمها فى الإبل ، فلم يركب ظهرها ، ولم يجزّ وبرها ، ولم يشرب لبنها إلا ضيف ، كما فُعل بأمها ، فهى البحيرة ابنة السائبة . والوصيلة : أن الشاة إذا نتجت عشر إناث متتابعات فى خمسة أبطن ليس فيهنّ ذكر ، جعلت وصيلة ، قالوا : وصلت ، فكان ما ولدت بعد ذلك لذكورهم دون إناثهم ، إلا أن يموت منها شىء ، فيشتركون فى أكله ذكورهم وإناثهم . والحامى : أن الفحل إذا نتج له عشر إناث متتابعات ليس بينهنّ ذكر حُمِى ظهره ، ولم يركب ، ولم يجزّ وبره ، ويخلى فى إبله يضرب فيها ، لاينتفع به بغير ذلك ، يقول الله تعالى ذكره (ما جَعَلَ اللهُ مِنْ بَحِيرَةٍ وَلا سائِبَةٍ وَلا وَصِيلَةٍ وَلا حامٍ) . . . . إلى قوله (وَلا يَهْتَدُونَ) .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا عبد الرحمن ، قال : ثنا سفيان ، عن الأعمش ، عن أبي الضحى ، عن مسروق في هذه الآية (ما جَعَلَ اللهُ مِنْ بَحِيرَةٍ ، وَلا سائِبَةٍ ، وَلا وَصِيلَةٍ ، وَلا حامٍ) .

قال أبو جعفر : سقط عليَّ فيما أظنّ كلام منه ، قال : فأتيت علقمة فسألته ، فقال : ما تريد إلى شيء كانت تصنعه أهل الجاهلية .

حدثني يحيى بن إبراهيم المسعودى ، قال : ثنا أبى ، عن أبيه ، عن جده ، عن الأعمش ، عن مسلم ، قال : أتيت علقمة ، فسألته عن قول الله تعالى (ماجَعَلَ اللهُ مِنْ بَحِيرَةٍ وَلا سائِبَةٍ وَلا وَصِيلَةٍ وَلا حامٍ) فقال : وما تصنع بهذا ؟ إنما هذا شيء من فعل الجاهلية ، قال : فأتيت مسروقا ، فسألته ، فقال : البحيرة : كانت الناقة إذا ولدت بطنا خمسا أو سبعا ، شقوا أذنها ، وقالوا : هذه بحيرة . قال (وَلا سائِبَةٍ) قال : كان الرجل يأخذ بعض ماله ، فيقول : هذه سائبة . قال (وَلا وَصِيلَةٍ) قال : كانوا إذا ولدت الناقة الذكر ، أكله الذكور دون الإناث ، وإذا ولدت ذكرا وأنثى في بطن قالوا : وصلت أخاها ، فلا يأكلونهما ، قال : فإذا مات الذكر ، أكله الذكور دون الإناث ، قال : ولا حام ، قال : كان البعير إذا ولد ، وولد ولده ، قالوا : قد قضى هذا الذى عليه ، فلم ينتفعوا بظهره ، قالوا : هذا حام .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا محمد بن عبيد ، عن الأعمش ، عن مسلم بن صبيح ، قال : سألت علقمة ، عن قوله (ما جَعَلَ اللهُ مِنْ بَحِيرَةٍ وَلا سائِبَةٍ) قال : ما تصنع بهذا ؟ هذا شيء كان يفعله أهل الجاهلية .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا يحيى بن يمان ويحيى بن آدم ، عن إسرائيل ، عن أبي إسحاق ، عن أبي الأحوص (ما جَعَلَ اللهُ مِنْ بَحِيرَةٍ) قال : البحيرة : التى قد ولدت خمسة أبطن ثم تركت .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا جرير بن عبد الحميد ، عن مغيرة ، عن الشعبى (ما جَعَلَ اللهُ مِنْ بَحِيرَةٍ) قال : البحيرة : المخضرمة (وَلا سائِبَةٍ) والسائبة : ما سيب للهدى . والوصيلة : إذا ولدت بعد أربعة أبطن فيما يرى جرير ، ثم ولدت الخامس ذكرا وأنثى وصلت أخاها . والحام : الذى قد ضرب أولاد أولاده في الإبل .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا جرير ، عن مغيرة ، عن الشعبيّ بنحوه ، إلا أنه قال : والوصيلة : التى ولدت بعد أربعة أبطن ذكرا وأنثى ، قالوا : وصلت أخاها ، وسائر الحديث ، مثل حديث ابن حميد :

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا إسحاق الأزرق ، عن زكريا ، عن الشعبى ، أنه سئل عن البحيرة ، فقال : هى التى تجدع آذانها ؛ وسئل عن السائبة ، فقال : كانوا يهدون لآلهتهم الإبل والغنم فيتركونها عند آلهتهم لتذبح ، فتخلط بغنم الناس ، فلا يشرب ألبانها إلا الرجال ، فإذا مات منها شيء ، أكله الرجال والنساء جميعا .

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، في قول الله تعالى (ما جَعَلَ اللهُ مِنْ بَحِيرَةٍ) وما معها : البحيرة من الإبل ، يحرّم أهل الجاهلية وبرها وظهرها ولحمها ولبنها ، إلا على الرجال ، فما ولدت من ذكر وأنثى فهو على هيئتها ، وإن ماتت اشترك

الوجال والنساء فى أكل لحمها ، فإذا ضرب الجمل من ولد البحيرة فهو الحامى ؛ والسائبة من الغنم على نحو ذلك إلا أنها ما ولدت من ولد بينها وبين ستة أولاد كان على هيئتها ، فإذا ولدت فى السابع ذكرا أو أنثى ، أو ذكرين ، ذبحوه فأكله رجالهم دون نسائهم ؛ وإن توأمت أنثى وذكرا فهى وصيلة ، ترك ذبح الذكر بالأنثى ، وإن كانتا أنثيين تركتا .

حدثنى محمد بن سعد ، قال : ثنى أبى ، قال : ثنى عمى ، قال : ثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس (ما جَعَلَ اللهُ مِنْ بَحِيرَةٍ وَلا سائِبَةٍ) فالبحيرة : الناقة ، كان الرجل إذا ولدت خمسة أبطن ، فيعمد إلى الخامسة ، فما لم يكن سقبا ، فيبتك آذانها ، ولا يجزّ لها وبرا ، ولا يذوق لها لبنا ، فتلك البحيرة . (وَلا سائِبَةٍ) كان الرجل يسيب من ماله ما شاء (وَلا وَصِيلَةٍ) فهى الشاة إذا ولدت سبعا ، عمد إلى السابع ، فإن كان ذكرا ذبح ، وإن كانت أنثى تركت ، وإن كان فى بطنها اثنان ذكر وأنثى فولدتهما ، قالوا : وصلت أخاها ، فيترَكان جميعا لايذبحان ، فتلك الوصيلة ، وقوله (وَلا حامٍ) كان الرجل يكون له الفحل فإذا لقح عشرا قيل حام ، فاتركوه .

حدثنى المثنى ، قال : ثنا عبد الله بن صالح ، قال : ثنا معاوية بن صالح ، عن علىّ بن أبى طلحة ، عن ابن عباس ، قوله (ما جَعَلَ اللهُ مِنْ بَحِيرَةٍ وَلا سائِبَةٍ) ليسيبوها لأصنامهم(وَلا وَصِيلَةٍ) يقول : الشاة (وَلا حامٍ) يقول : الفحل من الإبل .

حدثنا بشر بن معاذ ، قال : ثنا يزيد بن زريع ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (ما جَعَلَ اللهُ مِنْ بَحِيرَةٍ وَلا سائِبَةٍ ، وَلا وَصِيلَةٍ وَلا حامٍ) تشديد شدّده الشيطان على أهل الجاهلية فى أموالهم ، وتغليظ عليهم ، فكانت البحيرة مثل الإبل إذا نتج الرجل خمسا من إبله ، نظر البطن الخامس ، فإن كانت سقبا ذبح فأكله الرجال دون النساء ، وإن كان ميتة اشترك فيه ذكرهم وأنثاهم ، وإن كانت حائلا وهى الأنثى تركت ، فبتكت أذنها ، فلم يجزّ لها وبر ، ولم يشرب لها لبن ، ولم يركب لها ظهر ، ولم يذكر لله عليها اسم . وكانت السائبة : يسيبون ما بدا لهم من أموالهم ، فلا تمتنع من حوض أن تشرع فيه ، ولا من حمى أن ترتع فيه . وكانت الوصيلة من الشاء : من البطن السابع ، إذا كان جديا ذبح فأكله الرجال دون النساء ، وإن كان ميتة اشترك فيه ذكرهم وأنثاهم ، وإن جاءت بذكر وأنثى ، قيل وصلت أخاها فمنعته الذبح . والحام : كان الفحل إذا ركب من بنى بنيه عشرة ، أو ولد ولده ، قيل حام ، حمى ظهره فلم يزم ، ولم يخطم ، ولم يركب .

حدثنى محمد بن الحسين ، قال : ثنا أحمد بن مفضل ، قال : ثنا أسباط ، عن السدىّ (ما جَعَلَ اللهُ مِنْ بَحِيرَةٍ ، وَلا سائِبَةٍ ، وَلا وَصِيلَةٍ ، وَلا حامٍ) فالبحيرة من الإبل : كانت الناقة إذا نتجت خمسة أبطن ، إن كان الخامس سقبا ذبحوه ، فأهدوه إلى آلهتهم ، وكانت أمه من عرض الإبل ، وإن كانت ربعة استحيوها ، وشقوا أذن أمها ، وجزّوا وبرها ، وخلوها فى البطحاء ، فلم تَجُزْ لهم فى دية ، ولم يحلبوا لها لبنا ، ولم يجزّوا لها وبرا ، ولم يحملوا على ظهرها ، وهى من الأنعام التى حرّمت ظهورها . وأما السائبة :

فهو الرجل يسيب من ماله ما شاء على وجه الشكر إن كثر ماله ، أو برأ من وجع ، أو ركب ناقة فأنجح ، فإنه يسمى السائبة ، يرسلها فلا يعرض لها أحد من العرب إلا أصابته عقوبة فى الدنيا . وأما الوصيلة ، فمن الغنم ، هى الشاة إذا ولدت ثلاثة أبطن أو خمسة ، فكان آخر ذلك جديا ذبحوه وأهدوه لبيت الآلهة ، وإن كانت عناقا استحيوها ، وإن كانت جديا وعناقا استحيوا الجدى من أجل العناق ، فإنها وصيلة وصلت أخاها . وأما الحام : فالفحل يضرب فى الإبل عشر سنين ، ويقال : إذا ضرب ولد ولده قيل : قد حمى ظهره ، فيتركونه لايمسّ ، ولا ينحر أبدا ، ولا يمنع من كلإ يريده ، وهو من الأنعام التى حرمت ظهورها .

حدثنا الحسن بن يحيى ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا معمر ، عن الزهرى ، عن ابن المسيب ، فى قوله (ما جَعَلَ اللهُ مِنْ بَحِيرَةٍ ، وَلا سائِبَةٍ ، وَلا وَصِيلَةٍ ، وَلا حامٍ) قال : البحيرة من الإبل التى يمنع درّها للطواغيت . والسائبة من الإبل : كانوا يسيبونها لطواغيتهم . والوصيلة من الإبل كانت الناقة تبكر بأنثى ، ثم تثنى بأنثى ، فيسمونها الوصيلة ، يقولون : وصلت اثنتين ليس بينهما ذكر ، فكانوا يجدعونها لطواغيتهم ، أو يذبحونها ، الشكّ من أبى جعفر . والحام : الفحل من الإبل ، كان يضرب الضراب المعدود ، فإذا بلغ ذلك ، قالوا : هذا حام ، قد حمى ظهره فترك ، فسموه الحام . قال معمر ، قال قتادة : إذا ضرب عشرة .

حدثنا الحسن بن يحيى ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا معمر ، عن قتادة ، قال البحيرة من الإبل : كانت الناقة إذا نتجت خمسة أبطن ، فإن كان الخامس ذكرا كان للرجال دون النساء ، وإن كانت أنثى بتكوا آذانها ، ثم أرسلوها ، فلم ينحروا لها ولدا ، ولم يشربوا لها لبنا ، ولم يركبوا لها ظهرا . وأما السائبة ، فإنهم كانوا يسيبون بعض إبلهم ، فلا تمنع حوضا أن تشرع فيه ، ولا مرعى أن ترتع فيه . والوصيلة : الشاة : كانت إذا ولدت سبعة أبطن ، فإن كان السابع ذكرا ذبح وأكله الرجال دون النساء ، وإن كانت أنثى تركت .

حُدثت عن الحسين بن الفرج ، قال : سمعت أبا معاذ الفضل بن خالد ، قال : ثنا عبيد بن سلمان ، عن الضحاك (ما جَعَلَ اللهُ مِنْ بَحِيرَةٍ ، وَلا سائِبَةٍ ، وَلا وَصِيلَةٍ ، وَلا حامٍ) أما البحيرة : فكانت الناقة إذا نتجوها خمسة أبطن نحروا الخامس إن كان سقبا ، وإن كان ربعة شقوا أذنها واستحيوها ، وهى بحيرة . وأما السقب فلا يأكل نساؤهم منه ، وهو خالص لرجالهم ، فإن ماتت الناقة أو نتجوها ميتا فرجالهم ونساؤهم فيه سواء يأكلون منه . وأما السائبة : فكان يسيب الرجل من ماله من الأنعام ، فيهمل فى الحمى فلا ينتفع بظهره ولا بولده ، ولا بلبنه ، ولا بشعره ، ولا بصوفه . وأما الوصيلة ، فكانت الشاة إذا ولدت سبعة أبطن ذبحوا السابع إذا كان جديا ، وإن كان عناقا استحيوه ، وإن كان جديا وعناقا استحيوهما كليهما ، وقالوا : إن الجدى وصلته أخته ، فحرمته علينا . وأما الحامى : فالفحل إذا ركبوا أولاد ولده ، قالوا : قد حمى هذا ظهره ، وأحرز أولاد ولده ، فلا يركبونه ، ولا يمنعونه من حمى شجر ، ولا حوض منّا شرع فيه ، وإن لم يكن الحوض لصاحبه ، وكانت من إبلهم طائفة لايذكرون اسم الله عليها

فى شيء من شأنهم ، لاإن ركبوا ، ولا إن حملوا ، ولا إن حلبوا ، ولا إن نتجوا ، ولا إن باعوا ، فى ذلك أنزل الله تعالى (ما جَعَلَ اللهُ مِنْ بَحِيرَةٍ وَلا سائِبَةٍ) . . . إلى قوله (وأكْثَرُهُمْ لايَعْقِلُونَ) .

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله (ما جَعَلَ اللهُ مِنْ بَحِيرَةٍ وَلا سائِبَةٍ ، وَلا وَصِيلَةٍ ، وَلا حامٍ) قال : هذا شيء كانت تعمل به أهل الجاهلية ، وقد ذهب ، قال البحيرة : كان الرجل يجدع أذنى ناقته ثم يعتقها ، كما يعتق جاريته وغلامه ، لاتحلب ، ولا تركب . والسائبة : يسيبها بغير تجديع . والحام : إذا نتج له سبع إناث متواليات ، قد حمى ظهره ، ولا يركب ، ولا يعمل عليه . والوصيلة من الغنم : إذا ولدت سبع إناث متواليات حمت لحمها أن يؤكل .

حدثنا يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : ثنا عبد الله بن يوسف ، قال : ثنا الليث بن سعد ، قال ثنى ابن الهاد ، عن ابن شهاب ، قال : قال سعيد بن المسيب : السائبة : التى كانت تسيب فلا يحمل عليها شيء . والبحيرة : التى يمنع درّها للطواغيت فلا يحلبها أحد . والوصيلة : الناقة البكر تبكر أوّل نتاج الإبل بأنثى ، ثم تثنى بعد بأنثى ، وكانوا يسمونها للطواغيت ، يدعونها الوصيلة ، إن وصلت إحداهما بالأخرى . والحامى : فحل الإبل يضرب العشر من الإبل ، فإذا نقص ضرابه يدعونه للطواغيت ، وأعفوه من الحمل ، فلم يحملوا عليه شيئا ، وسموه الحامى ؛ وهذه أمور كانت فى الجاهلية فأبطلها الإسلام ، فلا نعرف قوما يعملون بها اليوم . فإذا كان ذلك كذلك ، وكان ما كانت الجاهلية تعمل به ، لاتوصل إلى علمه ، إذ لم يكن له فى الإسلام اليوم أثر ، ولا فى الشرك نعرفه إلا بخبر ، وكانت الأخبار عما كانوا يفعلون من ذلك مختلفة الاختلاف الذى ذكرنا .

⁂ فالصواب من القول فى ذلك أن يقال : أما معانى هذه الأسماء ، فما بينا فى ابتداء القول فى تأويل هذه الآية . وأما كيفية عمل القوم فى ذلك ، فما لاعلم لنا به . وقد وردت الأخبار بوصف عملهم ذلك ، على ما قد حكينا ، وغير ضائر الجهل بذلك إذا كان المراد من علمه المحتاج إليه ، موصلا إلى حقيقته ، وهو أن القوم كانوا محرمين من أنعامهم على أنفسهم ما لم يحرمه الله اتباعا منهم خطوات الشيطان ، فوبخهم الله تعالى بذلك ، وأخبرهم أن كلّ ذلك حلال ، فالحرام من كلّ شيء عندنا ، ما حرّم الله تعالى ورسوله صلى الله عليه وسلم ، بنصّ أو دليل . والحلال منه : ما أحلّه الله ورسوله كذلك .

القول فى تأويل قوله تعالى : ﴿ وَلَكِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يَفْتَرُونَ عَلَى اللهِ الكَذِبَ وأكْثَرُهُمْ لايَعْقِلُونَ ﴾

اختلف أهل التأويل فى المعنىّ بالذين كفروا فى هذا الموضع ، والمراد بقوله (وأكْثَرُهُمْ لايَعْقِلُونَ) فقال بعضهم : المعنىّ بالذين كفروا : اليهود ، وبالذين لايعقلون : أهل الأوثان .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبوأسامة ، عن سفيان ، عن داود بن أبى هند ، عن محمد بن أبى موسى (وَلَكِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يَفْتَرُونَ على اللهِ الكَذِبَ) قال أهل الكتاب (وأكْثَرُهُمْ لايَعْقِلُونَ) قال : أهل الأوثان .

وقال آخرون : بل هم أهل ملة واحدة ، ولكن المفترين المتبوعون ، والذين لايعقلون : الأتباع .

ذكر من قال ذلك

حُدثت عن الحسين بن الفرج ، قال : سمعت أبا معاذ ، قال : ثنا خارجة ، عن داود بن أبي هند ، عن الشعبيّ فى قوله (وَلَكِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يَفْتَرُونَ عَلَى اللهِ الكَذِبَ ، وأَكْثَرُهُمْ لايَعْقِلُونَ) هم الأتباع ، وأما الذين افتروا ، يعقلون أنهم افتروا .

وأولى الأقوال فى ذلك عندنا بالصواب أن يقال : إن المعنيين بقوله (وَلَكِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يَفْتَرُونَ عَلَى اللهِ الكَذِبَ) الذين بحروا البحائر ، وسيبوا السوائب ، ووصلوا الوصائل ، وحموا الحوامى مثل عمرو بن لحى وأشكاله ، ممن سنوا لأهل الشرك السنن الرديئة ، وغيروا دين الله دين الحقّ ، وأضافوا إلى الله تعالى ، أنه هو الذى حرّم ماحرّموا ، وأحلّ ماأحلوا ، افتراء على الله الكذب وهم يعلمون ، واختلافا عليه الإفك ، وهم يعمهون ، فكذّبهم الله تعالى فى قيلهم ذلك ، وإضافتهم إليه ما أضافوا من تحليل ما أحلوا وتحريم ما حرموا ، فقال تعالى ذكره : ما جعلت من بحيرة ، ولا سائبة ، ولكن الكفار هم الذين يفعلون ذلك ، ويفترون على الله الكذب ، وأن يقال : إن المعنيين بقوله (وأَكْثَرُهُمْ لايَعْقِلُونَ) هم أتباع من سنّ لهم هذه السنن من جهلة المشركين ، فهم لاشكّ أنهم أكثر من الذين لهم سنوا ذلك ، فوصفهم الله تعالى بأنهم لايعقلون ، لأنهم لم يكونوا يعقلون أن الذين سنوا لهم تلك السنن ، وأخبروهم أنها من عند الله كذبة فى إخبارهم أفكة ، بل ظنوا أنهم فيما يقولون محقون فى إخبارهم صادقون . وإنما معنى الكلام : وأكثرهم لايعقلون أن ذلك التحريم الذى حرّمه هؤلاء المشركون ، وأضافوه إلى الله تعالى كذب وباطل . وهذا القول الذى قلنا فى ذلك نظير قول الشعبيّ الذى ذكرناه ، ولا معنى لقول من قال : عنى بالذين كفروا : أهل الكتاب ، وذلك أن النكير فى ابتداء الآية من الله تعالى على مشركي العرب ، فالختم بهم أولى من غيرهم ، إذ لم يكن عرض فى الكلام مايصرف من أجله عنهم إلى غيرهم .

وبنحو ذلك كان يقول قتادة .

حدثنا بشر بن معاذ ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (وأَكْثَرُهُمْ لايَعْقِلُونَ) يقول : لايعقلون تحريم الشيطان الذى يحرّم عليهم ، إنما كان من الشيطان ولا يعقلون .

القول فى تأويل قوله تعالى :

﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا إِلَىٰ مَا أَنزَلَ اللَّهُ وَإِلَى الرَّسُولِ قَالُوا حَسْبُنَا مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا أَوَلَوْ كَانَ آبَاؤُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ شَيْئًا وَلَا يَهْتَدُونَ ﴾

يقول تعالى ذكره : وإذا قيل لهؤلاء الذين يبحرون البحائر ، ويسيبون السوائب الذين لايعقلون أنهم بإضافتهم تحريم ذلك إلى الله تعالى يفترون على الله الكذب ، تعالوا إلى تنزيل الله وآى

كتابه وإلى رسوله ، لتبين لكم كذب قيلكم فيم تضيفونه إلى الله تعالى من تحريمكم ما تحرّمون من هذه الأشياء ، أجابوا من دعاهم إلى ذلك ، بأن يقولوا : حسبنا ما وجدنا عليه من قبلنا آباءنا يعملون به ، ويقولون : نحن لهم تبع وهم لنا أئمة وقادة ، وقد اكتفينا بما أخذنا عنهم ، ورضينا بما كانوا عليه من تحريم وتحليل ، قال الله تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم : ولو كان آباء هؤلاء القائلين هذه المقالة لايعلمون شيئا ، يقول : لم يكونوا يعلمون أن ما يضيفونه إلى الله تعالى من تحريم البحيرة والسائبة والوصيلة والحام كذب وفرية على الله ، لاحقيقة لذلك ولا صحة ، لأنهم كانوا أتباع المفترين الذين ابتدءوا تحريم ذلك افتراء على الله بقيلهم ما كانوا يقولون من إضافتهم إلى الله تعالى ما يضيفون ما كانوا فيما هم به عاملون من ذلك على استقامة وصواب ، بل كانوا على ضلالة وخطأ .

القول في تأويل قوله تعالى :

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ عَلَيۡكُمۡ أَنفُسَكُمۡۖ لَا يَضُرُّكُم مَّن ضَلَّ إِذَا ٱهۡتَدَيۡتُمۡۚ إِلَى ٱللَّهِ مَرۡجِعُكُمۡ جَمِيعٗا فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ ١٠٥ ﴾

﴿﴾ يقول تعالى ذكره (يا أيُّها الَّذِينَ آمَنُوا عَلَيْكُمْ أَنْفُسَكُمْ) فأصلحوها ، واعملوا فى خلاصها من عقاب الله تعالى ، وانظروا لها فيما يقرّبها من ربها ؛ فإنه (لايَضُرُّكُمْ مَنْ ضَلَّ) يقول : لايضرّكم من كفر وسلك غير سبيل الحقّ إذا أنتم اهتديتم ، وآمنتم بربكم وأطعتموه ، فيما أمركم به ، وفيما نهاكم عنه ، فحرّمتم حرامه ، وحللتم حلاله ، ونصب قوله (أَنْفُسَكُمْ) بالإغراء ، والعرب تغرى من الصفات بعليك ، وعندك ودونك ، وإليك .

واختلف أهل التأويل فى تأويل ذلك ، فقال بعضهم : معناه : يا أيها الذين آمنوا عليكم أنفسكم إذا أمرتم بالمعروف ، ونهيتم عن المنكر ، فلم يقبل منكم ذلك .

ذكر من قال ذلك

حدثنا سوّار بن عبد الله ، قال : ثنا أبى ، قال : ثنا أبو الأشهب ، عن الحسن ، أن هذه الآية قرئت على ابن مسعود (يا أيُّها الَّذِينَ آمَنُوا عَلَيْكُمْ أَنْفُسَكُمْ لا يَضُرُّكُمْ مَنْ ضَلَّ إِذَا اهْتَدَيْتُمْ) فقال ابن مسعود : ليس هذا بزمانها ، قولوها ما قبلت منكم ، فإذا ردّت عليكم ، فعليكم أنفسكم .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبو أسامة ، عن أبى الأشهب ، عن الحسن ، قال : ذكر ابن مسعود (يا أيُّها الَّذِينَ آمَنُوا) ثم ذكر نحوه .

حدثنا يعقوب ، قال : ثنا ابن علية ، عن يونس ، عن الحسن ، قال : قال رجل لابن مسعود : ألم يقل الله (يا أيُّها الَّذِينَ آمَنُوا عَلَيْكُمْ أَنْفُسَكُمْ لايَضُرُّكُمْ مَنْ ضَلَّ إِذَا اهْتَدَيْتُمْ) قال : ليس هذا بزمانها ، قولوها ما قُبلت منكم ، فإذا ردّت عليكم فعليكم أنفسكم .

حدثنا الحسن بن عرفة ، قال : ثنا شبابة بن سوّار ، قال : ثنا الربيع بن صبيح ، عن سفيان بن عقال ، قال : قيل لابن عمر : لو جلستَ فى هذه الأيام فلم تأمر ولم تنه ، فإن الله تعالى يقول (عَلَيْكُمْ أَنْفُسَكُمْ لايَضُرُّكُمْ مَنْ ضَلَّ إِذَا اهْتَدَيْتُمْ) فقال ابن عمر : إنها ليست لى ولا لأصحابى ، لأن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « ألا فليبلغ الشاهد الغائب » فكنا نحن الشهود وأنتم الغيب ، ولكن هذه الآية لأقوام يجيئون من بعدنا إن قالوا لم يقبل منهم .

حدثنا أحمد بن المقدام ، قال : ثنا المعتمر بن سليمان ، قال : سمعت أبى ، قال : ثنا قتادة ، عن أبى مازن قال : انطلقت على عهد عثمان إلى المدينة ، فإذا قوم من المسلمين جلوس ، فقرأ أحدهم هذه الآية (عَلَيْكُمْ أَنْفُسَكُمْ) فقال أكثرهم : لم يجىء تأويل هذه الآية اليوم .

حدثنا محمد بن بشار ، قال : ثنا عمرو بن عاصم ، قال : ثنا المعتمر ، عن أبيه ، عن قتادة ، عن أبى مازن ، بنحوه .

حدثنا محمد بن بشار ، قال : ثنا محمد بن جعفر وأبو عاصم ، قالا : ثنا عوف ، عن سوّار بن شبيب ، قال : كنت عند ابن عمر ، إذ أتاه رجل جليد فى العين ، شديد اللسان ، فقال : يا أبا عبد الرحمن نحن ستة ، كلهم قد قرءوا القرآن ، فأسرع فيه ، وكلهم مجتهد لايألو ، وكلهم بغيض إليه أن يأتى دناءة ، وهم فى ذلك يشهد بعضهم على بعض بالشرك ، فقال رجل من القوم : وأى دناءة تريد أكثر من أن يشهد بعضهم على بعض بالشراء ؟ ، قال : فقال الرجل : إنى لست إياك أسأل ، أنا أسأل الشيخ ، فأعاد على عبدالله الحديث ، فقال عبد الله بن عمر : لعلك ترى لاأبا لك إنى سآمرك أن تذهب فتقتلهم ، عظهم وانههم ، فإن عصوك فعليك بنفسك ، فإن الله تعالى يقول (يا أيُّها الَّذِينَ آمَنُوا عَلَيْكُمْ أَنْفُسَكُمْ ، لايَضُرُّكُمْ مَنْ ضَلَّ إِذَا اهْتَدَيْتُمْ إلى اللهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعا فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ) .

حدثنا الحسن بن يحيى ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا معمر ، عن الحسن ، أن ابن مسعود ، سأله رجل عن قوله (عَلَيْكُمْ أَنْفُسَكُمْ ، لايَضُرُّكُمْ مَنْ ضَلَّ إِذَا اهْتَدَيْتُمْ) قال : إن هذا ليس بزمانها ، إنها اليوم مقبولة ، ولكنه قد أوشك أن يأتى زمان تأمرون بالمعروف ، فيصنع بكم كذا وكذا ، أو قال : فلا يقبل منكم ، فحينئذ عليكم أنفسكم ، لايضرّكم من ضلّ إذا اهتديتم .

حدثنا الحسن بن يحيى ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا معمر ، عن قتادة ، عن رجل قال : كنت فى خلافة عثمان بالمدينة فى حلقة فيهم أصحاب النبىّ صلى الله عليه وسلم ، فإذا فيهم شيخ يسندون إليه ، فقرأ رجل (عَلَيْكُمْ أَنْفُسَكُمْ لايَضُرُّكُمْ مَنْ ضَلَّ إِذَا اهْتَدَيْتُمْ) فقال الشيخ : إنما تأويلها آخر الزمان .

حدثنا بشر بن معاذ ، قال : ثنا يزيد بن زريع ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قال : ثنا أبو مازن رجل من صالحى الأزد من بنى الحدّان ، قال : انطلقت فى حياة عثمان إلى المدينة ، فقعدت إلى حلقة فيها

أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقرأ رجل من القوم هذه الآية (لايَضُرُّكُمْ مَنْ ضَلَّ إذَا اهْتَدَيْتُمْ) قال : فقال رجل من أسنّ القوم : دع هذه الآية ، فإنما تأويلها فى آخر الزمان .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنا ابن فضالة ، عن معاوية بن صالح ، عن جبير بن نفير . قال : كنت فى حلقة فيها أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وإنى لأصغر القوم ، فتذاكروا الأمر بالمعروف ، والنهى عن المنكر ، فقلت : أنا أليس الله يقول فى كتابه (يا أيُّها الَّذِينَ آمَنُوا عَلَيْكُمْ أنْفُسَكُمْ ، لايَضُرُّكُمْ مَنْ ضَلَّ إذَا اهْتَدَيْتُمْ) فأقبلوا علىّ بلسان واحد ، وقالوا : تنزع بآية من القرآن لاتعرفها ، ولا تدرى ما تأويلها ، حتى تمنيت أنى لم أكن تكلمت ، ثم أقبلوا يتحدثون ؛ فلما حضر قيامهم ، قالوا : إنك غلام حدث السنّ ، وإنك نزعت بآية لاتدرى ما هى ، وعسى أن تدرك ذلك الزمان : إذا رأيت شحا مطاعا ، وهوى متبعا ، وإعجاب كل ذى رأى برأيه ، فعليك بنفسك لايضرّك من ضلّ إذا اهتديت .

حدثنا هناد ، قال : ثنا ليث بن هارون ، قال : ثنا إسحاق الرازى ، عن أبى جعفر ، عن الربيع بن أنس ، عن أبى العالية ، عن عبد الله بن مسعود ، فى قوله (يا أيُّها الَّذِينَ آمَنُوا عَلَيْكُمْ أنْفُسَكُمْ لايَضُرُّكُمْ مَن ضَلَّ إذَا اهْتَدَيْتُمْ إلى اللهِ مَرْجِعُكُمْ جميعا فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ) قال : كانوا عند عبد الله بن مسعود جلوسا ، فكان بين رجلين ما يكونُ بين الناس ، حتى قام كلّ واحد منهما إلى صاحبه ، فقال رجل من جلساء عبد الله : ألا أقوم فآمرهما بالمعروف ، وأنهاهما عن المنكر ؟ فقال آخر إلى جنبه : عليك بنفسك ، فإن الله تعالى يقول (عَلَيْكُمْ أنْفُسَكُمْ لايَضُرُّكُمْ مَنْ ضَلَّ إذَا اهْتَدَيْتُمْ) قال : فسمعها ابن مسعود ، فقال : مه ، لم يجئ تأويل هذه بعدُ ، إن القرآن أنزل حيث أنزل ، ومنه آى قد مضى تأويلهنّ قبل أن ينزلن ، ومنه ما وقع تأويلهنّ على عهد النبىّ صلى الله عليه وسلم ، ومنه آى قد وقع تأويلهنّ بعد النبىّ صلى الله عليه وسلم بيسير ، ومنه آى يقع تأويلهنّ بعد اليوم ، ومنه آى يقع تأويلهنّ عند الساعة على ما ذكر من أمر الساعة ، ومنه آى يقع تأويلهنّ يوم الحساب على ما ذكر من أمر الحساب والجنة والنار ، فما دامت قلوبكم واحدة ، وأهواؤكم واحدة ، ولم تلبسوا شيعا ، ولم يذق بعضكم بأس بعض ، فأمروا ونهوا ، فاذا اختلفت القلوب والأهواء ، وألبستم شيعا ، وذاق بعضكم بأس بعض ، فامرؤ ونفسه ، فعند ذلك جاء تأويل هذه الآية .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن أبى جعفر الرازى ، عن الربيع بن أنس ، عن أبى العالية ، عن ابن مسعود ، أنه كان بين رجلين بعض ما يكون بين الناس ، حتى قام كلّ واحد منهما إلى صاحبه ، ثم ذكر نحوه .

حدثنى أحمد بن المقدام ، قال : ثنا حرمى ، قال : سمعت الحسن يقول : تأوّل بعض أصحاب النبىّ صلى الله عليه وسلم هذه الآية (يا أيُّها الَّذِينَ آمَنُوا عَلَيْكُمْ أنْفُسَكُمْ ، لايَضُرُّكُمْ مَنْ ضَلَّ إذَا اهْتَدَيْتُمْ) فقال بعض أصحابه : دعوا هذه الآية فليست لكم .

حدثنى إسماعيل بن إسرائيل اللآل الرملى ، قال : ثنا أيوب بن سويد ، قال : ثنا عتبة بن أبى حكيم ، عن عمرو بن خالد اللخمىّ ، عن أبى أمية الشعبانى ، قال : « سألت أبا ثعلبة الخشنى ، عن هذه الآية (يا أَيُّها الَّذِينَ آمَنُوا عَلَيْكُمْ أَنْفُسَكُمْ) فقال : لقد سألتَ عنها خبيرا ، سألت عنها رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال : « أبا ثَعْلَبَةَ ائْتَمِرُوا بِالمَعْرُوفِ ، وَتَنَاهَوْا عَنِ المُنْكَرِ ، فإذَا رأيْتَ دُنْيا مُؤْثَرَةً ، وشُحًّا مُطاعا ، وإعْجابَ كُلِّ ذِى رأى بِرأيِهِ ، فَعَلَيْكَ نَفْسَكَ أرَى مِنْ بَعْدِكُمْ أيَّامَ الصَّبْرِ ، للمُتَمَسِّكِ يَوْمَئِذٍ بِمِثْلِ الَّذِى أنْتُمْ عَلَيْهِ كأجْرِ خَمْسِينَ عامِلاً » ، قالوا : يا رسول الله ، كأجر خمسين عاملا منهم ؟ قال : لا كأجْرِ خَمْسِينَ عامِلاً مِنْكُمْ » .

حدثنا علىّ بن سهل، قال : أخبرنا الوليد بن مسلم ، عن ابن المبارك وغيره ، عن عتبة بن أبى حكيم ، عن أبى أمية الشعبانى ، قال : سألت أبا ثعلبة الخشنى كيف نصنع بهذه الآية (يا أَيُّها الَّذِينَ آمَنُوا عَلَيْكُمْ أَنْفُسَكُمْ ، لايَضُرُّكُمْ مَنْ ضَلَّ إذَا اهْتَدَيْتُمْ) فقال أبو ثعلبة : سألتَ عنها خبيرا ، سألتُ عنها رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال : « ائْتَمِرُوا بِالمَعْرُوفِ ، وَتَنَاهَوْا عَنِ المُنْكَرِ ، حتى إذَا رأيْتَ شُحًّا مُطاعا ، وَهَوًى مُتَّبَعا ، وإعْجابَ كُلِّ ذِى رأى بِرأيِهِ ، فَعَلَيْكَ بِخُوَيْصَةِ نَفْسِكَ ، وَذَرْ عَوَامَّهُمْ فإنَّ وَرَاءَكُمْ أيَّاما أجْرُ العامِلِ فِيها كأجْرِ خَمْسِينَ مِنْكُمْ » .

وقال آخرون : معنى ذلك : أن العبد إذا عمل بطاعة الله لم يضرّه من ضلّ بعده وهلك :

ذكر من قال ذلك

حدثنى محمد بن سعد ، قال : ثنى أبى ، قال : ثنى عمى ، قال : ثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله (يا أَيُّها الَّذِينَ آمَنُوا عَلَيْكُمْ أَنْفُسَكُمْ ، لايَضُرُّكُمْ مَنْ ضَلَّ) يقول : إذا ما العبد أطاعنى فيما أمرته من الحلال والحرام ، فلا يضرّه من ضلّ بعدُ إذا عمل بما أمرته به .

حدثنى المثنى ، قال : ثنا عبد الله بن صالح ، قال : ثنى معاوية بن صالح ، عن علىّ بن أبى طلحة ، عن ابن عباس ، قوله (عَلَيْكُمْ أَنْفُسَكُمْ لايَضُرُّكُمْ مَنْ ضَلَّ إذَا اهْتَدَيْتُمْ) يقول : أطيعوا أمرى ، واحفظوا وصيتى .

حدثنا هناد ، قال : ثنا ليث بنْ هارون ، قال : ثنا إسحاق الرازى ، عن أبى جعفر الرازى ، عن صفوان ابن الجون ، قال : دخل عليه شاب من أصحاب الأهواء ، فذكر شيئا من أمره ، فقال صفوان : ألا أدلك على خاصة الله التى خصّ بها أولياءه (يا أَيُّها الَّذِينَ آمَنُوا عَلَيْكُمْ أَنْفُسَكُمْ ، لايَضُرُّكُمْ مَنْ ضَلَّ) . . . الآية :

حدثنا عبد الكريم بن أبى عمير ، قال : ثنا أبو المطرف المخزومىّ ، قال : ثنا جويبر ، عن الضحاك ، عن ابن عباس ، قال (عَلَيْكُمْ أَنْفُسَكُمْ ، لايَضُرُّكُمْ مَنْ ضَلَّ إذَا اهْتَدَيْتُمْ) ما لم يكن سيف أو سوط :

حدثنا علىّ بن سهل ، قال : ثنا مرّة بن ربيعة ، قال : تلا الحسن هذه الآية (يا أَيُّها الَّذِينَ آمَنُوا

عَلَيْكُمْ أَنْفُسَكُمْ ، لايَضُرُّكُمْ مَنْ ضَلَّ إِذَا اهْتَدَيْتُمْ) فقال الحسن : الحمد لله بها ، والحمد لله عليها ، ماكان مؤمن فيما مضى ، ولا مؤمن فيما بقى إلا وإلى جانبه منافق يكره عمله .

وقال آخرون : بل معنى ذلك (يا أيُّها الَّذِينَ آمَنُوا عَلَيْكُمْ أَنْفُسَكُمْ) فاعملوا بطاعة الله (لايَضُرُّكُمْ مَنْ ضلَّ إِذَا اهْتَدَيْتُمْ) فأمرتم بالمعروف ، ونهيتم عن المنكر .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا حكام بن سلم ، عن عنبسة ، عن سعد البقال ، عن سعيد بن المسيب (لايَضُرُّكُمْ مَنْ ضَلَّ إِذَا اهْتَدَيْتُمْ) قال : إذا أمرتَ بالمعروف ، ونهيت عن المنكر ، لايضرّك من ضلّ إذا اهتديت .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا يحيى بن يمان ، عن سفيان ، عن أبى العميس ، عن أبى البخترى ، عن حذيفة (عَلَيْكُمْ أَنْفُسَكُمْ لايَضُرُّكُمْ مَنْ ضَلَّ إِذَا اهْتَدَيْتُمْ) قال : إذا أمرتم ونهيتم .

حدثنا هناد ، قال : ثنا وكيع ، وحدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبى ، عن ابن أبى خالد ، عن قيس بن أبى حازم ، قال : قال أبو بكر : تقرءون هذه الآية (لايَضُرُّكُمْ مَنْ ضَلَّ إِذَا اهْتَدَيْتُمْ) وإن الناس إذا رأوا الظالم ، قال ابن وكيع : فلم يأخذوا على يديه ، أوشكَ أن يعمهم الله بعقابه .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا جرير وابن فضيل ، عن بيان ، عن قيس ، قال : قال أبو بكر : إنكم تقرءون هذه الآية (يا أيُّها الَّذِينَ آمَنُوا عَلَيْكُمْ أَنْفُسَكُمْ ، لايَضُرُّكُمْ مَنْ ضَلَّ إِذَا اهْتَدَيْتُمْ) وإن القوم إذا رأوا الظالم ، فلم يأخذوا على يديه ، يعمهم الله بعقابه .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا جرير ، عن إسماعيل ، عن قيس ، عن أبى بكر ، عن النبىّ صلى الله عليه وسلم ، فذكر نحوه .

حدثنا محمد بن الحسين ، قال : ثنا أحمد بن مفضل ، قال : ثنا أسباط ، عن السدىّ ، قوله (يا أيُّها الَّذِينَ آمَنُوا عَلَيْكُمْ أَنْفُسَكُمْ ، لايَضُرُّكُمْ مَنْ ضَلَّ إِذَا اهْتَدَيْتُمْ) يقول : مروا بالمعروف وانهوا عن المنكر . قال أبوبكر بن أبى قحافة : ياأيها الناس لاتغترّوا بقول الله (عَلَيْكُمْ أَنْفُسَكُمْ) فيقول أحدكم علىّ نفسى ، والله لتأمرنّ بالمعروف ، وتنهونّ عن المنكر ، أو لتستعملنّ عليكم شراركم فليسومنكم سوء العذاب ، ثم ليدعون الله خياركم فلا يستجيب لهم .

حدثنا أبوهشام الرفاعى ، قال : ثنا ابن فضيل ، قال : ثنا بيان ، عن قيس بن أبى حازم ، قال : قال أبو بكر وهو على المنبر : يا أيها الناس إنكم تقرءون هذه الآية على غير موضعها (لايَضُرُّكُمْ مَنْ ضَلَّ إِذَا اهْتَدَيْتُمْ) وإن الناس إذا رأوا الظالم فلم يأخذوا على يديه ، عمهم الله بعقابه .

حدثنى الحرث ، قال : ثنا عبد العزيز ، قال : ثنى عيسى بن المسيب البجلى ، ثنا قيس بن أبى حازم ، قال : سمعت أبا بكر الصدّيق رضى الله عنه يقرأ هذه الآية (يا أيها الَّذِينَ آمَنُوا عَلَيْكُمْ أَنْفُسَكُمْ لايَضُرُّكُمْ مَنْ ضَلَّ إِذَا اهْتَدَيْتُمْ) فقال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « إذا

رأى النَّاسُ المُنْكَرَ فَلَمْ يُغَيِّرُوهُ ، والظَّالِمَ فَلَمْ يَأْخُذُوا على يَدَيْهِ ، فَيُوشِكُ أنْ يَعُمَّهُمُ اللهُ مِنْهُ بِعِقاب » .

حدثنا الربيع ، قال : ثنا أسد بن موسى ، قال : ثنا سعيد بن سالم ، قال : ثنا منصور بن دينار ، عن عبد الملك بن ميسرة ، عن قيس بن أبي حازم ، قال : صعد أبو بكر المنبر ، منبر رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فحمد اللهَ وأثنى عليه، ثم قال : يا أيها الناس إنكم لتتلون آية من كتاب الله ، وتعدّونها رخصة والله ما أنزل الله فى كتابه أشدّ منها (يأيُّها الَّذِينَ آمَنُوا عَلَيْكُمْ أنْفُسَكُمْ لايَضُرُّكُمْ مَنْ ضَلَّ ، إذَا اهْتَدَيْتُمْ) والله لتأمرنّ بالمعروف ، ولتنهونّ عن المنكر ، أو ليعمنكم الله منه بعقاب.

حدثنا محمد بن سيّار ، قال : ثنا إسحاق بن إدريس ، قال : ثنا سعيد بن زيد ، قال : ثنا مجالد بن سعيد ، عن قيس بن أبي حازم ، قال : سمعت أبا بكر يقول وهو يخطب الناس : يا أيها الناس إنكم تقرءون هذه الآية ، ولا تدرون ما هى (يا أيُّها الَّذِينَ آمَنُوا عَلَيْكُمْ أنْفُسَكُمْ لايَضُرُّكُمْ مَنْ ضَلَّ إذَا اهْتَدَيْتُمْ) وإنى سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « إنَّ النَّاسَ إذَا رَأوْا مُنْكَرًا فَلَمْ يُغَيِّرُوهُ عَمَّهُمُ اللهُ بِعِقابٍ » .

وقال آخرون : بل معنى هذه الآية : لايضرّكم من حاد عن قصد السبيل ، وكفر بالله من أهل الكتاب.

ذكر من قال ذلك

حدثنى يعقوب ، قال : ثنا هشيم ، عن أبي بشر ، عن سعيد بن جبير ، فى قوله (لايَضُرُّكُمْ مَنْ ضَلَّ إذَا اهْتَدَيْتُمْ) قال : يعنى : من ضلّ من أهل الكتاب .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا محمد بن جعفر ، قال : ثنا شعبة ، عن أبي بشر ، عن سعيد بن جبير فى هذه الآية (لايَضُرُّكُمْ مَنْ ضَلَّ إذَا اهْتَدَيْتُمْ) قال : أنزلت فى أهل الكتاب .

وقال آخرون : عنى بذلك كلّ من ضلّ عن دين الله الحقّ .

ذكر من قال ذلك

حدثنى يونس بن عبد الأعلى ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله (يا أيُّها الَّذِينَ آمَنُوا عَلَيْكُمْ أنْفُسَكُمْ ، لايَضُرُّكُمْ مَنْ ضَلَّ إذَا اهْتَدَيْتُمْ) قال : كان الرجل إذا أسلم ، قالوا له : سفّهت آباءك وضلّلتهم ، وفعلت وفعلت ، وجعلت آباءك كذا وكذا ، كان ينبغى لك أن تنصرهم وتفعل ، فقال الله تعالى (يا أيُّها الَّذِينَ آمَنُوا عَلَيْكُمْ أنْفُسَكُمْ ، لايَضُرُّكُمْ مَنْ ضَلَّ إذَا اهْتَدَيْتُمْ) .

⁂ وأولى هذه الأقوال ، وأصحّ التأويلات عندنا بتأويل هذه الآية ما روى عن أبي بكر الصدّيق فيها ، وهو (يا أيُّها الَّذِينَ آمَنُوا عَلَيْكُمْ أنْفُسَكُمْ) : الزموا العمل بطاعة الله ، وبما أمركم بهِ ، وانتهوا عما نهاكم الله عنه (لايَضُرُّكُمْ مَنْ ضَلَّ إذَا اهْتَدَيْتُمْ) يقول : فإنه لايضرّكم ضلال من ضلّ إذا أنتم رمتم العمل بطاعة الله ، وأدّيتم فيمن ضلّ من الناس ما ألزمكم الله به فيه من فرض الأمر بالمعروف ،

والنهى عن المنكر ، الذى يركبه ، أو يحاول ركوبه ، والأخذ على يديه ، إذا رام ظلما لمسلم أو معاهد ، ومنعه منه فأبى النزوع عن ذلك ، ولا ضير عليكم فى تماديه فى غيه وضلاله إذا أنتم اهتديتم ، وأدّيتم حقّ الله تعالى فيه .

☆ وإنما قلنا : ذلك أولى التأويلات فى ذلك بالصواب ، لأن الله تعالى أمر المؤمنين أن يقوموا بالقسط ، ويتعاونوا على البرّ والتقوى ؛ ومن القيام بالقسط : الأخذ على يد الظالم ؛ ومن التعاون على البرّ والتقوى : الأمر بالمعروف ؛ وهذا مع ما تظاهرت به الأخبار عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من أمره بالأمر بالمعروف ، والنهى عن المنكر ؛ ولو كان للناس ترك ذلك ، لم يكن للأمر به معنى إلا فى الحال التى رخص فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم ترك ذلك ، وهى حال العجز عن القيام به بالجوارح الظاهرة ، فيكون مرخصا له تركه ، إذا قام حينئذ بأداء فرض الله عليه فى ذلك بقلبه . وإذا كان ما وصفنا من التأويل بالآية أولى ، فبيّن أنه قد دخل فى معنى قوله (إذا اهْتَدَيْتُمْ) ما قاله حذيفة ، وسعيد بن المسيب ، من أن ذلك إذا أمرتم بالمعروف ، ونهيتم عن المنكر ، ومعنى ما رواه أبو ثعلبة الخشنى ، عن رسول الله صلى الله عليه وسلم .

القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ إلى اللهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعا فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾ :

يقول تعالى ذكره للمؤمنين من عباده : اعملوا أيها المؤمنون بما أمرتكم به ، وانتهوا عما نهيتكم عنه ، ومروا أهل الزيغ والضلال ، وما حاد عن سبيلى بالمعروف ، وانهوهم عن المنكر ؛ فإن قبلوا فلهم ولكم ، وإن تمادوا فى غيهم وضلالهم ، فإن إلىّ مرجع جميعكم ومصيركم فى الآخرة ومصيرهم ، وأنا العالم بما يعمل جميعكم من خير وشرّ ، فأخبر هناك كلّ فريق منكم بما كان يعمله فى الدنيا ، ثم أجازيه على عمله الذى قدم به علىّ جزاءه حسب استحقاقه ، فإنه لا يخفى علىّ عمل عامل منكم من ذكر أو أنثى .

القول فى تأويل قوله تعالى :

يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ شَهَٰدَةُ بَيْنِكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ ٱلْمَوْتُ حِينَ ٱلْوَصِيَّةِ ٱثْنَانِ ذَوَا عَدْلٍ مِّنكُمْ أَوْ ءَاخَرَانِ مِنْ غَيْرِكُمْ إِنْ أَنتُمْ ضَرَبْتُمْ فِى ٱلْأَرْضِ فَأَصَٰبَتْكُم مُّصِيبَةُ ٱلْمَوْتِ تَحْبِسُونَهُمَا مِنۢ بَعْدِ ٱلصَّلَوٰةِ فَيُقْسِمَانِ بِٱللَّهِ إِنِ ٱرْتَبْتُمْ لَا نَشْتَرِى بِهِۦ ثَمَنًا وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ وَلَا نَكْتُمُ شَهَٰدَةَ ٱللَّهِ إِنَّآ إِذًا لَّمِنَ ٱلْءَاثِمِينَ ﴿١٠٦﴾

☆ يقول تعالى ذكره للمؤمنين به (يا أيُّها الَّذِينَ آمَنُوا شَهادَةُ بَيْنِكُمْ) يقول : ليشهد بينكم (إذَا حَضَرَ أحَدَكُمُ المَوْتُ حِينَ الوَصِيَّةِ) يقول : وقت الوصية (اثْنانِ ذَوَا عَدْلٍ مِنْكُمْ) يقول : ذوا رشد وعقل وحجا من المسلمين .

كما حدثنا محمد بن بشار ، وعبيد الله بن يوسف الجبيرى ، قالا : ثنا مؤمل بن إسماعيل ، قال : ثنا شعبة ، عن قتادة ، عن سعيد بن المسيب ، فى قوله (وأشْهِدُوا ذَوَىْ عَدْلٍ مِنْكُمْ) قال : ذوا عقل .

واختلف أهل التأويل فى تأويل قوله (ذَوَا عَدْلٍ مِنْكُمْ) قال : بعضهم : عنى به : من أهل ملتكم.

ذكر من قال ذلك

حدثنا حميد بن مسعدة ، قال : ثنا يزيد بن زريع ، عن سعيد ، عن قتادة ، عن سعيد بن المسيب ، قال : شاهدان ذوا عدل منكم من المسلمين .

حدثنا عمران بن موسى القزّاز ، قال : ثنا عبد الوارث بن سعيد ، قال : ثنا إسحاق بن سويد ، عن يحيى بن يعمر ، فى قوله (اثْنَانِ ذَوَا عَدْلٍ مِنْكُمْ) من المسلمين .

حدثنا ابن بشار وابن المثنى ، قالا : ثنا ابن أبى عدىّ ، عن سعيد ، عن قتادة ، عن سعيد بن المسيب ، فى قوله (اثْنَانِ ذَوَا عَدْلٍ مِنْكُمْ) قال : اثنان من أهل دينكم .

حدثنا أبوكريب ، قال : ثنا ابن إدريس ، عن أشعث ، عن ابن سيرين ، عن عبيدة ، قال : سألته ، عن قول الله تعالى (اثْنَانِ ذَوَا عَدْلٍ مِنْكُمْ) قال : من الملة .

حدثنا أبوكريب ، قال : ثنا ابن إدريس ، عن هشام ، عن ابن سيرين ، عن عبيدة، بمثله ، إلا أنه قال فيه : من أهل الملة .

حدثنى يعقوب ، قال : ثنا ابن علية ، عن هشام ، عن ابن سيرين ، قال : سألت عبيدة عن هذه الآية (اثْنَانِ ذَوَا عَدْلٍ مِنْكُمْ) قال : من أهل الملة .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبى ، عن ابن عون ، عن ابن سيرين ، عن عبيدة ، مثله .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا حسين ، عن زائدة ، عن هشام ، عن ابن سيرين ، قال : سألت عبيدة، فذكر مثله .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا ابن مهدى ، عن حماد، عن ابن أبى نجيح ، وقال : ثنا مالك بن إسماعيل، عن حماد بن زيد ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، مثله .

حدثنى محمد بن سعد ، قال : ثنى أبى ، قال : ثنى عمى ، قال : ثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس (ذَوَا عَدْلٍ مِنْكُمْ) قال : ذوا عدل من أهل الإسلام .

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب، قال : قال ابن زيد ، فى قوله (ذَوَا عَدْلٍ مِنْكُمْ) قال : من المسلمين .

حدثنا بشر بن معاذ ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قال : كان سعيد بن المسيب يقول : (اثْنَانِ ذَوَا عَدْلٍ مِنْكُمْ) : أى من أهل الإسلام .

وقال آخرون : عنى بذلك : ذوا عدل من حىّ الموصى ، وذلك قول رُوِى عن عكرمة وعبيدة وعدّة غيرهما .

واختلفوا فى صفة الاثنين اللذين ذكرهما الله فى هذه الآية ماهى ، وما هما ؟ فقال بعضهم : هما شاهدان يشهدان على وصية الموصى . وقال آخرون : هما وصيان .

وتأويل الذين زعموا أنهما شاهدان ، قوله (شَهَادَةُ بَيْنِكُمْ) ليشهد شاهدان ذوا عدل منكم على وصيتكم ، وتأويل الذين قالوا : هما وصيان لاشاهدان ، قوله (شَهَادَةُ بَيْنِكُمْ) بمعنى الحضور والشهود لما يوصيهما به المريض من قولك : شهدت وصية فلان ، بمعنى حضرته .

۞ وأولى التأويلين بقوله (اثْنَانِ ذَوَا عَدْلٍ مِنْكُمْ) تأويل من تأوله بمعنى : أنهما من أهل الملة دون من تأوله أنهما من حىّ الموصى .

وإنما قلنا ذلك أولى التأويلين بالآية ، لأن الله تعالى عم المؤمنين بخطابهم بذلك فى قوله (يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا شَهَادَةُ بَيْنِكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ حِينَ الْوَصِيَّةِ اثْنَانِ ذَوَا عَدْلٍ مِنْكُمْ) فغير جائز أن يُصرف ما عمه الله تعالى إلى الخصوص إلا بحجة يجب التسليم لها . وإذ كان ذلك كذلك ، فالواجب أن يكون العائد من ذكرهم على العموم ، كما كان ذكرهم ابتداء على العموم .

وأَوْلَى المعنيين بقوله (شَهَادَةُ بَيْنِكُمْ) اليمين ،لا الشهادة التى يقوم بها من عنده شهادة لغيره ،لمن هى عنده ، على من هى عليه عند الحكام ، لأنَّا لانعلم لله تعالى حكما يجب فيه على الشاهد اليمين ، فيكون جائزا صرف الشهادة فى هذا الموضع ، إلى الشهادة التى يقوم بها بعض الناس عند الحكام والأئمة ، وفى حكم الآية فى هذه اليمين على ذوى العدل ، وعلى من قام مقامهم فى اليمين بقوله (تَحْبِسُونَهُمَا مِنْ بَعْدِ الصَّلاةِ فَيُقْسِمَانِ بِاللهِ) أوضح الدليل على صحة ما قلنا فى ذلك من أن الشهادة فيه الأيمان ، دون الشهادة التى يقضى بها للمشهود له على المشهود عليه ، وفساد ما خالفه .

۞ فإن قال قائل : فهل وجدت فى حكم الله تعالى يمينا تجب على المدّعى ، فتوجه قولك فى الشهادة فى هذا الموضع إلى الصحة ، فإن قلت : لاتبين فساد تأويلك ذلك على ما تأوّلت ، لأنه يجب على هذا التأويل أن يكون المقسمان ، فى قوله (فَإِنْ عُثِرَ عَلَى أَنَّهُمَا اسْتَحَقَّا إِثْمًا فَآخَرَانِ يَقُومَانِ مَقَامَهُمَا مِنَ الَّذِينَ اسْتَحَقَّ عَلَيْهِمُ الْأَوْلَيَانِ ، فَيُقْسِمَانِ بِاللهِ لَشَهَادَتُنَا أَحَقُّ مِنْ شَهَادَتِهِمَا) هما المدعيين وإن قلت بلى ، قيل لك ، وفى أىّ حكم الله تعالى وجدت ذلك ؟ قيل : وجدنا ذلك فى أكثر المعانى ، وذلك فى حكم الرجل يدَّعى قِبَل رجل مالا ،فيقرّ به المدّعى عليه قبله ذلك، ويدعى قضاءه ، فيكون القول قول ربّ الدين ، والرجل يعترف فى يد الرجل السلعة ، فيزعم المعترَفة فى يده أنه اشتراها من المدّعى ، أو أن المدّعى وهبها له ، وما أشبه ذلك مما يكثر إحصاؤه، وعلى هذا الوجه أوجب الله تعالى فى هذا الموضع اليمين على المدّعيين اللذين عثرا على الجانبين فيما جنيا فيه .

واختلف أهل العربية فى الرافع ، قوله (شَهَادَةُ بَيْنِكُمْ) ، وقوله (اثْنَانِ ذَوَا عَدْلٍ مِنْكُمْ) فقال بعض نحويى البصرة : معنى قوله (شَهَادَةُ بَيْنِكُمْ) شهادة اثنين ذوى عدل ، ثم ألقيت الشهادة وأقيم الاثنان مقامها ، فارتفعا بما كانت الشهادة به مرتفعة لو جعلت فى الكلام ، قال : وذلك فى حذف

ماحذف منه ، وإقامة ما أقيم مقام المحذوف ، نظير قوله (وَاسأَلِ القَرْيَةَ) وإنما يريد : واسأل أهل القرية ، وانتصبت القرية بانتصاب الأهل ، وقامت مقامه ، ثم عطف قوله أو آخران على الاثنين .

وقال بعض نحويي الكوفة : رفع الاثنين بالشهادة : أى ليشهدكم اثنان من المسلمين ، أو آخران من غيركم . وقال آخر منهم : رفعت الشهادة بإذا حضر ، وقال : إنما رفعت بذلك لأنه قال : إذا حضر ، فجعلها شهادة محذوفة مستأنفة ، ليست بالشهادة التى قد رفعت لكلّ الخلق ، لأنه قال تعالى ذكره : (أَوْ آخَرَانِ مِنْ غيرِكُمْ) ، وهذه شهادة لاتقع إلا فى هذا الحال ، وليست مما ثبت .

وأولى هذه الأقوال فى ذلك عندى بالصواب ، قول من قال : الشهادة مرفوعة بقوله (إِذَا حَضَرَ) لأن قوله : إذا حضر ، بمعنى : عند حضور أحدكم الموت ، والاثنان مرفوع بالمعنى المتوهم ، وهو أن يشهد اثنان ، فاكتفى من قيل أن يشهد بما قد جرى من ذكر الشهادة فى قوله (شَهادَةُ بَيْنِكُمْ) .

وإنما قلنا : ذلك أولى بالصواب ، لأن الشهادة مصدر فى هذا الموضع ، والاثنان اسم ، والاسم لايكون مصدرا ، غير أن العرب قد تضع الأسماء مواضع الأفعال ، فالأمر وإن كان كذلك ، فصرف كل ذلك إلى أصحّ وجوهه ما وجدنا إليه سبيلا ، أولى بنا من صرفه إلى أضعفها .

القول في تأويل قوله تعالى : ﴿أَوْ آخَرَانِ مِنْ غيرِكُمْ﴾ :

يقول تعالى ذكره للمؤمنين : ليشهد بينكم إذا حضر أحدكم الموت عدلان من المسلمين ، أو آخران من غير المسلمين .

وقد اختلف أهل التأويل ، فى تأويل قوله (أَوْ آخَرَانِ مِنْ غيرِكُمْ) فقال بعضهم : معناه : أو آخران من غير أهل ملتكم ، نحو الذى قلنا فيه .

ذكر من قال ذلك

حدثنا حميد بن مسعدة ، ويونس بن معاذ ، قالا : ثنا يزيد بن زريع ، عن سعيد ، عن قتادة ، عن سعيد بن المسيب (أَوْ آخَرَانِ مِنْ غيرِكُمْ) من أهل الكتاب .

حدثنا محمد بن بشار ، ومحمد بن المثنى ، قالا : ثنا محمد بن جعفر ، قال : ثنا شعبة ، قال : سمعت قتادة يحدّث ، عن سعيد بن المسيب (أَوْ آخَرَانِ مِنْ غيرِكُمْ) : من أهل الكتاب .

حدثنى أبو حفص الجبيرى عبيد الله بن يوسف ، قال : ثنا مؤمل بن إسماعيل ، قال : ثنا شعبة ، عن قتادة ، عن سعيد بن المسيب ، مثله .

حدثنا محمد بن بشار ، قال : ثنا ابن أبى عدىّ ، عن سعيد ، عن قتادة ، عن سعيد ، مثله .

حدثنى يعقوب ، قال : ثنا هشيم ، قال : أخبرنا مغيرة ، عن إبراهيم ، وسليمان التّيمى ، عن سعيد ابن المسيب ، أنهما قالا فى قوله (أَوْ آخَرَانِ مِنْ غيرِكُمْ) قالا : من غير أهل ملتكم .

حدثنى يعقوب ، قال : ثنا هشيم ، قال : أخبرنا مغيرة ، قال : ثنى من سمع سعيد بن جبير ، يقول : مثل ذلك .

حدثنى يعقوب ، قال : ثنا هشيم ، قال : أخبرنا التيمى ، عن أبى مجلز ، قال : من غير أهل ملتكم .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا محمد بن جعفر ، قال : ثنا شعبة ، عن مغيرة ، عن إبراهيم ، مثله .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا جرير ، عن مغيرة ، عن إبراهيم ، قال : إن كان قربه أحد من المسلمين أشهدهم ، وإلا أشهد رجلين من المشركين .

حدثنا عمرو بن علىّ ، قال : ثنا قتيبة ، قال : ثنا هشيم ، عن المغيرة ، عن إبراهيم ، وسعيد بن جبير ، فى قوله (أَوْ آخَرَانِ مِنْ غَيْرِكُمْ) قالا : من غير أهل ملتكم .

حدثنا عمرو ، قال : ثنا يحيى بن سعيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، عن سعيد (أَوْ آخَرَانِ مِنْ غَيْرِكُمْ) قال : من أهل الكتاب .

حدثنا عمرو ، قال : ثنا محمد بن سوّار ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، عن سعيد بن المسيب ، مثله .

حدثنا هناد ، قال : ثنا وكيع ، وحدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبى ، عن شعبة ، عن قتادة ، عن سعيد ابن المسيب ، مثله .

حدثنا عمران بن موسى ، قال : ثنا عبد الوارث بن سعيد ، قال : ثنا إسحاق بن سويد ، عن يحيى بن يعمر ، فى قوله (اثْنَانِ ذَوَا عَدْلٍ مِنْكُمْ) من المسلمين ، فإن لم تجدوا من المسلمين ، فمن غير المسلمين .

حدثنا المثنى ، قال : ثنا عبد الأعلى ، قال : ثنا داود ، عن عامر ، عن شريح ، فى هذه الآية : (يا أيُّها الَّذِينَ آمَنُوا شَهَادَةُ بَيْنِكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ حِينَ الْوَصِيَّةِ اثْنَانِ ذَوَا عَدْلٍ مِنْكُمْ أَوْ آخَرَانِ مِنْ غَيْرِكُمْ) قال : إذا كان الرجل بأرض غربة ، ولم يجد مسلما يشهده على وصيته ، فأشهد يهوديا ، أو نصرانيا ، أو مجوسيا ، فشهادتهما جائزة ، فإن جاء رجلان مسلمان ، فشهدا بخلاف شهادتهما ، أجيزت شهادة المسلمين ، وأبطلت شهادة الآخرين .

حدثنى يعقوب ، قال : ثنا هشيم ، قال : أخبرنا الأعمش ، عن إبراهيم ، عن شريح أنه كان لا يجيز شهادة اليهود والنصارى على مسلم إلا فى الوصية ، ولا يجيز شهادتهما على الوصية ، إلا إذا كانوا فى سفر .

حدثنا عمرو بن علىّ ، قال : ثنا أبو معاوية ووكيع ، قالا : ثنا الأعمش ، عن إبراهيم ، عن شريح ، قال : لا تجوز شهادة اليهود والنصارى إلا فى سفر ، ولا تجوز فى سفر إلا فى وصية .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبى ، عن الأعمش ، عن إبراهيم ، عن شريح ، نحوه .

حدثنا عمرو بن علىّ ، قال : ثنا محمد بن عبد الله بن الزبير الأسدى ، قال : ثنا سفيان ، عن منصور عن إبراهيم ، قال : كتب هشام بن هبيرة لمسلمة ، عن شهادة المشركين على المسلمين ، فكتب : لا تجوز شهادة المشركين على المسلمين إلا فى وصية ، ولا يجوز فى وصية إلا أن يكون الرجل مسافرا .

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا ابن إدريس ، عن أشهب ، عن ابن سيرين ، عن عبيدة ، قال : سألته عن قول الله تعالى (أَوْ آخَرَانِ مِنْ غَيْرِكُمْ) قال : من غير الملة .

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا ابن إدريس ، عن هشام ، عن ابن سيرين ، عن عبيدة ، بمثله .

حدثني يعقوب ، قال : ثنا ابن علية ، عن هشام ، عن ابن سيرين ، قال : سألت عبيدة ، عن ذلك فقال : من غير أهل الملة .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا جرير ، عن هشام ، عن ابن سيرين ، عن عبيدة ، قال : من غير أهل الصلاة .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا ابن إدريس ، عن هشام ، عن ابن سيرين ، عن عبيدة ، قال : من غير أهل دينكم .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا حسين ، عن زائدة ، عن هشام ، عن ابن سيرين ، عن عبيدة ، قال : من غير أهل الملة .

حدثنا عمرو بن عليّ ، قال : ثنا أبو داود ، قال : ثنا أبو حرّة ، عن محمد بن سيرين ، عن عبيدة (أَوْ آخَرَانِ مِنْ غَيْرِكُمْ) قال : من غير أهل ملتكم .

حدثنا عمرو بن عليّ ، قال : ثنا عبد الرحمن بن عثمان ، قال : ثنا هشام بن محمد ، قال : سألت سعيد ابن جبير ، عن قول الله (أَوْ آخَرَانِ مِنْ غَيْرِكُمْ) قال : من غير أهل ملتكم .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا مالك بن إسماعيل ، عن حماد بن زيد ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، مثله .

حدثنا عمرو ، قال : ثنا أبو داود ، قال : ثنا حماد بن زيد ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، قال : من غير أهل ملتكم .

حدثني محمد بن سعد ، قال : ثني أبي ، قال : ثني عمي ، قال : ثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس (أَوْ آخَرَانِ مِنْ غَيْرِكُمْ) قال : من غير أهل الإسلام .

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا أبو بكر بن عياش ، قال : قال أبو إسحاق (أَوْ آخَرَانِ مِنْ غَيْرِكُمْ) قال : من اليهود والنصارى . قال : قال شريح : لاتجوز شهادة اليهوديّ والنصرانيّ إلا في وصية ، ولا تجوز في وصية إلا في سفر .

حدثني يعقوب ، قال : ثنا هشيم ، قال : أخبرنا زكريا ، عن الشعبي ، أن رجلا من المسلمين حضرته الوفاة بدقُوقا ، ولم يجد أحدا من المسلمين يشهده على وصيته ، فأشهد رجلين من أهل الكتاب ، فقدما الكوفة ، فأتيا الأشعرى فأخبراه ، وقدما بتركته ووصيته ، فقال الأشعرى : هذا أمر لم يكن بعد الذى كان في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأحلفهما ، وأمضى شهادتهما .

حدثنا عمرو بن عليّ ، قال : ثنا أبو داود ، قال : ثنا شعبة ، عن مغيرة الأزرق ، عن الشعبيّ ، أن أبا موسى قضى بها بدَقُوقا .

حدثنا عمرو ، قال : ثنا عثمان بن الهيثم ، قال : ثنا عوف ، عن محمد ، أنه كان يقول في قوله (اثْنَانِ ذَوَا عَدْلٍ مِنْكُمْ ، أَوْ آخَرَانِ مِنْ غَيْرِكُمْ) شاهدان من المسلمين وغير المسلمين .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد (أَوْ آخَرَانِ مِنْ غيرِكُمْ) : من غير أهل الإسلام .

حدثني المثنى ، قال : ثنا إسحاق ، قال : ثنا عبد الرحمن بن سعد ، قال : أخبرنا أبوحفص ، عن ليث ، عن مجاهد ، قال : من غير أهل الإسلام .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : أخبرني عبد الله بن عباس . قال : قال زيد بن أسلم في هذه الآية (شَهَادَةُ بَيْنِكُمْ) . . . الآية كلها ، قال : كان ذلك في رجل تُوُفِّيَ وليس عنده أحد من أهل الإسلام ، وذلك في أول الإسلام ، والأرض حرب ، والناس كفار ، إلا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه بالمدينة ، وكان الناس يتوارثون بالوصية ، ثم نسخت الوصية وفُرضت الفرائض ، وعمل المسلمون بها .

وقال آخرون : بل معنى ذلك : أو آخران من غير حيِّكم وعشيرتكم .

ذكر من قال ذلك

حدثنا عمرو بن عليّ ، قال : ثنا عثمان بن الهيثم بن الجهم ، قال : ثنا عوف ، عن الحسن ، في قوله (اثْنَانِ ذَوَا عَدْلٍ مِنْكُمْ أَوْ آخَرَانِ مِنْ غيرِكُمْ) قال : شاهدان من قومكم ، ومن غير قومكم

حدثنا عمرو ، قال : ثنا أبو داود ، قال : ثنا صالح بن أبي الأخضر ، عن الزهريّ ، قال : مضت السنة أن لاتجوز شهادة كافر في حضر ، ولا سفر ، إنما هي في المسلمين .

حدثنا بشر بن معاذ ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قال : كان الحسن يقول : (اثْنَانِ ذَوَا عَدْلٍ مِنْكُمْ) أي من عشيرته (أَوْ آخَرَانِ مِنْ غيرِكُمْ) قال : من غير عشيرته .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبوأسامة ، عن ثابت بن زيد ، عن عاصم ، عن عكرمة (أَوْ آخَرَانِ مِنْ غيرِكُمْ) قال : من غير أهل حيكم .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا ابن مهديّ ، عن ثابت بن زيد ، عن عاصم ، عن عكرمة (أَوْ آخَرَانِ مِنْ غيرِكُمْ) قال : من غير حيكم .

حدثنا عمرو بن عليّ ، قال : ثنا أبو داود ، قال : ثنا ثابت بن زيد ، عن عاصم الأحول ، عن عكرمة في قول الله تعالى (أَوْ آخَرَانِ مِنْ غيرِكُمْ) قال : من غير أهل حيه ، يعني من المسلمين .

حدثني الحرث بن محمد ، قال : ثنا عبد العزيز ، قال : ثنا مبارك ، عن الحسن (أَوْ آخَرَانِ مِنْ غيرِكُمْ) قال : من غير عشيرتك ، ومن غير قومك كلهم من المسلمين .

حدثنا الحسن بن يحيى قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا معمر ، عن أيوب ، عن ابن سيرين ، عن عبيدة ، قوله (أَوْ آخَرَانِ مِنْ غيرِكُمْ) قال : مسلمين من غير حيكم .

حدثني المثنى ، قال : ثنا عبد الله بن صالح ، قال : ثني الليث ، قال : ثني عقيل ، قال : سألت ابن شهاب عن قول الله تعالى (يا أيُّها الَّذِينَ آمَنُوا شَهَادَةُ بَيْنِكُمْ إذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ المَوْتُ) . . .

إلى قوله (وَاللهُ لاَ يَهْدِى القَوْمَ الفاسِقِينَ) قلت : أرأيت الاثنين اللذين ذكر الله من غير أهل المرء الموصى أهما من المسلمين ، أم هما من أهل الكتاب ، وأرأيت الآخرين اللذين يقومان مقامهما ، أتراهما من أهل المرء الموصى ؟ أم هما من غير المسلمين ؟ قال ابن شهاب : لم نسمع فى هذه الآية عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ولا عن أئمة العامة سنة أذكرها ، وقد كنا نتذاكرها أناسا من علمائنا أحيانا ، فلا يذكرون فيها سنة معلومة ، ولا قضاء من إمام عادل ، ولكنه يختلف فيها رأيهم ، وكان أعجبهم فيها رأيا إلينا ، الذين كانوا يقولون : هى فيما بين أهل الميراث من المسلمين ، يشهد بعضهم الميت الذى يرثونه ، ويغيب عنه بعضهم ، ويشهد من شهده على ما أوصى به لذوى القربى ، فيخبرون من غاب عنه منهم بما حضروا من وصية ، فإن سلموا جازت وصيته ، وإن ارتابوا أن يكونوا بدّلوا قول الميت وآثروا بالوصية من أرادوا ممن لم يوص لهم الميت بشىء ، حلف اللذان يشهدان على ذلك بعد الصلاة ، وهى صلاة المسلمين فيقسمان بالله إن ارتبتم لانشترى به ثمنا ، ولو كان ذا قربى ، ولا نكتم شهادة الله ، إنا إذا لمن الآثمين ، فإذا أقسما على ذلك جازت شهادتهما وأيمانهما ، ما لم يعثر على أنهما استحقا إثما فى شىء من ذلك ، فإن عثر قام آخران مقامهما من أهل الميراث من الخصم الذين ينكرون ما شهد به عليه الأوّلان المستحلفان أوّل مرّة ، فيقسمان بالله لشهادتنا على تكذيبكما ، أو إبطال ما شهدتما به ، وما اعتدينا ، إنا إذن لمن الظالمين ، ذلك أدنى أن يأتوا بالشهادة على وجهها ، أو يخافوا أن تردّ أيمان بعد أيمانهم ... الآية .

❊ وأولى التأويلين فى ذلك عندنا بالصواب تأويل من تأوّله : أو آخران من غير أهل الإسلام ، وذلك أن الله تعالى عرّف عباده المؤمنين عند الوصية شهادة اثنين من عدول المؤمنين ، أو اثنين من غير المؤمنين ، ولا وجه لأن يقال فى الكلام صفة شهادة مؤمنين منكم ، أو رجلين من غير عشيرتكم ، وإنما يقال : صفة شهادة رجلين من عشيرتكم ، أو من غير عشيرتكم ، أو رجلين من المؤمنين ، أو من غير المؤمنين ، فإذ كان لاوجه لذلك فى الكلام ، فغير جائز صرف مغلق كلام الله تعالى إلا إلى أحسن وجوهه . وقد دللنا قبل على أن قوله تعالى (ذَوَا عَدْلٍ مِنْكُمْ) إنما هو من أهل دينكم وملتكم بما فيه كفاية لمن وفق لفهمه ، وإذا صحّ ذلك بما دللنا عليه ، فمعلوم أن معنى قوله (أوْ آخَرَانِ مِنْ غيرِكُمْ) إنما هو : أو آخران من غير أهل دينكم وملتكم . وإذ كان ذلك كذلك ، فسواء كان الآخران اللذان من غير أهل ديننا يهوديين كانا أو نصرانيين أو مجوسيين ، أو عابدى وثن ، أو على أىّ دين كانا ، لأن الله تعالى لم يخصص آخرين من أهل ملة بعينها دون ملة ، بعد ألاّ يكونا من أهل الإسلام .

القول فى تأويل قوله تعالى : ﴿إنْ أنْتُمْ ضَرَبْتُمْ فِى الأرْضِ فَأصَابَتْكُمْ مُصِيبَةُ المَوْتِ﴾ :

يقول تعالى ذكره للمؤمنين : صفة شهادة بينكم إذا حضر أحدكم الموت وقت الوصية ، أن يشهد اثنان ذوا عدل منكم أيها المؤمنون ، أو رجلان آخران من غير أهل ملتكم ، إن أنتم سافرتم ذاهبين وراجعين فى الأرض . وقد بينا فيما مضى السبب الذى من أجله قيل للمسافر الضارب فى الأرض (فَأصَابَتْكُمْ مُصِيبَةُ المَوْتِ) يقول : فنزل بكم الموت . ووجه أكثر التأويل هذا الموضع إلى معنى التعقيب دون التخيير

وقالوا : معناه : شهادة بينكم إذا حضر أحدكم الموت حين الوصية اثنان ذوا عدل منكم ، إن وجدا ، فإن لم يوجدا فآخران من غيركم ، وإنما فعل ذلك من فعله ، لأنه وجه معنى الشهادة فى قوله (شَهَادَةُ بَيْنِكُمْ) إلى معنى الشهادة التى توجب للقوم قيام صاحبها عند الحاكم ، أو يبطلها .

ذكر بعض من تأوّل ذلك كذلك

حدثنا عمران بن موسى القزّاز ، قال : ثنا عبد الوارث بن سعيد ، قال : ثنا إسحاق بن سويد، عن يحيى بن يعمر ، قوله (ذَوَا عَدْلٍ مِنْكُمْ) من المسلمين ، فإن لم تجدوا من المسلمين ، فمن غير المسلمين .

حدثنا محمد بن بشار ومحمد بن المثنى ، قالا : ثنا ابن أبى عدىّ ، عن سعيد ، عن قتادة ، عن سعيد ابن المسيب فى قوله (اثْنَانِ ذَوَا عَدْلٍ مِنْكُمْ أَوْ آخَرَانِ مِنْ غَيْرِكُمْ) قال : اثنان من أهل دينكم أو آخران من غيركم من أهل الكتاب ، إذا كان ببلاد لايجد غيرهم .

حدثنا ابن المثنى ، قال : ثنا عبد الأعلى ، قال : ثنا داود ، عن عامر ، عن شريح فى هذه الآية (شَهَادَةُ بَيْنِكُمْ) . . . إلى قوله (أَوْ آخَرَانِ مِنْ غَيْرِكُمْ) قال : إذا كان الرجل بأرض غربة ولم يجد مسلما يشهده على وصيته ، فأشهد يهوديا ، أو نصرانيا ، أو مجوسيا ، فشهادتهم جائزة .

حدثنى محمد بن الحسين ، قال : ثنا أحمد بن مفضل ، قال : ثنا أسباط ، عن السدىّ (يا أَيُّها الَّذِينَ آمَنُوا شَهَادَةُ بَيْنِكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ حِينَ الْوَصِيَّةِ اثْنَانِ ذَوَا عَدْلٍ مِنْكُمْ) قال هذا فى الحضر (أَوْ آخَرَانِ مِنْ غَيْرِكُمْ) فى السفر (إِنْ أَنْتُمْ ضَرَبْتُمْ فِى الْأَرْضِ فَأَصَابَتْكُمْ مُصِيبَةُ الْمَوْتِ) هذا فى الرجل يدركه الموت فى سفره وليس بحضرته أحد من المسلمين ، فيدعو رجلين من اليهود والنصارى والمجوس ، فيوصى إليهما .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنا هشيم ، قال : أخبرنا مغيرة ، عن إبراهيم ، وسعيد بن جبير ، أنهما قالا فى هذه الآية (يا أَيُّها الَّذِينَ آمَنُوا شَهَادَةُ بَيْنِكُمْ) . . . الآية ، قال : إذا حضر الرجلَ الوفاة فى سفر ، فيشهد رجلين من المسلمين ، فإن لم يجد رجلين من المسلمين ، فرجلين من أهل الكتاب .

حدثنى المثنى ، قال : ثنا عبد الله بن صالح ، قال : ثنى معاوية ، عن علىّ بن أبى طلحة ، عن ابن عباس (يا أَيُّها الَّذِينَ آمَنُوا شَهَادَةُ بَيْنِكُمْ) . . . إلى قوله (ذَوَا عَدْلٍ مِنْكُمْ) فهذا لمن مات وعنده المسلمون ، فأمره الله أن يشهد على وصيته عدلين من المسلمين ، ثم قال (أَوْ آخَرَانِ مِنْ غَيْرِكُمْ إِنْ أَنْتُمْ ضَرَبْتُمْ فِى الْأَرْضِ فَأَصَابَتْكُمْ مُصِيبَةُ الْمَوْتِ) فهذا لمن مات وليس عنده أحد من المسلمين ، فأمره الله تعالى بشهادة رجلين من غير المسلمين .

ووجه ذلك آخرون إلى معنى التخيير ، وقالوا : إنما عنى بالشهادة فى هذا الموضع الأيمان على الوصية التى أوصى إليهما وائتمان الميت إياهما على ما ائتمنهما عليه من مال ليؤدّياه إلى ورثته بعد وفاته ، إن ارتيب بهما ،

قالوا : وقد يأمن الرجل على ماله من رآه موضعا للأمانة ، من مؤمن وكافر ، فى السفر والحضر . وقد ذكرنا الرواية عن بعض من قال هذا القول فيما مضى ، وسنذكر بقيته إن شاء الله تعالى بعد .

القول فى تأويل قوله تعالى : ﴿فَيُقْسِمَانِ بِاللَّهِ إِنِ ارْتَبْتُمْ لَا نَشْتَرِي بِهِ ثَمَنًا وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَى﴾ :

يقول تعالى ذكره للمؤمنين به وبرسوله : شهادة بينكم إذا حضر أحدكم الموت ، إن شهد اثنان ذوا عدل منكم ، أو كان أوصى إليهما ، أو آخران من غيركم ، إن كنتم فى سفر ، فحضرتكم المنية ، فأوصيتم إليهما ، ودفعتم إليهما ما كان معكم من مال وتركة لورثتكم ، فإذا أنتم أوصيتم إليهما ، ودفعتم إليهما ما كان معكم من مال ، فأصابتكم مصيبة الموت ، فأدّيا إلى ورثتكم ما ائتمنتموها وادّعوا عليهما خيانة خاناها مما ائتمنا عليه ، فإن الحكم فيهما حينئذ أن تحبسوهما ، يقول : تستوقفونهما بعد الصلاة ، وفى الكلام محذوف اجتزئ بدلالة ما ظهر منه على ما حذف ، وهو فأصابتكم مصيبة الموت ، وقد أسندتم وصيتكم إليهما ، ودفعتم إليهما ما كان معكم من مال ، فإنكم تحبسونهما من بعد الصلاة ، فيقسمان بالله إن ارتبتم ، يقول : سيحلفان بالله إن اتهمتموهما بخيانة فيما ائتمنا عليه من تغيير وصية أوصى إليهما بها ، أو تبديلها . والارتياب : هو الاتهام ، لانشترى به ثمنا ، يقول : يحلفان بالله لانشترى بأيماننا بالله ثمنا ، يقول : لانحلف كاذبين على عوض نأخذه عليه ، وعلى مال نذهب به ، أو لحقّ نجحده لهؤلاء القوم الذين أوصى إلينا وإليهم وصيتهم ؛ والهاء فى قوله « بِهِ » من ذكر الله ، والمعنى : به الحلف والقسَم ، ولكنه لما كان قد جرى قبل ذلك ذكر القسم به ، فيعرف من معنى الكلام ، واكتفى به من إعادة ذكر القسم والحلف (وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَى) يقول : يقسمان بالله ، لانطلب بإقسامنا بالله عوضا ، فنكذب فيها لأحد ، ولو كان الذى نقسم به له ذا قرابة منا .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك رُوِى الخبر عن ابن عباس .

ذكر من قال ذلك

حدثنى المثنى ، قال : ثنا عبد الله بن صالح ، قال : ثنى معاوية بن صالح ، عن علىّ بن أبى طلحة ، عن ابن عباس ، قوله (أَوْ آخَرَانِ مِنْ غَيْرِكُمْ إِنْ أَنْتُمْ ضَرَبْتُمْ فِي الْأَرْضِ فَأَصَابَتْكُمْ مُصِيبَةُ الْمَوْتِ) فهذا لمن مات وليس عنده أحد من المسلمين ، فأمره الله بشهادة رجلين من غير المسلمين ، فإن ارتيب فى شهادتهما استحلفا بعد الصلاة بالله ، لم نشتر بشهادتنا ثمنا قليلا ، وقوله (تَحْبِسُونَهُمَا مِنْ بَعْدِ الصَّلَاةِ) من صلاة الآخرين . ومعنى الكلام : أو آخران من غيركم تحبسونهما من بعد الصلاة إن ارتبتم بهما ، فيقسمان بالله ، لانشترى به ثمنا ، ولو كان ذا قربى .

واختلفوا فى الصلاة التى ذكرها الله تعالى فى هذه الآية ، فقال (تَحْبِسُونَهُمَا مِنْ بَعْدِ الصَّلَاةِ) فقال بعضهم : هى صلاة العصر .

ذكر من قال ذلك

حدثنى يعقوب ، قال : ثنا هشيم ، قال : أخبرنا زكريا ، عن الشعبىّ ، أن رجلا من المسلمين حضرته الوفاة بدقوقا ، فلم يجد أحدا من المسلمين يشهده على وصيته ، فأشهد رجلين من أهل الكتاب قال : فقدما

الكوفة ، فأتيا الأشعريّ ، فأخبراه ، وقدما بتركته ووصيته ، فقال الأشعرى : هذا أمر لم يكن بعد الذى كان فى عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قال : فأحلفهما بعد العصر بالله ماخانا ، ولا كذبا ، ولا بدّلا ، ولا كتما ، ولا غيّرا ، وإنها لوصية الرجل وتركته ، قال : فأمضى شهادتهما .

حدثنا ابن بشار وعمرو بن علىّ ، قالا : ثنا محمد بن جعفر ، قال : ثنا شعبة ، عن أبى بشر ، عن سعيد بن جبير (أَوْ آخَرَانِ مِنْ غَيْرِكُمْ) قال : إذا كان الرجل بأرض الشرك ، فأوصى إلى رجلين من أهل الكتاب فإنهما يحلفان بعد العصر .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا محمد بن جعفر ، قال : ثنا شعبة ، عن مغيرة ، عن إبراهيم ، بمثله .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (يا أَيُّها الَّذِينَ آمَنُوا شَهادَةُ بَيْنِكُمْ) . . . إلى (فَأَصابَتْكُمْ مُصِيبَةُ الْمَوْتِ) فهذا رجل مات بغربة من الأرض وترك تركته ، وأوصى بوصيته ، وشهد على وصيته رجلان ، فإن ارتيب فى شهادتهما استحلفا بعد العصر ، وكان يقال عندها تصير الأيمان .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى هشيم ، قال : أخبرنا مغيرة ، عن إبراهيم وسعيد بن جبير ، أنهما قالا فى هذه الآية (يا أَيُّها الَّذِينَ آمَنُوا شَهادَةُ بَيْنِكُمْ) قالا : إذا حضر الرجل الوفاة فى سفر ، فليشهد رجلين من المسلمين ، فإن لم يجد فرجلين من أهل الكتاب ، فإذا قدما بتركته ، فإن صدّقهما الورثة قبل قولهما ، وإن اتهموهما أحلفا بعد صلاة العصر : بالله ماكذبنا ، ولا كتمنا ، ولا خنا ، ولا غيّرنا .

حدثنا عمرو بن علىّ ، قال : ثنا يحيى بن القطان ، قال : ثنا زكريا ، قال : ثنا عامر أن رجلا توفى بدقوقا ، فلم يجد من يشهده على وصيته إلا رجلين نصرانيين من أهلها ، فأحلفهما أبو موسى دبر صلاة العصر فى مسجد الكوفة : بالله ماكتما ولا غيّرا ، وإن هذه الوصية ، فأجازها .

وقال آخرون : بل يستحلفان بعد صلاة أهل دينهما وملّتهما .

ذكر من قال ذلك

حدثنى محمد بن الحسين ، قال : ثنا أحمد بن مفضل ، قال : ثنا أسباط ، عن السدىّ (يا أَيُّها الَّذِينَ آمَنُوا شَهادَةُ بَيْنِكُمْ) . . . إلى قوله (ذَوَا عَدْلٍ مِنْكُمْ) قال : هذا فى الوصية عند الموت يوصى ، ويشهد رجلين من المسلمين على ماله وعليه ، قال هذا فى الحضر (أَوْ آخَرَانِ مِنْ غَيْرِكُمْ) فى السفر (إِنْ أَنْتُمْ ضَرَبْتُمْ فِي الْأَرْضِ فَأَصابَتْكُمْ مُصِيبَةُ الْمَوْتِ) هذا الرجل يدركه الموت فى سفره ، وليس بحضرته أحد من المسلمين ، فيدعو رجلين من اليهود والنصارى والمجوس ، فيوصى إليهما ويدفع إليهما ميراثه ، فيقبلان به ، فإن رضى أهل الميت الوصية ، وعرفوا مال صاحبهم ، تركوا الرجلين ، وإن ارتابوا رفعوهما إلى السلطان ، فذلك قوله (تَحْبِسُونَهُما مِنْ بَعْدِ الصَّلاةِ - إِنِ ارْتَبْتُمْ) قال عبدالله بن عباس : كأنى أنظر إلى العلجين حين انتهى بهما إلى أبى موسى الأشعرى فى داره ، ففتح الصحيفة فأنكر أهل الميت وخوّنوهما ، فأراد أبو موسى أن يستحلفهما بعد العصر ، فقلت له : إنهما لايباليان صلاة

العصر ، ولكن استحلفهما بعد صلاتهما فى دينهما ، فيوقف الرجلان بعد صلاتهما فى دينهما ، ويحلفان بالله لانشترى ثمنا قليلا ، ولو كان ذا قربى ، ولا نكتم شهادة الله ، إنا إذن لمن الآثمين ، إن صاحبهم لبهذا أوصى ، وإن هذه لتركته ، فيقول لهما الإمام قبل أن يحلفا : إنكما إن كتمتما أو خنتما فضحتكما فى قومكما ، ولم تجز لكما شهادة وعاقبتكما ، فإذا قال لهما ذلك ، فإن ذلك أدنى أن يأتوا بالشهادة على وجهها .

⁂ وأولى القولين فى ذلك بالصواب عندنا، قول من قال : تحبسونهما من بعد صلاة العصر ، لأن الله تعالى عرّف الصلاة فى هذا الموضع بإدخال الألف واللام فيها ، ولا تدخلهما العرب إلا فى معروف ، إما فى جنس ، أو فى واحد معهود معروف عند المتخاطبين . فإذ كان كذلك ، وكانت الصلاة فى هذا الموضع مجمعا على أنه لم يعن بها جميع الصلوات ، لم يجز أن يكون مرادا بها صلاة المستحلف من اليهود والنصارى ، لأن لهم صلوات ليست واحدة ، فيكون معلوما أنها المعنية بذلك . فإذ كان ذلك كذلك ، صحّ أنها صلاة بعينها من صلوات المسلمين . وإذ كان ذلك كذلك ، وكان النبيّ صلى الله عليه وسلم صحيحا عنه ، أنه إذ لاعن بين العجلانيين ، لاعن بينهما بعد العصر دون غيرها من الصلوات ، كان معلوما أن التى عنيت بقوله (تَحْبِسُونَهُمَا مِنْ بَعْدِ الصَّلَاةِ)هى الصلاة التى كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يتخيرها لاستحلاف من اراد تغليظ اليمين عليه ، هذا مع ما عند أهل الكفر بالله من تعظيم ذلك الوقت ، وذلك لقربه من غروب الشمس ، وكان ابن زيد يقول فى قوله : لانشترى به ثمنا .

ماحدثنى به يونس بن عبد الأعلى ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى (قوله (لانَشْتَرِى بِهِ ثَمَنًا) قال : نأخذ به رشوة .

القول فى تأويل قوله تعالى : ﴿وَلَا نَكْتُمُ شَهَادَةَ اللهِ ، إِنَّا إِذًا لَمِنَ الآثِمِينَ﴾ :

اختلفت القراءة فى قراءة ذلك ، فقرأته عامة قرّاء الأمصار (وَلَا نَكْتُمُ شَهَادَةَ اللهِ) بإضافة الشهادة إلى الله ، وخفض اسم الله تعالى ، يعنى : لانكتم شهادة الله عندنا .

وذكر عن الشعبيّ أنه كان يقرؤه كالذى حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبو أسامة ، عن ابن عون ، عن عامر ، أنه كان يقرأ (وَلَا نَكْتُمُ شَهَادَةً اللهِ ، إِنَّا إِذًا لَمِنَ الآثِمِينَ) بقطع الألف وخفض اسم الله ، هكذا حدثنا به ابن وكيع ، وكأن الشعبيّ وجه معنى الكلام إلى أنهما يقسمان بالله لانشترى به ثمنا ، ولا نكتم شهادة عندنا ، ثم ابتدأ يمينا باستفهام بالله أنهما إن اشتريا بأيمانهما ثمنا ، أو كتما شهادته عندهما لمن الآثمين .

وقد رُوِى عن الشعبيّ فى قراءة ذلك ، رواية تخالف هذه الرواية ، وذلك ما حدثنى أحمد بن يوسف الثعلبى ، قال : ثنا القاسم بن سلام ، قال : ثنا عباد بن عباد ، عن ابن عون ، عن الشعبيّ ، أنه قرأ (وَلَا نَكْتُمُ شَهَادَةً اللهِ ، إِنَّا إِذًا لَمِنَ الآثِمِينَ) قال أحمد ، قال أبو عبيد : تنوّن شهادة ، ويخفض الله على الاتصال . قال : وقد رواها بعضهم بقطع الألف على الاستفهام ، وخفض إنّا ، لقراءة الشعبيّ بترك

الاستفهام. وقرأها بعضهم : (وَلَا نَكْتُمُ شَهَادَةً اللّهَ) بتنوين الشهادة ، ونصب اسم الله ، بمعنى : ولا نكتم الله شهادة عندنا .

✿ وأولى القراءات فى ذلك عندنا بالصواب ، قراءة من قرأ (وَلَا نَكْتُمُ شَهَادَةَ اللّهِ) باضافة الشهادة إلى اسم الله ، وخفض اسم الله ، لأنها القراءة المستفيضة فى قراءة الأمصار التى لا يتناكر صحتها الأمة . وكان ابن زيد يقول فى معنى ذلك : ولا نكتم شهادة الله وإن كان صاحبها بعيدا .

حدثنى بذلك يونس ، قال : أخبرنا ابن زيد عنه .

القول في تأويل قوله تعالى :

﴿ فَإِنْ عُثِرَ عَلَىٰٓ أَنَّهُمَا ٱسْتَحَقَّآ إِثْمًا فَـَٔاخَرَانِ يَقُومَانِ مَقَامَهُمَا مِنَ ٱلَّذِينَ ٱسْتَحَقَّ عَلَيْهِمُ ٱلْأَوْلَيَـٰنِ فَيُقْسِمَانِ بِٱللَّهِ لَشَهَـٰدَتُنَآ أَحَقُّ مِن شَهَـٰدَتِهِمَا وَمَا ٱعْتَدَيْنَآ إِنَّآ إِذًا لَّمِنَ ٱلظَّـٰلِمِينَ ﴾ ١٠٧

✿ يعنى تعالى ذكره بقوله (فإنْ عُثِرَ) : فإن اطلع فيهما ، أو ظهر ؛ وأصل العثر : الوقوع على الشيء والسقوط عليه ، ومن ذلك قولهم : عثرت إصبع فلان بكذا : إذا صدمته وأصابته ، ووقعت عليه . ومنه قول الأعشى ميمون بن قيس :

بِذَاتِ لَوْثٍ عَفَرْنَاةٍ إذَا عَثَرَتْ فالتَّعْسُ أدْنَى لَهَا مِنْ أنْ أقولَ لَعَا[1]

يعنى بقوله : عثرت : أصاب ميسم خفها حجر أوغيره ، ثم يستعمل ذلك فى كلّ واقع على شيء كان عنه خفيا ، كقولهم : عثرت على الغزل بأَخَرَةٍ ، فلم تدع بنجد قردة ، بمعنى : وقعت .

وأما قوله (على أَنَّهُمَا اسْتَحَقَّا إِثْمًا) فإنه يقول تعالى ذكره : فإن اطلع من الوصيين اللذين ذكر الله أمرهما فى هذه الآية بعد حلفهما بالله : لانشترى بأيماننا ثمنا ، ولو كان ذا قُرْبى ، ولا نكتم شهادة الله على أنهما استحقا إثما ، يقول : على أنهما استوجبا بأيمانهما التى حلفا بها إثما ، وذلك أن يطلع على أنهما كانا كاذبين فى أيمانهما بالله ما خنَّا ، ولابدّلنا ، ولاغَيَّرنا ؛ فإن وجدا قد خانا من مال الميت شيئا ، أو غَيَّرا وصيته ، أو بدّلا ، فأثما بذلك من حلفهما بربهما (فَآخَرَانِ يَقُومانِ مَقامَهُما) يقول : يقوم حينئذ مقامهما من ورثة الميت الأوليان الموصى إليهما .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك ، قال أهل التأويل .

---

(١) البيت فى اللسان : (لوث) شاهدا على أن اللوث : معناه القوة . وروايته (فالتعس أدنى لها من أن يقال لعا) قال ابن برى : صواب إنشاده : « من أن أقول لعا » . قال : وكذا هو فى شعره ، ومعنى ذلك أنها لاتعثر لقوتها ، فلو عثرت لقلت : تعست . وقوله (بذات لوث) : متعلق (بكلفت) فى بيت قبله ، وهو :

كلفت مجهولها نفسى وشايعنى همى عليها إذا ما آلها لمعا

والعفرناة : الناقة القوية . والتعس : الانحطاط والعثور . ولعا : كلمة يدعى بها للعاثر ، معناها : الارتفاع . قال الأعشى . . . البيت . أبو زيد : إذا دعى للعاثر بأن ينتعش ، قيل : لعا لك عاليا . وقال أبو عبيدة : من دعائهم : لالعا لفلان : أى لاأقامه الله .

ذكر من قال ذلك

حدثنا محمد بن بشار ، قال : ثنا محمد بن جعفر ، قال : ثنا شعبة ، عن أبى بشر ، عن سعيد بن جبير (أَوْ آخَرَانِ مِنْ غَيْرِكُمْ) قال : إذا كان الرجل بأرض الشرك ، فأوصى إلى رجلين من أهل الكتاب ، فإنهما يحلفان بعد العصر ، فإذا اطلع عليهما بعد حلفهما أنهما خانا شيئا ، حلف أولياء الميت إنه كان كذا وكذا ، ثم استحقوا .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا محمد بن جعفر ، قال : ثنا شعبة ، عن مغيرة ، عن إبراهيم ، بمثله .

حدثنى المثنى ، قال : ثنا عبد الله بن صالح ، قال : ثنى معاوية بن صالح ، عن علىّ بن أبى طلحة ، عن ابن عباس ، فى قوله (أَوْ آخَرَانِ مِنْ غَيْرِكُمْ) من غير المسلمين تحبسونهما من بعد الصلاة ، فإن ارتِيبَ فى شهادتهما استحلفا بعد الصلاة بالله : ما اشترينا بشهادتنا ثمنا قليلا ؛ فإن اطلع الأولياء على أن الكافِرَين كذبا فى شهادتهما ، قام رجلان من الأولياء ، فحلفا بالله : إن شهادة الكافرين باطلة ، وإنا لم نَعْتَدِ ، فذلك قوله (فَإِنْ عُثِرَ عَلَى أَنَّهُمَا اسْتَحَقَّا إِثْمًا) يقول : إن اطلع على أن الكافِرَين كذبا ، (فَآخَرَانِ يَقُومَانِ مَقَامَهُمَا) يقول : من الأولياء ، فحلفا بالله ، إن شهادة الكافرين باطلة ، وإنَّا لم نعتد ، فتردّ شهادة الكافرين ، وتجوز شهادة الأولياء .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال . ثنا سعيد ، عن قتادة (فَإِنْ عُثِرَ عَلَى أَنَّهُمَا اسْتَحَقَّا إِثْمًا) أى اطلع منهما على خيانة أنهما كذبا أو كتما .

واختلف أهل التأويل المعنى الذى له حكم الله تعالى ذكره على الشاهدين بالأيمان ، فنقلها إلى الآخرين بعد أن عُثِر عليهما أنهما استحقا إثما . فقال بعضهم : إنما ألزمهما اليمين إذا ارتيب فى شهادتهما على الميت فى وصيته ، أنه أوصى لغير الذى يجوز فى حكم الإسلام ، وذلك أن يشهد أنه أوصى بماله كله ، أو أوصى أن يفضِّل بعض ولده ببعض ماله .

ذكر من قال ذلك

حدثنى محمد بن سعد ، قال : ثنى أبى ، قال : ثنى عمى ، قال : ثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا شَهَادَةُ بَيْنِكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ) .. . إلى قوله (ذَوَا عَدْلٍ مِنْكُمْ) من أهل الإسلام (أَوْ آخَرَانِ مِنْ غَيْرِكُمْ) من غير أهل الإسلام (إِنْ أَنْتُمْ ضَرَبْتُمْ فِي الْأَرْضِ) . . . إلى (فَيُقْسِمَانِ بِاللَّهِ) يقول : فيحلفان بالله بعد الصلاة ، فإن حلفا على شىء يخالف ما أنزل الله تعالى من الفريضة ، يعنى اللَّذَين ليسا من أهل الإسلام ، فآخران يقومان مقامهما من أولياء الميت ، فيحلفان بالله : ماكان صاحبنا ليوصِىَ بهذا ، أو إنهما لكاذبان ، ولشهادتنا أحقّ من شهادتهما .

حدثنى محمد بن الحسين ، قال : ثنا أحمد بن مفضل ، قال : ثنا أسباط ، عن السدىّ ، قال : يوقف الرجلان بعد صلاتهما فى دينهما ، يحلفان بالله : لانشترى به ثمنا ، ولو كان ذا قربى ، ولا نكتم شهادة الله إنَّا إذن لمن الآثمين إن صاحبكم لبهذا أوصى ، وإن هذه لتركته ، فإذا شهدا ، وأجاز الإمام شهادتهما على ما شهدا ، قال لأولياء الرجل : اذهبوا فاضربوا فى الأرض واسألوا عنهما ، فإن أنتم وجدتم عليهما خيانة

أو أحدا يطعن عليهما رددنا شهادتهما ، فينطلق الأولياء فيسألون ، فإن وجدوا أحدا يطعُن عليهما، أو هما غير مرضيين عندهم ، أو اطُّلع على أنهما خانا شيئا من المال وجدوه عندهما، فأقبل الأولياء فشهدوا عند الإمام ، وحلفوا بالله لشهادتنا إنهما لخائنان متهمان فى دينهما ، مطعون عليهما ، أحقّ من شهادتهما بما شهدا، وما اعتدينا ، فذلك قوله (فإنْ عُثِرَ على أَنَّهُما اسْتَحَقَّا إِثْما فَآخَرَانِ يَقُومانِ مَقامَهُما مِنَ الَّذِينَ اسْتَحَقَّ عَلَيْهِمُ الأَوْلَيانِ) .

وقال آخرون : بل إنما ألزم الشاهدان اليمين ، لأنهما ادّعيا أنه أوصى لهما ببعض المال ، وإنما ينقل إلى الآخرين من أجل ذلك ، إذا ارتابوا بدعواهما .

ذكر من قال ذلك

حدثنا عمران بن موسى القزّاز ، قال : ثنا عبد الوارث بن سعد ، قال : ثنا إسحاق بن سويد، عن يحيى بن يعمر فى قوله (تَحْبِسُونَهُما مِنْ بَعْدِ الصَّلاةِ فَيُقْسِمانِ بِاللهِ) قال : زعما أنه أوصى لهما بكذا وكذا ، (فإنْ عُثِرَ على أَنَّهُما اسْتَحَقَّا إِثْما) أى بدعواهما لأنفسهما (فَآخَرَانِ يَقُومانِ مَقامَهُما مِنَ الَّذِينَ اسْتَحَقَّ عَلَيْهِمُ الأَوْلَيانِ) إن صاحبنا لم يوص إليكما بشىء مما تقولان .

والصواب من القول فى ذلك عندنا ، أن الشاهدين ألزما اليمين فى ذلك باتهام ورثة الميت إياهما فيما دفع إليهما الميت من ماله ، ودعواهم قبلها خيانة مال معلوم المبلغ ، ونقلت بعد إلى الورثة ، عند ظهور الريبة التى كانت من الورثة فيهما ، وصحة التهمة عليهما ، بشهادة شاهد عليهما ، أو على أحدهما ، فيحلف الوارث حينئذ مع شهادة الشاهد عليهما ، أو على أحدهما ، إنما صحح دعواه إذا حقق حقه ، أو الإقرار يكون من الشهود ببعض ما ادّعى عليهما الوارث أو بجميعه ، ثم دعواهما فى الذى أقرّا به من مال الميت ما لا يقبل فيه دعواهما إلا ببينة ، ثم لا يكون لهما على دعواهما تلك بينة ، فينقل حينئذ اليمين إلى أولياء الميت .

وإنما قلنا : ذلك أولى الأقوال فى ذلك بالصحة ، لأنا لا نعلم من أحكام الإسلام حكما يجب فيه اليمين على الشهود ، ارتيب بشهادتهما أو لم يرتب بها ، فيكون الحكم فى هذه الشهادة نظيرا لذلك ، ولم نجد ذلك كذلك صحّ بخبر عن الرسول صلى الله عليه وسلم ، ولا بإجماع من الأمة ، لأن استحلاف الشهود فى هذا الموضع من حكم الله تعالى ، فيكون أصلا مسلما ، والمقول إذا خرج من أن يكون أصلا أو نظيرا لأصل فيما تنازعت فيه الأمة ، كان واضحا فساده ؛ وإذا فسد هذا القول بما ذكرنا ، فالقول بأن الشاهدين استحلفا من أجل أنهما ادّعيا على الميت وصية لهما بمال من ماله أفسد من أجل أن أهل العلم لا خلاف بينهم فى أن من حكم الله تعالى أن مدّعيا لو ادّعى فى مال ميت وصية أن القول قول ورثة المدّعى فى ماله الوصية ، مع أيمانهم ، دون قول مدّعى ذلك مع يمينه، وذلك إذا لم يكن للمدّعى بينة . وقد جعل الله تعالى اليمين فى هذه الآية على الشهود ، إذا ارتيب بهما ، وإنما نقل الإيمان عنهم إلى أولياء الميت، إذا عُثِر على أن الشهود استحقوا إثما فى أيمانهم ؛ فمعلوم بذلك فساد قول من قال : ألزم اليمين الشهود لدعواهم لأنفسهم وصية أوصى بها لهم الميت من ماله ، على أن ما قلنا فى ذلك عن أهل التأويل ، هو التأويل الذى وردت به الأخبار

عن بعض أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قضى به حين نزلت هذه الآية بين الذين نزلت فيهم ، وبسببهم .

ذكر من قال ذلك

حدثني ابن وكيع ، قال : ثنا يحيى بن آدم ، عن يحيى بن أبي زائدة ، عن محمد بن أبي القاسم ، عن عبد الملك بن سعيد بن جبير ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قال : خرج رجل من بني سهم مع تميم الداريّ ، وعديّ بن بداء ، فمات السهميّ بأرض ليس فيها مسلم ؛ فلما قدما بتركته ، فقدوا جاما من فضة مخوّصا بالذهب ، فأحلفهما رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ثم وجد الجام بمكة ، فقالوا : اشتريناه من تميم الداريّ ، وعديّ بن بداء ، فقام رجلان من أولياء السهميّ فحلفا : لشهادتنا أحقّ من شهادتهما ، وإن الجام لصاحبهم ، قال : وفيهم أنزلت (يا أيُّها الَّذِينَ آمَنُوا شَهادَةُ بَيْنِكُمْ) .

حدثنا الحسن بن أبي شعيب الحراني ، قال : ثنا محمد بن سلمة الحراني ، قال : ثنا محمد بن إسحاق ، عن أبي النضر ، عن زاذان مولى أمّ هانئ ابنة أبي طالب ، عن ابن عباس ، عن تميم الداريّ في هذه الآية (يا أيُّها الَّذِينَ آمَنُوا شَهادَةُ بَيْنِكُمْ إذَا حَضَرَ أحَدَكُمُ المَوْتُ) قال : برئ الناس منها غيري وغير عديّ بن بداء ، وكانا نصرانيين يختلفان إلى الشام قبل الإسلام ، فأتيا الشام لتجارتهما ، وقدم عليهما مولى لبني سهم ، يقال له بديل بن أبي مريم بتجارة ، ومعه جام فضة يريد به الملك ، وهو عظم تجارته ، فمرض ، فأوصى إليهما وأمرهما أن يبلغا ما ترك أهله ، قال تميم : فلما مات ، أخذنا ذلك الجام ، فبعناه بألف درهم فقسمناه أنا وعديّ بن بداء ، فقلنا : ما ترك غير هذا ، وما دفع إلينا غيره ؛ قال تميم : فلما أسلمت بعد قدوم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة تأثمت من ذلك ، فأتيت أهله فأخبرتهم الخبر ، وأدّيت إليهم خمسمائة درهم ، وأخبرتهم أن عند صاحبي مثلها ، فأتوا به رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فسألهم البينة فلم يجدوا ، فأمرهم أن يستحلفوه بما يعظم به على أهل دينه ، فحلف ، فأنزل الله تعالى (يا أيُّها الَّذِينَ آمَنُوا شَهادَةُ بَيْنِكُمْ) . . . إلى قوله (أنْ تُرَدَّ أيْمَانٌ بَعْدَ أيْمانِهِمْ) فقام عمرو بن العاص ، ورجل آخر منهم ، فحلفا ، فنزعت الخمسمائة من عديّ بن بداء .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنا أبو سفيان ، عن معمر ، عن قتادة وابن سيرين وغيره ، قال : وثنا الحجاج ، عن ابن جريج ، عن عكرمة ، دخل حديث بعضهم في بعض (يا أيُّها الَّذِينَ آمَنُوا شَهادَةُ بَيْنِكُمْ) . . . الآية ، قال : كان عديّ وتميم الداريّ ، وهما من لخم نصرانيان يتجران إلى مكة في الجاهلية ؛ فلما هاجر رسول الله صلى الله عليه وسلم حوّلا متجرهما إلى المدينة ، فقدم ابن أبي مارية (١) مولى عمرو بن العاص المدينة ، وهو يريد الشام تاجرا ، فخرجوا جميعا ، حتى إذا كانوا ببعض الطريق مرض ابن أبي مارية ، فكتب وصيته بيده ، ثم دسها في متاعه ، ثم أوصى إليهما ؛ فلما مات ، فتحا متاعه ، فأخذا ما أرادا ، ثم قدما على أهله ، فدفعا ما أرادا ، ففتح أهله متاعه ، فوجدوا كتابه وعهده ، وما خرج

(١) قوله ابن أبي مارية ، ويقال له : ابن أبي مريم ، كما تقدم ، كذا في الشهاب .

به ، وفقدوا شيئا فسألوهما عنه ، فقالوا : هذا الذى قبضنا له ودفع إلينا ، قال لهما أهله : فباع شيئا ، أو ابتاعه ؟ قالا : لا ، قالوا : فهل استهلك من متاعه شيئا ؟ قالا : لا ، قالوا : فهل تجر تجارة ؟ قالا : لا ، قالوا : فإنا قد فقدنا بعضه ، فاتهما ، فرفعوهما إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فنزلت هذه الآية (يا أيها الذين آمنوا شهادة بينكم إذا حضر أحدكم الموت) . . . إلى قوله (إنا إذا لمن الآثمين) قال : فأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يستحلفوهما فى دبر صلاة العصر ، بالله الذى لا إله إلا هو ، ما قبضنا له غير هذا ، ولا كتمنا ؛ قال : فمكثنا ما شاء الله أن نمكث ، ثم ظهر معهما على إناء من فضة منقوش مموه بذهب ، فقال أهله : هذا من متاعه ، قالا : نعم ، ولكنا اشتريناه منه ، ونسينا أن نذكره حين حلفنا ، فكرهنا أن نكذب أنفسنا ، فترافعوا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فنزلت الآية الأخرى (فإن عثر على أنهما استحقا إثما ، فآخران يقومان مقامهما من الذين استحق عليهم الأوليان) فأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم رجلين من أهل الميت أن يحلفا على ما كتما وغيبا ويستحقانه ؛ ثم إن تميما الدارى أسلم ، وبايع النبى صلى الله عليه وسلم ، وكان يقول : صدق الله ورسوله ، أنا أخذت الإناء .

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله (يا أيها الذين آمنوا شهادة بينكم إذا حضر أحدكم الموت حين الوصية اثنان ذوا عدل منكم) . . . الآية كلها ، قال : هذا شىء حين لم يكن الإسلام إلا بالمدينة ، وكانت الأرض كلها كفرا ، فقال الله تعالى (يا أيها الذين آمنوا شهادة بينكم إذا حضر أحدكم الموت حين الوصية اثنان ذوا عدل منكم) من المسلمين (أو آخران من غيركم) من غير أهل الإسلام (إن أنتم ضربتم فى الأرض فأصابتكم مصيبة الموت) قال : كان الرجل يخرج مسافرا و العرب أهل كفر ، فعسى أن يموت فى سفره ، فيسندوصيته إلى رجلين منهم ، فيقسمان بالله إن ارتبتم فى أمرهما إذا قال الورثة : كان مع صاحبنا كذا وكذا ، فيقسمان بالله ما كان معه إلا هذا الذى قلنا (فإن عثر على أنهما استحقا إثما) إنما حلفا على باطل وكذب (فآخران يقومان مقامهما من الذين استحق عليهم الأوليان) بالميت (فيقسمان بالله لشهادتنا أحق من شهادتهما ، وما اعتدينا ، إنا إذا لمن الظالمين) ذكرنا أنه كان مع صاحبنا كذا وكذا ، قال هؤلاء : لم يكن معه ، قال : ثم عثر على بعض المتاع عندهما ، فلما عثر على ذلك ردت القسامة على وارثه ، فأقسما ، ثم ضمن هذان ، قال الله تعالى ، (ذلك أدنى أن يأتوا بالشهادة على وجهها ، أو يخافوا أن ترد أيمان) فتبطل أيمانهم (واتقوا الله واسمعوا ، والله لا يهدى القوم الفاسقين) الكاذبين الذين يحلفون على الكذب .

وقال ابن زيد : قدم تميم الدارى وصاحب له ، وكانا يومئذ مشركين ، ولم يكونا أسلما ، فأخبرا أنهما أوصى إليهما رجل ، وجاءا بتركته ، فقال أولياء الميت : كان مع صاحبنا كذا وكذا ، وكان معه إبريق فضة ؛ وقال الآخران : لم يكن معه إلا الذى جئنا به ، فحلفا خلف الصلاة ؛ ثم عثر عليهما بعد

والإبريق معهما ؛ فلما عثر عليهما ردّت القسامة على أولياء الميت بالذى قالوا مع صاحبهم ، ثم ضمنها الذى حلف عليه الأوليان .

حدثنا الربيع ، قال : ثنا الشافعىّ ، قال : أخبرنا سعيد بن معاذ بن موسى الجعفرىّ ، عن بكر بن معروف ، عن مقاتل بن حيان ، قال بكر : قال مقاتل : أخذت هذا التفسير ، عن مجاهد والحسن والضحاك فى قول الله (اثْنَانِ ذَوَا عَدْلٍ مِنْكُمْ) أن رجلين نصرانيين من أهل دارين ، أحدهما تميمى والآخر يمانى ، صاحبَهما مولى لقريش فى تجارة ، فركبوا البحر ومع القرشىّ مال معلوم قد علمه أولياؤه ، من بين آنية وبزّ ورقة ، فرض القرشىّ ، فجعل وصيته إلى الداريَّين ، فمات ، وقبض الداريان المال والوصية ، فدفعاه إلى أولياء الميت ، وجاءا ببعض ماله ، وأنكر القوم قلة المال ، فقالوا للداريَّين : إن صاحبنا قد خرج معه بمال أكثر مما أتيتمونا به ، فهل باع شيئا ، أو اشترى شيئا فوضع فيه ؟ أو هل طال مرضه ، فأنفق على نفسه ؟ قالا : لا ، قالوا : فإنكما خنتمانا ، فقبضوا المال ورفعوا أمرهما إلى النبىّ صلى الله عليه وسلم ، فأنزل الله تعالى (يا أَيُّها الَّذِينَ آمَنُوا شَهادَةُ بَيْنِكُمْ) . . . إلى آخر الآية ؛ فلما نزل : أن يحبسا من بعد الصلاة ، أمر النبىّ صلى الله عليه وسلم فقاما بعد الصلاة ، فحلفا بالله ربّ السموات ماترك مولاكم من المال إلا ما أتيناكم به ، وإنا لانشترى بأيماننا ثمنا قليلا من الدنيا ، ولو كان ذا قُربى ، ولا نكتم شهادة الله ، إنّا إذن لمن الآثمين ؛ فلما حلفا خلى سبيلهما ، ثم إنهم وجدوا بعد ذلك إناء من آنية الميت ، فأُخذ الداريان فقالا : اشتريناه منه فى حياته وكذبا ، فكُلِّفا البينة فلم يقدرا عليها ، فرفعوا ذلك إلى النبىّ صلى الله عليه وسلم ، فأنزل الله تعالى (فإن عُثِرَ) يقول : فإن اطُّلع على أنهما استحقا إثما ، يعنى الداريَّين إن كتما حقا ، فآخران من أولياء الميت يقومان مقامهما من الذين استحقّ عليهم الأوليان ، فيقسمان بالله إن مال صاحبنا كان كذا وكذا ، وإن الذى يُطْلَب قِبَل الداريَّين لحقّ ، وما اعتدينا ، إنّا إذن لمن الظالمين ، هذا قول الشاهدين أولياء الميت ، ذلك أدنى أن يأتوا بالشهادة على وجهها ، يعنى : الداريين والناس أن يعودوا لمثل ذلك .

❊ قال أبو جعفر : ففيما ذكرنا من هذه الأخبار التى روينا دليل واضح على صحة ما قلنا من أن حكم الله تعالى باليمين على الشاهدين فى هذا الموضع ، إنما هو من أجل دعوى ورثته على المسنَد إليهما الوصية خيانة فيما دفع الميت من ماله إليهما ، أو غير ذلك مما لايبرأ فيها المدّعى ذلك قبله إلا بيمين ، وإن نقل اليمين إلى ورثة الميت ، بما أوجبه الله تعالى بعد أن عثر على الشاهدين فى أيمانهما ، ثم ظهر على كذبهما فيها ، إنّ القوم ادّعوا فيما صحّ أنه كان للميت دعوى من انتقال ملك عنه إليهما ببعض ما تزول به الأملاك ، مما يكون اليمين فيها على ورثة الميت دون المدعى ، وتكون البينة فيها على المدعى ، وفساد ماخالف فى هذه الآية مما قلنا من التأويل ، وفيها أيضا البيان الواضح على أن معنى الشهادة التى ذكرها الله تعالى فى أوّل هذه القصة ، إنما هى اليمين ، كما قال الله تعالى فى مواضع أخر ، (وَالَّذِينَ يَرْمُونَ أَزْوَاجَهُمْ ، وَلَمْ يَكُنْ لَهُمْ شُهَدَاءُ إِلاَّ أَنْفُسُهُمْ ، فَشَهَادَةُ أَحَدِهِمْ أَرْبَعُ شَهَادَاتٍ بِاللهِ إِنَّهُ لَمِنَ الصَّادِقِينَ)

فالشهادة فى هذا الموضع معناها القسم من قول القائل: أشهد بالله إنه لمن الصادقين، وكذلك معنى قوله (شَهَادَةُ بَيْنِكُمْ) إنما هو قسم بينكم (إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ حِينَ الْوَصِيَّةِ) أن يقسم (اثْنَانِ ذَوَا عَدْلٍ مِنْكُمْ) إن كانا ائتمنا على ما قال، فارتيب بهما، أو ائتمن آخران من غير المؤمنين فاتّهما، وذلك أن الله تعالى لمّا ذكر نقل اليمين من اللذين ظهر على خيانتهما إلى الآخرين، قال (فَيُقْسِمَانِ بِاللَّهِ لَشَهَادَتُنَا أَحَقُّ مِنْ شَهَادَتِهِمَا). ومعلوم أن أولياء الميت المدّعين قبل اللذين ظهر على خيانتهما، غير جائز أن يكونا شهداء بمعنى الشهادة التى يؤخذ بها فى الحكم حقّ مدّعى عليه لمدّع، لأنه لا يعلم لله تعالى حكم قضى فيه لأحد بدعواه، ويمينه على مدّعى عليه، بغير بينة ولا إقرار من المدّعى عليه، ولا برهان؛ فإذ كان معلوما أن قوله (لَشَهَادَتُنَا أَحَقُّ مِنْ شَهَادَتِهِمَا) إنما معناه: قسمنا أحقّ من قسمهما، وكان قسم اللذين عثر على أنهما أثما، هو الشهادة التى ذكر الله تعالى فى قوله (أَحَقُّ مِنْ شَهَادَتِهِمَا) صح أن معنى قوله (شَهَادَةَ بَيْنِكُمْ) بمعنى الشهادة فى قوله (لَشَهَادَتُنَا أَحَقُّ مِنْ شَهَادَتِهِمَا) وأنها بمعنى القسم.

واختلفت القرّاء فى قراءة قوله (مِنَ الَّذِينَ اسْتَحَقَّ عَلَيْهِمُ الْأَوْلَيَانِ) فقرأ ذلك قرّاء الحجاز والعراق والشام (مِنَ الَّذِينَ اسْتُحِقَّ عَلَيْهِمُ الْأَوْلَيَانِ) بضم التاء. ورُوى عن علىّ وأبىّ بن كعب والحسن البصرى أنهم قرءوا ذلك (مِنَ الَّذِينَ اسْتَحَقَّ عَلَيْهِمُ) بفتح التاء.

واختلفت أيضا فى قراءة قوله (الْأَوْلَيَانِ) فقرأته عامّة قرّاء أهل المدينة والشام والبصرة (الْأَوْلَيَانِ) وقرأ ذلك عامة قرّاء أهل الكوفة (الأولين). وذكر عن الحسن البصرى أنه كان يقرأ ذلك (مِنَ الَّذِينَ اسْتُحِقَّ عَلَيْهِمُ الْأَوَّلَانِ).

❊ وأولى القراءتين بالصواب فى قوله (مِنَ الَّذِينَ اسْتَحَقَّ عَلَيْهِمِ) قراءة من قرأ بضمّ التاء، لإجماع الحجة من القرّاء عليه، مع مساعدة عامّة أهل التأويل على صحة تأويله، وذلك إجماع عامتهم على أن تأويله: فآخران من أهل الميت الذين استحقّ المؤتمنان على مال الميت الإثم فيهم، يقومان مقام المستحقّ الإثم فيهما بخيانتهما ماخانا من مال الميت، وقد ذكرنا قائل ذلك، أو أكثر قائليه فيما مضى قبل، ونحن ذاكرو باقيهم، إن شاء الله تعالى ذلك.

حدثنى محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى، عن ابن أبى نجيح، عن مجاهد فى قول الله تعالى (شَهَادَةُ بَيْنِكُمْ) أن يموت المؤمن فيحضر موته مسلمان أو كافران، لا يحضره غير اثنين منهم فإن رضى ورثته ما عاجل عليه من تركته فذاك، وحلف الشاهدان إن اتهما إنهما لصادقان، فإن عثر وجد لطخ حلف الاثنان الأوليان من الورثة، فاستحقا، وأبطلا أيمان الشاهدين؛ وأحسب أن الذين قرءوا ذلك بفتح التاء، أرادوا أن يوجهوا تأويله إلى: فآخران يقومان مقامهما، مقام المؤتمنين اللذين عثر على خيانتهما فى القسم والاستحقاق به عليهما دعواهما قبلهما من الذين استحقّ على المؤتمنين على المال على خيانتهما القيام مقامهما فى القسم، والاستحقاق فى الأوليان بالميت، وكذلك كانت قراءة من رُويت هذه القراءة عنه، فقرأ

ذلك من الذين استَحقّ بفتح التاء على معنى الأوليان بالميت وماله ، وذلك مذهب صحيح ، وقراءة غير مدفوعة صحتها ، غير أنا نختار الأخرى لإجماع الحجة من القرّاء عليها مع موافقتها التأويل الذى ذكرنا عن الصحابة والتابعين .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا يحيى بن آدم ، عن إسرائيل ، عن أبى إسحاق ، عن أبى عبد الرحمن وكريب عن علىّ ، أنه كان يقرأ (مِنَ الَّذِينَ اسْتَحَقَّ عَلَيْهِمُ الأَوْلَيَانِ) .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا مالك بن إسماعيل ، عن حماد بن زيد ، عن وائل مولى أبى عبيد ، عن يحيى ابن عقيل عن يحيى بن يعمر ، عن أبىّ بن كعب ، أنه كان يقرأ (مِنَ الَّذِينَ اسْتَحَقَّ عَلَيْهِمُ الأَوْلَيَانِ) .

⁂ وأما أولى القراءات بالصواب فى قوله (الأَوْلَيَانِ) عندى ، فقراءة من قرأ (الأَوْلَيَانِ) بصحة معناها وذلك لأن معنى فآخران يقومان مقامهما من الذين استحق فيهم الإثم ، ثم حذف الإثم ، وأقيم مقامه الأوليان ، لأنهما هما اللذان ظلما وأثما فيهما بما كان من خيانة اللذين استحقا الإثم ، وعثر عليهما بالخيانة منهما ، فيما كان ائتمنهما عليه الميت ، كما قد بينا فيما مضى من فعل العرب مثل ذلك من حذفهم الفعل اجتزاء بالاسم ، وحذفهم الاسم اجتزاء بالفعل ، ومن ذلك ما قد ذكرنا فى تأويل هذه القصة ، وهو قوله (شَهَادَةُ بَيْنِكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ حِينَ الْوَصِيَّةِ اثْنَانِ) ومعناه : أن يشهد اثنان ، وكما قال (فَيُقْسِمَانِ بِاللَّهِ إِنِ ارْتَبْتُمْ لَا نَشْتَرِي بِهِ ثَمَنًا) فقال به ، فعاد بالهاء على اسم الله ؛ وإنما المعنى : لانشترى بقسمنا بالله ، فاجتزئ بالعود على اسم الله بالذكر ، والمراد به : لا نشترى بالقسم بالله استغناء بفهم السامع بمعناه عن ذكر اسم القسم ، وكذلك اجتزئ بذكر الأوليين من ذكر الإثم الذى استحقه الخائنان لخيانتهما إياها ، إذ كان قد جرى ذكر ذلك بما أغنى السامع عند سماعه إياه عن إعادته ، وذلك قوله (فَإِنْ عُثِرَ عَلَى أَنَّهُمَا اسْتَحَقَّا إِثْمًا) . وأما الذين قرءوا ذلك (الأوّلين) فإنهم قصدوا فى معناه إلى الترجمة به ، عن الذين ، فأخرجوا ذلك على وجه الجمع ، إذ كان الذين جمعا وخفضا ، إذ كان الذين مخفوضا ، وذلك وجه من التأويل ، غير أنه إنما يقال للشىء أوّل إذا كان له آخر هو له أوّل ، وليس للذين استحقّ عليهم الإثم آخرهم له أوّل ، بل كانت أيمان الذين عثر على أنهما استحقا إثما قبل إيمانهم ، فهم إلى أن يكونوا إذ كانت أيمانهم آخرا ، أولى أن يكونوا آخرين من أن يكونوا أوّلين وأيمانهم آخرة لأولى قبلها . وأما القراءة التى حكيت عن الحسن ، فقراءة عن قراءة الحجة من القرّاء شاذّة ، وكفى بشذوذها عن قراءتهم دليلا على بعدها من الصواب .

واختلف أهل العربية فى الرافع لقوله (الأَوْلَيَانِ) إذا قرئ كذلك ، فقال بعض نحويى البصرة : يزعم أنه رفع ذلك بدلا من آخران فى قوله (فَآخَرَانِ يَقُومَانِ مَقَامَهُمَا) وقال : إنما جاز أن يبدل الأوليان وهو معرفة من آخران وهو نكرة ، لأنه حين قال : (يَقُومَانِ مَقَامَهُمَا) من الذين استحقّ عليهم ، كان كأنه قد حدّهما حتى صارا كالمعرفة فى المعنى ، فقال : الأَوْلَيَانِ ، فأجرى المعرفة عليهما بدلا ، قال : ومثل هذا مما يجرى على المعنى كثير ، واستشهد لصحة قوله ذلك بقول الراجز :

عَلَيَّ يومَ يَمْلِكُ الأمُورَا صَوْمَ شُهورٍ وَجَبَتْ نُذُورَا
وَبادِنا مُقَلَّدًا مَنْحورَا [1]

قال : فجعله عليّ واجب ، لأنه فى المعنى قد أوجب :

وكان بعض نحويى الكوفة ينكر ذلك ويقول : لايجوز أن يكون الأوليان بدلا من آخران من أجل أنه قد نسق ، فيقسمان على يقومان فى قوله (فَآخَرَانِ يَقُومانِ) فلم يتمّ الخبر عند من قال : لايجوز الإبدال قبل إتمام الخبر ، كما قال : غير جائز مررت برجل ، قام زيد وقعد ، وزيد بدل من رجل .

☼ والصواب من القول فى ذلك عندى أن يقال : الأوليان : مرفوعان بما لم يسمّ فاعله ، وهو قوله (اسْتَحَقَّ عَلَيْهِم) وإنهما موضع الخبر عنهما ، فعمل فيهما ما كان عاملا فى الخبر عنهما ، وذلك أن معنى الكلام : فآخران يقومان مقامهما من الذين استحقّ عليهم الإثم بالخيانة ، فوضع الأوليان موضع الإثم كما قال تعالى فى موضع آخر (أجَعَلْتُمْ سِقايَةَ الحاجّ وعِمارَةَ المَسْجِدِ الحَرَامِ كَمَنْ آمَنَ باللهِ واليَوْمِ الآخِرِ) ومعناه : أجعلتم سقاية الحاج ، وعمارة المسجد الحرام كإيمان من آمن بالله واليوم الآخر؟ وكما قال (وأُشْرِبُوا فِى قُلُوبِهِمُ العِجْلَ بِكُفْرِهِمْ) ، وكما قال بعض الهذليين :

يُمَشِّى بَيْنَنا حانُوتُ خَمْرٍ مِنَ الخُرْسِ الصَّراصِرَةِ القِطاطِ [2]

وهو يعنى صاحب حانوت خمر ، فأقام الحانوت مقامه ، لأنه معلوم أن الحانوت لايمشى ، ولكن لما كان معلوما عنده أنه لايخفى على سامعه ما قصد إليه من معناه حذف الصاحب ، واجتزأ بذكر الحانوت منه ، فكذلك قوله (مِنَ الَّذِينَ اسْتَحَقَّ عَلَيْهِمُ الأَوْلَيانِ) إنما هو من الذين استحقّ فيهم خيانتهما ، فحذفت الخيانة ، وأقيم المختانان مقامها ، فعمل فيهما ما كان يعمل فى المحذوف ولو ظهر ؛ وأما قوله عليهم فى هذا الموضع ، فإن معناها : فيهم ، كما قال تعالى (وَاتَّبَعُوا ما تَتْلُو الشَّياطِينُ على مُلْكِ سُلَيْمانَ) يعنى : فى ملك سليمان، وكما قال (ولأُصَلِّبَنَّكُمْ فِى جُذُوعِ النَّخْلِ) ففى توضع موضع على ، وعلى فى موضع فى كل واحدة منهما تعاقب صاحبتها فى الكلام ، ومنه قول الشاعر :

مَتَى ما تُنْكِرُوها تَعْرِفُوها على أقْطارِها عَلَقٌ نَفِيثُ [3]

---

(١) لم أقف على قائل هذا الرجز . والراجز ينذر أنه إذا ملك هذا الرجل أمور الناس ، فإنه سيصوم أشهرا ، ويهدى إلى البوت بدنا مقلدة لتنحر فى الحرم .

(٢) البيت للمتنخل الهذلى (المعانى الكبير لابن قتيبة ، طبع الهند ص ٤٧٢) قال : أى صاحب الحانوت ، وهو من العجم . والصراصرة : نبط الشام ، والقطاط : الجعاد . وفى (اللسان : قطط) : ورجل قط الشعر وقطط ، والجمع أقطاط وقطاط ، وأنشد البيت . وفيه أيضا : وشعر قط وقطط : جعد قصير .

(٣) حقق ابن السيد نسبة هذا البيت ومعناه تحقيقا لامزيد عليه فى الاقتضاب شرح أدب الكتاب ص (٤٥١–٤٥٢)، فأما قائله فهو أبو المثلم الهذلى ، يرد به على صخر الغى الهذلى ، وليس هو من كلام صخر كما زعم الأصمعى ، وتبعه ابن قتيبة فى المعانى الكبير (ص ٩٦٩)، ونقله عنهما اللسان (نفث) . وأما معناه : فإن ابن قتيبة قال فى كتاب المعانى الكبير : يذكر كتيبة ، أراد : من أقطارها وهى نواحيها : أى متى تشكوا فيها ترد عليكم فى الدماء تنفثها نفثا ، أى ترون كتيبة نكراء . وقال ابن السيد : إن الأصمعى روى فى آخر هذا الشعر بيتا وقع فى غير موضعه ، وهو :

فلا وأبيك لا تنفك منى إليك مقالة فيها وعوث

وقد تأولت جماعة من أهل التأويل قول الله تعالى (فإنْ عُثِرَ على أنَّهُما اسْتَحَقَّا إثْماً ، فَآخَرَانِ يَقُومانِ مَقامَهُما مِنَ الَّذِينَ اسْتَحَقَّ عَلَيْهِمُ الأَوْلَيانِ) أنهما رجلان آخران من المسلمين ، أو رجلان أعدل من المُقسِمَيْن الأوّلين .

ذكر من قال ذلك

حدثنا محمد بن المثنى ، قال : ثنا عبد الأعلى ، قال : ثنا داود بن أبى هند ، عن عامر ، عن شريح فى هذه الآية (يا أيُّها الَّذِين آمَنُوا شَهادَةُ بَيْنِكُمْ إذا حَضَرَ أحَدَكُمُ المَوْتُ حِينَ الوَصِيَّةِ اثْنانِ ذَوَا عَدْلٍ مِنْكُمْ ، أوْ آخَرَانِ مِنْ غيرِكُمْ) قال : إذا كان الرجل بأرض غَرْبة[1] ، ولم يجد مسلما يشهده على وصيته ، فأشهد يهوديا أو نصرانيا ، أو مجوسيا ، فشهادتهم جائزة ، فإن جاء رجلان مسلمان ، فشهدا بخلاف شهادتهم ، أجيزت شهادة المسلمين ، وأبطلت شهادة الآخرين .

حدثنا بشر بن معاذ ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (فإنْ عُثِرَ) أى اطلع منهما على خيانة على أنهما كذبا أو كتما ، فشهد رجلان هما أعدل منهما بخلاف ماقالا ، أجيزت شهادة الآخرين ، وأبطلت شهادة الأوّلين .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا جرير ، عن عبد الملك ، عن عطاء ، قال : كان ابن عباس يقرأ (مِنَ الَّذِينَ اسْتَحَقَّ عَلَيْهِمُ الأوَّلَيْنِ) قال : كيف يكون الأوليان ، أرأيت لو كان الأوليان صغيرين .

حدثنا هناد وابن وكيع ، قال : ثنا عبدة ، عن عبد الملك ، عن عطاء ، عن ابن عباس ، قال : كان يقرأ (مِنَ الَّذِينَ اسْتَحَقَّ عَلَيْهِمُ الأوَّلَيْنِ) قال : وقال : أرأيت لو كان الأوليان صغيرين ، كيف يقومان مقامهما ؟

قال الإمام أبو جعفر : فذهب ابن عباس فيما أرى إلى نحو القول الذى حكيت عن شريح وقتادة ، من أن ذلك رجلان آخران من المسلمين يقومان مقام النصرانيَّين ، أو عَدْلان من المسلمين هما أعدل وأجوز شهادة من الشاهدين الأوّلين ، أو المُقسِمَيْن . وفى إجماع جميع أهل العلم ، على أن لاحكم لله تعالى يجب فيه على شاهد يمين فيما قام به من الشهادة ، دليل واضح على أن غير هذا التأويل الذى قاله الحسن ، ومن قال بقوله فى قول الله تعالى (فَآخَرَانِ يَقُومانِ مَقامَهُما) أولى به .

وأما قوله (الأوْلَيانِ) فإن معناه عندنا . الأولى بالميت من المقسمين الأوّلين فالأولى ، وقد يحتمل أن

= فهذا البيت إذا قدمه قبل قوله « متى ما تنكروها » استقام الشعر . . . لأن الهاء فى قوله تنكروها تعود على المقالة . والمعنى : إنى أقول فيكم مقالة لاتقدرون على إنكارها ورفعها عن أنفسكم ، لأنى أسمها بأسمائكم ، وأشهرها بذكركم ، وتأتيكم وعلى أقطارها الدم المنفوث . أى أنها مقالة تثير الحرب ، وسفك الدماء ، كما يقال : هذا كلام يقطر منه الدم . قال : وفى الأشعار الجاهلية والإسلامية القديمة كثير من هذا النوع ، قد أفسدته الرواة ، فقدموا وأخروا ، يرى ذلك من تأمل الأشعار وعنى بها . اهـ . قلت : وقد ضرب ابن السيد لذلك أمثالا ، فارجع إلى الاقتضاب .

(١) أرض غربة : بعيدة.

يكون معناه : الأولى باليمين منهما فالأولى ، ثم حذف فيهما : والعرب تفعل ذلك فتقول : فلان أفضل ، وهى تريد أفضل منك ، وذلك إذا وضع أفعل موضع الخبر . وإن وقع موقع الاسم ، وأدخلت فيه الألف واللام ، فعلوا ذلك أيضا إذا كان جوابا لكلام قد مضى ، فقالوا : هذا الأفضل ، وهذا الأشرف يريدون هو الأشرف منك . وقال ابن زيد : معنى ذلك : الأوليان بالميت .

حدثنى يونس ، عن ابن وهب ، عنه .

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿ فَيُقْسِمَانِ بِاللَّهِ لَشَهَادَتُنَا أَحَقُّ مِنْ شَهَادَتِهِمَا ، وَمَا اعْتَدَيْنَا إِنَّا إِذَنْ لَمِنَ الظَّالِمِينَ ﴾ :

يقول تعالى ذكره : فيُقسم الآخران اللذان يقومان مقام اللذين عثر على أنهما استحقا إثما بخيانتهما مال الميت الأوليان باليمين والميت من الخائنين (لَشَهَادَتُنَا أَحَقُّ مِنْ شَهَادَتِهِمَا) يقول : لأيماننا أحقّ من أيمان المقسمين المستحقين الإثم وأيمانهما الكاذبة فى أنهما قد خانا فى كذا وكذا من مال ميتنا ، وكذا فى أيمانهما التى حلفا بها (وَمَا اعْتَدَيْنَا) يقول : وما تجاوزنا الحقّ فى أيماننا . وقد بينا أن معنى الاعتداء : المجاوزة فى الشىء حدّه (إِنَّا إِذَنْ لَمِنَ الظَّالِمِينَ) يقول : إنا إن كنا اعتدينا فى أيماننا ، فحلفنا مبطلين فيها كاذبين ، لمن الظالمين ، يقول : لممن عدا ، ومن يأخذ ما ليس له أخذه ، ويقتطع بأيمانه الفاجرة أموال الناس

القول في تأويل قوله تعالى:

﴿ ذَٰلِكَ أَدْنَىٰ أَن يَأْتُوا بِالشَّهَادَةِ عَلَىٰ وَجْهِهَا أَوْ يَخَافُوا أَن تُرَدَّ أَيْمَانٌ بَعْدَ أَيْمَانِهِمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاسْمَعُوا وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ ﴿١٠٨﴾ ﴾

يعنى تعالى ذكره بقوله (ذَلِكَ) : هذا الذى قلت لكم فى أمر الأوصياء إذا ارتبتم فى أمرهم ، واتهمتموهم بخيانة المال من أوصى إليهم من حبْسهم بعد الصلاة ، واستحلافكم إياهم على ما ادّعى قبلهم أولياء الميت (أَدْنَى لَهُمْ) أنْ يأتوا بالشّهادة على وجهها) يقول : هذا الفعل إذا فعلتم بهم أقرب لهم أن يصدُقوا فى أيمانهم ، ولا يكتموا ، ويقرّوا بالحقّ ، ولا يخونوا (أَوْ يَخَافُوا أَنْ تُرَدَّ أَيْمَانٌ بَعْدَ أَيْمَانِهِمْ) يقول أو يخافوا هؤلاء الأوصياء إن عُثر عليهم أنهم استحقوا إثما فى أيمانهم بالله ، أن تردّ أيمانهم على أولياء الميت بعد أيمانهم التى عثر عليها أنها كذب ، فيستحقوا بها ما ادّعوا قبلهم من حقوقهم ، فيصدقوا حينئذ فى أيمانهم وشهادتهم مخافة الفضيحة على أنفسهم ، وحذرا أن يستحقّ عليهم ما خانوا فيه أولياء الميت وورثته :

وبنحو الذى قلنا فى ذلك ، قال أهل التأويل ، وقد تقدمت الرواية بذلك عن بعضهم ، ونحن ذاكرو الرواية فى ذلك عن بعض من بقى منهم .

حدثنى المثنى ، قال : ثنا عبد الله بن صالح ، قال : ثنى معاوية بن صالح ، عن علىّ بن أبى طلحة ،

عن ابن عباس (فإنْ عُثِرَ على أنَّهُما اسْتَحَقَّا إثْماً) يقول : إن اطلع على أن الكافرين كذبا ، فآخران يقومان مقامهما ، يقول : من الأولياء ، فحلفا بالله أن شهادة الكافرين باطلة ، وإنا لم نعتد ، فترد شهادة الكافرين ، وتجوز شهادة الأولياء ، يقول تعالى ذكره : ذلك أدنى أن يأتى الكافرون بالشهادة على وجهها ، أو يخافوا أن تردّ أيمان بعد أيمانهم ، وليس على شهود المسلمين إقسام ، وإنما الإقسام إذا كانوا كافرين .

حدثنا بشر بن معاذ ، قال : ثنا يزيد بن زريع ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (ذَلِكَ أدْنَى أنْ يَأْتُوا بالشَّهادَةِ) . . . الآية ، يقول : ذلك أحرى أن يصدقوا فى شهادتهم ، وأن يخافوا العقاب .

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله (أوْ يَخافُوا أنْ تُرَدَّ أيمَانٌ بَعْدَ أيمَانِهِمْ) قال : فتبطل أيمانهم ، وتؤخذ أيمان هؤلاء .

وقال آخرون : معنى ذلك : تحبسونهما من بعد الصلاة ، ذلك أدنى أن يأتوا بالشهادة على وجهها ، وعلى أنهما استحقا إثما ، فآخران يقومان مقامهما .

ذكر من قال ذلك

حدثنى محمد بن الحسين ، قال : ثنا أحمد بن مفضل ، قال : ثنا أسباط ، عن السدىّ ، قال : يوقف الرجلان بعد صلاتهما فى دينهما ، فيحلفان بالله لانشترى به ثمنا قليلا ، ولو كان ذا قربى ، ولا نكتم شهادة الله ، إنا إذن لمن الآثمين ، إن صاحبكم لبهذا أوصى ، وإن هذه لتركته ، فيقول لهما الإمام قبل أن يحلفا : إنكما إن كتمتما أو خنتما ، فضحتكما فى قومكما ، ولم أجز لكما شهادة وعاقبتكما ، فإن قال لهما ذلك ، فإن ذلك أدنى أن يأتوا بالشهادة على وجهها .

القول فى تأويل قوله تعالى : ﴿وَاتَّقُوا اللهَ وَاسْمَعُوا وَاللهُ لا يَهْدِى الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ﴾ :

يقول تعالى ذكره : وخافوا الله أيها الناس ، وراقبوه فى أيمانكم ، أن تحلفوا بها كاذبة ، وأن تذهبوا بها مال من يحرم عليكم ماله ، وأن تخونوا من ائتمنكم (واسْمَعُوا) يقول : اسمعوا ما يقال لكم ، وما توعظون به ، فاعملوا به ، وانتهوا إليه (وَاللهُ لا يَهْدِى القَوْمَ الفاسِقِينَ) يقول : والله لايوفق من فسق عن أمر ربه ، فخالفه وأطاع الشيطان وعصى ربه .

وكان ابن زيد يقول : الفاسق فى هذا الموضع : هو الكاذب .

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد (وَاللهُ لا يَهْدِى القَوْمَ الفاسِقِينَ) : الكاذبين يحلفون على الكذب . وليس الذى قال ابن زيد من ذلك عندى بمدفوع ، إلا أن الله تعالى عمّ الخبر ، بأنه لايهدى جميع الفساق ، ولم يخصص منهم بعضا دون بعض ، بخبر ولا عقل ، فذلك على معانى الفسق كلها ، حتى يخصص شيئا منها ، ما يجب التسليم له ، فيسلم له .

ثم اختلف أهل العلم فى حكم هاتين الآيتين ، هل هو منسوخ ، أو هو محكم ثابت ؟ فقال بعضهم : هو منسوخ .

ذكر من قال ذلك

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا ابن إدريس ، عن رجل ، قد سماه ، عن حماد ، عن إبراهيم ، قال : هي منسوخة .

حدثني محمد بن سعد ، قال : ثني أبي ، قال : ثني عمي ، قال : ثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس قال : هي منسوخة ، يعني هذه الآية (يا أَيُّها الَّذِينَ آمَنُوا شَهادَةُ بَيْنِكُمْ) . . . الآية .

وقال جماعة : هي محكمة وليست بمنسوخة ، وقد ذكرنا قول أكثرهم فيما مضى .

والصواب من القول في ذلك أن حكم الآية[١] منسوخ ، وذلك أن من حكم الله تعالى ذكره ، الذي عليه أهل الإسلام ، من لدن بعث الله تعالى ذكره نبيه محمدا صلى الله عليه وسلم ، إلى يومنا هذا ، أن من ادُّعِيَ عليه دعوى مما يملكه بنو آدم ، أن المدَّعى عليه لا يبرئه مما ادُّعِيَ عليه إلا اليمين إذا لم يكن للمدَّعى بينة تصحح دعواه ، وإنه إن اعترف وفي يدي المدَّعى سلعة له ، فادَّعى أنها له دون الذي في يده ، فقال الذي هي في يده : بل هي لي اشتريتها من هذا المدَّعى ، أن القول قول من زعم الذي هي في يده أنه اشتراها منه دون من هي في يده مع يمينه إذا لم يكن للذي هي في يده بينة تحقق به دعواه الشراء منه . فإذ كان ذلك حكم الله الذي لا خلاف فيه بين أهل العلم ، وكانت الآيتان اللتان ذكر الله تعالى ذكره فيهما أمر وصية الموصى إلى عدلين من المسلمين ، أو إلى آخرَيْن من غيرهم ، إنما ألزم النبيُّ صلى الله عليه وسلم فيما ذكر عنه الوصيين اليمين حين ادَّعى عليهما الورثة ما ادَّعوا ، ثم لم يُلزم المدَّعى عليهما شيئا إذ حلفا ، حتى اعترفت الورثة في أيديهما ما اعترفوا من الجام أو الإبريق أو غير ذلك من أموالهم ، فزعما أنهما اشترياه من ميتهم ، فحينئذ ألزم النبيُّ صلى الله عليه وسلم ورثة الميت اليمين ، لأن الوصيين تحوَّلا مدَّعيَيْن بدعواهما ما وجدا في أيديهما من مال الميت أنه لهما اشتريا ذلك منه فصارا مقرَّين بالمال للميت ، مدَّعيين منه الشراء ، فاحتاجا حينئذ إلى بينة تصحح دعواهما ، وورثة الميت ربُّ السلعة أولى باليمين منهما ، فذلك قوله تعالى (فَإِنْ عُثِرَ عَلَى أَنَّهُما اسْتَحَقَّا إِثْمًا فَآخَرانِ يَقُومانِ مَقامَهُما مِنَ الَّذِينَ اسْتَحَقَّ عَلَيْهِمُ الأَوْلَيانِ ، فَيُقْسِمانِ بِاللهِ لَشَهادَتُنا أَحَقُّ مِنْ شَهادَتِهِما) . . . الآية . فإذ كان تأويل ذلك كذلك فلا وجه لدعوى مدَّعٍ أن هذه الآية منسوخة ، لأنه غير جائز أن يقضى على حكم من أحكام الله تعالى ذكره أنه منسوخ إلا بخبر يقطع العذر إما من عند الله ، أو من عند رسوله صلى الله عليه وسلم ، أو بورود النقل المستفيض بذلك ، فأما ولا خبر بذلك ، ولا يدفع صحته عقل ، فغير جائز أن يقضى عليه بأنه منسوخ .

القول في تأويل قوله تعالى :

﴿ يَوْمَ يَجْمَعُ اللَّهُ الرُّسُلَ فَيَقُولُ مَاذَا أُجِبْتُمْ قَالُوا لَا عِلْمَ لَنَا إِنَّكَ أَنتَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ ﴾

يقول تعالى ذكره : واتقوا الله أيها الناس ، واسمعوا وعظه إياكم ، وتذكيره لكم ، واحذروا يوم يجمع الله الرسل ، ثم حذف واحذروا واكتفى بقوله (وَاتَّقُوا اللهَ وَاسْمَعُوا) عن إظهاره ، كما قال الراجز :

(١) لعل الصواب : غير منسوخ ، كما يدل عليه آخر كلامه في هذا المقام .

عَلَفْتُها تِبْنا وَماءً بارِدًا حتى غَدَتْ هَمَّالَةً عَيْناها(١)

يريد : وسقيتها ماء باردا ، فاستغنى بقوله « علفتها تبنا » من إظهار سقيتها ، إذ كان السامع إذا سمعه عرف معناه ، فكذلك فى قوله (يَوْمَ يَجْمَعُ اللهُ الرُّسُلَ) حذف واحذروا لعلم السامع معناه ، اكتفاء بقوله (واتَّقُوا اللهَ واسْمَعُوا) إذ كان ذلك تحذيرا من أمر الله تعالى خلقه عقابه على معاصيه .

وأما قوله (ماذَا أُجِبْتُمْ) فإنه يعنى به ما الذى أجابتكم به أممكم حين دعوتموهم إلى توحيدى ، والإقرار بى ، والعمل بطاعتى ، والانتهاء عن معصيتى ؟ قالوا : لاعلم لنا .

اختلف أهل التأويل فى تأويل ذلك ، فقال بعضهم : معنى قولهم (لاعِلْمَ لَنا) لم يكن ذلك من الرسل إنكارا أن يكونوا كانوا عالمين بما عملت أممهم ، ولكنهم ذهلوا عن الجواب من هول ذلك اليوم ، ثم أجابوا بعد أن ثابت إليهم عقولهم بالشهادة على أممهم .

ذكر من قال ذلك

حدثنى محمد بن الحسين ، قال : ثنا أحمد بن مفضل ، قال : ثنا أسباط ، عن السدىّ (يَوْمَ يَجْمَعُ اللهُ الرُّسُلَ فَيَقُولُ ماذَا أُجِبْتُمْ ؟ قالُوا لاعِلْمَ لَنا) قال : ذلك أنهم لما نزلوا منزلا ذهلت فيه العقول ، فلما سئلوا ، قالوا : لاعلم لنا ، ثم نزلوا منزلا آخر ، فشهدوا على قومهم.

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا حكام ، عن عنبسة ، قال : سمعت الحسن يقول ، فى قوله (يَوْمَ يَجْمَعُ اللهُ الرُّسُلَ) . . . الآية ، قال : من هول ذلك اليوم .

حدثنا الحسن بن يحيى ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا الثورىّ ، عن الأعمش ، عن مجاهد فى قوله (يَوْمَ يَجْمَعُ اللهُ الرُّسُلَ فَيَقُولُ ماذَا أُجِبْتُمْ) فيفزعون ، فيقول : ما ذا أجبتم ؟ فيقولون : (لاعِلْمَ لَنا) .

وقال آخرون : معنى ذلك : لاعلم لنا إلا ما علمتنا .

ذكر من قال ذلك

حدثنا محمد بن بشار ، قال : ثنا مؤمل ، قال : ثنا سفيان ، عن الأعمش ، عن مجاهد ، فى قوله (يَوْمَ يَجْمَعُ اللهُ الرُّسُلَ فَيَقُولُ ماذَا أُجِبْتُمْ ؟) فيقولون (لاعِلْمَ لَنا إلاَّ ما عَلَّمْتَنا إنَّكَ أنْتَ عَلاَّمُ الغُيُوبِ) .

---

(١) البيت فى اللسان (علف) أنشده الفراء . وروايته « حتى شتت . . . الخ » أى : وسقيتها ماء . وهو من شواهد النحويين فى باب المفعول معه ، على أنه إذا امتنع العطف بالواو على مشاركة الثانى للأول ، وامتنع أن يكون مفعولا معه ، وجب إضمار فعل ، كما فى البيت ، أى : وسقيتها ماء باردا ، على أنه مفعول به ، والفعل المحذوف معطوف على الفعل المذكور . قال فى التصريح للشيخ خالد على أوضح المسالك لابن هشام : هذا قول الفراء والفارسى ومن تبعهما . وإليه أشار الناظم (ابن مالك) بقوله : « أو اعتقد إضمار عامل نصب » . وذهب جماعة من أئمة نحاة البصرة : (الجرمى ، والمازنى ، والمبرد ، والأصمعى ، وأبو محمد اليزيدى) إلى أن لاحذف ، وأن ما بعد الواو معطوف على ما قبله ؛ وذلك على تأويل العامل المذكور قبلهما ، بعامل يصح انصبابه عليهما معا ، فيؤول علفتها : بأنلتها ، لأن الإنالة يصح تسليطها على التبن والماء . فهو من باب التضمين . والأكثرون على أنه قياسى ؛ وضابطه أن يكون الأول والثانى يجتمعان فى معنى عام .

وقال آخرون : معنى ذلك : قالوا لاعلم لنا ، إلا علم أنت أعلم به منا .

ذكر من قال ذلك

حدثني المثنى ، قال : ثنا عبدالله بن صالح ، قال : ثني معاوية بن صالح ، عن عليّ بن أبي طلحة ، عن ابن عباس، قوله (يَوْمَ يَجْمَعُ اللهُ الرُّسُلَ فَيَقُولُ ماذَا أُجِبْتُمْ ؟ قالُوا لاعِلْمَ لَنَا) إلا علم أنت أعلم به منا .

وقال آخرون : معنى ذلك (ماذَا أُجِبْتُمْ) : ماذا عملوا بعدكم ، وماذا أحدثوا :

ذكر من قال ذلك

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثني حجاج ، عن ابن جريج ، قوله (يَوْمَ يَجْمَعُ اللهُ الرُّسُلَ فَيَقُولُ ماذَا أُجِبْتُمْ) : ماذا عملوا بعدكم ، وماذا أحدثوا بعدكم ؟ قالوا : (قالُوا لاعِلْمَ لَنا إلاَّ مَاعَلَّمْتَنَا إنَّكَ أنْتَ عَلاَّمُ الغُيُوبِ) .

وأولى الأقوال بالصواب قول من قال : معناه : لاعلم لنا إلا علم أنت أعلم به منا ، لأنه تعالى ذكره ، أخبر عنهم أنهم قالوا (لاعِلْمَ لَنا إلاَّ مَاعَلَّمْتَنَا إنَّكَ أنْتَ عَلاَّمُ الغيُوبِ) : أى أنك لايخفى عليك ماعندنا من علم ذلك ، ولا غيره ، من خفى العلوم وجليها ، فإنما نفى القوم أن يكون لهم بما سئلوا عنه من ذلك ، علم لايعلمه هو تعالى ذكره ، لا أنهم نفوا أن يكونوا علموا ماشاهدوا ، كيف يجوز أن يكون ذلك كذلك ، وهو تعالى ذكره يخبر عنهم أنهم يخبرون بما أجابتهم به الأمم ، وأنهم سيشهدون على تبليغهم الرسالة شهداء ، فقال تعالى ذكره (وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ على النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا) .

وأما الذى قاله ابن جريج : من أن معناه : ماذا عملت الأمم بعدكم ؟ وماذا أحدثوا ؟ فتأويل لامعنى له ، لأن الأنبياء لم يكن عندها من العلم بما يحدث بعدها إلا ما أعلمها الله من ذلك ، وإذا سئلت عما عملت الأمم بعدها والأمر كذلك ، فإنما يقال لها : ماذا عرّفناك أنه كائن منهم بعدك ، وظاهر خبر الله تعالى ذكره عن مسئلته إياهم يدلّ على غير ذلك

القول في تأويل قوله تعالى

إِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ اذْكُرْ نِعْمَتِي عَلَيْكَ وَعَلَىٰ وَالِدَتِكَ إِذْ أَيَّدتُّكَ بِرُوحِ الْقُدُسِ تُكَلِّمُ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ وَكَهْلًا ۖ وَإِذْ عَلَّمْتُكَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَالتَّوْرَاةَ وَالْإِنجِيلَ ۖ وَإِذْ تَخْلُقُ مِنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ بِإِذْنِي فَتَنفُخُ فِيهَا فَتَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِي ۖ وَتُبْرِئُ الْأَكْمَهَ وَالْأَبْرَصَ بِإِذْنِي ۖ وَإِذْ تُخْرِجُ الْمَوْتَىٰ بِإِذْنِي ۖ وَإِذْ كَفَفْتُ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَنكَ إِذْ جِئْتَهُم بِالْبَيِّنَاتِ فَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ إِنْ هَٰذَا إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴿١١٠﴾

❊ يقول تعالى ذكره لعباده : احذروا يوم يجمع الله الرسل فيقول لهم : مذا أجابتكم أممكم فى الدنيا (إذ قالَ اللهُ يا عيسَى ابْنَ مَرْيَمَ اذْكُرْ نِعْمَتِي عَلَيْكَ وَعلى وَالِدَتِكَ ، إذْ أيَّدْتُكَ بِرُوحِ القُدُسِ) فإذ من صلة أجبتم ، كأن معناها : ماذا أجابت عيسى الأمم التى أرسل إليها عيسى .

❊ فإن قال قائل : وكيف سئلت الرسل عن إجابة الأمم إياها فى عهد عيسى ، ولم يكن فى عهد عيسى من الرسل إلا أقلّ من ذلكَ؟ قيل : جائز أن يكون الله تعالى عنى بقوله : فيقول ماذا أجبتم الرسل الذين كانوا أرسلوا فى عهد عيسى ، فخرج الخبر مخرج الجميع ، والمراد منهم من كان فى عهد عيسى ، كما قال تعالى (الَّذِينَ قالَ لَهُمُ النَّاسُ إنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ) والمراد : واحد من الناس ، وإن كان مخرج الكلام على جميع الناس .

ومعنى الكلام : (إذْ قالَ اللهُ) حين قال (يا عيسَى ابْنَ مَرْيَمَ اذْكُرْ نِعْمَتِي عَلَيْكَ وَعلى وَالِدَتِكَ ، إذْ أيَّدْتُكَ بِرُوحِ القُدُسِ) يقول : يا عيسى ، اذكر أياديّ عندك وعند والدتك ، إذ قوّيتك بروح القدس ، وأعنتك به .

وقد اختلف أهل العربية فى أيدتك ما هو من الفعل ، فقال بعضهم : هو فعلتك ، كما فى قولك : قوّيتك فعلت من القوّة .

وقال آخرون : بل هو فاعلتك من الأيد . ورُوِى عن مجاهد أنه قرأ (إذْ آيَدْتُكَ) بمعنى : أفعلتك من القوّة والأيد ؛ وقوله (بِرُوحِ القُدُسِ) يعنى بجبريل ، يقول : إذ أعنتك بجبريل . وقد بينت معنى ذلك ، وما معنى القُدُس فيما مضى ، بما أغنى عن إعادته فى هذا الموضع .

القول فى تأويل قوله تعالى : ﴿تُكَلِّمُ النَّاسَ فِي المَهْدِ وكَهْلاً ، وَإذْ عَلَّمْتُكَ الكِتابَ والحِكْمَةَ والتَّوْرَاةَ والإنْجيلَ ، وَإذْ تَخْلُقُ مِنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ بإذْنِي ، فَتَنْفُخُ فِيها فَتَكُونُ طَيْرًا بإذْنِي ، وَتُبْرِئُ الأكْمَهَ والأبْرَصَ بإذْنِي ، وَإذْ تُخْرِجُ المَوْتَى بإذْنِي ، وَإذْ كَفَفْتُ بَنِي إسْرَائِيلَ عَنْكَ إذْ جِئْتَهُمْ بالبَيِّناتِ ، فقالَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ إنْ هَذَا إلاَّ سِحْرٌ مُبِينٌ﴾ .

يقول تعالى ذكره ، مخبرا عن قيله لعيسى (اذْكُرْ نِعْمَتِي عَلَيْكَ وَعلى وَالِدَتِكَ إذْ أيَّدْتُكَ بِرُوحِ القُدُسِ) فى حال تكليمك الناس فى المهد وكهلا ، وإنما هذا خبر من الله تعالى ذكره ، أنه أيّده بروح القُدس صغيرا فى المهد ، وكهلا كبيرا ، فردّ القول على قوله فى المهد ، لأن معنى ذلك صغيرا ، كما قال الله تعالى ذكره (دَعانا لِجَنْبِهِ ، أوْ قاعِدًا أو قائما) . وقوله (وَإذْ عَلَّمْتُكَ الكِتابَ والحِكْمَةَ والتَّوْرَاةَ والإنْجيلَ) يقول : واذكر أيضا نعمتى عليك ، إذ علمتك الكتاب : وهو الخط ، والحكمة : وهى الفهم بمعانى الكتاب الذى أنزلته إليك ، وهو الإنجيل (وَإذْ تَخْلُقُ مِنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ) يقول : كصورة الطير (بإذْنِي) يعنى بقوله (تَخْلُقُ) : تعمل وتصلح من الطين (كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ بإذْنِي) يقول : بعونى على ذلك ، وعلم منى (فَتَنْفُخُ فِيها) يقول : فتنفخ فى الهيئة ، فتكون الهيئة

والصورة (طَيْرًا بإذْنِي، وتُبْرِئُ الأكْمَهَ) يقول : وتشفى الأكمه : وهو الأعمى الذى لايبصر شيئا المطموس البصر (والأبْرَصَ بإذْنِي) ، وقد بينت معانى هذه الحروف فيما مضى من كتابنا هذا مفسرا بشواهده ، بما أغنى عن إعادته فى هذا الموضع .

وقوله (وَإذْ كَفَفْتُ بَنِي إسْرَائِيلَ عَنْكَ إذْ جِئْتَهُمْ بالبَيِّنَاتِ) يقول : واذكر أيضا نعمتى عليك ، بكفى عنك بنى إسرائيل ، إذ كففتهم عنك ، وقد همّوا بقتلك ، إذ جئتهم بالبينات ، يقول : إذ جئتهم بالأدلة والأعلام المعجزة على نبوّتك ، وحقية ما أرسلتك به إليهم (فَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ) يقول تعالى ذكره : فقال الذين جحدوا نبوّتك ، وكذّبوك من بنى إسرائيل (إنْ هَذَا إلاّ سِحْرٌ مُبِينٌ) .

واختلفت القرّاء فى قراءة ذلك ، فقرأته قرّاء أهل المدينة وبعض أهل البصرة : (إنْ هَذَا إلاّ سِحْرٌ مُبِينٌ) يعنى : يبين عما أتى به لمن رآه ونظر إليه، أنه سحر لاحقيقة له ، وقرأ ذلك عامّة قراء الكوفة : (إنْ هَذَا إلاّ ساحِرٌ مُبِينٌ) بمعنى : ما هذا ، يعنى به عيسى ، إلا ساحر مبين ، يقول : يبين بأفعاله ، وما يأتى به من هذه الأمور العجيبة عن نفسه ، أنه ساحر ، لانبىّ صادق .

☼ والصواب من القول فى ذلك أنهما قراءتان معروفتان صحيحتا المعنى ، متفقتان غير مختلفتين ، وذلك أن كلّ من كان موصوفا بفعل السحر ، فهو موصوف بأنه ساحر ، ومن كان موصوفا بأنه ساحر ، فانه موصوف بفعل السحر . فالفعل دالّ على فاعله ، والصفة تدلّ على موصوفها ، والموصوف يدلّ على صفته ، والفاعل يدلّ على فعله ، فبأىّ ذلك قرأ القارئ فمصيب الصواب فى قراءته .

القول في تأويل قوله تعالى :

وَإِذْ أَوْحَيْتُ إِلَى الْحَوَارِيِّينَ أَنْ ءَامِنُوا بِي وَبِرَسُولِي قَالُوا ءَامَنَّا وَاشْهَدْ بِأَنَّنَا مُسْلِمُونَ ﴿١١١﴾

☼ يقول تعالى ذكره : واذكر أيضا يا عيسى ، إذ ألقيت إلى الحواريين وهم وزراء عيسى على دينه . وقد بينا معنى ذلك ، ولم قيل لهم الحواريون فيما مضى بما أغنى عن إعادته .

وقد اختلفت ألفاظ أهل التأويل فى تأويل قوله (وَإذْ أوْحَيْتُ) وإن كانت متفقة المعانى ، فقال بعضهم بما حدثنى به محمد بن الحسين ، قال : ثنا أحمد بن مفضل،قال : ثنا أسباط ، عن السدىّ(وَإذْ أوْحَيْتُ إلى الحَوَارِيِّينَ) يقول قذفت فى قلوبهم .

وقال آخرون : معنى ذلك : ألهمتهم .

فتأويل الكلام إذن : وإذ ألقيت إلى الحواريين أن صدّقوا بى وبرسولى عيسى ، فقالوا : آمنا : أى صدّقنا بما أمرتنا أن نؤمن ياربنا ، واشهد علينا بأننا مسلمون ، يقول : واشهد علينا بأننا خاضعون لك بالذلة سامعون ، مطيعون لأمرك .

القول في تأويل قوله تعالى :

﴿ إِذْ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ هَلْ يَسْتَطِيعُ رَبُّكَ أَنْ يُنَزِّلَ عَلَيْنَا مَائِدَةً مِنَ السَّمَاءِ قَالَ اتَّقُوا اللَّهَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴾ ١١٢

يقول تعالى ذكره : واذكر يا عيسى أيضا نعمتى عليك ، إذ أوحيت إلى الحواريين ، أن آمنوا بى وبرسولى ، إذ قالوا لعيسى بن مريم (هَلْ يَسْتَطِيعُ رَبُّكَ أَنْ يُنَزِّلَ عَلَيْنَا مائِدَةً مِنَ السَّماءِ) فإذ الثانية من صلة أوحيت .

واختلفت القرّاء فى قراءة قوله (يَسْتَطِيعُ رَبُّكَ) فقرأ ذلك جماعة من الصحابة والتابعين (هَلْ تَسْتَطِيعُ) بالتاء (رَبَّكَ) بالنصب ، بمعنى : هل تستطيع أن تسأل ربك ، وهل تستطيع أن تدعو ربك أو هل تستطيع وترى أن تدعوه ؟ وقالوا : لم يكن الحواريون شاكّين أن الله تعالى ذكره قادر أن ينزل عليهم ذلك ، وإنما قالوا لعيسى : هل تستطيع أنت ذلك ؟ .

حدثنا ابن وكيع قال : ثنا محمد بن بشر ، عن نافع ، عن ابن عمر ، عن ابن أبى مليكة ، قال : قالت عائشة : كان الحواريون لايشكّون أن الله قادر أن ينزل عليهم مائدة ، ولكن قالوا : يا عيسى ، هل تستطيع ربَّك .

حدثنى أحمد بن يوسف التعلبى ، قال : ثنا القاسم بن سلام ، قال : ثنا ابن مهدى ، عن جابر بن يزيد بن رفاعة ، عن حيان بن مخارق ، عن سعيد بن جبير أنه قرأها كذلك (هَلْ تَسْتَطِيعُ رَبَّكَ) وقال : تستطيع أن تسأل ربك ؟ وقال : ألا ترى أنهم مؤمنون . وقرأ ذلك عامة قراء المدينة والعراق (هَلْ يَسْتَطِيعُ) بالياء (رَبُّكَ) بمعنى : أن ينزّل علينا ربُّك ، كما يقول الرجل لصاحبه : أتستطيع أن تنهض معنا فى كذا ، وهو يعلم أنه يستطيع ، ولكنه إنما يريد : انهض معنا فيه ، وقد يجوز أن يكون مراد قارئه كذلك : هل يستجيب لك ربك ويطيعك أن تنزّل علينا .

وأولى القراءتين عندى بالصواب قراءة من قرأ ذلك (هَلْ يَسْتَطِيعُ) بالياء (رَبُّكَ) برفع الربّ ، بمعنى : هل يستجيب لك إن سألته ذلك ، ويطيعك فيه ؟

وإنما قلنا ذلك أولى القراءتين بالصواب لما بينا قبل من أن قوله (إِذْ قالَ الْحَوارِيُّونَ) من صلة إذ أوحيت ، وأن معنى الكلام : وإذ أوحيت إلى الحواريين أن آمنوا بى وبرسولى (إِذْ قالَ الْحَوارِيُّونَ يا عِيسَى بْنَ مَرْيَمَ هَلْ يَسْتَطِيعُ رَبُّكَ) فبين إذ كان ذلك كذلك ، أن الله تعالى ذكره قد كره منهم ما قالوا من ذلك واستعظمه ، وأمرهم بالتوبة ، ومراجعة الإيمان من قيلهم ذلك ، والإقرار لله بالقدرة على كلّ شىء ، وتصديق رسوله فيما أخبرهم عن ربهم من الأخبار ، وقد قال عيسى لهم عند قيلهم ذلك له ، استعظاما منه لما قالوا (اتَّقُوا اللَّهَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ) فى استتابة الله إياهم ، ودعائه لهم إلى

الإيمان به ، وبرسوله صلى الله عليه وسلم عند قيلهم ما قالوا من ذلك ، واستعظام نبيّ الله صلى الله عليه وسلم كلمتهم ، الدلالة الكافية من غيرها على صحة القراءة فى ذلك بالياء ، ورفع الربّ ، إذ كان لامعنى فى قولهم لعيسى لو كانوا قالوا له : هل تستطيع أن تسأل ربك أن ينزّل علينا مائدة من السماء ، أن تستكبر هذا الاستكبار .

☆ فإن ظنّ ظانّ أن قولهم ذلك له إنما هو استعظام منهم ، لأن ذلك منهم كان مسألة آية ، فإن الآية إنما يسألها الأنبياء من كان بها مكذّبا ، ليتقرّر عنده حقيقة ثبوتها ، وصحة أمرها ، كما كانت مسألة قريش نبينا محمدا صلى الله عليه وسلم أن يحوّل لهم الصفا ذهبا ، ويفجّر فجاج مكة أنهارا من سأله من مشركى قومه ، وكما كانت مسألة صالح الناقة من مكذّبى قومه ، ومسألة شعيب أن يسقط كسْفا من السماء من كفار من أرسل إليهم ، وكان الذين سألوا عيسى أن يسأل ربه أن ينزّل عليهم مائدة من السماء على هذا الوجه ، كانت مسألتهم ، فقد أحلهم الذين قرءوا ذلك بالتاء ونصب الربّ ، محلا أعظم من المحلّ الذى ظنوا أنهم نزّهوا ربهم عنه ، أو يكونوا سألوا ذلك عيسى ، وهم موقنون بأنه لله نبيّ مبعوث ورسول مرسل ، وأن الله تعالى على ما سألوا من ذلك قادر ، فإن كانوا سألوا ذلك وهم كذلك ، وإنما كانت مسألتهم إياه ذلك على نحو ما يسأل أحدهم نبيه ، إذ كان فقيرا أن يسأل له ربه أن يغنيه ، وإن عرضت به حاجة أن يسأل له ربه أن يقضيها ، فأنّى ذلك من مسألة الآية فى شىء ؟ بل ذلك سؤال ذى حاجة عرضت له إلى ربه ، فسأل نبيه مسئلة ربه أن يقضيها له ، وخبر الله تعالى عن القوم ينبئ بخلاف ذلك ، وذلك أنهم قالوا لعيسى ، إذ قال لهم (اتَّقُوا اللهَ إنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ . قَالُوا نُرِيدُ أَنْ نَأْكُلَ مِنْهَا وَتَطْمَئِنَّ قُلُوبُنَا ، وَنَعْلَمَ أَنْ قَدْ صَدَقْتَنَا) فقد أنبأ هذا عن قيلهم أنهم لم يكونوا يعلمون أن عيسى قد صدقهم ، ولا اطمأنت قلوبهم إلى حقيقة نبوّته ، فلا بيان أبين من هذا الكلام فى أن القوم كانوا قد خالط قلوبهم مرض ، وشكّ فى دينهم وتصديق رسولهم ، وأنهم سألوا ما سألوا من ذلك اختبارا .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك ، قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ليث ، عن عقيل ، عن ابن عباس ، أنه كان يحدّث عن عيسى صلى الله عليه وسلم أنه قال لبنى إسرائيل : هل لكم أن تصوموا لله ثلاثين يوما ، ثم تسألوه ، فيعطيكم ما سألتم ؟ فإن أجر العامل على من عمل له ، ففعلوا ؛ ثم قالوا : يا معلم الخير ، قلت لنا : إن أجر العامل على من عمل له ، وأمرتنا أن نصوم ثلاثين يوما ففعلنا ، ولم نكن نعمل لأحد ثلاثين يوما إلا أطعمنا حين نفرغ طعاما (فَهَلْ يَسْتَطِيعُ رَبُّكَ أَنْ يُنَزِّلَ عَلَيْنَا مَائِدَةً مِنَ السَّمَاءِ قال) عيسى (اتَّقُوا اللهَ إنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ . قَالُوا نُرِيدُ أَنْ نَأْكُلَ مِنْهَا ، وَتَطْمَئِنَّ قُلُوبُنَا ، وَنَعْلَمَ أَنْ قَدْ صَدَقْتَنَا ، وَنَكُونَ عَلَيْهَا مِنَ الشَّاهِدِينَ) . . . إلى قوله (لا أُعَذِّبُهُ أَحَدًا مِنَ

العالمين) قال : فأقبلت الملائكة تطير بمائدة من السماء عليها سبعة أحوات ، وسبعة أرغفة ، حتى وضعتها بين أيديهم ، فأكل منها آخر الناس ، كما أكل منها أولهم .

حدثنى محمد بن الحسين ، قال : ثنا أحمد بن مفضل ، قال : ثنا أسباط ، عن السدى (هَلْ يَسْتَطِيعُ رَبُّكَ أَنْ يُنَزِّلَ عَلَيْنَا مائدةً مِنَ السَّماءِ) قالوا : هل يطيعك ربك إن سألته ؟ فأنزل الله عليهم مائدة من السماء فيها جميع الطعام إلا اللحم فأكلوا منها ؛ وأما المائدة فإنها الفاعلة ، من ماد فلان القوم يميدهم ميدا : إذا أطعمهم ومارهم ؛ ومنه قول رؤبة :

نُهْدِى رُءُوسَ المُتْرَفِينَ الأنْدادْ إلى أمِيرِ المُؤْمِنِينَ المُمْتادْ[1]

يعنى بقوله : الممتاد : المستعطَى ، فالمائدة المطعِمة الخوان[2] سميت بذلك ، لأنها تطعم الآكل مما عليها والمائد المدارُ به فى البحر ، يقال : ماد يميد ميدا .

وأما قوله (قالَ اتَّقُوا اللهَ إنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ) فإنه يعنى : قال عيسى للحواريين ، القائلين له : (هَلْ يَسْتَطِيعُ رَبُّكَ أنْ يُنَزِّلَ عَلَيْنا مائدةً مِنَ السَّماءِ) راقبوا الله أيها القوم ، وخافوا أن ينزل بكم من الله عقوبة على قولكم هذا ، فإن الله لايعجزه شىء أراده ، وفى شككم فى قدرة الله على إنزال مائدة من السماء كفر به ، فاتقوا الله أن ينزل بكم نقمته إن كنتم مؤمنين ، يقول : إن كنتم مصدقىّ على ما أتوعدكم به من عقوبة الله إياكم على قولكم (هَلْ يَسْتَطِيعُ رَبُّكَ أنْ يُنَزِّلَ عَلَيْنا مائدةً مِنَ السَّماءِ) .

القول فى تأويل قوله تعالى :

قَالُوا نُرِيدُ أَن نَّأْكُلَ مِنْهَا وَتَطْمَئِنَّ قُلُوبُنَا وَنَعْلَمَ أَن قَدْ صَدَقْتَنَا وَنَكُونَ عَلَيْهَا مِنَ الشَّاهِدِينَ ﴿١١٣﴾

❊ يعنى تعالى ذكره بذلك : قال الحواريون مجيبى عيسى على قوله لهم (اتَّقُوا اللهَ إنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ) فى قولكم (هَلْ يَسْتَطِيعُ رَبُّكَ أنْ يُنَزِّلَ عَلَيْنا مائدةً مِنَ السَّماءِ) أنا إنما قلنا ذلك ، وسألناك أن تسأل لنا ربنا لنأكل من المائدة ، فنعلم يقينا قدرته على كلّ شىء ، وتطمئنّ قلوبنا ، يقول : وتستكن قلوبنا وتستقرّ على وحدانيته وقدرته على كلّ ما شاء وأراد ، ونعلم أن قد صدقتنا ، ونعلم أنك لم تكذّبنا فى خبرك أنك لله رسول مرسل ، ونبىّ مبعوث (ونَكُونَ عَلَيْها) يقول : ونكون على المائدة (مِنَ الشَّاهِدِينَ) يقول : ممن يشهد أن الله أنزلها حجة لنفسه علينا فى توحيده وقدرته على ماشاء ، ولك على صدقك فى نبوّتك.

---

(١) هذان بيتان من مشطور الرجز لرؤبة (ديوانه طبع ليبسج سنة ١٩٠٣) وترتيبهما فى الأرجوزة ١٠٢ ، ١٠٤ . وقافية الأول الصداد ، فى مكان : الأنداد . والأرجوزة فى مديح تميم ، وسعد ، وخندف ، ونفسه . والأنداد : جمع ند ، وهو الشبه والنظير . أما الصداد : فجمع صاد ، أى معرض عن الشىء . والممتاد : المطلوب منه العطاء . كما فى اللسان (ميد) وأورد البيتين ، بترتيبهما عند المؤلف . ثم قال : أى المتفضل على الناس ، وهو المستعطى المسئول .

(٢) فى الأصل سميت الخوان بذلك .

القول في تأويل قوله تعالى:

﴿قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ اللَّهُمَّ رَبَّنَا أَنْزِلْ عَلَيْنَا مَائِدَةً مِنَ السَّمَاءِ تَكُونُ لَنَا عِيدًا لِأَوَّلِنَا وَآخِرِنَا وَآيَةً مِنْكَ وَارْزُقْنَا وَأَنْتَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ ﴿١١٤﴾﴾

☼ وهذا خبر من الله تعالى ذكره عن نبيه عيسى صلى الله عليه وسلم أنه أجاب القوم إلى ماسألوه من مسألة ربه مائدة تنزل عليهم من السماء .

ثم اختلف أهل التأويل فى تأويل قوله (تَكُونُ لَنَا عِيدًا لِأَوَّلِنَا وَآخِرِنَا) فقال بعضهم : معناه : نتخذ اليوم الذى نزلت فيه عيدا نعظمه نحن ومن بعدنا .

ذكر من قال ذلك

حدثنى محمد بن الحسين ، قال : ثنا أحمد بن المفضل ، قال : ثنا أسباط ، عن السدىّ ، قوله (تَكُونُ لَنَا عِيدًا لِأَوَّلِنَا وَآخِرِنَا) يقول : نتخذ اليوم الذى نزلت فيه عيدا نعظمه نحن ومن بعدنا .

حدثنا بشر بن معاذ ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (تَكُونُ لَنَا عِيدًا لِأَوَّلِنَا وَآخِرِنَا) قال : أرادوا أن تكون لعقبهم من بعدهم .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، قوله (أَنْزِلْ عَلَيْنَا مَائِدَةً مِنَ السَّمَاءِ تَكُونُ لَنَا عِيدًا لِأَوَّلِنَا) قال : الذين هم أحياء منهم يومئذ (وَآخِرِنَا) مَن بعدهم منهم .

حدثنى الحرث ، قال : ثنا عبد العزيز ، قال : قال سفيان (تَكُونُ لَنَا عِيدًا) قالوا : نصلى فيه ، نزلت مرّتين .

وقال آخرون : معناه : نأكل منها جميعا .

ذكر من قال ذلك

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ليث ، عن عقيل ، عن ابن عباس ، أنه قال : أكل منها ، يعنى من المائدة حين وضعت بين أيديهم آخر الناس كما أكل منها أوّلهم .

وقال آخرون : معنى قوله (عِيدًا) عائدة من الله تعالى علينا حجة وبرهانا .

☼ وأولى الأقوال بالصواب قول من قال : معناه : تكون لنا عيدا ، نعبد ربنا فى اليوم الذى تنزل فيه ، ونصلى له فيه ، كما يعيِّد الناس فى أعيادهم ، لأن المعروف من كلام الناس المستعمل بينهم فى العيد ماذكرنا دون القول الذى قاله من قال معناه : عائدة من الله علينا ؛ وتوجيه معانى كلام الله إلى المعروف من كلام من خوطب به ، أولى من توجيهه إلى المجهول منه ما وجد إليه السبيل .

وأما قوله (لِأَوَّلِنَا وَآخِرِنَا) فإن الأولى من تأويله بالصواب ، قول من قال : تأويله للأحياء منا اليوم ومن يجىء بعدنا منا للعلة التى ذكرناها فى قوله (تَكُونُ لَنَا عِيدًا) لأن ذلك هو الأغلب من معناه .

وأما قوله (وَآيَةً مِنْكَ) فإن معناه : وعلامة وحجة منك يا ربّ على عبادك فى وحدانيتك ، وفى

صدقى على أنى رسول إليهم بما أرسلتنى به (وَارْزُقْنا وأنْتَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ) : وأعطنا من عطائك، فإنك يا ربّ خير من يعطى ، وأجود من تفضّل ، لأنه لايدخل عطاءه منّ ولا نكد .

وقد اختلف أهل التأويل فى المائدة ، هل أنزلت عليهم أم لا ؟ وما كانت ؟ فقال بعضهم : نزلت وكانت حوتا وطعاما ، فأكل القوم منها ، ولكنها رفعت بعد ما نزلت بأحداث منهم أحدثوها فيما بينهم وبين الله تعالى .

ذكر من قال ذلك

حدثنا محمد بن المثنى ، قال : ثنا محمد بن جعفر ، قال : ثنا شعبة ، عن أبى إسحاق ، عن أبى عبد الرحمن السلمى ، قال : نزلت المائدة خبزا وسمكا .

حدثنى الحسين بن علىّ الصدائى ، قال : ثنا أبى ، عن الفضيل ، عن عطية ، قال : المائدة سمكة فيها طعم كلّ طعام .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا عبيد الله ، عن فضيل ، عن مسروق ، عن عطية ، قال : المائدة : سمك فيه من طعم كلّ طعام .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا يحيى بن آدم ، عن إسرائيل ، عن أبى إسحاق ، عن أبى عبد الرحمن ، قال : نزلت المائدة خبزا وسمكا .

حدثنى محمد بن سعد ، قال : ثنى أبى ، قال : ثنى عمى ، قال : ثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قال : نزلت على عيسى بن مريم والحواريين خوان عليه خبز وسمك يأكلون منه أينما نزلوا ، إذا شاءوا .

حدثنا الحسن بن يحيى ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا المنذر بن النعمان ، أنه سمع وهب ابن منبه يقول فى قوله (أنْزِلْ عَلَيْنا مائِدَةً مِنَ السَّماءِ تَكُونُ لَنا عِيدًا) قال : نزل عليهم قرصة من شعير وأحوات . قال الحسن : قال أبو بكر : فحدّثت به عبد الصمد بن معقل ، فقال : سمعت وهبا وقيل له : وما كان ذلك يغنى عنهم ؟ فقال لاشىء ؟، ولكن الله حثا بين أضعافهنّ البركة ، فكان قوم يأكلون ثم يخرجون ، ويجىء آخرون ، فيأكلون ثم يخرجون ، حتى أكلوا جميعهم وأفضلوا .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا عبيد الله ، عن إسرائيل ، عن أبى يحيى ، عن مجاهد ، قال : هو الطعام ينزل عليهم حيث نزلوا .

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، فى قول الله تعالى (مائِدَةً مِنَ السَّماءِ) قال : مائدة عليها طعام أبَوْها حين عرض عليهم العذاب إن كفروا فأبوا أن تنزل عليهم .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن أبى معشر ، عن إسحاق بن عبد الله ، أن المائدة نزلت على عيسى بن مريم ، عليها سبعة أرغفة ، وسبعة أحوات ، يأكلون منها ما شاءوا . قال : فسرق بعضهم منها ، وقال : لعلها لاتنزل غدا ، فرفعت .

حدثنا المثنى ، قال : ثنا عبد الأعلى ، قال : ثنا داود ، عن سماك بن حرب ، عن رجل من بنى عجل قال : صليت إلى جنب عمار بن ياسر ، فلما فرغ ، قال : هل تدرى كيف كان شأن مائدة بني إسرائيل ؟ قال : فقلت لا ، قال : إنهم سألوا عيسى بن مريم مائدة يكون عليها طعام يأكلون منه لاينفد ، قال : فقيل لهم : فإنها مقيمة لكم مالم تخبئوا ، أو تخونوا ، أو ترفعوا ، فإن فعلتم ، فإنى أعذّبكم عذابا لاأعذّبه أحدا من العالمين ، قال : فما تمّ يومهم حتى خبئوا ورفعوا وخانوا ، فعذّبوا عذابا لم يعذّبه أحدا من العالمين ، وإنكم معشر العرب كنتم تتبعون أذناب الإبل والشاء ، فبعث الله فيكم رسولا من أنفسكم ، تعرفون حسبه ونسبه ، وأخبركم على لسان نبيكم أنكم ستظهرون على العرب ، ونهاكم أن تكنزوا الذهب والفضة ، وايم الله لايذهب الليل والنهار ، حتى تكنزوهما ، ويعذّبكم عذابا أليما .

حدثنا الحسن بن قزعة البصرىّ ، قال : ثنا سفيان بن حبيب ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، عن جلاس بن عمرو ، عن عمار بن ياسر ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « نَزَلَتِ المَائِدَةُ خُبْزًا وَلَحْمًا ، وأُمِرُوا أنْ لاَيَخُونُوا ، وَلَا يَدَّخِرُوا ، وَلَا يَرْفَعُوا لِغَدٍ ، فَخَانُوا وَادَّخَرُوا وَرَفَعُوا ، فَمُسِخُوا قِرَدَةً وَخَنَازِيرَ » .

حدثنى محمد بن عبد الله بن بزيع ، قال : ثنا يوسف بن خالد ، قال : ثنا نافع بن مالك ، عن عكرمة عن ابن عباس فى المائدة ، قال : كانت طعاما ينزل عليهم من السماء حيثما نزلوا .

وقال آخرون : كانت المائدة تنزل وعليها ثمر من ثمار الجنة .

ذكر من قال ذلك

حدثنا محمد بن بشار ، قال : ثنا ابن أبى عدىّ ، عن سعيد ، عن قتادة ، عن جلاس بن عمرو ، عن عمار ، قال : نزلت المائدة ، وعليها ثمر من ثمر الجنة ، فأمروا أن لايخبئوا ، ولا يخونوا ، ولا يدّخروا ، قال : فخان القوم ، وخبئوا ، وادخروا ، فحوّلهم الله قردة وخنازير .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قال : ذكر لنا أنها كانت مائدة ينزل عليها الثمر من ثمار الجنة ، وأمروا أن لايخبئوا ، ولا يخونوا ، ولا يدّخروا لغد ، بلاء أبلاهم الله ، وكانوا إذا فعلوا شيئا من ذلك أنبأهم به عيسى ، فخان القوم فيه فخبئوا ، وادّخروا لغد .

وقال آخرون : كان عليها من كلّ طعام إلا اللحم .

ذكر من قال ذلك

حدثنا أبوكريب ، قال : ثنا جرير ، عن عطاء ، عن ميسرة ، قال : كانت إذا وضعت المائدة لبنى إسرائيل ، اختلفت عليها الأيدى بكلّ طعام .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا يحيى بن آدم ، عن شريك ، عن عطاء ، عن ميسرة وزاذان ، قالا : كانت الأيدى تختلف عليها بكل طعام .

حدثنى الحرث ، قال : ثنا عبد العزيز ، قال : ثنا سفيان الثورىّ ، عن عطاء بن السائب ، عن زاذان

وميسرة فى (هَلْ يَسْتَطِيعُ رَبُّكَ أَنْ يُنَزِّلَ عَلَيْنا مائِدَةً مِنَ السَّماءِ) قالا : رأوا الأيدى تختلف عليها بكلّ شىء إلا اللحم .

وقال آخرون : لم ينزل الله على بنى إسرائيل مائدة . ثم اختلف قائلو هذه المقالة ؛ فقال بعضهم : إنما هذا مثل ضربه الله تعالى لخلقه ، نهاهم به عن مسألة نبىّ الله الآيات .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا يحيى بن آدم ، عن شريك ، عن ليث ، عن مجاهد ، فى قوله (أَنْزِلْ عَلَيْنا مائِدَةً مِنَ السَّماءِ) قال : مثل ضرب ، لم ينزل عليهم شىء .

وقال آخرون : إن القوم لما قيل لهم (فَمَنْ يَكْفُرْ بَعْدُ مِنْكُمْ فَإِنِّى أُعَذِّبُهُ عَذَابًا لا أُعَذِّبُهُ أَحَدًا مِنَ العالَمِينَ) استعفَوا منها فلم تنزل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر بن معاذ ، قال : ثنا يزيد بن زريع ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قال : كان الحسن يقول لما قيل لهم (فَمَنْ يَكْفُرْ بَعْدُ مِنْكُمْ) . . . إلى آخر الآية ، قالوا : لاحاجة لنا فيها ، فلم تنزل .

حدثنا ابن المثنى ، قال : ثنا محمد بن جعفر ، قال : ثنا شعبة ، عن منصور بن زاذان ، عن الحسن أنه قال فى المائدة : لم تنزل .

حدثنى الحرث ، قال : ثنا القاسم بن سلام ، قال : ثنا حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، قال : مائدة عليها طعام أبوها حين عرض عليهم العذاب إن كفروا ، فأبَوْا أن تنزل عليهم .

☼ والصواب من القول عندنا فى ذلك أن يقال : إن الله تعالى أنزل المائدة على الذين سألوا عيسى مسألته ذلك ربه . وإنما قلنا ذلك للخبر الذى روينا بذلك عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه وأهل التأويل من بعدهم ، غير من انفرد بما ذكرنا عنه ؛ وبعد ، فإن الله تعالى لايخلف وعده ، ولا يقع فى خبره الخلف وقد قال تعالى مخبرا فى كتابه ، عن إجابة نبيه عيسى صلى الله عليه وسلم حين سأله ما سأله من ذلك (إِنِّى مُنَزِّلُها عَلَيْكُمْ) ، وغير جائز أن يقول تعالى ذكره ، إنى منزلها عليكم ، ثم لاينزلها ، لأن ذلك منه تعالى خبر ، ولا يكون منه خلاف ما يخبر ، ولو جاز أن يقول : إنى منزلها عليكم ، ثم لاينزلها عليهم ، جاز أن يقول (فَمَنْ يَكْفُرْ بَعْدُ مِنْكُمْ فَإِنِّى أُعَذِّبُهُ عَذَابًا لا أُعَذِّبُهُ أَحَدًا مِنَ العالَمِينَ) ثم يكفر منهم بعد ذلك ، فلا يعذّبه ، فلا يكون لوعده ولا لوعيده حقيقة ولا صحة ، وغير جائز أن يوصف ربنا تعالى بذلك .

☼ وأما الصواب من القول فيما كان على المائدة ، فأن يقال : كان عليها مأكول ، وجائز أن يكون كان سمكا وخبزا ، وجائز أن يكون كان ثمرا من ثمر الجنة ، وغير نافع العلم به ، ولا ضارّ الجهل به إذا أقرّ تالى الآية بظاهر ما احتمله التنزيل .

القول في تأويل قوله تعالى :

قَالَ اللَّهُ إِنِّي مُنَزِّلُهَا عَلَيْكُمْ فَمَن يَكْفُرْ بَعْدُ مِنكُمْ فَإِنِّي أُعَذِّبُهُ عَذَابًا لَّا أُعَذِّبُهُ أَحَدًا مِّنَ الْعَالَمِينَ ﴿١١٥﴾

⁂ وهذا جواب من الله تعالى القوم فيما سألوا نبيهم عيسى مسألة ربهم من إنزاله مائدة عليهم ، فقال تعالى ذكره : إنى منزلها عليكم أيها الحواريون فمطعكموها (فَمَنْ يَكْفُرْ بَعْدُ مِنْكُمْ) يقول : فمن يجحد بعد إنزالها عليكم ، وإطعامكموها منكم رسالتى إليه ، وينكر نبوّة نبيى عيسى صلى الله عليه وسلم ، ويخالف طاعتى فيما أمرته ونهيته ، فإنى أعذّبه عذابا لاأعذّبه أحدا من عالمى زمانه ، ففعل القوم ، فجحدوا وكفروا بعد ما أنزلت عليهم فيما ذكر لنا ، فعذّبوا فيما بلغنا ، بأن مسخوا قردة وخنازير .

كالذى حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (إنّى مُنَزِّلُهَا عَلَيْكُمْ) ... الآية ، ذكر لنا أنهم حوّلوا خنازير .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا عبد الوهاب ومحمد بن أبى عدىّ ، ومحمد بن جعفر ، عن عوف ، عن أبى المغيرة القوّاس ، عن عبدالله بن عمرو ، قال : إن أشدّ الناس عذابا ثلاثة : المنافقون ، ومن كفر من أصحاب المائدة ، وآل فرعون .

حدثنا الحسن بن عرفة ، قال : ثنا المعتمر بن سليمان ، عن عوف ، قال : سمعت أبا المغيرة القوّاس يقول : قال عبد الله بن عمرو : إن أشدّ الناس عذابا يوم القيامة من كفر من أصحاب المائدة ، والمنافقون ، وآل فرعون .

حدثنا محمد بن الحسين ، قال : ثنا أحمد بن مفضل ، قال : ثنا أسباط ، عن السدىّ ، قوله (فَمَنْ يَكْفُرْ بَعْدُ مِنْكُمْ) بعد ما جاءته المائدة (فإنّى أُعَذِّبُهُ عَذَابًا لاأُعَذِّبُهُ أَحَدًا مِنَ العالَمينَ) يقول : أعذّبه بعذاب لاأعذّبه أحدا من العالمين غير أهل المائدة .

القول في تأويل قوله تعالى :

وَإِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ أَأَنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَٰهَيْنِ مِن دُونِ اللَّهِ ۖ قَالَ سُبْحَانَكَ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقٍّ ۚ إِن كُنتُ قُلْتُهُ فَقَدْ عَلِمْتَهُ ۚ تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلَا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ ۚ إِنَّكَ أَنتَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ ﴿١١٦﴾

⁂ يقول تعالى ذكره : يوم يجمع الله الرسل ، فيقول ماذا أجبتم ، إذ قال الله يا عيسى بن مريم أأنت قلت للناس اتخذونى وأمى إلهين من دون الله ؟ وقيل : إن الله قال هذا القول لعيسى حين رفعه إليه فى الدنيا .

ذكر من قال ذلك

حدثنا محمد بن الحسين ، قال : ثنا أحمد بن مفضل ، قال : ثنا أسباط ، عن السدىّ (وَإِذْ قالَ اللهُ يا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ أَأَنْتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَهَيْنِ مِنْ دُونِ اللهِ) قال : لما رفع الله عيسى ابن مريم إليه ، قالت النصارى ما قالت ، وزعموا أن عيسى أمرهم بذلك ، فسأله عن قوله ، ف(قالَ سُبْحانَكَ ما يَكُونُ لِي أَنْ أَقُولَ ما لَيْسَ لِي بِحَقٍّ ، إِنْ كُنْتُ قُلْتُهُ فَقَدْ عَلِمْتَهُ ، تَعْلَمُ ما فِي نَفْسِي وَلا أَعْلَمُ ما فِي نَفْسِكَ ، إِنَّكَ أَنْتَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ) . . . إلى قوله (وَأَنْتَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ) .

وقال آخرون : بل هذا خبر من الله تعالى ذكره عن أنه يقول لعيسى ذلك فى القيامة .

ذكر من قال ذلك

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج (وَإِذْ قالَ اللهُ يا عِيسَى بْنَ مَرْيَمَ أَأَنْتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَهَيْنِ مِنْ دُونِ اللهِ) قال : والناس يسمعون ، فراجعه بما قد رأيت ، وأقرّ له بالعبودية على نفسه ، فعلم من كان يقول فى عيسى ما يقول ، أنه إنما كان يقول باطلا .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا جرير ، عن عطاء ، عن ميسرة ، قال : (قالَ اللهُ يا عِيسَى بْنَ مَرْيَمَ أَأَنْتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَهَيْنِ مِنْ دُونِ اللهِ) فأرعدت مفاصله ، وخشى أن يكون قد قال ، ف(قالَ سُبْحانَكَ ما يَكُونُ لِي أَنْ أَقُولَ ما لَيْسَ لِي بِحَقٍّ إِنْ كُنْتُ قُلْتُهُ فَقَدْ عَلِمْتَهُ) ...الآية .

حدثنا الحسن بن يحيى ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا معمر ، عن قتادة ، فى قوله (يا عِيسَى بْنَ مَرْيَمَ أَأَنْتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَهَيْنِ مِنْ دُونِ اللهِ) متى يكون ذلك ؟ قال : يوم القيامة ، ألا ترى أنه يقول : (هَذَا يَوْمُ يَنْفَعُ الصَّادِقِينَ صِدْقُهُمْ) فعلى هذا التأويل الذى تأوّله ابن جريج يجب أن يكون « وإِذْ » بمعنى « وإذا » ، كما قال فى موضع آخر : (وَلَوْ تَرَى إِذْ فَزِعُوا) ، بمعنى : يفزعون . وكما قال أبو النجم :

ثُمَّ جَزَاهُ اللهُ عَنَّا إِذْ جَزَى ... جَنَّاتِ عَدْنٍ فِي العَلالِيِّ العُلا[1]

والمعنى : إذا جزى ، وكما قال الأسود :

فالآنَ إِذْ هازَلْتُهُنَّ فإِنَّمَا ... يَقُلْنَ أَلا لَمْ يَذْهَبِ الشَّيْخُ مَذْهَبا[2]

بمعنى : إذا هازلتهنّ . وكأنّ من قال فى ذلك بقول ابن جريج هذا ، وجّه تأويل الآية إلى : (فَمَنْ يَكْفُرْ

(١) أبو النجم من كبار الرجاز فى عصر بنى أمية ، وهو الفضل بن قدامة ، من عجل ، وكان ينزل بسواد الكوفة . والعلالى : جمع علية (بكسر العين وبضمها قليلا) على فعيلة : الغرف . يريد غرف الجنات العالية . والعلا : جمع العليا ، وهو كالتوكيد للذى قبله . والظاهر : أن (إذ) فى الرجز دالة على زمان مستقبل . قال ابن هشام فى المغنى : (١ : ٧٥) والوجه الثانى (من دلالة إذ) أن تكون اسما للزمان المستقبل ، نحو : « يومئذ تحدث أخبارها » . والجمهور لا يثبتون هذا القسم ، ويجعلون الآية من باب « ونفخ فى الصور » أعنى من تنزيل المستقبل الواجب الوقوع منزلة ما قد وقع . وقد يحتج لغيرهم بقوله تعالى : « فسوف يعلمون . إذ الأغلال فى أعناقهم » ، فان يعلمون مستقبل لفظا ومعنى لدخول حرف التنفيس عليه ، وقد عمل فى (إذ) ، فيلزم أن يكون بمنزلة (إذا) . قلت : وهذا ما أراده المؤلف هنا .

(٢) البيت للأسود بن يعفر . وهو شاهد على أن (إذ) فيه بمعنى (إذا) دالة على المستقبل لا على الماضى ، لأن قوله (هازلتهن) فى معنى (أهازلهن) . يقول : إن حلائله قد يئسن منه ، لكبره ، فإذا جاء يهازلهن ، ساء به ظنهن ، وصددن عنه .

بعدُ منكُمْ ، فإنِّى أُعَذِّبُهُ عذاباً لا أُعَذِّبُهُ أحَداً مِنَ العالمينَ) فى الدنيا ؛ وأعذّبه أيضا فى الآخرة ،(إذْ قالَ اللهُ ياعيسَى ابْنَ مَرْيَمَ ، أأنتَ قُلْتَ للنّاسِ اتَّخِذُونِى وأُمِّىَ إلهينِ مِنْ دونِ اللهِ) .

❊ وأولى القولين عندنا بالصواب فى ذلك ، قول من قال بقول السدّىّ : وهو أن الله تعالى قال ذلك لعيسى حين رفعه إليه ، وأن الخبر خبر عما مضى لعلتين : إحداهما : أن « إذ » إنما تصاحب فى الأغلب من كلام العرب المستعمل بينها الماضى من الفعل ، وإن كانت قد تدخلها أحيانا فى موضع الخبر عما يحدث إذا عرف السامعون معناها ، وذلك غير فاش ، ولا فصيح فى كلامهم ، فتوجيه معانى كلام الله تعالى إلى الأشهر الأعرف ما وجد إليه السبيل أولى من توجيهها إلى الأجهل الأنكر . والأخرى : أن عيسى لم يشكّ هو ولا أحد من الأنبياء ، أن الله لايغفر لمشرك مات على شركه ، فيجوز أن يتوهم على عيسى أن يقول فى الآخرة مجيبا لربه تعالى ، إن تعذّب من اتخذنى وأمى إلهين من دونك ، فإنهم عبادك ، وإن تغفر لهم ، فإنك أنت العزيز الحكيم .

❊ فإن قال قائل : وما كان وجه سؤال الله عيسى : أأنت قلت للناس اتخذونى وأمى إلهين من دون الله ؟ وهو العالم بأن عيسى لم يقل ذلك ؟ قيل : يحتمل ذلك وجهين من التأويل : أحدهما : تحذير عيسى عن قيل ذلك ونهيه ، كما يقول القائل لآخر : أفعلت كذا وكذا ؟ مما يعلم المقول له ذلك أن القائل يستعظم فعل ما قال له ، أفعلته على وجه النهى عن فعله والتهديد له فيه . والآخر : إعلامه أن قومه الذين فارقهم قد خالفوا عهده ، وبدّلوا دينهم بعده ، فيكون بذلك جامعا إعلامه حالهم بعده ، وتحذيره له قبله .

وأما تأويل الكلام : فإنه : أأنت قلت للناس : اتخذونى وأمى إلهين : أى معبودين تعبدونهما من دون الله ؟ قال عيسى : تنزيها لك يا ربّ وتعظيما ، أن أفعل ذلك ، أو أتكلم به ، ما يكون لى أن أقول ما ليس لى بحقّ ، يقول : ليس لى أن أقول ذلك لأنى عبد مخلوق وأمى أمة لك ، فهل يكون للعبد والأمة ادّعاء ربوبية ،(إنْ كُنْتُ قُلْتُهُ فَقَدْ عَلِمْتَهُ) ، يقول : إنك لايخفى عليك شىء ، وأنت عالم أنى لم أقل ذلك ، ولم آمرهم به .

القول فى تأويل قوله تعالى : ﴿ تَعْلَمُ ما فِى نَفْسِى وَلا أعْلَمُ ما فِى نَفْسِكَ ، إنَّكَ أنْتَ عَلّامُ الغُيُوبِ ﴾ :

يقول تعالى ذكره ، مخبرا عن نبيه عيسى صلى الله عليه وسلم أنه يبرأ إليه مما قالت فيه وفى أمه الكفرة من النصارى أن يكون دعاهم إليه أو أمرهم به ، فقال (سُبْحانَكَ ما يَكُونُ لى أنْ أقُولَ ما لَيْسَ لى بِحَقّ إنْ كُنْتُ قُلْتُهُ فَقَدْ عَلِمْتَهُ) ثم قال (تَعْلَمُ ما فِى نَفْسِى) يقول : إنك يا ربّ لايخفى عليك ما أضمرته نفسى مما لم أنطق به ، ولم أظهره بجوارحى ، فكيف بما قد نطقت به وأظهرته بجوارحى ، يقول : لو كنت قد قلت للناس اتخذونى وأمى إلهين من دون الله ، كنت قد علمته ، لأنك تعلم ضمائر النفوس مما لم تنطق به ، فكيف بما قد نطقت به (وَلا أعْلَمُ ما فِى نَفْسِكَ) يقول : ولا أعلم أنا ما أخفيته

عنى فلم تطلعنى عليه ، لأنى إنما أعلم من الأشياء ما أعلمتنيه (إِنَّكَ أَنْتَ عَلَّامُ الغُيُوبِ) يقول : إنك أنت العالم بخفيات الأمور التى لايطلع عليها سواك ، ولا يعلمها غيرك .

القول فى تأويل قوله تعالى :

مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلَّا مَا أَمَرْتَنِي بِهِ أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ وَكُنْتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَا دُمْتُ فِيهِمْ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي كُنْتَ أَنْتَ الرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ وَأَنْتَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ﴿١١٧﴾

❊ وهذا خبر من الله تعالى ذكره ، عن قول عيسى ، يقول : ماقلت لهم إلا الذى أمرتنى به من القول أن أقوله لهم ، وهو أن قلت لهم اعبدوا الله ربى وربكم ، وكنت عليهم شهيدا ، يقول : وكنت على ما يفعلونه ، وأنا بين أظهرهم شاهدا عليهم وعلى أفعالهم وأقوالهم ؛ فلما توفَّيتنى ، يقول : فلما قبضتنى إليك (كُنْتَ أَنْتَ الرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ) يقول : كنت أنت الحفيظ عليهم دونى ، لأنى إنما شهدت من أعمالهم ما عملوه ، وأنا بين أظهرهم .

وفى هذا تبيان أن الله تعالى إنما عرّفه أفعال القوم ومقالتهم بعد ما قبضه إليه وتوفاه بقوله (أَأَنْتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَهَيْنِ مِنْ دُونِ اللهِ ... وَأَنْتَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ) يقول : وأنت تشهد على كل شىء ، لأنه لايخفى عليك شىء ، وأما أنا فإنما شهدت بعض الأشياء ، وذلك ما عاينت وأنا مقيم بين أَظْهُرِ القوم ، فإنما أنا أشهد على ذلك الذى عاينت ورأيت وشهدت .

وبنحو الذى قلنا فى قوله (كُنْتَ أَنْتَ الرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ) قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنى محمد بن الحسين ، قال : ثنا أحمد بن مفضل ، قال : ثنا أسباط ، عن السدىّ (كُنْتَ أَنْتَ الرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ) أما الرقيب : فهو الحفيظ .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج (كُنْتَ أَنْتَ الرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ) قال : الحفيظ ، وكانت جماعة من أهل العلم تقول : كان جواب عيسى الذى أجاب به ربه من الله تعالى توفيقا منه له فيه .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا ابن يمان ، عن سفيان ، عن معمر ، عن ابن طاوس ، عن أبيه (أَأَنْتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَهَيْنِ مِنْ دُونِ اللهِ ؟ قالَ سُبْحَانَكَ ما يَكُونُ لى أَنْ أَقُولَ ما لَيْسَ لى بِحَقٍّ) قال : الله وفقه .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبوداود الحفرى ، قال : قرئَ على سفيان ، عن معمر ، عن ابن طاوس ،

عن أبيه طاوس ، قال : احتجّ عيسى ، والله وفقه ﴿ أأنتَ قُلْتَ للنَّاسِ اتَّخِذُونِي وأُمِّيَ إلهَيْنِ مِنْ دُونِ اللهِ ﴾ . . . الآية .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا جرير ، عن عطاء ، عن ميسرة ، قال : قال الله تعالى ﴿ يا عيسى أأنتَ قُلْتَ للنَّاسِ اتَّخِذُونِي وأُمِّيَ إلهَيْنِ مِنْ دُونِ اللهِ ﴾ ؟ قال : فأرعدت مفاصله ، وخشي أن يكون قد قالها ، ف﴿قال سُبْحانَكَ ما يَكُونُ لي أنْ أقُولَ ما لَيْسَ لي بِحَقٍّ ، إنْ كُنْتُ قُلْتُهُ فَقَدْ عَلِمْتَهُ ، تَعْلَمُ ما في نَفْسِي ، وَلا أعْلَمُ ما في نَفْسِكَ ، إنَّكَ أنْتَ عَلاَّمُ الغُيُوبِ ﴾ .

القول في تأويل قوله تعالى :

﴿ إِن تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ وَإِن تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿١١٨﴾ ﴾

يقول تعالى ذكره : إن تعذّب هؤلاء الذين قالوا هذه المقالة بإماتتك إياهم عليها ، فإنهم عبادك ، مستسلمون لك ، لايمتنعون مما أردت بهم ، ولا يدفعون عن أنفسهم ضرّا ولا أمرا تنالهم به ، وإن تغفر لهم بهدايتك إياهم إلى التوبة منها ، فتستر عليهم ، فإنك أنت العزيز فى انتقامه ممن أراد الانتقام منه ، لايقدر أحد يدفعه عنه ، الحكيم فى هدايته من هدى من خلقه إلى التوبة ، وتوفيقه من وفق منهم لسبيل النجاة من العقاب .

كالذى حدثنا محمد بن الحسين ، قال : ثنا أحمد بن مفضل ، قال : ثنا أسباط ، عن السدىّ فى قوله ﴿ إنْ تُعَذِّبْهُمْ فإنَّهُمْ عِبادُكَ ، وَإنْ تَغْفِرْ لَهُمْ ﴾ فتخرجهم من النصرانية ، وتهديهم إلى الإسلام ﴿ فإنَّكَ أنْتَ العَزِيزُ الحَكِيمُ ﴾ وهذا قول عيسى فى الدنيا .

حدثنا الحسن بن يحيى ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا معمر ، عن قتادة ، فى قوله ﴿ إنْ تُعَذِّبْهُمْ فإنَّهُمْ عِبادُكَ ، وَإنْ تَغْفِرْ لَهُمْ فإنَّكَ أنْتَ العَزِيزُ الحَكِيمُ ﴾ قال : والله ما كانوا طعانين ولا لعانين .

القول في تأويل قوله تعالى :

﴿ قَالَ اللَّهُ هَٰذَا يَوْمُ يَنفَعُ الصَّادِقِينَ صِدْقُهُمْ ۚ لَهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ۚ رَّضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ۚ ذَٰلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿١١٩﴾ ﴾

اختلفت القرّاء فى قراءة قوله ﴿ هَذَا يَوْمٌ يَنْفَعُ الصَّادِقِينَ ﴾ فقرأ ذلك بعض أهل الحجاز والمدينة ﴿ هَذَا يَوْمَ يَنْفَعُ الصَّادِقِينَ ﴾ بنصب يوم . وقرأ بعض أهل الحجاز ، وبعض أهل المدينة ، وعامّة قرّاء أهل العراق ﴿ هَذَا يَوْمُ يَنْفَعُ الصَّادِقِينَ ﴾ برفع يوم ، فمن رفعه ، رفعه بهذا ، وجعل يوم اسما ، وإن كانت إضافته غير محضة ، لأنه صار كالمنعوت . وكان بعض أهل العربية يزعم أن العرب يعملون فى إعراب الأوقات مثل اليوم والليلة عملهم فيما بعدها ، إن كان مابعدها رفعا رفعوها ، كقولهم : هذا يوم يركب

الأمير ، وليلة يصدر الحاج ، ويوم أخوك منطلق ، وإن كان مابعدها نصبا نصبوها ، وكذلك كقولهم : هذا يوم خرج الجيش وسار الناس ، وليلة قتل زيد ونحو ذلك ، وإن كان معناها فى الحالين : إذ ، وإذا ، وكأنّ من قرأ هذا هكذا رفعا وجه الكلام إلى أنه من قيل الله يوم القيامة ، وكذلك كان السدىّ يقول فى ذلك .

حدثنى محمد بن الحسين ، قال : ثنا أحمد بن مفضل ، قال : ثنا أسباط ، عن السدىّ (قالَ اللهُ هَذَا يَوْمُ يَنْفَعُ الصَّادِقِينَ صِدْقُهُمْ) هذا فصل من كلام عيسى ، وهذا يوم القيامة ، يعنى السدى بقوله : هذا فصل من كلام عيسى : أن قوله (سُبْحانَكَ ما يَكُونُ لى أنْ أقُولَ ما لَيْسَ لى بِحَقّ) . . . إلى قوله (فإنَّكَ أنْتَ العَزِيزُ الحَكِيمُ) من خبر الله عزّ وجلّ عن عيسى أنه قاله فى الدنيا بعد أن رفعه إليه ، وأن ما بعد ذلك من كلام الله لعباده يوم القيامة . وأما النصب فى ذلك ، فإنه يتوجه من وجهين : أحدهما : أن إضافة يوم ما لم تكن إلى اسم تجعله نصبا ، لأن الإضافة غير محضة ، وإنما تكون الإضافة محضة ، إذا أضيف إلى اسم صحيح ، ونظير اليوم فى ذلك الحين والزمان وما أشبههما من الأزمنة ، كما قال النابغة :

على حِينَ عاتَبْتُ المَشِيبَ على الصِّبا وقلْتُ أَلَمَّا أصْحُ والشَّيْبُ وَازِعُ ١

والوجه الآخر : أن يكون مرادا بالكلام هذا الأمر وهذا الشأن (يَوْمَ يَنْفَعُ الصَّادِقِينَ) فيكون اليوم حينئذ منصوبا على الوقت والصفة ، بمعنى هذا الأمر فى (يَوْمَ يَنْفَعُ الصَّادِقِينَ صِدْقُهُمْ) .

❁ وأولى القراءتين فى ذلك عندى بالصواب (هَذَا يَوْمَ يَنْفَعُ الصَّادِقِينَ) بنصب اليوم على أنه منصوب على الوقت والصفة ، لأن معنى الكلام : أن الله تعالى أجاب عيسى حين قال (سُبْحانَكَ ما يَكُونُ لى أنْ أقُولَ ما لَيْسَ لى بِحَقٍّ ، إنْ كُنْتُ قُلْتُهُ فَقَدْ عَلِمْتَهُ) . . . إلى قوله (فإنَّكَ أنْتَ العَزِيزُ الحَكِيمُ) فقال له عزّ وجلّ هذا القول النافع ، أو هذا الصدق النافع (يَوْمَ يَنْفَعُ الصَّادِقِينَ صِدْقُهُمْ) فاليوم وقت القول والصدق النافع .

❁ فإن قال قائل : فما موضع هذا ؟ قيل رفع ؛ فإن قال : فأين رافعه ؟ قيل مضمر ، وكأنه قال : قال الله عزّ وجلّ (هَذَا يَوْمُ يَنْفَعُ الصَّادِقِينَ صِدْقُهُمْ) ، كما قال الشاعر :

أما تَرَى السَّحابَ كَيْفَ يَجْرِى هَذَا وَلا خَيْلُكَ يا ابْنَ بِشْرِ ٢

يريد : هذا هذا ولا خيلك .

فتأويل الكلام إذا كان الأمر على ما وصفنا لما بينا ، قال الله لعيسى هذا القول النافع فى (يَوْمَ يَنْفَعُ

(١) البيت للنابغة الذبيانى من قصيدته التى مطلعها « عفا ذو حسا من فرتنى فالفوارع » (مختار الشعر الجاهلى ، طبعة الحلبى ص ١٥٦) يقول فى بيت قبله : إنه كفكف دموعه التى سالت على نحره ، لتذكره أيام وصاله . ويقول هنا : حينما ذكرت شيبى عاتبته على الصبوة والحنين إلى أيام الشباب ، وقلت لنفسى ألومها : كفى ما كان منك من لهو فى الشباب ، وكفاك الشيب وازعا وزاجرا عن اللهو والعبث ، وقد آن لى أن أصحو من غفلتى ، وأتنبه لما يستقبلنى من الموت الذى أصبح قريبا منى .

(٢) لم أقف على قائل هذا الرجز . ومعناه أن السحاب يجرى أسرع من خيل ابن بشر .

الصَّادِقِينَ) فى الدنيا (صِدْقُهُمْ) ذلك فى الآخرة عند الله (لَهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرِى مِنْ تَحْتِها الأنهارُ) يقول : للصادقين فى الدنيا جنات تجرى من تحتها الأنهار فى الآخرة ثوابا لهم من الله عزّ وجلّ ، على ما كان من صدقهم الذى صدقوا الله فيما وعدوه ، فوفوا به لله ، فوفى الله عزّ وجلّ لهم ماوعدهم من ثوابه (خالِدِينَ فِيها أبَدًا) يقول : باقين فى الجنات التى أعطاهموها أبدا دائما لهم فيها نعيم لا ينتقل عنهم ، ولا يزول . وقد بينا فيما مضى أن معنى الخلود : الدوام والبقاء .

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ، ذَلِكَ الفَوْزُ العَظِيمُ﴾ :

يقول تعالى ذكره : رضى الله عن هؤلاء الصادقين الذين صدقوا فى الوفاء له بما وعدوه ، من العمل بطاعته ، واجتناب معاصيه ، ورضوا عنه ، يقول : ورضوا هم عن الله تعالى فى وفائه لهم بما وعدهم على طاعتهم إياه ، فيما أمرهم ونهاهم من جزيل ثوابه (ذلكَ الفَوْزُ العَظِيمُ) يقول : هذا الذى أعطاهم الله من الجنات التى تجرى من تحتها الأنهار ، خالدين فيها ، مرضيا عنهم ، وراضين عن ربهم ، هو الظفر العظيم بالطَّلِبة وإدراك الحاجة التى كانوا يطلبونها فى الدنيا ، ولها كانوا يعملون فيها ، فنالوا ماطلبوا ، وأدركوا ما أملوا .

القول في تأويل قوله تعالى :

﴿لِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا فِيهِنَّ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ۝١٢٠﴾

❊ يقول تعالى ذكره : أيها النصارى (لِلهِ مُلْكُ السَّمَوَاتِ والأرْضِ) يقول : له سلطان السموات والأرض (وَما فِيهِنَّ) دون عيسى الذين تزعمون أنه إلهكم ودون أمه ، ودون جميع من فى السموات ومن فى الأرض ؛ فإن السموات والأرض خلق من خلقه وما فيهنّ ، وعيسى وأمه من بعض ذلك بالحلول والانتقال ، يدلان بكونهما فى المكان الذى هما فيه بالحلول فيه والانتقال ، أنهما عبدان مملوكان ، لمن له ملك السموات والأرض وما فيهنّ ، ينبههم وجميع خلقه على موضع حجته عليهم ليدبروه ويعتبروه ، فيعقلوا عنه (وَهُوَ على كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ) يقول تعالى ذكره : والله الذى له ملك السموات والأرض وما فيهنّ ، قادر على إفنائهن ، وعلى إهلاكهن وإهلاك عيسى وأمه ومن فى الأرض جميعا ، كما ابتدأ خلقهم ، لايعجزه ذلك ، ولا شىء أراده ، لأن قدرته القدرة التى لايشبهها قدرة ، وسلطانه السلطان الذى لايشبهه سلطان ولا مملكة .

(٦) سُورَةُ الأنعامِ مَكيَّة
وآياتها خمس وستون ومائة

بسم الله الرحمن الرحيم

القول في تأويل قوله تعالى :

﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَجَعَلَ ٱلظُّلُمَٰتِ وَٱلنُّورَ ثُمَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ ﴿١﴾ ﴾

❁ يعنى تعالى ذكره بقوله (الحَمْدُ لِلهِ) : الحمد الكامل لله وحده لاشريك له ، دون جميع الأنداد والآلهة ، ودون ما سواه ، مما تعبده كفرة خلقه من الأوثان والأصنام ، وهذا كلام مخرجه مخرج الخبر ، ينحى به نحو الأمر ، يقول : أخلصوا الحمد والشكر للذى خلقكم أيها الناس ، وخلق السموات والأرض ، ولا تشركوا معه فى ذلك أحدا شيئا ، فإنه المستوجب عليكم الحمد بأياديه عندكم ، ونعمه عليكم ، لامن تعبدونه من دونه ، وتجعلونه له شريكا من خلقه . وقد بينا الفصل بين معنى الحمد والشكر بشواهده فيما مضى قبل .

القول فى تأويل قوله تعالى : ﴿وَجَعَلَ الظُّلُمَاتِ والنُّورَ﴾ :

يقول تعالى ذكره : الحمد لله الذى خلق السموات والأرض ، وأظلم الليل وأنار النهار .

كما حدثنى محمد بن الحسين ، قال : ثنا أحمد بن مفضل ، قال : ثنا أسباط ، عن السدىّ (وَجَعَلَ الظُّلُماتِ والنُّورَ﴾ قال : الظلمات : ظلمة الليل ، والنور : نور النهار .

حدثنا بشر بن معاذ ، قال : ثنا يزيد بن زريع ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، أما قوله (الحَمْدُ لِلهِ الَّذِى خَلَقَ السَّمَوَاتِ والأرْضَ ، وَجَعَلَ الظُّلُماتِ والنُّورَ) فإنه خلق السموات قبل الأرض ، والظلمة قبل النور ، والجنة قبل النار .

❁ فإن قال قائل : فما معنى قوله إذن (جَعَلَ) ؟ قيل : إن العرب تجعلها ظرفا للخبر والفعل ، فتقول : جعلت أفعل كذا ، وجعلت أقوم وأقعد ، تدلّ بقولها جعلت على اتصال الفعل ، كما تقول : علقت أفعل كذا ، لأنها فى نفسها فعل ، يدلّ على ذلك قول القائل : جعلت أقوم ، وإنه لاجعل هناك سوى القيام ، وإنما دلّ بقوله جعلت على اتصال الفعل ودوامه ، ومن ذلك قول الشاعر :

وَزَعَمْتَ أنَّكَ سوْفَ تسْلُكُ قادرًا والمَوْتُ مُتَّسِعٌ طَرِيقَىْ قادِرِ
فاجْعَلْ تحَلَّلُ مِنْ يَمِينِكَ إنَّمَا حِنْثُ اليَمِينِ على اللَّئِيمِ الفاجِرِ[1]

(١) لم أقف على قائل البيتين . يخاطب الشاعر رجلا حلف أنه سيسلك طريقا مخوفا ، ينتشر فيه الخوف والموت ويطالبه بأن يتحلل من يمينه تلك ، لأنه لابد أن يهلك قبل تحقق ماحلف عليه ، والحنث فى اليمين من أخلاق الفجار لا الأتقياء .

يقول : فاجعل تحلّل بمعنى : تحلل شيئا بعد شيء ، لأن هناك جعلا من غير التحليل ، فكذلك كلّ جعل فى الكلام إنما هو دليل على فعل له اتصال ، لأن له حظا فى معنى الفعل ؛ فقوله (وَجَعَلَ الظُّلُماتِ والنُّورَ) إنما هو أظلم ليلهما وأنار نهارهما .

القول فى تأويل قوله تعالى: ﴿ ثُمَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ ﴾ :

يقول تعالى ذكره معجبا خلقه المؤمنين من كفرة عباده ، ومحتجا على الكافرين : إن الإله الذى يجب عليكم أيها الناس حمده ، هو الذى خلق السموات والأرض ، الذى جعل منهما معايشكم وأقواتكم وأقوات أنعامكم التى بها حياتكم ، فمن السموات ينزل عليكم الغيث ، وفيها تجرى الشمس والقمر باعتقاب واختلاف لمصالحكم ، ومن الأرض ينبت الحبّ الذى به غذاؤكم ، والثمار التى فيها ملاذكم ، مع غير ذلك من الأمور التى فيها مصالحكم ومنافعكم بها ، والذين يجحدون نعمة الله عليهم ، بما أنعم به عليهم من خلق ذلك لهم ولكم أيها الناس بربهم الذى فعل ذلك وأحدثه (يَعْدِلُونَ) : يجعلون له شريكا فى عبادتهم إياه ، فيعبدون معه الآلهة والأنداد والأصنام والأوثان ، وليس منها شيء شركه فى خلق شيء من ذلك ، ولا فى إنعامه عليهم بما أنعم به عليهم ، بل هو المنفرد بذلك كله ، وهم يشركون فى عبادتهم إياه غيره ، فسبحان الله ما أبلغها من حجة ، وأوجزها من عظة ، لمن فكّر فيها بعقل ، وتدبرها بفهم ، ولقد قيل إنها فاتحة التوراة .

حدثنا سفيان بن وكيع ، قال : ثنا عبد العزيز بن عبد الصمد العمى ، عن أبى عمران الجونىّ ، عن عبد الله بن رباح ، عن كعب ، قال : فاتحة التوراة فاتحة الأنعام (الحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِى خَلَقَ السَّمَوَاتِ والأَرْضَ ، وجَعَلَ الظُّلُماتِ والنُّورَ ، ثُمَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ) .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا زيد بن حباب ، عن جعفر بن سليمان ، عن أبى عمران الجونىّ ، عن عبد الله ابن رباح ، عن كعب ، مثله ، وزاد فيه : وخاتمة التوراة خاتمة هود ، يقال : من مساواة الشيء بالشيء عدلت هذا بهذا : إذا ساويته به عدلا . وأما فى الحكم إذا أنصفت فيه ، فانك تقول : عدلت فيه أعدل عدلا وبنحو الذى قلنا فى تأويل قوله (يَعْدِلُونَ) قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد (يَعْدِلُونَ) قال : يشركون .

ثم اختلف أهل التأويل فيمن عنى بذلك ، فقال بعضهم : عنى به : أهل الكتاب .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا يعقوب القمى ، عن جعفر بن أبى المغيرة ، عن ابن أبزى ، قال : جاءه رجل من الخوارج يقرأ عليه هذه الآية (الحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِى خَلَقَ السَّمَوَاتِ والأَرْضَ ، وجَعَلَ الظُّلُماتِ والنُّورَ ، ثُمَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ) قال له : أليس الذين كفروا بربهم يعدلون ؟ قال : بلى ، قال : وانصرف عنه الرجل ، فقال له رجل من القوم : يا ابن أبزى ، إن هذا قد

أراد تفسير هذه غير هذا ، إنه رجل من الخوارج ، فقال : ردّوه عليّ ؛ فلما جاءه قال : هل تدرى فيمن نزلت هذه الآية ؟ قال : لا ، قال إنها نزلت فى أهل الكتاب ، اذهب لاتضعها على غير حدّها .

وقال آخرون : بل عُنى بها المشركون من عبدة الأوثان .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر بن معاذ ، قال : ثنا يزيد بن زريع ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (ثُمَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ) قال : هؤلاء أهل صراحة .

حدثنا محمد بن الحسين ، قال : ثنا أحمد بن مفضل ، قال : ثنا أسباط ، عن السدىّ (ثُمَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ) قال : هم المشركون .

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله (ثُمَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ) قال : الآلهة التى عبدوها عدلوها بالله، قال : وليس لله عِدْل ، ولا ندّ ، وليس معه آلهة ، ولا اتخذ صاحبة ولا ولدا .

⁂ وأولى الأقوال فى ذلك بالصواب عندى أن يقال : إن الله تعالى أخبر أن الذين كفروا بربهم يعدلون ، فعمّ بذلك جميع الكفار ، ولم يخصص منهم بعضا دون بعض ، فجميعهم داخلون فى ذلك : يهودهم ، ونصاراهم ، ومجوسهم ، وعبدة الأوثان منهم ، ومن غيرهم من سائر أصناف الكفر .

القول فى تأويل قوله تعالى :

﴿ هُوَ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن طِينٍ ثُمَّ قَضَىٰ أَجَلًا وَأَجَلٌ مُّسَمًّى عِندَهُ ثُمَّ أَنتُمْ تَمْتَرُونَ ﴾

⁂ يعنى تعالى ذكره بقوله (هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ طِينٍ) أن الله الذى خلق السموات والأرض ، وأظلم ليلهما وأنار نهارهما ، فكفر به مع إنعامه عليهم الكافرون ، وعدلوا به من لاينفعهم ولا يضرّهم ، هو الذى خلقكم أيها الناس من طين ؛ وإنما يعنى بذلك تعالى ذكره ، أن الناس وَلَدُ مَن خَلَقه من طين ، فأخرج ذلك مخرج الخطاب لهم ، إذ كانوا وُلْدَه .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك ، قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر بن معاذ ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (هو الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ طِينٍ) بدء الخلق خلق الله آدم من طين .

حدثنى المثنى ، قال : ثنا أبوحذيفة ، قال : ثنا شبل ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد (هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ طِينٍ) قال : هو آدم .

حدثنى محمد بن الحسين ، قال : ثنا أحمد بن مفضل ، قال: ثنا أسباط ، عن السدىّ : أما خلقكم من طين : فآدم .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنا أبو تميلة ، عن عبيد بن سليمان ، عن الضحاك بن مزاحم ، قال : خلق آدم من طين ، وخلق الناس من سلالة من ماء مهين .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد في قوله (خَلَقَكُمْ مِنْ طِينٍ) قال : خلق آدم من طين ، ثم خلقنا من آدم ، حين أخذنا من ظهره .

القول في تأويل قوله تعالى ﴿ ثُمَّ قَضَى أَجَلاً وَأَجَلٌ مُسَمًّى عِنْدَهُ ﴾ :

اختلف أهل التأويل في تأويل ذلك ، فقال بعضهم : معنى قوله (ثُمَّ قَضَى أَجَلاً) : ثم قضى لكم أيها الناس أجلا ، وذلك مابين أن يُخلق إلى أن يموت (وَأَجَلٌ مُسَمًّى عِنْدَهُ) وذلك ما بين أن يموت إلى أن يبعث .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن وكيع ، وهناد بن السري ، قالا : ثنا وكيع ، قال : ثنا أبي ، عن أبي بكر الهذلي ، عن الحسن ، في قوله (قَضَى أَجَلاً) قال : مابين أن يخلق إلى أن يموت (وَأَجَلٌ مُسَمًّى عِنْدَهُ) قال : ما بين أن يموت إلى أن يبعث .

حدثنا بشر بن معاذ ، قال : ثنا يزيد بن زريع ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (ثُمَّ قَضَى أَجَلاً وَأَجَلٌ مُسَمًّى عِنْدَهُ) كان يقول : أجل حياتك إلى أن تموت ، وأجل موتك إلى أن تبعث ، فأنت بين أجلين من الله تعالى .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنا أبو تميلة ، عن عبيد بن سليمان ، عن الضحاك بن مزاحم (قَضَى أَجَلاً وَأَجَلٌ مُسَمًّى عِنْدَهُ) قال : قضى أجل الموت ، وكل نفس أجلها الموت ، قال : (وَلَنْ يُؤَخِّرَ اللهُ نَفْسًا إِذَا جَاءَ أَجَلُهَا) ، (وَأَجَلٌ مُسَمًّى عِنْدَهُ) يعني : أجل الساعة ذهاب الدنيا ، والإفضاء إلى الله .

وقال آخرون : بل معنى ذلك : ثم قضى الدنيا وعنده الآخرة .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا يحيى بن آدم ، عن سفيان ، عن أبي حصين ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس قوله (أَجَلاً) قال : الدنيا (وَأَجَلٌ مُسَمًّى عِنْدَهُ) الآخرة .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبو عاصم ، عن زكريا بن إسحاق ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد (قَضَى أَجَلاً) قال : الآخرة عنده (وَأَجَلٌ مُسَمًّى) الدنيا .

حدثنا محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد (أَجَلاً) قال : الآخرة عنده (وَأَجَلٌ مُسَمًّى) قال : الدنيا .

حدثنا محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد (أَجَلاً) قال : الآخرة عنده (وَأَجَلٌ مُسَمًّى) قال : الدنيا .

حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة والحسن ، (ثُمَّ قَضَى أَجَلاً وَأَجَلٌ مُسَمًّى عِنْدَهُ) قالا : قضى أجل الدنيا من حين خلقك إلى أن تموت (وَأَجَلٌ مُسَمًّى عِنْدَهُ) يوم القيامة .

حدثنا هناد ، قال : ثنا وكيع ، عن إسرائيل ، عن جابر ، عن مجاهد وعكرمة (ثُمَّ قَضَى أَجَلاً وَأَجَلٌ مُسَمًّى عِنْدَهُ) قال : قضى أجل الدنيا (وَأَجَلٌ مسَمًّى عِنْدَهُ) قال : هو أجل البعث .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبى ، عن إسرائيل ، عن جابر ، عن مجاهد وعكرمة (ثُمَّ قَضَى أَجَلاً) قال : الموت (وَأَجَلٌ مُسَمًّى عِنْدَهُ) الآخرة .

حدثنا الحسن بن يحيى ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا معمر ، عن قتادة والحسن ، فى قوله (ثُمَّ قَضَى أَجَلاً وَأَجَلٌ مُسَمًّى عِنْدَهُ) قالا : قضى أجل الدنيا منذ يوم خلقت إلى أن تموت ، وأجل مسمى عنده يوم القيامة .

حدثنا ابن وكيع وابن حميد ، قالا : ثنا جرير ، عن منصور ، عن مجاهد (قَضَى أَجَلاً) قال : أجل الدنيا (وأجلٌ مُسَمًّى عِنْدَهُ) قال : البعث .

حدثنى المثنى ، قال : ثنا عبد الله بن صالح ، قال : ثنى معاوية بن صالح ، عن علىّ بن أبى طلحة ، عن ابن عباس (ثُمَّ قَضَى أَجَلاً وَأَجَلٌ مُسَمًّى عِنْدَهُ) يعنى : أجل الموت ، والأجل المسمى : أجل الساعة ، الوقوف عند الله .

حدثنا محمد بن الحسين ، قال : ثنا أحمد بن المفضل ، قال : ثنا أسباط ، عن السدىّ قَضَى (أَجَلاً) قال : أما قضى أجلا : فأجل الموت (وَأَجَلٌ مُسَمًّى عِنْدَهُ) يوم القيامة .

وقال آخرون فى ذلك بما حدثنى به محمد بن سعد ، قال : ثنى أبى ، قال : ثنى عمى ، قال : ثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، فى قوله (ثُمَّ قَضَى أَجَلاً وَأَجَلٌ مُسَمًّى عِنْدَهُ) قال : أما قوله (قَضَى أَجَلاً) فهو النوم تقبض فيه الروح ، ثم ترجع إلى صاحبها حين اليقظة (وَأَجَلٌ مُسَمًّى عِنْدَهُ) : هو أجل موت الإنسان .

وقال آخرون بما حدثنى به يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، فى قوله (هُوَ الَّذِى خَلَقَكُمْ مِنْ طِينٍ ، ثُمَّ قَضَى أَجَلاً وَأَجَلٌ مُسَمًّى عِنْدَهُ ، ثُمَّ أَنْتُمْ تَمْتَرُونَ) قال : خلق آدم من طين ، ثم خلقنا من آدم ، أخذنا من ظهره ، ثم أخذ الأجل والميثاق فى أجل واحد مسمى فى هذه الحياة الدنيا .

☼ وأولى الأقوال فى ذلك عندى بالصواب ، قول من قال : معناه : ثم قضى أجل الحياة الدنيا ، وأجل مسمى عنده ، وهو أجل البعث عنده .

وإنما قلنا ذلك أولى بالصواب ، لأنه تعالى نبه خلقه على موضع حجته عليهم من أنفسهم ، فقال لهم : أيها الناس ، إن الذى يعدل به كفاركم الآلهة ، والأنداد هو الذى خلقكم فابتدأكم وأنشأكم من طين ، فجعلكم صورا أجساما أحياء ، بعد إذ كنتم طينا جمادا ، ثم قضى آجال حياتكم لفنائكم ومماتكم ، ليعيدكم ترابا وطينا

كالذى كنتم قبل أن ينشأكم ويخلقكم (وَأَجَلٌ مُسَمًّى عِنْدَهُ) لإعادتكم أحياء وأجساما ، كالذى كنتم قبل مماتكم . وذلك نظير قوله (كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِاللهِ وَكُنْتُمْ أَمْوَاتاً فَأَحْيَاكُمْ ، ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ، ثُمَّ يُحْيِيكُمْ ، ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ) .

القول فى تأويل قوله تعالى : ﴿ ثُمَّ أَنْتُمْ تَمْتَرُونَ ﴾ :

يقول تعالى ذكره : ثم أنتم تشكون فى قدرة من قدر على خلق السموات والأرض ، وإظلام الليل وإنارة النهار ، وخلقكم من طين حتى صيركم بالهيئة التى أنتم بها ، وعلى إنشائه إياكم من بعد مماتكم وفنائكم ، وإيجاده إياكم بعد عدمكم ، والمرية فى كلام العرب هى الشكّ ، وقد بينت ذلك بشواهده فى غير هذا الموضع فيما مضى قبل بما أغنى عن إعادته .

وقد حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد (ثُمَّ أَنْتُمْ تَمْتَرُونَ) قال : الشكّ ، قال : وقرأ قول الله (فِى مِرْيَةٍ مِنْهُ) قال : فى شكّ منه .

حدثنى محمد بن الحسين ، قال : ثنا أحمد بن المفضل ، قال : ثنا أسباط ، عن السدىّ (ثُمَّ أَنْتُمْ تَمْتَرُونَ) بمثله .

القول فى تأويل قوله تعالى :

﴿ وَهُوَ اللَّهُ فِى السَّمَٰوَٰتِ وَفِى الْأَرْضِ يَعْلَمُ سِرَّكُمْ وَجَهْرَكُمْ وَيَعْلَمُ مَا تَكْسِبُونَ ﴾

يقول تعالى ذكره : إن الذى له الألوهة ، التى لاتنبغى لغيره المستحقّ عليكم إخلاص الحمد له بآلائه عندكم أيها الناس الذى يعدل به كفاركم من سواه ، هو الله الذى هو فى السموات وفى الأرض ، يعلم سرّكم وجهركم ، فلا يخفى عليه شىء ، يقول : فربكم الذى يستحقّ عليكم الحمد ، ويجب عليكم إخلاص العبادة له ، هو هذا الذى صفته ، لامن لايقدر لكم على ضرّ ولا نفع ، ولا يعمل شيئا ، ولا يدفع عن نفسه سوءا أريد بها .

وأما قوله (وَيَعْلَمُ مَا تَكْسِبُونَ) يقول : ويعلم ماتعملون وتجرحون ، فيحصى ذلك عليكم ليجازيكم به عند معادكم إليه .

القول فى تأويل قوله تعالى

﴿ وَمَا تَأْتِيهِمْ مِنْ ءَايَةٍ مِنْ ءَايَٰتِ رَبِّهِمْ إِلَّا كَانُوا عَنْهَا مُعْرِضِينَ ﴾

يقول تعالى ذكره : وما تأتى هؤلاء الكفار الذين بربهم يعدلون أوثانهم وآلهتهم (آيَةٍ مِنْ آيَاتِ رَبِّهِمْ) يقول : حجة وعلامة ، ودلالة من حجج ربهم ، ودلالاته وأعلامه على وحدانيته ، وحقيقة نبوّتك يا محمد ، وصدق ما أتيتهم به من عندى (إِلَّا كَانُوا عَنْهَا مُعْرِضِينَ) يقول : إلا أعرضوا عنها ،

يعنى عن الآية ، فصدّوا عن قبولها ، والإقرار بما شهدت على حقيقته ، ودلت على صحته جهلا منهم بالله ، واغترارا بحلمه عنهم .

القول فى تأويل قوله تعالى :

﴿ فَقَدْ كَذَّبُوا بِالْحَقِّ لَمَّا جَاءَهُمْ فَسَوْفَ يَأْتِيهِمْ أَنْبَاءُ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِءُونَ ﴾

❊ يقول تعالى ذكره : فقد كذب هؤلاء العادلون بالله الحقّ لما جاءهم ، وذلك الحقّ هو محمد صلى الله عليه وسلم ، كذّبوا به ، وجحدوا نبوّته لما جاءهم ، قال الله لهم متوعدا على تكذيبهم إياه ، وجحودهم نبوّته : سوف يأتى المكذّبين بك يا محمد من قومك وغيرهم (أَنْباءُ ما كانُوا بِهِ يَسْتَهْزِءُونَ) يقول : سوف يأتيهم أخبار استهزائهم ، بما كانوا به يستهزءون من آياتى وأدلتى التى آتيتهم ، ثم وفى لهم بوعيده لما تمادوا فى غيهم ، وعتَوْا على ربهم ، فقتلهم يوم بدر بالسيف .

القول فى تأويل قوله تعالى :

﴿ أَلَمْ يَرَوْا كَمْ أَهْلَكْنَا مِن قَبْلِهِم مِّن قَرْنٍ مَّكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ مَا لَمْ نُمَكِّن لَّكُمْ وَأَرْسَلْنَا السَّمَاءَ عَلَيْهِم مِّدْرَارًا وَجَعَلْنَا الْأَنْهَارَ تَجْرِي مِن تَحْتِهِمْ فَأَهْلَكْنَاهُم بِذُنُوبِهِمْ وَأَنشَأْنَا مِن بَعْدِهِمْ قَرْنًا آخَرِينَ ﴾

❊ يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم : ألم ير هؤلاء المكذّبون بآياتى ، الجاحدون نبوّتك ، كثرة من أهلكت من قبلهم من القرون ، وهم الأمم الذين وطأت لهم البلاد والأرض وطاءة لم أوطئها لهم ، وأعطيتهم فيها ما لم أعطهم .

كما حدثنا الحسن بن يحيى ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا معمر ، عن قتادة ، فى قوله (مَكَّنَّاهُمْ فِي الأَرْضِ ما لَمْ نُمَكِّنْ لَكُمْ) يقول : أعطيناهم ما لم نعطكم .

❊ قال أبو جعفر : أمطرت فأخرجت لهم الأشجار ثمارها ، وأعطتهم الأرض رَيْع نباتها ، وجابوا صخور جبالها ، ودرّت عليهم السماء بأمطارها ، وتفجرت من تحتهم عيون المياه بينابيعها بإذنى ، فغمطوا نعمة ربهم ، وعصوا رسول خالقهم ، وخالفوا أمر بارئهم ، وبغوا حتى حُقّ عليهم قولى ، فأخذتهم بما اجترحوا من ذنوبهم ، وعاقبتهم بما اكتسبت أيديهم ، وأهلكت بعضهم بالرجفة ، وبعضهم بالصيحة ، وغير ذلك من أنواع العذاب .

ومعنى قوله (وأَرْسَلْنا السَّماءَ عَلَيْهِمْ مِدْراراً) المطر ، ويعنى بقوله : مدرارا : غزيرة دائمة ، (وأَنْشأْنا مِنْ بَعْدِهِمْ قَرْنا آخَرِينَ) يقول وأحدثنا من بعدهم الذين أهلكناهم قرنا آخرين فابتدأنا سواهم .

❊ فان قال قائل : فما وجه قوله (مَكَّنّاهُمْ فِي الأَرْضِ ما لَمْ نُمَكِّنْ لَكُمْ) ومن المخاطب بذلك ،

فقد ابتدأ الخبر فى أوّل الآية عن قوم غيب بقوله (أَلَمْ يَرَوْا كَمْ أَهْلَكْنا مِنْ قَبْلِهِمْ مِنْ قَرْنٍ) ؟ قيل : إن المخاطب بقوله (ما لَمْ نُمَكِّنْ لَكُمْ) هو المخبر عنهم بقوله (أَلَمْ يَرَوْا كَمْ أَهْلَكْنا مِنْ قَبْلِهِمْ مِنْ قَرْنٍ) ولكن فى الخبر معنى القول ، ومعناه : قل يا محمد لهؤلاء القوم الذين كذّبوا بالحقّ لما جاءهم (أَلَمْ يَرَوْا كَمْ أَهْلَكْنا مِنْ قَبْلِهِمْ مِنْ قَرْنٍ مَكَّنَّاهُمْ فى الأَرْضِ ما لَمْ نُمَكِّنْ لَكُمْ) والعرب إذا أخبرت خبرا عن غائب ، وأدخلت فيه قولا فعلت ذلك، فوجهت الخبر أحيانا إلى الخبر عن الغائب ، وأحيانا إلى الخطاب ، فتقول : قلت لعبد الله: ما أكرمه ، وقلت لعبدالله ماأكرمك ، وتخبر عنه أحيانا على وجه الخبر عن الغائب ، ثم تعود إلى الخطاب ، وتخبر على وجه الخطاب له، ثم تعود إلى الخبر عن الغائب ، وذلك فى كلامها وأشعارها كثير فاش؛ وقد ذكرنا بعض ذلك فيا مضى بما أغنى عن إعادته فى هذا الموضع . وقد كان بعض نحويى البصرة يقول فى ذلك كأنه أخبر النبىّ صلى الله عليه وسلم ثم خاطبه معهم وقال (حَتَّى إِذَا كُنْتُمْ فِى الفُلْكِ وَجَرَيْنَ بِهِمْ بِرِيحٍ طَيِّبَةٍ) فجاء بلفظ الغائب وهو يخاطب، لأنه المخاطب .

القول فى تأويل قوله تعالى :

﴿ وَلَوْ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ كِتَابًا فِي قِرْطَاسٍ فَلَمَسُوهُ بِأَيْدِيهِمْ لَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ هَٰذَا إِلَّا سِحْرٌ مُبِينٌ ﴾

وهذا إخبار من الله تعالى ذكره نبيه محمدا صلى الله عليه وسلم عن هؤلاء القوم الذين يعدلون بربهم الأوثان والآلهة والأصنام، يقول تعالى ذكره : وكيف يتفقّهون الآيات ، أم كيف يستدلون على بطلان ما هم عليه مقيمون من الكفر بالله ، وجحود نبوّتك بحجج الله وآياته وأدلته، وهم لعنادهم الحقّ ، وبعدهم من الرشد، لو أنزلت عليك يا محمد الوحى الذى أنزلته عليك مع رسولى فى قرطاس يعاينونه ويمسّونه بأيديهم ، وينظرون إليه ويقرءونه منه معلقاً بين السماء والأرض بحقيقة ما تدعوهم إليه ، وصحة ما تأتيهم به من توحيدى وتنزيلى ، لقال الذين يعدلون بى غيرى ، فيشركون فى توحيدى سواى (إِنْ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ مُبِينٌ) : أى ما هذا الذى جئتنا به إلا سحر سحرت به أعيننا ، ليست له حقيقة ولا صحة ؛ مبين ، يقول : مبين لمن تدبره وتأمله أنه سحر لاحقيقة له .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك ، قال جماعة من أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبوعاصم ، قال : ثنا عيسى ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد فى قول الله تعالى (كِتابا فى قِرْطاسٍ فَلَمَسُوهُ بِأَيْدِيهِمْ) قال : فمسوه ونظروا إليه لم يصدّقوا به .

حدثنا بشر بن معاذ ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (وَلَوْ نَزَّلْنا عَلَيْكَ

كتابا فى قرطاس فلمسوه بأيديهم) يقول : فعاينوه معاينة لقال الذين كفروا (إن هذا إلا سحر مبين) .

حدثنى محمد بن سعد ، قال : ثنى أبى ، قال : ثنى عمى ، قال : ثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله (ولو نزلنا عليك كتابا فى قرطاس فلمسوه بأيديهم) يقول : لو نزلنا من السماء صحفا فيها كتاب ، فلمسوه بأيديهم ، لزادهم ذلك تكذيبا .

حدثنى محمد بن الحسين ، قال : ثنا أحمد بن المفضل ، قال : ثنا أسباط ، عن السدى (ولو نزلنا عليك كتابا فى قرطاس) : الصحف .

حدثنا الحسن بن يحيى ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا معمر ، عن قتادة ، فى قوله (فى قرطاس) يقول : فى صحيفة (فلمسوه بأيديهم) لقال الذين كفروا (إن هذا إلا سحر مبين) .

القول فى تأويل قوله تعالى :

﴿ وَقَالُوا لَوْلَا أُنزِلَ عَلَيْهِ مَلَكٌ وَلَوْ أَنزَلْنَا مَلَكًا لَّقُضِيَ الْأَمْرُ ثُمَّ لَا يُنظَرُونَ ﴾ ٨

يقول تعالى ذكره : قال هؤلاء المكذبون بآياتى ، العادلون بى ، الأنداد والآلهة : يا محمد لك لو دعوتهم إلى توحيدى ، والإقرار بربوبيتى ، وإذا أتيتهم من الآيات والعبر بما أتيتهم به ، واحتججت عليهم بما احتججت عليهم مما قطعت به عذرهم ، هلا نزل عليك ملك من السماء فى صورته يصدقك على ما جئتنا به ، ويشهد لك بحقيقة ما تدعى من أن الله أرسلك إلينا ، كما قال تعالى مخبرا عن المشركين فى قيلهم لنبى الله صلى الله عليه وسلم (وقالوا ما لهذا الرسول يأكل الطعام ويمشى فى الأسواق ، لولا أنزل إليه ملك فيكون معه نذيرا - ولو أنزلنا ملكا لقضى الأمر ثم لا ينظرون) يقول : ولو أنزلنا ملكا على ما سألوا ، ثم كفروا ، ولم يؤمنوا بى وبرسولى لجاءهم العذاب عاجلا غير آجل ، ولم ينظروا فيؤخروا بالعقوبة مراجعة التوبة ، كما فعلت بمن قبلهم من الأمم التى سألت الآيات ، ثم كفرت بعد مجيئها من تعجيل النقمة ، وترك الإنظار .

كما حدثنى محمد بن الحسين ، قال : ثنا أحمد بن مفضل ، قال : ثنا أسباط ، عن السدى (ولو أنزلنا ملكا لقضى الأمر ثم لا ينظرون) يقول : لجاءهم العذاب .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (ولو أنزلنا ملكا لقضى الأمر ثم لا ينظرون) يقول : ولو أنهم أنزلنا إليهم ملكا ثم لم يؤمنوا لم ينظروا .

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، فى قول الله تعالى (لولا أنزل عليه ملك) فى صورته (ولو أنزلنا ملكا لقضى الأمر) لقامت الساعة .

حدثنا ابن وكيع ، عن أبيه ، قال : ثنا أبو أسامة ، عن سفيان الثورى ، عن عكرمة (لقضى الأمر) قال : لقامت الساعة .

حدثنا الحسن بن يحيى ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا معمر ، عن قتادة (وَلَوْ أَنْزَلْنَا مَلَكًا لَقُضِيَ الأَمْرُ) قال : يقول : لو أنزل الله ملكا ثم لم يؤمنوا ، لعجل لهم العذاب .

وقال آخرون فى ذلك بما حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا عثمان بن سعيد ، قال : أخبرنا بشر ، عن عمار ، عن أبى روق ، عن الضحاك ، عن ابن عباس ، قوله (وَلَوْ أَنْزَلْنَا مَلَكًا لَقُضِيَ الأَمْرُ ، ثُمَّ لايُنْظَرُونَ) قال : لو أتاهم ملك فى صورته لماتوا ، ثم لم يؤخروا طرفة عين .

القول في تأويل قوله تعالى :

﴿ وَلَوْ جَعَلْنَاهُ مَلَكًا لَجَعَلْنَاهُ رَجُلًا وَلَلَبَسْنَا عَلَيْهِم مَّا يَلْبِسُونَ ﴾

يقول تعالى ذكره : ولو جعلنا رسولنا إلى هؤلاء العادلين بى ، القائلين : لولا أنزل على محمد ملك بتصديقه ملكا ينزل عليهم من السماء ، ويشهد محمد صلى الله عليه وسلم ، ويأمرهم باتباعه (لَجَعَلْنَاهُ رَجُلًا) يقول : لجعلناه فى صورة رجل من البشر ، لأنهم لايقدرون أن يروا الملك فى صورته ، يقول : وإذ كان ذلك كذلك ، فسواء أنزلت عليهم بذلك ملكا أو بشرا ، إذ كنت إذا أنزلت عليهم ملكا ، إنما أنزله بصورة إنسىّ ، وحججى فى كلتا الحالتين عليهم ثابتة ، بأنك صادق ، وأن ما جئتهم به حقّ .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك ، قال بعض أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا عثمان بن سعيد ، قال : ثنا بشر بن عمار ، عن أبى روق ، عن الضحاك ، عن ابن عباس (وَلَوْ جَعَلْنَاهُ مَلَكًا لَجَعَلْنَاهُ رَجُلًا) يقول : ما أتاهم إلا فى صورة رجل ، لأنهم لايستطيعون النظر إلى الملائكة .

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد (وَلَوْ جَعَلْنَاهُ مَلَكًا لَجَعَلْنَاهُ رَجُلًا) فى صورة رجل فى خلق رجل .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد بن زريع ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (وَلَوْ جَعَلْنَاهُ مَلَكًا لَجَعَلْنَاهُ رَجُلًا) يقول : لو بعثنا إليهم ملكا لجعلناه فى صورة آدمىّ .

حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة (وَلَوْ جَعَلْنَاهُ مَلَكًا لَجَعَلْنَاهُ رَجُلًا) يقول : فى صورة آدمىّ .

حدثنا الحسن بن يحيى ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا معمر ، عن قتادة ، مثله .

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله (وَلَوْ جَعَلْنَاهُ مَلَكًا لَجَعَلْنَاهُ رَجُلًا) قال : لجعلنا ذلك الملك فى صورة رجل ، لم نرسله فى صورة الملائكة .

القول في تأويل قوله تعالى : ﴿ وَلَلَبَسْنَا عَلَيْهِم مَّا يَلْبِسُونَ ﴾ :

يعنى تعالى ذكره بقوله (وَلَلَبَسْنَا عَلَيْهِمْ) : ولو أنزلنا ملكا من السماء مصدّقا لك يا محمد ،

شاهدا لك عند هؤلاء العادلين بى ، الجاحدين آياتك على حقيقة نبوّتك ، فجعلناه فى صورة رجل من بنى آدم إذ كانوا لايطيقون روية الملَك بصورته التى خلقته بها ، التبس عليهم أمره ، فلم يدروا ملك هو أم أنسىّ ، فلم يوقنوا به أنه ملك ، ولم يصدّقوا به ، وقالوا : ليس هذا ملكا ، وللبسنا عليهم ما يلبسونه على أنفسهم من حقيقة أمرك ، وصحة برهانك ، وشاهدك على نبوّتك ، يقال منه : لبست عليهم الأمر ألبسه لبسا : إذا خلطته عليهم ، ولبست الثوب ألبسه لبسا ، واللبوس : اسم الثياب .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك ، قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنى المثنى ، قال : ثنا عبد الله بن صالح ، قال : ثنى معاوية بن صالح ، عن علىّ بن أبى طلحة ، عن ابن عباس قوله (وَلَلَبَسْنا عَلَيْهِمْ ما يَلْبِسُونَ) يقول : لشبهنا عليهم .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (وَلَلَبَسْنا عَلَيْهِمْ ما يَلْبِسُونَ) يقول ما لبس قوم على أنفسهم إلا لبس الله عليهم ؛ واللبس : إنما هو من الناس .

حدثنا محمد بن الحسين ، قال : ثنا أحمد بن مفضل ، قال : ثنا أسباط ، عن السدىّ (وَلَلَبَسْنا عَلَيْهِمْ ما يَلْبِسُونَ) يقول : شبّهنا عليهم ما يشبهون على أنفسهم .

وقد روى عن ابن عباس فى ذلك قول آخر ، وهو ما حدثنى به محمد بن سعد ، قال : ثنى أبى ، قال : ثنى عمى ، قال : ثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله (وَلَلَبَسْنا عَلَيْهِمْ ما يَلْبِسُونَ) فهم أهل الكتاب فارقوا دينهم ، وكذّبوا رسلهم ، وهو تحريف الكلام عن مواضعه .

حُدثت عن الحسين ، قال : سمعت أبا معاذ ، قال : ثنا عبيد بن سليمان ، قال : سمعت الضحاك ، فى قوله (وَلَلَبَسْنا عَلَيْهِمْ ما يَلْبِسُونَ) يعنى التحريف : هم أهل الكتاب ، فرّقوا كتبهم ودينهم . وكذّبوا رسلهم ، فلبس الله عليهم ما لبسوا على أنفسهم ، وقد بينا فيما مضى قبل أن هذه الآيات من أوّل السورة ، بأن تكون فى أمر المشركين من عبدة الأوثان أشبه منها بأمر أهل الكتاب من اليهود والنصارى ، بما أغنى عن إعادته .

القول فى تأويل قوله تعالى :

وَلَقَدِ اسْتُهْزِئَ بِرُسُلٍ مِّن قَبْلِكَ فَحَاقَ بِالَّذِينَ سَخِرُوا مِنْهُم مَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ ﴿١٠﴾

يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم مسليا عنه بوعيده المستهزئين به عقوبة مايلقى منهم من أذى الاستهزاء به ، والاستخفاف فى ذات الله ، هوّن عليك يا محمد ما أنت لاقٍ من هؤلاء المستهزئين بك ، المستخفين بحقك فىّ وفى طاعتى ، وامض لما أمرتك به من الدعاء إلى توحيدى ، والإقرار بى ، والإذعان لطاعتى ؛ فإنهم إن تمادوا فى غيهم ، وأصرّوا على المقام على كفرهم ، نسلك بهم سبيل أسلافهم من سائر الأمم غيرهم من تعجيل النقمة لهم ، وحلول المثلات بهم ، فقد استهزأت أمم من قبلك برسل أرسلتهم إليهم ،

بمثل الذى أرسلتك به إلى قومك ، وفعلوا مثل فعل قومك بك ، فحاق بالذين سخروا منهم ما كانوا به يستهزءون : يعنى بقوله : (فحاقَ) فنزل وأحاط بالذين هزئوا برسلهم (ما كانُوا بِهِ يستهزئُونَ) يقول : العذاب الذى كانوا يهزءون به ، وينكرون أن يكون واقعا بهم على ما أنذرتهم رسلهم ، يقال منه : حاق بهم هذا الأمر يحيق بهم حيقا وحيوقا وحيقانا .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك ، قال جماعة من أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنى محمد بن الحسين ، قال : ثنا أحمد بن المفضل ، قال : ثنا أسباط ، عن السدىّ (فَحاقَ بالّذِينَ سَخِرُوا مِنْهُمْ) من الرسل (ما كانُوا بِهِ يَسْتَهْزِءُونَ) يقول : وقع بهم العذاب الذى استهزءوا به .

القول فى تأويل قوله تعالى :

قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ ثُمَّ انظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ ﴿١١﴾

❁ يقول تعالى ذكره : قل يا محمد لهؤلاء العادلين بى الأوثان والأنداد المكذّبين بك الجاحدين حقيقة ما جئتهم به من عندى (سِيرُوا فِى الأرْضِ) يقول : جولوا فى بلاد المكذّبين رسلهم ، الجاحدين آياتى منقبلهم من ضربائهم وأشكالهم من الناس (ثُمَّ انْظُرُوا كَيْفَ كانَ عاقِبَةُ المُكَذّبِينَ) يقول : ثم انظروا كيف أعقبهم تكذيبهم ذلك ، الهلاك والعطب ، وخزى الدنيا وعارها ، وما حلّ بهم من سخط الله عليهم من البوار ، وخراب الديار ، وعفوّ الآثار ، فاعتبروا به ، إن لم تنهكم حلومكم ، ولم تزجركم حجج الله عليكم ، عما أنتم مقيمون من التكذيب ، فاحذروا مثل مصارعهم ، واتقوا أن يحلّ بكم مثل الذى حلّ بهم .

وكان قتادة يقول فى ذلك بما حدثنا بشر بن معاذ ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (قُلْ سِيرُوا فِى الأرْضِ ثُمَّ انْظُرُوا كَيْفَ كانَ عاقِبَةُ المُكَذّبِينَ) دمر الله عليهم وأهلكهم ثم صيرهم إلى النار .

القول فى تأويل قوله تعالى :

قُل لِّمَن مَّا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ۖ قُل لِّلَّهِ ۚ كَتَبَ عَلَىٰ نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ ۚ لَيَجْمَعَنَّكُمْ إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ لَا رَيْبَ فِيهِ ۚ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنفُسَهُمْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٢﴾

❁ يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم : قل يا محمد لهؤلاء العادلين بربهم : لمن مافى السموات والأرض ؟ يقول : لمن ملك مافى السموات والأرض ، ثم أخبرهم أن ذلك لله الذى استعبد كلّ شىء ، وقهر كل شىء بملكه وسلطانه ، لا للأوثان والأنداد ، ولا لما يعبدونه ، ويتخذونه إلها من الأصنام التى لا تملك لأنفسها نفعا ، ولا تدفع عنها ضرّا .

وقوله (كَتَبَ على نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ) يقول : قضى أنه بعباده رحيم، لايعجل عليهم بالعقوبة ، ويقبل منهم الإنابة والتوبة ، وهذا من الله تعالى ذكره ، استعطاف للمعرضين عنه ، إلى الإقبال إليه بالتوبة، يقول تعالى ذكره : إن هؤلاء العادلين بى ، الجاحدين نبوّتك يامحمد ، إن تابوا وأنابوا قبلت توبتهم ، وإنى قد قضيت فى خلقى أن رحمتى وسعت كل شىء .

كالذى حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا أبوأحمد ، قال : ثنا سفيان ، عن الأعمش ، عن ذكوان ، عن أبى هريرة ، عن النبىّ صلى الله عليه وسلم ، قال : « لَمَّا فَرَغَ اللهُ مِنَ الخَلْقِ كَتَبَ كِتابا : إنَّ رَحْمَتِى سَبَقَتْ غَضَبِى » .

حدثنا محمد بن المثنى ، قال : ثنا عبد الوهاب، قال : ثنا داود ، عن أبى عثمان ، عن سلمان، قال : « إن الله تعالى لما خلق السماء والأرض ، خلق مائة رحمة ، كل رحمة ملء مابين السماء إلى الأرض ، فعنده تسع وتسعون رحمة ، وقسَّم رحمة بين الخلائق ، فبها يتعاطفون ، وبها تشرب الوحش والطير الماء ، فإذا كان يوم القيامة ، قصرها الله على المتقين ، وزادهم تسعا وتسعين » .

حدثنا ابن المثنى ، قال : ثنا ابن أبى عدىّ ، عن داود ، عن أبى عثمان ، عن سلمان نحوه ، إلا أن ابن أبى عدىّ لم يذكر فى حديثه وبها تشرب الوحش والطير الماء .

حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن عاصم بن سليمان ، عن أبى عثمان عن سلمان ، قال : نجد فى التوراة عطفتين : إن الله خلق السموات والأرض ، ثم خلق مئة رحمة ، أو جعل مئة رحمة قبل أن يخلق الخلق ، ثم خلق الخلق فوضع بينهم رحمة واحدة ، وأمسك عنده تسعا وتسعين رحمة ، قال : فبها يتراحمون ، وبها يتباذلون ، وبها يتعاطفون ، وبها يتزاورون ، وبها تحنّ الناقة ، وبها تَنْئِجُ البقرة ، وبها تيعر الشاة ، وبها تتابع الطير ، وبها تتابع الحيتان فى البحر ؛ فإذا كان يوم القيامة ، جمع الله تلك الرحمة إلى ما عنده ، ورحمته أفضل وأوسع .

حدثنا الحسن بن يحيى ، قال : أخبرنا عبدالرزاق ، قال : أخبرنا معمر ، عن عاصم بن سليمان ، عن أبى عثمان النهدى ، عن سلمان ، فى قوله (كَتَبَ على نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ) . . . الآية ، قال : إنا نجد فى التوراة عطفتين ، ثم ذكر نحوه ، إلا أنه ما قال : وبها تتابع الطير ، وبها تتابع الحيتان فى البحر .

حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، قال : قال ابن طاوس ، عن أبيه : إن الله تعالى لما خلق الخلق ، لم يعطف شىء على شىء ، حتى خلق مئة رحمة ، فوضع بينهم رحمة واحدة ، فعطف بعض الخلق على بعض .

حدثنا الحسن بن يحيى ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا معمر ، عن ابن طاوس ، عن أبيه ، بمثله .

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، قال : وأخبرنى الحكم بن أبان ، عن عكرمة ، حسبته أسنده ، قال : إذا فرغ الله عزّ وجلّ من القضاء بين خلقه ، أخرج كتابا من تحت العرش

فيه : إن رحمتى سبقت غضبى ، وأنا أرحم الراحمين ؛ قال : فيخرج من النار مثل أهل الجنة ، أو قال : مثلا أهل الجنة ، ولا أعلمه إلا قال : مثلا ، وأما مثل ، فلا أشكّ مكتوبا هاهنا ، وأشار الحكم إلى نحره ، عتقاء الله ، فقال رجل لعكرمة : يا أبا عبد الله ، فإن الله يقول (يُرِيدُونَ أَنْ يَخْرُجُوا مِنَ النَّارِ ، وَمَا هُمْ بِخَارِجِينَ مِنْهَا ، وَلَهُمْ عَذَابٌ مُقِيمٌ) قال : ويلك ، أولئك أهلها الذين هم أهلها .

حدثنا الحسن بن يحيى ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا معمر ، عن الحكم بن أبان ، عن عكرمة ، حسبت أنه أسنده ، قال : إذا كان يوم القيامة ، أخرج الله كتابا من تحت العرش ، ثم ذكر نحوه ، غير أنه قال : فقال رجل : يا أبا عبد الله ، أرأيت قوله (يُرِيدُونَ أَنْ يَخْرُجُوا مِنَ النَّارِ) وسائر الحديث مثل حديث ابن عبد الأعلى .

حدثنا الحسن بن يحيى ، قال : أخبرنا عبدالرزاق ، قال : أخبرنا معمر ، عن همام بن منبه ، قال : سمعت أبا هريرة يقول : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « لَمَّا قَضَى اللهُ الخَلْقَ كَتَبَ فِي كِتابٍ ، فَهُوَ عِنْدَهُ فَوْقَ العَرْشِ : إنَّ رَحْمَتِي سَبَقَتْ غَضَبِي » .

حدثنا بشر بن معاذ ، قال : ثنا يزيد بن زريع ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، عن أبى أيوب ، عن عبد الله بن عمرو ، أنه كان يقول : إن لله مئة رحمة ، فأهبط رحمة إلى أهل الدنيا ، يتراحم بها الجنّ والإنس وطائر السماء ، وحيتان الماء ، ودوابّ الأرض وهوامّها ، وما بين الهواء ؛ واختزن عنده تسعا وتسعين رحمة ، حتى إذا كان يوم القيامة اختلج الرحمة التى كان أهبطها إلى أهل الدنيا ، فحواها إلى ماعنده ، فجعلها فى قلوب أهل الجنة ، وعلى أهل الجنة .

حدثنا الحسن بن يحيى ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا معمر ، عن قتادة ، قال : قال عبد الله بن عمرو : إن لله مئة رحمة ، أهبط منها إلى الأرض رحمة واحدة ، يتراحم بها الجن والإنس والطير والبهائم وهوامّ الأرض .

حدثنا محمد بن عوف ، قال : أخبرنا أبوالمغيرة عبد القدوس بن الحجاج ، قال : ثنا صفوان بن عمرو ، قال : ثنى أبو المخارق زهير بن سالم ، قال : قال عمر لكعب : ما أوّل شيء ابتدأه الله من خلقه ؟ فقال كعب : كتب الله كتابا لم يكتبه بقلم ولا مداد ، ولكن كتبه بأصبعه يتلوها الزبرجد واللؤلؤ والياقوت : أنا الله لاإله إلا أنا ، سبقت رحمتى غضبى .

القول في تأويل قوله تعالى : (لَيَجْمَعَنَّكُمْ إلى يَوْمِ القِيامَةِ لارَيْبَ فِيهِ) :

وهذه اللام التى فى قوله (لَيَجْمَعَنَّكُمْ) لام قسم ثم اختلف أهل العربية فى جالبها ، فكان بعض نحويى الكوفة يقول : إن شئت جعلت الرحمة غاية كلام ، ثم استأنفتَ بعدها (لَيَجْمَعَنَّكُمْ) ، قال : وإن شئت جعلته فى موضع نصب ، يعنى كتب (لَيَجْمَعَنَّكُمْ) كما قال (كَتَبَ رَبُّكُم على نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ أَنَّهُ مَنْ عَمِلَ مِنْكُمْ سُوءًا بِجَهالَةٍ) يريد : كتب أنه من عمل منكم ، قال : والعرب تقول فى الحروف التى يصلح معها جواب كلام الأيمان بأن المفتوحة وباللام ، فيقولون : أرسلت إليه أن

يقوم ، وأرسلت إليه ليقومنّ . قال : وكذلك قوله (ثُمَّ بَدَا لَهُمْ مِنْ بَعْدِ ما رَأَوُا الآياتِ لَيَسْجُنُنَّهُ حَتَّى حِينٍ) قال : وهو فى القرآن كثير ؛ ألا ترى أنك لو قلت : بدا لهم أن يسجنوه ، لكان صوابا ؟ وكان بعض نحويى البصرة يقول : نصبت لام (لَيَجْمَعَنَّكُمْ) لأن معنى كتب[1] كأنه قال : والله ليجمعنكم .

۞ والصواب من القول فى ذلك عندى أن يكون قوله (كَتَبَ رَبُّكُمْ على نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ) غاية ، وأن يكون قوله (لَيَجْمَعَنَّكُمْ) خبر مبتدإ ، ويكون معنى الكلام حينئذ : ليجمعنكم الله أيها العادلون بالله ليوم القيامة الذى لاريب فيه ، لينتقم منكم بكفركم به .

وإنما قلت : هذا القول أولى بالصواب من إعمال كتب فى (لَيَجْمَعَنَّكُمْ) لأن قوله (كَتَبَ) قد عمل فى الرحمة ، فغير جائز ، وقد عمل فى الرحمة أن يعمل فى (لَيَجْمَعَنَّكُمْ) لأنه لايتعدّى إلى اثنين .

۞ فإن قال قائل : فما أنت قائل فى قراءة من قرأ (كَتَبَ رَبكُمْ على نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ) أنه بفتح أن ؟ قيل : إن ذلك إذا قرئ كذلك ، فإن أنّ بيان عن الرحمة ، وترجمة عنها ، لأن معنى الكلام : كتب على نفسه الرحمة أن يرحم من عباده بعد اقتراف السوء بجهالة ، ويعفو ؛ والرحمة يترجم عنها ، ويبين معناها بصفتها ، وليس من صفة الرحمة (لَيَجْمَعَنَّكُمْ إلى يَوْمِ القِيامَةِ) فيكون مبينا به عنها ، فإن كان ذلك كذلك ، فلم يبق إلا أن ينصب بنية تكرير كتب مرّة أخرى معه ، ولا ضرورة بالكلام إلى ذلك ، فتوجه إلى ما ليس بموجود فى ظاهر .

وأما تأويل قوله (لارَيْبَ فِيهِ) فإنه لاشكّ فيه ، يقول : فى أن الله يجمعكم إلى يوم القيامة فيحشركم إليه جميعا ، ثم يؤتى كلّ عامل منكم أجر ما عمل من حسن أو سيئ .

القول فى تأويل قوله تعالى : ﴿الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ فَهُمْ لا يُؤْمِنُونَ﴾ :

يعنى تعالى ذكره بقوله (الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ) العادلين به الأوثان والأصنام ، يقول تعالى ذكره : ليجمعنّ الله الذين خسروا أنفسهم ، يقول : الذين أهلكوا أنفسهم وغبنوها بادعائهم لله الندّ والعديل ، فأوبقوها بإيجابهم سخط الله ، وأليم عقابه فى المعاد ، وأصل الخسار : الغبن ، يقال منه : خسر الرجل فى البيع : إذا غبن ، كما قال الأعشى :

لايأْخُذُ الرِّشْوَةَ فى حُكْمِهِ ... ولا يُبالى خَسَرَ الخاسِرِ[2]

وقد بينا ذلك فى غير هذا الموضع بما أغنى عن إعادته ؛ وموضع الذين فى قوله (الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ

---

(١) لعل الأصل : لأن معنى كتب القسم ، كأنه . . . الخ .

(٢) البيت للأعشى ميمون (ديوانه طبع القاهرة بشرح الدكتور محمد حسين ص ١٤١) من قصيدة يهجو بها علقمة بن علاثة ، ويمدح عامر بن الطفيل ، فى المنافرة التى جرت بينهما . وقد زعم الأعشى أن المتنافرين حكماه فى أمرهما ، يبين ذلك من قوله قبل بيت الشاهد :

حكتمونى فقضى بينكم ... أبلج مثل القمر الزاهر

ويروى حكتموه . والمعروف أن الذى قضى بينهما بالتسوية : هو هرم بن قطبة الفزارى من حكماء العرب . وفى رواية الديوان : غبن الخاسر ، فى مكان : خسر الخاسر . والرشوة مثلثة الراء .

نصب على الردّ على الكاف والميم ، فى قوله (لَيَجْمَعَنَّكُمْ) على وجه البيان عنها ، وذلك أن الذين خسروا أنفسهم ، هم الذين خوطبوا بقوله (لَيَجْمَعَنَّكُمْ) ؛ وقوله (فَهُمْ لايُؤْمِنُونَ) يقول : فهم لإهلاكهم أنفسهم ، وغبنهم إياها حظها لايؤمنون : أى لايوحدون الله ، ولا يصدّقون بوعده ووعيده ولا يقرّون بنبوّة محمد صلى الله عليه وسلم .

القول في تأويل قوله تعالى :

وَلَهُۥ مَا سَكَنَ فِي ٱلَّيۡلِ وَٱلنَّهَارِۚ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡعَلِيمُ ﴿١٣﴾

يقول تعالى ذكره : لايؤمن هؤلاء العادلون بالله الأوثان ، فيخلصوا له التوحيد ، ويفردوا له الطاعة ويقرّوا بالألوهية جهلا (وَلَهُ ما سَكَنَ فِي اللَّيْلِ والنَّهارِ) يقول : وله ملك كلّ شيء ، لأنه لاشيء من خلق الله ، إلا وهو ساكن فى الليل والنهار ، فمعلوم بذلك أن معناه ما وصفنا (وَهُوَ السَّمِيعُ) مايقول هؤلاء المشركون فيه من ادّعائهم له شريكا ، وما يقول غيرهم من خلاف ذلك (العَلِيمُ) بما يضمرونه فى أنفسهم ، وما يظهرونه بجوارحهم ، لايخفى عليه شيء من ذلك ، فهو يحصيه عليهم ، ليوفى كلّ إنسان ثواب ما اكتسب ، وجزاء ما عمل .

وبنحو الذى قلنا فى تأويل قوله (سَكَنَ) قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنى محمد بن الحسين ، قال : ثنا أحمد بن المفضل ، قال : ثنا أسباط ، عن السدىّ (وَلَهُ ماسَكَنَ فِي اللَّيْلِ والنَّهارِ) يقول : ما استقرّ فى الليل والنهار .

القول في تأويل قوله تعالى :

قُلۡ أَغَيۡرَ ٱللَّهِ أَتَّخِذُ وَلِيّٗا فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَهُوَ يُطۡعِمُ وَلَا يُطۡعَمُۗ قُلۡ إِنِّيٓ أُمِرۡتُ أَنۡ أَكُونَ أَوَّلَ مَنۡ أَسۡلَمَۖ وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ﴿١٤﴾

يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم : قل يامحمد لهؤلاء المشركين العادلين بربهم الأوثان ، والأصنام ، والمنكرين عليك إخلاص التوحيد لربك ، الداعين إلى عبادة الآلهة والأوثان ، أشيئا غير الله تعالى أتخذ وليا ، أستنصره وأستعينه على النوائب والحوادث ؟

كما حدثنى محمد بن الحسين ، قال : ثنا أحمد بن المفضل ، قال : ثنا أسباط ، عن السدىّ (قُلْ أغَيْرَ اللهِ أتَّخِذُ وَلِيًّا) قال : أما الولىّ : فالذى يتولونه ، ويقرّون له بالربوبية (فاطِرِ السَّمَوَاتِ والأرْضِ) يقول : أشيئا غير الله فاطر السموات والأرض أتخذ وليا ؟ ففاطر السموات من نعت الله وصفته ولذلك خفض ؛ ويعنى بقوله (فاطِرِ السَّمَوَاتِ والأرْضِ) مبتدعهما ومبتدئهما وخالقهما .

كالذى حدثنا به ابن وكيع ، قال : ثنا يحيى بن سعيد القطان ، عن سفيان ، عن إبراهيم بن مهاجر ،

عن مجاهد ، قال : سمعت ابن عباس يقول : كنت لاأدرى ما فاطر السموات والأرض ، حتى أتانى أعرابيان يختصمان فى بئر ، فقال أحدهما لصاحبه : أنا فطرتها ، يقول : أنا ابتدأتها .

حدثنا محمد بن الحسين ، قال : ثنا أحمد بن المفضل ، قال : ثنا أسباط ، عن السدىّ (فَاطِرِ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ) قال : خالق السموات والأرض .

حدثنا الحسن بن يحيى ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا معمر ، عن قتادة ، فى قوله (فَاطِرِ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ) قال : خالق السموات والأرض ، يقال من ذلك : فطرها الله يفطرها ، ويفطرها فطرا وفطورا ، ومنه قوله : (هَلْ تَرَى[1] مِنْ فُطُورٍ) يعنى : شقوقا وصدوعا ، يقال : سيف فُطَار : إذا كثر فيه التشقق ، وهو عيب فيه ؛ ومنه قول عنترة :

وَسَيْفِى كالعقيقةِ فهو كِمْعِى   سِلاحِى لا أفلَّ ولا فُطارَا [2]

ومنه يقال : فطر ناب الجمل : إذا تشقق اللحم فخرج ؛ ومنه قوله (تَكَادُ السَّمَوَاتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْ فَوْقِهِنَّ) : أى ينشققن وينصدعن .

وأما قوله (وَهُوَ يُطْعِمُ ، وَلَا يُطْعَمُ) فإنه يعنى : و هو يرزق خلقه ، ولا يُرْزَق .

كما حدثنى محمد بن الحسين ، قال : ثنا أحمد بن المفضل ، قال : ثنا أسباط ، عن السدىّ (وَهُوَ يُطْعِمُ ، وَلَا يُطْعَمُ) قال : يرزق ، ولا يرزق . وقد ذكر عن بعضهم أنه كان يقول ذلك (وَهُوَ يُطْعِمُ ، وَلَا يُطْعَمُ) أى أنه يطعم خلقه ، ولا يأكل هو ، ولا معنى لذلك لقلة القراءة به .

القول فى تأويل قوله تعالى: ﴿ قُلْ إِنِّى أُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ أَوَّلَ مَنْ أَسْلَمَ ، وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴾:

يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم : قل يا محمد للذين يدعونك إلى اتخاذ الآلهة أولياء من دون الله ، ويحثونك على عبادتها ، أغير الله فاطر السموات والأرض ، وهو يرزقنى وغيرى ، ولا يرزقه أحد ، أتخذ وليا هو له عبد مملوك ، وخلق مخلوق ؟ وقل لهم أيضا : إنى أمرنى ربى أن أكون أول من أسلم ، يقول : أول من خضع له بالعبودية ، وتذلل لأمره ونهيه ، وانقاد له من أهل دهرى وزمانى (وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُشْرِكِينَ) يقول : وقل : وقيل لى لاتكونن من المشركين بالله ، الذين يجعلون الآلهة والأنداد شركاء ، وجعل قوله (أُمِرْتُ) بدلا من قيل لى ، لأن قوله (أُمِرْتُ) معناه : قيل لى ، فكأنه قيل : قل إنى قيل لى : كن أول من أسلم ، ولا تكونن من المشركين ، فاجتزئ بذكر الأمر من ذكر القول ، إذ كان الأمر معلوما أنه قول .

(١) قوله « ومنه قوله ترى الخ » هذا لايلائم ما قبله ، فلعل فيه سقطا ، والأصل والفطر أيضا الشق ، ومنه ... الخ .

(٢) البيت لعنترة (مختار الشعر الجاهلى ٣٨٤ طبعة الحلبى) من قصيدة يهجو بها عمارة بن زياد . والعقيقة : البرق أو شعاعه . وكمعى : مضاجعى . ولا أفل : لم يتثلم . والفطار : السيف فيه تشقق ، فلا يقطع . وقد رواه صاحب اللسان فى فطر ، وكمع ، وعق ، وفل .

القول في تأويل قوله تعالى:

﴿قُلْ إِنِّيٓ أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ۝١٥﴾

يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم: قل لهؤلاء المشركين، العادلين بالله، الذين يدعونك إلى عبادة أوثانهم، إن ربي نهاني عن عبادة شيء سواه، وإني أخاف إن عصيت ربي، فعبدتها، عذاب يوم عظيم، يعني: عذاب يوم القيامة، ووصفه تعالى بالعظم لعظم هوله، وفظاعة شأنه.

القول في تأويل قوله تعالى

﴿مَّن يُصْرَفْ عَنْهُ يَوْمَئِذٍ فَقَدْ رَحِمَهُۥ ۚ وَذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْمُبِينُ ۝١٦﴾

اختلف القرّاء في قراءة ذلك، فقرأته عامّة قرّاء الحجاز والمدينة والبصرة (مَنْ يُصْرَفْ عَنْهُ يَوْمَئِذٍ) بضمّ الياء وفتح الراء، بمعنى: من يصرف عنه العذاب يومئذ. وقرأ ذلك عامّة قرّاء الكوفة (مَنْ يَصْرِفْ عَنْهُ) بفتح الياء وكسر الراء، بمعنى: من يصرف الله عنه العذاب يومئذ.

وأولى القراءتين في ذلك بالصواب عندي، قراءة من قرأه (يَصْرِفْ عَنْهُ) بفتح الياء وكسر الراء، لدلالة قوله (فَقَدْ رَحِمَهُ) على صحة ذلك، وأن القراءة فيه بتسمية فاعله؛ ولو كانت القراءة في قوله (مَنْ يُصْرَفْ) على وجه ما لم يسمّ فاعله، كان الوجه في قوله (فَقَدْ رَحِمَهُ) أن يقال: فقد رحم غير مسمى فاعله؛ وفي تسمية الفاعل في قوله (فَقَدْ رَحِمَهُ) دليل على بين أن ذلك كذلك في قوله (مَنْ يَصْرِفْ عَنْهُ). وإذ كان ذلك هو الوجه الأولى بالقراءة، فتأويل الكلام (مَنْ يَصْرِفْ عَنْهُ) من خلقه (يَوْمَئِذٍ) عذابه (فَقَدْ رَحِمَهُ، وَذَلِكَ هُوَ الفَوْزُ المُبِينُ). ويعني بقوله (وذلكَ): وصرف الله عنه العذاب يوم القيامة، ورحمته إياه الفوز: أي النجاة من الهلكة، والظفر بالطلبة؛ المبين، يعني الذي بين لمن رآه أنه الظفر بالحاجة، وإدراك الطلبة.

وبنحو الذي قلنا في قوله (مَنْ يُصْرَفْ عَنْهُ يَوْمَئِذٍ) قال أهل التأويل.

ذكر من قال ذلك

حدثنا الحسن بن يحيى، قال: أخبرنا عبد الرزاق، قال: أخبرنا معمر، عن قتادة، في قوله (مَنْ يُصْرَفْ عَنْهُ يَوْمَئِذٍ فَقَدْ رَحِمَهُ) قال: من يصرف عنه العذاب.

القول في تأويل قوله تعالى:

﴿وَإِن يَمْسَسْكَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُۥٓ إِلَّا هُوَ ۖ وَإِن يَمْسَسْكَ بِخَيْرٍ فَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ۝١٧﴾

يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم: يامحمد، إن يصبك الله بضرّ، يقول: بشدّة

وشظف فى عيشك ، وضيق فيه ، فلن يكشف ذلك عنك إلا الله ، الذى أمرك أن تكون أوّل من أسلم لأمره ونهيه ، وأذعن له من أهل زمانك ، دون ما يدعوك العادلون به إلى عبادته من الأوثان والأصنام ودون كلّ شىء سواها من خلقه (وَإِنْ يَمْسَسْكَ بِخَيْرٍ) يقول : وإن يصبك بخير : أى برخاء فى عيش ، وسعة فى الرزق وكثرة فى المال فتقرّ أنه أصابك بذلك (فَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ) يقول تعالى ذكره : والله الذى أصابك بذلك ، فهو على كلّ شىء قدير ، هو القادر على نفعك وضرّك ، وهو على كلّ شىء يريده قادر ، لايعجزه شىء يريده ، ولا يمتنع منه شىء طلبه ، ليس كالآلهة الذليلة المهينة ، التى لاتقدر على اجتلاب نفع على أنفسها ولا غيرها ولا دفع ضر عنها ولا غيرها ، يقول تعالى ذكره : فكيف تعبد من كان هكذا ؟ أم كيف لاتخلص العبادة ، وتقرّ لمن كان بيده الضرّ والنفع ، والثواب والعقاب ، وله القدرة الكاملة ، والعزّة الظاهرة .

القول فى تأويل قوله تعالى :

وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْخَبِيرُ ﴿١٨﴾

❊ يعنى تعالى ذكره بقوله : وهو نفسه يقول : والله القاهر فوق عباده ، ويعنى بقوله (القاهرُ) : المذلل المستعبد خلقه ، العالى عليهم ؛ وإنما قال : فوق عباده ، لأنه وصف نفسه تعالى بقهره إياهم ومن صفة كلّ قاهر شيئا أن يكون مستعليا عليه .

فمعنى الكلام إذن : والله الغالب عباده ، المذللهم ، العالى عليهم بتذليله لهم ، وخلقه إياهم ، فهو فوقهم بقهره إياهم ، وهم دونه ، وهو الحكيم ، يقول : والله الحكيم فى علوّه على عباده ، وقهره إياهم بقدرته ، وفى سائر تدبيره ، الخبير بمصالح الأشياء ومضارّها ، الذى لايخفى عليه عواقب الأمور وبواديها ، ولا يقع فى تدبيره خلل ، ولا يدخل حكمه دخل .

القول فى تأويل قوله تعالى :

قُلْ أَيُّ شَيْءٍ أَكْبَرُ شَهَادَةً قُلِ اللَّهُ شَهِيدٌ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَأُوحِيَ إِلَيَّ هَذَا الْقُرْآنُ لِأُنْذِرَكُمْ بِهِ وَمَنْ بَلَغَ أَئِنَّكُمْ لَتَشْهَدُونَ أَنَّ مَعَ اللَّهِ آلِهَةً أُخْرَى قُلْ لَا أَشْهَدُ قُلْ إِنَّمَا هُوَ إِلَهٌ وَاحِدٌ وَإِنَّنِي بَرِيءٌ مِمَّا تُشْرِكُونَ ﴿١٩﴾

❊ يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم : قل يا محمد لهؤلاء المشركين الذين يكذبون ويجحدون نبوّتك من قومك ، أىّ شىء أعظم شهادة وأكبر ، ثم أخبرهم بأن أكبر الأشياء شهادة الله ، الذى لايجوز أن يقع فى شهادته ما يجوز أن يقع فى غيره من خلقه من السهو والخطأ والغلط والكذب ، ثم قل لهم : إن

الذى هو أكبر الأشياء شهادة شهيد بينى وبينكم ، بالمحقّ منا من المبطل ، والرشيد منا فى فعله ، وقوله : من السفيه ، وقد رضينا به حكما بيننا .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك ، قال جماعة أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد فى قول الله تعالى (أَىُّ شَىْءٍ أَكْبَرُ شَهادَةً) قال : أمر محمد أن يسأل قريشا ، ثم أمر أن يخبرهم فيقول (اللهُ شَهِيدٌ بَيْنِى وَبَيْنَكُمْ) .

حدثنى المثنى ، قال : ثنا أبو حذيفة ، قال : ثنا شبل ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، نحوه .

القول فى تأويل قوله تعالى : ﴿وأُوحِىَ إلىَّ هَذَا القُرآنُ لِأُنْذِرَكُمْ بِهِ وَمَنْ بَلَغَ﴾ :

يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم : قل لهؤلاء المشركين الذين يكذّبونك (اللهُ شَهِيدٌ بَيْنِى وَبَيْنَكُمْ ، وأُوحِىَ إلىَّ هَذَا القُرْآنُ لِأُنْذِرَكُمْ بِهِ) عقابه ، وأنذر به من بلغه من سائر الناس غيركم ، إن لم ينته إلى العمل بما فيه ، وتحليل حلاله ، وتحريم حرامه ، والإيمان بجميعه نزول نقمة الله به .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك ، قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (أَىُّ شَىْءٍ أَكْبَرُ شَهَادَةً ؟ قُلِ اللهُ شَهِيدٌ بَيْنِى وَبَيْنَكُمْ ، وأُوحِىَ إلىَّ هَذَا القُرْآنُ لِأُنْذِرَكُمْ بِهِ وَمَنْ بَلَغَ) ذكر لنا أن نبىّ الله صلى الله عليه وسلم كان يقول : « يا أيُّها النَّاسُ بَلِّغُوا وَلَوْ آيَةً مِنْ كِتابِ اللهِ ، فإنَّهُ مَنْ بَلَغَهُ آيَةٌ مِنْ كِتابِ اللهِ فقد بلغه أمرُ اللهِ ، أخَذَهُ ، أوْ تَرَكَهُ » .

حدثنا الحسن بن يحيى ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا معمر ، عن قتادة ، فى قوله : (لِأُنْذِرَكُمْ بِهِ وَمَنْ بَلَغَ) أن النبىّ صلى الله عليه وسلم قال : « بَلِّغُوا عَنِ اللهِ ، فَمَنْ بَلَغَهُ آيَةٌ مِنْ كِتابِ اللهِ ، فَقَدْ بَلَغَهُ أمْرُ اللهِ » .

حدثنا هناد ، قال : ثنا وكيع ، وحدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبى ، عن موسى بن عبيدة ، عن محمد ابن كعب القرظى (لِأُنْذِرَكُمْ بِهِ وَمَنْ بَلَغَ) قال : من بلغه القرآن ، فكأنما رأى النبىّ صلى الله عليه وسلم ، ثم قرأ (وَمَنْ بَلَغَ أئِنَّكُمْ لَتَشْهَدُونَ) .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا حميد بن عبد الرحمن ، عن حسن بن صالح ، قال : سألت ليثا : هل بقى أحد لم تبلغه الدعوة ؟ قال : كان مجاهد يقول : حيثما يأتى القرآن فهو داع ، وهو نذير ، ثم قرأ (لِأُنْذِرَكُمْ بِهِ وَمَنْ بَلَغَ أئِنَّكُمْ لَتَشْهَدُونَ) .

حدثني محمد بن عمرو، قال : ثنا أبوعاصم ، قال : ثنا عيسى ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد (وَمَنْ بَلَغَ) : من أسلم من العجم وغيرهم .

حدثني المثنى ، قال : ثنا أبوحذيفة ، قال : ثنا شبل ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، مثله .

حدثني المثنى ، قال : ثنا إسحاق ، قال : ثنا خالد بن يزيد ، قال : ثنا أبو معشر ، عن محمد بن كعب فى قوله (لِأُنْذِرَكُمْ بِهِ وَمَنْ بَلَغَ) قال : من بلغه القرآن ، فقد أبلغه محمد صلى الله عليه وسلم .

حدثني المثنى ، قال : ثنا عبد الله بن صالح ، قال : ثنى معاوية بن صالح ، عن علىّ بن أبي طلحة ، عن ابن عباس، قوله (وأُوحِيَ إلىَّ هَذَا القُرآنُ لِأُنْذِرَكُمْ بِهِ) يعنى أهل مكة (وَمَنْ بَلَغَ) يعنى : ومن بلغه هذا القرآن ، فهو له نذير .

حدثنا يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : سمعت سفيان الثورىّ يحدّث ، لاأعلمه إلا عن مجاهد أنه قال فى قوله (وأُوحِيَ إلىَّ هَذَا القُرآنُ لِأُنْذِرَكُمْ بِهِ) العرب (وَمَنْ بَلَغَ) العجم .

حدثنا محمد بن الحسين ، قال : ثنا أحمد بن المفضل ، قال : ثنا أسباط ، عن السدىّ (لِأُنْذِرَكُمْ بِهِ وَمَنْ بَلَغَ) أما من بلغ : فمن بلغه القرآن ، فهو له نذير .

حدثني يونس بن عبد الأعلى، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد فى قوله (وأُوحِيَ إلىَّ هَذَا القُرآنُ لِأُنْذِرَكُمْ بِهِ وَمَنْ بَلَغَ) قال : يقول : من بلغه هذا القرآن ، فأنا نذيره ، وقرأ (يا أيُّها النَّاسُ إنِّى رَسُولُ اللهِ إلَيْكُمْ جَمِيعا) قال : فمن بلغه القرآن ، فرسول الله صلى الله عليه وسلم نذيره .

❊ فمعنى هذا الكلام : لأنذركم بالقرآن أيها المشركون ، وأنذر من بلغه القرآن من الناس كلهم ، فمن فى موضع نصب بوقوع أنذر عليه، وبلغ فى صلته ، وأسقطت الهاء العائدة على مَن فى قوله (بَلَغَ) لاستعمال العرب ذلك فى صلات « من ، وما ، والذى » .

القول في تأويل قوله تعالى ﴿أَئِنَّكُمْ لَتَشْهَدُونَ أَنَّ مَعَ اللهِ آلِهَةً أُخْرَى، قُلْ لاأَشْهَدُ ، قُلْ إِنَّمَا هُوَ إِلَهٌ وَاحِدٌ ، وَإِنَّنِى بَرِىءٌ مِمَّا تُشْرِكُونَ﴾ :

يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم : قل لهؤلاء المشركين الجاحدين نبوّتك، العادلين بالله ربا غيره ، أئنكم أيها المشركون لتشهدون أن مع الله آلهة أخرى ، يقول : تشهدون أن معه معبودات غيره من الأوثان والأصنام ؛ وقال (أُخْرَى) ولم يقل : أخر ؛ والآلهة جمع ، لأن الجموع يلحقها التأنيث ، كما قال تعالى (فَمَا بالُ القُرُونِ الأُولى) ولم يقل الأُوَل ، ولا الأوّلين ، ثم قال لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم : قل يامحمد ، لاأشهد بما تشهدون أن مع الله آلهة أخرى ، بل أجحد ذلك وأنكره ، (إِنَّمَا هُوَ إِلَهٌ وَاحِدٌ) يقول : إنما هومعبود واحد، لاشريك له فيما يستوجب على خلقه من العبادة (وَإِنَّنِى بَرِىءٌ مِمَّا تُشْرِكُونَ) يقول : قل وإننى برىء من كلّ شريك تدعونه لله ، وتضيفونه إلى شركته، وتعبدونه

معه لاأعبد سوى الله شيئا ، ولا أدعو غيره إلها ، وقد ذكر أن هذه الآية نزلت فى قوم من اليهود بأعيانهم من وجه لم تثبت صحته .

وذلك ماحدثنا به هناد بن السريّ وأبوكريب ، قالا : ثنا يونس بن بكير ، قال : ثنى محمد بن إسحاق قال : ثنى محمد بن أبي محمد مولى زيد بن ثابت ، قال : ثنى سعيد بن جبير أوعكرمة ، عن ابن عباس ، قال : جاء النحام بن زيد وقردم بن كعب وبحرىّ بن عمير ، فقالوا : يا محمد ما تعلم مع الله إلها غيره ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لاإلَـهَ إلاّ اللهُ بِذَلِكَ بُعِثْتُ ، وَإلى ذلكَ أدْعُو » فأنزل الله تعالى فيهم وفى قولهم (قُلْ أيُّ شَيْءٍ أكْبَرُ شَهادَةً ؟ قُلِ اللهُ شَهِيدٌ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ) إلى قوله (لايؤْمِنون)

القول في تأويل قوله تعالى :

﴿ الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمُ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴾ ٢٠

يقول تعالى ذكره : الذين آتيناهم الكتاب : التوراة والإنجيل ، يعرفون أنما هو إله واحد ، لاجماعة الآلهة ، وأن محمدا نبيّ مبعوث ، كما يعرفون أبناءهم ، وقوله (الَّذِينَ خَسِرُوا أنْفُسَهُمْ) من نعت الذين الأولى ، ويعنى بقوله (خَسِرُوا أنْفُسَهُمْ) أهلكوها وألقوها فى نار جهنم بإنكارهم محمدا ، أنه لله رسول مرسل ، وهم بحقيقة ذلك عارفون ، فهم لايؤمنون ، يقول : فهم بخسارتهم بذلك أنفسهم لايؤمنون وقد قيل : إن معنى خسارتهم أنفسهم : أن كل عبد له منزل فى الجنة ، ومنزل فى النار ؛ فإذا كان يوم القيامة جعل الله لأهل الجنة منازل أهل النار فى الجنة ، وجعل لأهل النار منازل أهل الجنة فى النار ، فذلك خسران الخاسرين منهم لبيعهم منازلهم من الجنة بمنازل أهل الجنة من النار ، بما فرط منهم فى الدنيا من معصيتهم الله ، وظلمهم أنفسهم ، وذلك معنى قول الله تعالى (الَّذِينَ يَرِثُونَ الفِرْدَوْسَ هُمْ فِيها خالِدُونَ)

وبنحو ما قلنا فى معنى قوله (الَّذِينَ آتَيْناهُمُ الكِتابَ يَعْرِفُونَهُ كما يَعْرِفُونَ أبْناءَهم) قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر بن معاذ ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (الَّذِينَ آتَيْناهُمُ الكِتابَ يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ أبْناءَهُمْ) يعرفون أنّ الإسلام دين الله ، وأن محمدا رسول الله ، يجدونه مكتوبا عندهم فى التوراة والإنجيل .

حدثنا الحسن بن يحيى ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، عن معمر ، عن قتادة ، فى قوله (الَّذِينَ آتَيْناهُمُ الكِتابَ يَعْرِفُونَهُ كما يَعْرِفُونَ أبْناءَهُمْ) النصارى واليهود ، يعرفون رسول الله فى كتابهم ، كما يعرفون أبناءهم .

حدثنا محمد بن الحسين ، قال : ثنا أحمد بن المفضل ، قال : ثنا أسباط ، عن السدىّ (الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الكِتابَ يَعْرِفُونَهُ كما يَعْرِفُونَ أبْناءَهُمْ) (١).

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، قوله (الَّذِينَ آتَيْناهُمُ الكِتابَ يَعْرِفُونَهُ كما يَعْرِفُونَ أبْناءَهُمْ) : يعنى النبىّ صلى الله عليه وسلم ؛ قال : زعم أهل المدينة عن أهل الكتاب ممن أسلم ، أنهم قالوا : والله لنحن أعرف به من أبنائنا ، من أجل الصفة والنعت الذى نجده فى الكتاب ، وأما أبناؤنا فلا ندرى ما أحدث النساء .

القول في تأويل قوله تعالى :

وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِآيَاتِهِ ۗ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ ﴿٢١﴾

يقول تعالى ذكره : ومن أشدّ اعتداء ، وأخطأ فعلا ، وأخطل قولا (مِمَّنِ افْتَرَى على اللهِ كَذِبا) يعنى : ممن اختلق على الله قيل باطل ، واخترق من نفسه عليه كذبا ، فزعم أن له شريكا من خلقه ، وإلها يعبد من دونه كما قاله المشركون من عبدة الأوثان ، أو ادّعى له ولدا أو صاحبة كما قالته النصارى (أوْ كَذَّبَ بآياتِهِ) يقول : أو كذّب بحججه وأعلامه وأدلته التى أعطاها رسله ، على حقيقة نبوّتهم كذّبت بها اليهود (إنَّه لايُفْلِحُ الظّالِمُونَ) يقول : إنه لايفلح القائلون على الله الباطل ، ولا يدركون البقاء فى الجنان ؛ والمفترون عليه الكذب ، والجاحدون بنبوّة أنبيائه .

القول في تأويل قوله تعالى :

وَيَوْمَ نَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ نَقُولُ لِلَّذِينَ أَشْرَكُوا أَيْنَ شُرَكَاؤُكُمُ الَّذِينَ كُنتُمْ تَزْعُمُونَ ﴿٢٢﴾

يقول تعالى ذكره : إن هؤلاء المفترين على الله كذبا ، والمكذّبين بآياته ، لايفلحون اليوم فى الدنيا ، ولا يوم نحشرهم جميعا ، يعنى : ولا فى الآخرة ، ففى الكلام محذوف قد استغنى بذكر ما ظهر عما حذف .

وتأويل الكلام : إنه لا يفلح الظالمون اليوم فى الدنيا (وَيَوْمَ نَحْشُرُهُمْ جَمِيعا) فقوله : ويوم نحشرهم ، مردود على المراد فى الكلام ، لأنه وإن كان محذوفا منه ، فكأنه فيه لمعرفة السامعين بمعناه ، (ثم نَقُولُ لِلَّذِينَ أشْرَكُوا أيْنَ شُرَكاؤُكُم) يقول : ثم نقول إذا حشرنا هؤلاء المفترين على الله الكذب بادّعائهم له فى سلطانه شريكا ، والمكذّبين بآياته ورسله ، فجمعنا جميعهم يوم القيامة (أيْنَ شُرَكاؤُكُمُ الَّذِينَ كُنْتُمْ تَزْعُمُونَ) أنهم لكم آلهة من دون الله ، افتراء وكذبا ، وتدعونهم من دونه أربابا ، فأتوا بهم إن كنتم صادقين .

(١) لم يذكر تفسيرا ، وعبارة الدر المنثور عن السدى : يعنى يعرفون النبى كما يعرفون أبناءهم ، لأن نعته معهم فى التوراة اه .

القول فى تأويل قوله تعالى :

﴿ ثُمَّ لَمْ تَكُن فِتْنَتُهُمْ إِلَّآ أَن قَالُواْ وَٱللَّهِ رَبِّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ ﴿٢٣﴾ ﴾

يقول تعالى ذكره : ثم لم يكن قولهم إذ قلنا لهم : أين شركاؤكم الذين كنتم تزعمون إجابة منهم لنا عن سؤالنا إياهم ذلك إذ فتناهم ، فاختبرناهم (إلاَّ أنْ قالُوا وَاللهِ رَبِّنا ما كُنَّا مُشْرِكِينَ) كذبا منهم فى أيمانهم على قيلهم ذلك .

ثم اختلف القراء فى قراءة ذلك ، فقرأته جماعة من قرّاء المدينة والبصرة وبعض الكوفيين (ثُمَّ لَمْ تَكُنْ فِتْنَتَهُمْ) بالنصب ، بمعنى : لم يكن اختبارنا لهم إلا قيلهم (وَاللهِ رَبِّنا ما كُنَّا مُشْرِكِينَ) غير أنهم يقرءون (تَكُنْ) بالتاء على التأنيث وإن كانت للقول لا للفتنة لمجاورته الفتنة وهى خبر ، وذلك عند أهل العربية شاذّ غير فصيح فى الكلام ؛ وقد رُوِى بيت للبيد بنحو ذلك ، وهو قوله :

فَمَضَى وَقَدَّمَها وكانَتْ عادَةً منهُ إذا هِىَ عَرَّدَتْ إقْدامُها[1]

فقال : وكانت بتأنيث الإقدام لمجاورته قوله : عادة .

وقرأ ذلك جماعة من قرّاء الكوفيين (ثُمَّ لَمْ يَكُنْ) بالياء (فِتْنَتَهُمْ) بالنصب (إلاَّ أنْ قالُوا) بنحو المعنى الذى قصده الآخرون الذين ذكرنا قراءتهم ، غير أنهم ذكروا يكون لتذكير أن [2] وهذه القراءة عندنا أولى القراءتين بالصواب ، لأن « أنْ » أثبت فى المعرفة من الفتنة .

واختلف أهل التأويل فى تأويل قوله (ثُمَّ لَمْ تَكُنْ فِتْنَتُهُمْ) فقال بعضهم : معناه : ثم لم يكن قولهم .

ذكر من قال ذلك

حدثنا الحسن بن يحيى ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا معمر ، قال : قال قتادة فى قوله (ثُمَّ لَمْ تَكُنْ فِتْنَتُهُمْ) قال : مقالتهم ، قال معمر : وسمعت غير قتادة يقول : معذرتهم .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، عن عطاء الخراسانى ، عن ابن عباس ، قوله (ثُمَّ لَمْ تَكُنْ فِتْنَتُهُمْ) قال : قولهم .

حدثنى محمد بن سعد ، قال : ثنى أبى ، قال : ثنى عمى ، قال : ثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله (ثُمَّ لَمْ تَكُنْ فِتْنَتُهُمْ إلاَّ أنْ قالُوا) . . . الآية ، فهو كلامهم ، قالوا : (واللهِ رَبِّنا ما كُنَّا مُشْرِكِينَ) .

---

(١) البيت فى معلقة لبيد بشرح الزوزنى والتبريزى . والتعريد : التأخر أو العدول عن الطريق إلى الماء . وأنث كانت لأنه توهم أن اسمها وهو الإقدام بمعنى التقدمة . كقول الآخر : « غفرنا وكانت من سجيتنا الغفر » ، لأنه بمعنى المغفرة . قال الزوزنى فى شرحه : يقول : مضى العير نحو الماء ، وقدم الأتان ، وكانت تقدمة الأتان عادة من العير إذا تأخرت هى ، أى خاف العير تأخرها .

(٢) سقط من قلم الناسخ قراءة الرفع ، كما يؤخذ من بقية كلامه ، ومراد قوله : وهذه القراءة : أى قراءة النصب ، وقوله : لأن أن أثبت ... الخ : أى لأنه يشبه المضمر اهـ .

حُدثت عن الحسين بن الفرج ،قال : سمعت أبا معاذ الفضل بن خالد يقول : ثنا عبيد بن سليمان ، قال سمعت الضحاك (ثُمَّ لَمْ تَكُنْ فِتْنَتُهُمْ) يعني كلامهم .

وقال آخرون : معنى ذلك : معذرتهم .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن بشار وابن المثنى ، قالا : ثنا محمد بن جعفر ، قال : ثنا شعبة ، عن قتادة (ثُمَّ لَمْ تَكُنْ فِتْنَتُهُمْ) قال : معذرتهم .

حدثنا بشر بن معاذ ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (ثُمَّ لَمْ تَكُنْ فِتْنَتُهُمْ إلاَّ أَنْ قَالُوا وَاللهِ رَبِّنَا ما كُنَّا مُشْرِكِينَ) يقول : اعتذارهم بالباطل والكذب .

⁂ والصواب من القول في ذلك أن يقال معناه ثم لم يكن قيلهم عند فتنتنا إياهم اعتذارا مما سلف منهم من الشرك بالله (إلا أَنْ قَالُوا وَاللهِ رَبِّنَا ما كُنَّا مُشْرِكِينَ) فوضعت الفتنة موضع القول لمعرفة السامعين معنى الكلام ؛ وإنما الفتنة : الاختبار والابتلاء ، ولكن لما كان الجواب من القوم غير واقع هنالك إلا عند الاختبار ، وضعت الفتنة التي هي الاختبار موضع الخبر عن جوابهم ومعذرتهم .

واختلفت القرّاء أيضا في قراءة قوله (وَاللهِ رَبِّنَا ما كُنَّا مُشْرِكِينَ) فقرأ ذلك عامة قرّاء المدينة وبعض الكوفيين والبصريين (واللهِ رَبِّنَا) خفضاً على أن الربّ نعت لله . وقرأ ذلك جماعة من التابعين (واللهِ رَبَّنَا) بالنصب بمعنى : والله يا ربنا ، وهي قراءة عامة قرّاء أهل الكوفة .

⁂ وأولى القراءتين عندي بالصواب في ذلك قراءة من قرأ (وَاللهِ رَبَّنَا) بنصب الربّ ، بمعنى : يا ربنا ، وذلك أن هذا جواب من المسئولين المقول لهم (أَيْنَ شُرَكَاؤُكُمُ الَّذِينَ كُنْتُمْ تَزْعُمُونَ) وكان من جواب القوم لربهم : والله يا ربنا ما كنا مشركين ، فنفوا أن يكونوا قالوا ذلك في الدنيا ، يقول الله تعالى لمحمد صلى الله عليه وسلم : انظر كيف كذبوا على أنفسهم وضلّ عنهم ما كانوا يفترون ، ويعني بقوله (ما كُنَّا مُشْرِكِينَ) ما كنا ندعو لك شريكا ولا ندعو سواك .

القول في تأويل قوله تعالى :

انظُرْ كَيْفَ كَذَبُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ وَضَلَّ عَنْهُم مَّا كَانُوا يَفْتَرُونَ ﴿٢٤﴾

⁂ يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم : انظر يا محمد فاعلم كيف كذب هؤلاء المشركون العادلون بربهم الأوثان والأصنام في الآخرة ، عند لقاء الله على أنفسهم بقيلهم : والله يا ربنا ما كنا مشركين ، واستعملوا هنالك الأخلاق التي كانوا بها متخلقين في الدنيا من الكذب والفرية .

ومعنى النظر في هذا الموضع : النظر بالقلب ، لاالنظر بالبصر ، وإنما معناه : تبين ، فاعلم كيف كذبوا في الآخرة ، وقال : كذبوا ، ومعناه : يكذبون ، لأنه لما كان الخبر قد مضى في الآية قبلها صار كالشيء الذي قد كان ووجد (وَضَلَّ عَنْهُمْ ما كانُوا يَفْتَرُونَ) يقول : وفارقهم الأنداد والأصنام

وتبرءوا منها ، فسلكوا غير سبيلها لأنها هلكت ، وأعيد الذين كانوا يعبدونها اجتراء ، ثم أخذوا بما كانوا يفترونه من قيلهم فيها على الله وعبادتهم إياه وإشراكهم إياها فى سلطان الله ، فضلت عنهم ، وعوقب عابدوها بفريتهم . وقد بينا فيما مضى أن معنى الضلال : الأخذ على غير الهدى ، وقد ذكر أن هؤلاء المشركين يقولون هذا القول عند معاينتهم سعة رحمة الله يومئذ .

ذكر الرواية بذلك

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا حكام ، قال : ثنا عمرو ، عن مطرف ، عن المنهال بن عمرو ، عن سعيد ابن جبير ، قال : أتى رجل ابن عباس ، فقال : قال الله (وَاللهِ رَبِّنا ماكُنَّا مُشْرِكِينَ) . وقال فى آية أخرى (وَلا يَكْتُمُونَ اللهَ حَدِيثا) قال ابن عباس : أما قوله (وَاللهِ رَبِّنا ما كُنَّا مُشْرِكِينَ) فإنه لما رأوا أنه لايدخل الجنة ، إلا أهل الإسلام فقالوا : تعالوا لنجحد(قالُوا وَاللهِ رَبِّنا ماكُنَّا مُشْرِكِينَ) فختم الله على أفواههم ، وتكلمت أيديهم وأرجلهم (وَلا يَكْتُمُونَ اللهَ حَدِيثا) .

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبوعاصم ، قال : ثنا عيسى ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، فى قول الله تعالى (وَاللهِ رَبِّنا ما كُنَّا مُشْرِكِينَ) قال : قول أهل الشرك ، حين رأوا الذنوب تغفر ، ولا يغفر الله لمشرك ، انظر كيف كذبوا على أنفسهم بتكذيب الله إياهم .

حدثنى المثنى ، قال : ثنا أبوحذيفة ، قال : ثنا شبل ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، بنحوه .

حدثنى المثنى ، قال : ثنا عبد الله بن صالح ، قال : ثنى معاوية بن صالح ، عن علىّ بن أبى طلحة ، عن ابن عباس، قوله (وَاللهِ رَبِّنا ما كُنَّا مُشْرِكِينَ) ثم قال : ولا يكتمون الله حديثا بجوارحهم .

حدثنا ابن وكيع ، قال ثنا أبى ، عن حمزة الزيات ، عن رجل يقال له هشام ، عن سعيد بن جبير (ثُمَّ لَمْ تَكُنْ فِتْنَتُهُمْ إلاَّ أنْ قالُوا وَاللهِ رَبِّنا ماكُنَّا مُشْرِكِينَ) قال: حلفوا واعتذروا ، قالوا: والله ربنا .

حدثنى المثنى ، قال : ثنا قبيصة بن عقبة ، قال : ثنا سفيان ، عن سعيد بن جبير ، قال : أقسموا واعتذروا والله ربنا .

حدثنا هناد ، قال: ثنا وكيع ، عن حمزة الزيات ، عن رجل يقال له هشام ، عن سعيد بن جبير بنحوه .

حدثنا هناد ، قال : ثنا أبومعاوية ، عن سفيان بن زياد العصفرى ، عن سعيد بن جبير ، فى قوله (وَاللهِ رَبِّنا ماكُنَّا مُشْرِكِينَ) قال : لما أمر بإخراج رجال من النار من أهل التوحيد ، قال من فيها من المشركين : تعولوا نقول : لاإله إلا الله ، لعلنا نخرج مع هؤلاء ، قال : فلم يصدّقوا ، قال : فحلفوا (والله رَبِّنا ماكُنَّا مُشْرِكِينَ) قال : فقال الله (انْظُرْ كَيْفَ كَذَبُوا على أنْفُسِهِمْ وَضَلَّ عَنْهُمْ ما كانُوا يَفْتَرُونَ) .

حدثنا بشر بن معاذ ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد، عن قتادة (وَضَلَّ عَنْهُمْ ما كانُوا يَفْتَرُونَ) : أى يشركون به .

حدثنا الحرث ، قال : ثنا عبد العزيز ، قال : ثنا المنهال بن عمرو ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس ، فى قوله (وَاللهِ رَبِّنا ما كُنَّا مُشْرِكِينَ) قال : لما رأى المشركون أنه لايدخل الجنة إلا مسلم، قالوا : تعالوا إذا سئلنا ، قلنا (وَاللهِ رَبِّنا ما كُنَّا مُشْرِكِينَ) فسئلوا ، فقالوا ذلك ، فختم الله على أفواههم وشهدت عليهم جوارحهم بأعمالهم فودّ الذين كفروا حين رأوا ذلك (لَوْ تُسَوَّى بِهِمُ الأرْضُ وَلاَ يَكْتُمُونَ اللهَ حَدِيثا) .

حدثنى الحرث ، قال : ثنى عبد العزيز ، قال : ثنا مسلم بن خلف ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد قال : يأتى على الناس يوم القيامة ساعة لما رأى أهل الشرك أهل التوحيد يُغْفر لهم، فيقولون (وَاللهِ رَبِّنا ما كُنَّا مُشْرِكِينَ) قال(انْظُرْ كَيْفَ كَذَبُوا على أنْفُسِهِمْ وَضَلَّ عَنْهُمْ ماكانُوا يَفْتَرُونَ) .

حدثنى الحرث ، قال: ثنا عبدالعزيز ، قال ثنا سفيان عن رجل ، عن سعيد بن جبير ، أنه كان يقول (وَاللهِ رَبِّنا ما كُنَّا مُشْرِكِينَ) يخفضها ، قال : أقسموا واعتذروا ، قال الحرث : قال عبد العزيز ، قال سفيان مرّة أخرى ، ثنى هشام ، عن سعيد بن جبير .

القول فى تأويل قوله تعالى :

﴿ وَمِنْهُم مَّن يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ وَجَعَلْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَن يَفْقَهُوهُ وَفِي آذَانِهِمْ وَقْرًا وَإِن يَرَوْا كُلَّ آيَةٍ لَّا يُؤْمِنُوا بِهَا حَتَّىٰ إِذَا جَاءُوكَ يُجَادِلُونَكَ يَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ هَٰذَا إِلَّا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ ﴾

يقول تعالى ذكره : ومن هؤلاء العادلين بربهم الأوثان والأصنام من قومك يامحمد من يستمع إليك ، يقول : من يستمع القرآن منك ، ويستمع ما تدعوه إليه من توحيد ربك وأمره ونهيه ، ولا يفقه ما تقول ولا يوعيه قلبه ، ولا يتدبره ولا يصغى له سمعه ليتفقهه ، فيفهم حجج الله عليه فى تنزيله الذى أنزله عليك ، إنما يسمع صوتك وقراءتك وكلامك ، ولا يعقل عنك ما تقول ، لأن الله قد جعل على قلبه أكنة ، وهى جمع كنان ، وهو الغطاء مثل سنان وأسنة ، يقال منه : أكننت الشيء فى نفسى بالألف ، وكننت الشيء إذا غطيته ، ومن ذلك بيض مكنون : وهو الغطاء ، ومنه قول الشاعر :

تَحْتَ عَيْنٍ كِنانُنا ظِلُّ بُرْدٍ مُرَحَّلُ (١)

يعنى غطاءهم الذى يكنهم .

(١) البيتان فى (اللسان : كنن) ونسبه إلى عمر بن أبى ربيعة ، وقبله بيتان ، وهما :

" هاجَ ذا القَلْبَ مَنزِلُ دارِسُ العَهْدِ مُحْوِلُ
أَيُّنا باتَ لَيْلَةً بينَ غُصْنَينِ يُوبَلُ

(وَفِي آذَانِهِمْ وَقْرًا) يقول تعالى ذكره : وجعل فى آذانهم ثقلا وصمما عن فهم ما تتلو عليهم ، والإصغاء لما تدعوهم إليه ، والعرب تفتح الواو من الوَقر فى الأذن : وهو الثقل فيها ، وتكسرها فى الحمل ، فتقول : هو وِقر الدابة ، ويقال من الحمل : أوقرت الدابة فهى موقرة ، ومن السمع : وقرت سمعه فهو موقور ، ومنه قول الشاعر :

ولى هامَةٌ قَدْ وَقَرَ الضَّرْبُ سَمْعَها ١

وقد ذكر سماعا منهم : وقَرت أذنه : إذا ثقلت ، فهى موقورة ، وأوقَرت النخلة فهى موقر ، كما قيل : امرأة طامث وحائض ، لأنه لاحظّ فيه للمذكر ، فإذا أريد أن الله أوقرها ، قيل موقرة . وقال تعالى ذكره (وَجَعَلْنَا على قُلوبِهِمْ أكِنَّةً أنْ يَفْقَهُوهُ) بمعنى : أن لايفقهوه ، كما قال (يُبَيِّنُ اللهُ لَكُمْ أنْ تَضِلُّوا) بمعنى : أن لاتضلوا ، لأن الكنّ إنما جعل على القلب لئلا يفقهه ، لا ليفقهه .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا الحسن بن يحيى ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا معمر ، عن قتادة (وَجَعَلْنَا على قُلوبِهِمْ أكِنَّةً أنْ يَفْقَهُوهُ ، وفِي آذانِهِمْ وَقْرًا) قال : يسمعونه بآذانهم ولا يعون منه شيئا كمثل البهيمة التى تسمع النداء ، ولا تدرى ما يقال لها .

حدثنى محمد بن الحسين ، قال : ثنا أحمد بن المفضل ، قال : ثنا أسباط ، عن السدىّ (وَجَعَلْنَا على قُلوبِهِمْ أكِنَّةً أنْ يَفْقَهُوهُ ، وفِيآذانِهِمْ وَقْرًا) أما أكنة : فالغطاء ، أكنّ قلوبهم لايفقهون الحقّ ، وفى آذانهم وقرا : قال صمم .

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبوعاصم ، قال : ثنا عيسى ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد فى قول الله (وَمِنْهُمْ مَنْ يَسْتَمِعُ إلَيْكَ) قال : قريش .

حدثنى المثنى ، قال : ثنا أبوحذيفة ، قال : ثنا شبل ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، مثله .

القول فى تأويل قوله تعالى: ﴿وَإنْ يَرَوْا كُلَّ آيَةٍ لايُؤْمِنُوا بِها حتى إذَا جَاءُوكَ يُجادِلُونَكَ يَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا إنْ هَذَا إلاَّ أساطِيرُ الأوَّلِينَ﴾:

يقول تعالى ذكره : وإن ير هؤلاء العادلون بربهم الأوثان والأصنام ، الذين جعلت على قلوبهم أكنة أن

= تحت عين . . . الخ ، وهو شاهد على أن الأكنة : الأغطية ، واحدها كنان . وقال ابن برى : وصواب إنشاد الشطر الأخير « برد عصب مرحل » . قال : وأنشده ابن دريد :

تَحْتَ ظِلٌّ كِنانُنا فَضْلُ بُرْدٍ يُهَلَّلُ

وفى هامش اللسان لمصححه تعليق على قوله يهلل . قال : كذا بالأصل مضبوطا ، ولم نعثر عليه فى غير هذا المحل ، ولعله مهلهل . وحرر . كتبه مصححه .

(١) هذا شطر من بيت الطويل ، ولم نعثر على قائله ، ولا على شطره الثانى . وقد استشهد به المؤلف على أن الفعل (وقر) فعل متعد . وفى المصباح للفيومى : وقرت الأذن من بابى تعب ووعد : ثقل سمعها : ووقرها الله وقرا من باب وعد ويستعمل لازما ومتعديا .

يفقهوا عنك ما يسمعون منك . (كُلَّ آيَةٍ) : يقول : كل حجة وعلامة تدلّ أهل الحجا والفهم على توحيد الله ، وصدق قولك ، وحقيقة نبوّتك (لايُؤْمِنُوا بِها) يقول : لايصدّقون بها ، ولا يقرّون بأنها دالة على ما هى عليه دالة (حتّى إذَا جاءُوكَ يُجادِلُونَكَ) يقول : حتى إذا صاروا إليك بعد معاينتهم الآيات الدالة على حقيقة ما جئتهم به يجادلونك ، يقول : يخاصمونك (يَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا) يعنى بذلك الذين جحدوا آيات الله وأنكروا حقيقتها ، يقولون لنبىّ الله صلى الله عليه وسلم إذا سمعوا حجج الله التى احتجّ بها عليهم ، وبيانه الذى بينه لهم (إنْ هَذَا إلاَّ أساطِيرُ الأوَّلِينَ) أى ما هذا إلا أساطير الأوّلين والأساطير : جمع أسطارة ، وأسطورة مثل أفكوهة وأضحوكة ، وجائز أن يكون الواحد إسطارا[١] مثل أبيات وأبابيت ، وأقوال وأقاويل ، من قول الله تعالى (وكِتابٍ مَسْطُورٍ) من سطر يسطر سطرا ، فإن كان من هذا ، فإن تأويله ماهذا إلا ما كتبه الأوّلون ، وقد ذكر عن ابن عباس وغيره أنهم كانوا يتأوّلونه بهذا التأويل ، ويقولون معناه : إن هذا إلا أحاديث الأوّلين .

حدثنى بذلك المثنى بن إبراهيم ، قال : ثنا عبد الله بن صالح ، قال : ثنى معاوية ، عن علىّ بن أبى طلحة ، عن ابن عباس .

حدثنى محمد بن الحسين ، قال : ثنا أحمد بن مفضل ، قال : ثنا أسباط ، عن السدىّ ، أما (أساطِيرُ الأوَّلِينَ) فأساجيع الأوّلين . وكان بعض أهل العلم - وهو أبو عبيدة معمر بن المثنى - بكلام العرب يقول : الإسطارة : لغة الخرافات والترّهات . وكان الأخفش يقول : قال بعضهم : واحده أسطورة . وقال بعضهم : إسطارة ، قال : ولا أراه إلا من الجمع الذى ليس له واحد ، نحو العبابيد والمذاكير والأبابيل . قال : وقال بعضهم : واحد الأبابيل : إبيل ؛ وقال بعضهم : إبول ، مثل عجّول ، ولم أجد العرب تعرف له واحدا ، وإنما هو مثل عباديد لاواحد لها . وأما الشماطيط ، فإنهم يزعمون أن واحده شمطاط ، قال : وكلّ هذه لها واحد ، إلا أنه لم يستعمل ، ولم يتكلم به ، لأن هذا المثال لايكون إلا جمعا ؛ قال : وسمعت العرب الفصحاء تقول : أرسل خيله أبابيل ، تريد جماعات ، فلا تتكلم بها موحدة ، وكانت مجادلتهم رسول الله صلى الله عليه وسلم التى ذكرها الله فىهذه الآية فيما ذكر . ما حدثنى به محمد بن سعد ، قال : ثنى أبى ، قال : ثنى عمى ، قال : ثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله (حتّى إذَا جاءُوكَ يُجادِلُونَكَ) . . . الآية ، قال : هم المشركون يجادلون المسلمين فى الذبيحة ، يقولون : أما ما ذبحتم وقتلتم فتأكلون ، وأما ما قتل الله فلا تأكلون ، وأنتم تتبعون أمر الله تعالى .

القول فى تأويل قوله تعالى :

وَهُمْ يَنْهَوْنَ عَنْهُ وَيَنْئَوْنَ عَنْهُ وَإِن يُهْلِكُونَ إِلَّآ أَنفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ ﴿٢٦﴾

اختلف أهل التأويل فى تأويل قوله (وَهُمْ يَنْهَوْنَ عَنْهُ ويَنْأوْنَ عَنْهُ) فقال بعضهم : معناه : هؤلاء المشركون المكذّبون بآيات الله ، ينهون الناس عن اتباع محمد صلى الله عليه وسلم ، والقبول منه ، وينأون عنه : يتباعدون عنه .

(١) فى اللسان : الأساطير : واحدتها : إسطار وإسطارة بالكسر . . . وقيل : جمع أسطار ، وإسطار : جمع سطر .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا حفص بن غياث وهانئ بن سعيد ، عن حجاج ، عن سالم ، عن ابن الحنفية (وَهُمْ يَنْهَوْنَ عَنْهُ ، ويَنْأَوْنَ عَنْهُ) قال : يتخلفون عن النبيّ صلى الله عليه وسلم ، ولا يجيبونه ، وينهون الناس عنه .

حدثنا المثنى ، قال : ثنا عبد الله بن صالح ، قال : ثنى معاوية بن صالح ، عن علىّ بن أبى طلحة ، عن ابن عباس ، قوله (وَهُمْ يَنْهَوْنَ عَنْهُ ويَنْأَوْنَ عَنْهُ) يعنى : ينهون الناس عن محمد أن يؤمنوا به (ويَنْأَوْنَ عَنْهُ) يعنى : يتباعدون عنه .

حدثنى محمد بن الحسين ، قال : ثنا أحمد بن المفضل ، قال : ثنا أسباط ، عن السدىّ (وَهُمْ يَنْهَوْنَ عَنْهُ وَيَنْأَوْنَ عَنْهُ) أن يتبع محمد ويتباعدون هم منه .

حدثنى محمد بن سعد ، قال : ثنى أبى ، قال : ثنى عمى ، قال : ثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله (وَهُمْ يَنْهَوْنَ عَنْهُ ويَنْأَوْنَ عَنْهُ) يقول : لايلقونه ، ولا يدعون أحدا يأتيه .

حُدثت عن الحسين بن الفرج ، قال : سمعت أبا معاذ يقول فى قوله (وَهُمْ يَنْهَوْنَ عَنْهُ) يقول : عن محمد صلى الله عليه وسلم .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (وَهُمْ يَنْهَوْنَ عَنْهُ ويَنْأَوْنَ عَنْهُ) جمعوا النهى والنأى ، والنأى : التباعد .

وقال بعضهم : بل معناه : (وَهُمْ يَنْهَوْنَ عَنْهُ) عن القرآن أن يُسمع له ، ويعمل بما فيه .

ذكر من قال ذلك

حدثنا الحسن بن يحيى ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا معمر ، عن قتادة ، فى قوله (وَهُمْ يَنْهَوْنَ عَنْهُ) قال : ينهون عن القرآن ، وعن النبىّ صلى الله عليه وسلم (ويَنْأَوْنَ عَنْهُ) ويتباعدون عنه

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبوعاصم ، قال ثنا عيسى ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، قوله (وَهُمْ يَنْهَوْنَ عَنْهُ) قال قريش عن الذكر (وَيَنْأَوْنَ عَنْهُ) يقول يتباعدون .

حدثنى المثنى ، قال : ثنا أبوحذيفة ، قال : ثنا شبل ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد (يَنْهَوْنَ عَنْهُ وَيَنْأَوْنَ عَنْهُ) قريش عن الذكر ، ينأون عنه : يتباعدون .

حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة (وَهُمْ يَنْهَوْنَ عَنْهُ ويَنْأَوْنَ عَنْهُ) قال : ينهون عن القرآن ، وعن النبىّ صلى الله عليه وسلم ، ويتباعدون عنه .

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله (يَنْأَوْنَ عَنْهُ) قال : ينأون عنه : يبعدون .

وقال آخرون : معنى ذلك : وهم ينهون عن أذى محمد صلى الله عليه وسلم ، وينأون عنه : يتباعدون عن دينه واتباعه .

ذكر من قال ذلك

حدثنا هناد ، قال : ثنا وكيع وقبيصة ، وحدثنا ابن وكيع ، قال: ثنا أبي ، عن سفيان ، عن حبيب ابن أبي‌ثابت ، عمن سمع ابن عباس يقول : نزلت فى أبى‌طالب ، كان ينهى عن محمد أن يؤذى وينأى عما جاء به أن يؤمن به .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا عبد الرحمن ، قال : ثنا سفيان ، عن حبيب بن أبي ثابت ، قال : ثنى من سمع ابن عباس يقول (وَهُمْ يَنْهَوْنَ عَنْهُ وَيَنْأَوْنَ عَنْهُ) قال : نزلت فى أبى طالب ينهى عنه أن يؤذى ، وينأى عما جاء به .

حدثنا الحسن بن يحيي ، قال : أخبرنا عبدالرزاق ، قال : أخبرنا الثورىّ ، عن حبيب بن أبى‌ثابت ، عمن سمع ابن عباس (وَهُمْ يَنْهَوْنَ عَنْهُ وَيَنْأَوْنَ عَنْهُ) قال : نزلت فى أبى طالب كان ينهى المشركين أن يؤذوا محمدا ، وينأى عما جاء به .

حدثنا هناد، قال : ثنا عبدة ، عن إسماعيل بن أبي خالد ، عن القاسم بن مخيمرة، قال : كان أبو طالب ينهى عن النبىّ صلى الله عليه وسلم ، ولا يصدّقه .

حدثنا ابن وكيع قال : ثنا أبي ومحمد بن بشر ، عن إسماعيل بن أبي خالد ، عن القاسم بن مخيمرة ، فى قوله (وَهُمْ يَنْهَوْنَ عَنْهُ وَيَنْأَوْنَ عَنْهُ) قال : نزلت فى أبى طالب ، قال ابن وكيع : قال ابن بشر : كان أبوطالب ينهى عن النبىّ صلى الله عليه وسلم أن يؤذى ، ولا يصدّق به .

حدثنا هناد ، قال : ثنا يونس بن بكير ، عن أبي محمد الأسدىّ ، عن حبيب بن أبي ثابت ، قال : ثنى من سمع ابن عباس يقول فى قول الله تعالى (وَهُمْ يَنْهَوْنَ عَنْهُ وَيَنْأَوْنَ عَنْهُ) نزلت فى أبى طالب كان ينهى عن أذى محمد ، وينأى عما جاء به أن يتبعه .

حدثنا هناد ، قال : ثنا وكيع ، عن إسماعيل بن أبي خالد ، عن القاسم بن مخيمرة ، فى قوله (وَهُمْ يَنْهَوْنَ عَنْهُ وَيَنْأَوْنَ عَنْهُ) قال : نزلت فى أبى‌طالب .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا عبد الله بن موسى ، عن عبد العزيز بن سياه ، عن حبيب ، قال : ذاك أبو طالب ، فى قوله (وَهُمْ يَنْهَوْنَ عَنْهُ وَيَنْأَوْنَ عَنْهُ) .

حدثنا يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : ثنى سعيد بن أبي أيوب ، قال : قال عطاء بن دينار فى قول الله (وَهُمْ يَنْهَوْن عَنْهُ وَيَنْأَوْنَ عَنْهُ) أنها نزلت فى أبى طالب إنه كان ينهى الناس عن إيذاء رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وينأى عما جاء به من الهدى .

☼ وأولى هذه الأقوال بتأويل الآية ، قول من قال : تأويله (وَهُمْ يَنْهَوْنَ عَنْهُ) عن اتباع محمد صلى الله عليه وسلم من سواهم من الناس (وينأوْنَ) عن اتباعه ، وذلك أن الآيات قبلها جرت بذكر جماعة المشركين العادلين به ، والخبر عن تكذيبهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، والإعراض عما جاءهم به من تنزيل الله ووحيه ، فالواجب أن يكون قوله (وَهُمْ يَنْهَوْنَ عَنْهُ) خبرا عنهم ، إذ لم يأتنا ما يدلّ

على انصراف الخبر عنهم إلى غيرهم ، بل ما قبل هذه الآية وما بعدها يدلّ على صحة ما قلنا من أن ذلك خبر عن جماعة مشركي قوم رسول الله صلى الله عليه وسلم دون أن يكون خبرا عن خاصّ منهم .

وإذ كان ذلك كذلك ، فتأويل الآية : وإن ير هؤلاء المشركون يا محمد كلّ آية لا يؤمنوا بها ، حتى إذا جاءوك يجادلونك ، يقولون: إن هذا الذى جئتنا به إلا أحاديث الأوّلين وأخبارهم ، وهم ينهون عن استماع التنزيل وينأون عنك ، فيبعدون منك ، ومن اتباعك ، وإن يهلكون إلا أنفسهم ، يقول : وما يهلكون بصدّهم عن سبيل الله ، وإعراضهم عن تنزيله وكفرهم بربهم إلا أنفسهم لا غيرها ، وذلك أنهم يكسبونها بفعلهم ذلك سخط الله وأليم عقابه ، وما لا قبل لها به ، وما يشعرون ، يقول : وما يدرون ما هم مكسبوها من الهلاك والعطب بفعلهم ، والعرب تقول لكلّ من بعد عن شيء : قد نأى عنه، فهو ينأى نأيا ، ومسموع منهم : نأيتك بمعنى نأيت عنك ، وأما إذا أرادوا : أبعدتك عنى ، قالوا : أنأيتك ، ومن نأيتك بمعنى : نأيت عنك قول الحطيئة :

نَأَتْكَ أُمامَـةُ إلا سُـؤَالا وأبْصَرْتَ مِنْها بطَيْفٍ خَيالاَ[1]

القول في تأويل قوله تعالى :

وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذْ وُقِفُواْ عَلَى ٱلنَّارِ فَقَالُواْ يَٰلَيْتَنَا نُرَدُّ وَلَا نُكَذِّبَ بِـَٔايَٰتِ رَبِّنَا وَنَكُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٢٧﴾

يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم: (وَلَوْ تَرَى) يا محمد هؤلاء العادلين بربهم الأصنام والأوثان الجاحدين نبوّتك ، الذين وصفت لك صفتهم (إذْ وُقِفُوا) يقول : إذ حبسوا (على النَّارِ) يعنى فى النار، فوضعت «على» موضع «فى» كما قال (وَاتَّبَعُوا ماتَتْلُوا الشَّياطِينُ على مُلْكِ سُلَيْمانَ) بمعنى فى ملك سليمان ، وقيل (وَلَوْ تَرَى إذْ وُقِفُوا) ومعناه : إذا وقفوا لما وصفنا قبل فيما مضى أن العرب قد تضع إذ مكان إذا ، وإذا مكان إذ، وإن كان حظّ إذ أن تصاحب من الأخبار ما قد وجد فقضى ، وحظّ إذا أن تصاحب من الأخبار ما لم يوجد ، ولكن ذلك كما قال الراجز وهو أبو النجم مدّ لنا فى عمره ربّ طه :

ثُمَّ جَزَاهُ اللهُ عَنَّا إذْ جَزَى جَنَّاتِ عَدْنٍ فِي العَلالِيِّ العُلَى[2]

فقال : ثم جزاه الله عنا إذ جزى ، فوضع إذ مكان إذا ، وقيل : وُقِفُوا ولم يقل أوقفوا ، لأن ذلك هو الفصيح من كلام العرب ، يقال : وقفت الدابة وغيرها بغير ألف إذا حبستها ، وكذلك وقفت الأرض إذا جعلتها صدقة حبيسا بغير ألف .

---

(١) البيت للحطيئة (ديوانه طبع القاهرة ص ٣١ بشرح السكرى) . وهو مطلع قصيدة له يمدح عمر بن الخطاب رضى الله عنه ، ويعتذر من هجاء الزبرقان . وذكرها ابن أبى الخطاب القرشى صاحب الجمهرة فى القصائد المشوبات . ونأتك : نأت عنك ، وانقطع ما بينكما ، إلا سؤالها عنك ، وهو لا ينقع غلة ، ولا يشفى صدى . وإلا ما يعاودك من طيف خيالها فى منامك . والشطر الثانى فى أساس البلاغة « وإلا خيالا يوافى خيالا » .

(٢) البيت لأبى النجم (انظر التعليق عليه فى ص ١٣٧) من هذا الجزء .

وقد حدثنى الحرث بن أبى عبيد ، قال : أخبرنى اليزيدىّ والأصمعىّ كلاهما ، عن أبى عمرو ، قال : ما سمعت أحدا من العرب يقول : أوقفت الشىء بالألف ، قال : إلا أنى لو رأيت رجلا بمكان ، فقلت : ما أوقفك هاهنا بالألف لرأيته حسنا ، فقالوا : يا ليتنا نردّ ، يقول : فقال هؤلاء المشركون بربهم إذ حبسوا فى النار : يا ليتنا نردّ إلى الدنيا حتى نتوب ونراجع طاعة الله (وَلا نُكَذِّبَ بِآياتِ رَبِّنا) يقول : ولا نكذّب بحجج ربنا ولا نجحدها (وَنَكُونَ مِنَ المُؤْمِنِينَ) يقول : ونكون من المصدّقين بالله وحججه ورسله ، متبعى أمره ونهيه .

واختلفت القرّاء فى قراءة ذلك ، فقرأته عامة قرّاء الحجاز والمدينة والعراقيين (يا لَيْتَنا نُرَدُّ وَلا نُكَذِّبَ بِآياتِ رَبِّنا ، وَنَكُونَ مِنَ المُؤْمِنِينَ) بمعنى : يا ليتنا نردّ ، ولسنا نكذّب بآيات ربنا ولكن نكون من المؤمنين ؛ وقرأ ذلك بعض قرّاء الكوفة (يا لَيْتَنا نُرَدُّ وَلا نُكَذِّبَ بِآياتِ رَبِّنا وَنَكُونَ مِنَ المُؤْمِنِينَ) بمعنى يا ليتنا نردّ ، وأن لانكذّب بآيات ربنا ، ونكون من المؤمنين

وتأوّلوا فى ذلك شيئا حدّثنيه أحمد بن يوسف ، قال : ثنا القاسم بن سلام ، قال : ثنا حجاج ، عن هارون ، قال : فى حرف ابن مسعود (يا لَيْتَنا نُرَدُّ فَلا نُكَذِّبَ) بالفاء .

وذكر عن بعض قرّاء أهل الشام أنه قرأ ذلك (يا لَيْتَنا نُرَدُّ وَلا نُكَذِّبُ) بالرفع (ونَكُونَ) بالنصب ، كأنه وجه تأويله إلى أنهم تمنوا الردّ ، وأن يكونوا من المؤمنين ، وأخبروا أنهم لايكذّبون بآيات ربهم ، إن ردّوا إلى الدنيا .

واختلف أهل العربية فى معنى ذلك منصوبا ومرفوعا ، فقال بعض نحويى البصرة : (لانُكَذِّبَ بِآياتِ رَبِّنا وَنَكُونَ مِنَ المُؤْمِنِينَ) نصب لأنه جواب للتمنى ، وما بعد الواو كما بعد الفاء ؛ قال : وإن شئت رفعت وجعلته على غير التمنى ، كأنهم قالوا : ولا نكذّب والله بآيات ربنا ، ونكون والله من المؤمنين ؛ هذا إذا كان على ذا الوجه كان منقطعا من الأوّل ، قال : والرفع وجه الكلام ، لأنه إذا نصب جعلها واو عطف ، فإذا جعلها واو عطف ، فكأنهم قد تمنوا أن لايكذبوا ، وأن يكونوا من المؤمنين ، قال : وهذا والله أعلم لايكون ، لأنهم لم يتمنوا هذا ، إنما تمنوا الردّ ، وأخبروا أنهم لايكذّبون ويكونون من المؤمنين ، وكان بعض نحويى الكوفة يقول : لونصب نكذّب ونكون على الجواب بالواو لكان صوابا ؛ قال : والعرب تجيب بالواو ، وثم ، كما تجيب بالفاء ، يقولون : ليت لى مالا فأعطيك ، وليت لى مالا وأعطيك وثم أعطيك ، قال : وقد تكون نصبا على الصرف(١) ، كقولك : لايسعنى شىء ويعجز عنك .

وقال آخر منهم : لاأحبّ النصب فى هذا ، لأنه ليس بتمنّ منهم ، إنما هو خبر أخبروا به عن أنفسهم ؛ ألا ترى أن الله تعالى قد كذبهم فقال : (وَلَوْ رُدُّوا لَعادُوا لِما نُهُوا عَنْهُ) وإنما يكون التكذيب للخبر لا للتمنى ، وكان بعضهم ينكر أن يكون الجواب بالواو ، وبحرف غير الفاء ، وكان يقول : إنما الواو موضع حال ، لايسعنى شىء ويضيق عنك : أى وهو يضيق عنك ، قال : وكذلك الصرف فى جميع العربية قال : وأما الفاء فجواب جزاء ، ما قمت فآتيك : أى لو قمت لأتيناك ؛ قال : فهذا حكم الصرف والفاء ؛

(١) الصرف : اصطلاح وضعه الفراء من أئمة نحاة الكوفة لعلة نصب الفعل المضارع بعد واو المعية ونصب المفعول معه بعد الواو ، والظرف إذا وقع خبرا عن المبتدإ ، لمخالفة كل منها ماقبله فى المعنى ، فجعل النصب علامة لتلك المخالفة .

قال : وأما قوله (وَلَا نُكَذِّبَ ـ ونكُونَ) فإنما جاز ، لأنهم قالوا : يا ليتنا نردّ فى غير الحال التى وُقِفْنا فيها على النار ، فكان وقفهم فى تلك ، فتمنوا أن لايكونوا وقفوا فى تلك الحال ، وكأن معنىَ صاحب هذه المقالة فى قوله : هذا ولو ترى إذ وُقِفوا على النار ، فقالوا : قد وقفنا عليها مكذّبين بآيات ربنا كفارا ، فياليتنا نردّ إليها ، فنوقف عليها غير مكذّبين بآيات ربنا ، ولا كفارا . وهذا تأويل يدفعه ظاهر التنزيل، وذلك قول الله تعالى (وَلَوْ رُدُّوا لَعَادُوا لِمَا نُهُوا عَنْهُ وَإِنَّهُم لكاذِبُونَ) فأخبر الله تعالى أنهم فى قيلهم ذلك كذبة ، والتكذيب لايقع فى التمنى ، ولكن صاحب هذه المقالة أظنّ به أنه لم يتدبر التأويل ، ولزم سنن العربية ، والقراءة التى لاأختار غيرها فى ذلك (يا لَيْتَنا نُرَدُّ وَلا نُكَذِّبُ بِآياتِ رَبِّنا ، وَنَكُونُ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ) بالرفع فى كليهما ، بمعنى : يا ليتنا نردّ ، ولسنا نكذّب بآيات ربنا إن رددنا ، ولكنا نكون من المؤمنين على وجه الخبر منهم عما يفعلون ، إن هم ردّوا إلى الدنيا ، لاعلى التمنى منهم أن لايكذّبوا بآيات ربهم ، ويكونوا من المؤمنين ، لأن الله تعالى ذكره قد أخبر عنهم أنهم لو ردّوا لعادوا لما نهوا عنه ، وأنهم كذبة فى قيلهم ذلك ، ولو كان قيلهم ذلك على وجه التمنى لاستحال تكذيبهم فيه ، لأن التمنى لايكذّب ، وإنما يكون التصديق والتكذيب فى الأخبار . وأما النصب فى ذلك ، فإنى أظنّ بقارئه أنه برجاء تأويل قراءة عبد الله التى ذكرناها عنه ، وذلك قراءته ذلك (يا لَيْتَنا نُرَدُّ فَلا نُكَذِّبَ بِآياتِ رَبِّنا وَنَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ) على وجه جواب التمنى بالفاء ، وهو إذا قرئ بالفاء كذلك لاشكّ فى صحة إعرابه ؛ ومعناه فى ذلك ، أن تأويله : إذا قرئ كذلك : لو أنا رُددنا إلى الدنيا ما كذّبنا بآيات ربنا ، ولكنا من المؤمنين ، فإن يكن الذى حكى عن العرب من السماع منهم الجواب بالواو ، وثم ، كهيئة الجواب بالفاء صحيحا ، فلا شكّ فى صحة قراءة من قرأ ذلك (يا لَيْتَنا نُرَدُّ وَلا نُكَذِّبَ بِآياتِ رَبِّنا وَنَكُونَ) نصبا على جواب التمنى بالواو ، على تأويل قراءة عبد الله ذلك بالفاء ، وإلا فإن القراءة بذلك بعيدة المعنى من تأويل التنزيل ، ولست أعلم سماع ذلك من العرب صحيحا ، بل المعروف من كلامها الجواب بالفاء والصرف بالواو .

القول فى تأويل قوله تعالى :

بَلْ بَدَا لَهُم مَّا كَانُوا يُخْفُونَ مِن قَبْلُ وَلَوْ رُدُّوا لَعَادُوا لِمَا نُهُوا عَنْهُ وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ ﴿٢٨﴾

يقول تعالى ذكره : ما قصد هؤلاء العادلين بربهم ، الجاحدين نبوّتك يا محمد فى قيلهم إذا وقفوا على النار : يا ليتنا نردّ ولا نكذّب بآيات ربنا ونكون من المؤمنين ، الأسى والندم على ترك الإيمان بالله، والتصديق بك ، لكن بهم الإشفاق مما هو نازل بهم من عقاب الله ، وأليم عذابه على معاصيهم التى كانوا يخفونها عن أعين الناس ، ويسترونها منهم ، فأبداها الله منهم يوم القيامة ، وأظهرها على رءوس الأشهاد ، ففضحهم بها ؛ ثم جازاهم بها جزاءهم ، يقول (بَلْ بَدَا لَهُمْ ما كانُوا يُخْفُونَ) من أعمالهم السيئة التى كانوا يخفونها (مِنْ قَبْلُ) ذلك فى الدنيا ، فظهرت (وَلَوْ رُدُّوا) يقول : ولو ردّوا إلى الدنيا فأمهلوا

(لَعادُوا لِمَا نُهُوا عَنْهُ) يقول : لرجعوا إلى مثل العمل الذى كانوا يعملونه فى الدنيا قبل ذلك من جحود آيات الله ، والكفر به ، والعمل بما يسخط عليهم ربهم (وإنَّهُمْ لَكاذِبُونَ) فى قيلهم : لو رُددنا لم نكذّب بآيات ربنا ، وكنا من المؤمنين ، لأنهم قالوه حين قالوه خشية العذاب ، لا إيمانا بالله .

وبالذى قلنا فى ذلك ، قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنى محمد بن الحسين ، قال : ثنا أحمد بن المفضل ، قال : ثنا أسباط ، عن السدىّ (بَلْ بَدَا لَهُمْ ما كانُوا يُخْفُونَ مِنْ قَبْلُ) يقول : بدت لهم أعمالهم فى الآخرة التى أخفوها فى الدنيا .

حدثنا الحسن بن يحيى ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا معمر ، عن قتادة ، فى قوله (بَلْ بَدَا لَهُمْ ما كانُوا يُخْفُونَ مِنْ قَبْلُ) قال : من أعمالهم .

حدثنا بشر بن معاذ ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (وَلَوْ رُدُّوا لَعادُوا لِمَا نُهُوا عَنْهُ) يقول : ولو وصل الله لهم دنيا كدنياهم ، لعادوا إلى أعمالهم أعمال السوء .

القول فى تأويل قوله تعالى :

وَقَالُوٓاْ إِنْ هِىَ إِلَّا حَيَاتُنَا ٱلدُّنْيَا وَمَا نَحْنُ بِمَبْعُوثِينَ ﴿٢٩﴾

❁ وهذا خبر من الله تعالى ذكره عن هؤلاء المشركين العادلين به الأوثان والأصنام الذين ابتدأ هذه السورة بالخبر عنهم ، يقول تعالى ذكره (وَقالُوا إنْ هِيَ إلاَّ حَيَاتُنا الدُّنْيا) يخبر عنهم أنهم ينكرون أن الله يحيى خلقه بعد أن يميتهم ، ويقولون : لاحياة بعد الممات ، ولا بعث ، ولا نشور بعد الفناء ، فهم بجحودهم ذلك ، وإنكارهم ثواب الله وعقابه فى الدار الآخرة ، لايبالون ما أتوا ، وما ركبوا من إثم ومعصية ، لأنهم لايرجون ثوابا على إيمان بالله ، وتصديق برسوله ، وعمل صالح بعد موت ، ولا يخافون عقابا على كفرهم بالله ورسوله ، وشىء من عمل يعملونه . وكان ابن زيد يقول : هذا خبر من الله تعالى عن هؤلاء الكفرة الذين وُقفوا على النار ، أنهم لو ردّوا إلى الدنيا لقالوا : (إنْ هِيَ إلاَّ حَيَاتُنا الدُّنْيَا وَما نَحْنُ بِمَبْعُوثِينَ) .

حدثنا يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله (وَلَوْ رُدُّوا لَعادُوا لِمَا نُهُوا عَنْهُ) وقالوا حين يردّون (إنْ هِيَ إلاَّ حياتُنا الدُّنْيا وَما نَحْنُ بِمَبْعُوثِينَ) .

القول فى تأويل قوله تعالى :

وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذْ وُقِفُواْ عَلَىٰ رَبِّهِمْ قَالَ أَلَيْسَ هَٰذَا بِٱلْحَقِّ قَالُواْ بَلَىٰ وَرَبِّنَا قَالَ فَذُوقُواْ ٱلْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ ﴿٣٠﴾ "

❁ يقول تعالى ذكره (لَوْ تَرَى) يا محمد هؤلاء القائلين : ما هى إلا حياتنا الدنيا ، وما نحن بمبعوثين

(إِذْ وُقِفُوا) يوم القيامة : أى حبسوا (على رَبِّهِمْ) يعنى : على حكم الله وقضائه فيهم (قالَ أَلَيْسَ هَذَا بالحَقِّ ؟) يقول : فقيل لهم : أليس هذا البعث والنشر بعد الممات الذى كنتم تنكرونه فى الدنيا حقا ؟ فأجابوا فـ(قالُوا بَلَى) والله إنه لحقّ (قالَ فَذُوقُوا العَذَابَ) يقول : فقال الله تعالى ذكره لهم : فذوقوا العذاب الذى كنتم به فى الدنيا تكذّبون (بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ) يقول : بتكذيبكم به وجحودكموه الذى كان منكم فى الدنيا .

القول في تأويل قوله تعالى :

﴿ قَدْ خَسِرَ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِلِقَاءِ اللَّهِ حَتَّىٰ إِذَا جَاءَتْهُمُ السَّاعَةُ بَغْتَةً قَالُوا يَا حَسْرَتَنَا عَلَىٰ مَا فَرَّطْنَا فِيهَا وَهُمْ يَحْمِلُونَ أَوْزَارَهُمْ عَلَىٰ ظُهُورِهِمْ ۚ أَلَا سَاءَ مَا يَزِرُونَ ﴿٣١﴾ ﴾

يعنى تعالى ذكره بقوله (قَدْ خَسِرَ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِلِقَاءِ اللهِ) قد هلك ووكس فى بيعهم الإيمان بالكفر الذين كذّبوا بلقاء الله ، يعنى : الذين أنكروا البعث بعد الممات ، والثواب والعقاب ، والجنة والنار ، من مشركى قريش ، ومن سلك سبيلهم فى ذلك (حتى إذا جاءَتْهُمُ السَّاعَةُ) يقول : حتى إذا جاءتهم الساعة التى يبعث الله فيها الموتى من قبورهم ، وإنما أدخلت الألف واللام فى الساعة ، لأنها معروفة المعنى عند المخاطبين بها ، وأنها مقصود بها قصد الساعة التى وصفت ، ويعنى بقوله (بَغْتَةً) : فجأة من غير علم من تفجؤه بوقت مفاجأتها إياه ، يقال منه : بغتّه أبغته بغتة : إذا أخذته ، كذلك (قالُوا ياحَسْرَتَنا على ما فَرَّطْنا فِيها) يقول تعالى ذكره : وكس الذين كذّبوا بلقاء الله ، ببيعهم منازلهم من الجنة ، بمنازل من اشتروا منازله من أهل الجنة ، من النار ، فإذا جاءتهم الساعة بغتة ، قالوا إذا عاينوا ما باعوا وما اشتروا ، وتبيّنوا خسارة صفقة بيعهم التى سلفت منهم فى الدنيا تندما وتلهفا على عظيم الغبن الذى غبنوه أنفسهم ، وجليل الخسران الذى لا خسران أجلّ منه (يا حَسْرَتَنا على ما فَرَّطْنا فِيها) يقول : يا ندامتنا على ما ضيعنا فيها ، يعنى فى صفقتهم تلك ، والهاء والألف فى قوله (فِيها) من ذكر الصفقة ، ولكن اكتفى بدلالة قوله (قَدْ خَسِرَ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِلِقاءِ اللهِ) عليها من ذكرها ، إذ كان معلوما أن الخسران لا يكون إلا فى صفقة بيع قد خسرت .

وإنما معنى الكلام : قد وكس الذين كذّبوا بلقاء الله ، ببيعهم الإيمان الذى يستوجبون به من الله رضوانه وجنته بالكفر ، الذى يستوجبون به منه سخطه وعقوبته ، ولا يشعرون ما عليهم من الخسران فى ذلك حتى تقوم الساعة ، فإذا جاءتهم الساعة بغتة ، فرأوا ما لحقهم من الخسران فى بيعهم ، قالوا حينئذ تندما (يا حَسْرَتَنا على ما فَرَّطْنا فِيها) .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك ، قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنى محمد بن الحسين ، قال : ثنا أحمد بن المفضل ، قال : ثنا أسباط ، عن السدىّ ، قوله :

(يا حَسْرَتَنا على ما فرَّطْنا فيها) أما يا حسرتنا : فندامتنا على ما فرّطنا فيها ، فضيعنا من عمل الجنة .

حدثنا محمد بن عمارة الأسدىّ ، قال : ثنا يزيد بن مهران ، قال : ثنا أبو بكر بن عياش ، عن الأعمش ، عن أبى صالح ، عن أبى سعيد ، عن النبىّ صلى الله عليه وسلم ، فى قوله (يا حَسْرَتَنا) قال : « يرَى أهْلُ النَّارِ مَنازِلَهُمْ مِنَ الجنَّةِ فيَقُولُونَ ياحَسْرَتَنا » .

القول فى تأويل قوله تعالى ﴿وَهُمْ يَحْمِلُونَ أوْزَارَهُمْ على ظُهُورِهِمْ ، ألا ساءَ مايَزِرُونَ﴾ :

يقول تعالى ذكره : وهؤلاء الذين كذّبوا بلقاء الله (يَحْمِلُونَ أوْزَارَهُمْ على ظُهُورِهِمْ) ، وقوله (وَهُمْ) من ذكرهم يحملون أوزارهم ، يقول : آثامهم وذنوبهم ، واحدها وزر ، يقال منه : وزر الرجل يزر : إذا أثم ، فإن أريد أنهم أثموا ، قيل : قد وزر القوم فهم يوزرون وهم موزورون . وقد زعم بعضهم : أن الوزر : الثقل والحمل ، ولست أعرف ذلك كذلك فى شاهد ، ولا من رواية ثقة عن العرب ، وقال تعالى ذكره (على ظُهُورِهِمْ) لأن الحمل قد يكون على الرأس والمنكب وغير ذلك ، فبيّن موضع حملهم ما يحملون من ذلك ، وذكر أن حملهم أوزارهم يؤمئذ على ظهورهم .

نحو الذى حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا الحكم بن بشير بن سليمان ، قال : ثنا عمرو بن قيس الملائى ، قال : إن المؤمن إذا خرج من قبره استقبله عمله فى أحسن صورة ، وأطيبه ريحا ، فيقول له : هل تعرفنى؟ فيقول : لا ، إلا أن الله قد طيب ريحك ، وحسن صورتك ، فيقول : كذلك كنت فى الدنيا أنا عملك الصالح ، طالما ركبتك فى الدنيا ، فاركبنى أنت اليوم ، وتلا (يَوْمَ نَحْشُرُ المُتَّقِينَ إلى الرَّحْمَنِ وَفْدًا) . وإن الكافر يستقبله أقبح شىء صورة ، وأنتنه ريحا ، فيقول : هل تعرفنى ؟ فيقول : لا إلا أن الله قد قبّح صورتك ، وأنتن ريحك ، فيقول : كذلك كنت فى الدنيا ، أنا عملك السيءُ طالما ركبتنى فى الدنيا ، فأنا اليوم أركبك ، وتلا (وَهُمْ يَحْمِلُونَ أوْزَارَهُمْ على ظُهُورِهِمْ ، ألا ساءَ مايَزِرُونَ)

حدثنا محمد بن الحسين ، قال : ثنا أحمد بن المفضل ، قال : ثنا أسباط ، عن السدىّ (وَهُمْ يَحْمِلُونَ أوْزَارَهُمْ على ظُهُورِهِمْ) قال : ليس من رجل ظالم يموت فيدخل قبره ، إلا جاء رجل قبيح الوجه ، أسود اللون ، منتن الريح ، عليه ثياب دنسة ، حتى يدخل معه قبره ، فإذا رآه قال له : ما أقبح وجهك ؟ قال : كذلك كان عملك قبيحا ، قال : ما أنتن ريحك ؟ قال : كذلك كان عملك منتنا ، قال : ما أدنس ثيابك ؟ قال : فيقول : إن عملك كان دنسا ، قال : من أنت ؟ قال : أنا عملك ، قال : فيكون معه فى قبره ؛ فإذا بعث يوم القيامة ، قال له : إنى كنت أحملك فى الدنيا باللذات والشهوات ، فأنت اليوم تحملنى ، قال : فيركب على ظهره فيسوقه حتى يدخله النار ، فذلك قوله (يَحْمِلُونَ أوْزَارَهُمْ على ظُهُورِهِمْ) .

وأما قوله تعالى (ألا ساءَ ما يَزِرُونَ) فإنه يعنى : ألا ساء الوزر الذى يزرون : أى الإثم الذى يأثمونه بكفرهم بربهم .

كما حدثنا الحسن بن يحيى ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا معمر ، عن قتادة ، فى قوله (ألا ساءَ ما يَزِرُونَ) قال : ساء ما يعملون .

القول في تأويل قوله تعالى :

وَمَا ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَآ إِلَّا لَعِبٞ وَلَهۡوٞۖ وَلَلدَّارُ ٱلۡأٓخِرَةُ خَيۡرٞ لِّلَّذِينَ يَتَّقُونَۚ أَفَلَا تَعۡقِلُونَ ﴿٣٢﴾

⁂ وهذا تكذيب من الله تعالى ذكره هؤلاء الكفار المنكرين البعث بعد الممات فى قولهم (إنْ هِيَ إلاَّ حَيَاتُنا الدُّنْيا وَما نَحْنُ بِمَبْعُوثِينَ) يقول تعالى ذكره مكذبا لهم فى قيلهم ذلك (ما الحَيَاةُ الدُّنْيا) أيها الناس (إلاَّ لَعِبٌ ولَهْوٌ) يقول : ما باغى لذّات الحياة التى أدنيت لكم ، وقرّبت منكم فى داركم هذه ، ونعيمها وسرورها فيها ، والمتلذّذ بها ، والمنافس عليها ، إلا فى لعب ولهو ، لأنها عما قليل تزول عن المستمتع بها ، والمتلذّذ فيها بملاذها ، أو تأتيه الأيام بفجائعها وصروفها ، فتمرّ عليه ، وتكرّ كاللاعب اللاهى الذى يسرع اضمحلال لهوه ولعبه عنه ، ثم يعقبه منه ندما ، ويورثه منه ترحا ، يقول : لاتغترّوا أيها الناس بها ، فإن المغترّ بها عما قليل يندم (وللدّارُ الآخِرَةُ خَيْرٌ للّذِينَ يَتَّقُونَ) يقول : وللعمل بطاعته ، والاستعداد للدار الآخرة بالصالح من الأعمال التى تبقى منافعها لأهلها ، ويدوم سرور أهلها ، فيها خير من الدار التى تفنى ، فلا يبقى لعمالها فيها سرور ، ولا يدوم لهم فيها نعيم (للّذِينَ يَتَّقُونَ) يقول : للذين يخشون الله فيتقونه بطاعته ، واجتناب معاصيه ، والمسارعة إلى رضاه (أفَلا تَعْقِلُونَ) يقول : أفلا يعقل هؤلاء المكذّبون بالبعث حقيقة ما نخبرهم به من أن الحياة الدنيا لعب ولهو ، وهم يرون من يخترم منهم ، ومن يهلك فيموت ، ومن تنوبه فيها النوائب ، وتصيبه المصائب ، وتفجعه الفجائع ، ففى ذلك لمن عقل مدّكر ومزدجر عن الركون إليها ، واستعباد النفس لها ، ودليل واضح على أن لها مدبرا ومصرفا يلزم الخلقَ إخلاصُ العبادة له بغير إشراك شيء سواه معه .

القول في تأويل قوله تعالى :

قَدۡ نَعۡلَمُ إِنَّهُۥ لَيَحۡزُنُكَ ٱلَّذِي يَقُولُونَۖ فَإِنَّهُمۡ لَا يُكَذِّبُونَكَ وَلَٰكِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ يَجۡحَدُونَ ﴿٣٣﴾

⁂ يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم : قد نعلم يا محمد إنه ليحزنك الذى يقول المشركون ، وذلك قولهم له : إنه كذّابٌ ، فإنهم لايكذّبونك .

واختلفت القرّاء فى قراءة ذلك(١) بمعنى : أنهم لايكذّبونك فيما أتيتهم به من وحى الله ، ولا يدفعون أن يكون ذلك صحيحا ، بل يعلمون صحته ، ولكنهم يجحدون حقيقته قولا فلا يؤمنون به . وكان بعض أهل العلم بكلام العرب يحكى عن العرب أنهم يقولون : أكذبتَ الرجل : إذا أخبرت أنه جاء بالكذب ورواه .

(١) فيه سقط من الناسخ ، ولعل أصله فقرأته جماعة « لايكذبونك » بالتخفيف بمعنى الخ تأمل .

قال : ويقولون : كذبته : إذا أخبرت أنه كاذب . وقرأته جماعة من قرّاء المدينة والعراقيين والكوفة والبصرة (فَإِنَّهُمْ لايُكَذِّبونَكَ) بمعنى : أنهم لايكذّبونك علما، بل يعلمون أنك صادق ، ولكنهم يكذّبونك قولا ، عنادا وحسدا .

والصواب من القول فى ذلك عندى ، أن يقال : إنهما قراءتان مشهورتان ، قد قرأ بكلّ واحدة منهما جماعة من القرّاء ، ولكل واحدة منهما فى الصحة مخرج مفهوم . وذلك أن المشركين لاشكّ أنه كان منهم قوم يكذّبون رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ويدفعونه عما كان الله تعالى خصه به من النبوّة ؛ فكان بعضهم يقول : هو شاعر ، وبعضهم يقول : هو كاهن ، وبعضهم يقول : هو مجنون ، وينفى جميعهم أن يكون الذى أتاهم به من وحى السماء ، ومن تنزيل ربّ العالمين قولا . وكان بعضهم قد تبين أمره ، وعلم صحة نبوّته ، وهو فى ذلك يعاند ويجحد نبوّته حسدا له وبغيا ، فالقارئ « فإنهم لايكذّبونك » يعنى به : أن الذين كانوا يعرفون حقيقة نبوّتك ، وصدق قولك فيما تقول ، يجحدون أن يكون ما تتلوه عليهم من تنزيل الله ، ومن عند الله قولا ، وهم يعلمون أن ذلك من عند الله علما صحيحا ، مصيب لما ذكرنا من أنه قد كان فيهم من هذه صفته . وفى قول الله تعالى فى هذه السورة (الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الكِتابَ يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمْ) أوضح الدليل على أنه قد كان فيهم العناد فى جحود نبوّته صلى الله عليه وسلم ، مع علم منهم به وصحة نبوّته ، وكذلك القارئ فإنهم لايكذبونك : يعنى : أنهم لايكذّبون رسول الله صلى الله عليه وسلم إلا عنادا لاجهلا بنبوّته ، وصدق لهجته ، مصيب لما ذكرنا من أنه قد كان فيهم مَن هذه صفته، وقد ذهب إلى كلّ واحد من هذين التأويلين ، جماعة من أهل التأويل .

ذكر من قال : معنى ذلك : فإنهم لايكذّبونك ، ولكنهم يجحدون الحقّ على علم منهم بأنك نبىّ الله صادق :

حدثنا هناد ، قال : ثنا أبومعاوية، عن إسماعيل بن أبى خالد ، عن أبى صالح، فى قوله (قَدْ نَعْلَمُ إِنَّهُ لَيَحْزُنُكَ الَّذِى يَقُولُونَ فَإِنَّهُمْ لايُكَذِّبُونَكَ) قال : جاء جبريل إلى النبىّ صلى الله عليه وسلم ذات يوم وهو جالس حزين ، فقال له : مايحزنك ؟ فقال : كذّبنى هؤلاء ، قال: فقال له جبريل: إنهم لايكذّبونك ، هم يعلمون أنك صادق (وَلَكِنَّ الظَّالِمِينَ بِآيَاتِ اللهِ يَجْحَدُونَ) .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبو معاوية ، عن إسماعيل ، عن أبى صالح ، قال : جاء جبريل إلى النبىّ صلى الله عليه وسلم وهو جالس حزين ، فقال له : ما يحزنك ؟ فقال : كذّبنى هؤلاء ، فقال له جبريل: إنهم لايكذّبونك ، إنهم ليعلمون أنك صادق (وَلَكِنَّ الظَّالِمِينَ بِآيَاتِ اللهِ يَجْحَدُونَ) .

حدثنا الحسن بن يحيى ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا معمر ، عن قتادة ، فى قوله (وَلَكِنَّ الظَّالِمِينَ بِآيَاتِ اللهِ يَجْحَدُونَ) قال: يعلمون أنك رسول الله ويجحدون .

حدثنا محمد بن الحسين ، قال : ثنا أحمد بن المفضل ، قال : ثنا أسباط : عن السدىّ ، فى قوله (قَدْ نَعْلَمُ إِنَّهُ لَيَحْزُنُكَ الَّذِى يَقُولُونَ ، فَإِنَّهُمْ لايُكَذِّبُونَكَ ، وَلَكِنَّ الظَّالِمِينَ بِآيَاتِ اللهِ

يَجْحَدُونَ) لما كان يوم بدر ، قال الأخنس بن شريق لبنى زهرة : يا بنى زهرة ، إن محمدا ابن أختكم ، فأنتم أحقّ من كفّ عنه ؛ فإنه إن كان نبيا لم تقاتلونه اليوم ؟ وإن كان كاذبا كنتم أحقّ من كفّ عن ابن أخته ، قفوا ههنا حتى ألقى أبا الحكم ، فإن غلب محمد صلى الله عليه وسلم رجعتم سالمين ، وإن غُلب محمد فإن قومكم لايصنعون بكم شيئا ، فيومئذ سمى الأخنس ، وكان اسمه أبىّ ، فالتقى الأخنس وأبو جهل ، فخلا الأخنس بأبى جهل ، فقال : يا أبا الحكم ، أخبرنى عن محمد أصادق هو أم كاذب ؟ فإنه ليس ههنا من قريش أحد غيرى وغيرك يسمع كلامنا ، فقال أبو جهل : ويحك ، والله إن محمدا لصادق ، وما كذب محمد قطّ ، ولكن إذا ذهب بنوقصىّ باللواء والحجابة والسقاية والنبوّة ، فماذا يكون لسائر قريش ؟ فذلك قوله (فَإِنَّهُمْ لايُكَذِّبُونَكَ وَلَكِنَّ الظَّالِمِينَ بِآيَاتِ اللهِ يَجْحَدُونَ) فآيات الله محمد صلى الله عليه وسلم .

حدثنى الحرث بن محمد ، قال : ثنا عبد العزيز ، قال : ثنا قيس ، عن سالم الأفطس ، عن سعيد بن جبير (فَإِنَّهُمْ لايُكَذِّبُونَكَ) قال : ليس يكذّبون محمدا (وَلَكِنَّ الظَّالِمِينَ بِآيَاتِ اللهِ يَجْحَدُونَ) .

ذكر من قال ذلك بمعنى : فإنهم لايكذّبونك ، ولكنهم يكذّبون ما جئت به .

حدثنا محمد بن بشار ، قال : ثنا عبدالرحمن بن مهدى ، قال : ثنا سفيان ، عن أبى إسحاق ، عن ناجية . قال : قال أبو جهل للنبىّ صلى الله عليه وسلم : ما نتهمك ، ولكن نتهم الذى جئت به ، فأنزل الله تعالى (فَإِنَّهُمْ لايُكَذِّبُونَكَ وَلَكِنَّ الظَّالِمِينَ بِآيَاتِ اللهِ يَجْحَدُونَ) .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا يحيى بن آدم ، عن سفيان ، عن أبى إسحاق ، عن ناجية بن كعب ، أن أبا جهل قال للنبىّ صلى الله عليه وسلم : إنا لانكذّبك ، ولكن نكذّب الذى جئت به ، فأنزل الله تعالى (فَإِنَّهُمْ لايُكَذِّبُونَكَ وَلَكِنَّ الظَّالِمِينَ بِآيَاتِ اللهِ يَجْحَدُونَ) .

وقال آخرون : معنى ذلك : فإنهم لايبطلون ما جئتهم به .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا إسحاق بن سليمان ، عن أبى معشر ، عن محمد بن كعب (فَإِنَّهُمْ لايُكَذِّبُونَكَ) قال : لايبطلون ما فى يديك .

وأما قوله (وَلَكِنَّ الظَّالِمِينَ بِآيَاتِ اللهِ يَجْحَدُونَ) فإنه يقول : ولكن المشركين بالله بحجج الله وآى كتابه ورسوله يجحدون ، فينكرون صحة ذلك كله . وكان السدىّ يقول : الآيات فى هذا الموضع معنىّ بها محمد صلى الله عليه وسلم ، وقد ذكرنا الرواية بذلك عنه قبل .

القول فى تأويل قوله تعالى :

وَلَقَدْ كُذِّبَتْ رُسُلٌ مِّن قَبْلِكَ فَصَبَرُوا عَلَىٰ مَا كُذِّبُوا وَأُوذُوا حَتَّىٰ أَتَاهُمْ نَصْرُنَا وَلَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِ اللَّهِ وَلَقَدْ جَاءَكَ مِن نَّبَإِ الْمُرْسَلِينَ ﴿٣٤﴾

❁ وهذا تسلية من الله تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم، وتعزية له عما ناله من المساءة بتكذيب قومه إياه على ما جاءهم به من الحق من عند الله، يقول تعالى ذكره : إن يكذبك يا محمد هؤلاء المشركون من قومك ، فيجحدوا نبوتك ، وينكروا آيات الله أنها من عنده، فلا يحزنك ذلك ، واصبر على تكذيبهم إياك ، وما تلقى منهم من المكروه فى ذات الله ، حتى يأتى نصر الله ، فقد كُذّبت رسل من قبلك، أرسلتهم إلى أممهم ، فنالوهم بمكروه ، فصبروا على تكذيب قومهم إياهم ، ولم يثنهم ذلك من المضى لأمر الله الذى أمرهم به من دعاء قومهم إليه ، حتى حكم الله بينهم وبينهم ، ولا مبدل لكلمات الله، ولا مغير لكلمات الله ؛ وكلماته تعالى : ما أنزل الله إلى نبيه محمد صلى الله عليه وسلم من وعده إياه النصر على من خالفه وضاده ، والظفر على من تولى عنه وأدبر،ولقد جاءك من نبإ المرسلين ، يقول : ولقد جاءك يا محمد من خبر من كان قبلك من الرسل ، وخبر أممهم ، وما صنعتُ بهم حين جحدوا آياتى ، وتمادوا فى غيهم وضلالهم أنباء ، وترك ذكر أنباء ، لدلالة من عليها ، يقول تعالى ذكره : فانتظر أنت أيضا من النصرة والظفر ، مثل الذى كان منى فيمن كان قبلك من الرسل ، إذ كذبهم قومك ، واقتد بهم فى صبرهم على ما لقوا من قومهم .

وبنحو ذلك تأوّل من تأوّل هذه الآية من أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر بن معاذ ، قال : ثنا يزيد بن زريع ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (وَلَقَدْ كُذِّبَتْ رُسُلٌ مِنْ قَبْلِكَ فَصَبَرُوا على ما كُذِّبُوا) يعزى نبيه صلى الله عليه وسلم كما تسمعون، ويخبره أن الرسل قد كذبت قبله ، فصبروا على ما كذبوا حتى حكم الله وهو خير الحاكمين .

حدثنى المثنى ، قال : ثنا إسحاق ، قال : ثنا أبو زهير ، عن جويبر ، عن الضحاك (وَلَقَدْ كُذِّبَتْ رُسُلٌ مِنْ قَبْلِكَ) قال : يعزى نبيه صلى الله عليه وسلم .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج (وَلَقَدْ كُذِّبَتْ رُسُلٌ مِنْ قَبْلِكَ) . . . الآية ، قال : يعزّى نبيه صلى الله عليه وسلم .

القول في تأويل قوله تعالى :

وَإِن كَانَ كَبُرَ عَلَيْكَ إِعْرَاضُهُمْ فَإِنِ ٱسْتَطَعْتَ أَن تَبْتَغِىَ نَفَقًا فِى ٱلْأَرْضِ أَوْ سُلَّمًا فِى ٱلسَّمَآءِ فَتَأْتِيَهُم بِـَٔايَةٍ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَجَمَعَهُمْ عَلَى ٱلْهُدَىٰ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْجَٰهِلِينَ ﴿٣٥﴾

❁ يقول تعالى ذكره : إن كان عظم عليك يا محمد إعراض هؤلاء المشركين عنك ، وانصرافهم عن تصديقك فيما جئتهم به من الحق الذى بعثتك به ، فشق ذلك عليك ، ولم تصبر لمكروه ما ينالك منهم ، فإن (اسْتَطَعْتَ أَنْ تَبْتَغِيَ نَفَقًا فِي الأَرْضِ) يقول : فإن استطعت أن تتخذ سربا فى الأرض ، مثل

نافقاء اليربوع ، وهى أحد جحرته ، فتذهب فيه (أَوْ سُلَّمًا فِى السَّمَاءِ) يقول : أو مصعدا تصعد فيه كالدرج وما أشبهها ، كما قال الشاعر :

لا يُحْرِزُ المَرْءَ أَحْجاءَ البِلادِ وَلا يُبْنَى لَهُ فى السَّمَوَاتِ السَّلالِيمُ [١]

(فَتَأْتِيَهُمْ بِآيَةٍ) يعنى بعلامة وبرهان على صحة قولك ، غير الذى أتيتك فافعل .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك ، قال بعض أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا المثنى ، قال : ثنا عبد الله بن صالح ، قال : ثنى معاوية بن صالح ، عن علىّ بن أبى طلحة ، عن ابن عباس ، قوله (وَإِنْ كَانَ كَبُرَ عَلَيْكَ إِعْرَاضُهُمْ فَإِنِ اسْتَطَعْتَ أَنْ تَبْتَغِىَ نَفَقًا فِى الأَرْضِ أَوْ سُلَّمًا فِى السَّمَاءِ) والنفق : السرب ، فتذهب فيه فتأتيهم بآية ، أو تجعل لك سلما فى السماء ، فتصعد عليه ، فتأتيهم بآية أفضل مما أتيناهم به فافعل .

حدثنا الحسن بن يحيى ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا معمر ، عن قتادة فى قوله (فانِ اسْتَطَعْتَ أَنْ تَبْتَغِىَ نَفَقًا فِى الأَرْضِ) قال : سربا (أَوْ سُلَّمًا فِى السَّمَاءِ) قال : يعنى الدرج .

حدثنى محمد بن الحسين ، قال : ثنا أحمد بن المفضل ، قال : ثنا أسباط ، عن السدىّ (وَإِنْ كَانَ كَبُرَ عَلَيْكَ إِعْرَاضُهُمْ ، فانِ اسْتَطَعْتَ أَنْ تَبْتَغِىَ نَفَقًا فِى الأَرْضِ أَوْ سُلَّمًا فِى السَّمَاءِ) أما النفق : فالسرب ، وأما السلم : فالمصعد .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، عن عطاء الخراسانى ، عن ابن عباس ، قوله (نَفَقًا فِى الأَرْضِ) قال : سربا ، وترك جواب الجزاء ، فلم يذكر لدلالة الكلام عليه ، ومعرفة السامعين بمعناه ، وقد تفعل العرب ذلك فيما كان يفهم معناه عند المخاطبين به ، فيقول الرجل منهم للرجل : إن استطعت أن تنهض معنا فى حاجتنا إن قدرت على معونتنا ، ويحذف الجواب ، وهو يريد : إن قدرت على معونتنا فافعل . فأما إذا لم يعرف المخاطب والسامع معنى الكلام إلا بإظهار الجواب لم يحذفوه ، لايقال : إن تقم فتسكت وتحذف الجواب ، لأن المقول ذلك له لايعرف جوابه إلا بإظهاره ، حتى يقال : إن تقم تصب خيرا ، أوإن تقم فحسن ، وما أشبه ذلك ، ونظير ما فى الآية مما حذف جوابه ، وهو مراد لفهم المخاطب لمعنى الكلام قول الشاعر :

فَبِحَظٍّ مِمَّا نَعِيشُ وَلا تَذْهَبْ بِكِ التُّرَّهَاتُ فى الأَهْوَالِ [٢]

القول فى تأويل قوله تعالى : ﴿ وَلَوْ شَاءَ اللهُ لَجَمَعَهُمْ عَلَى الهُدَى فَلا تَكُونَنَّ مِنَ الجَاهِلِينَ ﴾ ؛

يقول تعالى ذكره : إن الذين يكذّبونك من هؤلاء الكفار يا محمد ، فيحزنك تكذيبهم إياك ، لو أشاء

---

(١) البيت لتميم بن أبى مقبل ، استشهد به صاحب اللسان فى حجا ، على أن الحجا : الناحية ، وأحجاء البلاد : نواحيها . والسلاليم : جمع سلم . قال : ويروى : أعناء : وهى النواحى . واحدها عنا ، وذكر البيت أيضا فى (عنا) وفى (سلم) ، وقال : السلم : الدرجة والمرقاة ، يذكر ويؤنث . والياء فى السلاليم زائدة للوزن .

(٢) البيت لعبيد بن الأبرص . وقد سبق استشهاد المؤلف به ، وشرحنا له فى الجزء الثانى ص ٦٨ ، فراجعه ثمة .

أن أجمعهم على استقامة من الدين ، وصواب من محجة الإسلام حتى تكون كلمة جميعكم واحدة ، وملتكم وملتهم واحدة ، بجمعتهم على ذلك ، ولم يكن بعيدا على ، لأنى القادر على ذلك بلطفى ، ولكنى لم أفعل ذلك لسابق علمى فى خلقى ، ونافذ قضائى فيهم من قبل أن أخلقهم ، وأصور أجسامهم (فَلَا تَكُونَنَّ) يامحمد (مِنَ الْجَاهِلِينَ) يقول : فلا تكونن ممن لايعلم أن الله لوشاء لجمع على الهدى جميع خلقه بلطفه ، وأن من يكفر به من خلقه إنما يكفر به لسابق علم الله فيه ، ونافذ قضائه بأنه كائن من الكافرين به اختيارا لا اضطرارا ، فإنك إذا علمت صحة ذلك لم يكبر عليك إعراض من أعرض من المشركين عما تدعوه إليه من الحق ، وتكذيب من كذبك منهم .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك ، قال بعض أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنى المثنى ، قال : ثنا عبد الله بن صالح ، قال : ثنى معاوية بن صالح ، عن على بن أبى طلحة ، عن ابن عباس ، يقول الله سبحانه : لو شئت لجمعتهم على الهدى أجمعين .

❁ وفى هذا الخبر من الله تعالى ، الدلالة الواضحة على خطإ ما قال أهل التفويض من القدرية المنكرون أن يكون عند الله لطائف لمن شاء توفيقه من خلقه ، يلطف بها له حتى يهتدى للحق ، فينقاد له وينيب إلى الرشاد ، فيذعن به ، ويؤثره على الضلال والكفر بالله ، وذلك أنه تعالى ذكره أخبر أنه لوشاء الهداية لجميع من كفر به حتى يجتمعوا على الهدى فعل ، ولا شك أنه لو فعل ذلك بهم كانوا مهتدين لا ضلالا ، وهم لو كانوا مهتدين ، كان لاشك أن كونهم مهتدين كان خيرا لهم ، وفى تركه تعالى ذكره أن يجمعهم على الهدى ترك منه أن يفعل بهم فى دينهم بعض ما هو خير لهم فيه مما هو قادر على فعله بهم ، وقد ترك فعله بهم ، وفى تركه فعل ذلك بهم أوضح الدليل أنه لم يعطهم كل الأسباب التى بها يصلون إلى الهداية ، ويتسببون بها إلى الإيمان .

القول فى تأويل قوله تعالى :

إِنَّمَا يَسْتَجِيبُ الَّذِينَ يَسْمَعُونَ وَالْمَوْتَى يَبْعَثُهُمُ اللَّهُ ثُمَّ إِلَيْهِ يُرْجَعُونَ ﴿٣٦﴾

❁ يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم : لايكبرن عليك إعراض هؤلاء المعرضين عنك ، وعن الاستجابة لدعائك إذا دعوتهم إلى توحيد ربهم ، والإقرار بنبوتك ، فإنه لايستجيب لدعائك إلى ما تدعوه إليه من ذلك ، إلا الذين فتح الله أسماعهم للإصغاء إلى الحق ، وسهل لهم اتباع الرشد ، دون من ختم الله على سمعه ، فلا يفقه من دعائك إياه إلى الله ، وإلى اتباع الحق ، إلا ما تفقه الأنعام من أصوات رعاتها ، فهم كما وصفهم به الله تعالى (صُمٌّ بُكْمٌ عُمْيٌ فَهُمْ لَا يَعْقِلُونَ) ، (وَالْمَوْتَى يَبْعَثُهُمُ اللَّهُ) يقول والكفار يبعثهم الله مع الموتى ، فجعلهم تعالى ذكره فى عداد الموتى الذين لايسمعون صوتا ، ولا يعقلون دعاء ، ولا يفقهون قولا ، إذ كانوا لايتدبرون حجج الله ، ولا يعتبرون آياته ، ولا يتذكرون فينزجروا عماهم عليه من تكذيب رسل الله وخلافهم .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك ، قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبوعاصم ، قال : ثنا عيسى ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد (إنّما يَسْتَجِيبُ الَّذِينَ يَسْمَعُونَ) المؤمنون للذكر (والمَوْتَى) الكفار حين (يَبْعَثُهُمُ اللهُ) مع الموتى .

حدثني المثنى ، قال : ثنا أبوحذيفة ، قال : ثنا شبل ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، مثله .

حدثنا بشر بن معاذ ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (إنّما يَسْتَجِيبُ الَّذِينَ يَسْمَعُونَ) قال : هذا مثل المؤمن سمع كتاب الله ، فانتفع به ، وأخذ به وعقله ، والذين كذّبوا بآياتنا صمّ وبكم ، وهذا مثل الكافر أصمّ أبكم ، لا يبصر هدى ، ولا ينتفع به .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبوأسامة ، عن سفيان الثوريّ ، عن محمد بن جحادة ، عن الحسن (إنّما يَسْتَجِيبُ الَّذِينَ يَسْمَعُونَ) المؤمنون (والمَوْتَى) قال : الكفار .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا عبد الرحمن ، قال : ثنا سفيان ، عن محمد بن جحادة ، قال : سمعت الحسن يقول في قوله (إنّما يَسْتَجِيبُ الَّذِينَ يَسْمَعُونَ والمَوْتَى يَبْعَثُهُمُ اللهُ) قال : الكفار .

وأما قوله (ثُمَّ إلَيْهِ يُرْجَعُونَ) فإنه يقول تعالى : ثم إلى الله يرجعون المؤمنون ، الذين استجابوا لله والرسول والكفار ، الذين يحول الله بينهم وبين أن يفقهوا عنك شيئا ، فيثيب هذا المؤمن على ما سلف من صالح عمله في الدنيا ، بما وعد أهل الإيمان به من الثواب ، ويعاقب هذا الكافر بما أوعد أهل الكفر به من العقاب ، لايظلم أحدا منهم مثقال ذرّة .

القول في تأويل قوله تعالى :

وَقَالُوا لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ آيَةٌ مِنْ رَبِّهِ قُلْ إِنَّ اللَّهَ قَادِرٌ عَلَى أَنْ يُنَزِّلَ آيَةً وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٧﴾

يقول تعالى ذكره : وقال هؤلاء العادلون بربهم ، المعرضون عن آياته (لَوْلا نُزِّلَ عَلَيْهِ آيَةٌ مِنْ رَبِّهِ) يقول : قالوا : هلا نزل على محمد آية من ربه ، كما قال الشاعر :

تَعُدُّونَ عَقْرَ النِّيبِ أفْضَلَ مَجْدِكُمْ بَنِي ضَوْطَرَى لَوْلا الكَمِيَّ المُقَنَّعَا[1]

بمعنى هلا الكميّ . والآية العلامة ، وذلك أنهم قالوا : (ما لِهَذَا الرَّسُولِ يأْكُلُ الطَّعامَ ، ويَمْشِي في الأسْوَاقِ ، لَوْلا أُنْزِلَ إلَيْهِ مَلَكٌ فيكونَ مَعَهُ نَذِيرًا . أوْ يُلْقَى إلَيهِ كَنْزٌ ، أوْ تَكُونُ

(١) البيت لجرير بن الخطفى (ديوانه بشرح الصاوى ص ٣٣٨) وفيه : (سعيكم) فى مكان (مجدكم) و (هلا) فى مكان (لولا) وأورده صاحب اللسان فى (ضطر) ، وصاحب الخزانة (١ : ٤٦١ — ٤٦٣) كما رواه المؤلف . والعقر : ضرب قوائم الناقة بالسيف . والنيب ، جمع ناب : الناقة المسنة . والمجد : الشرف والعز . والضوطرى من الرجال : الضخم اللئيم الذى لاغناء عنده . ولولا بمعنى هلا . والكمى : الشجاع المتكى فى سلاحه (المتستر) . والمقنع : الذى على رأسه البيضة والمغفر . والبيت شاهد عند النحاة على شيئين : الأول : أن تعدون بمعنى : تعتقدون ، متعد لمفعولين . والثانى : أن لولا التحضيضية داخلة على فعل محذوف ، أى هلا تعدون الكمي أفضل مجدكم .

لَهُ جَنَّةٌ يَأْكُلُ مِنْهَا) قال الله تعالى لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم : قل يامحمد لقائلي هذه المقالة لك : إن الله قادر على أن ينزل آية، يعني : حجة على ما يريدون ويسألون (وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ) يقول : ولكن أكثر الذين يقولون ذلك ، فيسألونك آية ، لايعلمون ما عليهم فى الآية إن نزلها من البلاء ، ولا يدرون ما وجه ترك إنزال ذلك عليك ، ولو علموا السبب الذى من أجله لم أنزلها عليك، لم يقولوا ذلك ولم يسألوكه ، ولكن أكثرهم لايعلمون ذلك .

القول في تأويل قوله تعالى:

وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا طَٰٓئِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلَّآ أُمَمٌ أَمْثَالُكُم ۚ مَّا فَرَّطْنَا فِى ٱلْكِتَٰبِ مِن شَىْءٍ ۚ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ ﴿٣٨﴾

يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم : قل لهؤلاء المعرضين عنك ، المكذبين بآيات الله : أيها القوم ، لاتحسبن الله غافلا عما تعملون ، أو أنه غير مجازيكم على ما تكسبون ، وكيف يغفل عن أعمالكم ، أو يترك مجازاتكم عليها ، وهو غير غافل عن عمل شيء دب على الأرض صغير أو كبير ، ولا عمل طائر طار بجناحيه فى الهواء ، بل جعل ذلك كله أجناسا مجنسة ، وأصنافا مصنفة ، تعرف كما تعرفون ، وتتصرف فيما سخرت له كما تتصرفون ، ومحفوظ عليها ماعملت من عمل لها ، عليها ، ومثبت كل ذلك من أعمالها فى أم الكتاب ، ثم إنه تعالى ذكره مميتها ، ثم منشرها ومجازيها يوم القيامة جزاء أعمالها ، يقول : فالرب الذى لم يضيع حفظ أعمال البهائم والدواب فى الأرض والطير فى الهواء حتى حفظ عليها حركاتها وأفعالها ، وأثبت ذلك منها فى أم الكتاب وحشرها ، ثم جازاها على ما سلف منها فى دار البلاء أحرى أن لايضيع أعمالكم ، ولا يفرط فى حفظ أفعالكم التى تجترحونها أيها الناس حتى يحشركم فيجازيكم على جميعها إن خيرا فخيرا ، وإن شرا فشرا ، إذ كان قد خصكم من نعمه ، وبسط عليكم من فضله ما لم يعم به غيركم فى الدنيا ، وكنتم بشكره أحق ، وبمعرفة واجبه عليكم أولى لما أعطاكم من العقل الذى به بين الأشياء تميزون ، والفهم الذى لم يعطه البهائم ، والطير الذى به بين مصالحكم ومضاركم تفرقون .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك ، قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبوعاصم ، قال : ثنا عيسى ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، فى قوله (أُمَمٌ أَمْثَالُكُمْ) أصناف مصنفة تعرف بأسمائها .

حدثنى المثنى ، قال : ثنا أبوحذيفة ، قال : ثنا شبل ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، مثله .

حدثنا الحسن بن يحيى ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا معمر ، عن قتادة ، فى قوله

(وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الأَرْضِ ، وَلا طائِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إلاَّ أُمَمٌ أَمْثالُكُمْ) يقول: الطير أمة ، والإنس أمة ، والجنّ أمة .

حدثني محمد بن الحسين ، قال : ثنا أحمد بن مفضل ، قال : ثنا أسباط ، عن السدىّ ، قوله (إلاَّ أُمَمٌ أَمْثالُكُمْ) يقول : إلا خلقٌ أمثالُكم .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، فى قوله (وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الأَرْضِ ، وَلا طائِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إلاَّ أُمَمٌ أَمْثالُكُمْ) قال : الذرّة فما فوقها من ألوان ماخلق الله من الدوابّ .

وأما قوله (ما فَرَّطْنا فِي الكِتابِ مِنْ شَيْءٍ) فإن معناه : ما ضيعنا إثبات شىء منه .

كالذى حدثنى المثنى ، قال : ثنا عبد الله بن صالح ، قال : ثنى معاوية بن صالح ، عن علىّ بن أبى طلحة ، عن ابن عباس (مافَرَّطْنا فِي الكِتابِ مِنْ شَيْءٍ) ما تركنا شيئا إلا قد كتبناه فى أمّ الكتاب .

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد فى قوله (ما فَرَّطْنا فِي الكِتابِ مِنْ شَيْءٍ) قال : لم نغفل ما من شىء إلا وهو فى الكتاب .

وحدثنى به يونس مرّة أخرى ، قال فى قوله (ما فَرَّطْنا فِي الكِتابِ مِنْ شَيْءٍ) قال : كلهم مكتوب فى أمّ الكتاب .

وأما قوله (ثُمَّ إلى رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ) فإن أهل التأويل اختلفوا فى معنى حشرهم الذى عناه الله تعالى فى هذا الموضع . فقال بعضهم : حشرها : موتها .

ذكر من قال ذلك

حدثنى محمد بن عمارة الأسدىّ ، قال : ثنا عبد الله بن موسى ، عن إسرائيل ، عن سعيد ، عن مسروق ، عن عكرمة ، عن ابن عباس (وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الأَرْضِ ، وَلا طائِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إلاَّ أُمَمٌ أَمْثالُكُمْ) قال ابن عباس : موت البهائم : حشرها .

حدثنى محمد بن سعد ، قال : ثنى أبى ، قال : ثنى عمى ، قال : ثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس (ثُمَّ إلى رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ) قال : يعنى بالحشر : الموت .

حُدثت عن الحسين بن الفرج ، قال : سمعت أبا معاذ الفضل بن خالد ، قال : ثنا عبيد بن سليم ، قال : سمعت الضحاك يقول فى قوله (ثُمَّ إلى رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ) يعنى بالحشر : الموت .

وقال آخرون : الحشر فى هذا الموضع يعنى به : الجمع لبعث الساعة ، وقيام القيامة .

ذكر من قال ذلك

حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، وحدثنا الحسن بن يحيى ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا معمر ، عن جعفر بن برقان[1] ، عن يزيد بن الأصمّ ، عن أبى هريرة ، فى قوله (إلاَّ أُمَمٌ أَمْثالُكُمْ ما فَرَّطْنا فِي الكِتابِ مِنْ شَيْءٍ ثُمَّ إلى رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ) قال :

(١) جعفر بن برقان (بضم الباء وكسرها) الكلابى مولاهم : ثقة .

يحشر الله الخلق كلهم يوم القيامة ، البهائم ، والدوابّ ، والطير ، وكلّ شيء ، فيبلغ من عدل الله يومئذ أن يأخذ للجماء من القرناء ، ثم يقول : كونى ترابا ، فلذلك يقول الكافر : يا ليتنى كنت ترابا .

حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، وحدثنا الحسن بن يحيى ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا معمر عن الأعمش ، ذكره عن أبى ذرّ ، قال : « بينا أنا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم ، إذ انتطحت عنزان ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : أتَدْرُونَ فِيما انْتَطَحَتا ؟ قالوا : لاندرى ، قال : لَكِنِ اللهُ يَدْرِى ، وَسَيَقْضِي بَيْنَهُما » .

حدثنى المثنى ، قال : ثنا إسحاق بن سليم ، قال : ثنا مطر بن خليفة ، عن منذر الثورىّ ، عن أبى ذرّ قال : « انتطحت شاتان عند النبيّ صلى الله عليه وسلم ، فقال لى : يا أباذَرّ أتَدْرِى فِيمَ انْتَطَحَتا ؟ قلت : لا ، قال : لَكِنِ اللهُ يَدْرِى وَسَيَقْضِي بَيْنَهُما » . قال أبو ذرّ : لقد تركنا رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وما يقلب طائر جناحيه فى السماء إلا ذكرنا منه علما .

❁ والصواب من القول فى ذلك عندى أن يقال : إن الله تعالى أخبر أن كلّ دابة وطائر محشور إليه ، وجائز أن يكون معنيا بذلك حشر القيامة ، وجائز أن يكون معنيا به حشر الموت ، وجائز أن يكون معنيا به الحشران جميعا . ولا دلالة فى ظاهر التنزيل ، ولا فى خبر عن النبيّ صلى الله عليه وسلم : أىّ ذلك المراد بقوله (ثُمَّ إلى رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ) إذ كان الحشر فى كلام العرب : الجمع ، من ذلك قول الله تعالى (والطَّيْرَ مَحْشُورَةً كُلٌّ لَهُ أوَّابٌ) يعنى مجموعة . فإذ كان الجمع هو الحشر ، وكان الله تعالى جامعا خلقه إليه يوم القيامة ، وجامعهم بالموت ، كان أصوب القول فى ذلك أن يُعَمّ بمعنى الآية ما عمه الله بظاهرها ، وأن يقال : كلّ دابة ، وكلّ طائر محشور إلى الله بعد الفناء ، وبعد بعث القيامة ، إذ كان الله تعالى قد عمّ بقوله (ثُمَّ إلى رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ) ولم يخصص به حشرا دون حشر .

❁ فإن قال قائل : فما وجه قوله (وَلا طائِرٍ يَطِيرُ بِجَناحَيْهِ) وهل يطير الطائر إلا بجناحيه ؟ فما فى الخبر عن طيرانه بالجناحين من الفائدة ؟ قيل : قد قدمنا القول فيما مضى أن الله تعالى أنزل هذا الكتاب بلسان قوم وبلغاتهم ، وما يتعارفونه بينهم ، ويستعملونه فى منطقهم خاطبهم ، فإذ كان من كلامهم إذا أرادوا المبالغة فى الكلام أن يقولوا : كلمت فلانا بفمى ، ومشيت إليه برجلى ، وضربته بيدى؛ خاطبهم تعالى بنظير ما يتعارفونه فى كلامهم ، ويستعملونه فى خطابهم ، ومن ذلك قوله تعالى (إنَّ هَذا أخى لَهُ تِسعٌ وَتِسعُونَ نَعْجَةً ، ولى نَعْجَةٌ وَاحِدَةٌ) .

القول فى تأويل قوله تعالى :

وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا صُمٌّ وَبُكْمٌ فِي الظُّلُمَاتِ مَنْ يَشَإِ اللَّهُ يُضْلِلْهُ وَمَنْ يَشَأْ يَجْعَلْهُ عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴿٣٩﴾

﴿ يقول تعالى ذكره : والذين كذبوا بحجج الله وأعلامه وأدلته ، صمٌّ عن سماع الحق ، بكم عن القيل به ، فى الظلمات ، يعنى : فى ظلمة الكفر حائر فيها ، يقول : هو مرتطم فى ظلمات الكفر ، لا يبصر آيات الله ، فيعتبر بها ، ويعلم أن الذى خلقه وأنشأه ، فدبره وأحكم تدبيره ، وقدّره أحسن تقدير ، وأعطاه القوّة ، وصحح له آلة جسمه لم يخلقه عبثا ، ولم يتركه سدى ، ولم يعطه ما أعطاه من الآلات إلا لاستعمالها فى طاعته وما يرضيه دون معصيته وما يسخطه ، فهو لحيرته فى ظلمات الكفر ، وتردّده فى غمراتها ، غافل عما الله قد أثبت له فى أمّ الكتاب ، وما هو به فاعل ، يوم يحشر إليه مع سائر الأمم ؛ ثم أخبر تعالى أنه المضلّ من يشاء إضلاله من خلقه عن الإيمان إلى الكفر ، والهادى إلى الصراط المستقيم ، منهم من أحبّ هدايته ، فوفقه بفضله وطوله للإيمان به ، وترك الكفر به ، وبرسله ، وما جاءت به أنبياؤه ، وأنه لا يهتدى من خلقه أحد إلا من سبق له فى أمّ الكتاب السعادة ؛ ولا يضلّ منهم أحد ، إلا من سبق له فيها الشقاء ، وأن بيده الخير كله ، وإليه الفضل كله ، له الخلق والأمر .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك ، قال قتادة .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (صمٌّ وبُكْم) هذا مثل الكافر أصمّ أبكم ، لا يبصر هدى ، ولا ينتفع به ، صمّ عن الحقّ فى الظلمات ، لا يستطيع منها خروجا له متسكع فيها .

القول فى تأويل قوله تعالى

﴿ قُلْ أَرَءَيْتَكُمْ إِنْ أَتَىٰكُمْ عَذَابُ ٱللَّهِ أَوْ أَتَتْكُمُ ٱلسَّاعَةُ أَغَيْرَ ٱللَّهِ تَدْعُونَ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴾

اختلف أهل العربية فى معنى قوله (أرأيْتَكُمْ) فقال بعض نحويّى البصرة : الكاف التى بعد التاء من قوله (أرأيْتَكُمْ) إنما جاءت للمخاطبة ، وتركت التاء مفتوحة كما كانت للواحد ، قال : وهى مثل كاف رُوَيدك زيدا ، إذا قلت : أرود زيدا ، هذه الكاف ليس لها موضع مسمى بحرف لا رفع ولا نصب ، وإنما هى فى المخاطبة مثل كاف ذاك ، ومثل ذلك قول العرب : انصرك زيدا ، يدخلون الكاف للمخاطبة .

وقال آخرون منهم : معنى (أرأيْتَكُمْ إنْ أتاكُمْ) أرأيتم ، قال : وهذه الكاف تدخل للمخاطبة مع التوكيد ، والتاء وحدها هى الاسم ، كما أدخلت الكاف التى تفرّق بين الواحد والاثنين ، والجميع فى المخاطبة كقولهم : هذا ، وذاك ، وتلك ، وأولئك ، فتدخل الكاف للمخاطبة ، وليست باسم ، والتاء هو الاسم للواحد والجميع ، تُرِكَتْ على حال واحدة ، ومثل ذلك قولهم : ليسك ثَمّ إلا زيد ، يراد : ليس ولا سيّك زيد ، فيراد : ولا سيا زيد ، وبلاك ، فيراد : بلى فى معنى : ولبئسك رجلا ، ولنعمك رجلا ؛ وقالوا : انظرك زيدا ما أصنع به ، وأبصرك ما أصنع به ، بمعنى أبصرْه . وحكى بعضهم : أبصركم ما أصنع به ، يراد : أبصروا ، وانظركم زيدا : أى انظروا . وحكى عن بعض بنى كلاب : أتعلمك ، كان أحد أشعر من ذى الرمة ، فأدخل الكاف . وقال بعض نحويّى الكوفة : أرأيتك عمرا أكثرُ الكلام ، فيه ترك

الهمز ، قال : والكاف من أرأيتك فى موضع نصب ، كأن الأصل : أرأيت نفسك على غير هذه الحال قال : فهذا يثنى ويجمع ويؤنث ، فيقال : أرأيتما كما وأرأيتموكم وأرأيتنّ كنّ أوقع فعله على نفسه ، وسأله عنها ، ثم كثر به الكلام حتى تركوا التاء موحدة للتذكير والتأنيث والتثنية والجمع ، فقالوا : أرأيتكم زيدا ما صنع ، وأرأيتكن زيدا ما صنع ، فوحدوا التاء وثنّوا الكاف وجمعوها ، فجعلوها بدلا من التاء ، كما قال (هاؤُمُ اقْرَءُوا كِتابِيَهْ) وهاءَ يا رجل ، وهاؤُما ، ثم قالوا : هاكم اكتفى بالكاف والميم مما كان يثنى ويجمع ، فكأن الكاف فى موضع رفع ، إذ كانت بدلا من التاء ، وربما وحدت للتثنية والجمع والتذكير والتأنيث ، وهى كقول القائل : عليك زيدا ، الكاف فى موضع خفض ، والتأويل رفع ؛ فأما ما يجلب فأكثر ما يقع على الأسماء ، ثم تأتى بالاستفهام ، فيقال : أرأيتك زيدا هل قام ، لأنها صارت بمعنى : أخبرنى عن زيد ، ثم بين عما يستخبر ، فهذا أكثر الكلام ، ولم يأت الاستفهام ثنيها ، لم يقل : أرأيتك هل قمت ، لأنهم أرادوا أن يبينوا عمن يسأل ، ثم تبين الحالة التى يسأل عنها ، وربما جاء بالخبر ولم يأت بالاسم ، فقالوا : أرأيت زيدا هل يأتينا ، وأرأيتك أيضا ، وأرأيت زيدا إن أتيته هل يأتينا إذا كانت بمعنى أخبرنى ، فيقال باللغات الثلاث .

❁ وتأويل الكلام : قل يا محمد لهؤلاء العادلين بالله الأوثان والأصنام ، أخبرونى إن جاءكم أيها القوم عذاب الله ، كالذى جاء من قبلكم من الأمم الذين هلك بعضهم بالرجفة ، وبعضهم بالصاعقة ، أو جاءتكم الساعة التى تنشرون فيها من قبوركم ، وتبعثون لموقف القيامة ، أغير الله هناك تدعون لكشف ما نزل بكم من البلاء أو إلى غيره من آلهتكم ، تفزعون لينجيكم مما نزل بكم من عظيم البلاء (إِنْ كُنْتُمْ صادِقِينَ) يقول : إن كنتم محقّين فى دعواكم وزعمكم أن آلهتكم التى تدعونها من دون الله ، تنفع أو تضرّ .

القول في تأويل قوله تعالى :

بَلْ إِيَّاهُ تَدْعُونَ فَيَكْشِفُ مَا تَدْعُونَ إِلَيْهِ إِنْ شَاءَ وَتَنْسَوْنَ مَا تُشْرِكُونَ ﴿٤١﴾

❁ يقول تعالى ذكره ، مكذّبا لهؤلاء العادلين به الأوثان : ما أنتم أيها المشركون بالله الآلهة والأنداد ، إن أتاكم عذاب الله ، أو أتتكم الساعة بمستجيرين بشىء غير الله فى حال شدّة الهول النازل بكم من آلهة ووثن وصنم ، بل تدعون هناك ربكم الذى خلقكم ، وبه تستغيثون ، وإليه تفزعون دون كل شىء غيره (فَيَكْشِفُ ما تَدْعُونَ إِلَيْهِ) يقول : فيفرّج عنكم عند استغاثتكم به وتضرّعكم إليه عظيم البلاء النازل بكم ، إن شاء أن يفرّج ذلك عنكم ، لأنه القادر على كلّ شىء ، ومالك كلّ شىء دون ماتدعونه إلها من الأوثان والأصنام ، وتنسون ما تشركون ، يقول : وتنسون حين يأتيكم عذاب الله ، أو تأتيكم الساعة بأهوالها ، ما تشركونه مع الله فى عبادتكم إياه ، فتجعلونه له ندا من وثن وصنم ، وغير ذلك مما تعبدونه من دونه ، وتدعونه إلها .

القول في تأويل قوله تعالى :

وَلَقَدْ أَرْسَلْنَآ إِلَىٰٓ أُمَمٍ مِّن قَبْلِكَ فَأَخَذْنَٰهُم بِٱلْبَأْسَآءِ وَٱلضَّرَّآءِ لَعَلَّهُمْ يَتَضَرَّعُونَ ﴿٤٢﴾

✲ يقول تعالى ذكره متوعدا لهؤلاء العادلين به الأصنام ، ومحذرهم أن يسلك بهم إن هم تمادوا فى ضلالهم سبيل من سلك سبيلهم من الأمم قبلهم فى تعجيل الله عقوبته لهم فى الدنيا ، ومخبرا نبيه عن سنته فى الذين خلوا قبلهم من الأمم على مناهجهم من تكذيب الرسل (وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا) يامحمد(إلى أُمَمٍ) يعنى : إلى جماعات وقرون (مِنْ قَبْلِكَ) فأَخَذْناهُمْ بالبَأْساءِ يقول : فأمرناهم ونهيناهم ، فكذبوا رسلنا ،وخالفوا أمرنا ونهينا ، فامتحناهم بالابتلاء بالبأساء ، وهى شدة الفقر والضيق فى المعيشة ؛ والضراء : وهى الأسقام والعلل العارضة فى الأجسام ، وقد بينا ذلك بشواهده ، ووجوه إعرابه فى سورة البقرة ، بما أغنى عن إعادته فى هذا الموضع . وقوله (لَعَلَّهُمْ يَتَضَرَّعُونَ) يقول : فعلنا ذلك بهم ليتضرعوا إلىّ ، ويخلصوا لى العبادة ، ويفردوا رغبتهم إلىّ دون غيرى بالتذلل منهم لى بالطاعة والاستكانة منهم إلىّ بالإنابة ، وفى الكلام محذوف قد استغنى بما دلّ عليه الظاهر عن إظهاره من قوله (وَلَقَدْ أَرْسَلْنا إلى أُمَمٍ مِنْ قَبْلِكَ فأَخَذْناهُمْ) وإنما كان سبب أخذه إياهم تكذيبهم الرسل ، وخلافهم أمره ، لاإرسال الرسل إليهم . وإذ كان ذلك كذلك ، فمعلوم أن معنى الكلام : ولقد أرسلنا إلى أمم من قبلك رسلا فكذبوهم ، فأخذناهم بالبأساء ؛ والتضرع : هو التفعل من الضراعة ، وهى الذلة والاستكانة .

القول في تأويل قوله تعالى :

فَلَوْلَآ إِذْ جَآءَهُم بَأْسُنَا تَضَرَّعُوا۟ وَلَٰكِن قَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَزَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٤٣﴾

✲ وهذا أيضا من الكلام الذى فيه متروك استغنى بدلالة الظاهر عن ذكر ما ترك ، وذلك أنه تعالى ذكره أخبر عن الأمم التى كذبت رسلها ، أنه أخذهم بالبأساء والضراء ليتضرعوا ، ثم قال : فلولا إذ جاءهم بأسنا تضرعوا ، ولم يخبر عما كان منهم من الفعل عند أخذه إياهم بالبأساء والضراء .

ومعنى الكلام : ولقد أرسلنا إلى أمم من قبلك ، فأخذناهم بالبأساء والضراء لعلهم يتضرعون ، فلم يتضرعوا ، فلولا إذا جاءهم بأسنا تضرعوا ، ومعنى (فَلَوْلا) فى هذا الموضع : فهلا ، والعرب إذا أولت لولا اسما مرفوعا ، جعلت ما بعدها خبرا ، وتلتها بالأمر ، فقالت ، فلولا أخوك لزرتك ، ولولا أبوك لضربتك ، وإذا أولتها فعلا ، أو لم تولها اسما ، جعلوها استفهاما ، فقالوا : لولا جئتنا فنكرمك ، ولولا زرت أخاك فنزورك ، بمعنى هلا ، كما قال تعالى (لَوْلا أَخَّرْتَنِى إلى أجَلٍ قَرِيبٍ فأَصَّدَّقَ) وكذلك تفعل بلوما مثل فعلها بلولا .

فتأويل الكلام إذن : فهلا إذ جاء بأسنا هؤلاء الأمم المكذبة رسلها ، الذين لم يتضرعوا عند أخذناهم

بالبأساء والضرّاء ، تضرّعوا فاستكانوا لربهم ، وخضعوا لطاعته ، فيصرف ربهم عنهم بأسه ، وهو عذابه ؛ وقد بينا معنى البأس فى غير هذا الموضع بما أغنى عن إعادته فى هذا الموضع . (وَلَـٰكِنْ قَسَتْ قُلُوبُهُمْ) يقول : ولكن أقاموا على تكذيبهم رسلهم ، وأصروا على ذلك واستكبروا عن أمر ربهم ، استهانة بعقاب الله ، واستخفافا بعذابه ، وقساوة قلب منهم (وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ ما كانُوا يَعْمَلُونَ) يقول : وحسن لهم الشيطان ما كانوا يعملون من الأعمال التى يكرهها الله ، ويسخطها منهم .

القول فى تأويل قوله تعالى :

فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَابَ كُلِّ شَيْءٍ حَتَّىٰ إِذَا فَرِحُوا بِمَا أُوتُوا أَخَذْنَاهُم بَغْتَةً فَإِذَا هُم مُّبْلِسُونَ ﴿٤٤﴾

❊ يعنى تعالى ذكره بقوله (فَلَمَّا نَسُوا ماذُكِّرُوا بِهِ) فلما تركوا العمل بما أمرناهم به على ألسن رسلنا .

كالذى حدثنا المثنى ، قال : ثنا عبد الله بن صالح ، قال : ثنى معاوية بن صالح ، عن علىّ بن أبى طلحة ، عن ابن عباس ، قوله (فَلَمَّا نَسُوا ما ذُكِّرُوا بِهِ) يعنى : تركوا ما ذكروا به .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، قوله (نَسُوا ماذُكِّرُوا بِهِ) قال : ما دعاهم الله إليه ورسله ، أبوه وردّوه عليهم (فَتَحْنا عَلَيْهِمْ أَبْوَابَ كُلِّ شَيْءٍ) يقول : بدلنا مكان البأساء : الرخاء والسعة فى العيش ؛ ومكان الضرّاء : الصحة والسلامة فى الأبدان والأجسام استدراجا منّا لهم :

كالذى حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبوعاصم ، قال : ثنا عيسى ، وحدثنى المثنى ، قال : ثنا أبوحذيفة ، قال : ثنا شبل ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد فى قول الله (فَتَحْنا عَلَيْهِمْ أَبْوَابَ كُلِّ شَيْءٍ) قال : رخاء الدنيا ويسرها على القرون الأولى .

حدثنا الحسن بن يحيى ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا معمر ، عن قتادة ، فى قوله (فَتَحْنا عَلَيْهِمْ أَبْوَابَ كُلِّ شَيْءٍ) قال : يعنى الرخاء ، وسعة الرزق .

حدثنى محمد بن الحسين ، قال : ثنا أحمد بن مفضل ، قال : ثنا أسباط ، عن السدىّ ، قوله (فَتَحْنا عَلَيْهِمْ أَبْوَابَ كُلِّ شَيْءٍ) يقول : من الرزق .

❊ فإن قال لنا قائل : وكيف قيل (فَتَحْنا عَلَيْهِمْ أَبْوَابَ كُلِّ شَيْءٍ) وقد علمت أن باب الرحمة وباب التوبة لم يفتح لهم ، وأبواب أخر غيره كثيرة ؟ قيل : إن معنى ذلك على غير الوجه الذى ظننت من معناه ، وإنما معنى ذلك : فتحنا عليهم استدراجا منا لهم أبواب كلّ ما كنا سددنا عليهم بابه عند أخذنا إياهم بالبأساء والضرّاء ، ليتضرّعوا ، إذ لم يتضرّعوا ، وتركوا أمر الله ، لأن آخر هذا الكلام مردود على أوله ، وذلك كما قال تعالى فى موضع آخر من كتابه (وَمَا أَرْسَلْنَا فِي قَرْيَةٍ مِنْ نَبِيٍّ إِلَّا أَخَذْنَا أَهْلَهَا بِالْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ لَعَلَّهُمْ يَتَضَرَّعُونَ . ثُمَّ بَدَّلْنَا مَكَانَ السَّيِّئَةِ الْحَسَنَةَ حَتَّىٰ عَفَوْا وَقَالُوا

قَدْ مَسَّ آباءَنَا الضَّرَّاءُ وَالسَّرَّاءُ فَأَخَذْناهُمْ بَغْتَةً وَهُمْ لايَشْعُرُونَ) ففتح الله على القوم الذين ذكر فى هذه الآية ذكرهم بقوله (فَلَمَّا نَسُوا ما ذُكِّرُوا بِهِ فَتَحْنا عَلَيْهِمْ أَبْوابَ كُلِّ شَيْءٍ) هو تبديله لهم مكان السيئة التى كانوا فيها فى حال امتحانه إياهم من ضيق العيش إلى الرخاء والسعة ، ومن الضرّ فى الأجسام إلى الصحة والعافية ، وهو فتح أبواب كلّ شىء كان أغلق بابه عليهم ، مما جرى ذكره قبل قوله (فَتَحْنا عَلَيْهِمْ أَبْوابَ كُلِّ شَيْءٍ) فرد قوله (فَتَحْنا عَلَيْهِمْ أَبْوابَ كُلِّ شَيْءٍ) عليه ، ويعنى تعالى بقوله (حَتَّى إِذَا فَرِحُوا بِمَا أُوتُوا) يقول : حتى إذا فرح هؤلاء المكذّبون رسلهم بفتحنا عليهم أبواب السعة فى المعيشة ، والصحة فى الأجسام .

كالذى حدثنى محمد بن الحسين ، قال : ثنا أحمد بن المفضل ، قال : ثنا أسباط ، عن السدىّ (حتى إِذَا فَرِحُوا بِمَا أُوتُوا) من الرزق .

حدثنا الحرث ، قال : ثنا القاسم بن سلام ، قال : سمعت عبد الرحمن بن مهدى ، يحدّث عن حماد بن زيد ، قال : كان رجل يقول : رحم الله رجلا تلا هذه الآية ، ثم فكر فيها ماذا أريد بها (حَتَّى إِذَا فَرِحُوا بِمَا أُوتُوا أَخَذْناهُمْ بَغْتَةً) .

حدثنى الحرث ، قال : ثنا القاسم ، قال : ثنا ابن أبى رجاء من أهل الثغر ، عن عبد الله بن المبارك ، عن محمد بن النضر الحارثى ، فى قوله (أَخَذْناهُمْ بَغْتَةً) قال : أمهلوا عشرين سنة ، ويعنى تعالى ذكره بقوله (أَخَذْناهُمْ بَغْتَةً) أتيناهم بالعذاب فجأة ، وهم غارّون لايشعرون أن ذلك كائن ، ولا هو بهم حالّ .

كما حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج (حَتَّى إِذَا فَرِحُوا بِمَا أُوتُوا أَخَذْناهُمْ بَغْتَةً) قال : أعجب ما كانت إليهم وأعزّها لهم .

حدثنا محمد بن الحسين ، قال : ثنا أحمد بن المفضل ، قال : ثنا أسباط ، عن السدىّ (أَخَذْناهُمْ بَغْتَةً) يقول : أخذهم العذاب بغتة .

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبوعاصم ، قال : ثنا عيسى ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد : (أَخَذْناهُمْ بَغْتَةً) قال : فجأة آمنين .

وأما قوله (فَإِذَا هُمْ مُبْلِسُونَ) فإنهم هالكون ، منقطعة حججهم ، نادمون على ماسلف منهم من تكذيبهم رسلهم .

كالذى حدثنى محمد بن الحسين ، قال : ثنا أحمد بن المفضل ، قال : ثنا أسباط ، عن السدىّ (فَإِذَا هُمْ مُبْلِسُونَ) قال : فإذا هم مهلكون متغير حالهم .

حدثنى الحرث ، قال : ثنا عبد العزيز ، قال : ثنا شيخ ، عن مجاهد (فَإِذَا هُمْ مُبْلِسُونَ) قال : فإذا هم مهلكون .

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله (فَإِذَا هُمْ مُبْلِسُونَ)

قال : المبلس : الذى قد نزل به الشرّ الذى لايدفعه ، والمبلس أشدّ من المستكين ، وقرأ (فَمَا اسْتَكَانُوا لِرَبِّهِمْ وَمَا يَتَضَرَّعُونَ) وكان أوّل مرّة فيه معاتبة وتقيّة ، وقرأ قول الله (أَخَذْنَاهُمْ بِالْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ لَعَلَّهُمْ يَتَضَرَّعُونَ . فَلَوْلَا إِذْ جَاءَهُمْ بَأْسُنَا تَضَرَّعُوا) حتى بلغ (وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ) ثم جاء أمرليس فيه تقية ، وقرأ (حَتَّى إِذَا فَرِحُوا بِمَا أُوتُوا أَخَذْنَاهُمْ بَغْتَةً فَإِذَا هُمْ مُبْلِسُونَ) فجاء أمر ليس فيه تقية ، وكان الأوّل لو أنهم تضرّعوا كشف عنهم .

حدثنى سعيد بن عمرو السكونى ، قال : ثنا بقية بن الوليد ، عن أبى شريح ضبارة بن مالك ، عن أبى الصلت ، عن حرملة [1] أبى عبد الرحمن ، عن عقبة بن مسلم ، عن عقبة بن عامر ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إِذَا رَأَيْتَ اللهَ يُعْطِي عَبْدَهُ فِي دُنْيَاه ، إِنَّمَا هُوَ اسْتِدْرَاجٌ ، ثم تلا هذه الآية (فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ) إلى قوله (وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ) » وحدّث بهذا الحديث عن محمد بن حرب ، عن ابن لهيعة ، عن عقبة بن مسلم ، عن عقبة بن عامر ، أن النبىّ صلى الله عليه وسلم ، قال : « إِذَا رَأَيْتَ اللهَ تَعَالَى يُعْطِي الْعِبَادَ مَا يَسْأَلُونَ عَلَى مَعَاصِيهِمْ إِيَّاهُ ، فَإِنَّمَا ذَلِكَ اسْتِدْرَاجٌ مِنْهُ لَهُمْ) ثم تلا (فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَابَ كُلِّ شَيْءٍ) ... الآية » وأصل الإبلاس فى كلام العرب عند بعضهم : الحزن على الشىء والندم عليه ، وعند بعضهم انقطاع الحجة ، والسكوت عند انقطاع الحجة . وعند بعضهم : الخشوع ، وقالوا : هو المخذول المتروك ، ومنه قول العجاج :

يَاصَاحِ هَلْ تَعْرِفُ رَسْمًا مُكْرَسَا قَالَ نَعَمْ أَعْرِفُهُ وَأَبْلَسَا [2]

فتأويل قوله : وأبلسا عند الذين زعموا أن الإبلاس : انقطاع الحجة والسكوت عنده ، بمعنى : أنه لم يحر جوابا . وتأوّله الآخرون بمعنى الخشوع ، وترك أهله إياه مقيما بمكانه . والآخرون : بمعنى الحزن والندم ، يقال منه : أبلس الرجل إبلاسا ، ومنه قيل لإبليس : إبليس .

القول فى تأويل قوله تعالى :

فَقُطِعَ دَابِرُ الْقَوْمِ الَّذِينَ ظَلَمُوا ۚ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٤٥﴾

يعنى تعالى ذكره بقوله (فَقُطِعَ دَابِرُ الْقَوْمِ الَّذِينَ ظَلَمُوا) فاستؤصل القوم الذين عتوا على ربهم ، وكذّبوا رسله ، وخالفوا أمره عن آخرهم ، فلم يترك منهم أحد إلا أهلك بغتة ، إذ جاءهم عذاب الله ، وبنحو الذى قلنا فى ذلك ، قال جماعة من أهل التأويل :

(١) هو حرملة بن عمران ، وكنيته أبو حفص ، انظر الخلاصة .

(٢) الرجز للعجّاج فى ديوانه طبع ليبسك سنة ١٩٠٣ ، وهو مطلع أرجوزة له مطولة من مشطور الرجز ، عدة أبياتها (٩٩ بيتا) وقد أورد البيتين صاحب اللسان فى كرس . قال : ورسم مكرس بتخفيف الراء (مفتوحة ومكسورة) وهو الذى بعرت فيه الإبل وبولت ، فركب بعضه بعضا . وأوردهما أيضا فى (بلس) شاهدا على الإبلاس وهوالانكسار والحزن ، يقال : أبلس فلان : إذا سكت غما ، قال العجاج . . . البيتين . ثم قال : والمكرس الذى صار فيه الكرس ، وهو الأبوال والأبعار .

ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن الحسين ، قال : ثنا أحمد بن المفضل ، قال : ثنا أسباط ، عن السدى (فَقُطِعَ دابِرُ القَوْمِ الَّذِينَ ظَلَمُوا) يقول : فقطع أصل الذين ظلموا .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله (فَقُطِعَ دابِرُ القَوْمِ الَّذِينَ ظَلَمُوا) . قال : استؤصلوا ، ودابر القوم : الذى يدبرهم ، وهو الذى يكون فى أدبارهم وآخرهم ، يقال فى الكلام : قد دبر القوم فلان يدبرهم دبرا ودبورا إذا كان آخرهم ، ومنه قول أمية :

فأُهْلِكُوا بعَذَابٍ حَصَّ دابِرَهُمْ فما استطاعُوا له صَرْفا ولا انْتَصَرُوا[1]

(والحَمْدُ لِلهِ رَبِّ العالَمِينَ) يقول : والثناء الكامل ، والشكر التامّ لله ربّ العالمين على إنعامه على رسله وأهل طاعته ، بإظهار حججهم على من خالفهم من أهل الكفر ، وتحقيق عدتهم ما وعدهم على كفرهم بالله وتكذيبهم رسله ، من نقم الله وعاجل عذابه .

القول في تأويل قوله تعالى :

﴿ قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَخَذَ اللَّهُ سَمْعَكُمْ وَأَبْصَارَكُمْ وَخَتَمَ عَلَىٰ قُلُوبِكُم مَّنْ إِلَٰهٌ غَيْرُ اللَّهِ يَأْتِيكُم بِهِ ۗ انظُرْ كَيْفَ نُصَرِّفُ الْآيَاتِ ثُمَّ هُمْ يَصْدِفُونَ ﴿٤٦﴾ ﴾

يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم : قل يا محمد لهؤلاء العادلين بى الأوثان والأصنام ، المكذّبين بك : أرأيتم أيها المشركون بالله غيره إن أصمكم الله ، فذهب بأسماعكم وأعماكم فذهب بأبصاركم (وَخَتَمَ عَلَى قُلُوبِكُمْ) فطبع عليها حتى لاتفقهوا قولا ، ولا تبصروا حجة ، ولا تفهموا مفهوما ، أىّ إله غير الله الذى له عبادة كل عابد يأتيكم به ؛ يقول : يردّ عليكم ما ذهب الله به منكم من الأسماع والأبصار والأفهام فتعبدوه أو تشركوه فى عبادة ربكم الذى يقدر على ذهابه بذلك منكم ، وعلى ردّه عليكم إذا شاء .

وهذا من الله تعالى تعليم نبيه الحجة على المشركين به ، يقول له : قل لهم : إن الذين تعبدونهم من دون الله لايملكون لكم ضرًّا ولا نفعا ، وإنما يستحق العبادة عليكم من كان بيده الضرّ والنفع ، والقبض والبسط ، القادر على كل ما أراد لا العاجز الذى لايقدر على شىء ؛ ثم قال تعالى لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم : (انْظُرْ كَيْفَ نُصَرِّفُ الآياتِ) يقول : انظر كيف نتابع عليهم الحجج ، ونضرب لهم الأمثال والعبر ، ليعتبروا ويذكروا فينيبوا (ثُمَّ هُمْ يَصْدِفُونَ) يقول : ثم هم مع متابعتنا عليهم الحجج ، وتنبيهنا إياهم بالعبر عن الادكار والاعتبار يعرضون ، يقال منه : صدف فلان عنى بوجهه فهو يصدف صدوفا وصدفا : أى عدل وأعرض ، ومنه قول ابن الرقاع :

(١) البيت لأمية بن أبى الصلت الثقفى (ديوانه طبع ليبسك سنة ١٩١١) ، وقد نقله جامع الديوان عن تفسير الطبرى . ووضع على الحاء فى حص نقطة ، وهو غلط . والشاهد فى دابر ، وهو من يدبر القوم : أى يكون فى آخرهم .

إذا ذَكَرْنَ حديثا قُلْنَ أحْسَنَه ... وهُنَّ عنْ كلِّ سُوءٍ يُتَّقَى صُدُفُ [1]

وقال لَبِيد :

يُرْوِى قَوامِحَ قبلَ اللَّيْلِ صَادِفَةً ... أشباهَ جِنٍّ عَلَيْها الرِّيْطُ والأُزُرُ [2]

﴿ فإن قال قائل : وكيف قيل (مَنْ إلَهٌ غيرُ اللهِ يَأْتِيكُمْ بِهِ) فوحد الهاء ، وقد مضى الذكر قبل بالجمع ، فقال (أرأيْتُمْ إنْ أخَذَ اللهُ سَمْعَكُمْ وأبْصَارَكُمْ ، وَخَتَمَ على قُلُوبِكُمْ) قيل : جائز أن تكون الهاء عائدة على السمع ، فتكون موحدة لتوحيد السمع ، وجائز أن تكون معنيا بها : من إله غير الله يأتيكم بما أخذ منكم من السمع والأبصار والأفئدة ، فتكون موحدة لتوحيد ما ، والعرب تفعل ذلك إذا كنت عن الأفعال وحدت الكناية وإن كثر ما يكنى بها عنه من الأفاعيل ، كقولهم : إقبالك وإدبارك يعجبني ؛ وقد قيل : إن الهاء التي في به كناية عن الهدى .

وبنحو ما قلنا في تأويل قوله (يَصْدِفُونَ) قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبوعاصم ، قال : ثنا عيسى ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، في قوله (يَصْدِفُونَ) قال : يعرضون .

حدثني المثنى ، قال : ثنا أبوحذيفة ، قال : ثنا شبل ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، مثله .

حدثني المثنى ، قال : ثنا عبد الله بن صالح ، قال : ثني معاوية بن صالح ، عن عليّ بن أبي طلحة ، عن ابن عباس ، قوله (يَصْدِفُونَ) قال : يعدلون .

حدثنا الحسن بن يحيى ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا معمر ، عن قتادة ، في قوله (نُصَرِّفُ الآياتِ ثُمَّ هُمْ يَصْدِفُونَ) قال : يعرضون عنها .

حدثني محمد بن الحسين ، قال : ثنا أحمد بن المفضل ، قال : ثنا أسباط ، عن السدىّ (ثُمَّ هُمْ يَصْدِفُونَ) قال : يصدّون .

القول في تأويل قوله تعالى :

قُلْ أَرَءَيْتَكُمْ إِنْ أَتَاكُمْ عَذَابُ ٱللَّهِ بَغْتَةً أَوْ جَهْرَةً هَلْ يُهْلَكُ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلظَّالِمُونَ ﴿٤٧﴾

﴿ يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم : قل يا محمد لهؤلاء العادلين بربهم الأوثان ، المكذّبين

(١) البيت لعدى بن الرقاع العاملي يصف نساء بالأدب والتنزه عن قول الخنا والفحش . وصدف : جمع صدوف بمعنى صادفة ، يستوى فيه المذكر والمؤنث .

(٢) البيت للبيد (ولم أجده في ديوانه طبعة ليدن سنة ١٨٩١) والقوامح : جمع قامح وقامحة . وهو الكاره للماء لأية علة كانت يرفع رأسه عند الحوض ، ويمتنع من الشرب . أو يشرب وهو متكاره . والصادفة التي صدفت عن الشيء وأعرضت عنه ، وهو من صفة القوامح ، وهي الإبل الصادة عن شرب الماء . وقوله عليها الريط والأزر ، أي عليها نساء لابسات الريط والأزر . والأزر : جمع إزار ، وهو ثوب يلفه الإنسان حول نصفه الأسفل ، والريط جمع ريطة ، وهي الملاءة إذا كانت قطعة واحدة ، ولم تكن لفقين . أو هي كل ثوب لين رقيق . قال الأزهري : ولا تكون الريطة إلا بيضاء . وقال ابن قتيبة في كتاب المعاني الكبير ص ٤٧٢ مانصه : هذا الزق يروى قوامح . وأصل القوامح : الإبل التي ترفع رءوسها . فلا تشرب ، صادفة عن الماء ، وشبه الرجال بهذه الإبل ، يريد : أنهم لايريدون شرب الماء ، وإنما يريدون الشراب .

بأنك لى رسولى إليهم، أخبرونى إن أتاكم عذاب الله وعقابه على ماتشركون به ، من الأوثان والأنداد ، وتكذيبكم إياى ، بعد الذى قد عاينتم من البرهان على حقيقة قولى . (بَغْتَةً) يقول : فجأة على غرّة لاتشعرون (أَوْ جَهْرَةً) يقول : أوأتاكم عذاب الله وأنتم تعاينونه وتنظرون إليه (هَلْ يُهْلَكُ إِلَّا الْقَوْمُ الظَّالِمُونَ) يقول : هل يهلك الله منا ومنكم إلا من كان يعبد غير من يستحقّ علينا العبادة، وترك عبادة من يستحقّ علينا العبادة ؛ وقد بينا معنى الجَهْرة فى غير هذا الموضع بما أغنى عن إعادته وأنها من الإجهار : وهو إظهار الشىء للعين .

كما حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبوعاصم ، قال : ثنا عيسى ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد (جَهْرَةً) قال : وهم ينظرون .

حدثنى المثنى ، قال : ثنا أبوحذيفة ، قال : ثنا شبل ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد (قُلْ أَرَأَيْتَكُمْ إِنْ أَتَاكُمْ عَذَابُ اللهِ بَغْتَةً) فجأة آمنين ، (أَوْ جَهْرَةً) وهم ينظرون .

القول فى تأويل قوله تعالى :

وَمَا نُرْسِلُ الْمُرْسَلِينَ إِلَّا مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ فَمَنْ ءَامَنَ وَأَصْلَحَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٤٨﴾

يقول تعالى ذكره : وما نرسل رسلنا إلا ببشارة أهل الطاعة لنا بالجنة والفوز المبين يوم القيامة ، جزاء منا لهم على طاعتنا ، وبانذار من عصانا ، وخالف أمرنا ، عقوبتنا إياه على معصيتنا يوم القيامة ، جزاء منا على معصيتنا ، لنعذر إليه ، فيهلك إن هلك عن بينة (فَمَنْ آمَنَ وَأَصْلَحَ) يقول : فمن صدّق من أرسلنا إليه من رسلنا ، إنذارهم إياه ، وقبل منهم ما جاءوه به من عند الله وعمل صالحا فى الدنيا (فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ) عند قدومهم على ربهم ، من عقابه وعذابه ، الذى أعدّه الله لأعدائه وأهل معاصيه (وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ) عند ذلك على ما خلفوا وراءهم فى الدنيا :

القول فى تأويل قوله تعالى :

وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا يَمَسُّهُمُ الْعَذَابُ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ ﴿٤٩﴾

يقول تعالى ذكره : وأما الذين كذّبوا بمن أرسلنا إليه من رسلنا ، وخالفوا أمرنا ونهينا ، ودافعوا حجتنا ، فإنهم يباشرهم عذابنا وعقابنا على تكذيبهم ما كذّبوا به من حججنا (بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ) يقول : بما كانوا يكذبون . وكان ابن زيد يقول : كل فسق فى القرآن ، فمعناه الكذب .

حدثنى بذلك يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب عنه .

القول في تأويل قوله تعالى :

﴿ قُل لَّآ أَقُولُ لَكُمۡ عِندِي خَزَآئِنُ ٱللَّهِ وَلَآ أَعۡلَمُ ٱلۡغَيۡبَ وَلَآ أَقُولُ لَكُمۡ إِنِّي مَلَكٌۖ إِنۡ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰٓ إِلَيَّۚ قُلۡ هَلۡ يَسۡتَوِي ٱلۡأَعۡمَىٰ وَٱلۡبَصِيرُۚ أَفَلَا تَتَفَكَّرُونَ ﴾

يقول تعالى ذكره : قل لهؤلاء المنكرين نبوّتك : لست أقول لكم إنى الربّ الذى له خزائن السموات والأرض ، وأعلم غيوب الأشياء الخفية التى لايعلمها إلا الربّ ، الذى لايخفى عليه شىء ، فتكذّبونى فيم أقول من ذلك ، لأنه لاينبغى أن يكون ربا إلا من له ملك كلّ شىء ، وبيده كلّ شىء ، ومن لايخفى عليه خافية ، وذلك هو الله الذى لاإله غيره (وَلا أقُولُ لَكُمْ إنّى مَلَكٌ) لأنَّه لاينبغى لملك أن يكون ظاهرا بصورته لأبصار البشر فى الدنيا ، فتجحدوا ما أقول لكم من ذلك (إنْ أتَّبِعُ إلاَّ ما يُوحَى إلىَّ) يقول : قل لهم : ما أتبع فيما أقول لكم ، وأدعوكم إليه إلا وحى الله الذى يوحيه إلىّ ، وتنزيله الذى ينزله علىّ ، فأمضى لوحيه ، وأمرّ لأمره ، وقد أتيتكم بالحجج القاطعة من الله عذركم على صحة قولى فى ذلك ، وليس الذى أقول من ذلك بمنكر فى عقولكم ، ولا مستحيل كونه ، بل ذلك مع وجود البرهان على حقيقته هو الحكمة البالغة ، فما وجه إنكاركم لذلك ، وذلك تنبيه من الله تعالى نبيه صلى الله عليه وسلم على موضع حجته على منكرى نبوّته من مشركى قومه (قُلْ هَلْ يَسْتَوِى الأعْمَى والبَصِيرُ) يقول تعالى ذكره : قل يامحمد لهم : هل يستوى الأعمى عن الحقّ والبصير به ، والأعمى هو الكافر الذى قد عمى عن حجج الله فلا يتبينها فيتبعها . والبصير : المؤمن الذى قد أبصر آيات الله وحججه ، فاقتدى بها ، واستضاء بضيائها (أفَلا تَتَفَكَّرُونَ) يقول لهؤلاء الذين كذّبوا بآيات الله : أفلا تتفكرون فيما أحتجّ عليكم به أيها القوم من هذه الحجج ، فتعلموا صحة ما أقول ، وأدعوكم إليه ، من فساد ما أنتم عليه مقيمون من إشراك الأوثان والأنداد بالله ربكم ، وتكذيبكم إياى ، مع ظهور حجج صدقى لأعينكم ، فتدعوا ما أنتم عليه من الكفر مقيمون إلى ما أدعوكم إليه من الإيمان الذى به تفوزون .

وبنحو الذى قلنا فى تأويل ذلك ، قال جماعة من أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبوعاصم ، قال : ثنا عيسى ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، فى قول الله تعالى (قُلْ هَلْ يَسْتَوِى الأعْمَى والبَصِيرُ) قال : الضالّ والمهتدى .

حدثنى المثنى ، قال : ثنا أبوحذيفة ، قال : ثنا شبل ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد مثله .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، فى قوله (قُلْ هَلْ يَسْتَوِى الأعْمَى والبَصِيرُ) . . . الآية قال : الأعمى : الكافر الذى قد عمى عن حقّ الله وأمره ونعمه عليه ؛ والبصير : العبد المؤمن الذى أبصر بصرا نافعا ، فوحد الله وحده ، وعمل بطاعة ربه ، وانتفع بما آتاه الله .

القول في تأويل قوله تعالى

﴿وَأَنذِرْ بِهِ الَّذِينَ يَخَافُونَ أَن يُحْشَرُوا إِلَىٰ رَبِّهِمْ لَيْسَ لَهُم مِّن دُونِهِ وَلِيٌّ وَلَا شَفِيعٌ لَّعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴿٥١﴾﴾

❊ يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم: (وأَنْذِرْ) يا محمد بالقرآن الذى أنزلناه إليك القوم (الَّذِينَ يَخافُونَ أنْ يُحْشَرُوا إلى رَبِّهِمْ) علما منهم بأن ذلك كائن فهم مصدّقون بوعد الله ووعيده عاملون بما يرضى الله، دائمون فى السعى فيما ينقذهم فى معادهم من عذاب الله (لَيْسَ لَهُمْ مِنْ دُونِهِ وَلِيٌّ) أى ليس لهم من عذاب الله إن عذّبهم ولىّ ينصرهم، فيستنقذهم منه (وَلا شَفِيعٌ) يشفع لهم عند الله تعالى فيخلصهم من عقابه (لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ) يقول: أنذرهم كى يتقوا الله فى أنفسهم، فيطيعوا ربهم ويعملوا لمعادهم، ويحذروا سخطه باجتناب معاصيه، وقيل (وأَنْذِرْ بِهِ الَّذِينَ يَخافُونَ أنْ يُحْشَرُوا) ومعناه: يعلمون أنهم يُحشَرونَ، فوضعت المخافة موضع العلم، لأن خوفهم كان من أجل علمهم بوقوع ذلك، ووجوده من غير شكّ منهم فى ذلك، وهذا أمر من الله تعالى نبيه محمدا صلى الله عليه وسلم بتعليم أصحابه، ما أنزل الله إليه من وحيه وتذكيرهم، والإقبال عليهم بالإنذار، وصدّه عن المشركين به بعد الإعذار إليهم، وبعد إقامة الحجة عليهم، حتى يكون الله هو الحاكم فى أمرهم بما يشاء من الحكم فيهم.

القول في تأويل قوله تعالى:

﴿وَلَا تَطْرُدِ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ ۖ مَا عَلَيْكَ مِنْ حِسَابِهِم مِّن شَيْءٍ وَمَا مِنْ حِسَابِكَ عَلَيْهِم مِّن شَيْءٍ فَتَطْرُدَهُمْ فَتَكُونَ مِنَ الظَّالِمِينَ ﴿٥٢﴾﴾

❊ ذُكِر أن هذه الآية نزلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم فى سبب جماعة من ضعفاء المسلمين، قال المشركون له: لو طردت هؤلا عنك لغشيناك وحضرنا مجلسك:

ذكر الرواية بذلك

حدثنا هناد بن السرىّ، قال: ثنا أبو زيد، عن أشعث، عن كُردوس الثعلبى، عن ابن مسعود، قال: مرّ الملأ من قريش بالنبىّ صلى الله عليه وسلم وعنده صهيب وعمار وبلال وخباب ونحوهم من ضعفاء المسلمين، فقالوا: يا محمد أرضيت بهؤلاء من قومك، هؤلاء الذين منّ الله عليهم من بيننا، أنحن نكون تبعا لهؤلاء، اطردهم عنك، فلعلك إن طردتهم أن نتبعك، فنزلت هذه الآية (وَلا تَطْرُدِ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بالْغَداةِ وَالعَشِيِّ يُرِيدونَ وَجْهَهُ ـ وكَذَلِكَ فَتَنَّا بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ)... إلى آخر الآية.

حدثنا جرير، عن أشعث، عن كردوس الثعلبى، عن عبد الله، قال: مرّ الملأ من قريش على رسول الله صلى الله عليه وسلم، ثم ذكر نحوه.

حدثني أبو السائب ، قال : ثنا حفص بن غياث ، عن أشعث ، عن كردوس ، عن ابن عباس ، قال : مرّ على رسول الله صلى الله عليه وسلم ملأ من قريش ، ثم ذكر نحوه .

حدثني الحسين بن عمرو بن محمد العنقزى ، قال : ثنا أبى ، قال : ثنا أسباط ، عن السدىّ ، عن أبي سعيد الأزدىّ ، وكان قارئ الأزد ، عن أبي الكنود ، عن خباب ، فى قول الله تعالى (وَلا تَطْرُدِ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بالغَدَاةِ وَالعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ) . . . إلى قوله (فَتَكُونَ مِنَ الظَّالِمِينَ) قال : جاء الأقرع بن حابس التميمى ، وعيينة بن حصن الفزارى ، فوجدوا النبيّ صلى الله عليه وسلم قاعدا مع بلال وصهيب وعمار ، وخباب ، فى أناس من ضعفاء المؤمنين ؛ فلما رأوهم حوله حقروهم ، فأتوه فقالوا : إنا نحبّ أن تجعل لنا منك مجلسا تعرف لنا العرب به فضلنا ، فإن وفود العرب نأتيك ، فنستحيي أن ترانا العرب مع هؤلاء الأعبد ، فإذا نحن جئناك فأقمهم عنا ، فإذا نحن فرغنا فاقعد معهم إن شئت ، قال : نعم ، قالوا : فاكتب لنا عليك بذلك كتابا ، قال : فدعا بالصحيفة ، ودعا عليا ليكتب ، قال : ونحن قعود فى ناحية ، إذ نزل جبريل بهذه الآية (وَلا تَطْرُدِ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بالغَدَاةِ وَالعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ ، ما عَلَيْكَ مِنْ حِسابِهِمْ مِنْ شَيْءٍ ، وَما مِنْ حِسابِكَ عَلَيْهِمْ مِنْ شَيْءٍ فَتَطْرُدَهُمْ فَتَكُونَ مِنَ الظَّالِمِينَ) ثم قال (وَكَذَلِكَ فَتَنَّا بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لِيَقُولُوا : أَهَؤُلاءِ مَنَّ اللهُ عَلَيْهِمْ مِنْ بَيْنِنا ، أَلَيْسَ اللهُ بِأَعْلَمَ بِالشَّاكِرِينَ) ثم قال (وَإِذا جاءَكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بآياتنا فَقُلْ سَلامٌ عَلَيْكُمْ كَتَبَ رَبُّكُمْ على نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ) فألقى رسول الله صلى الله عليه وسلم الصحيفة من يده ، ثم دعانا ، فأتيناه وهو يقول (سَلامٌ عَلَيْكُمْ كَتَبَ رَبُّكُمْ على نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ) فكنا نقعد معه ، فإذا أراد أن يقوم قام وتركنا ، فأنزل الله تعالى (وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بالغَدَاةِ وَالعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ ، وَلا تَعْدُ عَيْناكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ الحَياةِ الدُّنْيا) قال : فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقعد معنا بعد ، فإذا بلغ الساعة التى يقوم فيها ، قمنا وتركناه حتى يقوم .

حدثني محمد بن الحسين ، قال : ثنا أحمد بن المفضل ، قال : ثنا أسباط ، عن السدىّ ، عن أبي سعيد الأزدىّ ، عن أبي الكنود ، عن خباب بن الأرت ، بنحو حديث الحسين بن عمرو إلا أنه قال فى حديثه : فلما رأوهم حوله نفّروهم ،فأتوه فخلَوا به ،وقال أيضا (فَتَكُونَ مِنَ الظَّالِمِينَ) ، ثم ذكر الأقرع وصاحبه ، فقال : (وَكَذَلِكَ فَتَنَّا بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ) . . . الآية ، وقال أيضا : فدعانا فأتيناه وهو يقول (سَلامٌ عَلَيْكُمْ) فدنونا منه يومئذ حتى وضعنا ركبنا على ركبتيه ، وسائر الحديث نحوه .

حدثنا الحسن بن يحيى ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا معمر ، عن قتادة ، وحدثنا محمد ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة والكلبي أن ناسا من كفار قريش قالوا للنبيّ صلى الله عليه وسلم : إن سرّك أن نتبعك فاطرد عنا فلانا وفلانا ، ناسا من ضعفاء المسلمين ، فقال الله تعالى (وَلا تَطْرُدِ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بالغَدَاةِ وَالعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ) .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (وَلا تَطْرُدِ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالغَدَاةِ وَالعَشِيِّ) . . . إلى قوله (وَكَذَلِكَ فَتَنَّا بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ) . . . الآية ، قال : وقد قال قائلون من الناس لرسول الله صلى الله عليه وسلم : يا محمد إن سرّك أن نتبعك فاطرد عنا فلانا وفلانا ، لأناس كانوا دونهم فى الدنيا ازدراهم المشركون ، فأنزل الله تعالى هذه الآية إلى آخرها .

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبوعاصم ، قال : ثنا عيسى ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد (وَلا تَطْرُدِ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالغَدَاةِ وَالعَشِيِّ) بلال وابن أمّ عبد كانا يجالسان محمدا صلى الله عليه وسلم، فقالت قريش محقرتهما : لولاهما وأمثالهما لجالسناه ، فنهى عن طردهم ، حتى قوله (أَلَيْسَ اللهُ بِأَعْلَمَ بِالشَّاكِرِينَ) قال : قل سلام عليكم فيما بين ذلك فى هذا .

حدثنى المثنى ، قال : ثنا أبوحذيفة ، قال : ثنا سفيان ، عن المقدام بن شريح ، عن أبيه ، قال : قال سعيد : نزلت هذه الآية فى ستة من أصحاب النبىّ صلى الله عليه وسلم ، منهم ابن مسعود ، قال : كنا نسبق إلى النبىّ صلى الله عليه وسلم ، وندنو منه ، ونسمع منه ، فقالت قريش : يدنى هؤلاء دوننا ؟ فنزلت (وَلا تَطْرُدِ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالغَدَاةِ وَالعَشِيِّ) .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنا حجاج ، عن ابن جريج ، عن عكرمة ، فى قوله (وَأَنْذِرْ بِهِ الَّذِينَ يَخَافُونَ أَنْ يُحْشَرُوا إلى رَبِّهِمْ) . . . الآية . قال : جاء عتبة بن ربيعة ، وشيبة ابن ربيعة ، ومطعم بن عدىّ ، والحرث بن نوفل ، وقرظة بن عبد عمرو بن نوفل فى أشراف من بنى عبد مناف من الكفار إلى أبى طالب ، فقالوا : يا أبا طالب لو أن ابن أخيك يطرد عنه موالينا وحلفاءنا ، فإنما هم عبيدنا وعسفاؤنا ، كان أعظم فى صدورنا ، وأطوع له عندنا ، وأدنى لاتباعنا إياه وتصديقنا له ، قال : فأتى أبوطالب النبىّ صلى الله عليه وسلم ، فحدثه بالذى كلموه به ، فقال عمر بن الخطاب : لو فعلت ذلك حتى تنظر ما الذى يريدون ، وإلام يصيرون من قولهم ، فأنزل الله تعالى هذه الآية (وَأَنْذِرْ بِهِ الَّذِينَ يَخَافُونَ أَنْ يُحْشَرُوا إلى رَبِّهِمْ لَيْسَ لَهُمْ مِنْ دُونِهِ وَلِيٌّ وَلا شَفِيعٌ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ۝ وَلا تَطْرُدِ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالغَدَاةِ وَالعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ) . . . إلى قوله (أَلَيْسَ اللهُ بِأَعْلَمَ بِالشَّاكِرِينَ) قال : وكانوا بلالا وعمار بن ياسر وسالما مولى أبى حذيفة ، وصبيحا مولى أسيد ؛ ومن الحلفاء : ابن مسعود ، والمقداد بن عمرو ، ومسعود ابن القارى ، وواقد بن عبد الله الحنظلى ، وعمرو بن عبد عمرو ذوالشمالين ، ومرثد بن أبى مرثد ، وأبومرثد من غنىّ حليف حمزة بن عبد المطلب وأشباههم من الحلفاء ، ونزلت فى أئمة الكفر من قريش والموالى والحلفاء (وَكَذَلِكَ فَتَنَّا بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لِيَقُولُوا أَهَؤُلاءِ مَنَّ اللهُ عَلَيْهِمْ مِنْ بَيْنِنَا) . . . الآية ؛ فلما نزلت أقبل عمر بن الخطاب ، فاعتذر من مقالته ، فأنزل الله تعالى (وَإِذَا جَاءَكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِنَا ، فَقُلْ سَلامٌ عَلَيْكُمْ) . . . الآية .

حدثنى يونس بن عبد الأعلى ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، قال رجل للنبىّ صلى الله عليه وسلم : إنى أستحيى من الله أن يرانى مع سلمان وبلال وذويهم ، فاطردهم عنك ، وجالس فلانا وفلانا ، قال : فنزل القرآن (وَلا تَطْرُدِ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بالغَدَاةِ والعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ) فقرأ حتى بلغ (فَتَكُونَ مِنَ الظَّالِمِينَ) ما بينك وبين أن تكون من الظالمين إلا أن تطردهم ، ثم قال (وكَذَلِكَ فَتَنَّا بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لِيَقُولُوا أهَؤُلاءِ مَنَّ اللهُ عَلَيْهِمْ مِنْ بَيْنِنا ، ألَيْسَ اللهُ بأعْلَمَ بالشَّاكِرِينَ) ثم قال : وهؤلاء الذين أمروك أن تطردهم ، فأبلغهم منى السلام وبشرهم ، وأخبرهم أنى قد غفرت لهم ، وقرأ (وَإذَا جاءَكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بآياتنا فقُلْ سَلامٌ عَلَيْكُمْ كَتَبَ رَبُّكُمْ على نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ) فقرأ حتى بلغ (وكَذَلِكَ نُفَصِّلُ الآياتِ ولِتَسْتَبِينَ سَبِيلُ المُجْرِمِينَ) قال : لتعرفها .

واختلف أهل التأويل فى الدعاء الذى كان هؤلاء الرهط الذين نهى الله نبيه صلى الله عليه وسلم عن طردهم يدعون ربهم به ، فقال بعضهم : هى الصلوات الخمس .

ذكر من قال ذلك

حدثنا المثنى ، قال : ثنا عبد الله بن صالح ، قال : ثنى معاوية بن صالح ، عن علىّ بن أبى طلحة ، عن ابن عباس ، قوله (وَلا تَطْرُدِ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بالغَدَاةِ وَالعَشِيِّ) يعنى : يعبدون ربهم بالغداة والعشىّ ، يعنى الصلوات المكتوبة .

حدثنا المثنى ، قال : ثنا الحجاج بن المنهال ، قال : ثنا حماد ، عن أبى حمزة ، عن إبراهيم ، فى قوله (يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بالغَدَاةِ والعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ) قال : هى الصلوات الخمس الفرائض ، ولو كان يقول القصاص هلك من لم يجلس إليهم .

حدثنا هناد بن السرىّ وابن وكيع ، قالا : ثنا ابن فضيل ، عن الأعمش ، عن إبراهيم (وَلا تَطْرُدِ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بالغَدَاةِ والعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ) قال : هى الصلاة .

حدثنى المثنى ، قال : ثنا أبوحذيفة ، قال : ثنا شبل ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد (وَلا تَطْرُدِ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بالغَدَاةِ وَالعَشِيِّ) الصلاة المفروضة : الصبح والعصر .

حدثنى موسى بن عبدالرحمن الكندى ، قال : ثنا حسن الجعفى ، قال : أخبرنى حمزة بن المغيرة ، عن حمزة بن عيسى ، قال : دخلت على الحسن فسألته ، فقلت : يا أبا سعيد ، أرأيت قول الله (وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بالغَدَاةِ وَالعَشِيِّ) أهم هؤلاء القصّاص ؟ قال : لا ، ولكنهم المحافظون على الصلوات فى الجماعة .

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبوعاصم ، قال : ثنا عيسى ، وحدثنى الحرث ، قال : ثنا الحسين قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد فى قول الله (الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بالغَدَاةِ وَالعَشِيِّ) قال : الصلاة المكتوبة .

حُدثت عن الحسين بن الفرج ، قال : سمعت أبا معاذ، قال : أخبرنا عبيد ، قال : سمعت الضحاك يقول فى قوله (يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بالغَدَاةِ وَالعَشِيِّ) قال : يعبدون ربهم بالغداة والعشيّ : يعنى الصلاة المفروضة .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بالغَدَاةِ وَالعَشِيِّ) هما الصلاتان : صلاة الصبح ، وصلاة العصر .

حدثنى ابن البرقى ، قال : ثنا ابن أبى مريم، قال : ثنا يحيى بن أيوب، قال : ثنا محمد بن عجلان، عن نافع ، عن عبد الله بن عمر فى هذه الآية (وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بالغَدَاةِ وَالعَشِيِّ) . . . الآية ، إنهم الذين يشهدون الصلوات المكتوبة .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا عبد الرحمن ، قال : ثنا سفيان، عن منصور ، عن مجاهد وإبراهيم (وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بالغَدَاةِ وَالعَشِيِّ) قالا : الصلوات الخمس .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا يحيى ، عن سفيان ، عن منصور ، عن مجاهد ، مثله .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد (وَلا تَطْرُدِ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بالغَدَاةِ وَالعَشِيِّ) قال : المصلين المؤمنين بلال وابن أمّ عبد .

قال ابن جريج : وأخبرنى عبد الله بن كثير ، عن مجاهد ، قال : صليت الصبح مع سعيد بن المسيب، فلما سلم الإمام ابتدر الناس القاصّ ، فقال سعيد : ما أسرعهم إلى هذا المجلس ! قال مجاهد : فقلت : يتأوّلون ماقال الله تعالى، قال : وما قال ؟قلت: (ولا تَطْرُدِ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بالغَدَاةِ وَالعَشِيِّ) قال : وفى هذا ذا ؟ إنما ذاك فى الصلاة التى انصرفنا عنها الآن ، إنما ذاك فى الصلاة .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنا وكيع ، عن أبيه ، عن منصور ، عن عبد الرحمن بن أبى عمرة ، قال : الصلاة المكتوبة .

حدثنا المثنى ، قال : ثنا إسحاق ، قال : ثنا وكيع ، عن إسرائيل ، عن جابر ، عن عامر ، قال : هى الصلاة .

حدثنا المثنى ، قال : ثنا إسحاق ، قال : ثنا وكيع ، عن أبيه ، عن إسرائيل ، عن عامر ، قال : هى الصلاة .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (وَلا تَطْرُدِ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بالغَدَاةِ وَالعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ) يقول : صلاة الصبح ، وصلاة العصر .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا جرير ، عن منصور ، عن مجاهد ، قال : صلى عبد الرحمن فى مسجد الرسول ، فلما صلى قام فاستند إلى حجرة النبىّ صلى الله عليه وسلم ، فانثال الناس عليه ، فقال : يا أيها الناس إليكم ، فقيل : يرحمك الله ، إنما جاءوا يريدون هذه الآية (وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعونَ رَبَّهُمْ بالغَدَاةِ وَالعَشِيِّ) فقال : وهذا عنى بهذا إنما هو فى الصلاة .

وقال آخرون : هى الصلاة ، ولكن القوم لم يسألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم طرد هؤلاء الضعفاء عن مجلسه ، ولا تأخيرهم عن مجلسه ، وإنما سألوه تأخيرهم عن الصفّ الأوّل حتى يكونوا وراءهم فى الصفّ.

ذكر من قال ذلك

حدثنى محمد بن سعد ، قال : ثنى أبى ، قال : ثنى عمى ، قال : ثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله (وَكَذَلِكَ فَتَنَّا بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ) . . . الآية ، فهم أناس كانوا مع النبىّ صلى الله عليه وسلم من الفقراء ، فقال أناس من أشراف الناس : نؤمن لك ، وإذا صلينا فأخّر هؤلاء الذين معك فليصلوا خلفنا.

وقال آخرون : بل معنى دعائهم : كان ذكرهم الله تعالى :

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبى ، وحدثنا هناد ، قال : ثنا وكيع ، عن سفيان ، عن منصور ، عن إبراهيم ، قوله (وَلَا تَطْرُدِ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ) قال : أهل الذكر :

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا جرير ، عن منصور (وَلَا تَطْرُدِ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ) قال : هم أهل الذكر .

حدثنا ابن حميد قال : ثنا جرير ، عن منصور ، عن إبراهيم (وَلَا تَطْرُدِ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ) قال : لاتطردهم عن الذكر .

وقال آخرون : بل كان ذلك تعلمهم القرآن وقراءته .

ذكر من قال ذلك

حدثنى المثنى ، قال : ثنا إسحاق ، قال : ثنا وكيع ، عن إسرائيل ، عن جابر ، عن أبى جعفر ، قوله (وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ) قال : كان يقرئهم القرآن النبىّ صلى الله عليه وسلم .

وقال آخرون : بل عنى بدعائهم ربهم : عبادتهم إياه .

ذكر من قال ذلك

حُدثت عن الحسين ، قال : سمعت أبا معاذ ، قال : ثنا عبيد بن سليمان ، قال : سمعت الضحاك يقول فى قوله (يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ) قال : يعنى : يعبدون ، ألا ترى أنه قال (لاجَرَمَ أَنَّمَا تَدْعُونَنِى إِلَيْهِ) يعنى : تعبدونه .

❊ والصواب من القول فى ذلك أن يقال : إن الله تعالى نهى نبيه محمدا صلى الله عليه وسلم أن يطرد قوما كانوا يدعون ربهم بالغداة والعشىّ ، والدعاء لله يكون بذكره وتمجيده ، والثناء عليه قولا وكلاما ، وقد يكون بالعمل له بالجوارح الأعمال التى كان عليهم فرضها ، وغيرها من النوافل التى ترضى والعامل له عابده بما هو عامل له ؛ وقد يجوز أن يكون القوم كانوا جامعين هذه المعانى كلها ، فوصفهم الله بذلك بأنهم يدعونه بالغداة والعشىّ ، لأن الله قد سمى العبادة دعاء ، فقال تعالى ذكره (وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِى

أَسْتَجِبْ لَكُمْ ، إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ) وقد يجوز أن يكون ذلك على خاصّ من الدعاء ، ولا قول أولى بذلك بالصحة من وصف القوم بما وصفهم الله به من أنهم كانوا يدعون ربهم بالغداة والعشيّ ، فيعمُّون بالصفة التي وصفهم بها ربهم ، ولا يخصون منها بشيء دون شيء ؛ فتأويل الكلام إذن : يا محمد أنذر بالقرآن الذي أنزلته إليك ، الذين يعلمون أنهم إلى ربهم محشورون ، فهم من خوف ورودهم على الله الذي لاشفيع لهم من دونه ، ولا نصير في العمل له دائمون ، إذ أعرض عن إنذارك ، واستماع ما أنزل الله عليك المكذّبون بالله واليوم الآخر من قومك استكبارا على الله ، ولا تطردهم ولا تُقْصِهم ، فتكون ممن وضعَ الإقصاء في غير موضعه ، فأقصى وطرد من لم يكن له طرده وإقصاؤه ، وقرّب من لم يكن له تقديمه بقربه وإدنائه ، فإن الذين نهيتك عن طردهم هم الذين يدعون ربهم ، فيسألون عفوه ومغفرته لصالح أعمالهم ، وأداء ما ألزمهم من فرائضه ونوافل تطوّعهم ، وذكرهم إياه بألسنتهم بالغداة والعشيّ يلتمسون بذلك القربة إلى الله ، والدنوّ من رضاه (ما عَلَيْكَ مِنْ حِسَابِهِمْ مِنْ شَيْءٍ) ، يقول : ما عليك من حساب ما رزقتهم من الرزق من شيء ، وما عليهم من حساب ما رزقتك من الرزق من شيء ، فتطردهم حذار محاسبتي إياك بما خولتهم في الدنيا من الرزق ، وقوله (فَتَطْرُدَهُمْ) : جواب لقوله (ما عَلَيْكَ مِنْ حِسَابِهِمْ مِنْ شَيْءٍ وَمَا مِنْ حِسَابِكَ عَلَيْهِم مِنْ شَيْءٍ) وقوله (فَتَكُونَ مِنَ الظَّالِمِينَ) جواب لقوله (وَلاتَطْرُدِ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ).

القول في تأويل قوله تعالى :

وَكَذَٰلِكَ فَتَنَّا بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لِّيَقُولُوٓا۟ أَهَٰٓؤُلَآءِ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنۢ بَيْنِنَآ ۗ أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِأَعْلَمَ بِٱلشَّٰكِرِينَ ﴿٥٣﴾

❁ يعني تعالى ذكره بقوله (وَكَذَلِكَ فَتَنَّا بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ) وكذلك اختبرنا وابتلينا .

كالذي حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، وحدثنا الحسن بن يحيى ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا معمر ، عن قتادة (وَكَذَلِكَ فَتَنَّا بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ) يقول : ابتلينا بعضهم ببعض .

وقد دللنا فيما مضى من كتابنا هذا على معنى الفتنة ، وأنها الاختبار والابتلاء ، بما أغنى عن إعادته في هذا الموضع ، وإنما فتنة الله تعالى بعض خلقه ببعض ، مخالفته بينهم فيما قسم لهم من الأرزاق والأخلاق ، فجعل بعضا غنيا ، وبعضا فقيرا ، وبعضا قويا ، وبعضا ضعيفا ، فأحوج بعضهم إلى بعض ، اختبارا منه لهم بذلك .

وبنحو الذي قلنا في ذلك ، قال جماعة من أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنى المثنى ، قال : ثنا عبد الله بن صالح ، قال : ثنى معاوية بن صالح ، عن علىّ بن أبى طلحة ، عن ابن عباس ، قوله (وَكَذَلِكَ فَتَنَّا بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ) يعنى أنه جعل بعضهم أغنياء ، وبعضهم فقراء ، فقال الأغنياء للفقراء : أهؤلاء منّ الله عليهم من بيننا ، يعنى : هداهم الله ، وإنما قالوا ذلك استهزاء وسخرية .

وأما قوله (لِيَقُولُوا أَهَؤُلَاءِ مَنَّ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنْ بَيْنِنَا) يقول تعالى : اختبرنا الناس بالغنى والفقر ، والعزّ والذلّ ، والقوّة والضعف ، والهدى والضلال ، كى يقول من أضله الله وأعماه عن سبيل الحقّ للذين هداهم الله ووفقهم ، أهؤلاء منّ الله عليهم بالهدى والرشد وهم فقراء ضعفاء أذلاء من بيننا ، ونحن أغنياء أقوياء ، استهزاء بهم ، ومعاداة للإسلام وأهله ، يقول تعالى (أَلَيْسَ اللَّهُ بِأَعْلَمَ بِالشَّاكِرِينَ) وهذا منه تعالى إجابة لهؤلاء المشركين الذين أنكروا أن يكون الله هدى أهل المسكنة والضعف للحقّ ، وخذلهم عنه وهم أغنياء ، وتقرير لهم أنا أعلم بمن كان من خلقى شاكرا نعمتى ، ممن هو لها كافر ، فمنّى على من مننت عليه منهم بالهداية جزاء شكره إياى على نعمتى ، وتخذيلى من خذلت منهم عن سبيل الرشاد عقوبة كفرانه إياى نعمتى لا لغنى الغنىّ منهم ، ولا لفقر الفقير ، لأن الثواب والعقاب لايستحقه أحد إلا جزاء على عمله الذى اكتسبه ، لاعلى غناه وفقره ، لأن الغنى والفقر ، والعجز والقوّة ليس من أفعال خلقى .

القول فى تأويل قوله تعالى :

﴿ وَإِذَا جَاءَكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِنَا فَقُلْ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ أَنَّهُ مَنْ عَمِلَ مِنْكُمْ سُوءًا بِجَهَالَةٍ ثُمَّ تَابَ مِنْ بَعْدِهِ وَأَصْلَحَ فَأَنَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾

اختلف أهل التأويل فى الذين عنى الله تعالى بهذه الآية ، فقال بعضهم : عنى بها الذين نهى الله نبيه عن طردهم ، وقد مضت الرواية بذلك عن قائليه .

وقال آخرون : عنى بها قوما استفتوا النبىّ صلى الله عليه وسلم فى ذنوب أصابوها عظام ، فلم يؤيسهم الله من التوبة .

ذكر من قال ذلك

حدثنا محمد بن بشار ، قال : ثنا يحيى بن سعيد ، قال : ثنا سفيان ، عن مجمع ، قال : سمعت ماهان ، قال : جاء قوم إلى النبىّ صلى الله عليه وسلم ، قد أصابوا ذنوبا عظاما ، قال : ماهان فما إخاله ردّ عليهم شيئا ، قال : فأنزل الله هذه الآية (وَإِذَا جَاءَكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِنَا فَقُلْ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ) . . . الآية .

حدثنا هناد ، قال : ثنا قبيصة ، عن سفيان ، عن مجمع ، عن ماهان ، أن قوما جاءوا إلى النبىّ صلى الله عليه وسلم ، فقالوا : يا محمد إنا أصبنا ذنوبا عظاما ، فما إخاله ردّ عليهم شيئا ، فانصرفوا ، فأنزل الله تعالى (وَإِذَا جَاءَكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِنَا فَقُلْ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ) قال : فدعاهم ، فقرأها عليهم .

حدثنا المثنى ، قال : ثنا أبو نعيم ، قال : ثنا سفيان ، عن مجمع التيمي ، قال : سمعت ماهان يقول ، فذكر نحوه .

وقال آخرون : بل عُنى بها قوم من المؤمنين كانوا أشاروا على النبيّ صلى الله عليه وسلم بطرد القوم الذين نهاه الله عن طردهم ، فكان ذلك منهم خطيئة ، فغفرها الله لهم ، وعفا عنهم ، وأمر نبيه صلى الله عليه وسلم إذا أتوه أن يبشرهم بأن قد غفر لهم خطيئتهم التى سلفت منهم بمشورتهم على النبيّ صلى الله عليه وسلم بطرد القوم الذين أشاروا عليه بطردهم ، وذلك قول عكرمة وعبد الرحمن بن زيد، وقد ذكرنا الرواية عنهما بذلك قبل .

❊ وأولى الأقوال فى ذلك عندى بتأويل الآية ، قول من قال المعنيون بقوله (وَإِذَا جاءَكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بآياتِنا فَقُلْ سَلامٌ عَلَيْكُمْ) غير الذين نهى الله النبيّ صلى الله عليه وسلم عن طردهم ، لأن قوله (وَإِذَا جاءَكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بآياتنا) خبر مستأنف بعد تقضى الخبر عن الذين نهى الله نبيه صلى الله عليه وسلم عن طردهم ، ولو كانوا هم لقيل : وإذا جاءوك فقل سلام عليكم ، وفى ابتداء الله الخبر عن قصة هؤلاء وتركه وصل الكلام بالخبر عن الأوّلين ما ينبئ عن أنهم غيرهم .

فتأويل الكلام إذ كان الأمر على ما وصفنا : وإذا جاءك يا محمد القوم الذين يصدّقون بتنزيلنا وأدلتنا وحججنا ، فيقرّون بذلك قولا وعملا ، مسترشديك عن ذنوبهم التى سلفت منهم بيني وبينهم ، هل لهم منها توبة فلا تؤيسهم منها ، وقل لهم : سلام عليكم : أمنة الله لكم من ذنوبكم أن يعاقبكم عليها بعد توبتكم منها (كَتَبَ رَبُّكُمْ على نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ) يقول : قضى ربكم الرحمة بخلقه (أَنَّه مَنْ عَمِلَ مِنْكُمْ سُوءًا بِجَهالَةٍ ثُمَّ تابَ مِنْ بَعْدِهِ وأَصْلَحَ ، فإنَّه غَفُورٌ رَحِيمٌ) .

واختلفت القراء فى قراءة ذلك ، فقرأته عامة قراء المدنيين (أَنَّه مَنْ عَمِلَ مِنْكُمْ سُوءًا) فيجعلون أنّ منصوبة على الترجمة بها عن الرحمة (ثُمَّ تابَ مِنْ بَعْدِهِ وأَصْلَحَ ، فإنَّه غَفُورٌ رَحِيمٌ) . على ائتناف إنه بعد الفاء فيكسرونها ويجعلونها أداة لا موضع لها ، بمعنى : فهو له غفور رحيم ، أو فله المغفرة والرحمة . وقرأهما بعض الكوفيين بفتح الألف منهما جميعا ، بمعنى : كتب ربكم على نفسه الرحمة ، ثم ترجم بقوله (أَنَّه مَنْ عَمِلَ مِنْكُمْ سُوءًا بِجَهالَةٍ) عن الرحمة (فأَنَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ) ، فيعطف فأنه الثانية ، على أنه الأولى ، ويجعلهما اسمين منصوبين على ما بينت . وقرأ ذلك بعض المكيين ، وعامة قرّاء أهل العراق من الكوفة والبصرة بكسر الألف من إنه وإنه على الابتداء ، وعلى أنهما أداتان لا موضع لهما .

❊ وأولى القراءات فى ذلك عندى بالصواب ، قراءة من قرأهما بالكسر (كَتَبَ رَبُّكُمْ على نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ إِنَّه) على ابتداء الكلام ، وأن الخبر قد انتهى عند قوله (كَتَبَ رَبُّكُمْ على نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ) ثم استؤنف الخبر عما هو فاعل تعالى ذكره بمن عمل سوءا بجهالة ثم تاب وأصلح منه ، ومعنى قوله (أَنَّهُ مَنْ عَمِلَ مِنْكُمْ سُوءًا بِجَهالَةٍ) : أنه من اقترف منكم ذنبا ، فجهل باقترافه إياه ، (ثُمَّ تابَ

وأصْلَحَ ، فإنَّهُ غَفُورٌ) لذنبه إذا تاب وأناب ، وراجع العمل بطاعة الله ، وترك العود إلى مثله مع الندم على ما فرط منه (رَحِيمٌ) بالتائب أن يعاقبه على ذنبه بعد توبته منه .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك ، قال جماعة من أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبوخالد الأحمر ، عن عثمان ، عن مجاهد (مَنْ عَمِلَ مِنْكُمْ سُوءًا بِجَهَالَةٍ) قال : من جهل أنه لايعلم حلالا من حرام ، ومن جهالته ركب الأمر .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبو خالد ، عن جويبر ، عن الضحاك ، مثله .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا جرير ، عن ليث ، عن مجاهد (يَعْمَلُونَ السُّوءَ بِجَهَالَةٍ) قال : من عمل بمعصية الله ، فذاك منه جهل حتى يرجع .

حدثنى الحرث ، قال : ثنا عبد العزيز ، قال : ثنا بكر بن خنيس ، عن ليث ، عن مجاهد ، فى قوله (مَنْ عَمِلَ مِنْكُمْ سُوءًا بِجَهَالَةٍ) قال : كلّ من عمل بخطيئة فهو بها جاهل .

حدثنى الحرث ، قال : ثنا عبد العزيز ، قال : ثنا خالد بن دينار أبوخلدة ، قال : كنا إذا دخلنا على أبى العالية قال (وَإِذَا جاءَكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بآياتِنا فَقُلْ سَلامٌ عَلَيْكُمْ كَتَبَ رَبُّكُمْ على نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ) :

القول فى تأويل قوله تعالى :

﴿ وَكَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ وَلِتَسْتَبِينَ سَبِيلُ الْمُجْرِمِينَ ۝ ﴾

يعنى تعالى ذكره بقوله (وكَذَلِكَ نُفَصِّلُ الآياتِ) وكما فصلنا لك فى هذه السورة من ابتدائها وفاتحتها يا محمد إلى هذا الموضع حجتنا على المشركين من عبدة الأوثان وأدلتنا ، وميزناها لك وبيَّناها ، كذلك نفصل لك أعلامنا وأدلتنا فى كلّ حقّ ينكره أهل الباطل من سائر أهل الملل غيرهم ، فنبينها لك حتى تبين حقه من باطله ، و صحيحه من سقيمه .

واختلفت القرّاء فى قراءة قوله (وَلِتَسْتَبِينَ سَبِيلُ المُجْرِمِينَ) فقرأ ذلك عامة قرّاء أهل المدينة (ولِتَسْتَبِينَ) بالتاء (سَبِيلَ المُجْرِمِينَ) بنصب السبيل ، على أن تستبين خطاب للنبىّ صلى الله عليه وسلم ، كأن معناه عدهم : ولتستبين أنت يا محمد سبيل المجرمين ، وكان ابن زيد يتأوّل ذلك : ولتستبين أنت يامحمد سبيل المجرمين الذين سألوك طرد النفر الذين سألوه طردهم عنه من أصحابه .

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد (وَلِتَسْتَبِينَ سَبِيلُ المُجْرِمِينَ) قال : الذين يأمرونك بطرد هؤلاء . وقرأ ذلك بعض المكيين وبعض البصريين (ولِتَسْتَبِينَ) بالتاء (سَبِيلُ المُجْرِمِينَ) برفع السبيل على أن القصد للسبيل ، ولكنه يؤنثها ، وكأن معنى الكلام عندهم : وكذلك نفصّل الآيات ، ولتضح لك وللمؤمنين طريق المجرمين ، وقرأ ذلك عامة قراء أهل الكوفة :

(ولِيَسْتَبِينَ) بالياء (سَبِيلُ المُجْرِمِينَ) برفع السبيل على أن الفعل للسبيل ولكنهم يذكرونه ، ومعنى هؤلاء فى هذا الكلام ، ومعنى من قرأ ذلك بالتاء فى (ولِتَسْتَبِينَ) ورفع السبيل واحد ، وإنما الاختلاف بينهم فى تذكير السبيل وتأنيثها .

⁂ وأولى القراءتين بالصواب عندى فى السبيل : الرفع ، لأن الله تعالى ذكره فصّل آياته فى كتابه وتنزيله ، ليتبيَّن الحقّ بها من الباطل جميع من خوطب بها ، لابعض دون بعض . ومن قرأ السبيل بالنصب ، فإنما جعل تبيين ذلك محصورا على النبيّ صلى الله عليه وسلم . وأما القراءة فى قوله (وَلِتَسْتَبِينَ) فسواء قُرئت بالتاء أو بالياء ، لأن من العرب من يذكر السبيل ، وهى تميم وأهل نجد ، ومنهم من يؤنث السبيل ، وهم أهل الحجاز ، وهما قراءتان مستفيضتان فى قرّاء الأمصار ، ولغتان مشهورتان من لغات العرب ، وليس فى قراءة ذلك بإحداهما خلاف لقراءته بالأخرى ، ولا وجه لاختيار إحداهما على الأخرى بعد أن يرفع السبيل للعلة التى ذكرنا .

وبنحو الذى قلنا فى تأويل قوله (نُفصّلُ الآياتِ) قال أهل التأويل .

حدثنى المثنى ، قال : ثنا إسحاق ، قال : ثنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا معمر ، عن قتادة (وكذَلِكَ نُفَصّلُ الآياتِ) نبين الآيات .

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد فى (نُفَصّلُ الآياتِ) : نبين .

القول فى تأويل قوله تعالى :

قُلْ إِنِّي نُهِيتُ أَنْ أَعْبُدَ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ قُلْ لَا أَتَّبِعُ أَهْوَاءَكُمْ قَدْ ضَلَلْتُ إِذًا وَمَا أَنَا مِنَ الْمُهْتَدِينَ ﴿٥٦﴾

⁂ يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم : قل يا محمد لهؤلاء المشركين بربهم من قومك ، العادلين به الأوثان والأنداد ، الذين يدعونك إلى موافقتهم على دينهم ، وعبادة الأوثان : إن الله نهانى أن أعبد الذين تدعون من دونه ، فلن أتبعكم على ما تدعوننى إليه من ذلك ، ولا أوافقكم عليه ، ولا أعطيكم محبتكم وهواكم فيه ، وإن فعلت ذلك ، فقد تركت محجة الحقّ ، وسلكت على غير الهدى ، فصرت ضالا مثلكم على غير استقامة . وللعرب فى ضللت لغتان : فتح اللام وكسرها ، واللغة الفصيحة المشهورة هى فتحها ، وبها قرأ عامة قراء الأمصار ، وبها نقرأ لشهرتها فى العرب ؛ وأما الكسر فليس بالغالب فى كلامها والقراء بها قليلون ، فمن قال ضللت قال أضل ، ومن قال ضللت قال فى المستقبل أضلّ ، وكذلك القراءة عندنا فى سائر القرآن ، وقالوا أئذا ضللنا بفتح اللام .

القول فى تأويل قوله تعالى :

قُلْ إِنِّي عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّي وَكَذَّبْتُمْ بِهِ مَا عِنْدِي مَا تَسْتَعْجِلُونَ بِهِ إِنِ الْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ يَقُصُّ الْحَقَّ وَهُوَ خَيْرُ الْفَاصِلِينَ ﴿٥٧﴾

* يقول تعالى ذكره لنبيه صلى الله عليه وسلم (قُلْ) يا محمد لهؤلاء العادلين بربهم ، الداعين لك إلى الإشراك بربك (إِنِّي على بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّي) أي إني على بيان قد تبينته ، وبرهان قد وضح لى من ربي ؛ يقول : من توحيده ، وما أنا عليه من إخلاص عبوديته من غير إشراك شيء به ، وكذلك تقول العرب : فلان على بينة من هذا الأمر : إذا كان على بيان منه ، ومن ذلك قول الشاعر :

أَبَيِّنَةً تَبْغُونَ بَعْدَ اعْتِرَافِهِ ... وَقَوْلِ سُوَيْدٍ قَدْ كَفَيْتُكُمْ بِشْرَا(١)

(وكَذَّبْتُمْ بِهِ) يقول : وكذبتم أنتم بربكم ، والهاء في قوله من ذكر الربِّ جل وعزّ (ما عِنْدِي ما تَسْتَعْجِلُونَ بِهِ) يقول : ما الذى تستعجلون من نقم الله وعذابه بيدى ، ولا أنا على ذلك بقادر ، وذلك أنهم قالوا حين بعث الله نبيه محمدا صلى الله عليه وسلم بتوحيده ، فدعاهم إلى الله ، وأخبرهم أنه رسوله إليهم (هَلْ هَذَا إِلاَّ بَشَرٌ مِثْلُكُمْ ، أَفَتَأْتُونَ السِّحْرَ وأَنْتُمْ تُبْصِرُونَ) وقالوا للقرآن : هو أضغاث أحلام . وقال بعضهم : بل هو اختلاق اختلقه . وقال آخرون : بل محمد شاعر ، فليأتنا بآية كما أرسل الأوّلون ، فقال الله لنبيه صلى الله عليه وسلم : أجبهم بأن الآيات بيد الله لا بيدك ، وإنما أنت رسول ، وليس عليك إلا البلاغ لما أرسلت به ، وإن الله يقضى الحقّ فيهم وفيك ، ويفصل به بينك وبينهم ، فيتبين المحقّ منكم والمبطل ، (وهُوَ خَيْرُ الفاصِلِينَ) : أى وهو خير من بين وميز بين المحقّ والمبطل وأعدلهم ، لأنه لا يقع فى حكمه وقضائه حيف إلى أحد ، لوسيلة له إليه ، ولا لقرابة ولا مناسبة ، ولا فى قضائه جور ، لأنه لا يأخذ الرشوة فى الأحكام فيجور ، فهو أعدل الحكام وخير الفاصلين . وقد ذكر لنا فى قراءة عبد الله : وهو أسرع الفاصلين .

حدثنا محمد بن بشار ، قال : ثنا محمد بن جعفر ، قال : ثنا شعبة ، عن أبى بشر ، عن سعيد بن جبير أنه قال فى قراءة عبد الله : يقضى الحقّ وهو أسرع الفاصلين .

واختلفت القراء فى قراءة قوله (يَقْضِي الحَقّ) فقرأه عامة قرّاء الحجاز والمدينة وبعض قرّاء أهل الكوفة والبصرة (إِنِ الحُكْمُ إِلاَّ لِلَّهِ يَقُصُّ الحَقَّ) بالصاد بمعنى القصص ، وتأوّلوا فى ذلك قول الله تعالى (نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ القَصَصِ) وذكر ذلك عن ابن عباس .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا ابن عيينة ، عن عمرو بن دينار ، عن عطاء ، عن ابن عباس ، قال : (يَقُصُّ الحَقَّ) وقال (نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ القَصَصِ) .

وقرأ ذلك جماعة من قرّاء الكوفة والبصرة (إِنِ الحُكْمُ إِلاَّ لِلَّهِ يَقْضِي الحَقَّ) بالضاد من القضاء بمعنى الحكم ، والفصل بالقضاء ، واعتبروا صحة ذلك بقوله (وَهُوَ خَيْرُ الفاصِلِينَ) وأن الفصل بين المختلفين إنما يكون بالقضاء لا بالقصص .

* وهذه القراءة عندنا أولى القراءتين بالصواب لما ذكرنا لأهلها من العلة . فمعنى الكلام إذن : ما الحكم

---

(١) لم أعثر على قائل هذا البيت . ومعناه واضح .

فيما تستعجلون به أيها المشركون من عذاب الله ، وفيما بيني وبينكم ، إلا الله الذى لايجور فى حكمه ، وبيده الخلق والأمر ، يقضى الحقّ بينى وبينكم، وهو خير الفاصلين بيننا بقضائه وحكمه .

القول في تأويل قوله تعالى :

قُل لَّوْ أَنَّ عِندِى مَا تَسْتَعْجِلُونَ بِهِۦ لَقُضِىَ ٱلْأَمْرُ بَيْنِى وَبَيْنَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٥٨﴾

يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم : قل يا محمد لهؤلاء العادلين بربهم الآلهة والأوثان المكذّبيك فيما جئتهم به ، السائليك أن تأتيهم بآية استعجالا منهم بالعذاب ، لو أن بيدى ماتستعجلون به من العذاب لقضى الأمر بينى وبينكم ، ففصل ذلك أسرع الفصل بتعجيلى لكم ما تسألونى من ذلك وتستعجلونه ولكن ذلك بيد الله ، الذى هو أعلم بوقت إرساله على الظالمين الذين يضعون عبادتهم التى لاتنبغى أن تكون إلا لله فى غير موضعها ، فيعبدون من دونه الآلهة والأصنام ، وهو أعلم بوقت الانتقام منهم، وحال القضاء بينى وبينهم ، وقد قيل : معنى قوله (لَقُضِيَ الأمْرُ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ) الذبح للموت.

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبو خالد الأحمر ، عن ابن جريج، قال : بلغنى فى قوله (لَقُضِيَ الأمْرُ) قال : ذبح الموت .

وأحسب أن قائل هذا النوع نزع لقوله (وأَنْذِرْهُمْ يَوْمَ الحَسْرَةِ إذْ قُضِيَ الأمْرُ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ) فإنه روى عن النبيّ صلى الله عليه وسلم فى ذلك قصة تدلّ على معنى ماقاله هذا القائل فى قضاء الأمر ، وليس قوله (لَقُضِيَ الأمْرُ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ) من ذلك فى شيء ، وإنما هذا أمر من الله تعالى نبيه محمدا صلى الله عليه وسلم أن يقول لمن استعجله فصل القضاء بينه وبينهم من قوله بآية يأتيهم بها : لو أن العذاب والآيات بيدى وعندى ، لعاجلتكم بالذى تسألونى من ذلك، ولكنه بيد من هو أعلم بما يصلح خلقه منى ومن جميع خلقه .

القول في تأويل قوله تعالى:

وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَآ إِلَّا هُوَ ۚ وَيَعْلَمُ مَا فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ ۚ وَمَا تَسْقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٍ فِى ظُلُمَٰتِ ٱلْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مُّبِينٍ ﴿٥٩﴾

يقول (وَعِنْدَهُ مَفاتِحُ الغَيْبِ) والمفاتح : جمع مفتح ، يقال فيه : مفتح ومفتاح ، فمن قال مفتح جمعه مفاتح ، ومن قال مفتاح جمعه مفاتيح .

ويعنى بقوله (وَعِنْدَهُ مَفاتِحُ الغَيْبِ) خزائن الغيب ، كالذى حدثنى محمد بن الحسين ، قال : ثنا أحمد بن المفضل ، قال : ثنا أسباط ، عن السدىّ (وَعِنْدَهُ مَفاتِحُ الغَيْبِ) قال : يقول : خزائن الغيب.

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبى ، عن مسعر ، عن عمرو بن مرّة ، عن عبد الله بن سلمة ، عن ابن مسعود ، قال : أعطى نبيكم كلّ شيء إلا مفاتح الغيب .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثني حجاج ، عن ابن جريج ، عن عطاء الخراسانى ، عن ابن عباس (وَعِنْدَهُ مفاتِحُ الغَيْبِ) قال : هنّ خمس (إنَّ اللهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ الغَيْثَ) . . . إلى (إنَّ اللهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ) .

❊ فتأويل الكلام إذن : والله أعلم بالظّالمين من خلقه ، وما هم مستحقوه ، وما هو بهم صانع ، فإن عنده علم ما غاب علمه عن خلقه ، فلم يطلعوا عليه ولم يدركوه ، ولم يعلموه ولن يدركوه ، ويعلم ما فى البرّ والبحر ، يقول : وعنده علم ما لم يغب أيضا عنكم ، لأن ما فى البرّ والبحر مما هو ظاهر للعين يعلمه العباد .

فكان معنى الكلام : وعند الله علم ما غاب عنكم أيها الناس مما لاتعلمونه ولن تعلموه مما استأثر بعلمه نفسه ، ويعلم أيضا مع ذلك جميع ما يعلمه جميعكم،لايخفى عليه شىء ، لأنه لاشىْ إلا ما يخفى عن الناس ، أو ما لايخفى عليهم ، فأخبر الله تعالى ، أن عنده علم كل شىء كان ويكون وما هو كائن مما لم يكن بعد، وذلك هو الغيب .

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿وَمَا تَسْقُطُ مِنْ وَرَقَةٍ إلاَّ يَعْلَمُهَا ، وَلا حَبَّةٍ فِى ظُلُماتِ الأرْضِ ، وَلارَطْبٍ وَلايابِسٍ إلاَّ فِى كِتابٍ مُبِينٍ﴾ :

❊ يقول تعالى ذكره : ولا تسقط ورقة فى الصحارى والبرارى ، ولا فى الأمصار والقرى إلا الله يعلمها (وَلا حَبَّةٍ فِى ظُلُماتِ الأرْضِ ، وَلا رَطْبٍ ، وَلا يابِسٍ إلاَّ فِى كِتابٍ مُبِينٍ) يقول : ولا شىء أيضا مما هو موجود ، أو مما سيوجد ولم يوجد بعد ، إلا وهو مثبت فى اللوح المحفوظ ، مكتوب ذلك فيه ، ومرسوم عدده ومبلغه ، والوقت الذى يوجد فيه ، والحال التى يفنى فيها . ويعنى بقولين (مُبِينٍ) : أنه يبين عن صحة ما هو فيه بوجود ما رسم فيه على ما رسم .

فإن قال قائل : وما وجه إثباته فى اللوح المحفوظ والكتاب المبين ما لايخفى عليه ، وهو بجميعه عالم لايخاف نسيانه ؟ قيل : له لله تعالى فعل ما شاء ، وجائز أن يكون كان ذلك منه امتحانا منه لحفظته ، واختبارا للمتوكلين بكتابة أعمالهم ، فإنهم فيا ذكر مأمورون بكتابة أعمال العباد ، ثم بعرضها على ما أثبته الله من ذلك فى اللوح المحفوظ ، حتى أثبت فيه ما أثبت كل يوم ؛ وقيل : إن ذلك معنى قوله (إنَّا كُنَّا نَسْتَنْسِخُ ما كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ) وجائز أن يكون ذلك لغير ذلك مما هو أعلم به ، إما بحجة يحتجّ بها على بعض ملائكته ، وإما على بنى آدم وغير ذلك .

وقد حدثنى زياد بن يحيى الحسانى أبو الخطاب ، قال : ثنا مالك بن سعير ، قال : ثنا الأعمش ، عن يزيد بن أبى زياد ، عن عبد الله بن الحرث ، قال : ما فى الأرض من شجرة ولا كمغرز إبرة ، إلا عليها ملك موكل بها يأتى الله ، يعلمه يبسها إذا يبست ، ورطوبتها إذا رطبت .

القول في تأويل قوله تعالى:

وَهُوَ الَّذِى يَتَوَفَّاكُم بِالَّيْلِ وَيَعْلَمُ مَا جَرَحْتُم بِالنَّهَارِ ثُمَّ يَبْعَثُكُمْ فِيهِ لِيُقْضَىٰٓ أَجَلٌ مُّسَمًّى ثُمَّ إِلَيْهِ مَرْجِعُكُمْ ثُمَّ يُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٦٠﴾

﴿ يقول تعالى ذكره لنبيه صلى الله عليه وسلم : وقل لهم يا محمد ، والله أعلم بالظالمين : والله هو الذى يتوفى أرواحكم بالليل ، فيقبضها من أجسادكم (وَيَعْلَمُ ما جَرَحْتُمْ بالنَّهارِ) يقول : ويعلم ما كسبتم من الأعمال بالنهار ، ومعنى التوفى فى كلام العرب : استيفاء العدد كما قال الشاعر :

إنَّ بنِى الأدردِ لَيْسُوا مِنْ أحَدْ ولا تَوَفَّاهُمْ قُرَيْشٌ فِى العَدَدْ[1]

بمعنى : لم تدخلهم قريش فى العدد .

وأما الاجتراح عند العرب : فهو عمل الرجل بيده ، أو رجله ، أو فمه ، وهى الجوارح عندهم جوارح البدن فيما ذكر عنهم ، ثم يقال لكل مكتسب عملا جارح ، لاستعمال العرب ذلك فى هذه الجوارح ، ثم كثر ذلك فى الكلام حتى قيل لكلّ مكتسب كسبا : بأىّ أعضاء جسمه اكتسب مجترح .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك ، قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنى محمد بن الحسين ، قال : ثنا أحمد بن المفضل ، قال : ثنا أسباط ، عن السدىّ (وَهُوَ الَّذِى يَتَوَفَّاكُمْ باللَّيْلِ ، وَيَعْلَمُ ما جَرَحْتُمْ بالنَّهارِ) أما يتوفاكم بالليل : ففى النوم ، وأما يعلم ما جرحتم بالنهار فيقول : ما اكتسبتم من الإثم .

حدثنى المثنى ، قال : ثنا عبد الله بن صالح ، قال : ثنى معاوية بن صالح ، عن علىّ بن أبى طلحة ، عن ابن عباس (وَهُوَ الَّذِى يَتَوَفَّاكُمْ باللَّيْلِ وَيَعْلَمُ ما جَرَحْتُمْ بالنَّهارِ) يعنى : ما اكتسبتم من الإثم .

حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، قال : ثنا معمر ، عن قتادة (ما جَرَحْتُمْ بالنَّهارِ) قال : ما عملتم بالنهار .

حدثنا الحسن بن يحيى ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا معمر ، عن قتادة ، مثله .

حدثنا بشر بن معاذ ، قال : ثنا يزيد بن زريع ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (وَهُوَ الَّذِى يَتَوَفَّاكُمْ باللَّيْلِ) يعنى بذلك : نومهم (وَيَعْلَمُ ما جَرَحْتُمْ بالنَّهارِ) : أى ما عملتم من ذنب فهو يعلمه ، لايخفى عليه شىء من ذلك .

حدثنا المثنى ، قال : ثنا أبو حذيفة ، قال : ثنا شبل ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد (وَهُوَ الَّذِى يَتَوَفَّاكُم باللَّيْلِ ، وَيَعْلَمُ ما جَرَحْتُمْ بالنَّهارِ) قال : أما وفاته إياهم بالليل فمنامهم ، وأما ماجرحتم بالنهار فيقول : ما اكتسبتم بالنهار .

﴿ وهذا الكلام وإن كان خبرا من الله تعالى عن قدرته وعلمه ، فإن فيه احتجاجا على المشركين به الذين كانوا ينكرون قدرته على إحيائهم بعد مماتهم ، وبعثهم بعد فنائهم ، فقال تعالى محتجا عليهم (وَهو الَّذِى

(١) البيت أنشده أبو عبيدة لمنظور الوبرى ، كما قال صاحب اللسان (وفى) قال : وتوفيت عدد القوم : إذا عددتهم كلهم ، وأورد البيت . ثم قال : أى لاتجعلهم قريش تمام عددهم ، ولا تستوفى بهم عددهم . ومن ذلك قوله عز وجل : « الله يتوفى الأنفس حين موتها » : أى يستوفى مدد آجالهم فى الدنيا . وقيل : يستوفى تمام عددهم إلى يوم القيامة .

يتوفاكم بالليل ، ويعلم ما جرحتم بالنهار ، ثم يبعثكم فيه ليقضى أجل مسمى) يقول : فالذى يقبض أرواحكم بالليل ، ويبعثكم فى النهار ، لتبلغوا أجلا مسمى ، وأنتم ترون ذلك ، وتعلمون صحته ، غير منكر له القدرة على قبض أرواحكم ، وإفنائكم ، ثم ردّها إلى أجسادكم ، وإنشائكم بعد مماتكم ، فإن ذلك نظير ما تعاينون وتشاهدون ، وغير منكر لمن قدر على ما تعاينون من ذلك القدرة على ما لم تعاينوه ، وإن الذى لم تروه ولم تعاينوه من ذلك ، شبيه ما رأيتم وعاينتم .

القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ ليقضى أجل مسمى ، ثم إليه مرجعكم ، ثم ينبئكم بما كنتم تعملون ﴾ :

يعنى تعالى ذكره : ثم يبعثكم ، يثيركم ويوقظكم من منامكم فيه ، يعنى فى النهار ، والهاء التى فيه راجعة على النهار (ليقضى أجل مسمى) يقول : ليقضى الله الأجل الذى سماه لحياتكم ، وذلك الموت ، فيبلغ مدته ونهايته (ثم إليه مرجعكم) يقول : ثم إلى الله معادكم ومصيركم (ثم ينبئكم بما كنتم تعملون) يقول : ثم يخبركم بما كنتم تعملون فى حياتكم الدنيا ، ثم يجازيكم بذلك ، إن خيرا فخير ، وإن شرًّا فشرّ .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك ، قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبوعاصم ، قال : ثنا عيسى ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد (ثم يبعثكم فيه) قال : فى النهار .

حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، قال : ثنا معمر ، عن قتادة (ثم يبعثكم فيه) فى النهار ، والبعث : اليقظة .

حدثنا الحسن بن يحيى ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا معمر ، عن قتادة ، مثله .

حدثنا محمد بن الحسين ، قال : ثنا أحمد بن المفضل ، قال : ثنا أسباط ، عن السدىّ (ثم يبعثكم فيه) قال : فى النهار .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، قال : قال عبد الله بن كثير : (ثم يبعثكم فيه) قال : يبعثكم فى المنام (ليقضى أجل مسمى) وذلك الموت .

ذكر من قال ذلك

حدثنى المثنى ، قال : ثنا أبوحذيفة ، قال : ثنا شبل ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد (ليقضى أجل مسمى) وهو الموت .

حدثنا محمد بن الحسين ، قال : ثنا أحمد بن مفضل ، قال : ثنا أسباط ، عن السدىّ (ليقضى أجل مسمى) قال : هو أجل الحياة إلى الموت .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، قال : قال عبد الله بن كثير (ليقضى أجل مسمى) قال : مدتهم .

القول في تأويل قوله تعالى :

وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ وَيُرْسِلُ عَلَيْكُمْ حَفَظَةً حَتَّى إِذَا جَاءَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا وَهُمْ لَا يُفَرِّطُونَ ﴿٦١﴾

يقول تعالى ذكره (وَهُوَ القاهِرُ) : والله الغالب خلقه، العالى عليهم بقدرته، لا المقهور من أوثانهم وأصنامهم، المذلل المغلوب عليه لذلته (وَيُرْسِلُ عَلَيْكُمْ حَفَظَةً) وهى ملائكته الذين يتعاقبونكم ليلا ونهارا، يحفظون أعمالكم ويحصونها، ولا يفرّطون فى حفظ ذلك وإحصائه، ولا يضيعون.

وبنحو ما قلنا فى ذلك، قال أهل التأويل.

ذكر من قال ذلك

حدثنا محمد بن الحسين، قال: ثنا أحمد بن المفضل، قال: ثنا أسباط، عن السدىّ، قوله (وَيُرْسِلُ عَلَيْكُمْ حَفَظَةً) قال: هى المعقبات من الملائكة، يحفظونه ويحفظون عمله.

حدثنا بشر بن معاذ، قال: ثنا يزيد بن زريع، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، قوله (وَهُوَ القاهِرُ فَوْقَ عِبادِهِ، وَيُرسِلُ عَلَيْكُمْ حَفَظَةً، حتى إذا جاءَ أحَدَكُمُ المَوْتُ تَوَفَّتْهُ رُسُلُنا وَهُمْ لايُفَرِّطُونَ) يقول: حفظة يا ابن آدم يحفظون عليك عملك ورزقك وأجلك إذا توفيت ذلك قبضت إلى ربك (حتى إذا جاءَ أحَدَكُمُ المَوْتُ تَوَفَّتْهُ رُسُلُنا وَهُمْ لايُفَرِّطُونَ).

يقول تعالى ذكره: إن ربكم يحفظكم، برسل يعقب بينها يرسلهم إليكم بحفظكم، وبحفظ أعمالكم إلى أن يحضركم الموت، وينزل بكم أمر الله، فإذا جاء ذلك أحدكم توفاه أملاكنا الموكلون بقبض الأرواح، ورسلنا المرسلون به وهم لايفرّطون فى ذلك فيضيعونه.

فإن قال قائل: أو ليس الذى يقبض الأرواح ملك الموت، فكيف قيل (تَوَفَّتْهُ رُسُلُنا) والرسل جملة وهو واحد، أو ليس قد قال (قُلْ يَتَوَفَّاكُمْ مَلَكُ المَوْتِ الَّذِى وُكِّلَ بِكُمْ)؟ قيل: جائز أن يكون الله تعالى أعان ملك الموت بأعوان من عنده، فيتولون ذلك بأمر ملك الموت، فيكون التوفى مضافا، وإن كان ذلك من فعل أعوان ملك الموت إلى ملك الموت، إذ كان فعلهم ما فعلوا من ذلك بأمره كما يضاف قَتل من قَتل أعوان السلطان، وجلد من جلدوه بأمر السلطان إلى السلطان، وإن لم يكن السلطان باشر ذلك بنفسه، ولا وَلِيَه بيده، وقد تأول ذلك كذلك جماعة من أهل التأويل.

ذكر من قال ذلك

حدثنا أبوكريب، قال: ثنا ابن إدريس، قال: ثنا الحسن بن عبيد الله، عن إبراهيم، فى قوله (حتى إذا جاءَ أحَدَكُمُ المَوْتُ تَوَفَّتْهُ رُسُلُنا وَهُمْ لايُفَرِّطُونَ) قال: كان ابن عباس يقول: لملك الموت أعوان من الملائكة.

حدثنى أبو السائب ، قال : ثنا ابن إدريس ، عن الحسن بن عبيد الله ، فى قوله (تَوَفَّتْهُ رُسُلُنا وَهُمْ لايُفَرِّطُونَ) قال : سئل ابن عباس عنها ، فقال : إن لملك الموت أعوانا من الملائكة .

حدثنا محمد بن بشار ، قال : ثنا عبد الرحمن ، قال : ثنا سفيان ، عن الحسن بن عبيد الله ، عن إبراهيم فى قوله (تَوَفَّتْهُ رُسُلُنا وَهُمْ لايُفَرِّطُونَ) قال : أعوان ملك الموت .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا عبد الرحمن ، قال : ثنا سفيان ، عن منصور ، عن إبراهيم (تَوَفَّتْهُ رُسُلُنا وَهُمْ لايُفَرِّطُونَ) قال : الرسل توفى الأنفس ، ويذهب بها ملك الموت .

حدثنا هناد ، قال : ثنا حفص ، عن الحسن بن عبيد الله ، عن إبراهيم ، عن ابن عباس (تَوَفَّتْهُ رُسُلُنا وَهُمْ لايُفَرِّطُونَ) قال : الرسل توفى الأنفس ، ويذهب بها ملك الموت .

حدثنا هناد ، قال : ثنا حفص ، عن الحسن بن عبيد الله ، عن ابن باس (تَوَفَّتْهُ رُسُلُنا وَهُمْ لايُفَرِّطُونَ) قال : أعوان ملك الموت من الملائكة .

حدثنا هناد ، قال : ثنا قبيصة ، عن سفيان ، عن الحسن بن عبيد الله ، عن إبراهيم (تَوَفَّتْهُ رُسُلُنا) قال : هم الملائكة أعوان ملك الموت .

حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، قال : ثنا معمر ، عن قتادة (تَوَفَّتْهُ رُسُلُنا) قال : إن ملك الموت له رسل فيرسل ويرفع ذلك إليه ، وقال الكلبى : إن ملك الموت هو يلى ذلك ، فيدفعه إن كان مؤمنا إلى ملائكة الرحمة ، وإن كان كافرا إلى ملائكة العذاب .

حدثنا الحسن بن يحيى ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا معمر ، عن قتادة (تَوَفَّتْهُ رُسُلُنا) قال : يلى قبضها الرسل ، ثم يدفعونها إلى ملك الموت .

حدثنا الحسن بن يحيى ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا الثورىّ ، عن منصور ، عن إبراهيم فى قوله (تَوَفَّتْهُ رُسُلُنا) قال : يتوفاه الرسل ، ثم يقبض منهم ملك الموت الأنفس . قال الثورى : وأخبرنى الحسن بن عبيد الله ، عن إبراهيم ، قال : هم أعوان لملك الموت . قال الثورى : وأخبرنى رجل عن مجاهد ، قال : جعلت الأرض لملك الموت مثل الطست يتناول من حيث شاء ، وجعلت له أعوان يتوفون الأنفس ، ثم يقبضها منهم .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا ابن إدريس ، عن الحسن بن عبيد الله ، عن إبراهيم ، عن ابن عباس ، فى قوله (تَوَفَّتْهُ رُسُلُنا) قال : أعوان ملك الموت من الملائكة .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبى ، عن سفيان ، عن الحسن بن عبيد الله ، عن إبراهيم ، قال : الملائكة أعوان ملك الموت .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا قبيصة ، عن سفيان ، عن منصور ، عن إبراهيم (تَوَفَّتْهُ رُسُلُنا) قال : يتوفونه ، ثم يدفعونه إلى ملك الموت .

حدثنى المثنى ، قال : ثنا إسحاق ، قال : ثنا عبد الله بن أبى جعفر ، عن أبيه ، قال : سألت الربيع بن

أنس ، عن ملك الموت ، أهو وحده الذى يقبض الأرواح ؟ قال : هو الذى يلى أمر الأرواح ، وله أعوان على ذلك ، ألا تسمع إلى قول الله تعالى (حَتَّى إِذَا جَاءَتْهُمْ رُسُلُنَا يَتَوَفَّوْنَهُمْ) وقال (تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا وَهُمْ لَا يُفَرِّطُونَ) غير أن ملك الموت هو الذى يسير كلّ خطو منه من المشرق إلى المغرب ، قلت : أين تكون أرواح المؤمنين ؟ قال : عند السدرة فى الجنة .

حدثنا الحسن بن يحيي ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا محمد بن مسلم ، عن إبراهيم بن ميسرة ، عن مجاهد ، قال : ما من أهل بيت شعر ولا مدر إلا وملك الموت يطيف بهم كلّ يوم مرّتين ، وقد بينا أن معنى التفريط : التضييع فيما مضى قبل ، وكذلك تأوّله المتأوّلون فى هذا الموضع .

حدثنا المثنى ، قال : ثنا عبد الله بن صالح ، قال : ثنى معاوية بن صالح ، عن علىّ بن أبى طلحة ، عن ابن عباس ، قوله (وَهُمْ لَا يُفَرِّطُونَ) يقول : لايضيعون .

حدثنى محمد بن الحسين ، قال : ثنا أحمد بن المفضل ، قال : ثنا أسباط ، عن السدىّ (وَهُمْ لَا يُفَرِّطُونَ) قال : لايضيعون .

القول فى تأويل قوله تعالى :

ثُمَّ رُدُّوا إِلَى اللَّهِ مَوْلَاهُمُ الْحَقِّ أَلَا لَهُ الْحُكْمُ وَهُوَ أَسْرَعُ الْحَاسِبِينَ ﴿٦٢﴾

﴿ يقول تعالى ذكره : ثم ردّت الملائكة الذين توفوهم ، فقبضوا نفوسهم وأرواحهم إلى الله سيدهم الحقّ (أَلَا لَهُ الْحُكْمُ) يقول : ألا له الحكم والقضاء دون من سواه من جميع خلقه (وَهُوَ أَسْرَعُ الْحَاسِبِينَ) يقول : وهو أسرع من حسب عددكم وأعمالكم وآجالكم وغير ذلك من أموركم أيها الناس ، وأحصاها وعرف مقاديرها ومبالغها ، لأنه لايحسب بعقد يَدٍ ، ولكنه يعلم ذلك ولايخفى عليه منه خافية ، ولا يعزب عنه مثقال ذرّة فى السموات ولا فى الأرض ، ولا أصغر من ذلك ولا أكبر ، إلا فى كتاب مبين .

القول فى تأويل قوله تعالى

قُلْ مَنْ يُنَجِّيكُمْ مِنْ ظُلُمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ تَدْعُونَهُ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً لَئِنْ أَنْجَانَا مِنْ هَذِهِ لَنَكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ ﴿٦٣﴾

﴿ يقول تعالى ذكره لنبيه صلى الله عليه وسلم : قل يا محمد لهؤلاء العادلين بربهم ، الداعين لك إلى عبادة أوثانهم : من الذى ينجيكم من ظلمات البرّ إذا ضللتم فيه فتحيرتم ، فأظلم عليكم الهدى والمحجة ، ومن ظلمات البحر إذا ركبتموه ، فأخطأتم فيه المحجة ، فأظلم عليكم فيه السبيل فلا تهتدون له ، غير الله الذى مفزعكم حينئذ بالدعاء تضرّعا منكم إليه واستكانة ، جهرا وخفية ، يقول : وإخفاء للدعاء أحيانا ، وإعلانا وإظهارا ، تقولون : لئن أنجيتنا من هذه يا ربّ : أى من هذه الظلمات التى نحن فيها (لَنَكُونَنَّ مِنَ

الشَّاكِرِينَ) يقول : لنكونن ممن يوحدك بالشكر ، ويخلص لك العبادة دون من كنا نُشركه معك فى عبادتك ، وبنحو ما قلنا فى ذلك ، قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنى محمد بن سعد ، قال : ثنى أبى ، قال : ثنى عمى ، قال : ثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله (قُلْ مَنْ يُنَجِّيكُمْ مِنْ ظُلُمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ تَدْعُونَهُ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً) يقول : إذا أضل الرجل الطريق دعا الله لئن أنجيتنا من هذه لنكونن من الشاكرين .

حدثنا بشر بن معاذ ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (قُلْ مَنْ يُنَجِّيكُمْ مِنْ ظُلُمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ) يقول : من كرب البر والبحر .

القول في تأويل قوله تعالى :

قُلِ اللَّهُ يُنَجِّيكُمْ مِنْهَا وَمِنْ كُلِّ كَرْبٍ ثُمَّ أَنْتُمْ تُشْرِكُونَ ﴿٦٤﴾

﴿ يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم : قل لهؤلاء العادلين بربهم سواه من الآلهة : إذا أنت استفهمتهم عمن به يستعينون عند نزول الكرب بهم فى البر والبحر : الله القادر على فرجكم عند حلول الكرب بكم ، ينجيكم من عظيم النازل بكم فى البر والبحر من هم الضلال ، وخوف الهلاك ، ومن كرب كل سوى ذلك وهم ، لا آلهتكم التى تشركون بها فى عبادته ، ولا أوثانكم التى تعبدونها من دونه ، التى لاتقدر لكم على نفع ولا ضر ، ثم أنتم بعد تفضله عليكم بكشف النازل بكم من الكرب ودفع الحال بكم من جسيم الهم تعدلون به آلهتكم وأصنامكم فتشركونها فى عبادتكم إياه ، وذلك منكم جهل بواجب حقه عليكم ، وكفر لأياديه عندكم ، وتعرض منكم لإنزال عقوبته عاجلا بكم .

القول في تأويل قوله تعالى :

قُلْ هُوَ الْقَادِرُ عَلَىٰ أَنْ يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَابًا مِنْ فَوْقِكُمْ أَوْ مِنْ تَحْتِ أَرْجُلِكُمْ أَوْ يَلْبِسَكُمْ شِيَعًا وَيُذِيقَ بَعْضَكُمْ بَأْسَ بَعْضٍ انْظُرْ كَيْفَ نُصَرِّفُ الْآيَاتِ لَعَلَّهُمْ يَفْقَهُونَ ﴿٦٥﴾

﴿ يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم : قل لهؤلاء العادلين بربهم غيره من الأصنام والأوثان يامحمد : إن الذى ينجيكم من ظلمات البر والبحر ، ومن كل كرب ، ثم تعودون للإشراك به ، هو القادر على أن يرسل عليكم عذابا من فوقكم ، أو من تحت أرجلكم لشرككم به ، وادعائكم معه إلها آخر غيره ، وكفرانكم نعمه ، مع إسباغه عليكم آلاءه ومننه .

وقد اختلف أهل التأويل فى معنى العذاب الذى توعد الله به هؤلاء القوم أن يبعثه عليهم من فوقهم ، أو من تحت أرجلهم ، فقال بعضهم : أما العذاب الذي توعدهم به أن يبعثه عليهم من فوقهم : فالرجم ؛ وأما الذى توعدهم أن يبعثه عليهم من تحتهم : فالخسف .

ذكر من قال ذلك

حدثنا محمد بن بشار وابن وكيع ، قالا : ثنا عبد الرحمن ، قال : ثنا سفيان، عن السدىّ ، عن أبى مالك (عَذَابًا مِنْ فَوْقِكُمْ أَوْ مِنْ تَحْتِ أَرْجُلِكُمْ) قال : الخسف .

حدثنا سفيان ، قال : ثنا يحيى بن آدم ، عن الأشجعىّ ، عن سفيان ، عن السدىّ ، عن أبى مالك وسعيد بن جبير ، مثله .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبو أسامة ، عن شبل ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد (قُلْ هُوَ القَادِرُ على أنْ يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَابًا مِنْ فَوْقِكُمْ ، أوْ مِنْ تَحْتِ أَرْجُلِكُمْ) قال : الخسف .

حدثنا محمد بن الحسين ، قال : ثنا أحمد بن المفضل ، قال : ثنا أسباط ، عن السدىّ (قُلْ هُوَ القَادِرُ على أنْ يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَابًا مِنْ فَوْقِكُمْ) فعذاب السماء (أوْ مِنْ تَحْتِ أَرْجُلِكُمْ) فيخسف بكم الأرض .

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد فى قوله (قُلْ هُوَ القَادِرُ على أنْ يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَابًا مِنْ فَوْقِكُمْ ، أوْ مِنْ تَحْتِ أَرْجُلِكُمْ) قال : كان ابن مسعود يصيح وهو فى المجلس أو على المنبر : ألا أيها الناس، إنه نزل بكم إن الله يقول (قُلْ هُوَ القَادِرُ على أنْ يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَابًا مِنْ فَوْقِكُمْ) لوجاءكم عذاب من السماء لم يبق منكم أحدا (أوْ مِنْ تَحْتِ أَرْجُلِكم) لو خسف بكم الأرض أهلككم ولم يبق منكم أحدا (أوْ يَلْبِسَكُمْ شِيَعًا وَيُذِيقَ بَعْضَكُمْ بَأْسَ بَعْضٍ) ألا إنه نزل بكم أسوأ الثلاث .

وقال آخرون : عنى بالعذاب من فوقكم : أئمة السوء ؛ أو من تحت أرجلكم : الخدم وسفلة الناس .

ذكر من قال ذلك

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : سمعت خلادا يقول : سمعت عامر بن عبد الرحمن يقول : إن ابن عباس كان يقول فى هذه (قُلْ هُوَ القَادِرُ على أنْ يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَابًا مِنْ فَوْقِكُمْ أوْ مِنْ تَحْتِ أَرْجُلِكُمْ) فأما العذاب من فوقكم : فأئمة السوء . وأما العذاب من تحت أرجلكم : فخدم السوء .

حدثنى المثنى ، قال : ثنا عبد الله بن صالح ، قال : ثنى معاوية بن صالح ، عن علىّ بن أبى طلحة ، عن ابن عباس (قُلْ هُوَ القَادِرُ على أنْ يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَابًا مِنْ فَوْقِكُمْ) يعنى : من أمرائكم ، (أوْ مِنْ تَحْتِ أَرْجُلِكُمْ) يعنى : سفلتكم .

☆ وأولى التأويلين فى ذلك بالصواب عندى قول من قال : عنى بالعذاب من فوقهم : الرجم أو الطوفان، وما أشبه ذلك مما ينزل عليهم من فوق رءوسهم ، ومن تحت أرجلهم : الخسف وما أشبهه ، وذلك أن المعروف فى كلام العرب من معنى فوق وتحت الأرجل ، هو ذلك دون غيره ، وإن كان لما روى عن ابن

عباس فى ذلك وجه صحيح ، غير أن الكلام إذا تنوزع فى تأويله ، فحمله على الأغلب الأشهر من معناه أحقّ وأولى من غيره ما لم يأت حجة مانعة من ذلك يجب التسليم لها .

القول في تأويل قوله تعالى : ﴿أَوْ يَلْبِسَكُمْ شِيَعًا ، وَيُذِيقَ بَعْضَكُمْ بَأْسَ بَعْضٍ﴾ :

يقول تعالى ذكره : أو يخلطكم شيعا : فرقا ، واحدتها شيعة . وأما قوله (يَلْبِسَكُمْ) فهو من قولك لبست عليه الأمر : إذا خلطت ، فأنا ألبسه . وإنما قلت إن ذلك كذلك ، لأنه لاخلاف بين القرّاء فى ذلك بكسر الباء ، ففى ذلك دليل بيِّنٌ على أنه من لبس يلبس ، وذلك هو معنى الخلط . وإنما عنى بذلك : أو يخلطكم أهواء مختلفة ، وأحزابا مفترقة .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك ، قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبو أسامة ، عن شبل ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد (أَوْ يَلْبِسَكُمْ شِيَعًا) الأهواء المفترقة .

حدثنا محمد بن الحسين ، قال : ثنا أحمد بن المفضل ، قال : ثنا أسباط ، عن السدىّ (أَوْ يَلْبِسَكُمْ شِيَعًا) قال : يفرّق بينكم .

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبوعاصم ، قال : ثنا عيسى ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد (أَوْ يَلْبِسَكُمْ شِيَعًا) قال : ما كان منكم من التفرّق والاختلاف .

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد فى قوله (أَوْ يَلْبِسَكُمْ شِيَعًا) قال الذى فيه الناس اليوم من الاختلاف والأهواء ، وسفك دماء بعضهم بعضا .

حدثنى محمد بن سعد ، قال : ثنى أبى ، قال : ثنى عمى ، قال : ثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله (أَوْ يَلْبِسَكُمْ شِيَعًا) قال : الأهواء والاختلاف .

حدثنى المثنى ، قال : ثنا عبد الله بن صالح ، قال : ثنى معاوية بن صالح ، عن علىّ بن أبى طلحة ، عن ابن عباس (أَوْ يَلْبِسَكُمْ شيعا) يعنى بالشيع : الأهواء المختلفة .

وأما قوله (وَيُذِيقَ بَعْضَكُمْ بَأْسَ بَعْضٍ) فإنه يعنى : يقتل بعضكم بيد بعض ، والعرب تقول للرجل ينال الرجل بسلاح ، فيقتله به : قد أذاق فلان فلانا الموت ، وأذاقه بأسه ، وأصل ذلك من ذوق الطعام وهو يطعمه ، ثم استعمل ذلك فى كلّ ما وصل إلى الرجل من لذّة وحلاوة ، أو مرارة ومكروه وألم . وقد بينت معنى البأس فى كلام العرب فيما مضى بما أغنى عن إعادته فى هذا الموضع .

وبنحو ماقلنا فى ذلك ، قال أهل التأويل :

ذكر من قال ذلك

حدثنى محمد بن الحسين ، قال : ثنا أحمد بن المفضل ، قال : ثنا أسباط ، عن السدىّ (وَيُذِيقَ بَعْضَكُمْ بَأْسَ بَعْضٍ) بالسيوف .

حدثني المثنى ، قال : ثنا أبو النعمان عارم ، قال : ثنا حماد ، عن أبي هارون العبدى ، عن نوف البكالى ، أنه قال فى قوله (وَيُذِيقَ بَعْضَكُمْ بَأْسَ بَعْضٍ) قال : هى والله الرجال فى أيديهم الحراب يطعنون فى خواصركم .

حدثني المثنى ، قال : ثنا عبد الله بن صالح ، قال : ثنى معاوية بن صالح ، عن علىّ بن أبى طلحة ، عن ابن عباس (وَيُذِيقَ بَعْضَكُمْ بَأْسَ بَعْضٍ) قال : يسلط بعضكم على بعض بالقتل والعذاب .

حدثنا سعيد بن الربيع الرازى ، قال : ثنا سفيان ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، قال : عذاب هذه الأمة أهل الإقرار بالسيف (أَوْ يَلْبِسَكُمْ شِيَعًا وَيُذِيقَ بَعْضَكُمْ بَأْسَ بَعْضٍ) وعذاب أهل التكذيب : الصيحة والزلزلة .

ثم اختلف أهل التأويل فيمن عنى بهذه الآية، فقال بعضهم : عُنِى بها المسلمون من أمة محمد صلى الله عليه وسلم ، وفيهم نزلت .

ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن عيسى الدامغانى ، قال : أخبرنا ابن المبارك ، عن الربيع بن أنس ، عن أبى العالية ، فى قوله (قُلْ هُوَ القادِرُ على أَنْ يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَابًا مِنْ فَوْقِكُمْ) . . . الآية ، قال : فهنّ أربع وكلهنّ عذاب ، فجاء منهنّ اثنتان بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم بخمس وعشرين سنة ، فألبسوا شيعا ، وأذيق بعضهم بأس بعض ، وبقيت اثنتان ، فهما لابدّ واقعتان ، يعنى : الخسف والمسخ .

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، فى قوله (مِنْ فَوْقِكُمْ أَوْ مِنْ تَحْتِ أَرْجُلِكُمْ) لأمة محمد صلى الله عليه وسلم ، وأعفاكم منه (أَوْ يَلْبِسَكُمْ شِيَعًا) قال : ما كان فيكم من الفتن والاختلاف .

حدثني المثنى ، قال : ثنا أبو حذيفة ، قال : ثنا شبل ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، مثله .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (قُلْ هُوَ القادِرُ على أَنْ يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَابًا) . . . الآية ، ذكر لنا « أن رسول الله صلى الله عليه وسلم صلى ذات يوم الصبح فأطالها ، فقال له بعض أهله : يا نبىّ الله لقد صليت صلاة ما كنت تصليها ، قال : إنّها صَلاة رَغْبَةٍ وَرَهْبَةٍ ، وإنّى سألْتُ رَبّى فيها ثلاثا : سألْتُه أنْ لايُسَلّط على أمّتى عَدوًّا مِنْ غيرِهِمْ فَيُهْلِكَهُمْ ، فأعْطانيها ؛ وسألْتُهُ أنْ لايُسَلّطَ على أُمّتى السَّنَةَ ، فأعْطانيها ؛ وسألْتُهُ أنْ لايَلْبِسَهُمْ شيَعًا ولا يُذِيقَ بَعْضَهُمْ بَأْسَ بَعْضٍ ، فَمَنَعَنِيها » . ذُكِر لنا أن نبىّ الله صلى الله عليه وسلم كان يقول : « لاتَزَالُ طائفَةٌ مِنْ أُمّتى يُقاتِلُونَ على الحَقّ ظاهِرِينَ ، لايَضُرُّهُمْ مَنْ خَذَلَهُمْ حتى يَأْتِىَ أمْرُ اللهِ » .

حدثنا أحمد بن الوليد القرشىّ وسعيد بن الربيع الرازى ، قالا : ثنا سفيان بن عيينة عن عمرو ، سمع جابرا يقول : لما أنزل الله تعالى على النبىّ صلى الله عليه وسلم (قُلْ هُوَ القادِرِ على أَنْ يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ

عَذَابًا مِنْ فَوْقِكُمْ أَوْ مِنْ تَحْتِ أَرْجُلِكُمْ ؟ قال : أعُوذ بِوَجْهِكَ : أَوْ يَلْبِسَكُمْ شِيَعًا ، وَيُذِيقَ بَعْضَكُمْ بَأْسَ بَعْضٍ » قال : هاتان أيسر أو أهون .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا ابن عيينة ، عن عمرو ، عن جابر ، قال : لما نزلت (قُلْ هُوَ القادِرُ على أنْ يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَابًا مِنْ فَوْقِكُمْ أَوْ مِنْ تَحْتِ أَرْجُلِكُمْ) قال : نَعُوذ بِكَ ، نَعُوذ بِكَ (أَوْ يَلْبِسَكُمْ شِيَعًا) قال : هُوَ أَهْوَن .

حدثني زياد بن عبيد الله المزني ، قال : ثنا مروان بن معاوية الفزاريّ ، قال : ثنا أبو مالك ، قال : ثني نافع بن خالد الخزاعي ، عن أبيه ، أن النبيّ صلى الله عليه وسلم صلى صلاة خفيفة تامة الركوع والسجود فقال : قَدْ كانَتْ صَلاةَ رَغْبَةٍ وَرَهْبَةٍ ، فَسَألْتُ اللهَ فِيها ثَلاثا ، فأعْطانِي اثْنَتَيْنِ ، وبَقِيَ وَاحِدَةٌ ، سألْتُ اللهَ أنْ لا يُصِيبَكُمْ بِعَذَابٍ أصابَ بِهِ مَنْ قَبْلَكُمْ ، فأعْطانِيها ، وسألْتُ اللهَ أنْ لا يُسَلِّطَ عَلَيْكُمْ عَدُوًّا يَسْتَبِيحُ بَيْضَتَكُمْ ، فَأعْطانِيها ، وسألْتُه أنْ لا يَلْبِسَكُمْ شِيَعًا ، وَيُذِيقَ بَعْضَكُمْ بَأْسَ بَعْضٍ ، فَمَنَعَنِيها » قال أبو مالك : فقلت له : أبوك سمع هذا من رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ فقال : نعم سمعته يحدّث بها القوم أنه سمعها من في رسول الله صلى الله عليه وسلم .

حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور عن معمر ، عن أيوب ، عن أبي قلابة ، عن أبي الأشعث ، عن أبي أسماء الرَّحبيّ ، عن شدّاد بن أوس يرفعه إلى النبيّ صلى الله عليه وسلم ، أنه قال : « إنَّ اللهَ زَوَى لِيَ الأرْضَ حتى رأيْتُ مَشارِقَها وَمَغارِبَها ، وَإنَّ مُلْكَ أُمَّتِي سَيَبْلُغُ ما زُوِيَ لِي مِنْها ، وإنّي أُعْطِيتُ الكَنْزَيْنِ الأحْمَرَ والأبْيَضَ ، وإنّي سألْتُ رَبي أنْ لا يُهْلِكَ قَوْمِي بِسَنَةٍ عامَّةٍ ، وأنْ لا يَلْبِسَهُمْ شِيَعًا ، وَلا يُذِيقَ بَعْضَهُمْ بَأْسَ بَعْضٍ ، فقال : يا محمد : إنّي إذَا قَضَيْتُ قَضَاءً فإنَّه لا يُرَدّ ، وإنّي أعْطَيْتُكَ لأُمَّتِكَ أنْ لا أُهْلِكَهُمْ بِسَنَةٍ عامَّةٍ ، وَلا أُسَلِّطَ عَلَيْهِمْ عَدُوًّا مِمَّنْ سِواهُمْ فَيُهْلِكَهُمْ بِعامَّةٍ حتى يَكُونَ بَعْضُهُمْ يُهْلِكُ بَعْضًا ، وبَعْضُهُمْ يَقْتُلُ بَعْضًا ، وبَعْضُهُمْ يَسْبِي بَعْضًا ، فقال النبيّ صلى الله عليه وسلم : إنّي أخافُ على أُمَّتِي الأئمَّةَ المُضِلِّينَ ، فإذَا وُضِعَ السَّيْفُ في أُمَّتِي لَمْ يُرْفَعْ عَنْهُمْ إلى يَوْمِ القِيامَةِ » .

حدثنا الحسن بن يحيى ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا معمر ، قال : أخبرني أيوب ، عن أبي قلابة ، عن أبي الأشعث ، عن أبي أسماء الرحبي ، عن شدّاد بن أوس ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فذكر نحوه ، إلا أنه قال : وقال النبيّ صلى الله عليه وسلم : « إنّي لا أخافُ على أُمَّتِي إلاَّ الأئمَّةَ المُضِلِّينَ » .

حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، قال : ثنا معمر ، عن الزهري ، قال : راقب خباب بن الأرَتّ ، وكان بدريا ، النبيّ صلى الله عليه وسلم وهو يصلي ، حتى إذا فرغ وكان في الصبح قال له : « يا رسول الله ، لقد رأيتك تصلي صلاة ما رأيتك صليت مثلها ، قال : أجَلْ ، إنّها صَلاةُ

رَغَبٍ وَرَهَبٍ ، سألتُ رَبى ثلاثَ خِصَالٍ ، فأعطانى اثْنَتَيْنِ ، وَمَنَعَنِى وَاحِدَةً ، سألتُهُ أنْ لا يُهْلِكَنا بِمَا أهْلَكَ بِهِ الأمَمَ ، فأعطانى ، وسألتُهُ أنْ لا يُسَلِّطَ عَلَيْنا عَدُوًّا ، فأعطانى ؛ وَسَألتُهُ أنْ لا يَلْبِسَنا شِيَعًا ، فَمَنَعَنِى ».

حدثنا الحسن بن يحيى ، قال أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا معمر ، عن الزهرى ، فى قوله (أَوْ يَلْبِسَكُمْ شِيَعًا) قال : راقب خباب بن الأرت ، وكان بدريا ، رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فذكر نحوه ، إلا أنه قال : ثلاث خصلات .

حدثنا الحسن بن يحيى ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا معمر ، عن عمرو بن دينار ، قال : سمعت جابر بن عبد الله يقول : « لما نزلت على النبىّ صلى الله عليه وسلم (قُلْ هُوَ القَادِرُ على أنْ يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَابًا مِنْ فَوْقِكُمْ) قال النبىّ صلى الله عليه وسلم : أعُوذُ بِوَجْهِكَ (أَوْ مِنْ تَحْتِ أرْجُلِكُمْ) قال النبىّ صلى الله عليه وسلم : أعُوذُ بِوَجْهِكَ (أَوْ يَلْبِسَكُمْ شِيَعًا) قال : هَذِهِ أَهْوَنُ » .

حدثنى يعقوب بن إبراهيم ، قال : ثنا ابن علية ، عن يونس ، عن الحسن ، أن النبىّ صلى الله عليه وسلم قال : « سألتُ رَبى ، فأُعْطِيتُ ثلاثا ، وَمُنِعْتُ وَاحِدَةً : سألتُهُ أنْ لا يُسَلِّطَ على أُمَّتِى عَدُوًّا مِنْ غيرِهِمْ يَسْتَبِيحُ بَيْضَتَهُمْ ، وَلا يُسَلِّطْ عَلَيْهِمْ جُوعا ، وَلا يَجْمَعُهُمْ على ضَلالَةٍ فأُعْطِيتُهُنَّ ؛ وسألتُهُ أنْ لا يَلْبِسَهُمْ شِيَعا ، وَيُذِيقَ بَعْضَهُمْ بَأْسَ بَعْضٍ ، فَمُنِعْتُ » .

حدثنى محمد بن الحسين ، قال : ثنا أحمد بن المفضل ، قال : ثنا أسباط ، عن السدىّ ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إنّى سألتُ رَبى خِصَالاً ، فأعطانى ثلاثا ، وَمَنَعَنِى وَاحِدَةً ، سألتُهُ أنْ لا تَكْفُرَ أُمَّتِى صَفْقَةً وَاحِدَةً ، فأعطانيها ، وسألتُهُ أنْ لا يُظْهِرَ عَلَيْهِمْ عَدُوًّا مِنْ غيرِهِمْ ، فأعطانيها ؛ وسألتُهُ أنْ لا يُعَذِّبَهُمْ بِمَا عَذَّبَ بِهِ الأمَمَ مِنْ قَبْلِهِمْ ، فأعطانيها ، وسألتُهُ أنْ لا يَجْعَلَ بَأْسَهُمْ بَيْنَهُمْ ، فَمَنَعَنِيها ».

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن أبى بكر ، عن الحسن ، قال : لما نزلت هذه الآية ، قوله (وَيُذِيقَ بَعْضَكُمْ بَأْسَ بَعْضٍ) قال الحسن : ثم قال لمحمد صلى الله عيه وسلم ، وهو يشهده عليهم (انْظُرْ كَيْفَ نُصَرِّفُ الآياتِ لَعَلَّهُمْ يَفْقَهُونَ) فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فتوضأ ، فسأل ربه أن لا يرسل عليهم عذابا من فوقهم ، أو من تحت أرجلهم ، ولا يلبس أمته شيعا ، ويذيق بعضهم بأس بعض ، كما أذاق بنى إسرائيل ، فهبط إليه جبريل عليه السلام فقال : يا محمد إنك سألت ربك أربعا ، فأعطاك اثنتين ، ومنعك اثنتين : لن يأتيهم عذاب من فوقهم ولا من تحت أرجلهم يستأصلهم فإنهما عذابان لكلّ أمة اجتمعت على تكذيب نبيها ، وردّ كتاب ربها ؛ ولكنهم يلبسهم شيعا ، ويذيق بعضهم بأس بعض ، وهذان عذابان لأهل الإقرار بالكتاب ، والتصديق بالأنبياء ، ولكن يعذبون بذنوبهم ، وأوحى إليه (فَإِمَّا نَذْهَبَنَّ بِكَ فَإِنَّا مِنْهُمْ مُنْتَقِمُونَ) يقول : من أمتك (أَوْ نُرِيَنَّكَ الَّذِى وَعَدْنَاهُمْ) من العذاب

العذاب وأنت حيّ (فإنّا عليهم مقتدرون) فقام نبيّ الله صلى الله عليه وسلم، فراجع ربه، فقال: «أيّ مصيبة أشدّ من أن أرى أمّتي يعذّب بعضها بعضًا، وأُوحي إليه (الم أحسب الناس أن يتركوا أن يقولوا آمنّا وهم لا يفتنون. ولقد فتنّا الذين من قبلهم، فليعلمنّ الله الذين صدقوا وليعلمنّ الكاذبين) فأعلمه أن أمته لم تخصّ دون الأمم بالفتن، وأنها ستُبتلى كما ابتليت الأمم ثم أنزل عليه (قل ربّ إما تريَنّي ما يوعدون. ربّ فلا تجعلني في القوم الظالمين) فتعوّذ نبيّ الله، فأعاذه الله، لم ير من أمته إلا الجماعة والألفة والطاعة، ثم أنزل عليه آية حذّر فيها أصحابه الفتنة، فأخبره أنه إنما يخصّ بها ناس منهم دون ناس، فقال (واتقوا فتنة لا تصيبنّ الذين ظلموا منكم خاصّة، واعلموا أنّ الله شديد العقاب) فخصّ بها أقواما من أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم بعده وعصم بها أقواما.

حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثني حجاج، عن أبي جعفر، عن الربيع بن أنس، عن أبي العالية قال: لما جاء جبريل إلى النبيّ صلى الله عليه وسلم، فأخبره بما يكون في أمته من الفرقة والاختلاف فشقّ ذلك عليه، ثم دعا فقال: اللهمّ أظهر عليهم أفضلهم تقيّة.

حدثني المثنى، قال: ثنا أبو الأسود، قال: أخبرنا ابن لهيعة، عن خالد بن يزيد، عن أبي الزبير، قال: لما نزلت هذه الآية (قل هو القادر على أن يبعث عليكم عذابا من فوقكم) قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: أعوذ بالله من ذلك قال: (أو من تحت أرجلكم) قال: أعوذ بالله من ذلك، قال (أو يلبسكم شيعا) قال: هذه أيسر، ولو استعاذه لأعاذه».

حدثني المثنى، قال: ثنا إسحاق، قال: ثنا المؤمل البصريّ، قال: أخبرنا يعقوب بن إسماعيل بن يسار المديني، قال: ثنا زيد بن أسلم، قال: لما نزلت (قل هو القادر على أن يبعث عليكم عذابا من فوقكم، أو من تحت أرجلكم، أو يلبسكم شيعا، ويذيق بعضكم بأس بعض) قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: لا ترجعوا بعدي كفّارًا يضرب بعضكم رقاب بعض بالسيوف، فقالوا: ونحن نشهد أن لا إله إلا الله، وأنك رسول الله؟ قال: نعم، فقال بعض الناس: لا يكون هذا أبدا، فأنزل الله (انظر كيف نصرّف الآيات لعلهم يفقهون. وكذّب به قومك وهو الحق، قل لست عليكم بوكيل. لكل نبإ مستقرّ وسوف تعلمون)

وقال آخرون: عُني ببعضها أهل الشرك، وببعضها أهل الإسلام.

ذكر من قال ذلك

حدثني المثنى، قال: ثنا سويد بن نصر، قال: أخبرنا ابن المبارك، عن هارون بن موسى، عن حفص بن سليمان، عن الحسن، في قوله (قل هو القادر على أن يبعث عليكم عذابا من فوقكم، أو من تحت أرجلكم) قال: هذا للمشركين (أو يلبسكم شيعا، ويذيق بعضكم بأس بعض) قال هذا للمسلمين.

⁂ والصواب من القول عندي أن يقال: إن الله تعالى توعد بهذه الآية أهل الشرك به من عبدة الأوثان،

وإياهم خاطب بها ، لأنها بين إخبار عنهم ، وخطاب لهم ، وذلك أنها تتلو قوله (قُلْ مَنْ يُنَجِّيكُمْ مِنْ ظُلُماتِ البَرِّ والبَحْرِ، تَدْعُونَهُ تَضَرُّعا وَخُفْيَةً : لَئِنْ أنجانا مِنْ هَذِهِ لَنَكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ . قُلِ اللهُ يُنَجِّيكُمْ مِنْها وَمِنْ كُلِّ كَرْبٍ ثُمَّ أنْتُمْ تُشْرِكُونَ) ويتلوها قوله (وكَذَّبَ بِهِ قَوْمُكَ وَهُوَ الحَقُّ) وغير جائز أن يكون المؤمنون كانوا به مكذّبين ، فإذا كان غير جائز أن يكون ذلك كذلك ، وكانت هذه الآية بين هاتين الآيتين ، كان بينا أن ذلك وعيد لمن تقدّم وصف الله إياه بالشرك ، وتأخر الخبر عنه بالتكذيب ، لالمن لم يجر له ذكر ، غير أن ذلك وإن كان كذلك فإنه قد عمّ وعيده بذلك كل من سلك سبيلهم من أهل الخلاف على الله وعلى رسوله ، والتكذيب بآيات الله من هذه وغيرها . وأما الأخبار التى رُويت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال : « سألْتُ رَبِّي ثَلاثا ، فأعْطاني اثْنَتَيْنِ ، وَمَنَعَنِي وَاحِدَةً » فجائز أن هذه الآية نزلت فى ذلك الوقت وعيدا لمن ذكرت من المشركين ، ومن كان على منهاجهم من المخالفين ربهم فسأل رسول الله صلى الله عليه وسلم ربه أن يعيذ أمته ،مما ابتلى به الأمم الذين استوجبوا من الله تعالى بمعصيتهم إياه هذه العقوبات فأعاذهم بدعائه إياه ورغبته إياه من المعاصى التى يستحقون بها من هذه الخلال الأربع من العقوبات أغلظها ، ولم يعذهم من ذلك ما يستحقون به اثنتين منها . وأما الذين تأوّلوا أنه عنى بجميع ما فى هذه الآية هذه الأمة ، فإنى أراهم تأوّلوا أن فى هذه الأمة من سيأتى من معاصى الله ، وركوب ما يسخط الله ، نحو الذى ركب مَن قبلهم من الأمم السالفة من خلافه ، والكفر به ، فيحلّ بهم مثل الذى حلّ بمن قبلهم من المثلات والنَّقِمات ، وكذلك قال أبو العالية ومن قال بقوله : جاء منهنّ اثنتان بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم بخمس وعشرين سنة ، وبقيت اثنتان : الخسف والمسخ ؛ وذلك أنه رُوِى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال : « سَيَكُونُ فِي هَذِهِ الأُمَّةِ خَسْفٌ وَمَسْخٌ وَقَذْفٌ ،وإنَّ قَوْما مِنْ أُمَّتِهِ سَيَبِيتُونَ على لَهْوٍ وَلَعِبٍ ثُمَّ يُصْبِحُونَ قِرَدَةً وَخَنازِيرَ » وذلك إذا كان ، فلا شكّ أنه نظير الذى فى الأمم الذين عتوا على ربهم فى التكذيب ، وجحدوا آياته . وقد رُوِى نحو الذى روى عن أبى العالية ، عن أبيّ .

حدثنا هناد ، قال : ثنا وكيع ، وحدثنا سفيان ، قال : أخبرنا أبى ، عن أبى جعفر الرازى ، عن الربيع ، عن أبى العالية ، عن أبيّ بن كعب (قُلْ هُوَ القادِرُ على أنْ يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَابا مِنْ فَوْقِكُمْ أوْ مِنْ تَحْتِ أرْجُلِكُمْ ، أوْ يَلْبِسَكُمْ شِيَعا) قال : أربع خلال ، وكلهنّ عذاب ، وكلهنّ واقع قبل يوم القيامة ، فمضت اثنتان بعد وفاة النبيّ صلى الله عليه وسلم بخمس وعشرين سنة : ألبسوا شيعا ، وأذيق بعضهم بأس بعض ، وثنتان واقعتان لامحالة : الخسف ، والرجم .

القول في تأويل قوله تعالى :﴿ انْظُرْ كَيْفَ نُصَرِّفُ الآياتِ لَعَلَّهُمْ يَفْقَهُونَ ﴾ :

يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم : انظر يا محمد بعين قلبك إلى ترديدنا حججنا على هؤلاء المكذّبين بربهم الجاحدين نعمه وتصريفناها فيهم(لَعَلَّهُمْ يَفْقَهُونَ) يقول : ليفقهوا ذلك

ويعتبروه ، فيذكروا ويزدجروا عما هم عليه مقيمون مما يسخطه الله منهم من عبادة الأوثان والأصنام ، والتكذيب بكتاب الله تعالى ، ورسوله صلى الله عليه وسلم .

القول في تأويل قوله تعالى :

وَكَذَّبَ بِهِۦ قَوْمُكَ وَهُوَ ٱلْحَقُّ ۚ قُل لَّسْتُ عَلَيْكُم بِوَكِيلٍ ﴿٦٦﴾ لِّكُلِّ نَبَإٍ مُّسْتَقَرٌّ ۚ وَسَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴿٦٧﴾

يقول تعالى ذكره (وَكَذَّبَ) يا محمد (قَوْمُكَ) بما تقول وتخبر وتوعد من الوعيد (وَهُوَ الحَقُّ) يقول : والوعيد الذى أوعدْناهم على مُقامهم على شركهم من بعث العذاب من فوقهم ، أو من تحت أرجلهم ، أو لَبْسهم شيعا ، وإذاقة بعضهم بأس بعض ، الحقّ الذى لاشكّ فيه أنه واقع ، إن هم لم يتوبوا وينيبوا مما هم عليه مقيمون من معصية الله والشرك به ، إلى طاعة الله والإيمان به (قُلْ لَسْتُ عَلَيْكُمْ بِوَكِيلٍ) يقول : قل لهم يا محمد : لست عليكم بحفيظ ولا رقيب ، وإنما أنا رسول أبلغكم مما أرسلت به إليكم (لِكُلِّ نَبَإٍ مُسْتَقَرٌّ) يقول : لكل خبر مُسْتَقَر ، يعنى قرار يستقرّ عنده ، ونهاية ينتهى إليها ، فيتبين حقه وصدقه ، من كذبه وباطله (وَسَوْفَ تَعْلَمُونَ) يقول : وسوف تعلمون أيها المكذّبون بصحة ما أخبركم به من وعيد الله إياكم أيها المشركون ، وحقيته عند حلول عذابه بكم فرأوا ذلك وعاينوه فقتلهم يومئذ بأوليائه من المؤمنين .

وبنحو الذى قلنا من التأويل فى ذلك ، قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنى محمد بن الحسين ، قال : ثنا أحمد بن المفضل ، قال : ثنا أسباط ، عن السُّدىّ (وَكَذَّبَ بِهِ قَوْمُكَ وَهُوَ الحَقُّ) يقول : كذبت قريش بالقرآن ، وهو الحقّ . وأما الوكيل : فالحفيظ . وأما (لِكُلِّ نَبَإٍ مُسْتَقَرٌّ) فكان نبأ القرآن استقرّ يوم بدر بما كان يعدهم من العذاب .

حدثنى المثنى ، قال : ثنا أبو حذيفة ، قال : ثنا شبل ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد (لِكُلِّ نَبَإٍ مُسْتَقَرٌّ) : لكلّ نبأ حقيقة ، إما فى الدنيا ، وإما فى الآخرة (وَسَوْفَ تَعْلَمُونَ) ; ما كان فى الدنيا فسوف ترونه ، وما كان فى الآخرة فسوف يبدو لكم .

حدثنى المثنى ، قال : ثنا عبد الله بن صالح ، عن معاوية ، عن علىّ بن أبى طلحة ، عن ابن عباس ، قوله (لِكُلِّ نَبَإٍ مُسْتَقَرٌّ) يقول : حقيقة .

حدثنى محمد بن سعد ، قال : ثنا أبى ، قال : ثنا عمى ، قال : ثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله (لِكُلِّ نَبَإٍ مُسْتَقَرٌّ وَسَوْفَ تَعْلَمُونَ) يقول : فعل وحقيقة ما كان منه فى الدنيا ، وما كان منه فى الآخرة ، وكان الحسن يتأوّل فى ذلك أنه الفتنة التى كانت بين أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم.

حدثني المثنى ، قال : ثنا سويد بن نصر ، قال : أخبرنا ابن المبارك ، عن جعفر بن حيان ، عن الحسن أنه قرأ (لِكُلِّ نَبَأٍ مُسْتَقَرٌّ) قال : حُبِسَت عقوبتها حتى عمل ذنبها أرسلت عقوبتها[١] .

القول في تأويل قوله تعالى :

وَإِذَا رَأَيْتَ الَّذِينَ يَخُوضُونَ فِي آيَاتِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ حَتَّى يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ وَإِمَّا يُنْسِيَنَّكَ الشَّيْطَانُ فَلَا تَقْعُدْ بَعْدَ الذِّكْرَى مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴿٦٨﴾

يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم (وَإِذَا رَأَيْتَ) يامحمد المشركين (الَّذِينَ يَخُوضُونَ فِي آيَاتِنَا) التي أنزلناها إليك ، ووحينا الذي أوحيناه إليك ، وخوضهم فيها ، كان استهزاءهم بها ، وسبهم من أنزلها وتكلم بها ، وتكذيبهم بها (فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ) يقول : فصُدَّ عنهم بوجهك ، وقم عنهم ، ولا تجلس معهم (حَتَّى يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ) يقول : حتى يأخذوا في حديث غير الاستهزاء بآيات الله من حديثهم بينهم ، (وَإِمَّا يُنْسِيَنَّكَ الشَّيْطَانُ) يقول : وإن أنساك الشيطان نهينا إياك عن الجلوس معهم والإعراض عنهم في حال خوضهم في آياتنا ، ثم ذكرت ذلك فقم عنهم ، ولا تقعد بعد ذكرك ذلك مع القوم الظالمين ، الذين خاضوا في غير الذي لهم الخوض فيه بما خاضوا به فيه ، وذلك هو معنى ظلمهم في هذا الموضع .

وبنحو ما قلنا في ذلك ، قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا الحسن بن يحيى ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا معمر ، عن قتادة ، في قوله (وَإِذَا رَأَيْتَ الَّذِينَ يَخُوضُونَ فِي آيَاتِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ حَتَّى يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ) قال : نهاه الله أن يجلس مع الذين يخوضون في آيات الله يكذبون بها ، فإن نسي فلا يقعد بعد الذكرى مع القول الظالمين .

حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، قال : أخبرنا معمر ، عن قتادة ، بنحوه .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا مؤمل ، قال : ثنا سفيان ، عن السدي ، عن أبي مالك وسعيد بن جبير ، في قوله (وَإِذَا رَأَيْتَ الَّذِينَ يَخُوضُونَ فِي آيَاتِنَا) قال : الذين يكذبون بآياتنا .

حدثني محمد بن الحسين ، قال : ثنا أحمد بن المفضل ، قال : ثنا أسباط ، عن السدي (وَإِذَا رَأَيْتَ الَّذِينَ يَخُوضُونَ فِي آيَاتِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ حَتَّى يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ ، وَإِمَّا يُنْسِيَنَّكَ الشَّيْطَانُ فَلَا تَقْعُدْ بَعْدَ الذِّكْرَى مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ) قال : كان المشركون إذا جالسوا المؤمنين وقعوا في النبي صلى الله عليه وسلم والقرآن ، فسبوه واستهزءوا به ، فأمرهم الله أن لايقعدوا معهم حتى يخوضوا في حديث غيره .

وأما قوله (وَإِمَّا يُنْسِيَنَّكَ الشَّيْطَانُ) يقول : نسيت فتقعد معهم ، فإذا ذكرت فقم .

(١) كذا في الدر المنثور للسيوطي .

حدثني المثنى ، قال : ثنا أبو حذيفة ، قال : ثنا شبل ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد (يَخُوضُونَ فِي آيَاتِنَا) قال : يكذّبون بآياتنا .

حدثني يحيى بن طلحة اليربوعي ، قال : ثنا فُضيل بن عياض ، عن ليث ، عن أبي جعفر ، قال : لاتجالسوا أهل الخصومات ، فإنهم الذين يخوضون في آيات الله .

حدثني المثنى ، قال : ثنا أبو صالح ، قال : ثني معاوية بن صالح ، عن عليّ بن أبي طلحة ، عن ابن عباس ، قوله (وَإِذَا رَأَيْتَ الَّذِينَ يَخُوضُونَ فِي آيَاتِنَا) ، وقوله (الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيَعًا) ، وقوله (وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ) وقوله (أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ) ، ونحو هذا في القرآن قال : أمر الله المؤمنين بالجماعة ، ونهاهم عن الاختلاف والفُرْقة ، وأخبرهم أنه إنما هلك من كان قبلهم بالمراء والخصومات في دين الله .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين قال : ثني حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، قوله (وَإِذَا رَأَيْتَ الَّذِينَ يَخُوضُونَ فِي آيَاتِنَا) قال : يستهزءون بها ، قال : نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يقعد معهم إلا أن ينسى فإذا ذكر فليقم ؛ فذلك قوله (وَإِذَا رَأَيْتَ الَّذِينَ يَخُوضُونَ فِي آيَاتِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ حَتَّى يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ ؛ وَإِمَّا يُنْسِيَنَّكَ الشَّيْطَانُ فَلَا تَقْعُدْ بَعْدَ الذِّكْرَى مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ) قال ابن جريج : كان المشركون يجلسون إلى النبيّ صلى الله عليه وسلم يحبّون أن يسمعوا منه ، فإذا سمعوا استهزءوا ، فنزلت (وَإِذَا رَأَيْتَ الَّذِينَ يَخُوضُونَ فِي آيَاتِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ) . . . الآية .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبي ، قال : ثنا سفيان ، عن منصور ، عن مجاهد (وَإِذَا رَأَيْتَ الَّذِينَ يَخُوضُونَ فِي آيَاتِنَا) قال : يكذّبون .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا عبد الله ، عن إسرائيل ، عن السديّ ، عن أبي مالك ، قوله (وَإِذَا رَأَيْتَ الَّذِينَ يَخُوضُونَ فِي آيَاتِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ حَتَّى يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ) يعني : المشركين (وَإِمَّا يُنْسِيَنَّكَ الشَّيْطَانُ فَلَا تَقْعُدْ بَعْدَ الذِّكْرَى مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ) إن نسيت فذكرت فلا تجلس معهم .

القول في تأويل قوله تعالى :

وَمَا عَلَى الَّذِينَ يَتَّقُونَ مِنْ حِسَابِهِمْ مِنْ شَيْءٍ وَلَكِنْ ذِكْرَى لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴿٦٩﴾

يقول تعالى ذكره : ومن اتقى الله فخافه ، فأطاعه فيما أمره به ، واجتنب ما نهاه عنه ، فليس عليه بترك الإعراض عن هؤلاء الخائضين في آيات الله ، في حال خوضهم في آيات الله شيء من تبعة فيما بينه وبين الله إذا لم يكن تركه الإعراض عنهم رضا بما هم فيه ، وكان لله بحقوقه متقيا ، ولا عليه من إثمهم بذلك حرج ، ولكن ليعرضوا عنهم حينئذ (ذِكْرَى) لأمر الله (لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ) يقول : ليتقوا . ومعنى الذكرى :

الذكر ، والذكر والذكرى[1] بمعنى ؛ وقد يجوز أن يكون ذكرى فى موضع نصب ورفع ؛ فأما النصب فعلى ما وصفت من تأويل : ولكن ليعرضوا عنهم ذكرى . وأما الرفع فعلى تأويل : وما على الذين يتقون من حسابهم شيء بترك الإعراض ، ولكن إعراضهم ذكرى لأمر الله لعلهم يتقون . وقد ذكر أن النبيّ صلى الله عليه وسلم إنما أمر بالقيام عن المشركين إذا خاضوا فى آيات الله ، لأن قيامه عنهم كان مما يكرهونه، فقال الله له : إذا خاضوا فى آيات الله فقم عنهم ليتقوا الخوض فيها ، ويتركوا ذلك .

ذكر من قال ذلك

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، قال : كان المشركون يجلسون إلى النبيّ صلى الله عليه وسلم يحبون أن يسمعوا منه ، فإذا سمعوا استهزءوا ، فنزلت (وَإِذَا رَأَيْتَ الَّذِينَ يَخُوضُونَ فِى آيَاتِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ حَتَّى يَخُوضُوا فِى حَدِيثٍ غَيْرِهِ) . . . الآية ، قال : فجعل إذا استهزءوا قام فحذروا وقالوا : لاتستهزءوا فيقوم ، فذلك قوله (لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ) أن يخوضوا فيقوم ، ونزل (وَمَا عَلَى الَّذِينَ يَتَّقُونَ مِنْ حِسَابِهِمْ مِنْ شَىْءٍ) إن قعدوا معهم ، ولكن لاتقعدوا ، ثم نسخ ذلك قوله بالمدينة (وَقَدْ نَزَّلَ عَلَيْكُمْ فِى الْكِتَابِ أَنْ إِذَا سَمِعْتُمْ آيَاتِ اللهِ يُكْفَرُ بِهَا وَيُسْتَهْزَأُ بِهَا ، فَلَا تَقْعُدُوا مَعَهُمْ حَتَّى يَخُوضُوا فِى حَدِيثٍ غَيْرِهِ ، إِنَّكُمْ إِذًا مِثْلُهُمْ) ، فنسخ قوله (وَمَا عَلَى الَّذِينَ يَتَّقُونَ مِنْ حِسَابِهِمْ مِنْ شَىْءٍ) . . . الآية .

حدثنى محمد بن الحسين ، قال : ثنا أحمد بن المفضل ، قال : ثنا أسباط ، عن السدىّ ، قوله (وَمَا عَلَى الَّذِينَ يَتَّقُونَ مِنْ حِسَابِهِمْ مِنْ شَىْءٍ) يقول : من حساب الكفار من شيء (وَلَكِنْ ذِكْرَى) يقول : إذا ذكرتُ فقم (لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ) مساءتكم إذا رأوكم لاتجالسونهم ، استحيوا منكم فكفوا عنكم ، ثم نسخها الله بعد ، فنهاهم أن يجلسوا معهم أبدا ، قال (وَقَدْ نَزَّلَ عَلَيْكُمْ فِى الْكِتَابِ أَنْ إِذَا سَمِعْتُمْ آيَاتِ اللهِ يُكْفَرُ بِهَا) . . . الآية .

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبوعاصم ، قال : ثنا عيسى ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد (وَمَا عَلَى الَّذِينَ يَتَّقُونَ مِنْ حِسَابِهِمْ مِنْ شَىْءٍ) إن قعدوا ، ولكن لاتقعد .

حدثنى المثنى ، قال : ثنا أبوحذيفة ، قال : ثنا شبل ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، مثله .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا عبيد الله ، عن إسرائيل ، عن السدىّ ، عن أبى مالك (وَمَا عَلَى الَّذِينَ يَتَّقُونَ مِنْ حِسَابِهِمْ مِنْ شَىْءٍ وَلَكِنْ ذِكْرَى) قال : وما عليك أن يخوضوا فى آيات الله إذا فعلت ذلك .

القول فى تأويل قوله تعالى :

وَذَرِ الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَهُمْ لَعِبًا وَلَهْوًا وَغَرَّتْهُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَذَكِّرْ بِهِ أَنْ تُبْسَلَ نَفْسٌ بِمَا

(١) فى العبارة تكرار ، ولعله من الناسخ .

كَسَبَتْ لَيْسَ لَهَا مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلِيٌّ وَلَا شَفِيعٌ وَإِن تَعْدِلْ كُلَّ عَدْلٍ لَّا يُؤْخَذْ مِنْهَآ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ أُبْسِلُواْ بِمَا كَسَبُواْ لَهُمْ شَرَابٌ مِّنْ حَمِيمٍ وَعَذَابٌ أَلِيمٌۢ بِمَا كَانُواْ يَكْفُرُونَ ﴿٧٠﴾

﴿﴾ يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم: ذر هؤلاء الذين اتخذوا دين الله وطاعتهم إياه لعبا ولهوا فجعلوا حظوظهم من طاعتهم إياه اللعب بآياته ، واللهو والاستهزاء بها إذا سمعوها وتليت عليهم ، فأعرض عنهم ، فإنى لهم بالمرصاد ، وإنى لهم من وراء الانتقام منهم والعقوبة لهم على ما يفعلون ، وعلى اغترارهم بزينة الحياة الدنيا ، ونسيانهم المعاد إلى الله تعالى والمصير إليه بعد الممات .

كالذى حدثنى محمد بن عمرو ، قال: ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، فى قول الله (وَذَرِ الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَهُمْ لَعِبًا وَلَهْوًا) قال كقوله (ذَرْنِي وَمَنْ خَلَقْتُ وَحِيدًا) .

حدثنى المثنى ، قال : ثنا أبو حذيفة ، قال : ثنا شبل ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، مثله .

وقد نسخ الله تعالى هذه الآية بقوله (اقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ) وكذلك قال عدد من أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنى المثنى ، قال : ثنا حجاج بن المنهال ، قال : ثنا همام بن يحيى ، عن قتادة (وَذَرِ الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَهُمْ لَعِبًا وَلَهْوًا) ثم أنزل فى سورة براءة ، فأمر بقتالهم .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا عبدة بن سليمان ، قال : قرأت على ابن أبى عروبة ، فقال : هكذا سمعته من قتادة (وَذَرِ الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَهُمْ لَعِبًا وَلَهْوًا) ثم أنزل الله تعالى ذكره براءة ، وأمر بقتالهم ، فقال (اقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ) :

وأما قوله (وَذَكِّرْ بِهِ أَنْ تُبْسَلَ نَفْسٌ بِمَا كَسَبَتْ) فإنه يعنى به : وذكر يا محمد بهذا القرآن هؤلاء المولين عنك وعنه أن تبسل نفس ، بمعنى : أن لاتبسل ، كما قال (يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ أَنْ تَضِلُّوا) بمعنى : أن لاتضلوا . وإنما معنى الكلام : وذكر به ليؤمنوا ويتبعوا ما جاءهم من عند الله من الحق ، فلا تبسل أنفسهم بما كسبت من الأوزار ، ولكن حذفت « لا » لدلالة الكلام عليها .

واختلف أهل التأويل فى تأويل قوله (أَنْ تُبْسَلَ نَفْسٌ) فقال بعضهم : معنى ذلك : أن تسلم[1] .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا يحيى بن واضح ، قال : ثنا الحسين بن واقد ، عن يزيد النحوى ، عن عكرمة ، قوله (أَنْ تُبْسَلَ نَفْسٌ بِمَا كَسَبَتْ) قال : تسلم .

حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن الحسن (أَنْ تُبْسَلَ نَفْسٌ) قال : أن تسلم .

(١) فى اللسان : أبسلت فلانا : إذا أسلمته للهلكة ، فهو مبسل . وقال الأزهرى فى معنى الآية : أى لئلا تسلم نفس إلى العذاب بعملها .

حدثنا الحسن بن يحيي ، قال : أخبرنا عبدالرزاق ، قال : أخبرنا معمر ، عن الحسن ، مثله .

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد في قول الله تعالى ذكره (أَنْ تُبْسَلَ) قال : تسلم .

حدثني المثنى ، قال : ثنا أبوحذيفة ، قال : ثنا شبل ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد (أَنْ تُبْسَلَ نَفْسٌ) قال : تسلم .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا حكام ، عن عنبسة ، عن ليث ، عن مجاهد (أُولَئِكَ الَّذِينَ أُبْسِلُوا) أسلموا .

وقال آخرون : بل معنى ذلك : تحبس .

ذكر من قال ذلك

حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة (أَنْ تُبْسَلَ نَفْسٌ) قال : تؤخذ فتحبس .

حدثنا الحسن بن يحيي ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا معمر ، عن قتادة ، مثله .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله (أَنْ تُبْسَلَ نَفْسٌ بِمَا كَسَبَتْ) : أن تؤخذ نفس بما كسبت .

وقال آخرون : معناه : تفضح .

ذكر من قال ذلك

حدثني المثنى ، قال : ثنا عبد الله بن صالح ، عن عليّ بن أبي طلحة ، عن ابن عباس (وَذَكِّرْ بِهِ أَنْ تُبْسَلَ نَفْسٌ بِمَا كَسَبَتْ) يقول : تفضح .

وقال آخرون : معناه : أن تجزى .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا يحيي بن واضح ، قال : ثنا الحسين بن واقد ، قال : قال الكلبي (أَنْ تُبْسَلَ) : أن تجزى . وأصل الإبسال : التحريم ، يقال منه : أبسلت المكان : إذا حرمته فلم تقربه ، ومنه قول الشاعر :

بَكَرَتْ تَلُومُكَ بَعْدَ وَهْنٍ فِي النَّدَى بَسْلٌ عَلَيْكِ مَلَامَتِي وَعِتَابِي[1]

أى حرام ؛ ومنه قولهم : وعتابي أسد آسد[2] ، يراد به : لايقربه شيء ، فكأنه قد حرم نفسه ، ثم يجعل ذلك

(١) البيت لضمرة بن ضمرة النهشلي ، أنشده أبو زيد الأنصاري في كتابه النوادر (طبعة بيروت ١٨٩٤ عن المفضل الضبي) . وقال أبوحاتم : بكرت : أى عجلت ، ولم يرد بكور الغدو ، ومنه باكورة الفاكهة : للشيء المستعجل ، وتقول : أنا أبكر العشية فآتيك : أى أعجل ذلك وأسرعه ، ولم يرد الغدو ، ألا تراه يقول : بعد وهن : أى بعد نومة . والندى : السخاء والعطاء ، فلامته في ذلك ، وأمرته بالإمساك . وبسل عليك : حرام عليك . وأنشده صاحب اللسان في بسل ، كما رواه المؤلف .

(٢) كذا في الأصل ، ولعله : وجنابي أسد باسل : يراد به الخ .

صفة لكل شديد يُتحامى لشدّته ، ويقال : أعط الراقَ بسيلته ، يراد بذلك : أجرته ، وشراب بسيل : بمعنى متروك ، وكذلك المبسل بالجريرة ، وهو المرتهن بها ، قيل له مبسل : لأنه محرّم من كلّ شيء إلا مما رهن فيه ، وأسلم به ؛ ومنه قول عوف بن الأحوص الكلابى :

وإبْسالى بَنِىَّ بغَيْرِ جُرْمٍ بعَوْناهُ وَلا بدَمٍ مُرَاقِ[1]

وقال الشنفَرَى :

هُنالِكَ لاأرْجُو حَياةً تَسُرُّنِى سَمِيرَ اللَّيالى مُبْسَلاً بالجَرائِرِ[2]

فتأويل الكلام إذن : وذكّر بالقرآن هؤلاء الذين يخوضون فى آياتنا ، وغيرَهم ممن سلك سبيلهم من المشركين ، كيلا تبسل نفس بذنوبها ، وكفرها بربها ، وترتهن فتغلق بما كسبت من إجرامها فى عذاب الله (لَيْسَ لَهَا مِنْ دُونِ اللهِ) يقول : ليس لها حين تسلم بذنوبها ، فترتهن بما كسبت من آثامها أحد ينصرها ، فينقذها من الله الذى جازاها بذنوبها جزاءها ، ولا شفيع يشفع لها ، لوسيلة له عنده .

القول فى تأويل قوله تعالى : ﴿وَإِنْ تَعْدِلْ كُلَّ عَدْلٍ لايُؤْخَذْ مِنْها﴾ :

يقول تعالى ذكره (وَإِنْ تَعْدِلْ) النفس التى أبسلت بما كسبت ، يعنى وإن تعدل (كُلَّ عَدْلٍ) يعنى : كلّ فداء ، يقال منه : عدل يعدل : إذا فدى عدلا . ومنه قول الله تعالى ذكره (أَوْ عَدْلُ ذلكَ صِياما) وهو ما عادله من غير نوعه .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك ، قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة (وَإِنْ تَعْدِلْ كُلَّ عَدْلٍ لايُؤْخَذْ مِنْها) قال : لو جاءت بملء الأرض ذهبا لم يُقبل منها .

حدثنا محمد بن الحسين ، قال : ثنا أحمد بن المفضل ، قال : ثنا أسباط ، عن السدىّ فى قوله (وَإِنْ تَعْدِلْ كُلَّ عَدْلٍ لايُؤْخَذْ مِنْها) فما يَعْدِلها ، لو جاءت بملء الأرض ذهبا لتفتدىَ به ، ما قُبِل منها .

حدثنى يونس ، قال أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد فى قوله (وَإِنْ تَعْدِلْ كُلَّ عَدْلٍ لايُؤْخَذْ مِنْها) قال : وإن تعدل : وإن تفتد يكون له الدنيا وما فيها يفتدى بها لايؤخذْ منه عَدَلا عن نفسه ، لايقبل منه. وقد تأوّل ذلك بعض أهل العلم بالعربية بمعنى : وإن تَقْسِط كلَّ قِسْط لايُقبل منها ؛

(١) البيت لعوف بن الأحوص بن جعفر الكلابى (اللسان : بسل) قال عن أبى الهيثم : أبسلته بجريرته : أى أسلمته بها ، قال : ويقال : جزيته بها . وروايته : « بدم قراض » قال : وفى الصحاح : بدم مراق . قال الجوهرى : وكان حمل عن غنى لبنى قشير دم ابنى السجيفة ؛ فقالوا : لا نرضى بك ، فرهنهم بنيه ، طلبا للصلح . وأورده أيضا فى (بعا) منسوبا لعوف بن الأحوص . وقال ابن برى : البيت لعبد الرحمن بن الأحوص . قال ابن الأعرابى : بعوت عليهم شرا : سقته واجترمته . قال : ولم أسمعه فى الخير .

(٢) البيت للشنفرى ، أورده صاحب اللسان فى (بسل) وقال : أبسلت فلانا : إذا أسلمته للهلكة ، فهو مبسل . وسمير الليالى : آخرها ، واستشهد عليه (اللسان) ببيت الشنفرى أيضا .

وقال : إنها التوبة فى الحياة ، وليس لما قال من ذلك معنى ، وذلك أن كلّ تائب فىالدنيا ، فإن الله تعالى يقبل توبته .

القول في تأويل قوله تعالى ﴿أُولَـٰئِكَ الَّذِينَ أُبْسِلُوا بِمَا كَسَبُوا ، لَهُمْ شَرَابٌ مِنْ حَمِيمٍ ، وَعَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا كَانُوا يَكْفُرُونَ﴾ :

يقول تعالى ذكره : وهؤلاء الذين إن فدوا أنفسهم من عذاب الله يوم القيامة كلّ فداء ، لم يؤخذ منهم هم (الَّذِينَ أُبْسِلُوا بِمَا كَسَبُوا) يقول : أسلموا لعذاب الله ، فرُهنوا به جزاء بما كسبوا فى الدنيا من الآثام والأوزار (لَهُمْ شَرَابٌ مِنْ حَمِيمٍ) والحميم : هو الحارّ فى كلام العرب ، وإنما هو محموم صُرف إلى فعيل ، ومنه قيل للحمَّام : حمام ، لإسخانه الجسم ؛ ومنه قول مرقش :

فى كُلِّ مُمْسًى لَهَا مِقْطَرَةٌ فِيهَا كِبَاءٌ مُعَدٌّ وَحَمِيمْ[1]

يعنى بذلك ماء حارًّا ؛ ومنه قول أبى ذويب الهُذلى فى صفة فرس :

تَأْبَى بِدِرَّتِهَا إذَا مَا اسْتُغْضِبَتْ إلاَّ الحَمِيمَ فَإنَّهُ يَتَبَضَّعُ[2]

يعنى بالحميم : عرق الفرس ، وإنما جعل تعالى ذكره لهؤلاء الذين وصف صفتهم فى هذه الآية شرابا من حميم ، لأن الحارّ من الماء لايُروِى من عطش ، فأخبر أنهم إذا عطشوا فى جهنم لم يغاثوا بماء يرويهم ، ولكن بما يزيدون به عطشا على مابهم من العطش (وَعَذَابٌ أَلِيمٌ) يقول : ولهم أيضا مع الشراب الحميم من الله العذاب الأليم ، والهوان المقيم (بِمَا كَانُوا يَكْفُرُونَ) يقول : بما كان من كفرهم فى الدنيا بالله ، وإنكارهم توحيده ، وعبادتهم معه آلهة دونه :

---

(١) البيت للمرقش الأصغر (اللسان : قطر) بلفظ فى كل يوم لها مقطرة ، واستشهد به على أن المقطرة بوزن اسم الآلة : المجمر والحميم : الماء الحار تحم به . والكباء بالمد : هو البخور . أو هو ضرب من العود والدخنة .

وأورده أيضا فى (حمم) بلفظ « كل عشاء » فى موضع « كل ممسى » . شاهدا على أن الحميم : الماء الحار . ثم قال : وحكى شمر عن ابن الأعرابى : الحميم إن شئت كان ماء حارا ، وإن شئت كان جمرا تتبخر به . قال الأزهرى : الحميم عند ابن الأعرابى من الأضداد ، يكون الماء البارد ، ويكون الماء الحار .

(٢) البيت لأبى ذؤيب فى عينيته المشهورة ، أنشده صاحب اللسان فى (بضع) شاهدا على أن معنى تبضع الشىء : سال . يقال : جبهته تبضع وتتبضع : أى تسيل عرقا ، وأنشد لأبى ذؤيب . . . البيت . وقال : يتبضع : يتفتح بالعرق ، ويسيل متقطعا . قال : وكان أبو ذؤيب لايجيد فى وصف الخيل ، وظن أن هذا مما توصف به . قال ابن برى : يقول : تأبى هذه الفرس أن تدر لك بما عندها من جرى إذا استغضبتها ؛ لأن الفرس الجواد إذا أعطاك من الجرى عفوا ، فأكرهته على الزيادة ، حملته عزة النفس على ترك العدو . يقول : هذه تأبى بدرتها عند إكراهها ، ولا تأبى العرق . قال : ووقع فى نسخة ابن القطاع : إذا ما استضغبت ، وفسره بفزعت ؛ لأن الضاغب هو الذى يختبئ فى الخمر ليفزع بمثل صوت الأسد . والضغاب : صوت الأرنب .

قلت : ورواية ابن القطاع مثل رواية المؤلف ، فهى إذن صحيحة . وأنشد البيت صاحب اللسان مرة ثانية فى (بصع) بلفظ يتبصع ، بالصاد المهملة ، وقال : تبصع : نبع من أصول الشعر قليلا قليلا . والبصيع : العرق إذا رشح . وهذه هى رواية ابن دريد ، قال الأزهرى : وروى الثقات هذا الحرف بالضاد المعجمة ، من تبضع الشىء : أى سال . قال : وهكذا رواه الرواة فى شعر أبى ذؤيب . وابن دريد أخذ هذا من كتاب ابن المظفر ، فمر على التصحيف الذى صحفه . قال صاحب اللسان والظاهر أن الشيخ ابن برى ثلثهما فى التصحيف ، فإنه ذكره فى كتابه الذى صنفه على الصحاح فى ترجمة بصع : يتبصع ، بالصاد المهملة ، ولم يذكره الجوهرى فى صحاحه فى هذه الترجمة ، وذكره ابن برى أيضا موافقا للجوهرى فى ذكره فى ترجمة بضع ، بالضاد المعجمة .

والبيت فى شعر أبى ذؤيب فى ديوان الهذليين (طبعة دار الكتب المصرية ص ١٧) وفيه : « استكرهت » فى موضع : استغضبت .

حدثنى محمد بن الحسين ، قال : ثنا أحمد بن المفضل ، قال : ثنا أسباط ، عن السدىّ (أُولَئِكَ الَّذِينَ أُبْسِلُوا بِمَا كَسَبُوا) قال : يقال : أسلموا .

حدثنى المثنى ، قال : ثنا عبد الله بن صالح ، قال : ثنى معاوية بن صالح ، عن علىّ بن أبى طلحة ، عن ابن عباس (أُولَئِكَ الَّذِينَ أُبْسِلُوا) قال : فضحوا .

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد فى قوله (أُولَئِكَ الَّذِينَ أُبْسِلُوا بِمَا كَسَبُوا) قال : أخذوا بما كسبوا .

القول فى تأويل قوله تعالى :

قُلْ أَنَدْعُوا مِن دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنفَعُنَا وَلَا يَضُرُّنَا وَنُرَدُّ عَلَىٰ أَعْقَابِنَا بَعْدَ إِذْ هَدَانَا اللَّهُ كَالَّذِي اسْتَهْوَتْهُ الشَّيَاطِينُ فِي الْأَرْضِ حَيْرَانَ لَهُ أَصْحَابٌ يَدْعُونَهُ إِلَى الْهُدَى ائْتِنَا قُلْ إِنَّ هُدَى اللَّهِ هُوَ الْهُدَىٰ وَأُمِرْنَا لِنُسْلِمَ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٧١﴾

وهذا تنبيه من الله تعالى ذكره نبيه صلى الله عليه وسلم على حجته على مشركى قومه من عبدة الأوثان ، يقول له تعالى ذكره : قل يا محمد لهؤلاء العادلين بربهم الأوثان والأنداد ، والآمرين لك باتباع دينهم ، وعبادة الأصنام معهم ، أندعو من دون الله حجرا أو خشبا لا يقدر على نفعنا ، أو ضرّنا ، فنخصه بالعبادة دون الله ، وندع عبادة الذى بيده الضرّ والنفع والحياة والموت ، إن كنتم تعقلون ، فتميزون بين الخير والشرّ ، فلا شكّ أنكم تعلمون أن خدمة ما يرتجى نفعه ، ويرهب ضرّه أحقّ وأولى من خدمة من لا يرجى نفعه ولا يخشى ضرّه ، ونردّ على أعقابنا ، يقول : ونردّ إلى أدبارنا فنرجع القهقرى خلفنا لم نظفر بحاجتنا . وقد بينا معنى الردّ على العقب ، وأن العرب تقول لكلّ طالب حاجة لم يظفر بها ردّ على عقبيه فيما مضى بما أغنى عن إعادته فى هذا الموضع . وإنما يراد به فى هذا الموضع : ونرد من الإسلام إلى الكفر ، بعد إذ هدانا الله ، فوفقنا له ، فيكون مثلنا فى ذلك ، مثل الرجل الذى استتبعه الشيطان يهوى فى الأرض حيران . وقوله (اسْتَهْوَتْهُ) : استفعلته من قول القائل : هوى فلان إلى كذا يهوى إليه ، ومن قول الله تعالى ذكره (فَاجْعَلْ أَفْئِدَةً مِنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ) بمعنى : تنزع إليهم وتريدهم . وأما حيران : فإنه فعلان من قول القائل : قد حار فلان فى الطريق ، فهو يحار فيه حيرة وحيرانا وحيرورة ، وذلك إذا ضلّ فلم يهتد للمحجة له أصحاب يدعونه إلى الهدى ، يقول لهذا الحيران الذى قد استهوته الشياطين فى الأرض : أصحاب على المحجة واستقامة السبيل ، يدعونه إلى المحجة لطريق الهدى الذى هم عليه ، يقولون له : ائتنا وترك إجراء حيران ، لأنه فعلان ، وكل اسم كان على فعلان مما أنثاه فعلى ، فإنه لا يُجرى فى كلام العرب فى معرفة ولا نكرة ، وهذا مثل ضربه الله تعالى لمن كفر بالله بعد إيمانه ، فاتبع الشياطين من أهل الشرك بالله وأصحابه الذين كانوا أصحابه فى حال إسلامه المقيمون على الدين الحقّ ، يدعونه إلى الهدى الذى هم عليه

مقيمون ، والصواب الذى هم به متمسكون ، وهوله مفارق ، وعنه زائل ، يقولون له : ائْتنا ، فكن معنا على استقامة وهدى ، وهو يأبى ذلك ، ويتبع دواعى الشيطان ، ويعبد الآلهة والأوثان .

وبمثل الذى قلنا فى ذلك ، قال جماعة من أهل التأويل ، وخالف فى ذلك جماعة .

ذكر من قال ذلك مثل ما قلنا

حدثنى محمد بن الحسين ، قال : ثنا أحمد بن المفضل ، قال : ثنا أسباط ، عن السدىّ (قُلْ أَنَدْعُو مِنْ دُونِ اللهِ ما لايَنْفَعُنا وَلا يَضُرُّنا ، وَنُرَدُّ على أعْقابِنا بَعْدَ إذْ هَدَانا اللهُ كالَّذِي اسْتَهْوَتْهُ الشَّياطِينُ فِي الأرْضِ حَيْرَانَ لَهُ أصحابٌ يَدْعُونَهُ إلى الهُدَى ائْتِنا) قال : قال المشركون للمؤمنين اتبعوا سبيلنا ، واتركوا دين محمد صلى الله عليه وسلم ، فقال الله تعالى ذكره : قل أندعو من دون الله ما لاينفعنا ولا يضرّنا هذه الآلهة ، ونردّ على أعقابنا بعد إذ هدانا الله ، فيكون مثلنا كمثل الذى استهوته الشياطين فى الأرض ، يقول : مثلكم إن كفرتم بعد الإيمان ، كمثل رجل كان مع قوم على الطريق ، فضلّ الطريق ، فحيرته الشياطين ، واستهوته فى الأرض ، وأصحابه على الطريق ، فجعلوا يدعونه إليهم ، يقولون ائتنا ، فإنا على الطريق ، فأبى أن يأتيهم ، فذلك مثل من يتبعكم بعد المعرفة بمحمد ، ومحمد الذى يدعو إلى الطريق ، والطريق هو الإسلام .

حدثنى المثنى ، قال : ثنا أبو صالح ، قال : ثنى معاوية ، عن علىّ بن أبى طلحة ، عن ابن عباس ، قوله (أنَدْعُو مِنْ دُونِ اللهِ ما لايَنْفَعُنا ، وَلا يَضُرُّنا ، ونُرَدُّ على أعْقابِنا) قال : هذا مثل ضربه الله للآلهة ، ومن يدعو إليها ، وللدعاة الذين يدعون إلى الله ، كمثل رجل ضلّ عن الطريق ، إذ ناداه مناد يا فلان بن فلان هلمّ إلى الطريق ، وله أصحاب يدعونه : يا فلان هلمّ إلى الطريق ، فإن اتبع الداعى الأوّل انطلق به ، حتى يلقيه فى الهلكة ، وإن أجاب من يدعوه إلى الهدى اهتدى إلى الطريق ، وهذه الداعية التى تدعو فى البرية من الغيلان ، يقول : مثل من يعبد هؤلاء الآلهة من دون الله ، فانه يرى أنه فى شىء حتى يأتيه الموت فيستقبل الهلكة والندامة ، وقوله (كالَّذِي اسْتَهْوَتْهُ الشَّياطِينُ فِي الأرْضِ) : وهم الغيلان يدعونه باسمه واسم أبيه واسم جدّه ، فيتبعها فيرى أنه فى شىء فيصبح وقد ألقته فى الهلكة ، وربما أكلته أو تلقيه فى مضلة من الأرض يهلك فيها عطشا ، فهذا مثل من أجاب الآلهة التى تعبد من دون الله عزّ وجلّ .

حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، قال : ثنا معمر ، عن قتادة (اسْتَهْوَتْهُ الشَّياطِينُ فِي الأرْضِ) قال : أضلته فى الأرض حيران .

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبوعاصم ، قال : ثنا عيسى عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، فى قوله (ما لايَنْفَعُنا وَلا يَضُرُّنا) قال : الأوثان .

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبوعاصم ، قال : ثنا عيسى ، وحدثنى المثنى ، قال : ثنا أبوحذيفة قال : ثنا شبل ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد فى قول الله تعالى (اسْتَهْوَتْهُ الشَّياطِينُ فِي الأرْضِ حَيْرَانَ) قال : رجل حيران يدعوه أصحابه إلى الطريق ، كذلك مثل من يضلّ بعد إذ هدى .

حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، قال : ثنا رجل ، عن مجاهد ، قال حيران ، هذا مثل ضربه الله للكافر ، يقول : الكافر حيران يدعوه المسلم إلى الهدى فلا يجيب .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (قُلْ أَنَدْعُو مِنْ دُونِ اللهِ ما لايَنْفَعُنا وَلا يَضُرُّنا) حتى بلغ (لِنُسْلِمَ لِرَبِّ العالَمِينَ) علّمها الله محمدا وأصحابه يخاصمون بها أهل الضلالة .

وقال آخرون فى تأويل ذلك، بما حدثنى به محمد بن سعد ، قال : ثنى أبى ، قال : ثنى عمى ، قال : ثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس، قوله (كالَّذِى اسْتَهْوَتْهُ الشَّياطِينُ فِى الأَرْضِ حَيْرانَ لَهُ أَصْحابٌ يَدْعُونَهُ إِلى الهُدَى) فهو الرجل الذى لايستجيب لهدى الله ، وهو رجل أطاع الشيطان وعمل فى الأرض بالمعصية ، وحار عن الحقّ ، وضلّ عنه ، وله أصحاب يدعونه إلى الهدى ، ويزعمون أن الذى يأمرونه هدى ، يقول الله ذلك لأوليائهم من الإنس : إن الهدى هدى الله ، والضلالة ما تدعو إليه الجنّ ، فكأن ابن عباس على هذه الرواية يرى أن أصحاب هذا الحيران الذين يدعونه إنما يدعونه إلى الضلال ، ويزعمون أن ذلك هدى، وأن الله أكذبهم بقوله (قُلْ إِنَّ هُدَى اللهِ هُوَ الهُدَى)لاما يدعوه إليه أصحابه .

وهذا تأويل له وجه لو لم يكن الله سمى الذى دعا الحيران إليه أصحابه هدى ، وكان الخبر بذلك عن أصحابه الدعاة له إلى ما دعوه إليه ، إنهم هم الذين سموه ، ولكن الله سماه هدى ، وأخبر عن أصحاب الحيران أنهم يدعونه إليه ، وغير جائز أن يسمى الله الضلال هدى لأن ذلك كذب ، وغير جائز وصف الله بالكذب لأن ذلك وصفه بما ليس من صفته . وإنما كان يجوز توجيه ذلك إلى الصواب لو كان ذلك خبرا من الله عن الداعى الحيران أنهم قالوا له : تعال إلى الهدى ؛ فأما وهو قائل : يدعونه إلى الهدى ، فغير جائز أن يكون ذلك وهم كانوا يدعونه إلى الضلال .

وأما قوله (ائْتِنا) فإن معناه : يقولون ائتنا ، هلمّ إلينا ، فحذف القول لدلالة الكلام عليه ، وذكر عن ابن مسعود أنه كان يقرأ ذلك : يدعونه إلى الهدى بينا .

حدثنا بذلك ابن وكيع ، قال : ثنا غندر ، عن شعبة ، عن أبى إسحاق ، قال فى قراءة عبد الله : يدعونه إلى الهدى بينا .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج، قال : أخبرنى عبد الله بن كثير أنه سمع مجاهدا يقول فى قراءة ابن مسعود(لهُ أصحابٌ يدعونهُ إلى الهدَى) بينا قال : الهدى : الطريق أنه بين . وإذا قرئ ذلك كذلك، كان البين من صفة الهدى ، ويكون نصب البين على القطع من الهدى ، كأنه قيل : يدعونه إلى الهدى البين ، ثم نصب البين لما حذفت الألف واللام ، وصار نكرة من صفة المعرفة، وهذه القراءة التى ذكرناها عن ابن مسعود تؤيد قول من قال : الهدى فى هذا الموضع : هوالهدى على الحقيقة .

القول فى تأويل قوله تعالى :﴿ قُلْ إِنَّ هُدَى اللهِ هُوَ الهُدَى ، وأُمِرْنا لِنُسْلِمَ لِرَبِّ العالَمِينَ ﴾ :

يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم : قل يامحمد لهؤلاء العادلين بربهم الأوثان ، القائلين لأصحابك : اتبعوا سبيلنا ولنحمل خطاياكم ، فإنا على هدى ، ليس الأمر كما زعمتم (إنَّ هُدَى اللهِ هُوَ الهُدَى) يقول : إن طريق الله الذى بينه لنا وأوضحه ، وسبيلنا الذى أمرنا بلزومه ، ودينه الذى شرعه لنا فبينه ، هو الهدى والاستقامة التى لاشكّ فيها ، لاعبادة الأوثان والأصنام التى لاتضرّ ولا تنفع ، فلا نترك الحقّ ، ونتبع الباطل (وأُمِرْنا لِنُسْلِمَ لِرَبِّ العالَمِينَ) يقول : وأمرنا ربنا وربّ كلّ شيء ، تعالى وجهه ، لنسلم له : لنخضع له بالذلة والطاعة والعبودية ، فنخلص ذلك له دون ماسواه من الأنداد والآلهة، وقد بينا معنى الإسلام بشواهده فيما مضى من كتابنا بما أغنى عن إعادته . وقيل (وأُمِرْنا لِنُسْلِمَ) بمعنى : وأمرنا كى نسلم ، وأن نسلم لربّ العالمين ، لأن العرب تضع كى واللام التى بمعنى كى مكان أن ، وأن مكانها .

القول فى تأويل قوله تعالى :

وَأَنْ أَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَٱتَّقُوهُ وَهُوَ ٱلَّذِىٓ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴿٧٢﴾

يقول تعالى ذكره : وأمرنا أن أقيموا الصلاة ، وإنما قيل (وأنْ أقِيمُوا الصَّلاةَ) فعطف بأن على اللام من (لِنُسْلِمَ) لأن قوله : لنسلم ، معناه : أن نسلم ، فردّ قوله (وأنْ أقِيمُوا) على معنى : لنسلم إذ كانت اللام التى فى قوله : لنسلم ، لاما لاتصحب إلا المستقبل من الأفعال ، وكانت أن من الحروف التى تدلّ على الاستقبال دلالة اللام التى فى لنسلم ، فعطف بها عليها ، لاتفاق معنييهما فيما ذكرت ، فأن فى موضع نصب بالردّ على اللام ، وكان بعض نحويى البصرة يقول : إما أن يكون ذلك : أمرنا لنسلم لربّ العالمين ، وأن أقيموا الصلاة ، يقول : أمرنا كى نسلم ، كما قال (وأُمِرْتُ لأَنْ أكُونَ مِنَ المُؤْمِنِينَ) : أى إنما أمرت لذلك ، ثم قال(وأنْ أقِيمُوا الصَّلاةَ) واتقوه : أى أُمِرْنا أن أقيموا الصلاة أو يكون أوصل الفعل باللام ، والمعنى : أمرت أن أكون كما أوصل الفعل باللام فى قوله (هُمْ لِرَبِّهِمْ يَرْهَبُونَ) .

فتأويل الكلام : وأمرنا باقامة الصلاة ، وذلك أداؤها بحدودها التى فرضت علينا (وَاتَّقُوهُ) يقول : واتقوا ربّ العالمين الذى أمرنا أن نسلم له ، فخافوه ، واحذروا سخطه بأداء الصلاة المفروضة عليكم ، والإذعان له بالطاعة ، وإخلاص العبادة له (وَهُوَ الَّذِى إلَيْهِ تُحْشَرُونَ) يقول : وربكم ربّ العالمين هوالذى إليه تحشرون ، فتجمعون يوم القيامة ، فيجازى كلّ عامل منكم بعمله ، وتوفى كل نفس ماكسبت .

القول فى تأويل قوله تعالى :

وَهُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِٱلْحَقِّ ۖ وَيَوْمَ يَقُولُ كُن فَيَكُونُ ۚ قَوْلُهُ ٱلْحَقُّ ۚ وَلَهُ ٱلْمُلْكُ يَوْمَ يُنفَخُ فِى ٱلصُّورِ ۚ عَـٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَـٰدَةِ ۚ وَهُوَ ٱلْحَكِيمُ ٱلْخَبِيرُ ﴿٧٣﴾

❊ يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم : قل يا محمد لهؤلاء العادلين بربهم الأنداد ، الداعيك إلى عبادة الأوثان : أمرنا لنسلم لربّ العالمين ، الذى خلق السموات والأرض بالحقّ ، لامن لاينفع ، ولا يضرّ ، ولا يسمع ، ولا يبصر .

واختلف أهل التأويل فى تأويل قوله (بالحَقّ) فقال بعضهم : معنى ذلك : وهو الذى خلق السموات والأرض حقا وصوابا ، لاباطلا وخطأ ، كما قال تعالى ذكره (وَمَا خَلَقْنا السَّماءَ والأرْضَ وَمَا بَيْنَهُما باطِلاً) قالوا : وأدخلت فيه الباء والألف واللام ، كما تفعل العرب فى نظائر ذلك ، فتقول : فلان يقول بالحقّ ، بمعنى أنه يقول الحقّ ، قالوا : ولا شىء فى قوله بالحقّ غير إصابته الصواب فيه ، لاأن الحقّ معنى غير القول ، وإنما هو صفة للقول إذاكان بها القول ، كان القائل موصوفا بالقول بالحقّ ، وبقول الحقّ ، قالوا : فكذلك خلق السموات والأرض حكمة من حكم الله ، فالله موصوف بالحكمة فى خلقهما وخلق ما سواهما من سائر خلقه ، لاأن ذلك حقّ سوّى خلقهما به .

وقال آخرون : معنى ذلك : خلق السموات والأرض بكلامه وقوله لهما (ائْتِيا طَوْعا أوْ كَرْها) قالوا : فالحقّ فى هذا الموضع معنىّ به كلامه واستشهدوا لقيلهم ذلك بقوله(وَيَوْمَ يَقُولُ كُنْ فَيَكُونُ قَوْلُهُ الحَقُّ) الحقّ هو قوله وكلامه . قالوا : والله خلق الأشياء بكلامه وقيله[١] كما خلق به الأشياء غير المخلوقة . قالوا : فإذ كان ذلك كذلك ، وجب أن يكون كلام الله الذى خلق به الخلق غير مخلوق .

وأما قوله (وَيَوْمَ يَقُولُ كُنْ فَيَكُونُ) فإن أهل العربية اختلفوا فى العامل (فِي يَوْمَ يَقُولُ) وفى معنى ذلك : فقال بعض نحويى البصرة : اليوم مضاف إلى يقول : كن فيكون ، قال : وهو نصب وليس له خبر ظاهر ، والله أعلم ، وهو على ما فسرت لك ، كأنه يعنى بذلك أن نصبه على : واذكر يوم يقول : كن فيكون ؛ قال : وكذلك (يَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ) قال : وقال بعضهم : يوم ينفخ فى الصور عالم الغيب والشهادة . وقال بعضهم : يقول : كن فيكون ، للصُّور خاصة .

فمعنى الكلام على تأويلهم : يوم يقول للصور كن فيكون قوله الحق ، يوم ينفخ فيه عالم الغيب والشهادة فيكون القول حينئذ مرفوعا بالحقّ ، والحقّ بالقول . وقوله (يَوْمَ يَقُولُ كُنْ فَيَكُونُ) وَ(يَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ) صلة الحقّ .

وقال آخرون : بل قوله (كُنْ فَيَكُونُ) معنىّ به كلّ ما كان الله معيده فى الآخرة بعد إفنائه ومنشئه بعد إعدامه ، فالكلام على مذهب هؤلاء متناه عند قوله (كُنْ فَيَكُونُ) وقوله : (قَوْلُهُ الحَقُّ) خبر مبتدأ .

وتأويله : وهو الذى خلق السموات والأرض بالحقّ ، ويوم يقول للأشياء : كن فيكون ، خلقهما بالحقّ بعد فنائهما ، ثم ابتدأ الخبر عن قوله ، ووعده خلقه أنه معيدهما بعد فنائهما عن أنه حقّ ، فقال قوله

(١) فيه تحريف من النساخ ، ولعل الأصل : والله خلق السماء والأرض بكلامه ، كما خلق به الأشياء المخلوقة غيرهما .

هذا ، الحقّ الذى لاشكّ فيه ، وأخبر أن له الملك يوم ينفخ فى الصور ، فيوم يُنفخ فى الصور يكون على هذا التأويل من صلة المُلك . وقد يجوز على هذا التأويل أن يكون قوله (يَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ) من صلة الحقّ .

وقال آخرون : بل معنى الكلام : ويوم يقول لما فنى : كن فيكون قوله الحقّ ، فجعل القول مرفوعا بقوله (وَيَوْمَ يَقُولُ كُنْ فَيَكُونُ) وجعل قوله : كن[1] فيكون للقول محلا ، وقوله (يَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ) من صلة الحقّ ، كأنه وجّه تأويل ذلك إلى : ويومئذ قوله الحقّ يوم يُنفخ فى الصور ، وإن جعل على هذا التأويل : يومٌ ينفخ فى الصور ، بيانا عن اليوم الأوّل ، كان وجها صحيحا ، ولو جعل قوله (قَوْلُهُ الحَقُّ) مرفوعا بقوله (يَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ) وقوله (يَوْمَ يُنْفَخُ فى الصورِ) محلا ، وقوله (وَيَوْمَ يَقُولُ كُنْ فَيَكُونُ) من صلته كان جائزا .

والصواب من القول فى ذلك عندى أن يقال : إن الله تعالى ذكره ، أخبر أنه المنفرد بخلق السموات والأرض دون كلّ ما سواه معرّفا من أشرك به من خلقه جهله فى عبادة الأوثان والأصنام ، وخطأ ما هم عليه مقيمون ، من عبادة ما لايضرّ ولا ينفع ، ولا يقدر على اجتلاب نفع إلى نفسه ، ولا دفع ضرّ عنها ، ومحتجا عليهم فى إنكارهم البعث بعد الممات ، والثواب والعقاب بقدرته على ابتداع ذلك ابتداء ، وأن الذى ابتدع ذلك ، غير متعذّر عليه إفناوه ، ثم إعادته بعد إفنائه ، فقال : وهو الذى خلق أيها العادلون بربهم من لاينفع ولايضرّ ولا يقدر على شيء ، السموات والأرض بالحقّ ، حجة على خلقه ، ليعرفوا بها صانعها ، وليستدلوا بها على عظيم قدرته وسلطانه ، فيخلصوا له العبادة ، (وَيَوْمَ يَقُولُ كُنْ فَيَكُونُ) يقول : ويوم يقول حين تبدّل الأرض غير الأرض والسموات كذلك : كن فيكون ، كما شاء تعالى ذكره ، فتكون الأرض غير الأرض عند قوله كن ، فيكون متناهيا ، وإذا كان كذلك معناه وجب أن يكون فى الكلام محذوف يدلّ عليه الظاهر ، ويكون معنى الكلام : ويوم يقول لذلك كن فيكون ، تبدّل غير السموات والأرض ، ويدلّ على ذلك قوله (وَهُوَ الَّذِى خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ بِالحَقِّ) ثم ابتدأ الخبر عن القول فقال (قَوْلُهُ الحَقُّ) بمعنى : وعده هذا الذى وعد تعالى ذكره من تبديله السموات والأرض ، غير الأرض والسموات ، الحقّ الذى لاشكّ فيه (وَلَهُ المُلْكُ يَوْمَ يُنْفَخُ فِى الصُّورِ) فيكون قوله (يَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ) من صلة الملك ، ويكون معنى الكلام : ولله الملك يومئذ ، لأن النفخة الثانية فى الصور حال تبديل الله السموات والأرض غيرهما ، وجائز أن يكون القول ، أعنى قوله (الحَقُّ) مرفوعا بقوله (وَيَوْمَ يَقُولُ كُنْ فَيَكُونُ) ويكون قوله (كُنْ فَيَكُونُ) محلا للقول مرافعا .

فيكون تأويل الكلام : وهو الذى خلق السموات والأرض بالحقّ ، ويوم يبدّلها غير السموات والأرض فيقول لذلك : كن فيكون قوله الحقّ .

(١) لعله : يوم يقول كن ، كما هو ظاهر .

وأما قوله (وَلَهُ المُلْكُ يَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ) فإنه خصّ بالخبر عن ملكه يومئذ ، وإن كان الملك له خالصا فى كلّ وقت فى الدنيا والآخرة ، لأنه عنى تعالى ذكره أنه لامنازع له فيه يومئذ ، ولا مدّعى له ، وأنه المنفرد به دون كلّ من كان ينازعه فيه فى الدنيا من الجبابرة ، فأذعن جميعهم يومئذ له به ، وعلموا أنهم كانوا من دعواهم فى الدنيا فى باطل .

واختلف فى معنى الصور فى هذا الموضع ، فقال بعضهم : هو قرن ينفخ فيه نفختان : إحداهما لفناء من كان حيا على الأرض . والثانية لنشركلّ ميت . واعتلوا لقولهم ذلك بقوله (وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَصَعِقَ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَمَنْ فِي الأَرْضِ ، إلاَّ مَنْ شاءَ اللهُ ، ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَى ، فإذَا هُمْ قِيامٌ يَنْظُرُونَ) وبالخبر الذى روى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال : إذا سئل عن الصور « هُوَ قَرْنٌ يُنْفَخُ فِيهِ » . وقال آخرون : الصور فى هذا الموضع : جمع صورة ينفخ فيها روحها فتحيا ، لقولهم سُور لسور المدينة ، وهو جمع سوْرة ، كما قال جرير :

سُورُ المَدِينَةِ والجِبالُ الخُشَّعُ ١

والعرب تقول : نفخ فى الصور ، ونفخ الصور ، ومن قولهم : نفخ الصور ، قول الشاعر :

لَوْلا ابنُ جَعْدَةَ لم تُفْتَحِ قُهُنْدُزكم ... وَلا خُرَاسانُ حتى يُنْفَخَ الصُّورُ ٢

والصواب من القول فى ذلك عندنا ، ما تظاهرت به الأخبار عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، أنه قال : « إنَّ إسْرَافِيلَ قَدِ الْتَقَمَ الصُّورَ وَحَنَى جَبْهَتَهُ يَنْتَظِرُ مَتَى يُؤْمَرُ فَيَنْفُخُ » وأنه قال : « الصُّورُ قَرْنٌ يُنْفَخُ فِيهِ » ، وذكر عن ابن عباس أنه كان يقول فى قوله (يَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ عالِمُ الغَيْبِ وَالشَّهادَةِ) يعنى : أن عالم الغيب والشهادة ، هو الذى ينفخ فى الصور .

حدثنى به المثنى ، قال : ثنا عبد الله بن صالح ، قال : ثنا معاوية ، عن علىّ بن أبى طلحة ، عن ابن عباس ، فى قوله (عالِمُ الغَيْبِ والشَّهادَةِ) يعنى : أن عالم الغيب والشهادة ، هو الذى ينفخ فى الصور فكأن ابن عباس ، تأوّل فى ذلك أن قوله (عالِمُ الغَيْبِ وَالشَّهادَةِ) اسم الفاعل الذى لم يسمّ فى قوله (يَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ) وأن معنى الكلام : يوم ينفخ الله فى الصور عالم الغيب والشهادة ، كما تقول العرب : أُكل طعامُك عبدالله ، فتظهر اسم الآكل بعد أن قد جرى الخبر بما لم يسمّ آكله ، وذلك وإن

(١) هذا عجز بيت لجرير الشاعر من قصيدة يهجو بها الفرزدق ، ويذكر قتل الزبير بن العوام ، أورده صاحب اللسان فى (سور) وقال : السور : حائط المدينة ، مذكر ، وقول جرير :

لَمَّا أتَى خَبَرُ الزُّبَيْرِ تَواضَعت ... سُورُ المدينَةِ والجِبالُ الخُشَّعُ

فإنه أنث السور ، لأنه بعض المدينة ، فكأنه قال : تواضعت المدينة . والألف واللام فى الخشع زائدة إذا كان خبرا . (وانظر البيت فى ديوان جرير طبعة الصاوى ص ٣٤٥) . ثم قال فى اللسان : وقال أبوعبيدة السورة عرق من أعراق الحائط ويجمع سورا . ورده الأزهرى وقال : إنما تجمع (فعلة) على (فعل) بسكون العين إذا سبق الجمع الواحد مثل صوفة وصوف . وسورة البناء وسوره ، فالسور جمع سبق وحدان فى هذا الموضع .

(٢) البيت فى اللسان (نفخ) ولم يفصح عن قائله ، وهو من شواهد الفراء ، على أنه يقال : نفخ الصور ، ونفخ فى الصور . وفى التاج : قهندز بضم القاف والدال : أربعة مواضع فى بلاد العجم . وفى المشترك لياقوت : هو اسم جنس لكل حصن فى وسط المدينة العظمى . وقلما يخلو بلد من خراسان وما وراء النهر من قهندز . معرب « كوه أنداز » .

كان وجها غير مدفوع ، فإن أحسن من ذلك ، أن يكون قوله (عالِمُ الغَيْبِ وَالشَّهادَةِ) مرفوعا على أنه نعت للذى، فى قوله (وَهُوَ الَّذِى خَلَقَ السَّمَوَاتِ والأَرْضَ بالحَقِّ) ورُوِى عنه أيضا أنه كان يقول: الصور فى هذا الموضع : النفخة الأولى .

حدثنى محمد بن سعد ، قال: ثنى أبى ، قال : ثنى عمى ، قال : ثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس، قوله (يَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ ، عالِمُ الغَيْبِ والشَّهادَةِ) يعنى بالصور : النفخة الأولى ، ألم تسمع أنه يقول (وَنُفِخ فِي الصُّورِ ، فَصَعِقَ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَمَنْ فِي الأَرْضِ إلاَّ مَنْ شاءَ اللهُ ، ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَى) يعنى الثانية (فإذَا هُمْ قِيامٌ يَنْظُرُونَ)، ويعنى بقوله (عالِمُ الغَيْبِ والشَّهادَةِ) عالم ما تعاينون أيها الناس ، فتشاهدونه ، وما يغيب عن حواسكم وأبصاركم فلا تحسونه ، ولا تبصرونه ، وهو الحكيم فى تدبيره وتصريفه خلقه من حال الوجود إلى العدم ، ثم من حال العدم والفناء إلى الوجود ، ثم فى مجازاتهم بما يجازيهم به من ثواب أو عقاب، خبير بكلّ ما يعملونه ويكسبونه من حسن وسيئ، حافظ ذلك عليهم ، ليجازيهم على كل ذلك . يقول تعالى ذكره : فاحذروا أيها العادلون بربكم عقابه ، فإنه عليم بكلّ ما تأتون وتذرون ، وهو لكم من وراء الجزاء على ما تعملون .

القول فى تأويل قوله تعالى:

وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ ءَازَرَ أَتَتَّخِذُ أَصْنَامًا ءَالِهَةً إِنِّى أَرَاكَ وَقَوْمَكَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٧٤﴾

يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم : واذكر يا محمد لحجاجك الذى تحاجّ به قومك وخصومتك إياهم فى آلهتهم ، وما تراجعهم فيها ، مما نلقيه إليك ، ونعلمكه من البرهان ، والدلالة على باطل ماعليه قومك مقيمون ، وصحة ما أنت عليه مقيم من الدين ، وحقية ما أنت عليهم محتج حجاج إبراهيم خليلى قومه ، ومراجعته إياهم فى باطل ما كانوا عليه مقيمين من عبادة الأوثان ، وانقطاعه إلى الله والرضا به واليا وناصرا دون الأصنام ، فاتخذه إماما واقتد به ، واجعل سيرته فى قومك لنفسك مثالا ، إذ قال لأبيه مفارقا لدينه ، وعائبا عبادته الأصنام دون بارئه وخالقه : يا آزر .

ثم اختلف أهل العلم فى المعنىّ بآزر ، وما هو ؟ اسم أم صفة ؟ وإن كان اسما ، فمن المسمى به ؟ فقال بعضهم : هو اسم أبيه .

ذكر من قال ذلك

حدثنى محمد بن الحسين ، قال : ثنا أحمد بن المفضل ، قال : ثنا أسباط ، عن السدىّ (وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لأَبِيهِ آزَرَ) قال : اسم أبيه آزر .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة بن الفضل ، قال : ثنى محمد بن إسحاق ، قال : آزر : أبو إبراهيم، وكان فيما ذكر لنا والله أعلم رجلا من أهل كُوثَى ، من قرية بالسواد ، سواد الكوفة .

حدثنى ابن البرقى ، قال : ثنا عمرو بن أبى سلمة ، قال : سمعت سعيد بن عبد العزيز يذكر ، قال : هو آزر ، وهو تارح ، مثل إسرائيل ويعقوب .

وقال آخرون : إنه ليس أبا إبراهيم .

ذكر من قال ذلك

حدثنا محمد بن حميد وسفيان بن وكيع ، قالا : ثنا جرير ، عن ليث ، عن مجاهد ، قال : ليس آزر أبا إبراهيم .

حدثنى الحرث ، قال : ثنى عبد العزيز ، قال : ثنا الثورىّ ، قال : أخبرنى رجل ، عن ابن أبى نجيح عن مجاهد (وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ آزَرَ) قال : آزر لم يكن بأبيه إنما هو صنم .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا يحيى بن يمان ، عن سفيان ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، قال : آزر : اسم صنم .

حدثنا محمد بن الحسين ، قال : ثنا أحمد بن المفضل ، قال : ثنا أسباط ، عن السدىّ ، قال (وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ آزَرَ) قال : اسم أبيه ، ويقال : لا ، بل اسمه تارح ، واسم الصنم آزر ، يقول : أتتخذ آزر أصناما آلهة .

وقال آخرون : هو سبّ وعيب بكلامهم ، ومعناه : معوجّ ، كأنه تأوّل أنه عابه بزيغه واعوجاجه عن الحقّ .

واختلفت القرّاء فى قراءة ذلك ، فقرأته عامة قرّاء الأمصار (وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ آزَرَ) بفتح آزر على اتباعه الأب فى الخفض ، ولكنه لما كان اسما أعجميا فتحوه إذ لم يجرّوه وإن كان فى موضع خفض . وذكر عن أبى يزيد المدينى والحسن البصرى أنهما كانا يقرآن ذلك : آزر ، بالرفع على النداء ، بمعنى : يا آزر ، فأما الذى ذكر عن السدىّ من حكايته أن آزر اسم صنم ، وإنما نصبه بمعنى : أتتخذ آزر أصناما آلهة ، فقول من الصواب من جهة العربية بعيد ، وذلك أن العرب لاتنصب اسما بفعل بعد حرف الاستفهام ، لاتقول : أخاك أكلمت ، وهى تريد : أكلمت أخاك .

والصواب من القراءة فى ذلك عندى ، قراءة من قرأ بفتح الراء من آزر ، على إتباعه إعراب الأب ، وأنه فى موضع خفض ، ففتح إذ لم يكن جاريا ، لأنه اسم عجمىّ ، وإنما أجيزت قراءة ذلك كذلك لإجماع الحجة من القراء عليه .

وإذ كان ذلك هو الصواب من القراءة ، وكان غير جائز أن يكون منصوبا بالفعل الذى بعد حرف الاستفهام صحّ لك فتحه من أحد وجهين : إما أن يكون اسما لأبى إبراهيم صلوات الله عليه ، وعلى جميع أنبيائه ورسله ، فيكون فى موضع خفض ردّا على الأب ، ولكنه فتح لما ذكرت من أنه لما كان اسما أعجميا ترك إجراؤه ، ففتح كما فتح العرب فى أسماء العجم . أو يكون نعتا له ، فيكون أيضا خفضا بمعنى تكرير اللام عليه ، ولكنه لما خرج مخرج أحمر وأسود ، ترك إجراؤه ، وفعل به كما يفعل بأشكاله .

فيكون تأويل الكلام حينئذ : وإذ قال إبراهيم لأبيه آزر : أتتخذ أصناما آلهة ؟ وإن لم يكن له وجهة في الصواب إلا أحد هذين الوجهين .

❁ فأولى القولين بالصواب منهما عندى ، قول من قال : هو اسم أبيه ، لأن الله تعالى أخبر أنه أبوه ، وهو القول المحفوظ ، من قول أهل العلم دون القول الآخر ، الذى زعم قائله أنه نعت .

❁ فإن قال قائل : فإن أهل الأنساب إنما ينسبون إبراهيم إلى تارح ، فكيف يكون آزر اسما له والمعروف به من الاسم تارح ؟ قيل له : غير محال أن يكون له اسمان ، كما لكثير من الناس فى دهرنا هذا ، وكان ذلك فيما مضى لكثير منهم ، وجائز أن يكون لقبا ، والله تعالى أعلم .

القول في تأويل قوله تعالى : ﴿ أَتَتَّخِذُ أَصْنَاماً آلِهَةً إِنِّى أَرَاكَ وَقَوْمَكَ فِى ضَلَالٍ مُبِينٍ ﴾ :

وهذا خبر من الله تعالى ذكره عن قيل إبراهيم لأبيه آزر أنه قال : أتتخذ أصناما آلهة تعبدها وتتخذها ربا دون الله الذى خلقك فسوّاك ورزقك . والأصنام : جمع صنم ، والصنم : التمثال من حجر أو خشب أو من غير ذلك ، فى صورة إنسان ، وهو الوثن ، وقد يقال للصورة المصوّرة على صورة الإنسان فى الحائط غيره : صنم ووثن (إِنِّى أَرَاكَ وَقَوْمَكَ فِى ضَلَالٍ مُبِينٍ) يقول : إنى أراك يا آزر وقومك الذين يعبدون معك الأصنام ، ويتخذونها آلهة فى ضلال ، يقول : فى زوال عن محجة الحق ، وعدول عن سبيل الصواب (مُبِين) يقول : يتبين لمن أبصره أنه جور عن قصد السبيل ، وزوال عن محجة الطريق القويم ، يعنى بذلك : أنه قد ضلّ هو وهم عن توحيد الله وعبادته ، الذى استوجب عليهم إخلاص العبادة له بآلائه عندهم ، دون غيره من الآلهة والأوثان .

القول في تأويل قوله تعالى :

﴿ وَكَذَٰلِكَ نُرِىٓ إِبْرَٰهِيمَ مَلَكُوتَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَلِيَكُونَ مِنَ ٱلْمُوقِنِينَ ﴾ ٧٥

❁ يعنى تعالى ذكره بقوله (وَكَذَٰلِكَ) : وكما أريناه البصيرة فى دينه والحقّ ، فى خلاف ما كانوا عليه من الضلال ، نريه ملكوت السموات والأرض ، يعنى ملكه ، وزيدت فيه التاء كما زيدت فى الجبروت من الجبر ، وكما قيل : رهبوت خير من رحموت ، بمعنى رهبة ، خير من رحمة . وحكى عن العرب سماعا له ملكوت اليمن والعراق بمعنى : له ملك ذلك .

واختلف أهل التأويل فى تأويل قوله (نُرِى إِبْرَاهِيمَ مَلَكُوتَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْض) فقال بعضهم : معنى ذلك : نريه خلق السموات والأرض .

ذكر من قال ذلك

حدثنى المثنى ، قال : ثنا عبد الله بن صالح ، قال : ثنا معاوية بن صالح ، عن علىّ بن أبى طلحة ، عن ابن عباس ، قوله (نُرِى إِبْرَاهِيمَ مَلَكُوتَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ) : أى خلق السموات والأرض

حدثنا بشر بن معاذ ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (وكَذَلِكَ نُرِى إِبْرَاهِيمَ مَلَكُوتَ السَّمَوَاتِ والأَرْضِ) : أي خلق السموات والأرض ، وليكون من الموقنين .

حدثني محمد بن سعد ، قال : ثني أبي ، قال : ثني عمي ، قال : ثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس (وكَذَلِكَ نُرِى إِبْرَاهِيمَ مَلَكُوتَ السَّمَوَاتِ والأَرْضِ) يعني بملكوت السموات والأرض : خلق السموات والأرض .

وقال آخرون : معنى الملكوت : الملك ، بنحو التأويل الذي أوّلناه .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا يحيى بن واضح ، قال : ثنا عمر بن أبي زائدة ، قال : سمعت عكرمة ، وسأله رجل عن قوله (وكَذَلِكَ نُرِى إِبْرَاهِيمَ مَلَكُوتَ السَّمَوَاتِ والأَرْضِ) قال : هو الملك ، غير أنه بكلام النبَط ملكوتًا .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبي ، عن ابن أبي زائدة ، عن عكرمة ، قال : هي بالنبطية : ملكوتا .

وقال آخرون : معنى ذلك : آيات السموات والأرض .

ذكر من قال ذلك

حدثنا هناد بن السريّ ، قال : ثنا وكيع ، عن سفيان ، عن منصور ، عن مجاهد (نُرِى إِبْرَاهِيمَ مَلَكُوتَ السَّمَوَاتِ والأَرْضِ) قال : آيات السموات والأرض .

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، في قول الله تعالى ذكره (وكَذَلِكَ نُرِى إِبْرَاهِيمَ مَلَكُوتَ السَّمَوَاتِ والأَرْضِ) قال : آيات .

حدثني المثنى ، قال : ثنا أبو حذيفة ، قال : ثنا شبل ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد (وكَذَلِكَ نُرِى إِبْرَاهِيمَ مَلَكُوتَ السَّمَوَاتِ والأَرْضِ) قال : تفرّجت لإبراهيم السموات السبع ، حتى العرش ، فنظر فيهنّ ، وتفرّجت له الأرضون السبع ، فنظر فيهنّ .

حدثني محمد بن الحسين ، قال : ثنا أحمد بن المفضل ، قال : ثنا أسباط عن السديّ (وكَذَلِكَ نُرِى إِبْرَاهِيمَ مَلَكُوتَ السَّمَوَاتِ والأَرْضِ ، وَلِيَكُونَ مِنَ المُوقِنِينَ) قال : أقيم على صخرة ، وفتحت له السموات ، فنظر إلى مُلك الله فيها ، حتى نظر إلى مكانه في الجنة ؛ وفتحت له الأرضون حتى نظر إلى أسفل الأرض ، فذلك قوله (وآتَيْنَاهُ أَجْرَهُ فِي الدُّنْيا) يقول : آتيناه مكانه في الجنة ، ويقال : أجره : الثناء الحسن .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثني حجاج ، عن ابن جريج ، عن القاسم بن أبي بزّة ، عن مجاهد ، قوله (وكَذَلِكَ نُرِى إِبْرَاهِيمَ مَلَكُوتَ السَّمَوَاتِ والأَرْضِ) قال : فرجت له السموات فنظر إلى ما فيهنّ ، حتى انتهى بصره إلى العرش ؛ وفرِّجت له الأرضون السبع فنظر ما فيهن .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا حكام ، عن عنبسة ، عن سالم ، عن سعيد بن جبير (وكَذَلِكَ نُرِى

إِبْرَاهِيمَ مَلَكُوتَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ) قال : كشف له عن أديم السموات والأرض ، حتى نظر إليهن على صخرة ، والصخرة على حوت ، والحوت على خاتم ربّ العزّة لا إله إلا الله .

حدثنا هناد وابن وكيع ، قالا : ثنا أبو معاوية ، عن عاصم ، عن أبي عثمان ، عن سلمان ، قال : لما رأى إبراهيم ملكوت السموات والأرض ، رأى عبدا على فاحشة ، فدعا عليه فهلك ؛ ثم رأى آخر على فاحشة ، فدعا عليه فهلك ؛ ثم رأى آخر على فاحشة ، فدعا عليه فهلك ، فقال : أنزلوا عبدى لا يهلك عبادى.

حدثنا هناد ، قال : ثنا قبيصة ، عن سفيان ، عن طلحة بن عمرو ، عن عطاء ، قال : لما رفع الله إبراهيم فى الملكوت فى السموات ، أشرف فرأى عبدا يزنى ، فدعا عليه فهلك ؛ ثم رُفع فأشرف فرأى عبدا يزنى ، فدعا عليه فهلك ؛ ثم رفع فأشرف ، فرأى عبدا يزنى ، فدعا عليه : فنودى : على رسلك يا إبراهيم فإنك عبد مستجاب لك ؛ وإنى من عبدى على ثلاث : إما أن يتوب إلىّ فأتوب عليه ، وإما أن أخرج منه ذرّية طيبة ، وإما أن يتمادى فيما هو فيه ، فأنا من ورائه .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا ابن أبى عدىّ ومحمد بن جعفر ، وعبد الوهاب ، عن عوف ، عن أسامة : أن إبراهيم خليل الرحمن حدّث نفسه ، أنه أرحم الخلق ، وأن الله رفعه حتى أشرف على أهل الأرض ، فأبصر أعمالهم ؛ فلما رآهم يعملون بالمعاصى ، قال : اللهمّ دمّر عليهم ، فقال له ربه : أنا أرحم بعبادى منك ، اهبط فلعلهم أن يتوبوا إلىّ ويرجعوا .

وقال آخرون : بل معنى ذلك : ما أخبر تعالى أنه أراه من النجوم والقمر والشمس .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبو خالد الأحمر ، عن جويبر ، عن الضحاك (وَكَذَلِكَ نُرِى إِبْرَاهِيمَ مَلَكُوتَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ) قال : الشمس والقمر والنجوم .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا عبد الرحمن ، قال : ثنا سفيان ، عن منصور ، عن مجاهد (وَكَذَلِكَ نُرِى إِبْرَاهِيمَ مَلَكُوتَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ) قال : الشمس والقمر .

حدثنا المثنى ، قال : ثنا عبد الله بن صالح ، قال : ثنى معاوية ، عن علىّ بن أبى طلحة ، عن ابن عباس ، قوله (وَكَذَلِكَ نُرِى إِبْرَاهِيمَ مَلَكُوتَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ) يعنى به : نريه الشمس والقمر والنجوم .

حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة ، قال : خُبِّئَ إبراهيمُ عليه السلام من جبار من الجبابرة ، فجُعل له رزقه فى أصابعه ، فإذا مصّ أصبعا من أصابعه وجد فيها رزقا ، فلما خرج أراه الله ملكوت السموات والأرض ، فكان ملكوت السموات : الشمس والقمر والنجوم ، وملكوت الأرض : الجبال والشجر والبحار .

حدثنا بشر بن معاذ ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، ذكر لنا أن نبىّ الله إبراهيم عليه السلام فُرّ به من جبار مترف ، فجعل فى سَرَب ، وجعل رزقه فى أطرافه ، فجعل لا يمُصّ أصبعا من أصابعه إلا وجد فيها

رزقا ؛ فلما خرج من ذلك السرب ، أراه الله ملكوت السموات ، فأراه شمسا وقمرا ونجوما وسحابا ، وخلقا عظيما ؛ وأراه ملكوت الأرض ، فأراه جبالا وبحورا وأنهارا وشجرا ، ومن كلّ الدواب ، وخلقا عظيما .

وأولى الأقوال فى تأويل ذلك بالصواب ، قول من قال : عنى الله تعالى بقوله (وَكَذَٰلِكَ نُرِي إِبْرَاهِيمَ مَلَكُوتَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ) أنه أراه ملك السموات والأرض ، وذلك ما خلق فيهما من الشمس والقمر والنجوم والشجر والدوابّ ، وغير ذلك من عظيم سلطانه فيهما ، وجلّى له بواطن الأمور وظواهرها لما ذكرنا قبل من معنى الملكوت فى كلام العرب فيما مضى قبل .

وأما قوله (وَلِيَكُونَ مِنَ الْمُوقِنِينَ) فإنه يعنى : أنه أراه ملكوت السموات والأرض ليكون ممن يتوحد بتوحيد الله ، ويعلم حقية ما هداه له ، وبصره إياه ، من معرفة وحدانيته ، وما عليه قومه من الضلالة من عبادتهم الأصنام ، واتخاذهم إياها آلهة دون الله تعالى .

وكان ابن عباس يقول فى تأويل ذلك ، ما حدثنى به محمد بن سعد ، قال : ثنى أبى ، قال : ثنى عمى ، قال : ثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله (وَلِيَكُونَ مِنَ الْمُوقِنِينَ) أنه جلى له الأمر سرّه وعلانيته ، فلم يخف عليه شيء من أعمال الخلائق ؛ فلما جعل يلعن أصحاب الذنوب ، قال الله : إنك لاتستطيع هذا ، فردّه الله كما كان قبل ذلك . فتأويل ذلك على هذا التأويل : أريناه ملكوت السموات والأرض ، ليكون ممن يوقن علم كلّ شيء حسا لاخبرا .

حدثنى العباس بن الوليد ، قال : أخبرنى أبى ، قال : ثنا أبو جابر ، قال : وحدثنا الأوزاعى أيضا قال : ثنى خالد الحلاج ، قال : سمعت عبدالرحمن بن عياش ، يقول : «صلى بنا رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات غداة ، فقال له قائل : مارأيت أسعد منك الغداة ، قال : وَمَالِى وَقَدْ أَتَانِي رَبِّي فِي أَحْسَنِ صُورَةٍ ، فقال : ففيم يختصم الملأ الأعلى يا مُحَمَّدُ ؟ قُلْتُ : أَنْتَ أَعْلَمُ ، فَوَضَعَ يَدَهُ بينَ كَتِفَيَّ ، فَعَلِمْتُ ما فِي السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ ، ثم تلا هذه الآية (وَكَذَٰلِكَ نُرِي إِبْرَاهِيمَ مَلَكُوتَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ، وَلِيَكُونَ مِنَ الْمُوقِنِينَ) .

القول في تأويل قوله تعالى :

فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ اللَّيْلُ رَأَىٰ كَوْكَبًا ۖ قَالَ هَٰذَا رَبِّي ۖ فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لَا أُحِبُّ الْآفِلِينَ ﴿٧٦﴾

يقول تعالى ذكره : فلما واراه الليل وجنه ، يقال منه : جنّ عليه الليل ، وجنّه الليل ، وأجنّه ، وأجنّ عليه ، وإذا ألقيت على كان الكلام بالألف أفصح منه بغير الألف أجنه الليل ، أفصح من أجن عليه وجنّ عليه الليل ، أفصح من جنّه ، وكل ذلك مقبول مسموع من العرب ، وجنّه الليل فى أسد ، وأجنّه وجنّه فى تميم ، والمصدر من جنّ عليه جنًّا وجنُونا وجنَانا ، ومن أجن إجْنانا ، ويقال : أتى فلان فى جنّ

الليل ، والجنّ من ذلك ، لأنهم استجنُّوا عن أعين بنى آدم فلا يُرَوْن ، وكلّ ما توارى عن أبصار الناس، فإن العرب تقول فيه : قد جَنّ ؛ ومنه قول الهُذلىّ :

وَمَاءٍ وَرَدْتُ قُبَيْلَ الكَرَى وَقَدْ جَنَّهُ السَّدَفُ الأَدْهَمُ ١

وقال عَبيد :

وَخَرْقٍ تَصِيحُ البومُ فِيهِ مع الصَّدَى مَخُوفٍ إذا ما جَنَّهُ اللَّيْلُ مَرْهُوبِ ٢

ومنه : أجننت الميت : إذا واريته فى اللحد ، وجننته ، وهو نظير جنون الليل فى معنى : غطيته، ومنه قيل للترس : مِجَنّ ، لأنه يَجُنُّ من استجنّ به فيغطيه ويواريه .

وقوله (رَأى كَوْكَبًا) يقول : أبصر كوكبا حين طلع (قالَ هَذَا رَبِّى) :

فروى عن ابن عباس فى ذلك ما حدثنى به المثنى ، قال : ثنا أبو صالح ، قال : ثنى معاوية بن صالح، عن علىّ بن أبى طلحة ، عن ابن عباس، قوله (وكَذَلِكَ نُرِى إبْرَاهِيمَ مَلَكُوتَ السَّمَوَاتِ والأرْضِ وَلِيَكُونَ مِنَ المُوقِنِينَ) يعنى به : الشمس والقمر والنجوم (فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ اللَّيْلُ رَأى كَوْكَبًا قالَ هَذَا رَبِّى) فعبده حتى غاب ، فلما غاب قال : لاأحبّ الآفلين؛ فلما رأى القمر بازغا قال : هذا ربى فعبده حتى غاب ؛ فلما غاب قال : لئن لم يهدنى ربى لأكوننّ من القوم الضالّين؛ فلما رأى الشمس بازغة قال : هذا ربى ، هذا أكبر ، فعبدها حتى غابت ؛ فلما غابت قال : يا قوم إنى برىء مما تشركون .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ اللَّيْلُ رأى كَوْكَبًا قالَ هَذَا رَبِّى ، فَلَمَّا أفَلَ قالَ لاأُحِبُّ الآفِلِينَ) علم أن ربه دائم لايزول ، فقرأ حتى بلغ (هَذَا رَبِّى ، هَذَا أكْبَرُ) وأىّ خلق هو أكبر من الخلقين الأوّلين وأنور .

وكان سبب قيل إبراهيم ذلك ، ما حدثنى به محمد بن حميد ، قال : ثنا سلمة بن الفضل ، قال : ثنى محمد بن إسحاق ، فيما ذكر لنا ، والله أعلم ، أن آزر كان رجلا من أهل كُوثَى من قرية بالسواد ، سواد الكوفة ، وكان إذ ذاك مُلْكُ المشرق لنمرود بن كنعان؛ فلما أراد الله أن يبعث إبراهيم حُجَّة على قومه ، ورسولا إلى عباده ، ولم يكن فيما بين نوح وإبراهيم نبىّ إلا هود وصالح ؛ فلما تقارب زمان إبراهيم الذى أراد الله ماأراد ، أتى أصحابُ النجوم نمرود ، فقالوا له : تعلم أنا نجد فى عِلْمنا أن غلاما يولد فى قريتك هذه يقال له إبراهيم ، يفارق دينكم ، ويكسر أوثانكم فى شهر كذا وكذا من سنة كذا وكذا ؛ فلما دخلت السنة التى وصف أصحاب النجوم لنمرود ، بعث نمرود إلى كلّ امرأة حبلى بقريته ، فحبسها عنده ، إلا ما كان

(١) البيت فى (اللسان : سدف) أنشده ابن برى شاهدا على أن السدف : الليل . وفى روايته « على خيفة » فى موضع « قبيل الكرى » . واستشهد به أيضا فى (جنن) على أن جنه بمعنى ستره . قال : جن الشىء يجنه جنا : ستره ، وكل شىء ستر عنك فقد جن عنك . وجنه الليل يجنه جنا وجنونا . وجن عليه يجن بالضم جنونا وأجنه : ستره . قال ابن برى : شاهد جنه قول الهذلى : وماء : . . . الخ .

(٢) البيت فى ديوانه (طبعة ليدن سنة ١٩١٣ ص ٣٣) وفيه تصيح الهام ، فى موضع : يصيح البوم . والهام : اسم جنس جمعى ، واحدته هامة ، وهى ذكر البوم ، وجنه الليل : غطاه وستره .

من أمّ إبراهيم امرأة آزر، فإنه لم يعلم بحبلها، وذلك أنها كانت امرأة حَدِبة فيا يُذْكَر لم يعرف الحبل فى بطنها ، ولما أراد الله أن يبلغ بولدها أراد أن يقتل كلّ غلام ولد فى ذلك الشهر من تلك السنة حذَرا على ملكه ، فجعل لاتلد امرأة غلاما فى ذلك الشهر من تلك السنة إلا أمر به فذُبح ؛ فلما وَجَدت أمّ إبراهيم الطَّلْق ، خرجت ليلا إلى مغارة كانت قريبا منها ، فولدت فيها إبراهيم ، وأصلحت من شأنه ما يُصْنَع مع المولود ، ثم سدّت عليه المغارة ، ثم رجعت إلى بيتها ، ثم كانت تطالعه فى المغارة ، فتنظر ما فعل ، فتجده حيا يمصّ إبهامه ، يزعمون والله أعلم ، أن الله جعل رزق إبراهيم فيها وما يجيئه من مصه ، وكان آزر فيا يزعمون ، سأل أمّ إبراهيم عن حملها ما فعل ؟ فقالت : ولدت غلاما فمات ، فصدّقها ، فسكت عنها ، وكان اليوم فيا يذكرون على إبراهيم فى الشباب كالشهر ، والشهر كالسنة ، فلم يلبث إبراهيم فى المغارة إلا خمسة عشر شهرا ، حتى قال لأمه : أخرجينى أنظر ، فأخرجته عِشاء ، فنظر وتفكر فى خلق السموات والأرض ، وقال : إن الذى خلقنى ورزقنى وأطعمنى وسقانى لربى ، مالى إله غيره ، ثم نظر فى السماء فرأى كوكبا ، قال : هذا ربى ، ثم أتبعه ينظر إليه ببصره ، حتى غاب ، فلما أفل ، قال : لاأحبّ الآفلين ثم طلع القمر فرآه بازغا ، قال : هذا ربى ، ثم أتبعه بصره حتى غاب ، فلما أَفَلَ قال : لئن لم يهدنى ربى لأكوننّ من القوم الضالين ؛ فلما دخل عليه النهار ، وطلعت الشمس ، أعظم الشمس ، ورأى شيئا هو أعظم نورا من كلّ شيء رآه قبل ذلك ، فقال : هذا ربى ، هذا أكبر ، فلما أفلت قال : يا قوم إنى برىء مما تشركون ، إنى وجهت وجهى للذى فطر السموات والأرض حنيفا ، وما أنا من المشركين ؛ ثم رجع إبراهيم إلى أبيه آزر ، وقد استقامت وجهته ، وعرف ربه ، وبرئ من دين قومه ، إلا أنه لم يبادئهم بذلك ، وأخبر أنه ابنه ، وأخبرته أمّ إبراهيم أنه ابنه ، وأخبرته بما كانت صنعت من شأنه ، فسُرّ بذلك آزر ، وفرح فرحا شديدا ، وكان آزر يصنع أصنام قومه التى يعبدونها ، ثم يعطيها إبراهيمَ يبيعها ، فيذهب بها إبراهيم فيا يذكرون ، فيقول : من يشترى ما يضرّه ولا ينفعه ؟ فلا يشتريها منه أحد ، وإذا بارت عليه ، ذهب بها إلى نهر فضرب فيه رءوسها ، وقال : اشربى ، استهزاء بقومه ، وما هم عليه من الضلالة ، حتى فشا عيبه إياها ، واستهزاؤه بها فى قومه وأهل قريته ، من غير أن يكون ذلك بلغ نُمرود الملك .

وأنكر قوم من غير أهل الرواية هذا القول الذى روى عن ابن عباس ، وعمن رُوِى عنه من أن إبراهيم قال للكوكب أو للقمر : هذا ربى ، وقالوا غير جائز أن يكون لله نبىّ ابتعثه بالرسالة أتى عليه وقت من الأوقات وهو بالغ إلا وهو لله موحد وبه عارف ، ومن كلّ ما يعبد من دونه برىء ، قالوا : ولو جاز أن يكون قد أتى عليه بعض الأوقات وهو به كافر لم يجز أن يختصه بالرسالة ، لأنه لامعنى فيه إلا وفى غيره من أهل الكفر به مثله ، وليس بين الله وبين أحد من خلقه مناسبة ، فيحابيه باختصاصه بالكرامة ، قالوا : وإنما أكرم من أكرم منهم لفضله فى نفسه ، فأثابه لاستحقاقه الثواب بما أثابه من الكرامة ، وزعموا أن خبر الله عن قيل إبراهيم عند رؤيته الكوكب أو القمر أو الشمس : هذا ربى ، لم يكن لجهله بأن ذلك غير جائز أن يكون ربه ؛ وإنما قال ذلك على وجه الإنكار منه أن يكون ذلك ربه ، وعلى العيب لقومه

فى عبادتهم الأصنام ، إذ كان الكوكب والقمر والشمس أضوأ وأحسن وأبهج من الأصنام، ولم تكن مع ذلك معبودة ، وكانت آفلة زائلة غير دائمة ، والأصنام التى دونها فى الحسن ، وأصغر منها فى الجسم، أحقّ أن لاتكون معبودة ولا آلهة؛ قالوا : وإنما قال ذلك لهم معارضة ، كما يقول أحد المتناظرين لصاحبه معارضا له فى قول باطل قال به بباطل من القول على وجه مطالبته إياه بالفرقان بين القولين الفاسدين عنده اللذين يصحح خصمه أحدهما ويدّعى فساد الآخر . وقال آخرون منهم : بل ذلك كان منه فى حال طفوليته وقبل قيام الحجة عليه، وتلك حال لايكون فيها كفر ، ولا إيمان . وقال آخرون منهم : وإنما معنى الكلام : أهذا ربى؟ على وجه الإنكار والتوبيخ : أى ليس هذا ربى ، وقالوا قد تفعل العرب مثل ذلك ؛ فتحذف الألف التى تدلّ على معنى الاستفهام ، وزعموا أن من ذلك قول الشاعر :

رفَونِى وقالُوا يا خُوَيلِدُ لا تُرَعْ فقلتُ وأنكرْتُ الوجوهَ هُمُ هُمُ [١]

يعنى : أهم هم ؛ قالوا : ومن ذلك قول أوس :

لَعَمْرُكَ ما أدْرِى وإنْ كُنْتُ دَارِيا شُعَيْثُ بنُ سَهْمٍ أمْ شُعَيْثُ ابنُ مِنْقَرِ [٢]

بمعنى : أشعيث بن سهم ، فحذف الألف ونظائر ذلك . وأما تذكير هذا فى قوله (فَلَمَّا رأى الشمْسَ بازِغَةً قالَ هَذَا رَبِّى) فإنما هو على معنى : هذا الشىء الطالع ربى .

وفى خبر الله تعالى عن قيل إبراهيم حين أفل القمر (لَئِنْ لَمْ يَهْدِنِى رَبِّى لَأَكُونَنَّ مِنَ القَوْمِ الضَّالِّينَ) الدليل على خطأ هذه الأقوال التى قالها هؤلاء القوم . وأن الصواب من القول فى ذلك : الإقرار بخبر الله تعالى الذى أخبر به عنه، والإعراض عما عداه .

وأما قوله (فَلَمَّا أفَلَ) فإن معناه : فلما غاب وذهب .

كما حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة بن الفضل ، قال : قال ابن إسحاق : الأفول : الذهاب ، يقال منه : أفَلَ النجم يأفُل ، ويأفِل أُفولا وأَفْلا : إذا غاب ؛ ومنه قول ذى الرُّمة :

(١) البيت لأبى خراش الهذلى : خويلد بن مرة ، أحد بنى قرد بن عمرو بن معاوية بن تميم بن سعد بن هذيل ، مات فى زمن عمر بن الخطاب نهشته حية . وهو مطلع قصيدة له ، يذكر فرة فرها من فائد وأصحابه الخزاعيين (انظر ديوان الهذليين ، طبعة دار الكتب المصرية — القسم الثانى ص ١٤٢ — ١٤٤) . ومعنى رفونى : سكنونى . وكان أصلها رفئونى ، فترك الهمز . وقوله هم هم : أى هم الذين كنت أخاف . وجعله المؤلف استفهاما ، لاخبرا ، وأداة الاستفهام محذوفة ، أى أهم هم ؟

(٢) البيت من شواهد النحويين : (الخزانة ٤ : ٤٥٠) وهو شاهد على أن همزة الاستفهام قد تحذف قبل أم المتصلة فى الشعر . قال السيرافى يهجو هذه القبيلة (شعيث) يقول : إنها لم تستقر على أب ، لأن بعضا يعزوها إلى منقر ، فجعلهم أدعياء ، وشك فى كونهم منهم أو من بنى سهم . وسهم حى من قيس عيلان ، وهو سهم بن عمرو بن ثعلبة ، ينتهى نسبه إلى غطفان بن سعد بن قيس عيلان بن مضر . وبنو منقر : حى من تميم . ونسب سيبويه البيت للأسود بن يعفر . وأنشده المبرد فى موضعين من الكامل للعين المنقرى . وقال الجاحظ فى البيان : ذكروا أن شعيث بن سهم بن محرز بن حزن أغير على إبله ، فأتى أوس بن حجر يستنجده ، فقال أوس :

لَعَمْرُكَ ما أدْرِى أمِنْ حَزْنِ مُحْرِزٍ شُعَيْثُ بنُ سَهْمٍ أم لِحَزْنِ بنِ مِنْقَرِ

وعلى رواية الجاحظ يكون شعيث رجلا لاقبيلة .

مصابيحُ لَيْسَتْ باللَّوَاتِى يَقُودُها نجومٌ وَلا بالآفلاتِ الدَّوَالِكِ [1]

ويقال : أين أفلت عنا بمعنى : أين غبت عنا .

القول في تأويل قوله تعالى :

فَلَمَّا رَءَا ٱلْقَمَرَ بَازِغًا قَالَ هَٰذَا رَبِّى فَلَمَّآ أَفَلَ قَالَ لَئِن لَّمْ يَهْدِنِى رَبِّى لَأَكُونَنَّ مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلضَّآلِّينَ ﴿٧٧﴾

يقول تعالى ذكره : فلما طلع القمر فرآه إبراهيم طالعا وهو بزوغه ، يقال منه : بزغت الشمس تبزغ بُزوغا إذا طلعت ، وكذلك القمر (قالَ هَذَا رَبِّى ، فَلَمَّا أفَلَ) يقول : فلما غاب (قالَ) إبراهيم (لَئِنْ لَمْ يَهْدِنِى رَبِّى) ويوفقنى لإصابة الحقّ فى توحيده (لأَكُونَنَّ مِنَ القَوْمِ الضَّالِّينَ) : أى من القوم الذين أخطئوا الحقّ فى ذلك ، فلم يصيبوا الهدى ، وعبدوا غير الله . وقد بينا معنى الضلال فى غير هذا الموضع بما أغنى عن إعادته فى هذا الموضع.

القول في تأويل قوله تعالى :

فَلَمَّا رَءَا ٱلشَّمْسَ بَازِغَةً قَالَ هَٰذَا رَبِّى هَٰذَآ أَكْبَرُ فَلَمَّآ أَفَلَتْ قَالَ يَٰقَوْمِ إِنِّى بَرِىٓءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ ﴿٧٨﴾

يعنى تعالى ذكره (فَلَمَّا رأى الشَّمْسَ بازِغَةً) فلما رأى إبراهيم الشمس طالعة (قالَ هَذا) الطالع (رَبِّى ؛ هَذَا أكْبَرُ) يعنى : هذا أكبر من الكوكب والقمر ، فحذف ذلك لدلالة الكلام عليه (فَلَمَّا أفَلَتْ) يقول : فلما غابت (قالَ) إبراهيم لقومه (يا قَوْمِ إنِّى بَرِىءٌ مِمَّا تُشْرِكُونَ) : أى من عبادة الآلهة والأصنام ، ودعائه إلها مع الله تعالى .

القول في تأويل قوله تعالى :

إِنِّى وَجَّهْتُ وَجْهِىَ لِلَّذِى فَطَرَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ حَنِيفًا وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿٧٩﴾

وهذا خبر من الله تعالى ذكره عن خليله إبراهيم عليه السلام ، أنه لما تبين له الحقّ وعرفه ، شهد شهادة الحقّ ، وأظهر خلاف قومه أهل الباطل وأهل الشرك بالله ، ولم يأخذه فى الله لومة لائم ، ولم يستوحش من قيل الحقّ والثبات عليه ، مع خلاف جميع قومه لقوله ، وإنكارهم إياه عليه ، وقال لهم : يا قوم إنى برىء

(١) البيت فى ديوانه (طبعة كيمبردج سنة ١٩١٩ ص ٤٢٥) والمصابيح : من الإبل جمع مصباح ، وهى التى تصبح فى مبركها لاترعى ، حتى يرتفع النهار ، وهو مما يستحب من الإبل . وذلك لقوتها وسمنها . والآفلات : جمع آفلة ، وهى الغائبة فى المرعى . والدوالك جمع دالكة ، وهى التى دنت للغروب . يصف الإبل بأنها لاتخرج للمرعى ، ولا تجهد فى السرى بالليل تقودها النجوم . ولا ترى غادية رائحة ، وإنما هى مقيمة فى مباركها تعلف لتسمن وتقوى .

مما تشركون مع الله ، الذى خلقنى وخلقكم فى عبادته من آلهتكم وأصنامكم ، إنى وجهت وجهى فى عبادتى إلى الذي خلق السموات والأرض ، الدائم الذى يبقى ولا يفنى ، ويحيى ويميت ، لا إلى الذى يفنى ولا يبقى ، ويزول ولا يدوم ، ولا يضرّ ولا ينفع ، ثم أخبرهم تعالى ذكره أن توجيهه وجهه لعبادته بإخلاص العبادة له ، والاستقامة فى ذلك لربه ، على ما يجب من التوحيد ، لا على الوجه الذى يوجه له وجهه من ليس بحنيف ، ولكنه به مشرك ، إذ كان توجيه الوجه ، لا على التحنيف غير نافع موجهه ، بل ضارّه ومهلكه (وَمَا أنا مِنَ الْمُشْرِكِينَ) يقول : ولست منكم : أى لست ممن يدين دينكم ، ويتبع ملتكم أيها المشركون :

وبنحو الذى قلنا فى ذلك ، كان ابن زيد يقول :

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد فى قول قوم إبراهيم لإبراهيم : تركت عبادة هذه ، فقال (إِنِّى وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِى فَطَرَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ) فقالوا : ما جئت بشىء ونحن نعبده ونتوجهه ، فقال : لا (حَنِيفا) قال : مخلصا لا أشركه كما تشركون :

القول فى تأويل قوله تعالى :

وَحَاجَّهُۥ قَوْمُهُۥ قَالَ أَتُحَٰٓجُّوٓنِّى فِى ٱللَّهِ وَقَدْ هَدَىٰنِ وَلَآ أَخَافُ مَا تُشْرِكُونَ بِهِۦٓ إِلَّآ أَن يَشَآءَ رَبِّى شَيْـًٔا وَسِعَ رَبِّى كُلَّ شَىْءٍ عِلْمًا أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ ۞

يقول تعالى ذكره : وجادل إبراهيم قومه فى توحيد الله وبراءته من الأصنام ، وكان جدالهم إياه ، قولهم : إن آلهتهم التى يعبدونها خير من إلهه (قالَ) إبراهيم (أَتُحَاجُّونِي فِي اللهِ) يقول : أتجادلوننى فى توحيدى الله ، وإخلاصى العمل له دون ما سواه من آلهة (وَقَدْ هَدَانِ) يقول : وقد وفقنى ربى لمعرفة وحدانيته ، وبصّرنى طريق الحقّ حتى أَلِفْتُ أن لا شىء يستحقّ أن يُعْبد سواه ، ولا أخاف ما تشركون به يقول : ولا أرهب من آلهتكم التى تدعونها من دونه شيئا ينالنى فى نفسى من سوء ومكروه ، وذلك أنهم قالوا له : إنا نخاف أن تمسك آلهتنا بسوء من بَرَص أو خَبْل[1] ، لذكرك إياها بسوء ، فقال لهم إبراهيم : لا أخاف ما تشركون بالله من هذه الآلهة أن تنالنى بضرّ ولا مكروه ، لأنها لا تنفع ولا تضرّ (إلاَّ أنْ يَشاءَ رَبى شَيْئا) يقول : ولكن خوفى من الله الذى خلقنى ، وخلق السموات والأرض ، فإنه إن شاء أن ينالنى فى نفسى أو مالى بما شاء من فناء أو بقاء أو زيادة أو نقصان ، أو غير ذلك نالنى به ، لأنه القادر على ذلك .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك ، كان ابن جريج يقول .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جُرَيج (وَحاجَّهُ قَوْمُهُ قال أَتُحاجُّونِي فِي اللهِ وَقَدْ هَدَانِ) قال : دعا قومه مع الله آلهة ، وخوّفوه بآلهتهم أن يصيبه منها خبل ، فقال إبراهيم (أَتُحاجُّونِي فِي اللهِ وَقَدْ هَدَانِ) قال : قد عرفت ربى (لا أخافُ ما تُشْرِكُونَ بِهِ . . . وَسِعَ

(١) البرص : الوضح ، مرض جلدى معروف . والخبل بسكون الباء : فساد الأعضاء . (انظر اللسان) .

رَبِّى كُلَّ شَىْءٍ عِلْمًا) يقول : وعلم ربى كلّ شىء ، فلا يخفى عليه شىء ، لأنه خالق كلّ شىء ، ليس كالآلهة التى لاتضرّ، ولا تنفع ، ولا تفهم شيئا ، وإنما هى خشبة منحوتة ، وصورة ممثّلة (أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ) يقول : أفلا تعتبرون أيها الجهلة ، فتعقلوا خطأ ما أنتم عليه مقيمون من عبادتكم صورة مصوّرة ، وخشبة منحوتة ، لاتقدر على ضرّ ، ولا على نفع ، ولا تفقه شيئا ، ولا تعقله ، وترككم عبادة من خلقكم وخلق كلّ شىء ، وبيده الخير ، وله القدرة على كلّ شىء ، والعالم بكلّ شىء .

القول فى تأويل قوله تعالى :

وَكَيْفَ أَخَافُ مَا أَشْرَكْتُمْ وَلَا تَخَافُونَ أَنَّكُمْ أَشْرَكْتُم بِٱللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِۦ عَلَيْكُمْ سُلْطَٰنًا فَأَىُّ ٱلْفَرِيقَيْنِ أَحَقُّ بِٱلْأَمْنِ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٨١﴾

❊ وهذا جواب إبراهيم لقومه حين خوّفوه من آلهتهم أن تمسه لذكره إياها بسوء فى نفسه بمكروه ، فقال لهم : وكيف أخاف وأرهب ما أشركتموه فى عبادتكم ربكم ، فعبدتموه من دونه ، وهو لايضرّ ، ولا ينفع ، ولو كانت تنفع أو تضرّ لدفعت عن أنفسها كسرى إياها وضربى لها بالفأس ، وأنتم لاتخافون الله الذى خلقكم ورزقكم ، وهو القادر على نفعكم وضرّكم فى إشراككم فى عبادتكم إياه (ما لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ عَلَيْكُمْ سُلْطانا) يعنى : مالم يعطكم على إشراككم إياه فى عبادته حجة ، ولم يضع لكم عليه برهانا ، ولم يجعل لكم به عذرا (فَأَىُّ الفَرِيقَيْنِ أَحَقُّ بالأَمْنِ) يقول : أنا أحقّ بالأمن من عاقبة عبادتى ربى مخلصا له العبادة حنيفا له دينى ، بريئا من عبادة الأوثان والأصنام ، أم أنتم الذين تعبدون من دون الله أصناما ، لم يجعل الله لكم بعبادتكم إياها برهانا ولا حجة (إنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ) يقول : إن كنتم تعلمون صدق ما أقول ، وحقيقة ما أحتجّ به عليكم ، فقولوا وأخبرونى ، أىّ الفريقين أحقّ بالأمن .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك ، كان محمد بن إسحاق يقول فيما حدثنا ابن حميد، قال : حدثنا سلَمة ، قال : قال محمد بن إسحاق ، فى قوله (وكَيْفَ أخافُ ما أَشْرَكْتُمْ ، وَلا تَخافُونَ أَنَّكُمْ أَشْرَكْتُمْ بِاللهِ) يقول : كيف أخاف وثنا تعبدون من دون الله ، لا يضرّ ، ولا ينفع ؛ ولا تخافون أنتم الذى يضرّ وينفع ، وقد جعلتم معه شركاء لاتضرّ ولا تنفع (فَأَىُّ الفَرِيقَيْنِ أَحَقُّ بالأَمْنِ إنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ) : أى بالأمن من عذاب الله فى الدنيا والآخرة الذى يعبد ، الذى بيده الضرّ والنفع ؟ أم الذى يعبد ما لا يضرّ ولا ينفع ؟ يضرب لهم الأمثال ، ويصرّف لهم العبر ، ليعلموا أن الله هو أحقّ أن يُخاف ويعبد ، مما يعبدون من دونه .

حدثنى المثنى ، قال : ثنا إسحاق ، قال : ثنا عبد الله بن أبى جعفر ، عن أبيه ، عن الربيع ، قال : أفلج الله إبراهيم عليه السلام حين خاصمهم ، فقال (وكَيْفَ أخافُ ما أَشْرَكْتُمْ ، وَلا تَخافُونَ أَنَّكُمْ أَشْرَكْتُمْ بِاللهِ ما لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ عَلَيْكُمْ سُلْطانا ، فَأَىُّ الفَرِيقَيْنِ أَحَقُّ بالأَمْنِ إنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ) ثم قال (وَتِلْكَ حُجَّتُنا آتَيْناها إبْراهِيمَ على قَوْمِهِ) .

حدثني المثنى ، قال : ثنا أبو حذيفة ، قال : ثنا شبل ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، قول إبراهيم حين سألهم (أيُّ الفَرِيقَيْنِ أحَقُّ بالأمْنِ) هي حجة إبراهيم عليه السلام .

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد في قول الله تعالى عن إبراهيم حين سألهم (فَأيُّ الفَرِيقَيْنِ أحَقُّ بالأمْنِ) قال : وهي حجة إبراهيم عليه السلام .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثني حجاج ، عن ابن جريج ، قال : (فَأيُّ الفَرِيقَيْنِ أحَقُّ بالأمْنِ إنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ) : أمن يعبد ربا واحدًا ، أم من يعبد أربابا كثيرة ؟ يقول قومه : الذين آمنوا برب واحد .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله (فَأيُّ الفَرِيقَيْنِ أحَقُّ بالأمْنِ إنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ) أمن خاف غير الله ولم يخفه ؟ أم من خاف الله ولم يخف غيره ؟ فقال الله تعالى (الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ) . . . الآية .

القول في تأويل قوله تعالى :

ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَمْ يَلْبِسُوٓاْ إِيمَـٰنَهُم بِظُلْمٍ أُوْلَـٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلْأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ ﴿٨٢﴾

اختلف أهل التأويل في الذي أخبر تعالى ذكره عنه أنه قال هذا القول : أعني (الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ) . . . الآية ؛ فقال بعضهم : هذا فصل القضاء من الله بين إبراهيم خليله عليه السلام ، وبين من حاجّه من قومه من أهل الشرك بالله ، إذ قال لهم إبراهيم (وَكَيْفَ أخافُ ما أشْرَكْتُمْ وَلا تَخافُونَ أنَّكُمْ أشْرَكْتُمْ باللهِ ما لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ عَلَيْكُمْ سُلْطانا ، فَأيُّ الفَرِيقَيْنِ أحَقُّ بالأمْنِ إنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ) فقال الله تعالى فاصلا بينه وبينهم ، الذين صدّقوا الله ، وأخلصوا له العبادة ، ولم يَخْلِطوا عبادتهم إياه ، وتصديقهم له بظلم ، يعني : بشرك ، ولم يشركوا في عبادته شيئا ، ثم جعلوا عبادتهم لله خالصا ، أحقّ بالأمن من عقابه ، مكروهَ عبادته من الذين يشركون في عبادتهم إياه الأوثان والأصنام ، فإنهم الخائفون من عقابه مكروه عبادتهم . أما في عاجل الدنيا فإنهم وجلون من حلول سُخْط الله بهم . وأما في الآخرة ، فإنهم الموقنون بأليم عذاب الله .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة بن الفضل ، قال : ثنا أحمد بن إسحاق ، قال : يقول الله تعالى ذكره (الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ) : أي الذين أخلصوا كإخلاص إبراهيم صلى الله عليه وسلم لعبادة الله وتوحيده ، ولم يلبسوا إيمانهم بظلم : أي بشرك (أُولَئِكَ لَهُمُ الأمْنُ وَهُمْ مُهْتَدُونَ) الأمن من العذاب ، والهدى في الحجة بالمعرفة والاستقامة ، يقول الله تعالى (وَتِلْكَ حُجَّتُنا آتَيْناها إبْرَاهِيمَ على قَوْمِهِ نَرْفَعُ دَرَجاتٍ مَنْ نَشاءُ ، إنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ) .

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله (فَأَيُّ الفَرِيقَيْنِ أَحَقُّ بِالأَمْنِ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ) قال : فقال الله : وقضى بينهم (الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ) قال : بشرك ، قال(أُولَئِكَ لَهُمُ الأَمْنُ وَهُمْ مُهْتَدُونَ) فأما الذنوب فليس يبرأ منها أحد .

وقال آخرون : هذا جواب من قوم إبراهيم صلى الله عليه وسلم لإبراهيم حين قال لهم : أىّ الفريقين أحقّ بالأمن ؟ فقالوا له الذين آمنوا بالله فوحدوه ، أحقّ بالأمن إذ لم يلبسوا إيمانهم بظلم .

ذكر من قال ذلك

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج (فَأَيُّ الفَرِيقَيْنِ أَحَقُّ بِالأَمْنِ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ) أمن يعبد ربا واحدا ، أم من يعبد أربابا كثيرة ؟ يقول قومه (الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ) بعبادة الأوثان ، وهى حجة إبراهيم (أُولَئِكَ لَهُمُ الأَمْنُ وَهُمْ مُهْتَدُونَ) :

☆ وأولى القولين فى ذلك عندى بالصواب ، قول من قال : هذا خبر من الله تعالى عن أولى الفريقين بالأمن ، وفصل قضاء منه بين إبراهيم صلى الله عليه وسلم وبين قومه ، وذلك أن ذلك لو كان من قول قوم إبراهيم الذين كانوا يعبدون الأوثان ، ويشركونها فى عبادة الله ، لكانوا قد أقرّوا بالتوحيد ، واتبعوا إبراهيم على ما كانوا يخالفونه فيه من التوحيد ، ولكنه كما ذكرت من تأويله بدأ .

واختلف أهل التأويل فى المعنى الذى عناه الله تعالى بقوله (وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ) فقال بعضهم : بشرك .

ذكر من قال ذلك

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا ابن إدريس ، قال : ثنا الأعمش ، عن إبراهيم ، عن علقمة ، عن عبد الله قال : لما نزلت هذه الآية (الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ) شقّ ذلك على أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قال : فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « أَلا تَرَوْنَ إلى قَوْلِ لُقْمانَ : إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ » قال أبو كريب ، قال ابن إدريس ، حدثنيه أولا أبى ، عن أبان بن تغلب ، عن الأعمش ، ثم سمعته قيل له من الأعمش ؟ قال : نعم .

حدثنى عيسى بن عثمان بن عيسى الرملى قال : ثنى عمى يحيى بن عيسى ، عن الأعمش ، عن إبراهيم ، عن علقمة ، عن عبد الله ، قال : لما نزلت (الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ) شقّ ذلك على المسلمين ، فقالوا : يا رسول الله ما منا أحد إلا وهو يظلم نفسه ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « لَيْسَ بِذَلِكَ ، أَلا تَسْمَعُونَ إِلى قَوْلِ لُقْمانَ لابْنِهِ : إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ » .

حدثنا هناد ، قال : ثنا وكيع ، عن الأعمش ، عن إبراهيم ، عن علقمة ، عن عبد الله ، قال : لما نزلت هذه الآية (الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ) شقّ ذلك على أصحاب رسول الله

صلى الله عليه وسلم، وقالوا: أينا لم يظلم نفسه؟ قال: فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم «لَيْسَ كما تَظُنُّونَ وإنَّمَا هُوَ كَمَا قالَ لُقْمانُ لابْنِهِ: لاتُشْرِكْ باللهِ إنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ».

حدثنا هناد، قال: ثنا أبو معاوية، عن الأعمش، عن إبراهيم، عن علقمة، عن عبد الله، قال: لما نزلت هذه الآية (الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ) شقّ ذلك على الناس، فقالوا: يا رسول الله، وأينا لايظلم نفسه، فقال: «إنَّهُ لَيْسَ كَمَا تَعْنُونَ، أَلَمْ تَسْمَعُوا ما قالَ العَبْدُ الصَّالِحُ: يا بُنَيَّ لاتُشْرِكْ باللهِ، إنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ» إنما هو الشرك.

حدثنا ابن بشار، قال: ثنا عبد الرحمن، قال: ثنا سفيان، عن الأعمش، عن إبراهيم، عن علقمة، فى قوله (الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ) قال: بشرك.

حدثنى يحيى بن طلحة اليربوعى، قال: ثنا فضيل، عن منصور، عن إبراهيم، فى قوله (الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ) قال: بشرك.

حدثنا ابن وكيع، قال: ثنا جرير عن الأعمش، عن إبراهيم، عن علقمة، عن عبد الله، قال: لما نزلت هذه الآية (الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ) شقّ ذلك على أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم، وقالوا: أينا لم يلبس إيمانه بظلم، فقال النبىّ صلى الله عليه وسلم: «لَيْسَ بِذَلِكَ أَلَمْ تَسْمَعُوا قَوْلَ لُقْمانَ: إنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ».

حدثنا ابن وكيع، قال: ثنا جرير وابن إدريس، عن الشيبانىّ، عن أبى بكر بن أبى موسى، عن الأسود بن هلال، عن أبى بكر (الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ) قال: بشرك.

حدثنا هناد، قال: ثنا قبيصة، عن يونس بن أبى إسحاق، عن أبى بكر (الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ) قال: بشرك.

حدثنا هناد، قال: ثنا وكيع، عن سعيد بن عبيد الطائى، عن أبى الأشعر العبدى، عن أبيه، أن زيد بن صُوحان سأل سلمان، فقال: يا أبا عبد الله آية من كتاب الله قد بلغت منى كلّ مبلغ (الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ) فقال سلمان: هو الشرك بالله تعالى، فقال زيد: ما يسرنى بها أنى لم أسمعها منك، وأن لى مثل كل شىء أمسيت أملكه.

حدثنا ابن وكيع، قال: ثنا أبى، عن سعيد بن عبيد، عن أبى الأشعر، عن أبيه، عن سلمان، قال: بشرك.

حدثنا ابن بشار وابن وكيع، قالا: ثنا عبد الرحمن بن مهدى، قال: ثنا سفيان، قال: ثنا نُسير بن ذُعلوق، عن درسب[1]، عن حذيفة، فى قوله (وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ) قال: بشرك.

حدثنى المثنى، قال: ثنا عمرو بن عون، قال: أخبرنا هشيم، عن أبى إسحاق الكوفىّ، عن رجل، عن عيسى، عن حذيفة، فى قوله (وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ) قال: بشرك.

---

(١) درسب، بضم المهملتين الأولين، ابن زياد العنبرى البصرى، قال يحيى بن معين: لا شىء. وقال ابن على: أرجو أنه لابأس به. وقال البخارى: ليس بالقائم: (الخلاصة).

حدثنى المثنى ، قال : ثنا عارم أبو النعمان ، قال : ثنا حماد بن زيد ، عن عطاء بن السائب ، عن سعيد ابن جبير وغيره ، أن ابن عباس كان يقول (الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ) قال : بشرك .

حدثنى المثنى ، قال : ثنا عبد الله بن صالح ، قال : ثنى معاوية ، عن على ، عن ابن عباس ، قوله (الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ) يقول : بكفر .

حدثنى محمد بن سعد ، قال : ثنى أبى ، قال : ثنى عمى ، قال : ثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس (الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ) يقول : لم يلبسوا إيمانهم بالشرك ، وقال : إن الشرك لظلم عظيم .

حدثنا نصر بن علىّ الجهضمى ، قال : ثنى أبى ، قال : ثنا جرير بن حازم ، عن علىّ بن زيد ، عن المسيب ، أن عمر بن الخطاب قرأ (الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ) فلما قرأها فزع ، فأتى أبىّ بن كعب ، فقال : يا أبا المنذر قرأت آية من كتاب الله من يَسلم ، فقال : ما هى ، فقرأها عليه ، فأينا لا يظلم نفسه ؟ فقال : غفر الله لك ، أما سمعت الله تعالى يقول (إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ) إنما هو : ولم يلبسوا إيمانهم بشرك .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا يزيد بن هارون ، عن حماد بن سلمة ، عن علىّ بن زيد بن جدعان ، عن يوسف بن مهران ، عن ابن عباس أن عمر دخل منزله ، فقرأ فى المصحف ، فمرّ بهذه الآية (الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ) فأتى أبيا فأخبره ، فقال : يا أمير المؤمنين : إنما هو الشرك .

حدثنى المثنى ، قال : ثنا الحجاج بن المنهال ، قال : ثنا حماد ، عن علىّ بن زيد ، عن يوسف بن مهران عن مهران : أن عمر بن الخطاب كان إذا دخل بيته نشر المصحف فقرأه ، فدخل ذات يوم فقرأ ، فأتى على هذه الآية (الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ ، أُولَئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ وَهُمْ مُهْتَدُونَ) فاشتغل وأخذ رداءه ، ثم أتى أبىّ بن كعب ، فقال : يا أبا المنذر ، فتلا هذه الآية (الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ) وقد ترى أنا نظلم ونفعل ونفعل ، فقال : يا أمير المؤمنين ، إن هذا ليس بذاك ، يقول الله تعالى (إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ) إنما ذلك الشرك .

حدثنا هناد ، قال : ثنا ابن فضيل ، عن مطرف ، عن أبى عثمان عمرو بن سالم ، قال : قرأ عمر بن الخطاب هذه الآية (الَّذِينَ آمَنُوا ، وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ) فقال عمر : قد أفلح من لم يَلْبس إيمانه بظلم ، فقال أبىّ : يا أمير المؤمنين : ذاك الشرك .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أسباط ، عن محمد بن مطرف ، عن ابن سالم ، قال : قرأ عمر بن الخطاب فذكر نحوه .

حدثنا محمد بن بشار ، قال : ثنا عبد الرحمن ، قال : ثنا سفيان ، عن أبى إسحاق ، عن أبى ميسرة ، فى قوله (وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ) قال : بشرك .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبي ، عن سفيان ، عن أبي إسحاق ، عن أبي ميسرة ، مثله .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا حسين، عن عليّ، عن زائدة ، عن الحسن بن عبدالله ، عن إبراهيم (وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ) قال : بشرك .

حدثنا بشر بن معاذ ، قال : ثنا يزيد بن زريع ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ) : أى بشرك .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا حميد ، عن أبيه ، عن أبي إسحاق ، عن أبي ميسرة ، مثله .

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد (الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ) قال : بعبادة الأوثان .

حدثني المثنى ، قال : ثنا أبو حذيفة ، قال : ثنا شبل ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، مثله .

حدثنا محمد بن الحسين ، قال : ثنا أحمد بن المفضل ، قال : ثنا أسباط ، عن السدىّ (وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ) قال : بشرك .

حدثني يونس بن عبد الأعلى ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد فى قوله (وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ) قال : بشرك .

حدثني محمد بن عبدالأعلى ، قال: ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن الأعمش ، أن ابن مسعود ، قال لما نزلت (وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ) كبر ذلك على المسلمين ، فقالوا : يا رسول الله ، ما منا أحد إلا وهو يظلم نفسه ، فقال النبيّ صلى الله عليه وسلم : « أما سَمِعْتُمْ قَوْلَ لُقْمَانَ : إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ » .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا حكام ، عن عنبسة ، عن محمد بن عبد الرحمن ، عن القاسم بن أبي بزّة ، عن مجاهد ، فى قوله (وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ) قال : عبادة الأوثان .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا محمد بن بشر ، عن مسعر ، عن أبي حصين ، عن أبي عبد الرحمن ، قال : بشرك .

حدثنا ابن حميد ، قال: ثنا سلمة ، قال : قال ابن إسحاق (وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ) قال بشرك.

وقال آخرون : بل معنى ذلك : ولم يخلطوا إيمانهم بشيء من معانى الظلم ، وذلك فعل ما نهى الله عن فعله ، أو ترك ما أمر الله بفعله ، وقالوا : الآية على العموم ، لأن الله لم يخصّ به معنى من معانى الظلم .

قالوا : فإن قال لنا قائل : أفلا أمن فى الآخرة إلا لمن لم يعص الله فى صغيرة ولا كبيرة ، وإلا لمن لقى الله ولا ذنب له ؟ قلنا : إن الله عنى بهذه الآية خاصا من خلقه دون الجميع منهم ، والذى عنى بها وأراده بها خليله إبراهيم صلى الله عليه وسلم ، فأما غيره فإنه إذا لقى الله لايشرك به شيئا فهو فى مشيئته إذا كان قد أتى بعض معاصيه التى لاتبلغ أن تكون كفرا ، فإن شاء لم يؤمنه من عذابه ، وإن شاء تفضل عليه ، فعفا عنه . قالوا : وذلك قول جماعة من السلف وإن كانوا مختلفين فى المعنىّ بالآية ، فقال بعضهم : عنى بها إبراهيم . وقال بعضهم : عنى بها المهاجرين من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم .

ذكر من قال : عَنى بهذه الآية : إبراهيم خليل الرحمن صلى الله عليه وسلم .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا يحيى بن يمان وحميد بن عبد الرحمن ، عن قيس بن الربيع ، عن زياد بن علاقة ، عن زياد بن حرملة ، عن عليّ ، قال : هذه الآية لإبراهيم صلى الله عليه وسلم خاصة ، ليس لهذه الأمة منها شيء .

ذكر من قال : عُنِيَ بها المهاجرون خاصة .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا يحيى بن يمان وحميد بن عبدالرحمن ، عن قيس بن الربيع ، عن سماك ، عن عكرمة (الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ) قال : هى لمن هاجر إلى المدينة .

⁂ وأولى القولين بالصحة فى ذلك ، ما صحّ به الخبر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وهو الخبر الذى رواه ابن مسعود عنه أنه قال : « الظُّلْمُ الَّذِى ذَكَرَهُ اللهُ تَعالَى فِى هَذَا المَوْضِعِ هُوَ الشِّرْكُ »

وأما قوله (أُولَئِكَ لَهُمُ الأَمْنُ وَهُمْ مُهْتَدُونَ) فإنه يعنى : هؤلاء الذين آمنوا ، ولم يخلطوا إيمانهم بشرك ، لهم الأمن يوم القيامة من عذاب الله ، وهم مهتدون ، يقول : وهم المصيبون سبيل الرشاد ، والسالكون طريق النجاة .

القول فى تأويل قوله تعالى :

﴿ وَتِلْكَ حُجَّتُنَا آتَيْنَاهَا إِبْرَاهِيمَ عَلَى قَوْمِهِ نَرْفَعُ دَرَجَاتٍ مَنْ نَشَاءُ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ ﴾ ﴿٨٣﴾

⁂ يعنى تعالى ذكره بقوله (وَتِلْكَ حُجَّتُنَا) قول إبراهيم لمخاصميه من قومه المشركين : أىّ الفريقين أحقّ بالأمن ، أمن يعبد ربا واحدا مخلصا له الدين والعبادة ، أم من يعبد أربابا كثيرة ؟ وإجابتهم إياه بقولهم بل من يعبد ربا واحدا أحقّ بالأمن ، وقضاؤهم له على أنفسهم ، فكان فى ذلك قطع عذرهم ، وانقطاع حجتهم ، واستعلاء حجة إبراهيم عليهم ، فهى الحجة التى آتاها الله إبراهيم على قومه .

كالذى حدثنى الحرث ، قال : ثنا عبد العزيز ، قال : ثنا سفيان الثورىّ ، عن رجل ، عن مجاهد (وَتِلْكَ حُجَّتُنَا آتَيْنَاهَا إِبْرَاهِيمَ عَلَى قَوْمِهِ) قال : هى (الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ) .

حدثنى الحرث ، قال : ثنا عبد العزيز ، قال : ثنا يحيى بن زكريا ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، قال إبراهيم حين سأل : أىّ الفريقين أحقّ بالأمن ؟ قال : هى حجة إبراهيم ، وقوله (آتَيْنَاهَا إِبْرَاهِيمَ عَلَى قَوْمِهِ) يقول : لقناها إبراهيم ، وبصرناه إياها ، وعرفناه على قومه ، (نَرْفَعُ درجات مَنْ نَشَاءُ) .

واختلفت القرّاء فى قراءة ذلك ، فقرأته عامة قرّاء الحجاز والبصرة (نَرْفَعُ دَرَجَاتِ مَنْ نَشَاءُ) بإضافة الدرجات إلى من ، بمعنى : نرفع الدرجات لمن نشاء . وقرأ ذلك عامة قرّاء الكوفة (نَرْفَعُ دَرَجَاتٍ مَنْ نَشَاءُ) بتنوين الدرجات ، بمعنى نرفع من نشاء درجات . والدرجات : جمع درجة ، وهى المرتبة ، وأصل ذلك مراقى السلم ودرجه ، ثم تستعمل فى ارتفاع المنازل والمراتب .

والصواب من القول فى ذلك عندى أن يقال : هما قراءتان ، قد قرأ بكلّ واحدة منهما أئمة من القرّاء متقارب معناهما ؛ وذلك أن من رُفعت درجته فقد رُفع فى الدَّرَج ، ومن رفع فى الدرج فقد رُفعت درجته ، فبأيهما قرأ القارئ فمصيب الصواب فى ذلك . فمعنى الكلام إذن : وتلك حجتنا آتيناها إبراهيم على قومه فرفعنا بها درجته عليهم وشرّفناه بها عليهم فى الدنيا والآخرة ؛ فأما فى الدنيا فآتيناه فيها أجره ؛ وأما فى الآخرة فهو من الصالحين ، نرفع درجات من نشاء : أى بما فعل من ذلك وغيره .

وأما قوله (إنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ) فإنه يعنى : إن ربك يا محمد حكيم فى سياسته خلقه ، وتلقينه أنبياءه الحجج على أممهم ، المكذّبة لهم ، الجاحدة توحيد ربهم ، وفى غير ذلك من تدبيره ، عليم بما يئول إليه أمر رسله ، والمرسل إليهم من ثبات الأمم على تكذيبهم إياهم ، وهلاكهم على ذلك ، وإنابتهم وتوبتهم منه بتوحيد الله تعالى ، وتصديق رسله ، والرجوع إلى طاعته ، يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم : تأسَّ يا محمد فى نفسك وقومك المكذّبيك ، والمشركين بأبيك خليلى إبراهيم صلى الله عليه وسلم ، واصبر على ما ينوبك منهم صبره ، فإنى بالذى يئول إليه أمرك وأمرهم ، عالم بالتدبير فيك وفيهم حكيم .

القول فى تأويل قوله تعالى :

وَوَهَبْنَا لَهُۥٓ إِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ ۚ كُلًّا هَدَيْنَا ۚ وَنُوحًا هَدَيْنَا مِن قَبْلُ ۖ وَمِن ذُرِّيَّتِهِۦ دَاوُۥدَ وَسُلَيْمَٰنَ وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ وَمُوسَىٰ وَهَٰرُونَ ۚ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٨٤﴾

يقول تعالى ذكره : فجزينا إبراهيم صلى الله عليه وسلم على طاعته إيانا وإخلاصه ، توحيد ربه ، ومفارقته دين قومه المشركين بالله ، بأن رفعنا درجته فى عليين ، وآتيناه أجره فى الدنيا ووهبنا له أولادا خصصناهم بالنبوّة ، وذريّة شرّفناهم منا بالكرامة ، وفضلناهم على العالمين ، منهم ابنه إسحاق ، وابن ابنه يعقوب (كُلاًّ هَدَيْنا) يقول : هدينا جميعهم لسبيل الرشاد ، فوفقناهم للحقّ والصواب من الأديان ، (وَنُوحا هَدَيْنا مِنْ قَبْلُ) يقول : وهدينا لمثل الذى هدينا إبراهيم وإسحاق ويعقوب من الحقّ والصواب فوفقناه له ، نوحا من قبل إبراهيم وإسحاق ويعقوب (وَمِنْ ذُرِّيَّتِهِ داوُدَ) والهاء التى فى قوله (وَمِنْ ذُرِّيَّتِهِ) من ذكر نوح ، وذلك أن الله تعالى ذكر فى سياق الآيات التى تتلو هذه الآية لوطا ، فقال : (وإسْماعِيلَ واليَسَعَ وَيُونُسَ وَلُوطا وَكُلاًّ فَضَّلْنا على العالَمِينَ) ومعلوم أن لوطا لم يكن من ذرية إبراهيم صلى الله عليهم أجمعين . فإذ كان ذلك كذلك ، وكان معطوفا على أسماء من سمينا من ذرّيته ، كان لاشكّ أنه لو أريد بالذرية ، ذرّية إبراهيم ، لما دخل يونس ولوط فيهم ، ولا شكّ أن لوطا ليس من ذرّية إبراهيم ، ولكنه من ذرّية نوح ، فلذلك وجب أن تكون الهاء فى الذرّية من ذكر نوح .

فتأويل الكلام : ونوحا وفقنا للحقّ ، والصواب من قبل إبراهيم وإسحاق ويعقوب ، وهدينا أيضا من ذرّية نوح داود وسليمان ، وداود : هو داود بن إيشا ، وسليمان هو ابنه : سليمان بن داود وأيوب : هو أيوب

ابن موص بن روح بن عيص بن إسحاق بن إبراهيم . ويوسف : هويوسف بن يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم . وموسى : هو موسى بن عمران بن يصهر بن قاهث بن لاوى بن يعقوب ، وهارون : أخو موسى ، (وكَذَلِكَ نَجْزِى المُحْسِنِينَ) يقول تعالى ذكره : جزينا نوحا بصبرة على ما امتحن به فينا بأن هديناه فوفقناه لإصابة الحق الذى خذلنا عنه من عصانا فخالف أمرنا ونهينا من قومه ، وهدينا من ذريته من بعده مَن ذكر تعالى ذكره من أنبيائه لمثل الذى هديناه له ، وكما جزينا هؤلاء بحسن طاعتهم إيانا ، وصبرهم على المحن فينا ، كذلك نجزى بالإحسان كل محسن .

القول فى تأويل قوله تعالى :

وَزَكَرِيَّا وَيَحْيَىٰ وَعِيسَىٰ وَإِلْيَاسَ كُلٌّ مِّنَ الصَّالِحِينَ ﴿٨٥﴾

❊ يقول تعالى ذكره : وهدينا أيضا لمثل الذى هدينا له نوحا من الهدى والرشاد من ذريته زكريا[١] بن أزن ابن بركيا ، ويحيى بن زكريا ، وعيسى ابن مريم ابنة عمران بن أشيم بن أمور بن حزقيا ، وإلياس .

واختلفوا فى إلياس ، فكان ابن إسحاق يقول : هو إلياس بن يسى بن فنحاص بن العيزار بن هارون ابن عمران ابن أخى موسى نبى الله صلى الله عليه وسلم . وكان غيره يقول : هوإدريس . وممن ذكر ذلك عنه عبد الله بن مسعود .

حدثنا محمد بن بشار ، قال : ثنا أبوأحمد ، قال : ثنا إسرائيل ، عن ابن إسحاق ، عن عبيدة بن ربيعة ، عن عبد الله بن مسعود ، قال : إدريس : هو إلياس ، وإسرائيل : هو يعقوب . وأما أهل الأنساب فإنهم يقولون : إدريس جد نوح بن لمك بن متوشلخ بن أخنوخ ؛ وأخنوخ : هو إدريس بن يرد بن مهلائيل . وكذلك روى عن وهب بن منبه .

❊ والذى يقول أهل الأنساب أشبه بالصواب ، وذلك أن الله تعالى نسب إلياس فى هذه الآية إلى نوح وجعله من ذريته ؛ ونوح : ابن إدريس عند أهل العلم ، فمحال أن يكون جد أبيه منسوبا إلى أنه من ذريته .

وقوله (كُلٌّ مِنَ الصَّالِحِينَ) يقول : من ذكرناه من هؤلاء الذين سمينا من الصالحين ، يعنى : زكريا ، ويحيى ، وعيسى ، وإلياس صلى الله عليهم .

القول فى تأويل قوله تعالى :

وَإِسْمَاعِيلَ وَالْيَسَعَ وَيُونُسَ وَلُوطًا وَكُلًّا فَضَّلْنَا عَلَى الْعَالَمِينَ ﴿٨٦﴾

❊ يقول تعالى ذكره : وهدينا أيضا من ذرية نوح إسماعيل ، وهو إسماعيل بن إبراهيم ؛ واليسع : هو اليسع بن أخطوب بن العجوز .

واختلف القراء فى قراءة اسمه ، فقرأته عامة قراء الحجاز والعراق (واليَسَعَ) بلام واحدة مخففة . وقد زعم قوم أنه يفعل ، من قول القائل : وسع يسع ، ولا تكاد العرب تدخل الألف واللام على اسم يكون

(١) فى الكتاب المقدس (ذكريا : الإصحاح الأول ١ ، ٢) : زكريا بن برخيا بن عدو .

على هذه الصورة ، أعنى : على يَفْعل ،لايقولون : رأيت اليزيد ، ولا أتانى التجيب ، ولا مررت باليشكر إلا فى ضرورة شعر ، وذلك أيضا إذا تحرّى به المدح ، كما قال بعضهم :

وَجَدْنا الوَلِيدَ بْنَ اليَزِيدِ مُبارَكا ۝ شَدِيدا بأعْباءِ الخِلافَةِ كاهِلُهْ (١)

فأدخل فى اليزيد الألف واللام ، وذلك لإدخاله إياهما فى الوليد ، فأتبعه اليزيد بمثل لفظه .

وقرأ ذلك جماعة من قرّاء الكوفيين (واللَّيْسَعَ) بلامين وبالتشديد ، وقالوا : إذا قرئ كذلك كان أشبه بأسماء العجم ، وأنكروا التخفيف وقالوا : لانعرف فى كلام العرب اسما على يفعل فيه ألف ولام .

❁ والصواب من القراءة فى ذلك عندى قراءة من قرأه بلام واحدة مخففة لإجماع أهل الأخبار على أن ذلك هو المعروف من اسمه دون التشديد ، مع أنه اسم أعجمىّ ، فيُنطق به على ما هو به . وإنما لايستقيم دخول الألف واللام فيما جاء من أسماء العرب على يفعل . وأما الاسم الذى يكون أعجميا ، فإنما ينطق به على ما سموا به ، فإن غُير منه شيء إذا تكلمت العرب به ، فإنما يغير بتقويم حرف منه من غير حذف ولا زيادة فيه ، ولا نقصان ، واللَّيسع إذا شدّد لحقته زيادة لم تكن فيه قبل التشديد ، وأخرى أنه لم يحفظ عن أحد من أهل العلم ، علمنا أنه قال : اسمه ليسع ، فيكون مشدّدا عند دخول الألف واللام اللتين تدخلان للتعريف . ويونس : هو يونس بن متى ، ولوطا ، وكلا فضلنا من ذرية نوح ونوح ، لهم بينا الحقّ ، ووفقناهم له ، وفضلنا جميعهم على العالمين ، يعنى : على عالم أزمانهم .

القول فى تأويل قوله تعالى :

وَمِنْ ءَابَآئِهِمْ وَذُرِّيَّٰتِهِمْ وَإِخْوَٰنِهِمْ ۖ وَٱجْتَبَيْنَٰهُمْ وَهَدَيْنَٰهُمْ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٨٧﴾

❁ يقول تعالى ذكره : وهدينا أيضا من آباء هؤلاء الذين سماهم تعالى ذكره ومن ذرّياتهم وإخوانهم آخرين سواهم لم يسمهم للحقّ والدين الخالص الذى لاشرك فيه ، فوفقناهم له (وَاجْتَبَيْناهُمْ) يقول : واخترناهم لديننا وبلاغ رسالتنا إلى من أرسلناهم إليه ، كالذى اخترنا ممن سمينا ، يقال منه : اجتبى فلان لنفسه كذا : إذا اختاره واصطفاه يجتبيه اجتباء .

وكان مجاهد يقول فى ذلك ، ما حدثنى به محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد فى قول الله تعالى ذكره (وَاجْتَبَيْناهُمْ) قال : أخلصناهم .

حدثنى المثنى ، قال : ثنا أبو حذيفة ، قال : ثنا شبل ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، مثله : (وَهَدَيْناهُمْ إلى صِراطٍ مُسْتَقِيمٍ) يقول : وسدّدناهم فأرشدناهم إلى طريق غير معوجّ ، وذلك دين الله الذى لاعوج فيه ، وهو الإسلام الذى ارتضاه الله ربنا لأنبيائه ، وأمر به عباده .

---

(١) البيت للرماح بن أبرد الشاعر ، المعروف بابن ميادة ، وهى أمه ، وكانت أمة سوداء ، من قصيدة يمدح بها الوليد بن يزيد ابن عبد الملك بن مروان . قاله الشيخ الأمير فى حاشيته على المغنى فى باب (أل) . والشاهد فيه أن أل فى (اليزيد) زائدة لضرورة الشعر . والأعباء : جمع عبء ، وهو الحمل . والكاهل : ما بين الكتفين . وفى رواية الأمير : « رأيت » فى موضع : « وجدنا » .

القول في تأويل قوله تعالى:

﴿ ذَٰلِكَ هُدَى ٱللَّهِ يَهْدِي بِهِۦ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ ۚ وَلَوْ أَشْرَكُوا۟ لَحَبِطَ عَنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴾ (٨٨)

يعني تعالى ذكره بقوله (ذَلِكَ هُدَى اللهِ) هذا الهدى الذى هديت به من سميت من الأنبياء والرسل فوفقتهم به لإصابة الدين الحقّ، الذى نالوا بإصابتهم إياه رضا ربهم، وشرف الدنيا، وكرامة الآخرة هو هدى الله، يقول: هو توفيق الله ولطفه، الذى يوفق به من يشاء، و يلطف به لمن أحبّ من خلقه، حتى يُنيب إلى طاعة الله، وإخلاص العمل له، وإقراره بالتوحيد، ورفض الأوثان والأصنام (وَلَوْ أَشْرَكُوا لَحَبِطَ عَنْهُمْ ما كانُوا يَعْمَلُونَ) يقول: ولو أشرك هؤلاء الأنبياء الذين سميناهم بربهم تعالى ذكره، فعبدوا معه غيره (لَحَبِطَ عَنْهُمْ) يقول: لبطل، فذهب عنهم أجر أعمالهم التى كانوا يعملون، لأن الله لايقبل مع الشرك به عملا.

القول في تأويل قوله تعالى:

﴿ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحُكْمَ وَٱلنُّبُوَّةَ ۚ فَإِن يَكْفُرْ بِهَا هَٰٓؤُلَآءِ فَقَدْ وَكَّلْنَا بِهَا قَوْمًا لَّيْسُوا۟ بِهَا بِكَٰفِرِينَ ﴾ (٨٩)

يعني تعالى ذكره بقوله (أُولَئِكَ) هؤلاء الذين سميناهم من أنبيائه ورسله نوحا وذرّيته الذين هداهم لدين الإسلام واختارهم لرسالته إلى خلقهم (الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الكِتَابَ) يعنى بذلك صحف إبراهيم وموسى وزَبور داود، وإنجيل عيسى صلوات الله عليهم أجمعين (والحُكْمَ) يعنى: الفهم بالكتاب، ومعرفة ما فيه من الأحكام.

ورُوِى عن مجاهد فى ذلك ما حدثنى المثنى، قال: ثنا مسلم بن إبراهيم، قال: ثنا أبان، قال: ثنا مالك بن شدّاد، عن مجاهد (والحُكْمَ والنُّبُوَّةَ) قال: الحكم: هو اللبّ، وعنى بذلك مجاهد إن شاء الله ماقلت، لأن اللبّ هو العقل، فكأنه أراد: أن الله آتاهم العقل بالكتاب، وهو بمعنى ما قلنا من أنه الفهم به، وقد بينا معنى النبوّة والحكم فيما مضى بشواهدهما، فأغنى ذلك عن إعادته.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿فإنْ يَكْفُرْ بِهَا هَؤُلاءِ فَقَدْ وَكَّلْنا بِها قَوْمًا لَيْسُوا بِها بكافِرِينَ﴾:

يقول تعالى ذكره: فإن يكفر يامحمد بآيات كتابى الذى أنزلته إليك، فيجحد هؤلاء المشركون العادلون بربهم، كالذى حدثنى علىّ بن داود، قال: ثنا أبوصالح، قال: ثنى معاوية بن صالح، عن علىّ بن أبى طلحة، عن ابن عباس (فإنْ يَكْفُرْ بِها هؤُلاءِ) يقول: إن يكفروا بالقرآن.

ثم اختلف أهل التأويل فى المعنىّ بهؤلاء ، فقال بعضهم : عنى بهم كفار قريش ، وعنى بقوله (فَقَدْ وَكَّلْنا بها قَوْما لَيْسوا بِهَا بِكافِرينَ) الأنصار .

ذكر من قال ذلك

حدثنا محمد بن بشار ، قال : ثنا سليمان ، قال : ثنا أبو هلال ، عن قتادة ، فى قول الله تعالى (فإنْ يَكْفرْ بِهَا هَؤلاءِ) قال : أهل مكة ، فقد وكلنا بها أهل المدينة .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا عبدة بن سليمان ، عن جويبر ، عن الضحاك (فَقَدْ وَكَّلْنا بِها قَوْما لَيْسُوا بِها بكافِرِينَ) قال : الأنصار .

حدثنى المثنى ، قال : ثنا إسحاق ، قال : ثنا عبد الرحمن بن مغراء ، عن جويبر ، عن الضحاك (فإنْ يَكْفُرْ بِها هَؤُلاءِ) قال : إن يكفر بها أهل مكة ، فقد وكلنا بها أهل المدينة الأنصار ليسوا بها بكافرين .

حدثنا محمد بن الحسين ، قال : ثنا أحمد بن المفضل ، قال : ثنا أسباط ، عن السدىّ (فإنْ يَكْفُرْ بِها هَؤُلاءِ) يقول : إن يكفر بها قريش فقد وكلنا بها الأنصار .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج (فإنْ يَكْفُرْ بِها هَؤُلاءِ) أهل مكة (فَقَدْ وَكَّلْنا بِها قَوْما لَيْسُوا بِهَا بِكافِرِينَ) أهل المدينة .

حدثنى محمد بن سعد ، قال : ثنى أبى ، قال : ثنى عمى ، قال : ثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس قوله (فإنْ يَكْفُرْ بِها هؤلاءِ فَقَدْ وَكَّلْنا بِها قَوْما لَيْسُوا بها بِكافِرِينَ)قال : كان أهل المدينة قد تبوّءوا الدار والإيمان ، قبل أن يقدم عليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فلما أنزل الله عليهم الآيات ، جحد بها أهل مكة ، فقال الله تعالى (فإنْ يَكْفُرْ بِها هَؤُلاءِ فَقَدْ وَكَّلْنا بِها قَوْما لَيْسُوا بِها بكافِرِينَ) قال عطية : ولم أسمع هذا من ابن عباس ، ولكن سمعته من غيره .

حدثنى المثنى ، قال : ثنا أبو صالح ، قال : ثنى معاوية ، عن علىّ بن أبى طلحة ، عن ابن عباس (فإنْ يَكْفُرْ بِها هَؤُلاءِ) يعنى أهل مكة ، يقول : إن يكفروا بالقرآن (فَقَدْ وَكَّلْنا بها قَوْما لَيْسُوا بِها بِكافِرِينَ) يعنى أهل المدينة والأنصار .

وقال آخرون : معنى ذلك : فإن يكفر بها أهل مكة ، فقد وكلنا بها الملائكة .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبو أسامة ، عن عوف ، عن أبى رجاء (فإنْ يَكْفُرْ بِها هَؤُلاءِ فَقَدْ وَكَّلْنا بِها قَوْما لَيْسُوا بِها بكافِرِينَ) قال : هم الملائكة .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا محمد بن جعفر وابن أبى عدىّ ، وعبد الوهاب ، عن عوف ، عن أبى رجاء ، مثله .

وقال آخرون : عنى بقوله (فإنْ يَكْفُرْ بِها هَؤُلاءِ) يعنى قريشا ، وبقوله (فَقَدْ وَكَّلْنا بِها

قَوْمًا) الأنبياء الذين سماهم فى الآيات التى مضت قبل هذه الآية .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر بن معاذ ، قال : ثنا يزيد بن زريع ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (فَإِنْ يَكْفُرْ بِهَا هَؤُلَاءِ) يعنى أهل مكة (فَقَدْ وَكَّلْنَا بِهَا قَوْمًا لَيْسُوا بِهَا بِكَافِرِينَ) وهم الأنبياء الثمانية عشر الذين قال الله (أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ ، فَبِهُدَاهُمُ اقْتَدِهْ) .

حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة (فَإِنْ يَكْفُرْ بِهَا هَؤُلَاءِ) قال : يعنى : قوم محمد ، ثم قال (فَقَدْ وَكَّلْنَا بِهَا قَوْمًا لَيْسُوا بِهَا بِكَافِرِينَ) يعنى : النبيين الذين قصّ قبل هذه الآية قصصهم ، ثم قال (أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ ، فَبِهُدَاهُمُ اقْتَدِهْ) .

❁ وأولى هذه الأقوال فى تأويل ذلك بالصواب ، قول من قال : عنى بقوله (فَإِنْ يَكْفُرْ بِهَا هَؤُلَاءِ) كفار قريش (فَقَدْ وَكَّلْنَا بِهَا قَوْمًا لَيْسُوا بِهَا بِكَافِرِينَ) يعنى به : الأنبياء الثمانية عشر ، الذين سماهم الله تعالى ذكره فى الآيات قبل هذه الآية ، وذلك أن الخبر فى الآيات قبلها عنهم مضى ، وفى التى بعدها عنهم ذكر ، ففيما بينها بأن يكون خبرا عنهم أولى وأحقّ من أن يكون خبرا عن غيرهم .

فتأويل الكلام إذ كان ذلك كذلك : فإن يكفر قومك من قريش يا محمد بآياتنا ، وكذّبوا وجحدوا حقيقتها ، فقد استحفظناها واسترعينا القيام بها رسلنا وأنبياءنا من قبلك ، الذين لا يجحدون حقيقتها ، ولا يكذّبون بها ، ولكنهم يصدّقون بها ويؤمنون بصحتها ، وقد قال بعضهم : معنى قوله (فَقَدْ وَكَّلْنَا بِهَا قَوْمًا) : رزقناها قوما .

القول فى تأويل قوله تعالى:

أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ فَبِهُدَاهُمُ اقْتَدِهْ قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرَى لِلْعَالَمِينَ ﴿٩٠﴾

❁ يقول تعالى ذكره (أُولَئِكَ) : هؤلاء القوم الذين وكلنا بآياتنا ، وليسوا بها بكافرين ، هم الذين هداهم الله لدينه الحقّ ، وحفظ ما وكلوا بحفظه من آيات كتابه ، والقيام بحدوده ، واتباع حلاله وحرامه ، والعمل بما فيه من أمر الله ، والانتهاء عما فيه من نهيه ، فوفقهم جلّ ثناؤه لذلك (فَبِهُدَاهُمُ اقْتَدِهْ) يقول تعالى ذكره : فبالعمل الذى عملوا ، والمنهاج الذى سلكوا ، وبالهدى الذى هديناهم ، والتوفيق الذى وفقناهم ، اقتده يا محمد : أى فاعمل وخذ به واسلكه ، فإنه عملٌ لله فيه رضا ومنهاج ، من سلكه اهتدى .

وهذا التأويل على مذهب من تأوّل قوله (فَقَدْ وَكَّلْنَا بِهَا قَوْمًا لَيْسُوا بِهَا بِكَافِرِينَ) أنهم الأنبياء المسمَّوْن فى الآيات المتقدمة ، وهو القول الذى اخترناه فى تأويل ذلك . وأما على تأويل من تأوّل ذلك أن القوم الذين وكلوا بها هم أهل المدينة ، أو أنهم هم الملائكة ، فإنهم جعلوا قوله (فَإِنْ يَكْفُرْ بِهَا هَؤُلَاءِ فَقَدْ وَكَّلْنَا بِهَا قَوْمًا لَيْسُوا بِهَا بِكَافِرِينَ) اعتراضا بين الكلامين ، ثم ردّوا قوله (أُولَئِكَ الَّذِينَ

هَدَى الله ، فَبِهُدَاهُمُ اقْتَدِهْ) على قوله (أُولَئِكَ الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الكِتَابَ وَالحُكْمَ وَالنُّبُوَّةَ)

ذكر من قال ذلك

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثني حجاج ، عن ابن جريج ، قوله (وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ) . . . إلى قوله (أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللهُ فَبِهُدَاهُمُ اقْتَدِهْ) يا محمد .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله (أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللهُ) يا محمد (فَبِهُدَاهُمُ اقْتَدِهْ) ولا تقتد بهؤلاء .

حدثني محمد بن الحسين ، قال : ثني أحمد بن المفضل ، قال : ثنا أسباط ، عن السديّ ، قال : ثم رجع إلى النبيّ صلى الله عليه وسلم ، فقال (أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللهُ فَبِهُدَاهُمُ اقْتَدِهْ) .

حدثنا عليّ بن داود ، قال : ثنا عبد الله بن صالح ، قال : ثني معاوية بن صالح ، عن عليّ بن أبي طلحة ، عن ابن عباس ، قال : ثم قال في الأنبياء الذين سماهم في هذه الآية (فَبِهُدَاهُمُ اقْتَدِهْ) ومعنى الاقتداء في كلام العرب بالرجل : اتباع أثره والأخذ بهديه ، يقال : فلان يقدو فلانا إذا نحا نحوه واتبع أثره ، قدة وقُدوة وقِدوة[1] .

القول في تأويل قوله تعالى ﴿ قُلْ لا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا ، إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرَى لِلْعَالَمِينَ ﴾ :

يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم : قل لهؤلاء الذين أمرتك أن تذكرهم بآياتي أن تبسل نفس بما كسبت من مشركي قومك يا محمد لا أسألكم على تذكيري إياكم ، والهدى الذي أدعوكم إليه ، والقرآن الذي جئتكم به ، عوضا أعتاضه منكم عليه ، وأجرا آخذه منكم ، وما ذلك مني إلا تذكير لكم ، ولكلّ من كان مثلكم ، ممن هو مقيم على باطل بأس الله أن يحلّ بكم ، وسخطه أن ينزل بكم على شرككم به ، وكفركم ، وإنذار لجميعكم ، بين يدي عذاب شديد ، لتذكروا وتنزجروا .

القول في تأويل قوله تعالى :

وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ إِذْ قَالُوا مَا أَنزَلَ اللَّهُ عَلَىٰ بَشَرٍ مِّن شَيْءٍ ۗ قُلْ مَنْ أَنزَلَ الْكِتَابَ الَّذِي جَاءَ بِهِ مُوسَىٰ نُورًا وَهُدًى لِّلنَّاسِ ۖ تَجْعَلُونَهُ قَرَاطِيسَ تُبْدُونَهَا وَتُخْفُونَ كَثِيرًا ۖ وَعُلِّمْتُم مَّا لَمْ تَعْلَمُوا أَنتُمْ وَلَا آبَاؤُكُمْ ۖ قُلِ اللَّهُ ۖ ثُمَّ ذَرْهُمْ فِي خَوْضِهِمْ يَلْعَبُونَ ﴿٩١﴾

يقول تعالى ذكره : (وَمَا قَدَرُوا اللهَ حَقَّ قَدْرِهِ) وما أجلوا الله حقّ إجلاله ، ولا عظموه حقّ تعظيمه (إِذْ قَالُوا مَا أَنْزَلَ الله على بَشَرٍ مِنْ شَيْءٍ) يقول : حين قالوا : لم ينزل الله على آدميّ كتابا ولا وحيا .

واختلف أهل التأويل في المعنيّ بقوله (إِذْ قَالُوا مَا أَنْزَلَ الله على بَشَرٍ مِنْ شَيْءٍ) ، وفي تأويل ذلك ، فقال بعضهم : كان قائل ذلك رجلا من اليهود ، ثم اختلفوا في اسم ذلك الرجل ، فقال بعضهم :

(١) تكررت كلمة قدوة ثلاث مرات ، فلعل الأخيرة محرفة عن (قدية) بكسر القاف .

كان اسمه مالك بن الصيف . وقال بعضهم : كان اسمه فنحاص . واختلفوا أيضا فى السبب الذى من أجله قال ذلك :

ذكر من قال : كان قائل ذلك مالك بن الصيف .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا يعقوب القمى ، عن جعفر بن أبى المغيرة ، عن سعيد بن جبير ، قال : جاء رجل من اليهود ، يقال له مالك بن الصيف يخاصم النبىّ صلى الله عليه وسلم ، فقال له النبىّ صلى الله عليه وسلم : « أنْشُدُكَ بالَّذِى أنْزَلَ التَّوْرَاةَ على مُوسَى ، أما تَجِدُ فى التَّوْرَاةِ أنَّ اللهَ يُبْغِضُ الحَبْرَ السَّمِينَ ؟ وكان حبرا سمينا ، فغضب فقال : والله ما أنزل الله على بشر من شىء ، فقال له أصحابه الذين معه : ويحك ولا موسى ؟ فقال : والله ما أنزل الله على بشر من شىء ، فأنزل الله (وَمَا قَدَرُوا اللهَ حَقَّ قَدْرِهِ ، إذْ قالُوا ما أنْزَلَ اللهُ على بَشَرٍ مِنْ شَىْءٍ ، قُلْ مَنْ أنْزَلَ الكِتابَ الَّذِى جاءَ بِهِ مُوسَى) . . . الآية .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، عن عكرمة ، قوله (وَمَا قَدَرُوا اللهَ حَقَّ قَدْرِهِ ، إذْ قالُوا ما أنْزَلَ اللهُ على بَشَرٍ مِنْ شَىْءٍ) قال : نزلت فى مالك بن الصيف كان من قريظة من أحبار يهود (قُلْ يا مُحَمَّدُ مَنْ أنْزَلَ الكِتابَ الَّذِى جاءَ بِهِ مُوسَى نُوراً وَهُدًى للنَّاسِ) . . . الآية .

ذكر من قال : نزلت فى فنحاص اليهودى .

حدثنى موسى بن هارون ، قال : ثنا عمرو بن حماد ، قال : ثنا أسباط ، عن السدىّ (وَمَا قَدَرُوا اللهَ حَقَّ قَدْرِهِ ، إذْ قالُوا ما أنْزَلَ اللهُ على بَشَرٍ مِنْ شَىْءٍ) قال : قال فنحاص اليهودى : ما أنزل الله على محمد من شىء .

وقال آخرون : بل عنى بذلك جماعة من اليهود سألوا النبىّ صلى الله عله وسلم آيات مثل آيات موسى .

ذكر من قال ذلك

حدثنا هناد ، قال : ثنا يونس ، قال : ثنا أبو معشر المدنى ، عن محمد بن كعب القرظى ، قال : جاء ناس من يهود إلى النبىّ صلى الله عليه وسلم ، وهو محتب ، فقالوا : يا أبا القاسم ، ألا تأتينا بكتاب من السماء كما جاء به موسى ألواحا يحملها من عند الله ، فأنزل الله (يَسألُكَ أهْلُ الكِتابِ أنْ تُنَزِّلَ عَلَيْهِمْ كِتاباً مِنَ السَّماءِ ، فَقَدْ سألُوا مُوسَى أكْبَرَ مِنْ ذَلِكَ ، فَقالُوا أرِنا اللهَ جَهْرَةً) . . . الآية ، فجثا رجل من يهود ، فقال : ما أنزل الله عليك ، ولا على موسى ، ولا على عيسى ، ولا على أحد شيئا ، فأنزل الله (وَمَا قَدَرُوا اللهَ حَقَّ قَدْرِهِ) قال محمد بن كعب : ما علموا كيف الله (إذْ قالُوا ما أنْزَلَ اللهُ على بَشَرٍ مِنْ شَىْءٍ ، قُلْ مَنْ أنْزَلَ الكِتابَ الَّذِى جاءَ بِهِ مُوسَى نُوراً) فحلّ رسول الله صلى الله عليه وسلم حبوته ، وجعل يقول : ولا على أحد .

حدثنا بشر بن معاذ ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (وَمَا قَدَرُوا اللهَ حَقَّ قَدْرِهِ ،

إذ قالُوا ما أنْزَلَ اللهُ على بَشَرٍ مِنْ شَيْءٍ) . . . إلى قوله (فِي خَوْضِهِمْ يَلْعَبُونَ) هم اليهود والنصارى ، قوم آتاهم الله علما ، فلم يهتدوا به ، ولم يأخذوا به ، ولم يعملوا به ، فذمهم الله فى عملهم ذلك .

ذُكر لنا أن أبا الدرداء كان يقول : إنّ من أكثر ماأنا مخاصم به غدا أن يقال : يا أبا الدرداء قد علمت ، فماذا عملت فيما علمت ؟.

حدثنى المثنى ، قال : ثنا عبد الله بن صالح ، قال : ثنى معاوية ، عن علىّ بن أبى طلحة ، عن ابن عباس ، قوله (وَما قَدَرُوا اللهَ حَقَّ قَدْرِهِ ، إذْ قالُوا ما أنْزَلَ اللهُ على بَشَرٍ مِنْ شَيْءٍ) يعنى : من بنى إسرائيل ، قالت اليهود : يا محمد أنزّل الله عليك كتابا ؟ قال : نعم ، قالوا : والله ما أنزل الله من السماء كتابا . فأنزل الله : (قُلْ) يامحمد (مَنْ أنْزَلَ الكِتابَ الَّذِي جاءَ بِهِ مُوسَى نُوراً وَهُدًى النَّاسِ) . . . إلى قوله (وَلا آباؤُكُمْ) قال : الله أنزله .

وقال آخرون : هذا خبر من الله جلّ ثناؤه عن مشركى قريش أنهم قالوا : ما أنزل الله على بشر من شىء .

ذكر من قال ذلك

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، قال : قال ابن جريج : قال عبد الله بن كثير : إنه سمع مجاهدا يقول (وَما قَدَرُوا اللهَ حَقَّ قَدْرِهِ ، إذْ قالُوا ما أنْزَلَ اللهُ على بَشَرٍ مِنْ شَيْءٍ) قالها مشركو قريش ، قال : وقوله (قُلْ مَنْ أنْزَلَ الكِتابَ الَّذِي جاءَ بِهِ مُوسَى نُوراً وهُدًى لِلنَّاسِ تَجْعَلُونَهُ قَرَاطِيسَ تُبْدُونَها وتُخْفُونَ كَثِيراً) قال : هم يهود الذين يبدونها ويخفون كثيرا. قال : وقوله (وَعُلِّمْتُمْ ما لَمْ تَعْلَمُوا أنْتُمْ وَلا آباؤُكُمْ) قال : هذه للمسلمين .

حدثنى المثنى ، قال : ثنا عبد الله بن صالح ، قال : ثنى معاوية ، عن علىّ بن أبى طلحة ، عن ابن عباس ، قوله (وَما قَدَرُوا اللهَ حَقَّ قَدْرِهِ) قال : هم الكفار لم يؤمنوا بقدرة الله عليهم ، فمن آمن أن الله على كلّ شىء قدير ، فقد قدر الله حقّ قدره ، ومن لم يؤمن بذلك فلم يقدر الله حقّ قدره .

حدثنى المثنى ، قال : ثنا أبوحذيفة ، قال : ثنا شبل ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد (وَما قَدَرُوا اللهَ حَقَّ قَدْرِهِ) يقول : مشركو قريش .

☼ وأولى هذه الأقوال بالصواب فى تأويل ذلك ، قول من قال : عنى بذلك : وما قدروا الله حقّ قدره مشركو قريش ، وذلك أن ذلك فى سياق الخبر عنهم أوّلا ، فأن يكون ذلك أيضا خبرا عنهم أشبه من أن يكون خبرا عن اليهود ، ولما يجر لهم ذكر يكون هذا به متصلا مع ما فى الخبر عمن أخبر الله عنه فى هذه الآية من إنكاره أن يكون الله أنزل على بشر شيئا من الكتب ، وليس ذلك مما تدين به اليهود ، بل المعروف من دين اليهود ، الإقرار بصحف إبراهيم وموسى وزبور داود ، وإذا لم يكن بما روى من الخبر ، بأن قائل ذلك كان رجلا من اليهود خبر صحيح متصل السند ، ولا كان على أن ذلك كان كذلك من أهل التأويل إجماع ، وكان الخبر من أوّل السورة ومبتدئها إلى هذا الموضع خبرا عن المشركين من عبدة الأوثان ، وكان

قوله (وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ) موصولا بذلك غير مفصول منه ، لم يجز لنا أن ندّعى أن ذلك مصروف عما هو به موصول ، إلا بحجة يجب التسليم لها من خبر أوعقل ، ولكنى أظنّ أن الذين تأوّلوا ذلك خبرا عن اليهود ، وجدوا قوله (قُلْ مَنْ أَنْزَلَ الكتابَ الَّذِى جاءَ بِه مُوسَى نُورًا وَهُدًى للنَّاسِ ، يَجْعَلُونَهُ قَرَاطِيسَ يُبْدُونَها ، وتُخْفُونَ كَثِيرًا ، وَعُلِّمْتُمْ ما لَمْ تَعْلَمُوا أَنْتُمْ وَلا آباؤُكُمْ) فوجهوا تأويل ذلك إلى أنه لأهل التوراة ، فقرءوه على وجه الخطاب لهم (تجعلونه قراطيس تبدونها ، وتخفون كثيرا ، وعلّمتم ما لم تعلموا أنتم ولا آباوكم) فجعلوا ابتداء الآية خبرا عنهم ، إذ كانت خاتمتها خطابا لهم عندهم ، وغير ذلك من التأويل والقراءة أشبه بالتنزيل لما وصفت قبل ، من أن قوله (وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ) فى سياق الخبر عن مشركى العرب ، وعبدة الأوثان ، وهو به متصل ، فالأولى أن يكون ذلك خبرا عنهم .

⁂ والأصوب من القراءة فى قوله (يَجْعَلُونَهُ قَرَاطِيسَ يُبْدُونَها ، ويُخْفُونَ كَثِيرًا) أن يكون بالياء لابالتاء ، على معنى أن اليهود يجعلونه قراطيس يبدونها ويخفون كثيرا ، ويكون الخطاب بقوله : (قُلْ مَنْ أَنزَلَ الكتابَ) لمشركى قريش ، وهذا هو المعنى الذى قصده مجاهد إن شاء الله فى تأويل ذلك ، وكذلك كان يقرأ .

حدثنى المثنى ، قال : ثنا الحجاج بن المنهال ، قال : ثنا حماد ، عن أيوب ، عن مجاهد أنه كان يقرأ هذا الحرف (يَجْعَلُونَهُ قَرَاطِيسَ يُبْدُونَها ويُخْفُونَ كَثِيرًا) .

القول فى تأويل قوله تعالى : ﴿ قُلْ مَنْ أَنْزَلَ الكِتابَ الَّذِى جاءَ بِهِ مُوسَى نُورًا وَهُدًى للنَّاسِ يَجْعَلُونَهُ قَرَاطِيسَ يُبْدُونَها ويُخْفُونَ كَثِيرًا ﴾ :

● يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم (قُلْ) يا محمد لمشركى قومك القائلين لك : ما أنزل الله على بشر من شىء ، قل (مَنْ أَنْزَلَ الكِتابَ الَّذِى جاءَ بِهِ مُوسَى نُورًا) يعنى : جلاء وضياء من ظلمة الضلالة (وَهُدًى للنَّاسِ) يقول : بيانا للناس ، يبين لهم به الحقّ من الباطل ، فيما أشكل عليهم من أمر دينهم ، يجعلونه قراطيس يبدونها ، فمن قرأ ذلك (تَجْعَلُونَهُ) جعله خطابا لليهود على ما بيّنت من تأويل من تأوّل ذلك كذلك ، ومن قرأه بالياء (يَجْعَلُونَهُ) فتأويله فى قراءته : يجعله أهله قراطيس ، وجرى الكلام فى يبدونها بذكر القراطيس ، والمراد منه : المكتوب فى القراطيس ، يراد يبدون كثيرا مما يكتبون فى القراطيس ، فيظهرونه للناس ، ويخفون كثيرا مما يثبتونه فى القراطيس فيسرّونه ، ويكتمونه الناس ، ومما كانوا يكتمونه إياهم ما فيها من أمر محمد صلى الله عليه وسلم ونبوّته .

كالذى حدثنى المثنى ، قال : ثنا أبو حذيفة ، قال : ثنا شبل ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد : (قَرَاطِيسَ يُبْدُونَها ، ويُخْفُونَ كَثِيرًا) : اليهود .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، عن عكرمة (قُلْ) يامحمد (مَنْ أَنْزَلَ الكِتابَ الَّذِى جاءَ بِهِ مُوسَى نُورًا وهُدًى للنَّاسِ يَجْعَلُونَهُ قَرَاطِيسَ يُبْدُونَها)

يعني يهود لما أظهروا من التوراة (وَيُخْفُونَ كَثِيرًا) مما أخفوا من ذكر محمد صلى الله عليه وسلم ، وما أنزل عليه . قال ابن جريج : وقال عبد الله بن كثير : إنه سمع مجاهدا يقول (يَجْعَلُونَهُ قَرَاطِيسَ يُبْدُونَهَا ، وَيُخْفُونَ كَثِيرًا) قال : هم يهود الذين يبدونها ويخفون كثيرا .

القول في تأويل قوله تعالى ﴿ وَعُلِّمْتُمْ مَا لَمْ تَعْلَمُوا أَنْتُمْ وَلَا آبَاؤُكُمْ ، قُلِ اللَّهُ ثُمَّ ذَرْهُمْ فِي خَوْضِهِمْ يَلْعَبُونَ ﴾ :

يقول تعالى ذكره : وعلّمكم الله جلّ ثناؤه ، الكتاب الذى أنزله إليكم ما لم تعلموا أنتم من أخبار من قبلكم ، ومن أنباء من بعدكم ، وما هو كائن في معادكم يوم القيامة (وَلَا آبَاؤُكُمْ) يقول : ولم يعلمه آباؤكم أيها المؤمنون بالله من العرب ، وبرسوله صلى الله عليه وسلم .

كالذى حدثني المثنى ، قال : ثنا الحجاج بن المنهال ، قال : ثنا حماد ، عن أيوب ، عن مجاهد : (وَعُلِّمْتُمْ) معشر العرب (مَا لَمْ تَعْلَمُوا أَنْتُمْ وَلَا آبَاؤُكُمْ) .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثني حجاج ، عن ابن جريج ، قال : قال عبد الله بن كثير : إنه سمع مجاهدا يقول في قوله (وَعُلِّمْتُمْ مَا لَمْ تَعْلَمُوا أَنْتُمْ وَلَا آبَاؤُكُمْ) قال : هذه للمسلمين .

وأما قوله (قُلِ اللَّهُ) فإنه أمر من الله جلّ ثناؤه نبيه محمدا صلى الله عليه وسلم أن يجيب استفهامه هؤلاء المشركين عما أمره باستفهامهم عنه بقوله (قُلْ مَنْ أَنْزَلَ الْكِتَابَ الَّذِي جَاءَ بِهِ مُوسَى نُورًا وَهُدًى لِلنَّاسِ ، يَجْعَلُونَهُ قَرَاطِيسَ يُبْدُونَهَا ، وَيُخْفُونَ كَثِيرًا) بقيله الله ، كأمره إياه في موضع آخر في هذه السورة بقوله (قُلْ مَنْ يُنَجِّيكُمْ مِنْ ظُلُمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ ، تَدْعُونَهُ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً لَئِنْ أَنْجَانَا مِنْ هَذِهِ لَنَكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ) فأمره باستفهام المشركين عن ذلك ، كما أمره باستفهامهم (إِذْ قَالُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ عَلَى بَشَرٍ مِنْ شَيْءٍ) عمن أنزل الكتاب الذى جاء به موسى ، نورا وهدى للناس ، ثم أمره بالإجابة عنه هنالك بقيله (قُلِ اللَّهُ يُنَجِّيكُمْ مِنْهَا وَمِنْ كُلِّ كَرْبٍ ، ثُمَّ أَنْتُمْ تُشْرِكُونَ) كما أمره بالإجابة ههنا عن ذلك بقيله : الله أنزله على موسى .

كما حدثني المثنى ، قال : ثنا أبو صالح ، قال : ثني معاوية ، عن عليّ بن أبي طلحة ، عن ابن عباس (قُلْ مَنْ أَنْزَلَ الْكِتَابَ الَّذِي جَاءَ بِهِ مُوسَى نُورًا وَهُدًى لِلنَّاسِ) قال : الله أنزله ، ولو قيل : معناه : قل هو الله على وجه الأمر من الله له بالخبر عن ذلك ، لا على وجه الجواب ، إذ لم يكن قوله (قُلْ مَنْ أَنْزَلَ الْكِتَابَ) مسألة من المشركين لمحمد صلى الله عليه وسلم ، فيكون قوله (قُلِ اللَّهُ) جوابا لهم عن مسألتهم ، فإنما هو أمر من الله لمحمد بمسألة القوم : من أنزل الكتاب ، فيجب أن يكون الجواب منهم غير الذى قاله ابن عباس من تأويله ، كان جائزا من أجل أنه استفهام ، ولا يكون للاستفهام جواب ، وهو الذى اخترنا من القول في ذلك لما بينا .

وأما قوله (ثُمَّ ذَرْهُمْ فِي خَوْضِهِمْ يَلْعَبُونَ) فإنه يقول لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم : ثم ذر هؤلاء المشركين ، العادلين بربهم الأوثان والأصنام بعد احتجاجك عليهم في قيلهم (مَا أَنْزَلَ اللَّهُ عَلَى

بَشَرٍ مِنْ شَيْءٍ) بقولك (مَنْ أَنْزَلَ الكِتابَ الَّذِي جاءَ بِهِ مُوسَى نُوراً وَهُدًى لِلنَّاسِ) وإجابتك ذلك بأن الذي أنزله الله الذى أنزل عليك كتابه فى خوضهم ، يعنى : فيما يخوضون فيه من باطلهم وكفرهم بالله وآياته ، يقول : يستهزءون ويسخرون ، وهذا من الله وعيد لهؤلاء المشركين ، وتهديد لهم ، يقول الله جلّ ثناؤه : ثم دعهم لاعبين يا محمد ، فإنى من وراء ماهم فيه من استهزائهم بآياتى بالمرصاد وأذيقهم بأسى ، وأحلّ بهم إن تمادوا فى غيهم سخطى .

القول في تأويل قوله تعالى

وَهَٰذَا كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ مُبَارَكٌ مُّصَدِّقُ ٱلَّذِى بَيْنَ يَدَيْهِ وَلِتُنذِرَ أُمَّ ٱلْقُرَىٰ وَمَنْ حَوْلَهَا ۚ وَٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱلْءَاخِرَةِ يُؤْمِنُونَ بِهِۦ ۖ وَهُمْ عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ ﴿٩٢﴾

يقول تعالى ذكره (وَهَٰذَا) القرآن يا محمد (كِتابٌ) وهو اسم من أسماء القرآن ، قد بينته وبينت معناه فيما مضى قبل ، بما أغنى عن إعادته ، ومعناه : مكتوب ، فوضع الكتاب مكان المكتوب (أَنْزَلْناهُ) يقول : أوحيناه إليك (مُبارَكٌ) وهو مفاعل من البركة (مُصَدِّقُ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ) يقول : صدّق هذا الكتاب ما قبله ، من كتب الله التى أنزلها على أنبيائه قبلك ، لم يخالفها ولا بنبأ ، وهو معنى نورا وهدى للناس ، يقول : هو الذى أنزل إليك يا محمد هذا الكتاب مباركا مصدّقا ، كتاب موسى وعيسى وغير ذلك من كتب الله ، ولكنه جلّ ثناؤه ابتدأ الخبر عنه ، إذ كان قد تقدّم الخبر عن ذلك ما يدلّ على أنه به متصل ، فقال : وهذا كتاب أنزلناه إليك مبارك ، ومعناه : وكذلك أنزلت إليك كتابى هذا مباركا ، كالذى أنزلت من التوراة إلى موسى هدى ونورا .

وأما قوله (وَلِتُنْذِرَ أُمَّ القُرَى وَمَنْ حَوْلَها) فإنه يقول : أنزلنا إليك يامحمد هذا الكتاب ، مصدّقا ما قبله من الكتب ، ولتنذر به عذاب الله وبأسه من فى أمّ القرى ، وهى مكة ومن حولها شرقا وغربا ، من العادلين بربهم غيره من الآلهة والأنداد ، والجاحدين برسله وغيرهم من أصناف الكفار .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك ، قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنى المثنى ، قال : ثنا أبوصالح ، قال : ثنى معاوية بن صالح ، عن علىّ بن أبى طلحة ، عن ابن عباس ، قوله (وَلِتُنْذِرَ أُمَّ القُرَى وَمَنْ حَوْلَها) يعنى بأمّ القرى : مكة ومن حولها من القرى ، إلى المشرق والمغرب .

حدثنى محمد بن سعد ، قال : ثنى أبى ، قال : ثنى عمى ، قال : ثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله (وَلِتُنْذِرَ أُمَّ القُرَى وَمَنْ حَوْلَها) وأمّ القرى : مكة ، ومن حولها : الأرض كلها .

حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، قال : ثنا معمر ، عن قتادة (وَلِتُنْذِرَ أُمَّ الْقُرَى) قال : هي مكة . وبه عن معمر ، عن قتادة ، قال : بلغني أن الأرض دُحيت من مكة .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (وَلِتُنْذِرَ أُمَّ الْقُرَى وَمَنْ حَوْلَهَا) كنا نحدّث أن أمّ القرى : مكة ، وكنا نحدّث أن منها دُحيت الأرض .

حدثنا محمد بن الحسين ، قال : ثنا أحمد بن المفضل ، قال : ثنا أسباط ، عن السدىّ (وَلِتُنْذِرَ أُمَّ الْقُرَى وَمَنْ حَوْلَهَا) أما أمّ القرى : فهى مكة ، وإنما سميت أمّ القرى ، لأنها أول بيت وضع بها . وقد بينا فيما مضى العلة التى من أجلها سميت مكة : أمّ القرى بما أغنى عن إعادته فى هذا الموضع .

القول في تأويل قوله تعالى : ﴿ وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالآخِرَةِ يُؤْمِنُونَ بِهِ ، وَهُمْ عَلَى صَلاتِهِمْ يُحَافِظُونَ ﴾ :

يقول تعالى ذكره : ومن كان يؤمن بقيام الساعة والمعاد فى الآخرة إلى الله ، ويصدق بالثواب والعقاب فانه يؤمن بهذا الكتاب الذى أنزلناه إليك يامحمد ، ويصدّق به ، ويقرّ بأن الله أنزله ، ويحافظ على الصلوات المكتوبات التى أمره الله بإقامتها ، لأنه منذر من بلغه وعيد الله على الكفر به ، وعلى معاصيه ، وإنما يجحد به وبما فيه ، ويكذب أهل التكذيب بالمعاد والجحود ، لقيام الساعة ، لأنه لايرجو من الله إن عمل بما فيه ثوابا ، ولا يخاف إن لم يجتنب ما يأمره باجتنابه عقابا .

القول في تأويل قوله تعالى :

﴿ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ قَالَ أُوحِيَ إِلَيَّ وَلَمْ يُوحَ إِلَيْهِ شَيْءٌ وَمَن قَالَ سَأُنزِلُ مِثْلَ مَا أَنزَلَ اللَّهُ ۗ وَلَوْ تَرَىٰ إِذِ الظَّالِمُونَ فِي غَمَرَاتِ الْمَوْتِ وَالْمَلَائِكَةُ بَاسِطُو أَيْدِيهِمْ أَخْرِجُوا أَنفُسَكُمُ ۖ الْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ الْهُونِ بِمَا كُنتُمْ تَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ وَكُنتُمْ عَنْ آيَاتِهِ تَسْتَكْبِرُونَ ﴿٩٣﴾ ﴾

يعنى جلّ ذكره بقوله (وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ افْتَرَى عَلَى اللهِ كَذِبًا) : ومن أخطأ قولا ، وأجهل فعلا ممن افترى على الله كذبا ، يعنى : ممن اختلق على الله كذبا ، فادّعى عليه أنه بعثه نبيا ، وأرسله نذيرا ، وهو فى دعواه مبطل ، وفى قيله كاذب ، وهذا تسفيه من الله لمشركى العرب ، وتجهيل منه لهم فى معارضة عبد الله بن سعد بن أبى سَرْح ، والحنفى مُسَيْلِمة ، لنبىّ الله صلى الله عليه وسلم بدعوى أحدهما النبوّة ، ودعوى الآخر أنه قد جاء بمثل ما جاء به رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ونفى منه عن نبيه محمد صلى الله عليه وسلم اختلاق الكذب عليه ، ودعوى الباطل .

وقد اختلف أهل التأويل فى ذلك ، فقال بعضهم فيه ، نحو الذى قلنا فيه .

ذكر من قال ذلك

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، عن عكرمة ، قوله (وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى على الله كَذِبا ، أَوْ قالَ أُوحِيَ إِلَيَّ وَلَمْ يُوحَ إِلَيْهِ شَيْءٌ) قال : نزلت فى مسيلمة أخى بنى عدىّ بن حنيفة فيما كان يسجّع ويتكهن به (وَمَنْ قالَ سأُنْزِلُ مِثْلَ ما أَنْزَلَ الله) نزلت فى عبد الله بن سعد بن أبى سَرْح ، أخى بنى عامر بن لؤى ، كان يكتب للنبى صلى الله عليه وسلم ، وكان فيما يُملى عزيز حكيم ، فيكتب غفور رحيم ، فيغيره ، ثم يقرأ عليه كذا وكذا لما حوّل ، فيقول : نعم سواء ، فرجع عن الإسلام ولحق بقريش وقال لهم : لقد كان ينزل عليه عزيز حكيم ، فأحوّله ثم أقول لما أكتب ، فيقول نعم سواء ، ثم رجع إلى الإسلام قبل فتح مكة ، إذ نزل النبىّ صلى الله عليه وسلم بمرّ .

وقال بعضهم : بل نزل ذلك فى عبد الله بن سعد خاصة .

ذكر من قال ذلك

حدثنى محمد بن الحسين ، قال : ثنا أحمد بن المفضل قال : ثنا أسباط ، عن السدىّ (وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى على الله كَذِبا أَوْ قالَ أُوحِيَ إِلَيَّ وَلَمْ يُوحَ إِلَيْهِ شَيْءٌ) ... إلى قوله (تُجْزَوْنَ عَذابَ الْهُونِ) قال : نزلت فى عبدالله بن سعد بن أبى سرح أسلم ، وكان يكتب للنبىّ صلى الله عليه وسلم ، فكان إذا أملى عليه سميعا عليما ، كتب هو : عليما حكيما ؛ وإذا قال : عليما حكيما ، كتب : سميعا عليما ، فشكّ وكفر ، وقال : إن كان محمد يوحى إليه ، فقد أوحىَ إلىّ ، وإن كان الله ينزله ، فقد أنزلت مثل ما أنزل الله ، قال محمد : سميعا عليما ، فقلت أنا : عليما حكيما ، فلحق بالمشركين ، ووشى بعمار وجبير عند ابن الحضرمىّ أو لبنى عبدالدار ، فأخذوهم فعذّبوا حتى كفروا ، وجُدع أذن عمار يومئذ ، فانطلق عمار إلى النبىّ صلى الله عليه وسلم ، فأخبره بما لقى ، والذى أعطاهم من الكفر ، فأبى النبىّ صلى الله عليه وسلم أن يتولاه ، فأنزل الله فى شأن ابن أبى سَرح وعمار وأصحابه (مَنْ كَفَرَ بالله مِنْ بَعْدِ إِيمانِهِ إِلاَّ مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بالإِيمانِ ، وَلَكِنْ مَنْ شَرَحَ بالكُفْرِ صَدْرًا) فالذى أكره عمار وأصحابه ، والذى شرح بالكفر صدرا ، فهو ابن أبى سرح .

وقال آخرون : بل القائل (أُوحِيَ إِلَيَّ وَلَمْ يُوحَ إِلَيْهِ شَيْءٌ) مسيلمة الكذّاب .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر بن معاذ ، قال : ثنا يزيد بن زريع ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (أَوْ قالَ أُوحِيَ إِلَيَّ وَلَمْ يُوحَ إِلَيْهِ شَيْءٌ ، وَمَنْ قالَ سأُنْزِلُ مِثْلَ ما أَنْزَلَ اللهُ) ذكر لنا أن هذه الآية نزلت فى مسيلمة . ذكر لنا أن نبىّ الله صلى الله عليه وسلم قال : «رأَيْتُ فِيما يَرَى النَّائِمُ كأَنَّ فِي يَدَيَّ سِوارَيْنِ مِنْ ذَهَبٍ ، فكَبُرا عَلَيَّ وأَهمَّاني ، فَأُوحِيَ إِلَيَّ أَنِ انْفُخْهُما ، فنَفَخْتُهُما فَطارا ، فأَوَّلْتُهُما فِي مَنامى الكَذَّابَيْنِ اللَّذَيْنِ أَنا بَيْنَهُما : كَذَّابُ اليَمامَةِ مُسَيْلِمَةُ ، وكَذَّابُ صَنْعاءَ العَنْسِيُّ» وكان يقال له الأسود .

حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة ، قال : (أُوحِيَ إليَّ ، ولَمْ يُوحَ إليْهِ شَيْءٌ) قال : نزلت فى مسيلمة .

حدثنا الحسن بن يحيى ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا معمر ، عن قتادة ، وزاد فيه : وأخبرنى الزهرى ، أن النبيّ صلى الله عليه وسلم قال : « بَيْنا أنا نائمٌ رأيْتُ فِي يَدِي سِوارَيْنِ مِنْ ذَهَبٍ ، فكَبُرَ ذلكَ عَلَيَّ ، فأُوحِيَ إليَّ أنِ انْفُخْهُما ، فنَفَخْتُهُما فَطارَا ، فأوَّلْتُ ذلكَ كَذَّابَ اليَمامَةِ ، وكَذَّابَ صَنْعاءَ العَنْسِيَّ » .

وأولى الأقوال فى ذلك عندى بالصواب ، أن يقال : إن الله قال (وَمَنْ أظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى على اللهِ كَذِبا ، أوْ قالَ أُوحِيَ إليَّ ولَمْ يُوحَ إليْهِ شَيْءٌ) ولا تمانع بين علماء الأمة ، أن ابن أبى سرح كان ممن قال : إنى قد قلت مثل ما قال محمد ، وإنه ارتدّ عن إسلامه ، ولحق بالمشركين ، فكان لاشكّ بذلك من قيله ، مفتريا كذبا . وكذلك لاخلاف بين الجميع أن مسيلمة والعنسىّ الكذّابين ، ادّعيا على الله كذبا أنه بعثهما نبيين ، وقال كلّ واحد منهما : إن الله أوحى إليه ، وهو كاذب فى قيله .

فإذكان ذلك كذلك ، فقد دخل فى هذه الآية كلّ من كان مختلقا على الله كذبا وقائلا فى ذلك الزمان وفى غيره أوحى الله إليه ، وهو فى قيله كاذب : لم يوح الله إليه شيئا ، فأما التنزيل فإنه جائز أن يكون نزل بسبب بعضهم ، وجائز أن يكون نزل بسبب جميعهم ، وجائز أن يكون عنى به جميع المشركين من العرب إذكان قائلو ذلك منهم ، فلم يغيروه ، فعيرهم الله بذلك ، وتوعدهم بالعقوبة على تركهم نكير ذلك ، ومع تركهم نكيره ، هُمْ بنبيه محمد صلى الله عليه وسلم مكذبون ، ولنبوّته جاحدون ، ولآيات كتاب الله وتنزيله دافعون ، فقال لهم جلّ ثناؤه : ومن أظلم ممن ادّعى على النبوّة كاذبا وقال (أوحَى إليَّ ، ولَمْ يُوحَ إليْهِ شَيْءٌ) ومع ذلك يقول (ما أنْزَلَ اللهُ على بَشَرٍ مِنْ شَيْءٍ) فينقض قوله بقوله ، ويكذّب بالذى تحققه ، وينفى ما يثبته ، وذلك إذا تدبره العاقل الأريب ، علم أن فاعله من عقله عديم .

وقد رُوِىَ عن ابن عباس ، أنه كان يقول ، فى قوله (وَمَنْ قالَ سأُنْزِلُ مِثْلَ ما أنْزَلَ اللهُ) .
ما حدثنى محمد بن سعد ، قال : ثنى أبى ، قال : ثنى عمى ، قال : ثنى أبى عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله (وَمَنْ قالَ سأُنْزِلُ مِثْلَ ما أنْزَلَ اللهُ) قال : زعم أنه لو شاء قال مثله ، يعنى الشعر ، فكان ابن عباس فى تأويله هذا ، على ما تأوّله يوجه معنى قول قائل : سأنزل مثل ما أنزل الله ، إلى : سأنزل مثل ما قال الله من الشعر ، وكذلك تأوّله السدىّ ، وقد ذكرنا الرواية عنه قبل فيما مضى .

القول فى تأويل قوله تعالى : ﴿ وَلَوْ تَرَى إذِ الظَّالِمُونَ فِي غَمَرَاتِ المَوْتِ وَالمَلائِكَةُ باسِطُوا أيْدِيهِمْ أخْرِجُوا أنْفُسَكُمْ ﴾ :

يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم : ولو ترى يا محمد حين يغمر الموت بسكراته هؤلاء الظالمين ، العادلين بربهم الآلهة والأنداد ، والقائلين ما أنزل الله على بشر من شىء ، والمفترين على الله كذبا الزاعمين أن الله أوحى إليه ، ولم يوح إليه شىء ، والقائلين : سأنزل مثل ما أنزل الله ، فتعاينهم وقد غشيتهم

سكرات الموت ، ونزل بهم أمر الله ، وحان فناء آجالهم ، والملائكة باسطو أيديهم ، يضربون وجوههم وأدبارهم ، كما قال جلّ ثناؤه (فَكَيْفَ إِذَا تَوَفَّتْهُمُ المَلائِكَةُ ، يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَدْبارَهُم ذلكَ بأَنَّهُمْ اتَّبَعُوا ما أَسْخَطَ اللهَ ، وَكَرِهُوا رِضْوَانَهُ) يقولون لهم (أَخْرِجُوا أَنْفُسَكُمْ) والغمرات : جمع غمرة ، وغَمْرَة كلّ شيء : كثرته ومعظمه ، وأصله : الشيء الذى يغمر الأشياء فيغطيها ، ومنه قول الشاعر :

وَهلْ يُنْجِي مِنَ الغَمَرَاتِ إلاَّ بَرَاكاءُ القِتالِ أو الفِرَارُ (١)

ورُوِى عن ابن عباس فى ذلك ، ما حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، قال : قال ابن عباس ، قوله (وَلَوْ تَرَى إِذِ الظَّالِمُونَ فِى غَمَرَاتِ المَوْتِ) قال : سكرات الموت .

حُدثت عن الحسين بن الفرج ، قال : سمعت أبا معاذ ، قال : ثنا عبيد بن سليمان ، قال : سمعت الضحاك يقول فى قوله (فِى غَمَرَاتِ المَوْتِ) يعنى : سكرات الموت . وأما بسط الملائكة أيديهم فإنه مدّها .

ثم اختلف أهل التأويل فى سبب بسطها أيديها عند ذلك ، فقال بعضهم بنحو الذى قلنا فى ذلك .

ذكر من قال ذلك

حدثنى المثنى ، قال : ثنا عبد الله بن صالح ، قال : ثنى معاوية بن صالح ، عن علىّ بن أبى طلحة ، عن ابن عباس ، قوله (وَلَوْ تَرَى إِذِ الظَّالِمُونَ فِى غَمَرَاتِ المَوْتِ وَالمَلائِكَةُ باسِطُوا أَيْدِيهِمْ) قال : هذا عند الموت ، والبسْط : الضرب . يضربون وجوههم وأدبارهم .

حدثنى محمد بن سعد ، قال : ثنى أبى ، قال ثنى عمى ، قال : ثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله (وَلَوْ تَرَى إِذِ الظَّالِمُونَ فِى غَمَرَاتِ المَوْتِ وَالمَلائِكَةُ باسِطُوا أَيْدِيهِمْ) يقول : الملائكة باسطو أيديهم ، يضربون وجوههم وأدبارهم ، والظالمون فى غمرات الموت ، وملك الموت يتوفّاهم .

حدثنى محمد بن الحسين ، قال : ثنا أحمد بن المفضل ، قال : ثنا أسباط ، عن السدىّ (وَالمَلائِكَةُ باسِطُوا أَيْدِيهِمْ) يضربونهم .

وقال آخرون : بل بسطها أيديها بالعذاب .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبو خالد الأحمر ، عن جويبر ، عن الضحاك (وَالمَلائِكَةُ باسِطُوا أَيْدِيهِمْ) قال : بالعذاب .

حدثنى المثنى ، قال : ثنا إسحاق ، قال : ثنا عبد الله بن الزبير ، عن ابن عيينة ، عن إسماعيل بن

---

(١) البيت لبشر بن أبى خازم (اللسان : برك) . والغمرات : جمع غمرة ، وهى الشدة فى الحرب . والبراكاء ، بفتح الباء وضمها والبروكاء : الثبات فى الحرب والجد ، وأصله من البروك ، قال بشر بن أبى خازم : ولاينجى . . . البيت .

أبي خالد ، عن أبي صالح (وَالْمَلائِكَةُ باسِطُوا أَيْدِيهِمْ) بالعذاب . وكان بعض نحويي الكوفيين يتأوّل ذلك بمعنى : باسطو أيديهم بإخراج أنفسهم .

﴿ فإن قال قائل : ما وجه قوله (أَخْرِجُوا أَنْفُسَكُمْ) ونفوس بني آدم إنما يخرجها من أبدان أهلها ربّ العالمين ، فكيف خوطب هؤلاء الكفار ، وأمروا في حال الموت بإخراج أنفسهم ، فإن كان ذلك كذلك فقد وجب أن يكون بنو آدم هم يقبضون أنفس أجسامهم؟ قيل : إن معنى ذلك بخلاف الذي ذهبتَ ، وإنما ذلك أمر من الله على ألسن رسله الذين يقبضون أرواح هؤلاء القوم من أجسامهم ، بأداء ما أسكنها ربها من الأرواح إليه ، وتسليمها إلى رسله الذين يتوفونها .

القول في تأويل قوله تعالى : ﴿الْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ الْهُونِ بِمَا كُنْتُمْ تَقُولُونَ عَلَى اللهِ غَيْرَ الْحَقِّ ، وَكُنْتُمْ عَنْ آيَاتِهِ تَسْتَكْبِرُونَ﴾ :

وهذا خبر من الله جلّ ثناؤه عما تقول رسل الله التي تقبض أرواح هؤلاء الكفار لها ، يخبر عنها أنها تقول لأجسامها ولأصحابها : أخرجوا أنفسكم إلى سخط الله ولعنته ، فإنكم اليوم تثابون على كفركم بالله ، وقيلكم عليه الباطل ، وزعمكم أن الله أوحى إليكم ولم يوح إليكم شيئا ، وإنذاركم أن يكون الله أنزل على بشر شيئا ، واستكباركم عن الخضوع لأمر الله ، وأمر رسوله ، والانقياد لطاعته ، عذاب الهون ، وهو عذاب جهنم الذي يهينهم فيذلهم ، حتى يعرفوا صَغار أنفسهم وذلّها .

كما حدثني محمد بن الحسين ، قال : ثنا أحمد بن المفضل ، قال : ثنا أسباط ، عن السديّ ، أما (عَذَابَ الْهُونِ) فالذي يهينهم .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثني حجاج ، عن ابن جريج (الْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ الْهُونِ) قال : عذاب الهُون في الآخرة بما كنتم تعملون ، والعرب إذا أرادت بالهُون معنى الهوان ، ضمت الهاء وإذا أرادت به الرفق والدّعة وخفة المَئونة ، فتحت الهاء ، فقالوا : هو قليل هَوْن المئونة ؛ ومنه قول الله (الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا) يعني : بالرفق والسكينة والوقار ؛ ومنه قول المثنى ابن جندل الطُّهَوِى :

وَنَقْضُ أَيَّامٍ نَقَضْنَ أَسْرَهُ هَوْنًا وأَلْقَى كُلُّ شَيْخٍ فَخْرَهُ[١]

ومنه قول الآخر :

هَوْنَكُما لا يَرُدُّ الدَّهْرَ ما فاتَا لا تَهْلِكا أَسَفا فِي إِثْرِ مَنْ ماتَا[٢]

يريد : رَوْدا . وقد حكى فتح الهاء في ذلك بمعنى الهوان ، واستشهدوا على ذلك ببيت عامر بن جُوَيْن :

(١) النقض : إفساد ما أبرمت من عقد أو بناء . والمراد هنا أن مر الأيام ، يضعف القوى ويهدمه . والأسر : شدة الخلق ورجل مأسور مأطور : شديد عقد المفاصل والأوصال ، وكذلك الدابة . وفي التنزيل : « نحن خلقناهم وشددنا أسرهم » : أي شددنا خلقهم . وقيل أسرهم : مفاصلهم . والهون : الرفق والدعة . أي شيئا بعد شيء . يقول : إن الأيام أضعفن ما كان موثقا من خلقه شيئا فشيئا . وترك الشيخ فخره بالفتوة والشباب . ولم أجد الرجز في كتب اللغة .

(٢) البيت منسوب للشاعر (اللسان : هون) ، أنشده ابن بري في حواشيه على الصحاح شاهدا على أن الهون : الرفق . وفيه « من ماتا » في موضع « من فاتا » .

تُهِينُ النُّفُوسَ وَهُوْنُ النُّفُو سِ عِنْدَ الكَرِيهَةِ أعْلَى لَهَا [1]

والمعروف من كلامهم ضمّ الهاء منه إذا كان بمعنى الهوان والذلّ ، كما قال ذو الإصبع العدوانى :

اذْهَبْ إليْكَ فَمَا أُمِّى بِرَاعِيَـــةٍ تَرْعَى المخاضَ ولا أُغْضِي على الهُونِ [2]

يعنى على الهوان ، وإذا كان بمعنى الرفق ففتحها .

القول فى تأويل قوله تعالى :

﴿ وَلَقَدْ جِئْتُمُونَا فُرَادَىٰ كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَتَرَكْتُم مَّا خَوَّلْنَاكُمْ وَرَاءَ ظُهُورِكُمْ وَمَا نَرَىٰ مَعَكُمْ شُفَعَاءَكُمُ الَّذِينَ زَعَمْتُمْ أَنَّهُمْ فِيكُمْ شُرَكَاءُ لَقَد تَّقَطَّعَ بَيْنَكُمْ وَضَلَّ عَنكُم مَّا كُنتُمْ تَزْعُمُونَ ﴾ (٩٤)

قال أبو جعفر : وهذا خبر من الله جلّ ثناؤه عما هو قائل يوم القيامة لهؤلاء العادلين به الآلهة والأنداد ، يخبر عباده أنه يقول لهم عند ورودهم عليه (لقد جئتمونا فرادى) ويعنى بقوله : فرادى : وحدانا لامال معهم ولا أثاث ، ولا رفيق ، ولا شيء مما كان الله خوّلهم فى الدنيا (كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أوَّلَ مَرَّة) عُرَاة غُلْفًا غرلا حفاة كما ولدتّهم أمهاتهم ، وكما خلقهم جلّ ثناؤه فى بطون أمهاتهم ، لاشيء عليهم ولا معهم ، مما كانوا يتباهون به فى الدنيا . وفرادى : جمع ، يقال لواحدها : فرد ، كما قال نابغة بنى ذُبيان :

مِنْ وَحْشِ وَجْرَةَ مَوْشِيٌّ أَكارِعُهُ طاوِى المَصِيرِ كسَيْفِ الصَّيْقَلِ الفَرَدِ [3]

وفرد وفريد ، كما يقال : وحد ووحد ووحيد فى واحد الأوحاد ، وقد يجمع الفرَد الفُراد ، كما يجمع الوحد الوحاد ، ومنه قول الشاعر :

تَرَى النُّعَرَاتِ الزُّرْقَ فوقَ لَبانه فُرادَ وَمَثْـنَى أصْعَقَتْها صَوَاهِلُهْ [4]

وكان يونس الجرمىّ [5] فيما ذكر عنه يقول : فراد : جمع فرد ، كما قيل : توءم وتؤام للجميع ، ومنه الفرادى

(١) فى (اللسان : هون) جاء الشطر الأول من البيت مبدوءا بتاء الخطاب . ونسبه للخنساء ، وقال : الهون (بالضم) الهوان والشدة ، أصابه هون شديد : أى شدة ومضرة وعوز ، قالت خنساء : تهين . . . الخ ، تريد إهانة النفوس . ابن برى : الهون بالضم : الهوان ، ولعل رواية المؤلف له بفتح الهاء رواية كوفية .

(٢) البيت لذى الإصبع العدوانى(اللسان : هون) . قال ابن برى : الهون بالضم : الهوان . قال ذو الإصبع : اذهب . . . البيت . والمخاض : الإبل الحوامل ، يتفاءل لها بأنها تصير إلى ذلك وتستمخض بولدها إذا نتجت . واحدتها : خلفة ، على غير قياس وأغضى : أغمض عينى أو أقارب ما بين جفنيها .

(٣) البيت فى ديوان النابغة (مختار الشعر الجاهلى طبعة الحلبى ص ١٥٠) من قصيدة يمدح بها النعمان بن المنذر . وجرة : مكان بين مكة والبصرة فيه وحوش كثيرة . وموشى الأكارع : صفة للثور فى البيت قبله ، يصفه بأنه أبيض فى قوائمه نقط سود . وطاوى : ضامر . والمصير : واحد المصران ، كنى به عن ضمور بطنه كسيف الصيقل : أى يلمع ويلوح بياضه كبياض السيف المجلو والصيقل : جلاء السيوف ، والفرد : الذى لامثيل له فى الجودة ، وهو من صفة السيف .

(٤) البيت لتميم بن أبى بن مقبل (اللسان : نعر) قال الأحمر : النعرة : ذبابة تسقط على الدواب فتؤذيها . قال ابن مقبل : ترى ... البيت . وفيه «الخضر » و « أحاد » فى موضع : « الزرق » و « فراد » . ثم قال : أى قتلها صهيله . ولبانه : صدره .

(٥) لانعلم يونس الجرمى من النحويين ولعله يريد يونس الضبى ، فتصحف اللفظ على الناسخ .

والرُّدَّانى والغوانى [١] ، ويقال : رجل فرد ، وامرأة فَرْد ، إذا لم يكن لها أخ ، وقد فَرَدَ الرجل فهو يَفْرُدُ فُرُودا ، يراد به تفرد ، فهو فارد .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، قال : أخبرنى عمرو أن ابن أبى هلال حدثه أنه سمع القرطي يقول : « قرأت عائشة زوج النبيّ صلى الله عليه وسلم قول الله (وَلَقَدْ جِئْتُمُونا فُرَادَى كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ) فقالت : واسوأتاه ، إن الرجال والنساء يحشرون جميعا ينظر بعضهم إلى سوأة بعض ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : لِكُلِّ امْرِئٍ مِنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ ، لايَنْظُرُ الرِّجالُ إلى النِّساءِ ، ولا النِّساءُ إلى الرِّجالِ ، شُغِلَ بَعْضُهُمْ عَنْ بَعْضٍ » .

وأما قوله (وَتَرَكْتُمْ ما خَوَّلْنَاكُمْ وَرَاءَ ظُهُورِكُمْ) فإنه يقول : خلّفتم أيها القوم ما مكناكم فى الدنيا مما كنتم تتباهون به فيها خلفكم فى الدنيا ، فلم تحملوه معكم ، وهذا تعبير من الله جلّ ثناؤه لهؤلاء المشركين بمباهاتهم التى كانوا يتباهون بها فى الدنيا بأموالهم ، وكلّ من ملّكته غيرك وأعطيته فقد خوّلته ، يقال منه : خال الرجل يخال أشدّ الخيال بكسر الخاء ، وهو خائل ، ومنه قول أبى النجم :

أَعْطَى فلمْ يَبْخَلْ وَلَمْ يُبَخَّلِ   كُومَ الذُّرَا مِنْ خَوَلِ المُخَوَّلِ [٢]

وقد ذكر أن أبا عمرو بن العلاء كان ينشد بيت زهير :

هنالكَ إنْ يُسْتَخْوَلُوا المَالَ يُخْوِلُوا   وَإنْ يُسألُوا يُعْطُوا وَإنْ يَيْسِرُوا يَغْلُوا [٣]

وبنحو الذى قلنا فى ذلك ، قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنى محمد بن الحسين ، قال : ثنا أحمد بن المفضل ، قال : ثنا أسباط ، عن السدىّ (وَتَرَكْتُمْ ما خَوَّلْنَاكُمْ) من المال والخدم (وَرَاءَ ظُهُورِكُمْ) فى الدنيا .

القول في تأويل قوله تعالى : ﴿ وَمَا نَرَى مَعَكُمْ شُفَعَاءَكُمُ الَّذِينَ زَعَمْتُمْ أَنَّهُمْ فِيكُمْ شُرَكَاءُ ﴾

يقول تعالى ذكره لهؤلاء العادلين بربهم الأنداد يوم القيامة : ما نرى معكم شفعاءكم الذين كنتم فى الدنيا تزعمون أنهم يشفعون لكم عند ربكم يوم القيامة ، وقد ذكر أن هذه الآية نزلت فى النضر بن الحرث لقيله : إن اللات والعزّى يشفعان له عند الله يوم القيامة ، وقيل : إن ذلك كان قول كافة عبدة الأوثان .

(١) كذا فى الأصول . وفيه تحريف .

(٢) ورد البيت الثانى من هذين البيتين فى (اللسان : خول) منسوبا لأبى النجم . ولم يبخل : بتشديد الخاء : أى لم ينسب إلى البخل ، لأنه أعطى عطاء جزلا . وكوم : جمع كوماء ، وهى الناقة الضخمة السنام . والذرا : جمع ذروة ، وهى أعلى الشىء ، والمقصود بالذرا هنا : الأسنمة . والخول : ما أعطى الله الإنسان من العبيد والخدم ، هذا أصله ، والمراد هنا أنه أعطى مما ملك وخول من الأموال ، وهى الإبل . والمخول : بصيغة اسم المفعول : أى المعطى الذى خوله الله وملكه المال والعبيد . وبصيغة اسم الفاعل ، هو المعطى للأموال تفضلا .

(٣) البيت لزهير كما فى (لسان العرب : خيل وخول . ومختار الشعر الجاهلى طبعة الحلبى ص ٢٣٩) ويستخولوا : قال فى اللسان : والاستخوال : مثل الاستخبال ، من أخبلته المال إذا أعرته ناقة لينتفع بألبانها وأوبارها ، أو فرسا يغزو عليه . ومنه قول زهير : هنالك . . . البيت . وييسروا : يقامروا . ويغلوا : يختاروا سمان الإبل وأحاسنها بإذلين فيها غالى الثمن .

ذكر من قال ذلك

حدثنى محمد بن الحسين ، قال : ثنا أحمد بن المفضل ، قال : ثنا أسباط ، عن السدىّ ، أما قوله (وَمَا نَرَى مَعَكُمْ شُفَعَاءَكُمُ الَّذِينَ زَعَمْتُمْ أَنَّهُمْ فِيكُمْ شُرَكَاءُ) فإن المشركين كانوا يزعمون أنهم كانوا يعبدون الآلهة ؛ لأنهم شفعاء ؛ يشفعون لهم عند الله ؛ وأن هذه الآلهة شركاء لله .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، قال : قال ابن جريج : أخبرنى الحكم بن أبان عن عكرمة ، قال : قال النضر بن الحرث : سوف تشفع لى اللات والعزّى ، فنزلت هذه الآية : (وَلَقَدْ جِئْتُمُونَا فُرَادَى كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ) . . . إلى قوله (شُرَكَاءَ) .

القول في تأويل قوله تعالى : ﴿ لَقَدْ تَقَطَّعَ بَيْنَكُمْ ، وَضَلَّ عَنْكُمْ ما كُنْتُمْ تَزْعُمُونَ ﴾ :

يقول تعالى مخبرا عن قيله يوم القيامة لهؤلاء المشركين به الأنداد (لَقَدْ تَقَطَّعَ بَيْنَكُمْ) يعنى : تواصلهم الذى كان بينهم فى الدنيا ، ذهب ذلك اليوم ، فلا تواصل بينهم ولا توادّ ولا تناصر ، وقد كانوا فى الدنيا يتواصلون ، ويتناصرون ، فاضمحلّ ذلك كله فى الآخرة ، فلا أحد منهم ينصر صاحبه ولا يواصله .

وبنحو ما قلنا فى ذلك ، قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبوعاصم ، قال : ثنا عيسى ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد (لَقَدْ تَقَطَّعَ بَيْنَكُمْ) البين : تواصلهم .

حدثنى المثنى ، قال : ثنا أبوحذيفة ، قال : ثنا شبل ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد (لَقَدْ تَقَطَّعَ بَيْنَكُمْ) قال : تواصلهم فى الدنيا .

حدثنا محمد بن عبدالأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة (لَقَدْ تَقَطَّعَ بَيْنَكُمْ) قال : وصلكم .

وحدثنا الحسن بن يحيى ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا معمر ، عن قتادة ، فى قوله (لَقَدْ تَقَطَّعَ بَيْنَكُمْ) قال : ماكان بينكم من الوصل .

حدثنى المثنى ، قال : ثنا عبد الله بن صالح ، قال ثنى معاوية بن صالح ، عن علىّ بن أبى طلحة ، عن ابن عباس (لَقَدْ تَقَطَّعَ بَيْنَكُمْ وَضَلَّ عَنْكُمْ ما كُنْتُمْ تَزْعُمُونَ) يعنى : الأرحام والمنازل .

حدثنى محمد بن الحسين ، قال : ثنا أحمد بن المفضل ، قال : ثنا أسباط ، عن السدىّ (لَقَدْ تَقَطَّعَ بَيْنَكُمْ) يقول : تقطع ما بينكم .

حدثنا أبوكريب ، قال : قال أبوبكر بن عياش (لَقَدْ تَقَطَّعَ بَيْنَكُمْ) : التواصل فى الدنيا .

واختلفت القرّاء فى قوله (بَيْنَكُمْ) فقرأته عامة قرّاء أهل المدينة نصبا بمعنى لقد تقطع ما بينكم ، وقرأ ذلك عامة قرّاء مكة والعراقيين (لَقَدْ تَقَطَّعَ بَيْنُكُمْ) رفعا بمعنى : لقد تقطع وصلكم .

والصواب من القول عندى فى ذلك أن يقال : إنهما قراءتان مشهورتان باتفاق المعنى ، فبأيتهما قرأ

القارئ فمصيب الصواب ، وذلك أن العرب قد تنصب بين فى موضع الاسم ذكر سماعا منها إيابى نحوك ودُونَك وسواءَك نصبا فى موضع الرفع ، وقد ذكر عنها سماعا الرفع فى بين إذا كان الفعل لها ، وجُعلت اسما وينشد بيت مهلهل :

كأنَّ رِماحَهُمْ أشْطانُ بئْرٍ بعيــدٍ بينُ جالَيْها جَرُورِ[١]

برفع بين إذا كانت اسما ، غير أن الأغلب عليهم فى كلامهم النصب فيها فى حال كونها صفة ، وفى حال كونها اسما .

وأما قوله (وَضَلَّ عَنْكُمْ ما كُنْتُمْ تَزْعُمُونَ) فإنه يقول : وحاد عن طريقكم ومناهجكم ما كنتم من آلهتكم تزعمون أنه شريك ربكم ، وأنه لكم شفيع عند ربكم ، فلا يشفع لكم اليوم .

القول فى تأويل قوله تعالى :

﴿ إِنَّ ٱللَّهَ فَالِقُ ٱلْحَبِّ وَٱلنَّوَىٰ يُخْرِجُ ٱلْحَيَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَمُخْرِجُ ٱلْمَيِّتِ مِنَ ٱلْحَيِّ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ فَأَنَّىٰ تُؤْفَكُونَ ﴾ ٩٥

❁ وهذا تنبيه من الله جلّ ثناؤه ، هؤلاء العادلين به الآلهة والأوثان ، على موضع حجته عليهم ، وتعريف منه لهم خطأ ما هم عليه مقيمون من إشراك الأصنام فى عبادتهم إياه ، يقول تعالى ذكره : إن الذى له العبادة أيها الناس دون كلّ ما تعبدون من الآلهة والأوثان ، هو الله الذى فلق الحبّ ، يعنى : شقّ الحبّ من كلّ ما ينبت من النبات ، فأخرج منه الزرع والنوى من كلّ ما يغرس مما له نواة ، فأخرج منه الشجر والحبّ جمع حبة ، والنوى : جمع النواة .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك ، قال جماعة من أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنى محمد بن الحسين ، قال : ثنا أحمد بن المفضل ، قال : ثنا أسباط ، عن السدىّ (إنَّ اللهَ فالِقُ الحَبِّ والنَّوَى) أما فالق الحبّ والنوى ، ففالق الحبّ عن السنبلة ، وفالق النواة عن النخلة .

حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة (فالِقُ الحَبِّ والنَّوَى) قال : يفلق الحبّ والنوى عن النبات .

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله (فالِقُ الحَبِّ والنَّوَى) قال : الله فالق ذلك ، فلقه فأنبت منه ما أنبت ، فلق النواة ، فأخرج منها نبات نخلة ، وفلق الحبة ، فأخرج نبات الذى خلق .

(١) البيت لمهلهل بن ربيعة (شعراء النصرانية ١ : ١٧٠) من قصيدته التى مطلعها : « أليلتنا بذى حسم أنيرى » . وأشطان البئر : جمع شطن بوزن سبب ، وهو الحبل الذى يستقى به . والجال والجول والجيل : ناحية البئر وجانبها . يريد : أن جوانبها متباعدة والجرور من الركايا والآبار : البعيدة القعر . يريد أن رماح هؤلاء القوم تضطرب فى أيديهم للدونتها ، كما تضطرب الأرشية فى الطوى الواسعة البعيدة القعر .

وقال آخرون : معنى فالق : خالق .

ذكر من قال ذلك

حدثنا هناد بن السرىّ ، قال : ثنا مروان بن معاوية ، عن جويبر ، عن الضحاك ، فى قوله (إنَّ اللهَ فالِقُ الحَبِّ والنَّوَى) قال : خالق الحبّ والنوى .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا المحاربى ، عن جويبر ، عن الضحاك ، مثله .

حدثنى محمد بن سعد ، قال : ثنى أبى ، قال : ثنى عمى ، قال : ثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس : قوله (إنَّ اللهَ فالِقُ الحَبِّ والنَّوَى) قال : خالق الحبّ والنوى .

وقال آخرون : معنى ذلك أنه فلق الشقّ الذى فى الحبة والنواة .

ذكر من قال ذلك

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، فى قول الله (فالِقُ الحَبِّ والنَّوَى) قال : الشقان اللذان فيهما .

حدثنى المثنى ، قال : ثنا أبو حذيفة ، قال : ثنا شبل ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، مثله .

حدثنى المثنى ، قال : ثنا معلى بن أسد ، قال : ثنا خالد ، عن حصين ، عن أبى مالك ، فى قول الله (إنَّ اللهَ فالِقُ الحَبِّ والنَّوَى) قال : الشقّ الذى يكون فى النواة وفى الحنطة .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا حكام ، عن عنبسة ، عن محمد بن عبد الرحمن بن أبى ليلى ، عن القاسم ابن أبى بزّة ، عن مجاهد (فالِقُ الحَبِّ والنَّوَى) قال : الشقان اللذان فيهما .

حُدثت عن الحسين بن الفرج ، قال : سمعت أبا معاذ ، قال : ثنى عبيد بن سليمان ، قال : سمعت الضحاك يقول فى قوله (فالِقُ الحَبِّ والنَّوَى) يقول : خالق الحبّ والنوى ، يعنى : كل حبة .

⁂ وأولى الأقوال فى ذلك بالصواب عندى ما قدمنا القول به ، وذلك أن الله جلّ ثناؤه أتبع ذلك بإخباره عن إخراجه الحىّ من الميت والميت من الحىّ ، فكان معلوما بذلك أنه إنما عنى بإخباره عن نفسه ، أنه فالق الحبّ عن النبات ، والنوى عن الغروس والأشجار ، كما هو مخرج الحىّ من الميت ، والميت من الحىّ . وأما القول الذى حُكى عن الضحاك فى معنى فالق أنه خالق ، فقول إن لم يكن أراد به أنه خالق منه النبات والغروس بفلقه إياه ، لا أعرف له وجها ، لأنه لا يُعرف فى كلام العرب فلق الله الشىء بمعنى : خلق .

القول فى تأويل قوله تعالى : ﴿ يُخْرِجُ الحَىَّ مِنَ المَيِّتِ ، وَمُخْرِجُ المَيِّتِ مِنَ الحَىِّ ، ذَلِكُمُ اللهُ فَأَنَّى تُؤْفَكُونَ ﴾ :

يقول تعالى ذكره : يخرج السنبل الحىّ من الحبّ الميت ، ومخرج الحبّ الميت من السنبل الحىّ ، والشجر الحىّ من النوى الميت ، والنوى الميت من الشجر الحىّ ، والشجر ما دام قائما على أصوله لم يجفّ ، والنبات على ساقه لم ييبس ، فإن العرب تسميه حيا ، فإذا يبس وجفّ أو قطع من أصله سموه ميتا .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك ، قال جماعة من أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن الحسين ، قال : ثنا أحمد بن المفضل ، قال : ثنا أسباط ، عن السدىّ ، أما (يُخْرِجُ الحَىَّ مِنَ المَيِّتِ) فيخرج السنبلة الحية من الحبة الميتة ، ويخرج الحبة الميتة من السنبلة الحية ، ويخرج النخلة الحية من النواة الميتة ، ويخرج النواة الميتة من النخلة الحية .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبى ، عن سفيان ، عن السدىّ ، عن أبى مالك (يُخْرِجُ الحَىَّ مِنَ المَيِّتِ وَمُخْرِجُ المَيِّتِ مِنَ الحَىِّ) قال : النخلة من النواة ، والنواة من النخلة ، والحبة من السنبلة ، والسنبلة من الحبة .

وقال آخرون بما حدثنى به المثنى ، قال : ثنا عبد الله بن صالح ، قال : ثنى معاوية بن صالح ، عن علىّ ابن أبى طلحة ، عن ابن عباس ، قوله (إِنَّ اللهَ فالِقُ الحَبِّ والنَّوَى ، يُخْرِجُ الحَىَّ مِنَ المَيِّتِ ، وَمُخْرِجُ المَيِّتِ مِنَ الحَىِّ) قال : يخرج النطفة الميتة من الحىّ ، ثم يخرج من النطفة بشرا حيا .

﴿ وإنما اخترنا التأويل الذى اخترنا فى ذلك ، لأنه عقيب قوله (إِنَّ اللهَ فالِقُ الحَبِّ والنَّوَى) على أن قوله (يُخْرِجُ الحَىَّ مِنَ المَيِّتِ وَمُخْرِجُ المَيِّتِ مِنَ الحَىِّ) وإن كان خبرا من الله عن إخراجه من الحبّ السنبل ، ومن السنبل الحبّ ، فإنه داخل فى عمومه ما روى عن ابن عباس فى تأويل ذلك : وكلّ ميت أخرجه الله من جسم حىّ ، وكلّ حىّ أخرجه الله من جسم ميت .

وأما قوله (ذَلِكُمُ اللهُ) فإنه يقول : فاعل ذلك كله ، الله جلّ جلاله (فَأَنَّى تُؤْفَكُونَ) يقول : فأىّ وجوه الصدّ عن الحقّ أيها الجاهلون تصدّون عن الصواب ، وتصرفون ، أفلا تتدبرون ، فتعلمون أنه لا ينبغى أن يجعل لمن أنعم عليكم بفلق الحبّ والنوى ، فأخرج لكم من يابس الحبّ والنوى زروعا وحروثا وثمارا تتغذون ببعضه ، وتفكهون ببعضه ، شريك فى عبادته ما لا يضرّ ، ولا ينفع ، ولا يسمع ، ولا يبصر .

القول فى تأويل قوله تعالى :

﴿ فَالِقُ الْإِصْبَاحِ وَجَعَلَ الَّيْلَ سَكَنًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ حُسْبَانًا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ ﴿٩٦﴾

﴿ يعنى بقوله (فالِقُ الإِصْباحِ) : شاقّ عمود الصبح عن ظلمة الليل وسواده ، والإصباح : مصدر من قول القائل : أصبحنا إصباحا .

وبنحو ما قلنا فى ذلك قال عامة أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا المحاربى ، عن جويبر ، عن الضحاك (فالِقُ الإِصْباحِ) قال : إضاءة الصبح .

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد (فالِقُ الإِصْباحِ) قال : إضاءة الفجر .

حدثنى المثنى ، قال : ثنا أبوحذيفة ، قال : ثنا شبل ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، مثله .

حدثنا الحسن بن يحيى ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا معمر ، عن قتادة ، فى قوله (فالِقُ الإصْباحِ) قال : فالق الصبح .

حدثنى المثنى ، قال : ثنا أبوصالح ، قال : ثنى معاوية بن صالح ، عن علىّ بن أبى طلحة ، عن ابن عباس ، فى قوله (فالِقُ الإصْباحِ) يعنى بالإصباح : ضوء الشمس بالنهار ، وضوء القمر بالليل .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا حكام ، قال : ثنا عنبسة ، عن محمد بن عبد الرحمن بن أبى ليلى ، عن القاسم ابن أبى بزّة ، عن مجاهد (فالِقُ الإصْباحِ) قال : فالق الصبح .

حدثنا به ابن حميد مرّة بهذا الإسناد، عن مجاهد ، فقال فى قوله (فالِقُ الإصْباحِ) قال : إضاءة الصبح .

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله (فالِقُ الإصْباحِ) قال : فلق الإصباح عن الليل .

حُدثت عن الحسين بن الفرج ، قال : سمعت أبا معاذ ، يقول : ثنا عبيد بن سليمان ، قال : سمعت الضحاك يقول فى قوله (فالِقُ الإصْباحِ) يقول : خالق النور ، نور النهار .

وقال آخرون : معنى ذلك : خالق الليل والنهار .

ذكر من قال ذلك

حدثنا محمد بن سعد ، قال : ثنى أبى ، قال : ثنى عمى ، قال : ثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس فى قوله (فالِقُ الإصباحِ وجاعلُ الليلِ سكَنا) يقول : خلق الليل والنهار . وذكر عن الحسن البصرى أنه كان يقرأ فى قوله (فالِقُ الإصْباحِ) بفتح الألف كأنه تأوّل ذلك بمعنى جمع صبح ، كأنه أراد صبح كلّ يوم ، فجعله أصباحا ، ولم يبلغنا عن أحد سواه أنه قرأ كذلك ، والقراءة التى لانستجيز غيرها بكسر الألف (فالِقُ الإصْباحِ) لإجماع الحجة من القرّاء وأهل التأويل على صحة ذلك ، ورفض خلافه .

وأما قوله (وَجاعِلُ اللَّيْلِ سَكَنا) فإن القرّاء اختلفت فى قراءته ، فقرأ ذلك عامة قرّاء الحجاز والمدينة وبعض البصريين (وَجاعِلُ اللَّيْلِ) بالألف. على لفظ الاسم ورفعه عطفا على فالق ، وخفض الليل بإضافة جاعل إليه ، ونصب الشمس والقمر عطفا على موضع الليل ، لأن الليل وإن كان مخفوضا فى اللفظ ، فإنه فى موضع النصب ، لأنه مفعول جاعل ، وحَسُن عطف ذلك على معنى الليل لا على لفظه ، لدخول قوله (سَكَناً) بينه وبين الليل ؛ قال الشاعر :

قُعُوداً لَدَى الأبْوَابِ طُلاَّبَ حاجَةٍ عَوَانٍ مِنَ الحاجاتِ أوْ حاجَةً بِكْرَا[1]

فنصب الحاجة الثانية عطفا بها على معنى الحاجة الأولى ، لا على لفظها ، لأن معناها النصب ، وإن كانت

(١) قعودا : جمع قاعد . والحاجة العوان : الكبيرة . والبكر : الصغيرة . وأصل العوان من الحيوان : النصف فى سنها من كل شىء . والبكر : الصغيرة التى لم تتزوج . ولم أعرف قائل البيت .

فى اللفظ خفضا ، وقد يجيء مثل هذا أيضا معطوفا بالثانى على معنى الذى قبله ، لاعلى لفظه ، وإن لم يكن بينهما حائل ، كما قال بعضهم :

فَبَيْنَا نَحْنُ نَنْظُرُهُ أتانَا مُعَلِّقَ شَكْوَةٍ وزِنادَ رَاعِ[١]

وقرأ ذلك عامة قرّاء الكوفيين (وَجَعَلَ اللَّيْلَ سَكَنًا والشَّمْسَ) على فَعَلَ بمعنى الفعل الماضى ونصب الليل .

والصواب من القول فى ذلك عندنا أن يقال : إنهما قراءتان مستفيضتان فى قراءة الأمصار ، متفقتا المعنى غير مختلفتيه ، فبأيتهما قرأ القارئ فهو مصيب فى الإعراب والمعنى ، وأخبر جلّ ثناؤه أنه جعل الليل سكنا ، لأنه يسكن فيه كلّ متحرّك بالنهار ، ويهدأ فيه ، فيستقرّ فى مسكنه ومأواه .

القول في تأويل قوله تعالى : ﴿ والشَّمْسَ والقَمَرَ حُسْبَاناً ﴾ :

قال أبو جعفر : اختلف أهل التأويل فى ذلك ، فقال بعضهم : معنى ذلك : وجعل الشمس والقمر يجريان فى أفلاكهما بحساب .

ذكر من قال ذلك

حدثنى المثنى ، قال : ثنا عبد الله بن صالح ، قال : ثنى معاوية بن صالح ، عن علىّ بن أبى طلحة ، عن ابن عباس (والشَّمْسَ والقَمَرَ حُسْبَاناً) يعنى : عدد الأيام والشهور والسنين .

حدثنى محمد بن سعد ، قال : ثنى أبى ، قال : ثنى عمى ، قال : ثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس (والشَّمْسَ والقَمَرَ حُسْبَاناً) قال : يجريان إلى أجل جُعِل لهما .

حدثنى محمد بن الحسين ، قال : ثنا أحمد بن المفضل ، قال : ثنا أسباط ، عن السدىّ (والشَّمْسَ والقَمَرَ حُسْبَاناً) يقول : بحساب .

حدثنى المثنى ، قال : ثنا إسحاق ، قال : ثنا عبد الله بن أبى جعفر ، عن أبيه ، عن الربيع ، فى قوله (والشَّمْسَ والقَمَرَ حُسْبَاناً) قال : الشمس والقمر فى حساب ، فإذا خلت أيامهما فذاك آخر الدهر ، وأوّل الفزع الأكبر (ذَلِكَ تَقْدِيرُ العَزِيزِ العَلِيمِ) .

حدثنا الحسن بن يحيى ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا معمر ، عن قتادة ، فى قوله (والشَّمْسَ والقَمَرَ حُسْبَاناً) قال : يدوران فى حساب .

---

(١) رواية البيت فى (اللسان : بين) :

فبينا نحن نرقبه أتانا معلق وفضة وزناد راع

قال : إنما أراد : بين نحن نرقبه أتانا ، فأشبع الفتحة ، فحدثت بعدها ألف . وقد شرحنا هذا الشاهد فى الجزء الأول من سر صناعة الإعراب لابن جنى طبعة الحلبى (١ : ٢٧) . والوفضة : خريطة يحمل فيها الراعى أداته وزاده ، جمعها وفاض . وفى رواية المؤلف كما فى الصاحبى لابن فارس ص ١١٨ « شكوة » فى موضع وفضة ، وهى : وعاء من أدم يبرد فيه الماء ويحبس فيه اللبن ؛ والجمع : شكوات وشكاء . والزناد : مفرد كالزند ، ماتقتدح به النار ، وقد يكون جمعا لزند . وأنشد سيبويه البيت فى الكتاب (١ : ٨٧) « بينا نحن نطلبه . . . الخ » وقال الأعلم : الشاهد فيه : نصب زناد ، حملا على موضع الوفضة ، لأن المعنى يعلق وفضة وزناد راعى . والوفضة : الكنانة .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد (وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ حُسْبَاناً) قال : هو مثل قوله (كُلٌّ فِى فَلَكٍ يَسْبَحُونَ) ، ومثل قوله (الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ بِحُسْبَانٍ) .

وقال آخرون : معنى ذلك : وجعل الشمس والقمر ضياء .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر بن معاذ ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ حُسْبَاناً) أى ضياء .

۞ وأولى القولين فى تأويل ذلك عندى بالصواب تأويل من تأوّله : وجعل الشمس والقمر يجريان بحساب وعدد لبلوغ أمرهما ، ونهاية آجالهما ، ويدوران لمصالح الخلق التى جُعِلا لها .

وإنما قلنا : ذلك أولى التأويلين بالآية ، لأن الله تعالى ذِكره ذكر قبله أياديه عند خلقه ، وعظم سلطانه بفلقه الإصباح لهم ، وإخراج النبات والغراس من الحبّ والنوى ، وعقب ذلك بذكره خلق النجوم لهدايتهم فى البرّ والبحر ، فكان وصفه إجراءه الشمس والقمر لمنافعهم أشبه بهذا الموضع من ذكر إضاءتهما لأنه قد وصف ذلك قبلُ بقوله (فَالِقُ الإِصْبَاحِ) فلا معنى لتكريره مرّة أخرى فى آية واحدة لغير معنى . والحسبان فى كلام العرب : جمع حساب ، كما الشهبان جمع شهاب ؛ وقد قيل : إن الحسبان فى هذا الموضع مصدر من قول القائل : حَسَبْتُ الحساب أحْسُبه حِسابا وحُسْبانا . وحُكى عن العرب على الله حسْبان فلان وحسبته : أى حسابه ، وأحسب أن قتادة فى تأويل ذلك بمعنى الضياء ، ذهب إلى شىء يروَى عن ابن عباس فى قوله (أَوْ يُرْسِلَ عَلَيْهَا حُسْبَانا مِنَ السَّمَاءِ) قال : نارا ، فوجه تأويل قوله (وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ حُسْبَانا) إلى ذلك التأويل ، وليس هذا من ذلك المعنى فى شىء . وأما الحِسبان بكسر الحاء : فإنه جمع الحِسبانة : وهى الوسادة الصغيرة ، وليست من الأولين أيضا فى شىء ، يقال : حسبته : أجلسته عليها ، ونصب قوله (حُسْبَانا) بقوله (وَجَعَلَ) . وكان بعض البصريين يقول : معناه : و(الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ حُسْبَانا) أى بحساب ، فحذف الباء كما حذفها من قوله (هُوَ أَعْلَمُ مَنْ يَضِلُّ عَنْ سَبِيلِهِ) : أى أعلم بمن يضلّ عن سبيله .

القول فى تأويل قوله تعالى : ﴿ ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ ﴾ :

يقول تعالى ذكره : وهذا الفعل الذى وصفه أنه فعله ، وهو فلقه الإصباح ، وجعله الليل سكنا ، والشمس والقمر حُسبانا ، تقدير الذى عزّ سلطانه ، فلا يقدر أحد أراده بسوء وعقاب ، أو انتقام من الامتناع منه ، العليم بمصالح خلقه وتدبيرهم ، لاتقدير الأصنام والأوثان ، التى لاتسمع ، ولا تبصر ، ولا تفقه شيئا ، ولا تعقله ، ولا تضرّ ، ولا تنفع ، وإن أريدت بسوء لم تقدر على الامتناع منه ممن أرادها به ، يقول جلّ ثناؤه : وأخلصوا أيها الجهلة عبادتكم لفاعل هذه الأشياء ، ولا تشركوا فى عبادته شيئا غيره .

القول في تأويل قوله تعالى:

وَهُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلنُّجُومَ لِتَهْتَدُوا۟ بِهَا فِى ظُلُمَٰتِ ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ قَدْ فَصَّلْنَا ٱلْءَايَٰتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿٩٧﴾

يقول تعالى ذكره : والله الذى جعل لكم أيها الناس النجوم أدلة فى البرّ والبحر إذا ضللتم الطريق، أو تحيرتم ، فلم تهتدوا فيها ليلا تستدلون بها على المحجة ، فتهتدون بها إلى الطريق والمحجة فتسلكونه، وتنجون بها من ظلمات ذلك ، كما قال جلّ ثناؤه (وَعَلاماتٍ وَبِالنَّجْمِ هُمْ يَهْتَدُونَ) : أى من ضلال الطريق فى البرّ والبحر . وعنى بالظلمات : ظلمة الليل، وظلمة الخطأ والضلال ، وظلمة الأرض أو الماء، وقوله (قَدْ فَصَّلْنَا الآياتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ) يقول ؛ قد ميزنا الأدلة، وفرّقنا الحجج فيكم وبيناها أيها الناس ليتدبرها أولوا العلم بالله منكم ، ويفهمها أولو الحجا منكم ، فينيبوا من جهلهم الذى هم عليه مقيمون ، وينزجروا عن خطأ فعلهم الذى هم عليه ثابتون ، ولا يتمادوا فى عناد الله مع علمهم بأن ما هم عليه مقيمون ، خطأ فى غيهم .

وبنحو ما قلنا فى ذلك ، قال جماعة من أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنى محمد بن سعد ، قال : ثنى أبى ، قال : ثنى عمى ، قال : ثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس قوله (وَهُوَ الَّذِى جَعَلَ لَكُمُ النُّجُومَ لِتَهْتَدُوا بِها فِى ظُلُماتِ البَرِّ والبَحْرِ) قال : يضلّ الرجل وهو فى الظلمة والجور عن الطريق .

القول في تأويل قوله تعالى:

وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَنشَأَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ فَمُسْتَقَرٌّ وَمُسْتَوْدَعٌ قَدْ فَصَّلْنَا ٱلْءَايَٰتِ لِقَوْمٍ يَفْقَهُونَ ﴿٩٨﴾

يقول تعالى ذكره : وإلهكم أيها العادلون بالله غيره (الَّذِى أَنْشَأَكُمْ) يعنى : الذى ابتدأ خلقكم من غير شىء فأوجدكم بعد أن لم تكونوا شيئا (مِنْ نَفْسٍ واحِدَةٍ) يعنى : من آدم عليه السلام .

كما حدثنى محمد بن الحسين، قال : ثنا أحمد بن المفضل ، قال : حدثنا أسباط ، عن السُّدىّ (مِنْ نَفْسٍ واحِدَةٍ) قال : آدم عليه السلام .

حدثنا بشر بن معاذ ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة، قوله (وَهُوَ الَّذِى أَنْشأَكُمْ مِنْ نَفْسٍ واحِدَةٍ) من آدم عليه السلام .

وأما قوله (فَمُسْتَقَرٌّ ومُسْتَوْدَعٌ) فإن أهل التأويل فى تأويله مختلفون ؛ فقال بعضهم : معنى ذلك :

وهو الذى أنشأكم من نفس واحدة ، فنكم مستقرّ فى الرحم ، ومنكم مستودَع فى القبر ، حتى يبعثه الله لنشر القيامة .

ذكر من قال ذلك

(حدثنا أبوكريب ، قال : ثنا أبو معاوية ، عن إسماعيل بن أبى خالد ، عن إبراهيم ، عن عبد الله يَعْلَمُ مُسْتَقَرَّها وَمُسْتَوْدَعَها) قال : مستقرّها فى الأرحام ، ومستودعها حيث تموت .

حدثنى يعقوب ، قال : ثنا هشيم ، عن إسماعيل ، عن إبراهيم ، عن عبد الله أنه قال : المستودع حيث تموت ، والمستقرّ : ما فى الرحم .

حُدثت عن عبيد الله بن موسى ، عن إسرائيل ، عن السُّدىّ ، عن مرّة ، عن عبد الله بن مسعود ، قال : المستقرّ الرحم ، والمستودع : المكان الذى تموت فيه .

حدثنى محمد بن عبيد المحاربى ، قال : ثنا محمد بن فضيل وعلىّ بن هاشم ، عن إسماعيل بن أبى خالد، عن إبراهيم (يَعْلَمُ مُسْتَقَرَّها وَمُسْتَوْدَعَها) قال : مستقرّها فى الأرحام ، ومستودعها فى الأرض حيث تموت فيها .

حدثنا أبو كريب وأبو السائب ، قالا : ثنا ابن إدريس ، عن ليث ، عن مِقْسِم ، قال : مستقرّها فى الصلب حيث تأوى إليه ، ومستودعها حيث تموت .

وقال آخرون : المستودع : ما كان فى أصلاب الآباء ، والمستقرّ : ما كان فى بطون النساء ، وبطون الأرض ، أو على ظهورها .

ذكر من قال ذلك

حدثنى يعقوب بن إبراهيم ، قال : ثنا ابن علية ، قال : ثنا كلثوم بن جبر ، عن سعيد بن جبير ، فى قوله (فَمُسْتَقَرٌّ ومُسْتَوْدَعٌ) قال : مستودَعون ما كانوا فى أصلاب الرجال، فإذا قرّوا فى أرحام النساء أو على ظهر الأرض ، أو فى بطنها ، فقد استقرّوا .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا ابن علية ، عن كلثوم بن جبر ، عن سعيد بن جبير (فَمُسْتَقَرٌّ ومُسْتَوْدَعٌ) قال : المستودعون : ما كانوا فى أصلاب الرجال ، فإذا قرّوا فى أرحام النساء ، أو على ظهر الأرض ، فقد استقرّوا .

حدثنا محمد بن المثنى ، قال : ثنا محمد بن جعفر ، قال : ثنا شعبة ، عن المغيرة بن النعمان ، عن سعيد ابن جبير ، قال : قال ابن عباس (يَعْلَمُ مُسْتَقَرَّها وَمُسْتَوْدَعَها) قال : المستودع فى الصلب ، والمستقرّ : ما كان على وجه الأرض أو فى الأرض .

وقال آخرون : بل معنى ذلك : فمستقرّ فى الأرض على ظهورها ، ومستودَع عند الله .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا يحيى بن يمان ، عن سفيان ، عن المغيرة ، عن أبي الخير تميم بن حذلم ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس : المستقرّ : الأرض ، والمستودع عند الرحمن .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا عبيد الله ، عن إسرائيل ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد . قال : المستقرّ الأرض ، والمستودع : عند ربك .

حدثنا الحسن بن يحيى ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا ابن عيينة ، عن إسماعيل بن أبي خالد ، عن إبراهيم ، قال : قال عبد الله : مستقرّها في الدنيا ، ومستودعها في الآخرة ، يعني : (فَمُسْتَقَرٌّ وَمُسْتَوْدَعٌ) .

حدثني المثنى ، قال : ثنا سويد بن نصر ، قال : أخبرنا ابن المبارك ، عن شعبة ، عن أبي بشر ، عن سعيد بن جبير ، قال : المستودع : في الصلب ، والمستقرّ : في الآخرة وعلى وجه الأرض .

وقال آخرون : معنى ذلك : فمستقرّ في الرحم ، ومستودع في الصلب .

ذكر من قال ذلك

حدثنا هناد ، قال : ثنا أبو الأحوص ، عن أبي الحرث ، عن عكرمة ، عن ابن عباس ، في قول الله (فَمُسْتَقَرٌّ وَمُسْتَوْدَعٌ) قال : مستقرّ في الرحم ، ومستودع في صلب لم يخلق وسيخلق .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا جرير ، عن يحيى الجابري ، عن عكرمة (فَمُسْتَقَرٌّ وَمُسْتَوْدَعٌ) قال : المستقر : الذي قد استقرّ في الرحم ، والمستودع : الذي قد استودع في الصلب .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا جرير ، عن مغيرة ، عن أبي الخير تميم ، عن سعيد بن جبير ، قال ابن عباس : سل ، فقلت (مُسْتَقَرٌّ وَمُسْتَوْدَعٌ) قال : المستقرّ : في الرحم ، والمستودع : ما استودع في الصلب .

حدثنا أبو كريب وأبو السائب ، قالا : ثنا ابن إدريس ، عن قابوس ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، في قوله (فَمُسْتَقَرٌّ ومُسْتَوْدَعٌ) قال : المستقرّ : الرحم ، والمستودع : ما كان عند ربّ العالمين مما هو خالقه ولم يخلق .

حدثني يعقوب ، قال : ثنا هشيم ، قال : أخبرنا أبو بشر ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس ، في قوله (يَعْلَمُ مُسْتَقَرَّها وَمُسْتَوْدَعَها) قال : المستقرّ : ما كان في الرحم مما هو حيّ ، ومما قد مات ؛ والمستودع : ما في الصلب .

حدثني يعقوب ، قال : ثنا هشيم ، قال : أخبرنا أبو بشر ، عن سعيد بن جبير ، قال : قال لي ابن عباس ، وذلك قبل أن يخرج وجهي : أتزوّجت يا ابن جبير ؟ قال : قلت : لا ، وما أريد ذاك يومي هذا ، قال : فقال : أما إنه مع ذلك سيخرج ما كان في صلبك من المستودعين .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا محمد بن جعفر ، قال : حدثنا شعبة ، عن أبي بشر ، عن سعيد بن جبير ،

قال : قال لى ابن عباس : تزوّجتَ ؟ قلت : لا ، قال : فضرب ظهرى وقال : ما كان من مستودع فى ظهرك سيخرج .

حدثنى محمد بن سعد ، قال : ثنى أبى ، قال : ثنى عمى ، قال : ثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس قوله (فَمُسْتَقَرٌّ ومُسْتَوْدَعٌ) قال : المستقرّ فى الأرحام ، والمستودع فى الصلب لم يخلق وهو خالقه .

حدثنى المثنى ، قال : ثنا عبدالله بن صالح ، قال : ثنى معاوية بن صالح ، عن علىّ بن أبى طلحة ، عن ابن عباس (فَمُسْتَقَرٌّ ومُسْتَوْدَعٌ) قال : المستقرّ فى الرحم ، والمستودع : ما استودع فى أصلاب الرجال والدوابّ .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا جرير ، عن ليث ، عن مجاهد ، قال : المستقرّ : ما استقرّ فى الرحم والمستودع : ما استودع فى الصلب .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا جرير ، عن مغيرة ، عن أبى الخير تميم ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس ، بنحوه .

حدثنا هناد ، قال : ثنا عبيدة بن حميد ، عن عمار الدهنى ، عن رجل ، عن كريب ، قال : دعانى ابن عباس ، فقال : اكتب بسم الله الرحمن الرحيم ، من عبد الله بن عباس ، إلى فلان حبر تيماء : سلام عليك ، فإنى أحمد إليك الله ، الذى لاإله إلا هو ، أما بعد : قال : فقلت : تبدؤه تقول : السلام عليك ؟ فقال : إن الله هو السلام ، ثم قال : اكتب : سلام عليك ، أما بعد : فحدّثنى عن مستقرّ ومستودع ، قال : ثم بعثنى بالكتاب إلى اليهودى ، فأعطيته إياه ؛ فلما نظر إليه قال : مرحبا بكتاب خليلى من المسلمين ، فذهب بى إلى بيته ، ففتح أسفاطا له كبيرة ، فجعل يطرح تلك الأشياء لايلتفت إليها ، قال : قلت : ما شأنك ؟ قال : هذه أشياء كتبها اليهود ، حتى أخرج سِفر موسى عليه السلام ، قال : فنظر إليه مرّتين ، فقال : المستقرّ : الرحم ، قال : ثم قرأ (ونُقِرُّ فِى الأَرْحام ما نَشاءُ) ، وقرأ (ولَكُمْ فِى الأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتاعٌ) قال : مستقرّه فوق الأرض ، ومستقرّه فى الرحم ، ومستقرّه تحت الأرض ، حتى يصير إلى الجنة ، أو إلى النار .

حدثنا هناد ، قال : ثنا قبيصة ، عن سفيان ، عن ابن جريج ، عن عطاء (فَمُسْتَقَرٌّ ومُسْتَوْدَعٌ) قال : المستقرّ : ما استقرّ فى أرحام النساء ، والمستودع : ما استودع فى أصلاب الرجال .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا عبيد الله ، عن سفيان ، عن ابن جريج ، عن عطاء ، قال : المستقرّ : الرحم ، والمستودع : فى أصلاب الرجال .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا روح بن عبادة ، عن ابن جريج ، عن عطاء ، وعن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، قال : المستقرّ : الرحم ، والمستودع : فى الأصلاب .

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبوعاصم ، قال : ثنا عيسى ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد : (فَمُسْتَقَرٌّ) : ما استقرّ فى أرحام النساء (وَمُسْتَوْدَعٌ) ما كان فى أصلاب الرجال .

حدثنى المثنى ، قال : ثنا أبوحذيفة ، قال : ثنا شبل ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، بنحوه .

حدثنا ابن حميد وابن وكيع قالا : ثنا جرير ، عن ليث ، عن مجاهد ، قال : المستقرّ : ما استقرّ فى الرحم ، والمستودع : ما استودع فى الصلب .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا يحيى بن يمان ، عن سفيان ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، قال : المستقرّ : الرحم ، والمستودع : الصلب .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا معاذ بن معاذ ، عن ابن عون ، قال : أتينا إبراهيم عند المساء ، فأخبرونا أنه قد مات ، فقلنا : هل سأله أحد عن شىء ؟ قالوا : عبد الرحمن بن الأسود عن المستقرّ والمستودع فقال : المستقر فى الرحم ، والمستودع : فى الصلب .

حدثنا حميد بن مسعدة ، قال : ثنا بشر بن المفضل ، قال : ثنا ابن عون ، قال : أتينا إبراهيم ، وقد مات ، قال : فحدثنى بعضهم أن عبد الرحمن بن الأسود سأله قبل أن يموت عن المستقرّ والمستودع ، فقال : المستقرّ : فى الرحم ، والمستودع : فى الصلب .

حدثنى يعقوب بن إبراهيم ، قال : ثنا بن علية ، عن ابن عون ، قال : أتينا منزل إبراهيم ، فسألنا عنه ، فقالوا : قد توفى ، وسأله عبد الرحمن بن الأسود ، فذكر نحوه .

حدثنى به يعقوب بن إبراهيم ، قال : ثنا ابن علية ، عن ابن عون ، أنه بلغه أن عبدالرحمن بن الأسود سأل إبراهيم ، عن ذلك ، فذكر نحوه .

حدثنا عبيدالله بن محمد الفريابى ، قال : ثنا ضمرة بن ربيعة ، عن العلاء بن هارون ، قال : انتهيت إلى منزل إبراهيم حين قبض ، فقلت لهم : هل سأله أحد عن شىء ، قالوا : سأله عبد الرحمن بن الأسود ، عن مستقرّ ومستودع ، فقال : أما المستقرّ : فما استقرّ فى أرحام النساء ، والمستودع : ما فى أصلاب الرجال .

حدثنا أبوكريب وأبو السائب ، قالا : ثنا ابن إدريس ، عن ليث ، عن مجاهد فى (فَمُسْتَقَرٌّ وَمُسْتَوْدَعٌ) قال : المستقرّ : الرحم ، والمستودع : الصلب .

حدثنى يونس ، قال : ثنى سفيان ، عن رجل حدثه عن سعيد بن جبير ، قال : قال لى ابن عباس : ألا تنكح ؟ ثم قال : أما إنى أقول لك هذا وإنى لأعلم أن الله مخرج من صلبك ما كان فيه مستودعا .

حدثنى محمد بن الحسين ، قال : ثنا أحمد بن المفضل ، قال : ثنا أسباط ، عن السدىّ ، قال : المستقرّ فى الرحم ، والمستودع : فى الصلب .

حدثنا بشر بن معاذ ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، عن ابن عباس (فَمُسْتَقَرٌّ وَمُسْتَوْدَعٌ) قال : مستقرّ فى الرحم ، ومستودع : فى الصلب .

حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة (فَمُسْتَقَرٌّ وَمُسْتَوْدَعٌ) قال : مستقرّ : فى الرحم ، ومستودع : فى الصلب .

حدثت عن الحسين بن الفرج، قال : سمعت أبا معاذ، يقول : ثنا عبيد بن سليمان ، عن الضحاك (فَمُسْتَقَرٌّ ومُسْتَوْدَعٌ) أما مستقر : فما استقرّ فى الرحم، وأما مستودع : فما استودع فى الصلب .

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد، فى قوله (فَمُسْتَقَرٌّ ومُسْتَوْدَعٌ) قال : مستقرّ فى الأرحام ، ومستودع : فى الأصلاب .

حدثنى المثنى ، قال : ثنا الحجاج بن المنهال ، قال : ثنا حماد ، عن عطاء بن السائب، عن سعيد بن جبير وأبى حمزة ، عن إبراهيم ، قالا : مستقرّ ومستودع ، المستقرّ : فى الرحم، والمستودع : فى الصلب .

وقال آخرون : المستقرّ : فى القبر ، والمستودع : فى الدنيا .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر بن معاذ ، قال : ثنا يزيد بن زريع ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة، قال : كان الحسن يقول : مستقرّ : فى القبر ، ومستودع : فى الدنيا ، وأوشك أن يلحق بصاحبه .

۞ وأولى التأويلات فى ذلك بالصواب، أن يقال : إن الله جلّ ثناؤه عمّ بقوله (فَمُسْتَقَرٌّ وَمُسْتَوْدَعٌ) كلّ خلقه الذى أنشأ من نفس واحدة مستقرًا ومستودعا، ولم يخصص من ذلك معنى دون معنى ، ولا شكّ أن من بنى آدم مستقرًا فى الرحم ، ومستودعا فى الصلب، ومنهم من هو مستقرّ على ظهر الأرض أو بطنها ومستودع فى أصلاب الرجال ، ومنهم مستقرّ فى القبر ، مستودع على ظهر الأرض، فكلّ مستقرّ أو مستودع بمعنى من هذه المعانى، فداخل فى عموم قوله (فَمُسْتَقَرٌّ وَمُسْتَوْدَعٌ) ومراد به : إلا أن يأتى خبر يجب التسليم له بأنه معنىّ به معنى دون معنى ، وخاصّ دون عامّ .

واختلفت القرّاء فى قراءة قوله (فَمُسْتَقَرٌّ ومُسْتَوْدَعٌ) فقرأت ذلك عامة قرّاء أهل المدينة والكوفة مستقرّ ومستودع ، بمعنى : فمنهم من استقرّه الله فى مقرّه فهو مستقرّ ، ومنهم من استودعه الله فيما استودعه فيه . وقرأ ذلك بعض أهل المدينة وبعض أهل البصرة ، فمستقِرّ بكسر القاف بمعنى : فمنهم من استقرّ فهومستودع فيه فى مقرّه فهو مستقرّ به .

۞ وأولى القراءتين بالصواب عندى وإن كان لكليهما عندى وجه صحيح فمستقرّ ، بمعنى : استقرّه الله فى مستقرّه ، ليأتلف المعنى فيه ، وفى المستودع فى أن كلّ واحد منهما لم يسمّ فاعله، وفى إضافة الخبر بذلك إلى الله فى أنه المستقرّ هذا، والمستودع هذا، وذلك أن الجميع مجمعون على قراءة قوله(وَمُسْتَوْدَعٌ) بفتح الدال على وجه ما لم يسمّ فاعله ، فإجراء الأوّل ، أعنى قوله : فمستقرّ عليه، أشبه من عدوله عنه .

وأما قوله (قَدْ فَصَّلْنا الآياتِ لِقَوْمٍ يَفْقَهُونَ) يقول تعالى : قد بينا الحجج ، وميزنا الأدلة والأعلام ،وأحكمناها لقوم يفقهون مواقع الحجج ومواضع العبر ، ويفهمون الآيات والذكر ، فإنهم إذا اعتبروا بما نبهتهم عليه من إنشائى من نفس واحدة ما عاينوا من البشر ، وخلقى ماخلقت منها من عجائب الألوان والصور ، علموا أن ذلك من فعل من ليس له مثل ولا شريك ، فيشركوه فى عبادتهم إياه .

كما حدثنا بشر بن معاذ ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد، عن قتادة (قَدْ فَصَّلْنا الآيات لِقَوْمٍ يَفْقَهُونَ) يقول : قد بينا الآيات لقوم يفقهون .

القول في تأويل قوله تعالى:

وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجْنَا بِهِۦ نَبَاتَ كُلِّ شَىْءٍ فَأَخْرَجْنَا مِنْهُ خَضِرًا نُّخْرِجُ مِنْهُ حَبًّا مُّتَرَاكِبًا وَمِنَ ٱلنَّخْلِ مِن طَلْعِهَا قِنْوَانٌ دَانِيَةٌ وَجَنَّٰتٍ مِّنْ أَعْنَابٍ وَٱلزَّيْتُونَ وَٱلرُّمَّانَ مُشْتَبِهًا وَغَيْرَ مُتَشَٰبِهٍ ٱنظُرُوٓا۟ إِلَىٰ ثَمَرِهِۦٓ إِذَآ أَثْمَرَ وَيَنْعِهِۦٓ إِنَّ فِى ذَٰلِكُمْ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٩٩﴾

يقول تعالى ذكره : والله الذى له العبادة خالصة لاشركة فيها لشيء سواه، هو الإله الذى أنزل من السماء ماء ، فأخرجنا به نبات كل شيء ، فأخرجنا بالماء الذى أنزلناه من السماء من غذاء الأنعام والبهائم والطير والوحش ، وأرزاق بنى آدم وأقواتهم ما يتغذّون به ويأكلونه ، فينبتون عليه وينمون .

وإنما معنى قوله (فَأَخْرَجْنا بِهِ نَباتَ كُلِّ شَيْءٍ) : فأخرجنا به ما ينبت به كلّ شيء وينمو عليه ويصلح . ولو قيل معناه : فأخرجنا به نبات جميع أنواع النبات فيكون كلّ شيء هو أصناف النبات كان مذهبا وإن كان الوجه الصحيح هو القول الأوّل .

وقوله (فأخْرَجْنا مِنْهُ خَضِرًا) يقول : فأخرجنا منه، يعنى من الماء الذى أنزلناه من السماء خضرا رطبا من الزرع ، والخضر : هو الأخضر ، كقول العرب : أرنيها نمرة أركها مطرة ، يقال : خضرت الأرض خضرا وخضارة ، والخضر : رطب البقول ، ويقال : نخلة خضيرة : إذا كانت ترمى ببسرها أخضر قبل أن ينضج ، وقد اختُضر الرجل واغتضر : إذا مات شابا مصححا ، ويقال : هو لك خضرا مضرا : أى هنيئا مريئا . قوله (نُخْرِجُ مِنْهُ حَبًّا مُتَراكِبا) يقول : نخرج من الخضر حبا ، يعنى : ما فى السنبل ، سنبل الحنطة والشعير والأرز ، وما أشبه ذلك من السنابل التى حبها يركب بعضه بعضا .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك ، قال جماعة أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنى محمد بن الحسين ، قال : ثنا أحمد بن مفضل ، قال : ثنا أسباط ، عن السدىّ ، قوله (مِنْهُ خَضِرًا نُخْرِجُ مِنْهُ حَبًّا مُتَراكِبا) فهذا السنبل .

القول فى تأويل قوله تعالى : ﴿ وَمِنَ النَّخْلِ مِنْ طَلْعِها قِنْوانٌ دانِيَةٌ ﴾ :

يقول تعالى ذكره : ومن النخل من طلعها قنوان دانية، ولذلك رفعت القنوان ، والقنوان : جمع قنو، كما الصنوان : جمع صنو ، وهو العذق ، يقال للواحد : هو قِنو وقُنو وقِنا : يثنى قِنوان ، ويجمع قِنوان

وقنوان ، قالوا : فى جمع قليله ثلاثة أقناء ، والقِنوان : من لغة الحجاز ، والقُنوان : من لغة قيس ؛ وقال امرؤ القيس :

فأَثَّتْ أعاليــهِ وآدَتْ أُصُولُهُ ... وَمالَ بِقِنْوَانٍ مِنَ البُسْرِ أَحْمَرَا[1]

وقنيان جميعا[2] ؛ وقال آخر :

لَهَا ذَنَبٌ كالْقِنْوِ قَدْ مَذِلَتْ بِهِ ... وأَسْحَمَ للتَّخْطارِ بَعْــدَ التَّشَذُّرِ[3]

وتميم تقول : قنيان بالياء ، ويعنى بقوله : دانية : قريبة متهدلة .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك ، قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا المثنى ، قال : ثنا عبد الله بن صالح ، قال : ثنى معاوية بن صالح ، عن علىّ بن أبى طلحة ، عن ابن عباس (قِنْوَانٌ دَانِيَةٌ) يعنى بالقنوان الدانية : قصار النخل لاصقة عذوقها بالأرض .

حدثنا بشر بن معاذ ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (مِنْ طَلْعِها قِنْوَانٌ دَانِيَةٌ) قال : عذوق متهدلة .

حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة (قِنْوَانٌ دَانِيَةٌ) يقول : متهدلة .

حدثنا هناد ، قال : ثنا وكيع ، وحدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبى ، عن سفيان ، عن أبى إسحاق ، عن البراء ، فى قوله (قِنْوَانٌ دَانِيَةٌ) قال : قريبة .

حدثنا الحسن بن يحيى ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا الثورىّ ، عن أبى إسحاق ، عن البراء بن عازب (قِنْوَانٌ دَانِيَةٌ) قال : قريبة .

---

(١) كذا روى البيت فى اللسان (أيد) قال : وقال امرؤ القيس يصف نخلا . آدت أصوله : قويت ، تئيد أيدا : وأثت أعاليه : أى كثرت فروعه والتفت . والقنوان : جمع قنو كحمل وهو الكباسة ، وقنا كإلى ، وقنا : كسبب . والجمع من كل ذلك أقناء ، وقنوان ، وقنيان ، بالكسر فى الأخيرين . قلبت الواو ياء لقرب الكسرة . وقال الفراء : أهل الحجاز يقولون : قنوان (بالكسر) وقيس قنوان (بالضم) وتميم وضبة : قنيان ، (بالضم) وأنشد : « ومال بقنيان من البسر أحمرا » . ويجتمعون فيقولون : قنو وقنو (بضم القاف وكسرها) ، ولا يقولون : قنى (بالكسر والياء) . قال : وكلب تقول : قنيان (بالكسر وبالياء فى الجمع) .

ورواية البيت فى مختار الشعر الجاهلى تبعا لأصوله :

سَوَامِقَ جَبَّارٍ أَثِيثٍ فُرُوعُهُ ... وعالَيْنَ قِنْوَانًا مِنَ البُسْرِ أَحْمَرَا

سوامق : مرتفعات . والجبار : الفتى من النخل ، أو الذى قد فات اليد لطوله . والأثيث : الغزير . وعالين : رفعن . والقنوان العذوق . والبسر : ما احمر من التمر . يريد : أن هذا النخل قد أدرك وأينع ، فتمايلت عذوقه ، وعالتها فروعه . وإنما قصد إلى تشبيه ما على الهوادج من الصوف الأحمر والأصفر مع ارتفاعها ، بهذه النخل الطوال ، وما فيها من اختلاف الألوان .

(٢) يعنى أنه روى بالوجهين .

(٣) البيت رواه أبو زيد الأنصارى فى نوادره (ص ١٨٢) وقال بعده : التشذر : إذا لقحت الناقة عقدت ذنبها ، ونصبته على عجزها من التخيل ، فذاك التشذر . والمذل : ألا تحرك ذنبها . وفى روايته : أسمح بصيغة الفعل الماضى ، فى موضع « أسحم » . أى سهل للتحريك والخطران ، بعد أن كان منتصبا معقودا . والقنو : كباسة النخلة يكون فيها التمر .

حدثني محمد بن سعد ، قال : ثني أبي ، قال : ثني عمي ، قال : ثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله (وَمِنَ النَّخْلِ مِنْ طَلْعِهَا قِنْوَانٌ دَانِيَةٌ) قال : الدانية لتهدّل العذوق من الطلع .

حُدِّثت عن الحسين بن الفرج ، قال : سمعت أبا معاذ ، قال : ثنا عبيد بن سليمان ، قال : سمعت الضحاك يقول في قوله (وَمِنَ النَّخْلِ مِنْ طَلْعِهَا قِنْوَانٌ دَانِيَةٌ) يعني : النخل القصار الملتزقة بالأرض ، والقنوان : طلعه .

القول في تأويل قوله تعالى : ﴿ وَجَنَّاتٍ مِنْ أَعْنَابٍ وَالزَّيْتُونَ وَالرُّمَّانَ مُشْتَبِهًا وَغَيْرَ مُتَشَابِهٍ ﴾ :

يقول تعالى ذكره : وأخرجنا أيضا جنات من أعناب ، يعني : بساتين من أعناب .

واختلف القرّاء في قراءة ذلك ، فقرأه عامة القرّاء (وجَنَّاتٍ) نصبا غير أن التاء كسرت لأنها تاء جمع المؤنث ، وهي تخفض موضع النصب .

وقد حدثني الحارث ، قال : ثنا القاسم بن سلام ، عن الكسائي ، قال : أخبرنا حمزة ، عن الأعمش ، أنه قرأ (وَجَنَّاتٌ مِنْ أَعْنَابٍ) بالرفع ، فرفع جناتٌ على إتباعها القنوان في الإعراب ، وإن لم تكن من جنسها ، كما قال الشاعر :

ورأيْتِ زَوْجَكِ فِي الوَغَى مُتَقَلِّدًا سَيْفًا وَرُمْحًا[1]

والقراءة التي لا أستجيز أن يُقرأ ذلك إلا بها : النصب (وَجَنَّاتٍ مِنْ أَعْنَابٍ) لإجماع الحجة من القرّاء على تصويبها والقراءة بها ، ورفضهم ما عداها ، وبُعْد معنى ذلك من الصواب إذا قرئ رفعا . وقوله (وَالزَّيْتُونَ وَالرُّمَّانَ)عطف بالزيتون على الجنات بمعنى : وأخرجنا الزيتون والرمان مشتبها وغير متشابه .

وكان قتادة يقول في معنى (مُشْتَبِهًا وَغَيْرَ مُتَشَابِهٍ) ما حدثنا بشر بن معاذ ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (وَجَنَّاتٍ مِنْ أَعْنَابٍ ، وَالزَّيْتُونَ وَالرُّمَّانَ مُشْتَبِهًا وَغَيْرَ مُتَشَابِهٍ) قال : مشتبها ورقه ، مختلفا ثمره ، وجائز أن يكون مرادا به : مشتبها في الخلق ، مختلفا في الطعم ؛ ومعنى الكلام : وشجر الزيتون والرمان ، فاكتفى من ذكر الشجر بذكر ثمره ، كما قيل (وَاسْأَلِ الْقَرْيَةَ) فاكتفى بذكر القرية من ذكر أهلها ، لمعرفة المخاطبين بذلك بمعناه .

القول في تأويل قوله تعالى : ﴿ انْظُرُوا إِلَى ثَمَرِهِ إِذَا أَثْمَرَ وَيَنْعِهِ ﴾ :

اختلفت القرّاء في قراءة ذلك ، فقرأته عامة قرّاء أهل المدينة ، وبعض أهل البصرة (انْظُرُوا إِلَى ثَمَرِهِ) بفتح الثاء والميم ، وقرأه بعض قرّاء أهل مكة وعامة قرّاء الكوفيين (إِلَى ثُمُرِهِ) بضم الثاء والميم ، فكأنّ من فتح الثاء والميم من ذلك وجّه معنى الكلام : انظروا إلى ثمر هذه الأشجار التي سمينا من النخل والأعناب والزيتون والرمان إذا أثمر ، وإن الثمر : جمع ثمرة ، كما القصب : جمع قصبة ، والخشب : جمع خشبة ، وكأن من ضمّ الثاء والميم ، وجه ذلك إلى أنه جمع ثمار ، كما الحمر جمع حمار ، والجرب : جمع جراب .

---

(١) هذا البيت مما تكرر استشهاد المؤلف به ، وقد سبق في الجزء الثالث ص ٢٧٥ .

وقد حدثنى المثنى ، قال : ثنا إسحاق ، قال : ثنا عبد الرحمن بن أبى حماد ، عن ابن إدريس ، عن الأعمش ، عن يحيى بن وثاب ، أنه كان يقرأ (إلى ثَمَرِهِ) يقول : هو أصناف المال .

حدثنى المثنى ، قال : ثنا إسحاق ، قال : ثنا ابن أبى حماد ، قال : ثنا محمد بن عبيد الله ، عن قيس بن سعد ، عن مجاهد ، قال : الثمر : هو المال ، والثمر : ثمر النخل .

❊ وأولى القراءتين فى ذلك عندى بالصواب ، قراءة من قرأ (انْظُرُوا إلى ثُمُرِهِ) بضمّ الثاء والميم ، لأن الله جلّ ثناؤه وصف أصنافا من المال ، كما قال يحيى بن وثاب ، وكذلك حبّ الزرع المتراكب ، وقنوان النخل الدانية ، والجنات من الأعناب والزيتون والرمان ، فكان ذلك أنواعا من الثمر ، فجمعت الثمرة ثَمَرا ثم جمع الثمَر ثمارا ، ثم جمع ذلك فقيل : انظروا إلى ثُمُره ، فكان ذلك جمع الثمار ، والثمار جمع الثمرة ، وإثماره : عقد الثمر .

وأما قوله (وَيَنْعِهِ) فإنه نضجه ، وبلوغه حين يبلغ . وكان بعض أهل العلم بكلام العرب من أهل البصرة يقول فى (يَنْعِهِ) إذا فتحت ياؤه : هو جمع يانع ، كما التجر : جمع تاجر ، والصَّحْب : جمع صاحب . وكان بعض أهل الكوفة ينكر ذلك ويرى أنه مصدر ، من قولهم : ينع الثمر فهو ينع ينعا . ويحكى فى مصدره عن العرب لغات ثلاثا : يَنْع ، ويُنْعٌ ، ويُنُوع ، وكذلك فى النضج : النَّضْج والنُّضج .

وأما فى قراءة من قرأ ذلك (وَيانِعِهِ) فإنه يعنى به : وناضجه وبالغه ؛ وقد يجوز فى مصدره يُنوعا ، ومسموع عند العرب : أينعت الثمرة تونع إيناعا ؛ ومن لغة الذين قالوا ينع ، قول الشاعر :

فِى قِبابٍ عِنْدَ دَسْكَرَةٍ حَوْلَهَا الزَّيْتُونُ قَدْ يَنَعا[1]

وبنحو الذى قلنا فى ذلك ، قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنى المثنى ، قال : ثنا عبد الله بن صالح ، قال : ثنى معاوية بن صالح ، عن علىّ بن أبى طلحة ، عن ابن عباس (ويَنْعِهِ) يعنى : إذا نضج .

حدثنى محمد بن سعد ، قال : ثنى أبى ، قال : ثنى عمى ، قال : ثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس قوله (انْظُرُوا إلى ثَمَرِهِ إذَا أَثْمَرَ وَيَنْعِهِ) قال : ينعه : نضجه .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (انْظُرُوا إلى ثَمَرِهِ إذَا أَثْمَرَ وَيَنْعِهِ) أى نضجه .

---

(١) البيت فى (اللسان : ينع) ونسبه للأحوص ، أو ليزيد بن معاوية أو لعبد الرحمن بن حسان . ونسبه فى التاج للأخطل ، ثم قال : وقال أبو الحسن الأخفش : الصحيح أن البيت ليزيد بن معاوية . وزعم ابن السيد أنه لأبى دهبل . وقيل للأحوص . والدسكرة : القرية . أو بناء كالقصر ، حوله بيوت للخدم والحشم ، يكون للملوك . أو هى بيوت الأعاجم يكون فيها الشراب والملاهى . وينع الثمر يينع ، بفتح النون وكسرها فى المضارع ، ينعا بفتح الياء وضمها ، وينوعا ؛ وأينع إيناعا ، كلاهما : أدرك ونضج ، واليَنيع واليانع : مثل النضيج والناضج .

حدثنا الحسن بن يحيى ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا معمر ، عن قتادة ، في قوله (وَيَنْعِهِ) قال : نضجه .

حدثني محمد بن الحسين ، قال : ثنا أحمد بن المفضل ، قال : ثنا أسباط ، عن السدىّ (وَيَنْعِهِ) يقول : ونضجه .

حُدثت عن الحسين بن الفرج ، قال : سمعت أبا معاذ ، قال : ثنا عبيد بن سليمان ، قال : سمعت الضحاك يقول في قوله (وَيَنْعِهِ) قال : يعني : نضجه .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثني حجاج ، عن ابن جريج ، قال : قال ابن عباس (وَيَنْعِهِ) قال : نضجه .

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿إِنَّ فِي ذَلِكُمْ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ :

يقول تعالى ذكره : إن في إنزال الله تعالى من السماء الماء الذى أخرج به نبات كلّ شيء ، والخضر الذى أخرج منه الحبّ المتراكب ، وسائر ما عدّد في هذه الآية من صنوف خلقه ، لآيات . يقول في ذلكم : أيها الناس إذا أنتم نظرتم إلى ثمره عند عقد ثمره ، وعند ينعه وانتهائه ، فرأيتم اختلاف أحواله ، وتصرّفه في زيادته ونموّه ، علمتم أن له مدبرا ليس كمثله شيء ، ولا تصلح العبادة إلا له دون الآلهة والأنداد ، وكان فيه حجج وبرهان وبيان لقوم يؤمنون . يقول : لقوم يصدّقون بوحدانية الله ، وقدرته على ما يشاء ، وخصّ بذلك تعالى ذكره ، القوم الذين يؤمنون ، لأنهم هم المنتفعون بحجج الله ، والمعتبرون بها دون من قد طبع على قلبه ، فلا يعرف حقا من باطل ، ولا يتبين هدى من ضلالة .

القول في تأويل قوله تعالى :

﴿وَجَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ الْجِنَّ وَخَلَقَهُمْ وَخَرَقُوا لَهُ بَنِينَ وَبَنَاتٍ بِغَيْرِ عِلْمٍ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يَصِفُونَ ﴿١٠٠﴾﴾

يعني بذلك جلّ ثناؤه : وجعل هؤلاء العادلون بربهم الآلهة والأنداد لله شركاء الجنّ ، كما قال جلّ ثناؤه (وَجَعَلُوا بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْجِنَّةِ نَسَبًا) وفى الجنّ وجهان من النصب : أحدهما أن يكون تفسيرا للشركاء . والآخر : أن يكون معنى الكلام : وجعلوا لله الجنّ شركاء ، وهو خالقهم .

واختلفوا في قراءة قوله (وَخَلَقَهُمْ) فقرأته قرّاء الأمصار (وَخَلَقَهُمْ) على معنى أن الله خلقهم منفردا بخلقه إياهم .

وذكر عن يحيى بن يعمر ما حدثني به أحمد بن يوسف ، قال : ثنا القاسم بن سلام ، قال : ثنا حجاج ، عن هارون ، عن واصل مولى أبي عيينة ، عن يحيى بن عقيل ، عن يحيى بن يعمر ، أنه قال (شُرَكَاءَ الْجِنَّ وَخَلْقَهُمْ) بجزم اللام بمعنى أنهم قالوا : إن الجنّ شركاء لله في خلقه إيانا .

* وأولى القراءتين بالصواب قراءة من قرأ ذلك (وَخَلَقَهُمْ) لإجماع الحجة من القرّاء عليها .

وأما قوله (وَخَرَقُوا لَهُ بَنِينَ وَبَنَاتٍ بِغَيْرِ عِلْمٍ) فإنه يعنى بقوله (خَرَقُوا) اختلقوا، يقال : اختلق فلان على فلان كذبا واخترقه : إذا افتعله وافتراه .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك ، قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنى المثنى ، قال : ثنا أبو صالح ، قال : ثنى معاوية، عن علىّ بن أبى طلحة ، عن ابن عباس ، قوله (وَجَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ الْجِنَّ) والله خلقهم (وَخَرَقُوا لَهُ بَنِينَ وَبَنَاتٍ) يعنى أنهم تخرّصوا .

حدثنى محمد بن سعد ، قال : ثنى أبى ، قال : ثنى عمى ، قال : ثنى أبى ، عن أبيه، عن ابن عباس، قوله(وَخَرَقُوا لَهُ بَنِينَ وَبَنَاتٍ بِغَيْرِ عِلْمٍ) قال : جعلوا له بنين وبنات بغير علم .

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد (وَخَرَقُوا لَهُ بَنِينَ وَبَنَاتٍ بِغَيْرِ عِلْمٍ) قال : كذبوا .

حدثنى المثنى ، قال : ثنا أبو حذيفة ، قال : ثنا شبل ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، مثله .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة، قوله (وَجَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ الْجِنَّ) كذّبوا ، سبحانه وتعالى عما يصفون عما يكذّبون . أما العرب فجعلوا له البنات ،ولهم ما يشتهون من الغلمان . وأما اليهود فجعلوا بينه وبين الجنة نسبا ، ولقد علمت الجنة إنهم لمحضرون .

حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة (وَخَرَقُوا لَهُ بَنِينَ وَبَنَاتٍ بِغَيْرِ عِلْمٍ) قال : خرصوا له بنين وبنات .

حدثنى محمد بن الحسين ، قال : ثنا أحمد بن المفضل ، قال : ثنا أسباط ، عن السدىّ (وَخَرَقُوا لَهُ بَنِينَ وَبَنَاتٍ بِغَيْرِ عِلْمٍ) يقول : قطعوا له بنين وبنات ، قالت العرب : الملائكة بنات الله ، وقالت اليهود والنصارى : المسيح وعزير ابنا الله .

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله (وَخَرَقُوا لَهُ بَنِينَ وَبَنَاتٍ بِغَيْرِ عِلْمٍ) قال : خرقوا : كذبوا ، لم يكن لله بنون ولا بنات ، قالت النصارى: المسيح ابن الله، وقال المشركون : الملائكة بنات الله ، فكلّ خرقوا الكذب ، وخرقوا : اخترقوا .

حدثنا القاسم، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج، عن ابن جريج ، قوله (وَجَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ الْجِنَّ) قال : قول الزنادقة (وَخَرَقُوا لَهُ) قال ابن جريج : قال مجاهد : خرقوا : كذبوا .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبو أسامة ، عن جويبر ، عن الضحاك (وَخَرَقُوا لَهُ بَنِينَ وَبَنَاتٍ) قال : وصفوا له .

حدثنا عمران بن موسى ، قال : ثنا عبد الوارث ، عن أبى عمر (وَخَرَقُوا لَهُ بَنِينَ وَبَنَاتٍ) قال : تفسيرها : وكذبوا .

فتأويل الكلام إذن : وجعلوا لله الجنّ شركاء فى عبادتهم إياه ، وهو المنفرد بخلقهم بغير شريك ، ولا معين ، ولا ظهير ، وخرقوا له بنين وبنات ، يقول : وتخرّصوا لله كذبا ، فافتعلوا له بنين وبنات بغير علم منهم بحقيقة مايقولون ، ولكن جهلا بالله وبعظمته ، وأنه لاينبغى لمن كان إلها أن يكون له بنون وبنات ، ولا صاحبة ، ولا أن يشركه فى خلقه شريك .

القول في تأويل قوله تعالى : ﴿سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يَصِفُونَ﴾ :

يقول تعالى ذكره : تنزّه الله وعلا ، فارتفع عن الذى يصفه به هؤلاء الجهلة من خلقه فى ادّعائهم له شركاء من الجنّ ، واختراقهم له بنين وبنات ، وذلك لاينبغى أن يكون من صفته ، لأن ذلك من صفة خلقه الذين يكون منهم الجماع ، الذى يحدث عنه الأولاد ، والذين تضطرّهم لضعفهم الشهوات إلى اتخاذ الصاحبة لقضاء اللذّات ، وليس الله تعالى ذكره بالعاجز ، فيضطره شىء إلى شىء ، ولا بالضعيف المحتاج فتدعوه حاجته إلى النساء ، إلى اتخاذ صاحبة لقضاء لذّة ، وقوله تعالى : تفاعل من العلوّ والارتفاع . ورُوِى عن قتادة فى تأويل قوله (عَمَّا يَصِفُونَ) أنه يكذّبون .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يَصِفُونَ) عما يكذبون ، وأحسب أن قتادة عنى بتأويله ذلك كذلك ، أنهم يكذبون فى وصفهم الله بما كانوا يصفونه ، من ادّعائهم له بنين وبنات ، لأنه وجه تأويل الوصف إلى الكذب .

القول في تأويل قوله تعالى :

﴿بَدِيعُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ أَنَّى يَكُونُ لَهُ وَلَدٌ وَلَمْ تَكُن لَّهُ صَاحِبَةٌ وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾

يقول تعالى ذكره : الله الذى جعل هؤلاء الكفرة به له الجنّ شركاء ، وخرقوا له بنين وبنات بغير علم بديع السموات والأرض : يعنى مبتدعها ومحدثها وموجدها بعد أن لم تكن .

كما حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله (بَدِيعُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ) قال : هو الذى ابتدع خلقهما جلّ جلاله ، فخلقهما ولم تكونا شيئا قبله (أَنَّى يَكُونُ لَهُ وَلَدٌ وَلَمْ تَكُنْ لَهُ صَاحِبَةٌ) والولد إنما يكون من الذكر من الأنثى ، ولا ينبغى أن يكون لله سبحانه صاحبة فيكون له ولد ، وذلك أنه هو الذى خلق كل شىء ، يقول : فإذا كان لاشىء إلا الله خلقه ، فأنى يكون لله ولد ، ولم تكن له صاحبة ، فيكون له منها ولد .

القول في تأويل قوله تعالى : ﴿وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ :

يقول تعالى ذكره : والله خلق كلّ شىء ، ولا خالق سواه ، وكلّ ما تدعون أيها العادلون بالله الأوثان من دونه خلقه وعبيده ملكا ، كان الذى تدعونه ربا ، وتزعمون أنه له ولد ، أو جنيا ، أو إنسيا ،

(وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ) يقول : والله الذى خلق كلّ شىء ، لايخفى عليه ما خلق ولا شىء منه ، ولا يعزب عنه مثقال ذرّة فى الأرض ، ولا فى السماء ، عالم بعددكم وأعمالكم ، وأعمال من دعوتموه ربا ، أو لله ولدا ، وهو محصيها عليكم وعليهم حتى يجازى كلا بعمله .

القول فى تأويل قوله تعالى

ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ خَٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ فَٱعْبُدُوهُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ وَكِيلٌ ﴿١٠٢﴾

يقول تعالى ذكره : الذى خلق كلّ شىء ، وهو بكلّ شىء عليم ، هو الله ربكم أيها العادلون بالله الآلهة والأوثان ، والجاعلون له الجنّ شركاء ، وآلهتكم التى لاتملك نفعا ولا ضرّا ، ولا تفعل خيرا ولا شرّا ، لاإله إلا هو ، وهذا تكذيب من الله جلّ ثناؤه للذين زعموا أن الجنّ شركاء الله ، يقول جلّ ثناؤه لهم : أيها الجاهلون إنه لاشىء له الألوهية والعبادة ، إلا الذى خلق كلّ شىء ، وهو بكلّ شىء عليم ، فانه لاينبغى أن تكون عبادتكم وعبادة جميع من فى السموات والأرض إلا له خالصة بغير شريك تشركونه فيها ، فإنه خالق كلّ شىء وبارئه وصانعه ، وحقّ على المصنوع أن يفرد صانعه بالعبادة ، فاعبدوه ، يقول : فذلوا له بالطاعة والعبادة والخدمة ، واخضعوا له بذلك (وَهُوَ على كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ) يقول : والله على كلّ ماخلق من شىء رقيب وحفيظ يقوم بأرزاق جميعه وأقواته وسياسته وتدبيره ، وتصريفه بقدرته .

القول فى تأويل قوله تعالى

لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ وَهُوَ يُدْرِكُ ٱلْأَبْصَٰرَ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ ﴿١٠٣﴾

اختلف أهل التأويل فى تأويل قوله (لاتُدْرِكُهُ الأبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الأبْصَارَ) فقال بعضهم : معناه : لاتحيط به الأبصار ، وهو يحيط بها .

ذكر من قال ذلك

حدثنى محمد بن سعد ، قال : ثنى أبى ، قال : ثنى عمى ، قال : ثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله (لاتُدْرِكُهُ الأبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الأبْصَارَ) يقول : لايحيط بصر أحد بالملك .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (لاتُدْرِكُهُ الأبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الأبْصَارَ) وهو أعظم من أن تدركه الأبصار .

حدثنى يونس بن عبد الله بن عبد الحكم ، قال : ثنا خالد بن عبد الرحمن ، قال : ثنا أبوعرفجة ، عن عطية العوفى ، فى قوله (وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ ناضِرَةٌ إلى رَبِّها ناظِرَةٌ) قال : هم ينظرون إلى الله ، لاتحيط أبصارهم به من عظمته وبصره يحيط بهم ، فذلك قوله (لاتُدْرِكُهُ الأبْصَارُ) . . . الآية ، واعتلّ قائلو هذه المقالة لقولهم هذا بأن قالوا : إن الله قال (فَلَمَّا أدْرَكَهُ الغَرَقُ قالَ آمَنْتُ) قالوا : فوصف الله

تعالى ذكره الغرق بأنه أدرك فرعون ، ولا شك أن الغرق غير موصوف بأنه رآه ، ولا هو مما يجوز وصفه بأنه يرى شيئا ؛ قالوا : فمعنى قوله (لَاتُدْرِكُهُ الأَبْصَارُ) بمعنى : لاتراه بعيدا ، لأن الشيء قد يدرك الشيء ولا يراه ، كما قال جل ثناؤه مخبرا عن قيل أصحاب موسى صلى الله عليه وسلم حين قرب منهم أصحاب فرعون (فَلَمَّا تَرَاءَى الجَمْعَانِ قَالَ أَصْحَابُ مُوسَى إِنَّا لَمُدْرَكُونَ) لأن الله قد كان وعد نبيه موسى صلى الله عليه وسلم أنهم لايدركون لقوله (وَلَقَدْ أَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى أَنْ أَسْرِ بِعِبَادِي فَاضْرِبْ لَهُمْ طَرِيقًا فِي البَحْرِ يَبَسًا ، لَاتَخَافُ دَرَكًا وَلَا تَخْشَى) قالوا : فإن كان الشيء قد يرى الشيء ولا يدركه ، ويدركه ولايراه ، فكان معلوما بذلك أن قوله (لَاتُدْرِكُهُ الأَبْصَارُ) من معنى : لاتراه الأبصار بمعزل ، وأن معنى ذلك : لاتحيط به الأبصار ، لأن الإحاطة به غير جائزة . قالوا : فالمؤمنون وأهل الجنة يرون ربهم بأبصارهم ، ولا تدركه أبصارهم ، بمعنى : أنها لاتحيط به ، إذ كان غير جائز أن يوصف الله بأن شيئا يحيط به . قالوا : ونظيرجواز وصفه بأنه يرى ولا يدرك جواز وصفه بأنه يعلم ولا يحاط به ، وكما قال جل ثناؤه (وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِنْ عِلْمِهِ إِلَّا بِمَا شَاءَ) قالوا : فنفى جل ثناؤه عن خلقه أن يكونوا يحيطون بشيء من علمه إلا بما شاء . قالوا : ومعنى العلم في هذا الموضع : المعلوم ، قالوا : فلم يكن في نفيه عن خلقه أن يحيطوا بشيء من علمه إلا بما شاء ، نفى عن أن يعلموه . قالوا : فإذا لم يكن في نفى الإحاطة بالشيء علما ، نفى للعلم به ، كان كذلك لم يكن في نفى إدراك الله عن البصر نفى رؤيته له . قالوا : وكما جاز أن يعلم الخلق أشياء ولا يحيطون بها علما ، كذلك جائز أن يروا ربهم بأبصارهم ، ولا يدركوه بأبصارهم ، إذكان معنى الرؤية غير معنى الإدراك ، ومعنى الإدراك غير معنى الرؤية ، وأن معنى الإدراك : إنما هو الإحاطة ، كما قال ابن عباس في الخبر الذى ذكرناه قبل .

☆ قالوا : فإن قال لنا قائل : وما أنكرتم أن يكون معنى قوله(لَاتُدْرِكُهُ الأَبْصَارُ) لاتراه الأبصار؟ قلنا له : أنكرنا ذلك ، لأن الله جل ثناؤه أخبر في كتابه أن وجوها في القيامة إليه ناظرة ، وأن رسول الله صلى الله عليه وسلم أخبر أمته أنهم سيرون ربهم يوم القيامة ، كما يرى القمر ليلة البدر ، وكما ترون الشمس ليس دونها سحاب . قالوا : فإذ كان الله قد أخبر في كتابه بما أخبر ، وحققت أخبار رسول الله صلى الله عليه وسلم بما ذكرنا عنه من قيله صلى الله عليه وسلم : أن تأويل قوله (وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاضِرَةٌ إِلَى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ) أنه نظر أبصار العيون لله جل جلاله ، وكان كتاب الله يصدق بعضه بعضا ، وكان مع ذلك غير جائز أن يكون أحد هذين الخبرين ناسخا للآخر ، إذ كان غير جائز في الإخبار لما قد بينا في كتابنا « كتاب لطيف البيان ، عن أصول الأحكام » وغيره ، علم أن معنى قوله (لَاتُدْرِكُهُ الأَبْصَارُ) غير معنى قوله (وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاضِرَةٌ إِلَى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ) فإن أهل الجنة ينظرون بأبصارهم يوم القيامة إلى الله ، ولا يدركونه بها تصديقا لله في كلا الخبرين ، وتسليما لما جاء به تنزيله على ما جاء به في السورتين .

وقال آخرون : معنى ذلك : لاتراه الأبصار ، وهو يرى الأبصار .

ذكر من قال ذلك

حدثنا محمد بن الحسين ، ثنا أحمد بن المفضل ، قال : ثنا أسباط ، عن السدىّ (لاتُدْرِكُهُ الأبْصَارُ) لايراه شيء ، وهو يرى الخلائق .

حدثنا هناد ، قال : ثنا وكيع ، عن إسماعيل بن أبي خالد ، عن عامر ، عن مسروق ، عن عائشة ، قالت : من حدّثك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم رأى ربه فقد كذب (لاتُدْرِكُهُ الأبْصَارُ ، وَهُوَ يُدْرِكُ الأبْصَارَ — وَمَا كانَ لِبَشَرٍ أنْ يُكَلِّمَهُ اللهُ إلاَّ وَحْيًا أوْ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ) ولكن قد رأى جبريل فى صورته مرّتين .

حدثنا ابن وكيع ، قال: ثنا أبى ، عن إسماعيل بن أبى خالد ، عن عامر ، عن مسروق ، قال : قلت لعائشة : يا أمّ المؤمنين : هل رأى محمد ربه ؟ فقالت : سبحان الله ، لقد قفّ شعرى مما قلت ، ثم قرأت (لاتُدْرِكُهُ الأبْصَارُ ، وَهُوَ يُدْرِكُ الأبْصَارَ ، وَهُوَ اللَّطِيفُ الخَبِيرُ) .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا عبد الأعلى وابن علية ، عن داود ، عن الشعبى ، عن مسروق ، عن عائشة بنحوه .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا جرير ، عن مغيرة ، عن الشعبىّ ، قال : قالت عائشة : من قال : إن أحدا رأى ربه ، فقد أعظم الفرية على الله ، قال الله (لاتُدْرِكُهُ الأبْصَارُ ، وَهُوَ يُدْرِكُ الأبْصَارَ) فقال قائلو هذه المقالة : معنى الإدراك فى هذا الموضع : الروية ، وأنكروا أن يكون الله يرى بالأبصار فى الدنيا والآخرة . وتأوّلوا قوله (وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاضِرَةٌ إلى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ) بمعنى انتظارها رحمة الله وثوابه .

وتأوّل بعضهم فى الأخبار التى رُويت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم بتصحيح القول برؤية أهل الجنة ربهم يوم القيامة تأويلات . وأنكر بعضهم مجيئها ، ودافعوا أن يكون ذلك من قول رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وردوا القول فيه إلى عقولهم ، فزعموا أن عقولهم تُحيل جواز الرؤية على الله عزّ وجلّ بالأبصار ، وأتوا فى ذلك بضروب من التمويهات ، وأكثروا القول فيه من جهة الاستخراجات ، وكان من أجلّ مازعموا أنهم عاموا به صحة قولهم ذلك من الدليل أنهم لم يجدوا أبصارهم ترى شيئا إلا ما باينها دون مالاصقها ، فإنها لاترى مالاصقها . قالوا : فما كان للأبصار مباينا مما عاينته ، فإن بينه وبينها فضاء وفرجة. قالوا : فإن كانت الأبصار ترى ربها يوم القيامة ، على نحو ما ترى الأشخاص اليوم ، فقد وجب أن يكون الصانع محدودا . قالوا : ومن وصفه بذلك ، فقد وصفه بصفات الأجسام التى يجوز عليها الزيادة والنقصان. قالوا : وأخرى أن من شأن الأبصار أن تدرك الألوان ، كما من شأن الأسماع أن تدرك الأصوات ، ومن شأن المتنشم أن يدرك الأعراف . قالوا : فمن الوجه الذى فسد أن يكون جائزا أن يقضى للسمع بغير إدراك الأصوات ، وللمتنشم إلا بادراك الأعراف فسد أن يكون جائزا القضاء للبصر إلا بإدراك الألوان ، قالوا : ولما كان غير جائز أن يكون الله تعالى ذكره موصوفا بأنه ذو لون ، صحّ أنه غير جائز أن يكون موصوفا بأنه مرئىّ .

وقال آخرون : معنى ذلك : لاتدركه أبصار الخلائق فى الدنيا ، وأما فى الآخرة ، فإنها تدركه ، وقال أهل هذه المقالة : الإدراك فى هذا الموضع : الرؤية .

واعتلّ أهل هذه المقالة لقولهم هذا بأن قالوا : الإدراك وإن كان قد يكون فى بعض الأحوال بغير معنى الرؤية ، فإن الرؤية من أحد معانيه ، وذلك أنه غير جائز أن يلحق بصره شيئا فيراه ، وهو لما أبصره وعاينه غير مُدرِك ، وإن لم يحط بأجزائه كلها رؤية، قالوا : فرؤية ما عاينه الرائى إدراك له دون ما لم يره . قالوا : وقد أخبر الله أن وجوها يوم القيامة إليه ناظرة، قالوا: فمحال أن تكون إليه ناظرة وهى له غير مدركة رؤية . قالوا : وإذا كان ذلك كذلك ، وكان غير جائز أن يكون فى أخبار الله تضادّ وتعارض وجب وصحّ أن قوله (لَاتُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ) على الخصوص لا على العموم، وأن معناه : لاتدركه الأبصار فى الدنيا ، وهو يدرك الأبصار فى الدنيا والآخرة ، إذ كان الله قد استثنى ما استثنى منه بقوله (وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاضِرَةٌ إِلَى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ) .

وقال آخرون من أهل هذه المقالة : الآية على الخصوص ، إلا أنه جائز أن يكون معنى الآية : لاتدركه أبصار الظالمين فى الدنيا والآخرة ، وتدركه أبصار المؤمنين وأولياء الله . قالوا : وجائز أن يكون معناها : لاتدركه الأبصار بالنهاية والإحاطة ؛ وأما بالرؤية فبلى . قالوا : وجائز أن يكون معناها : لاتدركه الأبصار فى الدنيا ، وتدركه فى الآخرة ، وجائز أن يكون معناها : لاتدركه أبصار من يراه بالمعنى الذى يدرك به القديم أبصار خلقه ، فيكون الذى نفى عن خلقه من إدراك أبصارهم إياه ، هو الذى أثبته لنفسه ، إذ كانت أبصارهم ضعيفة ، لاتنفذ إلا فيما قوّاها جلّ ثناؤه على النفوذ فيه ، وكانت كلها متجلية لبصره ، لايخفى عليه منها شىء . قالوا : ولا شكّ فى خصوص قوله (لَاتُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ) وأن أولياء الله سيرونه يوم القيامة بأبصارهم، غير أنّا لاندرى أىّ معانى الخصوص الأربعة أريد بالآية . واعتلوا بتصحيح القول بأن الله يرى فى الآخرة بنحو علل الذين ذكرنا قبل .

وقال آخرون : الآية على العموم ، ولن يدرك الله بصر أحد فى الدنيا والآخرة ، ولكن الله يحدث لأوليائه يوم القيامة حاسة سادسة سوى حواسهم الخمس ، فيرونه بها .

واعتلوا لقولهم هذا ، بأن الله تعالى ذكره ، نفى عن الأبصار أن تدركه من غير أن يدل فيها ، أو بآية غيرها على خصوصها . قالوا : وكذلك أخبر فى آية أخرى أن وجوها إليه يوم القيامة ناظرة . قالوا : فأخبار الله لاتتباين ولا تتعارض ، وكلا الخبرين صحيح معناه على ما جاء به التنزيل .

واعتلوا أيضا من جهة العقل بأن قالوا : إن كان جائزا أن نراه فى الآخرة بأبصارنا هذه ، وإن زيد فى قواها وجب أن نراه فى الدنيا وإن ضعفت ، لأن كلّ حاسة خُلقت لإدراك معنى من المعانى ، فهى وإن ضعفت كل الضعف ، فقد تدرك مع ضعفها ماخلقت لإدراكه وإن ضعف إدراكها إياه ما لم تعدم . قالوا : فلو كان فى البصر أن يدرك صانعه فى حال من الأحوال ، أو وقت من الأوقات ويراه ، وجب أن يكون يدركه فى الدنيا ويراه فيها ، وإن ضعف إدراكه إياه ، قالوا : فلما كان ذلك غير موجود من

أبصارنا فى الدنيا ، كان غير جائز أن تكون فى الآخرة إلا بهيئتها فى الدنيا فى أنها لاتدرك إلا ما كان من شأنها إدراكه فى الدنيا . قالوا : فلما كان ذلك كذلك، وكان الله تعالى ذكره قد أخبر أن وجوها فى الآخرة تراه ، علم أنها تراه بغير حاسة البصر ، إذ كان غير جائز أن يكون خبره إلا حقا .

والصواب من القول فى ذلك عندنا ماتظاهرت به الأخبار عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال: « إِنَّكُمْ سَتَرَوْنَ رَبَّكُمْ يَوْمَ القِيامَةِ كَمَا تَرَوْنَ القَمَرَ لَيْلَةَ البَدْرِ ، وكَمَا تَرَوْنَ الشَّمْسَ لَيْسَ دُونَها سَحَابٌ ، فالمُؤْمِنُونَ يَرَوْنَهُ ، والكافِرُونَ عَنْهُ يَوْمَئِذٍ مَحْجُوبُونَ » كما قال جلّ ثناؤه (كَلاَّ إِنَّهُمْ عَنْ رَبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَمَحْجُوبُونَ) . فأما ما اعتلّ به منكرو رؤية الله يوم القيامة بالأبصار ، لما كانت لاترى إلا ما باينها ، وكان بينها وبينه فضاء وفرجة ، وكان ذلك عندهم غير جائز أن تكون رؤية الله بالأبصار كذلك ، لأن فى ذلك إثبات حدّ له ونهاية ، فبطل عندهم لذلك جواز الرؤية عليه، وأنه يقال لهم : هل علمتم موصوفا بالتدبير سوى صانعكم إلا مماسًّا لكم أو مباينا ؟ فإن زعموا أنهم يعلمون ذلك كلفوا تبيينه ، ولا سبيل إلى ذلك . وإن قالوا : لانعلم ذلك ، قيل لهم : أو ليس قد علمتموه لا مماسًّا لكم ولا مباينا ، وهو موصوف بالتدبير والفعل ، ولم يجب عندكم إذ كنتم لم تعلموا موصوفا بالتدبير والفعل غيره ، إلا مماسًّا لكم ، أو مباينا أن يكون مستحيلا العلم به ، وهو موصوف بالتدبير والفعل ، لامماسّ ولا مباين . فإن قالوا ذلك كذلك ، قيل لهم : فما تنكرون أن تكون الأبصار كذلك ، لاترى إلا ما باينها ، وكانت بينه وبينها فرجة قد تراه وهو غير مباين لها ، ولا فرجة بينها وبينه ، ولا فضاء ، كما لاتعلم القلوب موصوفا بالتدبير إلا مماسًّا لها أو مباينا وقد علمته عندكم لا كذلك وهل بينكم وبين من أنكر أن يكون موصوفا بالتدبير والفعل معلوما لا مماسًّا للعالم به أو مباينا ، وأجاز أن يكون موصوفا برؤية الأبصار لامماسا لها ، ولا مباينا فرق ، ثم يُسألون الفرق بين ذلك ، فلن يقولوا فى شىء من ذلك قولا إلا ألزموا فى الآخر مثله ، وكذلك يسألون فيما اعتلوا به فى ذلك ، إن من شأن الأبصار إدراك الألوان ، كما أن من شأن الأسماع إدراك الأصوات ، ومن شأن المتنسم درك الأعراف ، فمن الوجه الذى فسد أن يقتضى السمع لغير درك الأصوات ، فسد أن تقتضى الأبصار لغير درك الألوان ، فيقال لهم : ألستم لم تعلموا فيما شاهدتم وعاينتم موصوفا بالتدبير والفعل إلا ذا لون ، وقد علمتموه موصوفا بالتدبير لاذا لون ؛ فإن قالوا نعم ، لايجدوا من الإقرار بذلك بدا إلا أن يكذبوا ، فيزعموا أنهم قد رأوا وعاينوا موصوفا بالتدبير والفعل غير ذى لون ، فيكلفوا بيان ذلك، ولا سبيل إليه ، فيقال لهم : فإذ كان ذلك كذلك فما أنكرتم أن تكون الأبصار فيما شاهدتم وعاينتم لم تجدوها تدرك إلا الألوان ، كما لم تجدوا أنفسكم تعلم موصوفا بالتدبير إلا ذا لون وقد وجدتموها علمته موصوفا بالتدبير غير ذى لون ، ثم يسألون الفرق بين ذلك ، فلن يقولوا فى أحدهما شيئا إلا ألزموا فى الآخر مثله . ولأهل هذه المقالة مسائل فيها تلبيس كرهنا ذكرها، وإطالة الكتاب بها وبالجواب عنها ، إذ لم يكن قصدنا فى كتابنا هذا قصد الكشف عن تمويهاتهم ، بل قصدنا فيه البيان عن تأويل آى الفرقان . ولكنا ذكرنا القدر الذى ذكرنا ، ليعلم الناظر فى كتابنا هذا أنهم لايرجعون من قولهم

إلا إلى مالبّس عليهم الشيطان ، مما يسهل على أهل الحقّ البيان عن فساده ، وأنهم لا يرجعون فى قولهم إلى آية من التنزيل محكمة ، ولا رواية عن رسول الله صلى الله عليه وسلم صحيحة ولا سقيمة ، فهم فى الظلمات يخبطون ، وفى العمياء يتردّدون ، نعوذ بالله من الحيرة والضلالة .

وأما قوله (وَهُوَ اللَّطِيفُ الخَبِيرُ) فإنه يقول : والله تعالى ذكره الميسر له من إدراك الأبصار ، والمتأتى له من الإحاطة بها رؤية ما يعسر على الأبصار من إدراكها إياه ، وإحاطتها به ويتعذّر عليها . الخبير : يقول : العليم بخلقه وأبصارهم ، والسببَ الذى له تعذّر عليها إدراكه فلطف بقدرته ، فهيأ أبصار خلقه هيئة لاتدركه ، وخبر بعلمه كيف تدبيرها وشئونها ، وما هو أصلح بخلقه .

كالذى حدثنا هناد ، قال : ثنا وكيع ، وحدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبى ، عن أبى جعفر الرازى ، عن الربيع بن أنس ، عن أبى العالية ، فى قوله (اللَّطِيفُ الخَبِيرُ) قال : اللطيف باستخراجها ، الخبير بمكانها

القول فى تأويل قوله تعالى :

﴿ قَدْ جَآءَكُم بَصَآئِرُ مِن رَّبِّكُمْ فَمَنْ أَبْصَرَ فَلِنَفْسِهِۦ وَمَنْ عَمِىَ فَعَلَيْهَا وَمَآ أَنَا۠ عَلَيْكُم بِحَفِيظٍ ﴾ ١٠٤

وهذا أمر من الله جلّ ثناؤه نبيه محمدا صلى الله عليه وسلم أن يقول لهؤلاء الذين نبههم لهذه الآيات من قوله (إنّ اللهَ فالِقُ الحَبِّ والنَّوَى) . . . إلى قوله (وَهُوَ اللَّطِيفُ الخَبِيرُ) على حججه عليهم ، وعلى تبيين خلقه معهم ، العادلين به الأوثان والأنداد ، والمكذّبين بالله ورسوله محمد صلى الله عليه وسلم وما جاءهم من عند الله ، قل لهم يا محمد : قد جاءكم أيها العادلون بالله ، والمكذّبون رسوله (بَصَائِرُ مِنْ رَبِّكُمْ) أى ما تبصرون به الهدى من الضلال ، والإيمان من الكفر ، وهى جمع بصيرة ، ومنه قول الشاعر :

حَمَلُوا بَصَائِرَهُمْ على أَكْتافِهِمْ ... وبَصِيرَتِى يَعْدُو بِها عَتَدٌ وأَى[1]

يعنى بالبصيرة : الحجة البينة الظاهرة .

كما حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله (قَدْ جاءَكُمْ بَصَائِرُ مِنْ رَبِّكُمْ) قال : البصائر : الهدى بصائر فى قلوبهم لدينهم ، وليست ببصائر الرءوس ، وقرأ (فإنّها

(١) البيت فى (اللسان : بصر ، ولم ينسبه) قال : يعنى بالبصائر : دم أبيهم . يقول : تركوا دم أبيهم خلفهم ولم يثأروا به ، وطلبته أنا . وفى الصحاح : وأنا طلبت بثارى . وكان أبوعبيدة يقول : البصيرة فى هذا البيت : الترس أو الدرع ، وكان يرويه : حملوا بصائرهم . وقال ابن الأعرابى : راحوا بصائرهم (كرواية اللسان) يعنى : ثقل دماءهم على أكتافهم ، لم يثأروا بها . والبصيرة الدية . والبصائر : الديات فى أول البيت . قال : أخذوا الديات فصارت عارا ، وبصيرتى أى ثأرى ، قد حملته على فرسى ، لأطالب به ، فبينى وبينهم فرق . ورواه اللسان أيضا فى (عتد) قال : وفرس عتد وعتد ، بفتح التاء وكسرها : شديد تام الخلق ، سريع الوثبة ، معد للجرى ، ليس فيه اضطراب ولا رخاوة . وقيل : هو العتيد الحاضر المعد للركوب ، الذكر والأنثى فيه سواء ، قال الأسعر الجعفى : راحوا . . . البيت . وأورده أيضا فى وأى . قال : والوأى من الدواب : السريع المشدد الخلق . وأنشد أبوعبيدة للأسعر الجعفى : راحوا . . . البيت .

لاتَعْمَى الأبْصَارُ وَلَكِنْ تَعْمَى القُلُوبُ الَّتى فِى الصُّدُورِ) قال : إنما الذى بصره وسمعه فى هذا القلب.

حدثنا بشر بن معاذ ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (قَدْ جاءَكُمْ بَصَائِرُ مِنْ رَبِّكُمْ) أى بينة .

وقوله (فَمَنْ أبْصَرَ فَلِنَفْسِهِ) يقول : فمن تبين حجج الله وعرفها ، وأقرّ بها ، وآمن بما دلته عليه من توحيد الله ، وتصديق رسوله ، وما جاء به ، فإنما أصاب حظّ نفسه ، ولنفسه عمل ، وإياها بغى الخير (وَمَنْ عَمِىَ فَعَلَيْها) يقول : ومن لم يستدلّ بها ولم يصدّق بما دلته عليه من الإيمان بالله ورسوله وتنزيله ، ولكنه عمى عن دلالتها التى تدلّ عليها ، يقول : فنفسَه ضرّ ، وإليها أساء ، لاإلى غيرها .

وأما قوله (وَما أنا عَلَيْكُمْ بِحَفِيظٍ) يقول : وما أنا عليكم برقيب ، أحصى عليكم أعمالكم وأفعالكم وإنما أنا رسول أبلغكم ما أُرسلت به إليكم ، والله الحفيظ عليكم الذى لايخفى عليه شىء من أعمالكم .

القول فى تأويل قوله تعالى :

وَكَذَٰلِكَ نُصَرِّفُ الْآيَاتِ وَلِيَقُولُوا دَرَسْتَ وَلِنُبَيِّنَهُ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿١٠٥﴾

❁ يقول تعالى ذكره : كما صرّفت لكم أيها الناس الآيات والحجج فى هذه السورة وبينتها ، فعرّفتكموها فى توحيدى وتصديق رسولى وكتابى ، ووصيتكم عليها ، فكذلك أبين لكم آياتى وحججى فى كلّ ماجهلتموه فلم تعرفوه من أمرى ونهيى .

كما حدثنى محمد بن الحسين ، قال : ثنا أحمد بن المفضل ، قال : ثنا أسباط ، عن السدىّ (وكَذَلِكَ نُصَرِّفُ الآياتِ) لهؤلاء العادلين بربهم ، كما صرّفتها فى هذه السورة ، ولئلا يقولوا : درست .

واختلفت القرّاء فى قراءة ذلك ، فقرأته عامة قرّاء أهل المدينة والكوفة (وَلِيَقُولُوا دَرَسْتَ) يعنى قرأت أنت يا محمد بغير ألف ، وقرأ ذلك جماعة من المتقدّمين منهم ابن عباس على اختلاف عنه فيه ، وغيره وجماعة من التابعين ، وهو قراءة بعض قرّاء أهل البصرة (وَلِيَقُولُوا دَارَسْتَ) بألف ، بمعنى : قارأت وتعلمتَ من أهل الكتاب . ورُوِى عن قتادة أنه كان يقرؤه (دُرِسَتْ) بمعنى : قرئت وتليت . وعن الحسن أنه كان يقرؤه (دَرَسَتْ) بمعنى : انمحت .

❁ وأولى القراءات فى ذلك عندى بالصواب قراءة من قرأه (وَلِيَقُولُوا دَرَسْتَ) بتأويل : قرأت وتعلمت ، لأن المشركين كذلك كانوا يقولون للنبىّ صلى الله عليه وسلم ، وقد أخبر الله عن قيلهم ذلك بقوله (وَلَقَدْ نَعْلَمُ أنَّهُمْ يَقُولُونَ إنَّمَا يُعَلِّمُهُ بَشَرٌ لِسانُ الَّذِى يُلْحِدُونَ إلَيْهِ أعْجَمِىٌّ وَهَذَا لِسانٌ عَرَبِىٌّ مُبِينٌ) فهذا خبر من الله ينبئ عنهم أنهم كانوا يقولون : إنما يتعلم محمد مايأتيكم به من غيره . فإذ كان ذلك كذلك ، فقراءة (وَلِيَقُولُوا دَرَسْتَ) يا محمد ، بمعنى : تعلمت من أهل الكتاب أشبه بالحقّ ، وأولى بالصواب من قراءة من قرأه(دَارَسْتَ) بمعنى : قارأتهم وخاصمتهم ، وغير ذلك من القراءات .

واختلف أهل التأويل فى تأويل ذلك ، على قدر اختلاف القراءة فى قراءته .

ذكر من قرأ ذلك (وَلِيَقُولُوا دَرَسْتَ)من المتقدمين ، وتأوّله بمعنى : تعلمت وقرأت :

حدثنى المثنى ، قال : ثنا عبد الله بن صالح ، قال : ثنى معاوية بن صالح ، قال : ثنى علىّ بن أبى طلحة ، عن ابن عباس (وَلِيَقُولُوا دَرَسْتَ) قالوا : قرأت وتعلمت ، تقول ذلك قريش .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا عبيد الله ، عن إسرائيل ، عن أبى يحيى ، عن مجاهد (وَلِيَقُولُوا دَرَسْتَ) قال : قرأت وتعلمت .

حدثنا هناد ، قال : ثنا وكيع ، وحدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبى ، عن إسرائيل وافقه ، عن أبى إسحاق عن التيمى ، عن ابن عباس (وَلِيَقُولُوا دَرَسْتَ) قال : قرأت وتعلمت .

حدثنا محمد بن الحسين ، قال : ثنا أحمد بن المفضل ، قال : ثنا أسباط ، عن السدىّ (وَلِيَقُولُوا دَرَسْتَ) يقول : قرأت الكتب .

حُدثت عن الحسين بن الفرج ، قال : سمعت أبا معاذ يقول : ثنى عبيد بن سليمان ، قال : سمعت الضحاك يقول فى قوله (دَرَسْتَ) يقول : تعلمت وقرأت .

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا ابن عطية ، قال : ثنا إسرائيل ، عن أبى إسحاق ، عن التميمى ، قال : قلت لابن عباس : أرأيت قوله (دَرَسْتَ) قال : قرأت وتعلمت .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا حكام ، عن عنبسة ، عن أبى إسحاق ، عن التميمى ، عن ابن عباس ، مثله.

ذكر من قرأ ذلك (دَارَسْتَ) وتأوّله بمعنى : جادلت من المتقدمين .

حدثنا عمران بن موسى ، قال : ثنا عبد الوارث ، عن حميد ، عن مجاهد ، عن ابن عباس (دارَسْتَ) يقول : قارأت .

حدثنى يعقوب ، قال : ثنا ابن علية ، عن أيوب ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس ، أنه كان يقرؤها (وَلِيَقُولُوا دَارَسْتَ) أحسبه قال : قارأت أهل الكتاب .

حدثنى محمد بن بشار ، قال : ثنا عبد الرحمن ، قال : ثنا سفيان ، عن أبى إسحاق ، عن التيمى ، عن ابن عباس (وَلِيَقُولُوا دَارَسْتَ) قال : قارأت وتعلمت .

حدثنا محمد بن المثنى ، قال : ثنا أبو داود ، قال : ثنا شعبة ، عن أبى إسحاق ، قال : سمعت التيمى يقول : سألت ابن عباس ، عن قوله (وَلِيَقُولُوا دَارَسْتَ) قال : قارأت وتعلمت .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا ابن علية ، عن أبى المعلى ، عن سعيد بن جبير ، قال : كان ابن عباس يقرؤها (دَارَسْتَ) .

حدثنا المثنى ، قال : ثنا آدم العسقلانى ، قال : ثنا شعبة ، قال : ثنا أبو المعلى ، قال : سمعت سعيد بن جبير يقول : كان ابن عباس يقرأ (دَارَسْتَ) بالألف ، بجزم السين ونصب التاء .

حدثنا الحسن بن يحيى ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا ابن عيينة ، عن عمرو بن دينار قال : أخبرنى عمرو بن كيسان ، أن ابن عباس كان يقرأ (دَارَسْتَ) تلوت ، خاصمت ، جادلت

حدثنا أبو كريب وابن وكيع ، قالا : ثنا سفيان بن عيينة ، عن عمرو بن دينار ، عن عمرو بن كيسان ، قال ابن عباس فى (دَارَسْتَ) قال : تلوث ، خاصمت ، جادلت .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا محمد بن جعفر ، قال : ثنا شعبة ، عن أبى بشر ، عن سعيد بن جبير فى هذه الآية (وَلِيَقُولُوا دَارَسْتَ) قال : قارأت .

حدثنى المثنى ، قال : ثنا آدم ، قال : ثنا شعبة ، قال : ثنا أبو بشر ، عن سعيد بن جبير ، أنه قرأ (دَارَسْتَ) بالألف أيضا منتصبة التاء ، وقال : قارأت .

حدثنى المثنى ، قال : ثنا الحجاج ، قال : ثنا أبوعوانة ، عن أبى بشر ، عن سعيد بن جبير أنه قرأ (دَارَسْتَ) أى ناسخت .

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبوعاصم ، قال : ثنا عيسى ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد : فى قول الله (دَارَسْتَ) قال : فاقهت : قرأت على يهود وقرءوا عليك .

حدثنى المثنى ، قال : ثنا أبوحذيفة ، قال : ثنا شبل ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد (وَلِيَقُولُوا دَارَسْتَ) قال : قارأت ، قرأت على يهود ، وقرءوا عليك .

حدثنى المثنى ، قال : ثنا عمرو بن عون ، قال : ثنا هشيم ، عن جويبر ، عن الضحاك ، فى قوله (دَارَسْتَ) يعنى : أهل الكتاب .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا ابن عيينة ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد (دَارَسْتَ) قال : قرأت على يهود ، وقرءوا عليك .

حدثنى محمد بن سعد ، قال : ثنى أبى ، قال : ثنى عمى ، قال : ثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، فى قوله (وَلِيَقُولُوا دَارَسْتَ) قال : قالوا دارست أهل الكتاب ، وقرأت الكتب وتعلمتها .

ذكر من قرأ ذلك (دُرِسْتَ) بمعنى : تليت وقرئت ، على وجه ما لم يسمّ فاعله .

حدثنا عمران بن موسى القزّاز ، قال : ثنا عبد الوارث بن سعيد ، قال : ثنا الحسين المعلم وسعيد ، عن قتادة (وَكَذَلِكَ نُصَرِّفُ الآياتِ وَلِيَقُولُوا دُرِسْتَ) أى قرئت وتُعلِّمت .

حدثنا محمد بن عبدالأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، قال : قال قتادة (دُرِسَتْ) قرئت . وفى حرف ابن مسعود : درس .

ذكر من قرأ ذلك (دَرَسَتْ) بمعنى : انمحت وتقادمت : أى هذا الذى تتلوه علينا قد مرّ بنا قديما ، وتطاولت مدّته .

حدثنا بشر بن معاذ ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قال : كان الحسن يقرأ : (وَلِيَقُولُوا دَرَسَتْ) : أى انمحت .

حدثنى المثنى ، قال : ثنا آدم ، قال : ثنا شعبة ، قال : ثنا أبو إسحاق الهمدانى ، قال فى قراءة ابن مسعود (دَرَسَتْ) بغير ألف ، بنصب السين ووقف التاء .

حدثنا الحسن بن يحيى ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا ابن عيينة ، عن عمرو بن دينار ، قال : سمعت ابن الزبير يقول : إن صبيانا ههنا يقرءون (دَارَسْتَ) وإنما هي (دَرَسَتْ) .

حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، قال الحسن (وَلِيَقُولُوا دَرَسَتْ) يقول : تقادمت وانمحت وقرأ ذلك آخرون : دَرَسَ ، من درس الشيء : تلاه .

حدثنا أحمد بن يوسف الثعلبي ، قال : ثنا أبو عبيدة ، قال : ثنا حجاج ، عن هارون ، قال : هي في حرف أبيّ بن كعب وابن مسعود (وَلِيَقُولُوا دَرَسَ) قال . يعني النبيّ صلى الله عليه وسلم قرأ . وإنما جاز أن يقال مرّة دَرَسَتْ ، ومرّة دَرَس ، فيخاطب مرّة ، ويخبر مرّة من أجل القول .

وقد بينا أولى هذه القراءات في ذلك بالصواب عندنا ، والدلالة على صحة ما اخترنا منها .

وأما تأويل قوله (وَلِنُبَيِّنَهُ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ) يقول تعالى ذكره : كما صرّفنا الآيات والعبر والحجج في هذه السورة ، لهؤلاء العادلين بربهم الآلهة والأنداد ، كذلك نصرّف لهم الآيات في غيرها ، كيلا يقولوا لرسولنا الذي أرسلناه إليهم ، إنما تعامت ما تأتينا به تتلوه علينا من أهل الكتاب ، فينزجروا عن تكذيبهم إياه ، وتقوّلهم عليه الإفك والزور ، ولنبين تصريفنا الآيات الحقّ ، لقوم يعلمون الحقّ إذا تبين لهم ، فيتبعوه ويقبلوه ، وليسوا كمن إذا بين لهم عموا عنه فلم يعقلوه ، وازدادوا من الفهم به بعدا .

القول في تأويل قوله تعالى

اتَّبِعْ مَا أُوحِيَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ ﴿١٠٦﴾ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَشْرَكُوا وَمَا جَعَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا وَمَا أَنتَ عَلَيْهِم بِوَكِيلٍ ﴿١٠٧﴾

يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم : اتبع يا محمد ما أمرك به ربك في وحيه الذي أوحاه إليك ، فاعمل به ، وانزجر عما زجرك عنه فيه ، ودع ما يدعوك إليه مشركو قومك من عبادة الأوثان والأصنام ، فإنه لاإله إلا هو ، يقول : لامعبود يستحقّ عليك إخلاص العبادة له إلا الله الذي هو فالق الحبّ والنوى وفالق الإصباح وجاعل الليل سكنا والشمس والقمر حسبانا (وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ) . يقول : ودع عنك جدالهم وخصومتهم ، ثم نسخ ذلك جلّ ثناؤه بقوله في براءة (اقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ) . . . الآية .

كما حدثني المثنى ، قال : ثنا عبد الله بن صالح ، قال : ثني معاوية بن صالح ، عن عليّ بن أبي طلحة عن ابن عباس ، أما قوله (وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ) ونحوه مما أمر الله المؤمنين بالعفو عن المشركين فإنه نسخ ذلك قوله (اقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ) .

القول في تأويل قوله تعالى : (وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَشْرَكُوا ، وَمَا جَعَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا ، وَمَا أَنْتَ عَلَيْهِمْ بِوَكِيلٍ) :

يقول جلّ ثناؤه لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم : أعرض عن هؤلاء المشركين بالله ، ودع عنك جدالهم وخصومتهم ومسابّتهم (وَلَوْ شاءَ اللهُ ما أشْرَكُوا) يقول : لو أرادوا بك هدايتهم ، واستنقاذهم من ضلالتهم للطف لهم بتوفيقه إياهم ، فلم يشركوا به شيئا ولا آمنوا بك فاتبعوك ، وصدّقوا ما جئتهم به من الحقّ من عند ربك (وَما جَعَلْناكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظا) يقول جلّ ثناؤه : وإنما بعثتك إليهم رسولا مبلغا ، ولم نبعثك حافظا عليهم ماهم عاملوه ، وتحصى ذلك عليهم ، فإن ذلك إلينا دونك (وَما أنْتَ عَلَيْهِمْ بِوَكِيلٍ) يقول : ولست عليهم بقيم تقوم بأرزاقهم وأقواتهم ، ولا بحفظهم فيما لم يجعل إليك حفظه من أمرهم.

وبنحو الذى قلنا فى ذلك ، قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنى المثنى ، قال : ثنا عبد الله بن صالح ، قال : ثنى معاوية بن صالح ، عن علىّ بن أبى طلحة ، عن ابن عباس ، قوله (وَلَوْ شاءَ اللهُ ما أشْرَكُوا) يقول سبحانه : لو شئت لجمعتهم على الهدى أجمعين .

القول في تأويل قوله تعالى :

﴿وَلَا تَسُبُّوا الَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ فَيَسُبُّوا اللَّهَ عَدْوًا بِغَيْرِ عِلْمٍ كَذَٰلِكَ زَيَّنَّا لِكُلِّ أُمَّةٍ عَمَلَهُمْ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِم مَّرْجِعُهُمْ فَيُنَبِّئُهُم بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ۝١٠٨﴾

يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم وللمؤمنين به : ولا تسبوا الذين يدعو المشركون من دون الله من الآلهة والأنداد ، فيسبّ المشركون الله جهلا منهم بربهم ، واعتداء بغير علم .

كما حدثنى المثنى ، قال : ثنا أبو صالح ، قال : ثنى معاوية بن صالح ، عن علىّ بن أبى طلحة ، عن ابن عباس ، قوله (وَلا تَسُبُّوا الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللهِ ، فَيَسُبُّوا اللهَ عَدْوًا بغير عِلْمٍ) قال : قالوا يامحمد لتنتهينّ عن سبّ آلهتنا ، أو لنهجونّ ربك ، فنهاهم الله أن يسبوا أوثانهم فيسبوا الله عدوا بغير علم .

حدثنا بشر بن معاذ ، قال : ثنا يزيد قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (وَلا تَسُبُّوا الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللهِ فَيَسُبُّوا اللهَ عَدْوًا بغيرِ عِلْمٍ) كان المسلمون يسبون أوثان الكفار ، فيردّون ذلك عليهم ، فنهاهم الله أن يستسبوا لربهم ، فإنهم قوم جهلة لاعلم لهم بالله .

حدثنا محمد بن الحسين ، قال : ثنا أحمد بن المفضل ، قال : ثنا أسباط ، عن السدىّ (وَلا تَسُبُّوا الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللهِ فَيَسُبُّوا اللهَ عَدْوًا بغيرِ عِلْمٍ) قال : لما حضر أبا طالب الموت ، قالت قريش : انطلقوا بنا ، فلندخل على هذا الرجل فلنأمره أن ينهى عنا ابن أخيه ، فإنا نستحى أن نقتله بعد موته ، فتقول العرب : كان يمنعه ، فلما مات قتلوه ، فانطلق أبو سفيان ، وأبو جهل ، والنضر بن الحرث ، وأمية وأبىّ ابنا خلف ، وعقبة بن أبى معيط ، وعمرو بن العاص ، والأسود بن البخترىّ ،

وبعثوا رجلا منهم يقال له المطلب ، قالوا : استأذن على أبي طالب ، فأتى أبا طالب فقال : هؤلاء مشيخة قومك ، يريدون الدخول عليك ، فأذن لهم ، فدخلوا عليه ، فقالوا : يا أبا طالب ، أنت كبيرنا وسيدنا ، وإن محمدا قد آذانا وآذى آلهتنا ، فنحبّ أن تدعوه ، فتنهاه عن ذكر آلهتنا ، ولندَعَه وإلهه ، فدعاه ، فجاء النبيّ صلى الله عليه وسلم ، فقال له أبو طالب : هؤلاء قومك وبنو عمك ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ما تُرِيدُونَ ؟ قالوا : نريد أن تدعنا وآلهتنا ، وندعك وإلهك ، قال له أبو طالب : قد أنصفك قومك ، فاقبل منهم ، فقال النبيّ صلى الله عليه وسلم : أرأيْتُمْ إنْ أعْطَيْتُكُمْ هَذَا هَلْ أنْتُمْ مُعْطِيَّ كَلِمَةً إنْ تَكَلَّمْتُمْ بِها مَلَكْتُمُ العَرَبَ، وَدَانَتْ لَكُمْ بِها العَجَمُ بالخَرَاجِ ؟ قال أبو جهل : نعم وأبيك لنعطينكها وعشر أمثالها ، فما هي ؟ قال : قُولُوا : لاإلَهَ إلاَّ اللهُ فَأبَوْا واشمأزوا ، قال أبو طالب : يا ابن أخي قل غيرها ، فإن قومك قد فزعوا منها ، قال : يا عَمّ ما أنَا بالّذِي أقُولُ غيرَها حتى يأْتُوا بالشَمْسِ فَيَضَعُوها فِي يَدِي ، وَلَوْ أتَوْنِي بالشمْسِ فَوَضَعُوها فِي يَدِي ماقُلْتُ غيرَها ، إرادة أن يؤيسهم ، فغضبوا وقالوا : لتكفنّ عن شتمك آلهتنا ، أو لنشتمنك ولنشتمنّ من يأمرك ، فذلك قوله (فَيَسُبُّوا اللهَ عَدْوًا بغيرِ عِلْمٍ) .

حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة ، قال : كان المسلمون يسبون أصنام الكفار ، فيسبّ الكفار الله عدوا بغير علم ، فأنزل الله (وَلا تَسُبُّوا الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللهِ ، فَيَسُبُّوا اللهَ عَدْوًا بغيرِ عِلْمٍ) .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله (فَيَسُبُّوا اللهَ عَدْوًا بغيرِ عِلْمٍ) قال : إذا سببت إلهه ، سبّ إلهك ، فلا تسبوا آلهتهم .

وأجمعت الأمة من قرّاء الأمصار على قراءة ذلك (فَيَسُبُّوا اللهَ عَدْوًا بغيرِ عِلْمٍ) بفتح العين وتسكين الدال ، وتخفيف الواو من قوله (عَدْوًا) على أنه مصدر من قول القائل : عدا فلان على فلان : إذا ظلمه واعتدى عليه ، يعدو عدوًا وعُدُوًّا وعدوانا ، والاعتداء : إنما هو افتعال من ذلك .

رُوِى عن الحسن البصرى أنه كان يقرأ ذلك عدوّا مشددة الواو .

حدثني بذلك أحمد بن يوسف ، قال : ثنا القاسم بن سلام ، قال : ثنا حجاج ، عن هارون ، عن عثمان بن سعد (فَيَسُبُّوا اللهَ عُدُوًّا) مضمومة العين مثقلة .

وقد ذكر عن بعض البصريين أنه قرأ ذلك (فَيَسُبُّوا اللهَ عَدُوًّا) يوجه تأويله إلى أنهم جماعة ، كما قال جلّ ثناؤه (فإنَّهُمْ عَدُوٌّ لِي إلاَّ رَبَّ العالَمِينَ) ، وكما قال (لاتَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أوْلِياءَ) ويجعل نصب العدوّ حينئذ على الحال من ذكر المشركين في قوله (فَيَسُبُّوا) .

فيكون تأويل الكلام : ولا تسبوا أيها المؤمنون الذين يدعو المشركون من دون الله ، فيسبّ المشركون الله أعداءُ الله بغير علم . وإذا كان التأويل هكذا كان العدوّ من صفة المشركين ونعتهم ، كأنه قيل : فيسبّ المشركون أعداء الله بغير علم ، ولكن العدوّ لما خرج مخرج النكرة ، وهو نعت للمعرفة ، نصب على الحال .

* والصواب من القراءة عندى فى ذلك قراءة من قرأ بفتح العين وتخفيف الواو لإجماع الحجة من القراء على قراءة ذلك كذلك ، وغير جائز خلافها فيا جاءت مجمعة عليه .

القول فى تأويل قوله تعالى: ﴿ كَذَلِكَ زَيَّنَّا لِكُلِّ أُمَّةٍ عَمَلَهُمْ ، ثُمَّ إلى رَبِّهِمْ مَرْجِعُهُمْ ، فَيُنَبِّئُهُمْ بِمَا كانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ :

يقول تعالى ذكره : كما زينا لهؤلاء العادلين بربهم الأوثان والأصنام عبادة الأوثان ، وطاعة الشيطان بخذلاننا إياهم عن طاعة الرحمن ، كذلك زينا لكلّ جماعة اجتمعت على عمل من الأعمال من طاعة الله ومعصيته ، عملهم الذى هم عليه مجتمعون ، ثم مرجعهم بعد ذلك ومصيرهم إلى ربهم ، فينبئهم بما كانوا يعملون ، يقول: فيوقفهم ويخبرهم بأعمالهم التى كانوا يعملون بها فى الدنيا ، ثم يجازيهم بها إن كان خيرا فخير ، وإن كان شرّا فشرّ ، أو يعفو بفضله ما لم يكن شركا أو كفرا .

القول فى تأويل قوله تعالى :

وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَئِن جَاءَتْهُمْ آيَةٌ لَّيُؤْمِنُنَّ بِهَا قُلْ إِنَّمَا الْآيَاتُ عِندَ اللَّهِ وَمَا يُشْعِرُكُمْ أَنَّهَا إِذَا جَاءَتْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٠٩﴾

* يقول تعالى ذكره : حلف بالله هؤلاء العادلون بالله جهد حلفهم ، وذلك أوكد ما قدوا عليه من الأيمان وأصعبها وأشدّها (لَئِنْ جاءَتْهُمْ آيَةٌ) يقول : قالوا : نقسم بالله لئن جاءتنا آية تصدّق ماتقول يا محمد مثل الذى جاء من قبلنا من الأمم (لَيُؤْمِنُنَّ بِها) يقول : قالوا : لنصدقنّ بمجيئها بك ، وأنك لله رسول مرسل ، وأن ما جئتنا به حقّ من عند الله ، وقيل : ليؤمننّ بها ، فأخرج الخبر عن الآية والمعنى لمجىء الآية ، يقول لنبيه صلى الله عليه وسلم(قُلْ إِنَّمَا الآياتُ عِنْدَ اللهِ) وهو القادر على إتيانكم بها دون كلّ أحد من خلقه (وَما يُشْعِرُكُمْ) يقول وما يدريكم(أَنَّها إذَا جاءَتْ لايُؤْمِنُونَ) . وذكر أن الذين سألوه الآية من قومه هم الذين آيس الله نبيه من إيمانهم من مشركى قومه .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك ، قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، فى قول الله (لَئِنْ جاءَتْهُمْ آيَةٌ لَيُؤْمِنُنَّ بِها) إلى قوله (يَجْهَلُونَ) سألت قريش محمدا صلى الله عليه وسلم أن يأتيهم بآية ، واستحلفهم ليؤمننّ بها .

حدثنى المثنى ، قال : ثنا أبو حذيفة ، قال : ثنا شبل ، عن ابن أبى نجيح (لَئِنْ جاءَتْهُمْ آيَةٌ لَيُؤْمِنُنَّ بِها) ثم ذكر مثله .

حدثنا هناد ، قال : ثنا يونس بن بكير ، قال : ثنا أبو معشر ، عن محمد بن كعب القرظى ، قال :

كلم رسولَ الله صلى الله عليه وسلم قريش ، فقالوا : يا محمد تخبرنا أن موسى كان معه عصا يضرب بها الحجر ، فانفجرت منه اثنتا عشرة عينا ، وتخبرنا أن عيسى كان يحيي الموتى ، وتخبرنا أن ثمود كانت لهم ناقة ، فاتنا بشيء من الآيات ، حتى نصدّقك ، فقال النبيّ صلى الله عليه وسلم : أيُّ شَيْءٍ تُحِبونَ أنْ آتِيَكُمْ بِهِ ؟ قالوا : تجعل لنا الصفا ذهبا ، فقال لهم : فإنْ فَعَلْتُ تُصَدِّقُونِي ؟ قالوا : نعم والله لئن فعلت لنتبعك أجمعون ، فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم يدعو ، فجاءه جبريل عليه السلام ، فقال : لك ما شئت إن شئت أصبح ذهبا ، ولئن أرسل آية فلم يصدّقوا عند ذلك لنعذّبنهم ، وإن شئت فاتركهم حتى يتوب تائبهم ، فقال : بَلْ يَتُوبَ تائِبُهُمْ ، فأنزل الله تعالى (وأقْسَمُوا بالله) . . . إلى قوله (يَجْهَلُونَ) .

القول في تأويل قوله تعالى ﴿ وَما يُشْعِرُكُمْ أَنَّها إذَا جاءَتْ لايُؤْمِنُونَ ﴾ :

اختلف أهل التأويل فى المخاطبين بقوله (وَما يُشْعِرُكُمْ أَنَّها إذَا جاءَتْ لايُؤْمِنُونَ) فقال بعضهم : خوطب بقوله (وَما يُشْعِرُكُمْ) المشركون المقسمون بالله لئن جاءتهم آية ليؤمننّ ، وانتهى الخبر عند قوله (وَما يُشْعِرُكُمْ) ثم استؤنف الحكم عليهم بأنهم لايؤمنون عند مجيئها استئنافا مبتدأ .

ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبوعاصم ، قال : ثنا عيسى ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، فى قول الله (وَما يُشْعِرُكُمْ) قال : ما يدريكم ، قال : ثم أخبر عنهم أنهم لايؤمنون .

حدثني المثنى ، قال : ثنا أبوحذيفة ، قال : ثنا شبل ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد (وَما يُشْعِرُكُمْ وما يدريكم) أَنَّها إذَا جاءَتْ ؟ قال : أوجب عليهم أنها إذا جاءت (لايُؤْمِنُونَ) .

حدثني المثنى ، قال : ثنا إسحاق ، قال : سمعت عبد الله بن زيد يقول : إنما الآيات عند الله ، ثم تستأنف فيقول (إِنَّها إذَا جاءَتْ لايُؤْمِنُونَ) .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثني حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، قوله (إِنَّمَا الآياتُ عِنْدَ الله وَما يُشْعِرُكُمْ) : وما يدريكم أنكم تؤمنون إذا جاءت ؛ ثم استقبل يخبر عنهم فقال : (إذَا جاءَتْ لايُؤْمِنُونَ) .

وعلى هذا التأويل قراءة من قرأ ذلك بكسر ألف (إِنَّها) على أن قوله (أَنَّها إذَا جاءَتْ لايُؤْمِنُونَ) خبر مبتدأ منقطع عن الأوّل ، وممن قرأ ذلك كذلك بعض قرّاء المكيين والبصريين .

وقال آخرون منهم : بل ذلك خطاب من الله نبيه صلى الله عليه وسلم وأصحابه ، قالوا : وذلك أن الذين سألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يأتي بآية ، المؤمنون به . قالوا : وإنما كان سبب مسألتهم إياه ذلك أن المشركين حلفوا أن الآية إذا جاءت آمنوا ، واتبعوا رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم : سل يا رسول الله ربك ذلك ، فسأل ، فأنزل الله فيهم وفى مسألتهم إياه ذلك ، قل للمؤمنين بك يا محمد : إنما الآيات عند الله ، وما يشعركم أيها المؤمنون بأن الآيات إذا جاءت هؤلاء

المشركين بالله أنهم لايؤمنون به ، ففتحوا الألف من أن . وممن قرأ ذلك كذلك عامة قرّاء أهل المدينة والكوفة ، وقالوا : أدخلت « لا » فى قوله (لايُؤْمِنُونَ) صلة ، كما أدخلت فى قوله (ما مَنَعَكَ ألاّ تَسْجُدَ) ، وفى قوله (وَحَرَامٌ على قَرْيَةٍ أهْلَكْناها أنَّهُمْ لايَرْجِعُونَ) وإنما المعنى : وحرام عليهم أن يرجعوا ، وما منعك أن تسجد .

وقد تأوّل قوم قرءوا ذلك بفتح الألف من (أنَّها) بمعنى : لعلها، وذكروا أن ذلك كذلك فى قراءة أبَىّ بن كعب ، وقد ذُكر عن العرب سماعا منها : اذهب إلى السوق أنك تشترى لى شيئا ، بمعنى : لعلك تشترى ؛ وقد قيل : إن قول عدىّ بن زيد العبادى :

أعاذِلَ ما يُدْرِيك أنَّ مَنِيَّتِي … إلى ساعةٍ فِي اليَوْمِ أوْ فِي ضُحَى الغَدِ[1]

بمعنى : لعلّ منيتى ؛ وقد أنشدونى بيت دُرَيد بن الصِّمّة :

ذَرِينِي أُطَوِّفُ فِي البِلادِ لأنَّنِي … أرَى ما تَرَيْنَ أوْ بَخِيلاً مُخَلَّدَا[2]

بمعنى : لعلنى ، والذى أنشدنى أصحابنا عن الفراء : لعلنى أرى ماترين ؛ وقد أنشد أيضا بيت توبة بن الحُمَيِّرِ

لَعَلَّكَ يا تَيْسا نَزَا فِي مَرِيرَةٍ … مُعَذِّبَ لَيْلَى أنْ تَرَانِي أزُورُها[3]

لهنك ياتيسا ، بمعنى : لأنك التى فى معنى لعلك ؛ وأنشد بيت أبى النجم العجلى :

قُلْتُ لشَيْبانَ ادْنُ مِنْ لِقائِهِ … إنا نُغَدِّى القَوْمَ مِنْ شِوَائِهِ[4]

يعنى : لعلنا نغدى القوم .

---

(١) البيت فى قصيدة له مطلعها : « أتعرف رسم الدار من أم معبد » أوردها صاحب شعراء النصرانية (ص ٤٦٥) وفى البيت « ضحى غد » فى موضع « ضحى الغد » . والمنية : الموت .

(٢) هذا البيت من الطويل ، وهو مركب من شطرين من بيتين مختلفين . فأما الشطر الأول فمن بيت لعروة بن الورد ، أنشده ابن الأنبارى فى كتاب الإنصاف طبعة القاهرة ص ١٣٩ ، وهو شاهد على أن لعل تجىء معها نون الوقاية قليلا ، وهو :

دَعِينِي أطَوِّفْ فى البِلادِ لَعَلَّنِي … أُفِيدُ غِنىً فِيهِ لِذِي الحَقِّ مَحْمِلُ

وأما البيت الثانى فهو قول حاتم الطائى يخاطب زوجته ، وكانت تنهاه عن الإسراف فى ماله ، وهو :

أرِينِي جَوَاداً ماتَ هَزْلاً لَعَلَّنِي … أرَى ما تَرَيْنَ أوْ بَخِيلاً مُخَلَّدَا

أنشده صاحب اللسان فى (علل) مرتين ، والثانية عن يعقوب بن السكيت وفيها « لأنى » فى موضع « لعلى » . وأوضح ابن برى ما قيل فى نسبة البيت ، فقال : ذكر أبوعبيدة أن هذا البيت لحطائط بن يعفر . وذكر الحوفى أنه لدريد . وهذا البيت فى قصيدة لحاتم معروفة مشهورة . اهـ . وانظره فى شعر حاتم (شعراء النصرانية ص ١٢٠) وقال يعقوب بن السكيت ، وهو من الكوفيين : وسمعت أبا الصقر ينشد : « أرينى جوادا مات هزلا لأننى » . يريد أنها لغة فى لعلى . والخلاصة : أن رواية المؤلف للبيت تجمع شطرا من بيت عروة ، وشطرا من بيت حاتم . فلتحرر .

(٣) المريرة : الحبل المفتول على أكثر من طاق واحد . ويقال : استمرت مريرته على كذا : إذا استحكم أمره عليه ، وقويت شكيمته فيه .

(٤) البيتان لأبى النجم العجلى الراجز المشهور فى العصر الأموى ، وهما من مشطور الرجز ، أوردهما ابن قتيبة فى كتابه (المعانى الكبير طبع الهند ص ٣٦٣) ، وأورد قبلهما كثيرا من أبيات الأرجوزة ، فى صحائف متفرقة . ورواية البيت الثانى فيه : « كما نغدى » فى موضع : « إنا نغدى » . . . الخ . ثم قال بعده : شيبان : ابنه . قلت له : اركب فى طلبه : (الظليم) ، كما : بمعنى كيما يقول ، كيما نصيده ، فنغذى القوم به مشويا ، وأورده بهذه الرواية نفسها البغدادى فى الخزانة (٣ : ٥٩١ – ٥٩٢) شاهدا على أن « كما » بمعنى « كيما » ، تحت الكلام على الشاهد ال (٦٥٧) وهو : « لاتظلموا الناس كما لاتظلموا » .

﴿ وأولى التأويلات فى ذلك بتأويل الآية ، قول من قال : ذلك خطاب من الله للمؤمنين به من أصحاب رسوله ، أعني قوله (وَمَا يُشْعِرُكُمْ أَنَّهَا إِذَا جَاءَتْ لَا يُؤْمِنُونَ)، وأن قوله أنها ، بمعنى : لعلها .

﴿ وإنما كان ذلك أولى تأويلاته بالصواب لاستفاضة القراءة فى قرّاء الأمصار بالياء من قوله (لا يُؤْمِنُونَ) ولو كان قوله (وَمَا يُشْعِرُكُمْ) خطابا للمشركين ، لكانت القراءة فى قوله (لا يُؤْمِنُونَ) بالتاء، وذلك وإن كان قد قرأه بعض قراء المكيين كذلك ، فقراءة خارجة عما عليه قرّاء الأمصار ، وكفى بخلاف جميعهم لها دليلا على ذهابها وشذوذها .

وإنما معنى الكلام : وما يدريكم أيها المؤمنون لعلّ الآيات إذا جاءت هؤلاء المشركين لا يؤمنون فيعاجَلوا بالنقمة والعذاب عند ذلك ، ولا يؤخَّروا به .

القول في تأويل قوله تعالى :

﴿ وَنُقَلِّبُ أَفْئِدَتَهُمْ وَأَبْصَارَهُمْ كَمَا لَمْ يُؤْمِنُوا بِهِ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَنَذَرُهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴾ ١١٠

﴿ قال أبو جعفر : اختلف أهل التأويل فى تأويل ذلك، فقال بعضهم : معنى ذلك : لو أنا جئناهم بآية كما سألوا ما آمنوا كما لم يؤمنوا بما قبلها أوّل مرّة ، لأن الله حال بينهم وبين ذلك .

ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن سعد ، قال : ثنى أبى ،قال : ثنى عمى ، قال : ثنى أبى ، عن أبيه، عن ابن عباس، قوله (وَنُقَلِّبُ أَفْئِدَتَهُمْ وَأَبْصَارَهُمْ كَمَا لَمْ يُؤْمِنُوا بِهِ أَوَّلَ مَرَّةٍ) . . . الآية ، قال : لما جحد المشركون ما أنزل الله لم تثبت قلوبهم على شيء ، ورُدّت عن كلّ أمر.

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله (وَنُقَلِّبُ أَفْئِدَتَهُمْ وَأَبْصَارَهُمْ) قال : نمنعهم من ذلك كما فعلنا بهم أوّل مرّة . وقرأ (كَمَا لَمْ يُؤْمِنُوا بِهِ أَوَّلَ مَرَّةٍ).

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد (وَنُقَلِّبُ أَفْئِدَتَهُمْ وَأَبْصَارَهُمْ) قال : نحول بينهم وبين الإيمان ، ولو جاءتهم كل آية فلا يؤمنون ، كما حلنا بينهم وبين الإيمان أوّل مرّة .

وقال آخرون : معنى ذلك : ونقلب أفئدتهم وأبصارهم لو ردّوا من الآخرة إلى الدنيا ، فلا يؤمنون كما فعلنا بهم ذلك، فلم يؤمنوا فى الدنيا ؛ قالوا : وذلك نظير قوله(وَلَوْ رُدُّوا لَعَادُوا لِمَا نُهُوا عَنْهُ) .

ذكر من قال ذلك

حدثني المثنى ، قال : ثنا عبد الله بن صالح ، قال : ثنى معاوية بن صالح ، عن علىّ بن أبى طلحة ، عن ابن عباس ، قال : أخبر الله سبحانه : ما العباد قائلون قبل أن يقولوه ، وعملهم قبل أن يعملوه ، قال :

(وَلا يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ - أَنْ تَقُولَ نَفْسٌ يَاحَسْرَتَا عَلَى مَا فَرَّطْتُ فِي جَنْبِ اللهِ وَإِنْ كُنْتُ لَمِنَ السَّاخِرِينَ . أَوْ تَقُولَ لَوْ أَنَّ اللهَ هَدَانِي لَكُنْتُ مِنَ الْمُتَّقِينَ . أَوْ تَقُولَ حِينَ تَرَى الْعَذَابَ لَوْ أَنَّ لِي كَرَّةً فَأَكُونَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ) يقول : من المهتدين ، فأخبر الله سبحانه ، أنهم لو ردّوا لعادوا لما نهوا عنه، وإنهم لكاذبون ، وقال (وَنُقَلِّبُ أَفْئِدَتَهُمْ وَأَبْصَارَهُمْ كَمَا لَمْ يُؤْمِنُوا بِهِ أَوَّلَ مَرَّةٍ) قال : لو ردوا إلى الدنيا لحيل بينهم وبين الهدى ، كما حلنا بينهم وبينه أوّل مرّة وهم فى الدنيا .

ﷺ وأولى التأويلات فى ذلك عندى بالصواب أن يقال : إن الله جلّ ثناؤه أخبر عن هؤلاء الذين أقسموا بالله جهد أيمانهم ، لئن جاءتهم آية ليؤمننّ بها ، أنه يقلب أفئدتهم و أبصارهم، ويصرّفها كيف شاء ، وأن ذلك بيده ، يقيمه إذا شاء ، ويزيغه إذا أراد، وأنّ قوله (كَمَا لَمْ يُؤْمِنُوا بِهِ أَوَّلَ مَرَّةٍ) دليل على محذوف من الكلام ، وأن قوله كما تشبيه ما بعده بشيء قبله . وإذ كان ذلك كذلك ، فالواجب أن يكون معنى الكلام : ونقلب أفئدتهم فنزيغها عن الإيمان، وأبصارهم عن رؤية الحقّ ومعرفة موضع الحجة ، وإن جاءتهم الآية التى سألوها فلا يؤمنوا بالله ورسوله، وما جاء به من عند الله كما لم يؤمنوا بتقليبنا إياها قبل مجيئها مرّة قبل ذلك ، وإذاكان ذلك تأويله كانت الهاء من قوله (كَمَا لَمْ يُؤْمِنُوا بِهِ)كناية ذكر التقليب .

القول فى تأويل قوله تعالى : ﴿ وَنَذَرُهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴾ :

يقول تعالى ذكره : ونذر هؤلاء المشركين الذين أقسموا بالله جهد أيمانهم ، لئن جاءتهم آية ليؤمننّ بها عند مجيئها فى تمرّدهم على الله، واعتدائهم فى حدوده ، يتردّدون لا يهتدون لحقّ، ولا يبصرون صوابا ، قد غلب عليهم الخذلان ، واستحوذ عليهم الشيطان .

تمّ الجزء السابع من تفسير ابن جرير الطبرىّ

ويليه الجزء الثامن

وأوّله : القول فى تأويل قوله (وَلَوْ أَنَّنَا نَزَّلْنا إِلَيْهِمُ المَلائِكَةَ)

جامع البيان

عن

تأويل آي القرآن

تأليف

أبي جعفر محمد بن جرير الطبري

المتوفى سنة ٣١٠ هـ

الجزء الثامن

دار الفكر

فهارس الجزء الثامن
من
جامع البيان عن تأويل آي القرآن
لأبي جعفر محمد بن جرير الطبري

الفهرس الأول : للآيات المفسرة
الفهرس الثاني : مواضيع الآيات المفسرة
الفهرس الثالث : للقوافي
الفهرس الرابع : للأحاديث النبوية .

فهارس الجزء الثامن من جامع البيان عن تأويل آى القرآن

١ — فهرس الآيات

٢ — فهرس الموضوعات

٣ ـ فهرس القوافى

٤ ـ فهرس الأحاديث

بسم الله الرحمن الرحيم

القول في تأويل قوله تعالى:

﴿ وَلَوْ أَنَّنَا نَزَّلْنَا إِلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةَ وَكَلَّمَهُمُ الْمَوْتَىٰ وَحَشَرْنَا عَلَيْهِمْ كُلَّ شَيْءٍ قُبُلًا مَّا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا إِلَّا أَن يَشَاءَ اللَّهُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ يَجْهَلُونَ ﴾ (١١١)

يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم: يا محمد، ايئس من فلاح هؤلاء العادلين بربهم الأوثان والأصنام، القائلين لك: لئن جئتنا بآية لنؤمننّ لك، فإننا لو (نَزَّلْنَا إِلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةَ) حتى يروها عيانا (وَكَلَّمَهُمُ الْمَوْتَى) باحيائنا إياهم حجة لك، ودلالة على نبوّتك، وأخبروهم أنك محقّ فيما تقول، وأن ما جئتهم به حقّ من عند الله (وَحَشَرْنَا عَلَيْهِمْ كُلَّ شَيْءٍ) فجعلناهم لك (قُبُلًا) ما آمنوا ولا صدّقوك، ولا اتبعوك (إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ) ذلك لمن شاء منهم (وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ يَجْهَلُونَ) يقول: ولكن أكثر هؤلاء المشركين يجهلون أن ذلك كذلك، يحسبون أن الإيمان إليهم، والكفر بأيديهم متى شاءوا آمنوا، ومتى شاءوا كفروا، وليس ذلك كذلك ذلك بيدى، لايؤمن منهم إلا من هديته له فوفقته، ولا يكفر إلا من خذلته عن الرشد فأضللته.

وقيل: إن ذلك نزل فى المستهزئين برسول الله صلى الله عليه وسلم، وما جاء به من عند الله من مشركى قريش.

ذكر من قال ذلك

حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثنا حجاج، عن ابن جريج، قال: نزلت فى المستهزئين الذين سألوا النبيّ صلى الله عليه وسلم الآية، فقال: قل يا محمد إنما الآيات عند الله، وما يشعركم أنها إذا جاءت لايؤمنون، ونزل فيهم (وَلَوْ أَنَّنَا نَزَّلْنَا إِلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةَ، وَكَلَّمَهُمُ الْمَوْتَى، وَحَشَرْنَا عَلَيْهِمْ كُلَّ شَيْءٍ قُبُلًا).

وقال آخرون: إنما قيل (مَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا) يراد به أهل الشقاء، وقيل: إلا أن يشاء الله، فاستثنى ذلك من قوله (لِيُؤْمِنُوا) يراد به أهل الإيمان والسعادة.

ذكر من قال ذلك

حدثني المثنى ، قال : ثنا عبد الله بن صالح ، قال : ثني معاوية بن صالح ، عن عليّ بن أبي طلحة ، عن ابن عباس ، قوله (وَلَوْ أَنَّنا نَزَّلْنا إِلَيْهِمُ الْمَلائِكَةَ ، وَكَلَّمَهُمُ الْمَوْتَى ، وَحَشَرْنا عَلَيْهِمْ كُلَّ شَيْءٍ قُبُلاً ، ما كانُوا لِيُؤْمِنُوا) وهم أهل الشقاء ؛ ثم قال (إِلاَّ أَنْ يَشاءَ اللهُ) وهم أهل السعادة الذين سبق لهم في علمه أن يدخلوا في الإيمان .

☆ وأولى القولين في ذلك بالصواب قول ابن عباس ، لأن الله جلّ ثناؤه عمّ بقوله (ما كانُوا لِيُؤْمِنُوا) القوم الذين تقدّم ذكرهم في قوله (وَأَقْسَمُوا بِاللهِ جَهْدَ أَيْمانِهِمْ لَئِنْ جاءَتْهُمْ آيَةٌ لَيُؤْمِنُنَّ بِها) وقد يجوز أن يكون الذين سألوا الآية كانوا هم المستهزئين الذين قال ابن جريج : إنهم عنوا بهذه الآية ؛ ولكن لادلالة في ظاهر التنزيل على ذلك ، ولا خبر تقوم به حجة ، بأن ذلك كذلك ؛ والخبر من الله خارج مخرج العموم ، فالقول بأن ذلك عنى به أهل الشقاء منهم أولى لما وصفنا .

واختلفت القرّاء في قراءة قوله (وَحَشَرْنا عَلَيْهِمْ كُلَّ شَيْءٍ قُبُلاً) فقرأته قرّاء أهل المدينة (قِبَلاً) بكسر القاف وفتح الباء ، بمعنى معاينة ، من قول القائل : لقيته قِبَلا : أي معاينة ومجاهرة . وقرأ ذلك عامة قراء الكوفيين والبصريين (وَحَشَرْنا عَلَيْهِمْ كُلَّ شَيْءٍ قُبُلاً) بضم القاف والباء .

☆ وإذا قرئ كذلك كان له من التأويل : ثلاثة أوجه : أحدها أن يكون القُبُل : جمع قَبِيل كالرُّغُف التي هي جمع رغيف ، والقُضُب التي هي جمع قضيب ويكون القُبُل : الضمناء والكفلاء ؛ وإذا كان ذلك معناه ، كان تأويل الكلام : وحشرنا عليهم كلّ شيء كفلاء يكفلون لهم بأن الذى نعدُهم على إيمانهم بالله إن آمنوا ، أو نوعدهم على كفرهم بالله إن هلكوا على كفرهم ما آمنوا إلا أن يشاء الله .

والوجه الآخر : أن يكون القبل بمعنى المقابلة والمواجهة من قول القائل ؛ أتيتك قُبُلا لادُبُرا : إذا أتاه من قبل وجهه .

والوجه الثالث : أن يكون معناه : وحشرنا عليهم كلّ شيء قبيلة قبيلة : صنفا صنفا ، وجماعة جماعة ، فيكون القُبُل حينئذ جمع قبيل ، الذى هو جمع قبيلة ، فيكون القُبل جمع الجمع ، وبكلّ ذلك ، قد قالت جماعة من أهل التأويل .

ذكر من قال : معنى ذلك : معاينة

حدثني المثنى ، قال : ثنا عبد الله بن صالح ، قال : ثني معاوية بن صالح ، عن عليّ بن أبي طلحة ، عن ابن عباس (وَحَشَرْنا عَلَيْهِمْ كُلَّ شَيْءٍ قُبُلاً) يقول : معاينة .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (وَحَشَرْنا عَلَيْهِمْ كُلَّ شَيْءٍ قُبُلاً) حتى يعاينوا ذلك معاينة (ما كانُوا لِيُؤْمِنُوا إِلاَّ أَنْ يَشاءَ اللهُ) .

ذكر من قال : معنى ذلك : قبيلة قبيلة ، صنفا صنفا :

حدثني المثنى ، قال : ثنا إسحاق ، قال : ثنا عبد الله بن يزيد ، من قرأ (قُبُلاً) معناه : قبيلا قبيلا .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثني حجاج ، عن ابن جريج ، قال : قال مجاهد (قُبُلاً) أفواجا ، قبيلا قبيلا .

حدثني المثنى ، قال : ثنا إسحاق ، قال : ثنا أحمد بن يونس ، عن أبي خيثمة ، قال : ثنا أبان بن تغلب ، قال : ثني طلحة أن مجاهدا قرأ في الأنعام (كُلَّ شَيْءٍ قُبُلاً) قال : قبائل قبيلا وقبيلا وقبيلا .

ذكر من قال : معناه : مقابلة

حدثني محمد بن سعد ، قال : ثني أبي ، قال : ثني عمي ، قال : ثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله (وَلَوْ أَنَّنَا نَزَّلْنَا إِلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةَ ، وَكَلَّمَهُمُ الْمَوْتَى ، وَحَشَرْنَا عَلَيْهِمْ كُلَّ شَيْءٍ قُبُلاً) يقول : لو استقبلهم ذلك كله (لَمْ يُؤْمِنُوا إِلاَّ أَنْ يَشَاءَ اللهُ) .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله (وَحَشَرْنَا عَلَيْهِمْ كُلَّ شَيْءٍ قُبُلاً) قال : حشروا إليهم جميعا ، فقابلوهم وواجهوهم .

حدثني المثنى ، قال : ثنا إسحاق ، قال : ثنا عبد الله بن يزيد ، قرأ عيسى (قُبُلاً) ومعناه : عيانا .

⁂ وأولى القراءتين في ذلك بالصواب عندنا ، قراءة من قرأ (وَحَشَرْنَا عَلَيْهِمْ كُلَّ شَيْءٍ قُبُلاً) بضم القاف والباء لما ذكرنا من احتمال ذلك الأوجه التي بينا من المعاني ، وأن معنى القُبُل داخل فيه ، وغير داخل في القُبُل معاني القبل . وأما قوله (وَحَشَرْنَا عَلَيْهِمْ) فان معناه : وجمعنا عليهم ، وسقنا إليهم .

القول في تأويل قوله تعالى :

وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيَاطِينَ الْإِنسِ وَالْجِنِّ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ زُخْرُفَ الْقَوْلِ غُرُورًا ۚ وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ ۖ فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ ﴿١١٢﴾

⁂ قال أبوجعفر : يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم مسليه بذلك عما لقي من كفرة قومه في ذات الله ، وحاثا له على الصبر على ما نال فيه (وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا) يقول : وكما ابتليناك يا محمد ، بأن جعلنا لك من مشركي قومك أعداء شياطين (يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ زُخْرُفَ الْقَوْلِ) ليصدوهم بمجادلتهم إياك بذلك عن اتباعك ، والإيمان بك ، وبما جئتهم به من عند ربك ، كذلك ابتلينا من قبلك من الأنبياء والرسل ، بأن جعلنا لهم أعداء من قومهم يؤذونهم بالجدال والخصومات ، يقول : فهذا الذي امتحنتك به ، لم تخصص به من بينهم وحدك ، بل قد عممتهم بذلك معك لأبتليهم ، وأختبرهم مع قدرتي على منع من آذاهم من إيذائهم ، فلم أفعل ذلك إلا لأعرف أولي العزم منهم من غيرهم ، يقول : فاصبر أنت كما صبر أولو العزم من الرسل . وأما شياطين الإنس والجن فإنهم مردتهم . وقد بينا الفعل الذي منه بني هذا الاسم بما أغنى عن إعادته ، ونصب العدو والشياطين بقوله (جَعَلْنَا) .

وأما قوله (يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ زُخْرُفَ الْقَوْلِ غُرُورًا) فإنه يعني : أنه يلقي الملقي منهم القول الذي زينه وحسنه بالباطل ، إلى صاحبه ليغتر به من سمعه ، فيضل عن سبيل الله .

ثم اختلف أهل التأويل فى معنى قوله (شَيَاطِينَ الإنْسِ والجِنّ) فقال بعضهم : معناه : شياطين الإنس التى مع الإنس، وشياطين الجن التى مع الجن ، وليس للإنس شياطين .

ذكر من قال ذلك

حدثنى محمد بن الحسين ، قال : ثنا أحمد بن المفضل ، قال : ثنا أسباط ، عن السدىّ (وكَذَلِكَ جَعَلْنا لِكُلّ نَبِيّ عَدُوًّا شَيَاطِينَ الإنْسِ والجِنّ يُوحِي بَعْضُهُمْ إلى بَعْضٍ زُخْرُفَ القَوْلِ غُرُورًا ، وَلَوْ شاءَ رَبُّكَ ما فَعَلُوهُ) أما شياطين الإنس : فالشياطين التى تضل الإنس ، وشياطين الجن الذين يضلون الجن يلتقيان فيقول : كلّ واحد منهما إنى أضللت صاحبى بكذا وكذا ، وأضللت أنت صاحبك بكذا وكذا ، فيُعلم بعضهم بعضا .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبونعيم ، عن شريك ، عن سعيد بن مسروق ، عن عكرمة (شَيَاطِينَ الإنْسِ والجِنّ) قال : ليس فى الإنس شياطين ، ولكن شياطين الجن يوحون إلى شياطين الإنس ، وشياطين الإنس يوحون إلى شياطين الجن .

حدثنى الحرث ، قال: ثنا عبد العزيز ، قال : ثنا إسرائيل ، عن السدىّ، فى قوله (يُوحِي بَعْضُهُمْ إلى بَعْضٍ زُخْرُفَ القَوْلِ غُرُورًا) قال : للإنسان شيطان ، وللجنىّ شيطان ، فيلقى شيطان الإنس شيطان الجن ، فيوحى بعضهم إلى بعض زخرف القول غرورا .

قال أبو جعفر : جعل عكرمة والسدىّ فى تأويلهما هذا الذى ذكرت عنهما عدوّ الأنبياء الذين ذكرهم الله فى قوله (وكَذَلِكَ جَعَلْنا لِكُلّ نَبِيّ عَدُوًّا) أولاد إبليس دون أولاد آدم، ودون الجن ، وجعل الموصوفين بأن بعضهم يوحى إلى بعض زخرف القول غرورا ، ولد إبليس، وأن من مع ابن آدم من ولد إبليس يوحى إلى من مع الجن من ولده زخرف القول غرورا . وليس لهذا التأويل وجه مفهوم، لأن الله جعل إبليس وولده أعداء ابن آدم ، فكل ولده لكل ولده عدوّ ، وقد خصّ الله فى هذه الآية الخبر عن الأنبياء ، أنه جعل لهم من الشياطين أعداء ، فلو كان معنيا بذلك الشياطين الذين ذكرهم السدىّ ، الذين هم ولد إبليس ، لم يكن لخصوص الأنبياء بالخبر عنهم ، أنه جعل لهم الشياطين أعداء وجه ، وقد جعل من ذلك لأعدى أعدائه مثل الذى جعل لهم ، ولكن ذلك كالذى قلنا من أنه معنىّ به أنه جعل مردة الإنس والجن لكل نبىّ عدوّا يوحى بعضهم إلى بعض من القول ما يؤذيهم به .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك ، جاء الخبر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم .

حدثنى المثنى ، قال : ثنا الحجاج بن المنهال ، قال : ثنا حماد ، عن حميد بن هلال ، قال : ثنى رجل من أهل دمشق ، عن عوف بن مالك ، عن أبى ذرّ أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « يا أباذرّ ، هَلْ تَعَوَّذْتَ باللهِ مِنْ شَرّ شَيَاطِينِ الإنْسِ والجِنّ ؟ قال : قلت : يارسول الله ، هل للإنس من شياطين ؟ قال : نَعَمْ » .

حدثنى المثنى ، قال : ثنا أبو صالح ، قال : ثنى معاوية بن صالح ، عن علىّ بن أبى طلحة ، عن

أبي عبد الله محمد بن أيوب وغيره من المشيخة ، عن ابن عائذ ، عن أبي ذرّ ، أنه قال : أتيتُ رسول الله صلى الله عليه وسلم فى مجلس قد أطال فيه الجلوس ، قال : فقال : « يا أبا ذَرّ ، هَلْ صَلَّيْتَ ؟ قال : قلت : لا يا رسول الله ، قال : قُمْ فارْكَعْ رَكْعَتَيْنِ . قال : ثم جئت فجلست إليه ، فقال : يا أبا ذَرّ هَلْ تَعَوَّذْتَ بالله مِنْ شَرّ شَيَاطِينِ الإنْسِ والجِنّ ؟ قال : قلت : يا رسول الله وهل للإنس من شياطين ؟ قال : نَعَمْ ، شَرّ مِنْ شَيَاطِينِ الجِنّ » .

حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة ، قال : بلغنى أن ابا ذرّ قام يوما يصلى ، فقال له النبيّ صلى الله عليه وسلم : « تَعَوَّذْ يا أبا ذَرّ مِنْ شَيَاطِينِ الإنْسِ والجِنّ ، فقال : يا رسول الله : أوَ إنّ من الإنس شياطين ؟ قال : نعم » .

وقال آخرون فى ذلك بنحو الذى قلنا من ذلك إنه إخبار من الله أنّ شياطين الإنس والجنّ يوحى بعضهم إلى بعض .

ذكر من قال ذلك

حدثنا الحسن بن يحيى ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا معمر ، عن قتادة ، فى قوله (شَيَاطِينَ الإنْسِ والجِنّ) قال : من الجنّ شياطين ، ومن الإنس شياطين يوحى بعضهم إلى بعض ، قال قتادة : بلغنى أن أبا ذرّ كان يوما يصلى ، فقال له النبيّ صلى الله عليه وسلم : « تَعَوَّذْ يا أبا ذَرّ مِنْ شَيَاطِينِ الإنْسِ والجِنّ ، فقال : يا نبيّ الله ، أو إنّ من الإنس شياطين ؟ فقال النبيّ صلى الله عليه وسلم : نَعَمْ » .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (وكَذَلِكَ جَعَلْنا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيَاطِينَ الإنْسِ والجِنّ) . . . الآية ، ذكر لنا أبا ذرّ قام ذات يوم يصلى ، فقال له نبى الله : « تَعَوَّذْ بالله مِنْ شَيَاطِينِ الجِنّ والإنْسِ ، فقال : يا نبيّ الله أو للإنس شياطين كشياطين الجنّ ؟ قال : نَعَمْ أوْ كَذَبْتَ عَلَيْهِ » .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، قال : قال مجاهد (وكَذلكَ جَعَلْنا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيَاطِينَ الإنْسِ والجِنّ) فقال : كفار الجنّ شياطين يوحون إلى شياطين الإنس كفار الإنس زخرف القول غرورا .

وأما قوله (زُخْرُفَ القَوْلِ غُرُورًا) فانه المزين بالباطل كما وصفت قبل ، يقال منه : زخرف كلامه وشهادته إذا حسن ذلك بالباطل ووشاه .

كما حدثنا سفيان بن وكيع ، قال : ثنا أبو نعيم ، عن شريك ، عن سعيد بن مسروق ، عن عكرمة ، قوله (زُخْرُفَ القَوْلِ غُرُورًا) قال : تزيين الباطل بالألسنة .

حدثنى محمد بن الحسين ، قال : ثنا أحمد بن المفضل ، قال : ثنا أسباط ، عن السدىّ : أما الزخرف فزخرفوه : زيَّنوهُ .

حدثنا محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد (زُخْرُفَ القَوْلِ غُرُورًا) قال : تزيين الباطل بالألسنة .

حدثني المثنى ، قال : ثنا أبو حذيفة ، قال : ثنا شبل ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، مثله .

حدثني محمد بن سعد ، قال : ثني أبي ، قال : ثني عمي ، قال : ثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله (زُخْرُفَ القَوْلِ غُرُورًا) يقول : حسَّن بعضهم لبعض القول ليتبعوهم في فتنتهم .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله (زُخْرُفَ القَوْلِ غُرُورًا) قال : الزخرف : المزين ، حيث زين لهم هذا الغرور ، كما زين إبليس لآدم ما جاءه به وقاسمه إنه لمن الناصحين ، وقرأ (وَقَيَّضْنا لَهُمْ قُرَناءَ فَزَيَّنُوا لَهُمْ) قال : ذلك الزخرف . وأما الغرور : فإنه ما غرّ الإنسان فخدعه فصده عن الصواب إلى الخطأ ، ومن الحقّ إلى الباطل ، وهو مصدر من قول القائل : غررت فلانا بكذا وكذا ، فأنا أغرّه غرورا وغرّا .

كالذي حدثنا محمد بن الحسين ، قال : ثنا أحمد بن المفضل ، قال : ثنا أسباط ، عن السدىّ (غُرُورًا) قال : يغرّون به الناس والجنّ .

القول في تأويل قوله تعالى : ﴿ وَلَوْ شاءَ رَبُّكَ ما فَعَلُوهُ ، فَذَرْهُمْ وَما يَفْتَرُونَ ﴾ :

يقول تعالى ذكره : ولوشئت يا محمد أن يؤمن الذين كانوا لأنبيائي أعداء من شياطين الإنس والجن ، فلا ينالهم مكرهم ويأمنوا غوائلهم وأذاهم فعلت ذلك ، ولكني لم أشأ ذلك لأبتلي بعضهم ببعض فيستحقّ كلّ فريق منهم ما سبق له في الكتاب السابق ، (فَذَرْهُمْ) يقول : فدعهم ، يعني الشياطين الذين يجادلونك بالباطل من مشركي قومك ، ويخاصمونك بما يوحي إليهم أولياؤهم من شياطين الإنس والجنّ (وَما يَفْتَرُونَ) يعني : وما يختلقون من إفك وزور ، يقول له صلى الله عليه وسلم : اصْبِرْ عَلَيْهِمْ فإنّي مِنْ وَراءِ عِقابِهِمْ على افْتِرائِهِمْ على اللهِ ، وَاخْتِلاقِهِمْ عَلَيْهِ الكَذِبَ والزُّورَ .

القول في تأويل قوله تعالى :

وَلِتَصْغَىٰٓ إِلَيْهِ أَفْـِٔدَةُ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْـَٔاخِرَةِ وَلِيَرْضَوْهُ وَلِيَقْتَرِفُواْ مَا هُم مُّقْتَرِفُونَ ﴿١١٣﴾

يقول تعالى ذكره (وَكَذَلِكَ جَعَلْنا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَياطِينَ الإنْسِ والجِنِّ يُوحِي بَعْضُهُمْ إلى بَعْضٍ زُخْرُفَ القَوْلِ غُرُورًا - وَلِتَصْغَى إلَيْهِ) يقول جلّ ثناؤه : يوحي بعض هؤلاء الشياطين إلى بعض ، المزيَّن من القول بالباطل ، ليغرّوا به المؤمنين من أتباع الأنبياء ، فيفتنوهم عن دينهم (وَلِتَصْغَى إلَيْهِ أفْئِدَةُ الَّذِينَ لا يُؤْمِنُونَ بالآخِرَةِ) يقول : ولتميل إليه قلوب الذين لايؤمنون بالآخرة ، وهو من صغوتَ تصغى وتصغو ، والتنزيل جاء بتصغى صَغْوًا وصُغُوًّا ، وبعض العرب يقول

صغيت بالياء . حُكى عن بعض بنى أسد صغيت إلى حديثه ، فأنا أصغى صغيا بالياء ، وذلك إذا ملت ، يقال : صغوى معك : إذا كان هواك معه وميلك ، مثل قولهم : ضلعى معك ، ويقال : أصغيت الإناء : إذا أملته ليجتمع ما فيه ؛ ومنه قول الشاعر :

تَرَى السَّفِيهَ بِهِ عَنْ كُلِّ مُحْكَمَةٍ زَيْغٌ وَفِيهِ إلى التَّشْبِيهِ إصْغاء[1]

ويقال للقمر إذا مال للغيوب : صغا وأصغى .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك ، قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنى المثنى ، قال : ثنا عبد الله بن صالح ، قال : ثنى معاوية ، عن علىّ بن أبى طلحة ، عن ابن عباس (وَلِتَصْغَى إلَيْهِ أفْئِدَةُ) يقول : تزيغ إليه أفئدة .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، قال : قال ابن عباس ، فى قوله : (وَلِتَصْغَى إلَيْهِ أفْئِدَةُ الَّذِينَ لايُؤْمِنُونَ بالآخِرَةِ) قال : لتميل .

حدثنى محمد بن الحسين ، قال : ثنا أحمد بن المفضل ، قال : ثنا أسباط ، عن السدىّ (وَلِتَصْغَى إلَيْهِ أفْئِدَةُ الَّذِينَ لايُؤْمِنُونَ بالآخِرَةِ) يقول : تميل إليه قلوب الكفار ويحبونه ، ويرضون به .

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله (وَلِتَصْغَى إلَيْهِ أفْئِدَةُ الَّذِينَ لايُؤْمِنُونَ بالآخِرَةِ) قال : ولتصغى : وليهووا ذلك وليرضوه ، قال : يقول الرجل للمرأة : أصغيت إليها : هويتها .

القول فى تأويل قوله تعالى : ﴿وَلِيَقْتَرِفُوا ما هُمْ مُقْتَرِفُونَ﴾ :

يقول تعالى ذكره : وليكتسبوا من الأعمال ما هم مكتسبون . حكى عن العرب سماعا منها ، خرج يقترف لأهله ، بمعنى يكسب لهم ، ومنه قيل : قارف فلان هذا الأمر : إذا واقعه وعمله . وكان بعضهم يقول : هو التهمة والادّعاء ، يقال للرجل : أنت قرفتنى : أى اتهمتنى ، ويقال : بئسما اقترفت لنفسك . وقال رؤبة :

أعْيا اقْتِرَافُ الكذب المَقْرُوفِ تَقْوَى التَّقِىِّ وَعِفَّةَ العَفِيفِ[2]

---

(١) البيت أنشده صاحب اللسان : صغا ، ولم ينسبه ، وقال : أنشد ابن برى شاهدا على الإصغاء بالسمع لشاعر : ترى . . . البيت . وقال مصححه فى هامشه : ولعلها وفيه إلى التسفيه اهـ .

وقد أورده القرطبى فى تفسيره (٧ : ٦٩) كرواية المؤلف وفيه « مكرمة » فى مكان « محكمة » . ولعل كلمة « التشبيه » فى البيت بمعنى التخليط . قال فى تاج العروس : « وشبه عليه الأمر تشبيها : لبس عليه وخلط » . يريد أن السفيه لايعنيه السماع للكلام الواضح الذى لا لبس فيه ، وإنما همه الإصغاء إلى الكلام المختلط ، الذى يلبس الأمور على من يسمعه ، ويوقعه فى الشبهة والحيرة .

(٢) لم أجد هذين البيتين فى ديوان رؤبة ، مع أن له أرجوزة على هذه القافية ، ولم أجده فى ديوان أبيه العجاج ، ولا فى ملحقاتهما . وقرف الذنب وغيره يقرفه قرفا واقترفه : اكتسبه . والاقتراف : الاكتساب . وقرفه بكذا : أى أضافه إليه ، واتهمه به واقترف المال : اقتناه (اللسان : قرف) .

وبنحو الذى قلنا فى تأويل قوله (وَلِيَقْتَرِفُوا) قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنى المثنى ، قال : ثنا عبد الله بن صالح ، قال : ثنى معاوية ، عن علىّ بن أبى طلحة ، عن ابن عباس (وَلِيَقْتَرِفُوا ما هُمْ مُقْتَرِفُونَ) وليكتسبوا ما هم مكتسبون .

حدثنا محمد بن الحسين ، قال : ثنا أحمد بن المفضل ، قال : ثنا أسباط ، عن السدىّ (وَلِيَقْتَرِفُوا ما هُمْ مُقْتَرِفُونَ) قال : ليعملوا ما هم عاملون .

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله (وَلِيَقْتَرِفُوا ماهُمْ مُقْتَرِفُونَ) قال : ليعملوا ما هم عاملون .

القول فى تأويل قوله تعالى :

أَفَغَيْرَ ٱللَّهِ أَبْتَغِى حَكَمًا وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ إِلَيْكُمُ ٱلْكِتَٰبَ مُفَصَّلًا ۚ وَٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ يَعْلَمُونَ أَنَّهُۥ مُنَزَّلٌ مِّن رَّبِّكَ بِٱلْحَقِّ ۖ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُمْتَرِينَ ﴿١١٤﴾

﴿ يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم : قل لهؤلاء العادلين بالله الأوثان والأصنام ، القائلين لك : كفّ عن آلهتنا ، ونكفّ عن إلهك ، إن الله قد حكم علىّ بذكر آلهتكم بما يكون صدًّا عن عبادتها ، (أَفَغَيْرَ اللهِ أَبْتَغِى حَكَمًا) أى قل : فليس لى أن أتعدى حكمه وأتجاوزه ، لأنه لاحكم أعدل منه ، ولا قائل أصدق منه ، وهو الذى أنزل إليكم الكتاب مفصلا ، يعنى : القرآن مفصلا ، يعنى مبينا فيه الحكم فيما تختصمون فيه من أمرى وأمركم . وقد بينا معنى التفصيل فيما مضى قبل .

القول فى تأويل قوله تعالى : (والَّذِين آتَيْناهُمُ الكِتابَ يَعْلَمُونَ أنَّهُ مُنَزَّلٌ مِنْ رَبِّكَ بالحَقِّ فَلا تَكُونَنَّ مِنَ المُمْتَرِينَ) :

يقول تعالى ذكره : إن أنكر هؤلاء العادلون بالله الأوثان من قومك ، توحيد الله ، وأشركوا معه الأنداد ، وجحدوا ما أنزلته إليك ، وأنكروا أن يكون حقا ، وكذّبوا به ، فالذين آتيناهم الكتاب ، وهو التوراة والإنجيل من بنى إسرائيل ، يعلمون أنه منزّل من ربك ، يعنى : القرآن وما فيه بالحقّ ، يقول : فصلا بين أهل الحقّ والباطل ، يدلّ على صدق الصادق فى علم الله ، وكذب الكاذب المفترى عليه (فَلا تَكُونَنَّ مِنَ المُمْتَرِينَ) يقول : فلا تكوننّ يامحمد من الشاكين فى حقية الأنباء التى جاءتك من الله فى هذا الكتاب وغير ذلك مما تضمنه ، لأن الذين آتيناهم الكتاب يعلمون أنه منزّل من ربك بالحقّ . وقد بينا فيما مضى ما وجه قوله (فَلا تَكُونَنَّ مِنَ المُمْتَرِينَ) بما أغنى عن إعادته مع الرواية المروية فيه .

وقد حدثنى المثنى ، قال : ثنا إسحاق ، قال : ثنا عبد الله بن أبى جعفر ، عن أبيه ، عن الربيع ، قوله (فَلا تَكُونَنَّ مِنَ المُمْتَرِينَ) يقول : لاتكوننّ فى شكّ مما قصصنا عليك .

القول في تأويل قوله تعالى:

﴿وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا لَّا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِهِ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿١١٥﴾﴾

يقول تعالى ذكره : وكملت كلمة ربك ، يعنى القرآن ، سماه كلمة كما تقول العرب للقصيدة من الشعر يقولها الشاعر : هذه كلمة فلان (صِدْقًا وَعَدْلًا) يقول : كملت كلمة ربك من الصدق والعدل ، والصدق والعدل نصبا على التفسير للكلمة ، كما يقال : عندى عشرون درهما (لَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِهِ) يقول : لامغيّر لما أخبر فى كتبه أنه كائن من وقوعه فى حينه ، وأجله الذى أخبر الله أنه واقع فيه ، وذلك نظير قوله جلّ ثناؤه (يُرِيدُونَ أَنْ يُبَدِّلُوا كَلَامَ اللهِ ، قُلْ لَنْ تَتَّبِعُونَا كَذَلِكُمْ قَالَ اللهُ مِنْ قَبْلُ) فكانت إرادتهم تبديل كلام الله ، مسألتهم نبىّ الله أن يتركهم يحضرون الحرب معه ، وقولهم له ولمن معه من المؤمنين (ذَرُونَا نَتَّبِعْكُمْ) بعد الخبر الذى كان الله أخبرهم تعالى ذكره فى كتابه بقوله (فَإِنْ رَجَعَكَ اللهُ إِلَى طَائِفَةٍ مِنْهُمْ فَاسْتَأْذَنُوكَ لِلْخُرُوجِ ، فَقُلْ لَنْ تَخْرُجُوا مَعِىَ أَبَدًا ، وَلَنْ تُقَاتِلُوا مَعِىَ عَدُوًّا) . . . الآية ، فحاولوا تبديل كلام الله وخبره بأنهم لن يخرجوا مع نبىّ الله فى غزاة ، ولن يقاتلوا معه عدوًّا بقولهم لهم : (ذَرُونَا نَتَّبِعْكُمْ) فقال الله جلّ ثناؤه لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم : يريدون أن يبدّلوا بمسألتهم إياهم ذلك كلام الله وخبره (قُلْ لَنْ تَتَّبِعُونَا ، كَذَلِكُمْ قَالَ اللهُ مِنْ قَبْلُ) فكذلك معنى قوله (لَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِهِ) إنما هو : لامغير لما أخبر عنه من خبر أنه كائن فيبطل مجيئه وكونه ووقوعه ، على ما أخبر جلّ ثناؤه لأنه لايزيد المفترون فى كتب الله ، ولا ينقصون منها ، وذلك أن اليهود والنصارى لاشكّ أنهم أهل كتب الله التى أنزلها على أنبيائه ، وقد أخبر جلّ ثناؤه أنهم يحرّفون غير الذى أخبر أنه لامبدّل له .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك ، قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا لَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِهِ) يقول : صدقا وعدلا فيما حكم .

وأما قوله (وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ) فإن معناه : والله السميع لما يقول هؤلاء العادلون بالله ، المقسمون بالله جهد أيمانهم : لئن جاءتهم آية ليؤمننّ بها ، وغير ذلك من كلام خلقه ، العليم بما تئول إليه أيمانهم من برّ وصدق وكذب وحنث وغير ذلك من أمور عباده .

القول في تأويل قوله تعالى:

﴿وَإِن تُطِعْ أَكْثَرَ مَن فِي الْأَرْضِ يُضِلُّوكَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ ﴿١١٦﴾﴾

يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم : لاتطع هؤلاء العادلين بالله الأنداد يا محمد فيما دعوك إليه من أكل ماذبحوا لآلهتهم ، وأهلُّوا به لغير ربهم وأشكالهم من أهل الزيغ والضلال ، فإنك إن تطع أكثر من فى الأرض ، يضلوك عن دين الله ، ومحجة الحقّ والصواب فيصدّوك عن ذلك ، وإنما قال الله لنبيه (وَإِنْ تُطِعْ أَكْثَرَ مَنْ فِي الأَرْضِ) من بنى آدم ، لأنهم كانوا حينئذ كفارا ضلالا ، فقال له جلّ ثناؤه : لاتطعهم فيما دعوك إليه ، فإنك إن تطعهم ضللت ضلالهم وكنت مثلهم ؛ لأنهم لايدعونك إلى الهدى وقد أخطئوه . ثم أخبر جلّ ثناؤه عن حال الذين نهى نبيه عن طاعتهم فيما دعوه إليه فى أنفسهم ، فقال (إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلاَّ الظَّنَّ) فأخبر جلّ ثناؤه أنهم من أمرهم على ظنّ عند أنفسهم ، وحسبان على صحة عزم عليه وإن كان خطأ فى الحقيقة (وَإِنْ هُمْ إِلاَّ يَخْرُصُونَ) يقول : ما هم إلا متخرّصون يظنون ويوقعون حزرا لايقين علم ، يقال منه : خرص يخرص خَرصا وخِرصا : أى كذب ، وتخرّص بظنّ وتخرّص بكذب ، وخرصتُ النخل أخرصه ، وخرصت إبلك : أصابها البرد والجوع .

القول في تأويل قوله تعالى :

إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ مَن يَضِلُّ عَن سَبِيلِهِۦ وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ ﴿١١٧﴾

يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم : يامحمد إن ربك الذى نهاك أن تطيع هؤلاء العادلين بالله الأوثان ، لئلا يضلوك عن سبيله ، هو أعلم منك ومن جميع خلقه ، أىّ خلقه يضلّ عن سبيله بزخرف القول الذى يوحى الشياطين بعضهم إلى بعض ، فيصدّوا عن طاعته ، واتباع ما أمر به (وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ) يقول : وهو أعلم أيضا منك ومنهم بمن كان على استقامة وسداد ، لايخفى عليه منهم أحد . يقول : واتبع يا محمد ماأمرتك به ، وانته عما نهيتك عنه من طاعة من نهيتك عن طاعته ، فإنى أعلم بالهادى والمضلّ من خلقى منك .

واختلف أهل العربية فى موضع « مَنْ » فى قوله (إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ مَنْ يَضِلُّ) فقال بعض نحويى البصرة : موضعه خفض بنية الباء ، قال : ومعنى الكلام : إن ربك هو أعلم بمن يضلّ . وقال بعض نحويى الكوفة : موضعه رفع ؛ لأنه بمعنى أىّ ، والرافع له يضلّ .

والصواب من القول فى ذلك : أنه رفع بيضلّ وهو فى معنى أىّ ، وغير معلوم فى كلام العرب اسم مخفوض بغير خافض ، فيكون هذا له نظيرا . وقد زعم بعضهم أن قوله (أَعْلَمُ) فى هذا الموضع بمعنى يعلم ؛ واستشهد لقيله ببيت حاتم الطائى :

فحالَفَتْ طَيِّئٌ مِنْ دونِنا حِلِفا والله أَعْلَمُ ما كُنَّا لَهُمْ خُذُلا[١]

وبقول الخنساء :

---

(١) لم أجد البيت فى ديوان حاتم المطبوع . وحالفت : عاهدت . والحلف بكسر الحاء وسكون اللام : العهد والميثاق ، حرك لامه بالكسر للشعر . وخذلا : جمع خذول للرجل والمرأة ، لأنه بمعنى خاذل ، وهو تارك النصرة والعون .

القَوْمُ أعْلَمُ أنَّ جَفْنَتَهُ تَغْدُو غَدَاةَ الرِّيحِ أوْ تَسْرِى[1]

وهذا الذى قاله قائل هذا التأويل وإن كان جائزا فى كلام العرب ، فليس قول الله تعالى (إنَّ رَبَّكَ هُوَ أعْلَمُ مَنْ يَضِلُّ عَنْ سَبِيلِهِ) منه ؛ وذلك أنه عطف عليه بقوله (وَهُوَ أعْلَمُ بالمُهْتَدِينَ) فأبان بدخول الباء فى المهتدين ، أن أعلم ليس بمعنى يعلم ؛ لأن ذلك إذ كان بمعنى يفعل ، لم يوصل بالباء ، كما لايقال هو يعلم بزيد ، بمعنى يعلم زيدا .

القول فى تأويل قوله تعالى :

فَكُلُوا مِمَّا ذُكِرَ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ إِن كُنتُم بِآيَاتِهِ مُؤْمِنِينَ ﴿١١٨﴾

يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم وعباده المؤمنين به وبآياته ، فكلوا أيها المؤمنون مما ذكيتم من ذبائحكم ، وذ بحتموه الذبح الذى بينت لكم أنه تحلّ به الذبيحة لكم ، وذلك ما ذبحه المؤمنون بى من أهل دينكم ، دين الحقّ ، أو ذبحه من دان بتوحيدى من أهل الكتاب ، دون ما ذبحه أهل الأوثان ، ومن لا كتاب له من المجوس (إنْ كُنْتُمْ بآياتِهِ مُؤْمِنِينَ) يقول : إن كنتم بحجج الله التى أتتكم ، وأعلامه بإحلال ما أحللت لكم ، وتحريم ما حرّمت عليكم من المطاعم والمآكل مصدّقين ، ودعوا عنكم زخرف ما توحيه الشياطين بعضها إلى بعض من زخرف القول لكم ، وتلبيس دينكم عليكم غرورا .

كان عطاء يقول فى ذلك ما حدثنا به محمد بن بشار ومحمد بن المثنى ، قالا : ثنا أبوعاصم ، قال : أخبرنا ابن جريج ، قال : قلت لعطاء : قوله (فَكُلُوا مِمَّا ذُكِرَ اسْمُ اللهِ عَلَيْهِ) قال : يأمر بذكر اسمه على الشراب والطعام والذبح ، وكلّ شىء يدلّ على ذكره يأمر به .

القول فى تأويل قوله تعالى :

وَمَا لَكُمْ أَلَّا تَأْكُلُوا مِمَّا ذُكِرَ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ وَقَدْ فَصَّلَ لَكُم مَّا حَرَّمَ عَلَيْكُمْ إِلَّا مَا اضْطُرِرْتُمْ إِلَيْهِ وَإِنَّ كَثِيرًا لَّيُضِلُّونَ بِأَهْوَائِهِم بِغَيْرِ عِلْمٍ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِالْمُعْتَدِينَ ﴿١١٩﴾

اختلف أهل العلم بكلام العرب فى تأويل قوله (وَمَا لَكُمْ أنْ لاتَأْكُلُوا) فقال بعض نحويى البصريين : معنى ذلك : وأىّ شىء لكم فى أن لاتأكلوا ، قال : وذلك نظير قوله (وَمَا لَنَا أنْ لانُقَاتِلَ) يقول : أىّ شىء لنا فى ترك القتال ، قال : ولو كانت لازائدة لايقع الفعل ، ولو كانت فى معنى : ومالنا وكذا ، لكانت : ومالنا وأن لانقاتل . وقال غيره : إنما دخلت لاللمنع ، لأن تأويل مالك ، ومامنعك : واحد ، ما منعك لاتفعل ذلك ، ومالك لاتفعل واحد ، فلذلك دخلت لا ، قال : وهذا الموضع تكون

(١) البيت فى (أنيس الجلساء ، فى شرح ديوان الخنساء ، للأب لويس شيخو طبع بيروت سنة ١٨٩٦ ص ١٠٤) وقال فى شرحه (م) : لأنه أطعمهم ونحر لهم ، فهو أعلم . تغدو : أى تغدو عليهم نهارا . أو تسرى : أى ليلا . وفى (ح ، ب) : الحى يعلم . و (م) : القوم يعلم .

فيه لا ، وتكون فيه أن مثل قوله(يُبَيِّنُ اللهُ لَكُمْ أنْ تَضِلوا)وأن لاتضلوا : يمنعكم من الضلال بالبيان .

⁂ وأولى القولين في ذلك بالصواب عندى قول من قال : معنى قوله (وَما لَكُمْ) في هذا الموضع : وأىّ شيء يمنعكم أن تأكلوا مما ذكر اسم الله عليه، وذلك أن الله تعالى ذكره تقدّم إلى المؤمنين بتحليل ما ذكر اسم الله عليه وإباحة أكل ما ذبح بدينه أو دين من كان يدين ببعض شرائع كتبه المعروفة ، وتحريم ما أهلّ به لغيره من الحيوان ، وزجرهم عن الإصغاء لما يوحى الشياطين بعضهم إلى بعض من زخرف القول في الميتة ، والمنخنقة ، والمتردية ، وسائر ما حرّم الله من المطاعم ، ثم قال : وما يمنعكم من أكل ما ذبح بديني الذى ارتضيته ، وقد فصلت لكم الحلال من الحرام فيما تطعمون ، وبينته لكم بقوله (حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ المَيْتَةُ وَالدَّمُ وَلَحْمُ الخِنْزِيرِ ، وَماأُهِلَّ لِغَيْرِ اللهِ بِهِ) . . . إلى قوله (فَمَنِ اضْطُرَّ في مَخْمَصَةٍ غيرَ مُتَجانِفٍ لِإِثْمٍ) فلا لبس عليكم في حرام ذلك من حلاله ، فتمتنعوا من أكل حلاله حذرا من مواقعة حرامه . فإذكان ذلك معناه فلا وجه لقول متأوّلى ذلك : وأىّ شيءلكم في أن لاتأكلوا لأن ذلك إنما يقال كذلك لمن كان كفّ عن أكله رجاء ثواب بالكفّ عن أكله ، وذلك يكون ممن آمن بالكفّ فكفّ اتباعا لأمر الله ، وتسليما لحكمه ، ولا نعلم أحدا من سلف هذه الأمة ، كفّ عن أكل ما أحل الله من الذبائح رجاء ثواب الله على تركه ذلك ، واعتقادا منه أن الله حرّمه عليه ؛ فبيّن بذلك إذكان الأمر كما وصفنا أن أولى التأويلين في ذلك بالصواب ما قلنا .

وقد بينا فيما مضى قبل أن معنى قوله : فصّل ، وفصلنا ، وفصِّل : بين ، أو بين ، بما يغنى عن إعادته في هذا الموضع .

كما حدثنى محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة (وَقَدْ فَصَّلَ لَكُمْ ما حَرَّمَ عَلَيْكُمْ) يقول : قد بيّن لكم ما حرّم عليكم .

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، عن ابن زيد ، مثله .

واختلفت القرّاء في قول الله جلّ ثناؤه (وَقَدْ فَصَّلَ لَكُمْ ما حَرَّمَ عَلَيْكُمْ) فقرأه بعضهم بفتح أول الحرفين من فصّل وحرّم : أى فصّل ما حرّمه من مطاعمكم ، فبينه لكم . وقرأ ذلك عامة قراء الكوفيين : (وَقَدْ فَصَّلَ) بفتح فاء فصّل وتشديد صاده ما حُرِّم ، بضم حائه وتشديد رائه ، بمعنى : وقد فصّل الله لكم المحرّم عليكم من مطاعمكم . وقرأ ذلك بعض المكيين وبعض البصريين (وَقَدْ فُصِّلَ لَكُمْ) بضمّ فائه وتشديد صاده (ما حُرِّمَ عَلَيْكُمْ) بضمّ حائه وتشديد رائه ، على وجه ما لم يسمّ فاعله في الحرفين كليهما . ورُوِى عن عطية العوفى أنه كان يقرأ ذلك (وَقَدْ فَصَلَ) بتخفيف الصاد وفتح الفاء ، بمعنى : وقد أتاكم حكم الله فيما حرّم عليكم .

⁂ والصواب من القول في ذلك عندنا أن يقال : إن كلّ هذه القراءات الثلاث التى ذكرناها سوى القراءة التى ذكرنا عن عطية قراءات معروفة مستفيضة القراءة بها في قرّاء الأمصار ، وهن متفقات المعانى غير مختلفات ، فبأىّ ذلك قرأ القارئ فمصيب فيه الصواب .

وأما قوله (إلاّ ما اضْطُرِرْتُمْ إليه) فإنه يعنى تعالى ذكره : أن ما اضطررنا إليه من المطاعم المحرّمة التى بيّن تحريمها لنا فى غير حال الضرورة لنا حلال ما كنا إليه مضطرّين ، حتى تزول الضرورة .

كما حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (إلاّ ما اضْطُرِرْتُمْ إليه) من الميتة .

القول فى تأويل قوله تعالى : ﴿ وَإِنَّ كَثِيرًا لَيُضِلُّونَ بِأَهْوَائِهِمْ بِغَيْرِ عِلْمٍ ، إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِالْمُعْتَدِينَ ﴾ :

يقول تعالى ذكره (وإنّ كثيرًا) من الناس يجادلونكم فى أكل ما حرّم الله عليكم أيها المؤمنون بالله من الميتة (لَيُضِلُّونَ) أتباعهم (بأهوائهم بغير علم) منهم بصحة ما يقولون ، ولا برهان عندهم بما فيه يجادلون ، إلا ركوبا منهم لأهوائهم ، واتباعا منهم لدواعى نفوسهم ، اعتداء وخلافا لأمر الله ونهيه ، وطاعة للشياطين (إنّ رَبَّكَ هُوَ أعلم بالمُعْتَدِينَ) يقول : إن ربك يا محمد الذى أحلّ لك ما أحلّ ، وحرّم عليك ما حرّم ، هو أعلم بمن اعتدى حدوده ، فتجاوزها إلى خلافها ، وهو لهم بالمرصاد .

واختلفت القرّاء فى قراءة قوله (لَيُضِلُّونَ) فقرأته عامة أهل الكوفة (لَيُضِلُّونَ) بمعنى : أنهم يضلون غيرهم . وقرأ ذلك بعض البصريين والحجازيين (لَيَضِلُّونَ) بمعنى : أنهم هم الذين يضلون عن الحقّ فيجورون عنه .

وأولى القراءتين بالصواب فى ذلك ، قراءة من قرأ (وإنّ كثيرًا لَيُضِلُّونَ بأهوائهم) بمعنى : أنهم يضلون غيرهم ، وذلك أن الله جلّ ثناؤه أخبر نبيه صلى الله عليه وسلم عن إضلالهم من تبعهم ونهاه عن طاعتهم واتباعهم إلى ما يدعونه إليه ، فقال (وَإِنْ تُطِعْ أَكْثَرَ مَنْ فِى الأَرْضِ يُضِلُّوكَ عَنْ سَبِيلِ اللهِ) ثم أخبر أصحابه عنهم بمثل الذى أخبره عنهم ، ونهاهم من قبول قولهم عن مثل الذى نهاه عنه ، فقال لهم : (وَإِنَّ كثيرًا) منهم (لَيُضِلُّونَكم (بأهوائهم بغير علم) نظير الذى قال لنبيه صلى الله عليه وسلم (وَإِنْ تُطِعْ أَكْثَرَ مَنْ فِى الأَرْضِ يُضِلُّوكَ عَنْ سَبِيلِ اللهِ) .

القول فى تأويل قوله تعالى

وَذَرُوا ظَاهِرَ الْإِثْمِ وَبَاطِنَهُ ۚ إِنَّ الَّذِينَ يَكْسِبُونَ الْإِثْمَ سَيُجْزَوْنَ بِمَا كَانُوا يَقْتَرِفُونَ ﴿١٢٠﴾

يقول تعالى ذكره : ودعوا أيها الناس علانية الإثم وذلك ظاهره ، وسرّه وذلك باطنه .

كذلك حدثنا بشر بن معاذ ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (وَذَرُوا ظاهِرَ الإثمِ وَباطِنَهُ) أى قليله وكثيره وسرّه وعلانيته .

حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة (وَذَرُوا ظاهِرَ الإثمِ وَباطِنَهُ) قال : سرّه وعلانيته .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا حكام ، عن أبي جعفر ، عن الربيع بن أنس ، فى قوله (وَذَرُوا ظاهِرَ الإثم وَباطِنَهُ) يقول : سره وعلانيته ، وقوله : (ماظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ) قال : سرّه وعلانيته .

حدثنى المثنى ، قال : ثنا إسحاق ، قال : ثنا عبد الله بن أبي جعفر ، عن أبيه ، عن الربيع بن أنس فى قوله(وَذَرُوا ظَاهِرَ الإثمِ وَباطِنَهُ) قال : نهى الله عن ظاهر الإثم وباطنه أن يُعمل به سرّا ، أو علانية ، وذلك ظاهره وباطنه .

حدثنى المثنى ، قال : ثنا أبو حذيفة ، قال : ثنا شبل ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد (وَذَرُوا ظاهِرَ الإثمِ وَباطِنَهُ) معصية الله فى السرّ والعلانية .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد (وَذَرُوا ظاهِرَ الإثمِ وَباطِنَهُ) قال : هو ما ينوى مما هو عامل .

ثم اختلف أهل التأويل فى المعنىّ بالظاهر من الإثم والباطن منه فى هذا الموضع ، فقال بعضهم : الظاهر منه : ماحرّم جلّ ثناؤه بقوله (وَلا تَنْكِحُوا ما نَكَحَ آباؤُكُمْ مِنَ النِّساءِ) ، وقوله (حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أُمَّهاتُكُمْ) . . . الآية ، والباطن منه الزنا .

ذكر من قال ذلك

حدثنى المثنى ، قال : ثنا الحجاج ، قال : ثنا حماد ، عن عطاء بن السائب ، عن سعيد بن جبير ، فى قوله (وَذَرُوا ظاهِرَ الإثمِ وَباطِنَهُ)قال : الظاهر منه (لاتَنْكِحُوا ما نَكَحَ آباؤُكُمْ مِنَ النِّساءِ إلاَّ ما قَدْ سَلَفَ) والأمهات ، والبنات والأخوات . والباطن : الزنا .

وقال آخرون : الظاهر : أولات الرايات من الزوانى . والباطن : ذوات الأخدان .

ذكر من قال ذلك

حدثنى محمد بن الحسين ، قال : ثنا أحمد بن مفضل ، قال : ثنا أسباط ، عن السدىّ (وَذَرُوا ظاهِرَ الإثمِ وَباطِنَهُ) أما ظاهره : فالزوانى فى الحوانيت . وأما باطنه : فالصديقة يتخذها الرجل ، فيأتيها سرّا .

حُدثت عن الحسين بن الفرج ، قال : سمعت أبا معاذ ، قال : ثنى عبيد بن سليمان ، قال : سمعت الضحاك يقول فى قوله (وَلا تَقْرَبُوا الفَوَاحِشَ ما ظَهَرَ مِنْها وَما بَطَنَ) كان أهل الجاهلية يستسرّون بالزنا ، ويرون ذلك حلالا ما كان سرّا ، فحرّم الله السرّ منه والعلانية ، ما ظهر منها ، يعنى العلانية ، وما بطن : يعنى السرّ .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبى ، عن أبى مكين وأبيه ، عن خصيف ، عن مجاهد (لاتَقْرَبُوا الفَوَاحِشَ ما ظَهَرَ مِنْها وَما بَطَنَ) قال : ما ظهر منها : الجمع بين الأختين ، وتزويج [1] الرجل امرأة أبيه من بعده . وما بطن : الزنا .

وقال آخرون : الظاهر : التعرّى والتجرّد من الثياب وما يستر العورة فى الطواف . والباطن : الزنا .

(١) يريد تزويج الرجل نفسه امرأة أبيه ، أى أن يتزوجها هو .

ذكر من قال ذلك

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله (وَلا تَقْرَبُوا الفَوَاحِشَ ما ظَهَرَ مِنْها وَما بَطَنَ) قال : ظاهره العُرْيةُ التى كانوا يعملون بها حين يطوفون بالبيت . وباطنه : الزنا.

والصواب من القول فى ذلك عندنا أن يقال : إن الله تعالى ذكره تقدّم إلى خلقه بترك ظاهر الإثم وباطنه وذلك سرّه وعلانيته ، والإثم : كلّ ما عصى الله به من محارمه ، وقد يدخل فى ذلك سرّ الزنا وعلانيته ، ومعاهرة أهل الرايات وأولات الأخدان منهن ، ونكاح حلائل الآباء والأمهات والبنات ، والطواف بالبيت عريانا ، وكلّ معصية لله ظهرت أو بطنت . وإذ كان ذلك كذلك ، وكان جميع ذلك إثما ، وكان الله عمّ بقوله (وَذَرُوا ظاهِرَ الإِثْمِ وَباطِنَهُ) جميع ما ظهر من الإثم ، وجميع ما بطن لم يكن لأحد أن يخصّ من ذلك شيئا دون شىء ، إلا بحجة للعذر قاطعة ، غير أنه لو جاز أن يوجه ذلك إلى الخصوص بغير برهان ، كان توجيهه إلى أنه عنى بظاهر الإثم وباطنه فى هذا الموضع : ما حرّم الله من المطاعم والمآكل من الميتة والدم ، وما بين الله تحريمه ، فى قوله (حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ المَيْتَةُ) . . . إلى آخر الآية ، أولى ، إذ كان ابتداء الآيات قبلها بذكر تحريم ذلك جرى وهذه فى سياقها ، ولكنه غير مستنكر أن يكون عنى بها ذلك ، وأدخل فيها الأمر باجتناب كلّ ما جانسه من معاصى الله ، فخرج الأمر عاما بالنهى عن كلّ ما ظهر أو بطن من الإثم .

القول فى تأويل قوله تعالى : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَكْسِبُونَ الإِثْمَ سَيُجْزَوْنَ بِمَا كَانُوا يَقْتَرِفُونَ ﴾ :

يقول تعالى ذكره : إن الذين يعملون بما نهاهم الله عنه ، ويركبون معاصى الله ، ويأتون ما حرّم الله سيجزون ، يقول : سيثيبهم الله يوم القيامة بما كانوا فى الدنيا يعملون من معاصيه .

القول فى تأويل قوله تعالى :

﴿ وَلَا تَأْكُلُوا مِمَّا لَمْ يُذْكَرِ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ وَإِنَّهُ لَفِسْقٌ وَإِنَّ الشَّيَاطِينَ لَيُوحُونَ إِلَىٰ أَوْلِيَائِهِمْ لِيُجَادِلُوكُمْ وَإِنْ أَطَعْتُمُوهُمْ إِنَّكُمْ لَمُشْرِكُونَ ﴿١٢١﴾ ﴾

يعنى بقوله جلّ ثناؤه (وَلا تَأْكُلُوا مِمَّا لَمْ يُذْكَرِ اسْمُ اللهِ عَلَيْهِ) : لاتأكلوا أيها المؤمنون مما مات فلم تذبحوه أنتم أو يذبحه موحد يدين لله بشرائع شرعها له فى كتاب منزّل فإنه حرام عليكم ، ولا ما أهل به لغير الله ، مما ذبحه المشركون لأوثانهم ، فإن أكل ذلك فسق ، يعنى معصية كفر ، فكنى بقوله : وإنه عن الأكل ، وإنما ذكر الفعل ، كما قال (الَّذِينَ قالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فاخْشَوْهُمْ فَزادَهُمْ إيمانا) يراد به : فزاد قولهم ذلك إيمانا ، فكنى عن القول ، وإنما جرى ذكره بفعل (وَإِنَّ الشَّياطِينَ لَيُوحُونَ إِلى أَوْلِيائِهِمْ) : اختلف أهل التأويل فى المعنىّ بقوله (وَإِنَّ الشَّياطِينَ لَيُوحُونَ إِلى أَوْلِيائِهِمْ) فقال بعضهم : عنى بذلك : شياطين فارس ، ومن على دينهم من المجوس إلى

أولياءهم من مردة مشركى قريش ، يوحون إليهم زخرف القول،ليصل إلى نبيّ الله وأصحابه فى أكل الميتة :

ذكر من قال ذلك

حدثنى عبد الرحمن بن بشر بن الحكم النيسابورى ، قال : ثنا موسى بن عبد العزيز القنبارى ، قال : ثنا الحكم بن أبان ، عن عكرمة ، لما نزلت هذه الآية تحريم الميتة ، قال : أوحت فارس إلى أوليائها من قريش أن خاصموا محمدا ، وكانت أولياءهم فى الجاهلية ، وقولوا له : إن ما ذبحت فهو حلال ، وما ذبح الله ، قال ابن عباس : بشمشار من ذهب[1] ،فهو حرام ، فأنزل الله هذه الآية (وَإِنَّ الشَّيَاطِينَ لَيُوحُونَ إِلَى أَوْلِيَائِهِمْ) قال : الشياطين : فارس ، وأولياؤهم : قريش .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، قال : قال عمرو بن دينار ، عن عكرمة ، أن مشركى قريش كاتبوا فارس على الروم ، وكاتبتهم فارس ، وكتبت فارس إلى مشركى قريش إن محمدا وأصحابه يزعمون أنهم يتبعون أمر الله ، فما ذبح الله بسكين من ذهب فلا يأكله محمد وأصحابه للميتة ؛ وأما ما ذبحوا هم يأكلون . وكتب بذلك المشركون إلى أصحاب محمد عليه الصلاة والسلام ، فوقع فى أنفس ناس من المسلمين من ذلك شىء ، فنزلت (وَإِنَّهُ لَفِسْقٌ وَإِنَّ الشَّيَاطِينَ لَيُوحُونَ) . . . الآية ، ونزلت (يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ زُخْرُفَ الْقَوْلِ غُرُورًا) .

وقال آخرون : إنما عنى بالشياطين الذين يغرون بنى آدم أنهم أوحوا إلى أوليائهم من قريش .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا حكام ، عن عنبسة ، عن سماك ، عن عكرمة ، قال : كان مما أوحى الشياطين إلى أوليائهم من الإنس ، كيف تعبدون شيئا لاتأكلون مما قتل ، وتأكلون أنتم ما قتلتم ؟ فروى الحديث حتى بلغ النبيّ صلى الله عليه وسلم ، فنزلت (وَلَا تَأْكُلُوا مِمَّا لَمْ يُذْكَرِ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ) .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، قال : قال ابن عباس ، قوله (وَإِنَّ الشَّيَاطِينَ لَيُوحُونَ إِلَى أَوْلِيَائِهِمْ) قال : إبليس الذى يوحى إلى مشركى قريش. قال ابن جريج عن عطاء الخراسانى ، عن ابن عباس ، قال : شياطين الجنّ يوحون إلى شياطين الإنس ، يوحون إلى أوليائهم ليجادلوكم . قال ابن جريج ، عن عبد الله بن كثير ، قال : سمعت أن الشياطين يوحون إلى أهل الشرك يأمرونهم أن يقولوا : ما الذى يموت ، وما الذى تذبحون إلا سواء ، يأمرونهم أن يخاصموا بذلك محمدا صلى الله عليه وسلم (وَإِنْ أَطَعْتُمُوهُمْ إِنَّكُمْ لَمُشْرِكُونَ) قال : قول المشركين : أما ما ذبح الله للميتة فلا تأكلون ، وأما ما ذبحتم بأيديكم فحلال .

حدثنا محمد بن عمار الرازى ، قال : ثنا سعيد بن سليمان ، قال : ثنا شريك ، عن سماك بن حرب ، عن عكرمة ، عن ابن عباس : إن المشركين قالوا للمسلمين : ما قتل ربكم فلا تأكلون ، وما قتلتم أنتم تأكلونه ، فأوحى الله إلى نبيه صلى الله عليه وسلم (وَلَا تَأْكُلُوا مِمَّا لَمْ يُذْكَرِ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ) .

(١) الشمشار : لعله يريد به السكين ، وقد جاء تفسيره فى رواية الحديث الذى بعده .

حدثنى محمد بن سعد ، قال : ثنى أبى ، قال : ثنى عمى ، قال : ثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قال : لما حرّم الله الميتة أمر الشيطانُ أولياءه ، فقال لهم : ما قتل الله لكم خير مما تذبحون أنتم بسكاكينكم ، فقال الله (وَلَا تَأْكُلُوا مِمَّا لَمْ يُذْكَرِ اسْمُ اللهِ عَلَيْهِ) .

حدثنا يحيى بن داود الواسطى ، قال : ثنا إسحاق بن يوسف الأزرق ، عن سفيان ، عن هارون بن عنترة ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قال : جادل المشركون المسلمين ، فقالوا : ما بال ماقتل الله لاتأكلونه وما قتلتم أنتم أكلتموه ، وأنتم تتبعون أمر الله ، فأنزل الله (وَلَا تَأْكُلُوا مِمَّا لَمْ يُذْكَرِ اسْمُ اللهِ عَلَيْهِ ، وَإِنَّهُ لَفِسْقٌ) . . . إلى آخر الآية .

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا عبيد الله ، عن إسرائيل ، عن سماك ، عن عكرمة ، عن ابن عباس ، فى قوله (وَإِنَّ الشَّيَاطِينَ لَيُوحُونَ إِلَى أَوْلِيَائِهِمْ) يقولون : ما ذبح الله فلا تأكلوه ، وما ذبحتم أنتم فكلوه ، فأنزل الله (وَلَا تَأْكُلُوا مِمَّا لَمْ يُذْكَرِ اسْمُ اللهِ عَلَيْهِ) .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا يحيى بن واضح ، قال : ثنا الحسين بن واقد ، عن يزيد ، عن عكرمة ، أن ناسا من المشركين دخلوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقالوا : أخبرنا عن الشاة إذا ماتت من قتلها ، فقال : اللهُ قَتَلَهَا ، قالوا : فتزعم أن ما قتلت أنتَ وأصحابُك حلال ، وما قتله الله حرام ؟ فأنزل الله (وَلَا تَأْكُلُوا مِمَّا لَمْ يُذْكَرِ اسْمُ اللهِ عَلَيْهِ) .

حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا المعتمر بن سليمان ، عن أبيه ، عن الحضرمىّ ، أن ناسا من المشركين ، قالوا : أما ما قتل الصقر والكلب فتأكلونه ، وأما ما قتل الله فلا تأكلونه .

حدثنا المثنى ، قال : ثنا عبد الله بن صالح ، قال : ثنى معاوية بن صالح ، عن علىّ بن أبى طلحة ، عن ابن عباس ، قوله (فَكُلُوا مِمَّا ذُكِرَ اسْمُ اللهِ عَلَيْهِ إِنْ كُنْتُمْ بِآيَاتِهِ مُؤْمِنِينَ)قال : قالوا : يا محمد ، أما ما قتلتم وذبحتم فتأكلونه ؛ وأما ما قتل ربكم فتحرّمونه ؟ فأنزل الله (وَلَا تَأْكُلُوا مِمَّا لَمْ يُذْكَرِ اسْمُ اللهِ عَلَيْهِ ، وَإِنَّهُ لَفِسْقٌ ، وَإِنَّ الشَّيَاطِينَ لَيُوحُونَ إِلَى أَوْلِيَائِهِمْ لِيُجَادِلُوكُمْ وَإِنْ أَطَعْتُمُوهُمْ إِنَّكُمْ لَمُشْرِكُونَ) وإن أطعتموهم فى أكل ما نهيتكم عنه، إنكم إذن لمشركون .

حدثنا المثنى ، قال : ثنا عمرو بن عون ، قال : أخبرنا هشيم ، عن جويبر ، عن الضحاك ، قال : قال المشركون : ما قتلتم فتأكلونه ، وما قتل ربكم لاتأكلونه، فنزلت (وَلَا تَأْكُلُوا مِمَّا لَمْ يُذْكَرِ اسْمُ اللهِ عَلَيْهِ) .

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبوعاصم ، قال : ثنا عيسى ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد (وَإِنْ أَطَعْتُمُوهُمْ إِنَّكُمْ لَمُشْرِكُونَ) قول المشركين : أما ماذَبَح الله للميتة فلا تأكلون منه ، وأما ما ذبحتم بأيديكم فهو حلال .

حدثنى المثنى ، قال : ثنا أبوحذيفة ، قال : ثنا شبل ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، مثله .

حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة (وَإِنَّ الشَّيَاطِينَ

لَيُوحُونَ إلى أَوْلِيائِهِمْ لِيُجادِلُوكُمْ) قال : جادلهم المشركون فى الذبيحة ، فقالوا : أما ما قتلتم بأيديكم فتأكلونه . وأما ما قتل الله فلا تأكلونه ، يعنون : الميتة ، فكانت هذه مجادلتهم إياهم .

حدثنا بشر بن معاذ ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (وَلا تَأْكُلُوا مِمَّا لَمْ يُذْكَرِ اسْمُ اللهِ عَلَيْهِ ، وَإِنَّه لَفِسْقٌ) . . . الآية ، يعنى : عدوّ الله إبليس ، أوحى إلى أوليائه من أهل الضلالة ، فقال لهم : خاصموا أصحاب محمد فى الميتة ، فقولوا : أما ماذبحتم وقتلتم فتأكلون ، وأما ماقتل الله فلا تأكلون ، وأنتم تزعمون أنكم تتبعون أمر الله ، فأنزل الله على نبيه (وَإِنْ أَطَعْتُمُوهُمْ إِنَّكُمْ لَمُشْرِكُونَ) وإنا والله ما نعلمه كان شرك قط إلا بإحدى ثلاث : أن يدعو مع الله إلها آخر ، أو يسجد لغير الله ، أو يسمى الذبائحَ لغير الله .

حدثنى محمد بن الحسين ، قال : ثنا أحمد بن مفضل ، قال : ثنا أسباط ، عن السدى (وَلا تَأْكُلُوا مِمَّا لَمْ يُذْكَرِ اسْمُ اللهِ عَلَيْهِ) إن المشركين قالوا للمسلمين : كيف تزعمون أنكم تتبعون مرضاة الله ، وما ذبح الله فلا تأكلونه ، وما ذبحتم أنتم أكلتموه ؟ فقال الله (لَئِنْ أَطَعْتُمُوهُمْ) فأكلتم الميتة (إِنَّكُمْ لَمُشْرِكُونَ) .

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا وكيع ، عن إسرائيل ، عن سماك ، عن عكرمة ، عن ابن عباس ، فى قوله (وَإِنَّ الشَّياطِينَ لَيُوحُونَ إلى أَوْلِيائِهِمْ لِيُجادِلُوكُمْ) قال : كانوا يقولون ما ذُكِرَ الله عليه ، وما ذبحتم فكلوا ، فنزلت (وَلا تَأْكُلُوا مِمَّا لَمْ يُذْكَرِ اسْمُ اللهِ عَلَيْهِ ، وَإِنَّهُ لَفِسْقٌ ، وَإِنَّ الشَّياطِينَ لَيُوحُونَ إلى أَوْلِيائِهِمْ) .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا جرير ، عن عطاء ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس (وَلا تَأْكُلُوا مِمَّا لَمْ يُذْكَرِ اسْمُ اللهِ عَلَيْهِ) . . . إلى قوله (لِيُجادِلُوكُمْ) قال : يقول : يوحى الشياطين إلى أوليائهم : تأكلون ماقتلتم ، ولاتأكلون مما قتل الله ؟ فقال : إن الذى قتلتم يذكر اسم الله عليه ، وإن الذى مات لم يذكر اسم الله عليه .

حُدثت عن الحسين بن الفرج ، قال : سمعت أبا معاذ ، قال : أخبرنا عبيد بن سليمان ، قال : سمعت الضحاك ، فى قوله (وَإِنَّ الشَّياطِينَ لَيُوحُونَ إلى أَوْلِيائِهِمْ لِيُجادِلُوكُمْ) هذا فى شأن الذبيحة ، قال : قال المشركون للمسلمين : تزعمون أن الله حرّم عليكم الميتة ، وأحلّ لكم ما تذبحون أنتم بأيديكم ، وحرّم عليكم ما ذبح هو لكم ، وكيف هذا وأنتم تعبدونه ، فأنزل الله هذه الآية (وَلا تَأْكُلُوا مِمَّا لَمْ يُذْكَرِ اسْمُ اللهِ عَلَيْهِ) . . . إلى قوله (لَمُشْرِكُونَ) .

وقال آخرون : كان الذين جادلوا رسول الله صلى الله عليه وسلم فى ذلك قوما من اليهود .

ذكر من قال ذلك

حدثنا محمد بن عبد الأعلى وسفيان بن وكيع ، قالا : ثنا عمران بن عيينة ، عن عطاء بن السائب ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس ، قال ابن عبد الأعلى : خاصمت اليهود النبىّ صلى الله عليه وسلم ، وقال

ابن وكيع : جاءت اليهود إلى النبيّ صلى الله عليه وسلم، فقالوا : نأكل ما قتلنا ، ولا نأكل ما قتل الله فأنزل الله(وَلا تَأْكُلُوا مِمَّا لَمْ يُذْكَرِ اسْمُ اللهِ عَلَيْهِ ، وَإِنَّهُ لَفِسْقٌ) .

وأولى الأقوال فى ذلك بالصواب ، أن يقال : إن الله أخبر أن الشياطين يوحون إلى أوليائهم ليجادلوا المؤمنين فى تحريمهم أكل الميتة بما ذكرنا من جدالهم إياهم، وجائز أن يكون الموحون كانوا شياطين الإنس يوحون إلى أوليائهم منهم ، وجائز أن يكونوا شياطين الجن أوحوا إلى أوليائهم من الإنس ، وجائز أن يكون الجنسان كلاهما تعاونا على ذلك ، كما أخبر الله عنهما فى الآية الأخرى التى يقول فيها (وكَذَلِكَ جَعَلْنا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَياطِينَ الإنْسِ والجِنِّ ، يُوحِي بَعْضُهُمْ إلى بَعْضٍ ، زُخْرُفَ القَوْلِ غُرُورًا) ، بل ذلك الأغلب من تأويله عندى ، لأن الله أخبر نبيه أنه جعل له أعداء من شياطين الجنّ والإنس ، كما جعل لأنبيائه من قبله يوحى بعضهم إلى بعض ، المزين من الأقوال الباطلة ، ثم أعلمه أن أولئك الشياطين يوحون إلى أوليائهم من الإنس ليجادلوه ، ومن تبعه من المؤمنين فيما حرّم الله من الميتة عليهم .

واختلف أهل التأويل فى الذى عنى الله جل ثناؤه بنهيه عن أكله مما لم يذكر اسم الله عليه ، فقال بعضهم : هو ذبائح كانت العرب تذبحها لآلهتها .

ذكر من قال ذلك

حدثنا محمد بن المثنى ومحمد بن بشار ، قالا : ثنا أبو عاصم، قال : أخبرنا ابن جريج ، قال : قلت لعطاء : ما قوله (فَكُلُوا مِمَّا ذُكِرَ اسْمُ اللهِ عَلَيْهِ) قال : يأمر بذكر اسمه على الشراب والطعام والذبح ، قلت لعطاء : فما قوله (وَلا تَأْكُلُوا مِمَّا لَمْ يُذْكَرِ اسْمُ اللهِ عَلَيْهِ) قال : ينهى عن ذبائح كانت فى الجاهلية على الأوثان ، كانت تذبحها العرب وقريش .

وقال آخرون : هى الميتة .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن حميد وابن وكيع ، قالا : ثنا جرير ، عن عطاء بن السائب ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس (وَلا تَأْكُلُوا مِمَّا لَمْ يُذْكَرِ اسْمُ اللهُ عَلَيْهِ) قال : الميتة .

وقال آخرون : بل عنى بذلك : كلّ ذبيحة لم يذكر اسم الله عليها .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبو أسامة ، عن حميد بن يزيد ، قال : سئل الحسن ، سأله رجل قال له : أتيت بطير كذا ، فمنه ما ذبح ، فذكر اسم الله عليه ، ومنه ما نسى أن يذكر اسم الله عليه ، واختلط الطير فقال الحسن : كله كلّه ، قال : وسألت محمد بن سيرين ، فقال : قال الله (وَلا تَأْكُلُوا مِمَّا لَمْ يُذْكَرِ اسْمُ اللهِ عَلَيْهِ) .

حدثنى المثنى ، قال : ثنا الحجاج ، قال : ثنا حماد ، عن أيوب وهشام ، عن محمد بن سيرين ، عن

عبد الله بن يزيد الخطمىّ ، قال : كلوا من ذبائح أهل الكتاب والمسلمين ، ولا تأكلوا مما لم يذكر اسم الله عليه .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا يزيد بن هارون ، عن أشعث ، عن ابن سيرين ، عن عبد الله بن يزيد ، قال : كنت أجلس إليه فى حلقة ، فكان يجلس فيها ناس من الأنصار هو رأسهم ، فاذا جاء سائل فإنما يسأله ويسكتون ، قال : فجاءه رجل فسأله ، فقال رجل ذبح فنسى أن يسمى ، فتلا هذه الآية (وَلا تَأكُلُوا مِمَّا لَمْ يُذْكَرِ اسْمُ اللهِ عَلَيْهِ) حتى فرغ منها .

والصواب من القول فى ذلك أن يقال : إن الله عنى بذلك : ما ذبح للأصنام والآلهة ، وما مات أو ذبحه من لا تحلّ ذبيحته . وأما من قال : عنى بذلك ما ذبحه المسلم فنسى ذكر اسم الله ، فقول بعيد من الصواب لشذوذه ، وخروجه عما عليه الحجة مجمعة من تحليله ، وكفى بذلك شاهدا على فساده . وقد بيّنا فساده من جهة القياس فى كتابنا المسمى « لطيف القول ، فى أحكام شرائع الدين » فأغنى ذلك عن إعادته فى هذا الموضع .

وأما قوله (لَفِسْقٌ) فإنه يعنى : وإنّ أكل ما لم يذكر اسم الله عليه من الميتة ، وما أهلّ به لغير الله لفسق .

واختلف أهل التأويل فى معنى الفسق فى هذا الموضع ، فقال بعضهم : معناه : المعصية ، فتأويل الكلام على هذا : وإنّ أكل ما لم يذكر اسم الله عليه لمعصية لله وإثم .

ذكر من قال ذلك

حدثنى محمد بن سعد ، قال : ثنى أبى ، قال : ثنى عمى ، قال : ثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله (وَإِنَّهُ لَفِسْقٌ) قال : الفسق : المعصية .

وقال آخرون : معنى ذلك : الكفر .

وأما قوله (وَإِنَّ الشَّيَاطِينَ لَيُوحُونَ إِلَى أَوْلِيَائِهِمْ) فقد ذكرنا اختلاف المختلفين فى المعنىّ بقوله (وَإِنَّ الشَّيَاطِينَ لَيُوحُونَ) .

والصواب من القول فيه : وأما إيحاؤهم إلى أوليائهم ، فهو إشارتهم إلى ما أشاروا لهم إليه ، إما بقول ، وإما برسالة ، وإما بكتاب . وقد بيّنا معنى الوحى فيما مضى قبل ، بما أغنى عن إعادته فى هذا الموضع .

وقد حدثنى المثنى ، قال : ثنا أبو حذيفة ، قال : ثنا عكرمة ، عن أبى زميل ، قال : كنت قاعدا عند ابن عباس ، فجاءه رجل من أصحابه ، فقال : يا أبا عباس ، زعم أبو إسحاق أنه أوحى إليه الليلة ، يعنى المختار بن أبى عبيد ، فقال ابن عباس : صدق ، فنفرت فقلت : يقول ابن عباس صدق ؟ فقال ابن عباس : هما وحيان : وحى الله ، ووحى الشيطان ، فوحى الله إلى محمد ، ووحى الشياطين إلى أوليائهم ، ثم قال (وَإِنَّ الشَّيَاطِينَ لَيُوحُونَ إِلَى أَوْلِيَائِهِمْ) . وأما الأولياء : فهم النصراء والظهراء فى هذا الموضع .

ويعنى بقوله (لِيُجَادِلُوكُمْ) ليخاصموكم ، بالمعنى الذى قد ذكرت قبل .

وأما قوله (وَإِنْ أَطَعْتُمُوهُمْ إِنَّكُمْ لَمُشْرِكُونَ) فإنه يعنى : وإن أطعتموهم فى أكل الميتة ، وما حرم عليكم ربكم .

كما حدثنى المثنى ، قال : ثنا عبد الله بن صالح ، قال : ثنا معاوية ، عن على بن أبى طلحة ، عن ابن عباس (وَإِنْ أَطَعْتُمُوهُمْ) يقول : وإن أطعتموهم فى أكل ما نهيتكم عنه .

حدثنى محمد بن الحسين ، قال : ثنا أحمد بن مفضل ، قال : ثنا أسباط ، عن السدىّ (وَإِنْ أَطَعْتُمُوهُمْ) فأكلتم الميتة .

وأما قوله (إِنَّكُمْ لَمُشْرِكُونَ) يعنى : إنكم إذا مثلهم ، إذ كان هؤلاء يأكلون الميتة استحلالا ، فاذا أنتم أكلتموها كذلك فقد صرتم مثلهم مشركين .

واختلف أهل العلم فى هذه الآية : هل نسخ من حكمها شىء أم لا ؟ فقال بعضهم : لم ينسخ منها شىء وهى محكمة فيما عنيت به ، وعلى هذا قول عامة أهل العلم .

ورُوى عن الحسن البصرى وعكرمة ، ما حدثنا به ابن حميد ، قال : ثنا يحيى بن واضح ، عن الحسين ابن واقد ، عن يزيد ، عن عكرمة والحسن البصرىّ قالا : قال (فَكُلُوا مِمَّا ذُكِرَ اسْمُ اللهِ عَلَيْهِ إِنْ كُنْتُمْ بِآيَاتِهِ مُؤْمِنِينَ . وَلَا تَأْكُلُوا مِمَّا لَمْ يُذْكَرِ اسْمُ اللهِ عَلَيْهِ ، وَإِنَّهُ لَفِسْقٌ) فنسخ ، واستثنى من ذلك ، فقال (وَطَعَامُ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حِلٌّ لَكُمْ وَطَعَامُكُمْ حِلٌّ لَهُمْ) .

❁ والصواب من القول فى ذلك عندنا ، أن هذه الآية محكمة فيما أنزلت لم ينسخ منها شىء ، وأن طعام أهل الكتاب حلال ، وذبائحهم ذكية ، وذلك مما حرّم الله على المؤمنين أكله بقوله (وَلَا تَأْكُلُوا مِمَّا لَمْ يُذْكَرِ اسْمُ اللهِ عَلَيْهِ) بمعزل ، لأن الله إنما حرّم علينا بهذه الآية الميتة ، وما أهلّ به للطواغيت ، وذبائح أهل الكتاب ذكية سمّوا عليها ، أولم يسموا لأنهم أهل توحيد وأصحاب كتب لله يدينون بأحكامها ، يذبحون الذبائح بأديانهم ، كما ذبح المسلم بدينه ، سمى الله على ذبيحته أو لم يسمه ، إلا أن يكون ترك من ذكر تسمية الله على ذبيحته على الدينونة بالتعطيل ، أو بعبادة شىء سوى الله ، فيحرم حينئذ أكل ذبيحته سمى الله عليها أو لم يسمّ .

القول في تأويل قوله تعالى

أَوَمَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ كَمَن مَّثَلُهُ فِي الظُّلُمَاتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِّنْهَا كَذَٰلِكَ زُيِّنَ لِلْكَافِرِينَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٢٢﴾

❁ وهذا الكلام من الله جلّ ثناؤه يدلّ على نهيه المؤمنين برسوله يومئذ ، عن طاعة بعض المشركين الذين جادلوهم فى اكل الميتة بما ذكرنا عنهم من جدالهم إياهم به ، وأمره إياهم بطاعة مؤمن منهم كان كافرا ، فهداه جلّ ثناؤه لرشده ، ووفّقه للإيمان ، فقال لهم : إطاعة من كان ميتا ، يقول : من كان كافرا فجعله

جلّ ثناؤه لانصرافه عن طاعته وجهله بتوحيده ، وشرائع دينه ، وتركه الأخذ بنصيبه من العمل لله بما يؤديه إلى نجاته ، بمنزلة الميت الذى لاينفع نفسه بنافعة ، ولا يدفع عنها من مكروه نازلة فأحييناه ، يقول : فهديناه للإسلام ، فأنعشناه ، فصار يعرف مضارّ نفسه ومنافعها ، ويعمل فى خلاصها من سخط الله وعقابه فى معاده ، فجعل إبصاره الحقّ تعالى ذكره بعد عماه عنه ومعرفته بوحدانيته وشرائع دينه بعد جهله بذلك حياة وضياء يستضىء به ، فيمشى على قصد السبيل ومنهج الطريق فى الناس (كَمَنْ مَثَلُهُ فِي الظُّلُماتِ) لايدرى كيف يتوجه ، وأىّ طريق يأخذ لشدّة ظلمة الليل وإضلاله الطريق ، فكذلك هذا الكافر الضالّ فى ظلمات الكفر ، لايبصر رشدا ، ولا يعرف حقا ، يعنى فى ظلمات الكفر . يقول : أفطاعة هذا الذى هديناه للحقّ ، وبصرناه الرشاد كطاعة من مثله مثل من هو فى الظلمات متردّد ، لايعرف المخرج منها فى دعاء هذا إلى تحريم ما حرّم الله ، وتحليل ما أحلّ ، وتحليل هذا ما حرّم الله ، وتحريمه ما أحلّ .

وقد ذكر أن هذه الآية نزلت فى رجلين بأعيانهما معروفين ، أحدهما مؤمن ، والآخر كافر .

ثم اختلف أهل التأويل فيهما ، فقال بعضهم : أما الذى كان ميتا فأحياه الله فعمر بن الخطاب رضى الله عنه ؛ وأما الذى مثله فى الظلمات ليس بخارج منها : فأبو جهل بن هشام .

ذكر من قال ذلك

حدثنى المثنى ، قال : ثنا إسحاق ، قال : أخبرنا سليمان بن أبى هوذة ، عن شعيب السراج ، عن أبى سنان عن الضحاك ، فى قوله (أَوَ مَنْ كانَ مَيْتًا فأَحْيَيْناهُ وجَعَلْنا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ) قال : عمر بن الخطاب رضى الله عنه ، (كَمَنْ مَثَلُهُ فِي الظُّلُماتِ) قال : أبو جهل بن هشام .

وقال آخرون : بل الميت الذى أحياه الله عمار بن ياسر رضى الله عنه ؛ وأما الذى مثله فى الظلمات ليس بخارج منها : فأبو جهل بن هشام .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا سفيان بن عيينة ، عن بشر بن تيم ، عن رجل ، عن عكرمة (أَوَ مَنْ كانَ مَيْتًا فأَحْيَيْناهُ وَجَعَلْنا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ) قال : نزلت فى عمار بن ياسر .

حدثنى المثنى ، قال : ثنا إسحاق ، قال : ثنا عبد الله بن الزبير ، عن ابن عيينة ، عن بشر ، عن تيم ، عن عكرمة (أَوَ مَنْ كانَ مَيْتًا فأَحْيَيْناهُ وَجَعَلْنا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ) عمار بن ياسر (كَمَنْ مَثَلُهُ فِي الظُّلُماتِ) أبو جهل بن هشام .

وبنحو الذى قلنا فى الآية ، قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، فى قول الله (أَوَ مَنْ كانَ مَيْتًا فأَحْيَيْناهُ) قال : ضالا فهديناه (وَجَعَلْنا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ) قال : هدى (كَمَنْ مَثَلُهُ فِي الظُّلُماتِ لَيْسَ بِخارِجٍ مِنْها) قال : فى الضلالة أبدا .

حدثني المثنى ، قال : ثنا أبوحذيفة ، قال : ثنا شبل ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد (أَوْ مَنْ كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَاهُ) هديناه (وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ كَمَنْ مَثَلُهُ فِي الظُّلُمَاتِ) فى الضلالة أبدا .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبى ، عن سفيان ، عن رجل، عن مجاهد (أَوْ مَنْ كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَاهُ) قال : ضالا فهديناه .

حدثني المثنى ، قال : ثنا عبد الله بن صالح ، قال : ثنى معاوية ، عن علىّ بن أبي طلحة ، عن ابن عباس (أَوْ مَنْ كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَاهُ) يعنى : من كان كافرا فهديناه (وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ) يعنى بالنور : القرآن من صدّق به وعمل به (كَمَنْ مَثَلُهُ فِي الظُّلُمَاتِ) يعنى بالظلمات : الكفر والضلالة .

حدثني محمد بن سعد ، قال : ثنى أبى ، قال : ثنى عمى ، قال : ثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله (أَوْ مَنْ كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَاهُ ، وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ) يقول: الهدى يمشى به فى الناس ، يقول : فهو الكافر يهديه الله للإسلام ، يقول : كان مشركا فهديناه (كَمَنْ مَثَلُهُ فِي الظُّلُمَاتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِنْهَا) .

حدثنا بشر بن معاذ ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (أَوْ مَنْ كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَاهُ) هذا المؤمن معه من الله نور وبينة يعمل بها ويأخذ ، وإليها ينتهى كتاب الله (كَمَنْ مَثَلُهُ فِي الظُّلُمَاتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِنْهَا) وهذا مثل الكافر فى الضلالة متحير فيها متسكع ، لايجد مخرجا ولا منفذا .

حدثني محمد بن الحسين ، قال : ثنا أحمد بن مفضل ، قال: ثنا أسباط عن السدىّ (أَوْ مَنْ كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَاهُ ، وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ) يقول : من كان كافرا فجعلناه مسلما ، وجعلنا له نورا يمشى به فىالناس وهو الإسلام ، يقول : هذا كمن هو فى الظلمات ، يعنى الشرك .

حدثني يونس بن عبد الأعلى ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله (وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ) قال :الإسلام الذى هداه الله إليه (كَمَنْ مَثَلُهُ فِي الظُّلُمَاتِ) ليس من أهل الإسلام ، وقرأ (اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُوا ، يُخْرِجُهُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ)قال : والنور يستضىء به ما فى بيته ويبصره ، وكذلك الذى آتاه الله هذا النور يستضىء به فى دينه ، ويعمل به فى فوره كما يستضىء صاحب هذا السراج ، قال(كَمَنْ مَثَلُهُ فِي الظُّلُمَاتِ) لايدرى ما يأتى ، ولا ما يقع عليه .

القول في تأويل قوله تعالى :﴿ كَذَلِكَ زُيِّنَ لِلْكَافِرِينَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ :

يقول تعالى ذكره : كما خذلت هذا الكافر الذى يجادلكم أيها المؤمنون بالله ورسوله فى أكل ما حرّمت عليكم من المطاعم عن الحقّ ، فزينت له سوء عمله ، فرآه حسنا ليستحقّ به ما أعددت له من أليم العقاب ، كذلك زينت لغيره ممن كان، على مثل ماهوعليه من الكفر بالله وآياته ، ماكانوا يعملون من معاصى الله ، ليستوجبوا بذلك من فعلهم ما لهم عند ربهم من النكال .

وفى هذا أوضح البيان على تكذيب الله الزاعمين أن الله فوّض الأمور إلى خلقه فى أعمالهم ، فلا صنع له فى أفعالهم ، وأنه قد سوّى بين جميعهم فى الأسباب التى بها يصلون إلى الطاعة والمعصية ، لأن ذلك لو كان كما قالوا ، لكان قد زين لأنبيائه وأوليائه من الضلالة والكفر ، نظير ما زين من ذلك لأعدائه ، وأهل الكفر به ، وزين لأهل الكفر به من الإيمان به نظير الذى زين منه لأنبيائه وأوليائه ، وفى إخباره جلّ ثناؤه أنه زين لكلّ عامل منهم عمله ، ما ينبئ عن تزيين الكفر والفسوق والعصيان ، وخصّ أعداءه وأهل الكفر بتزيين الكفر لهم ، والفسوق والعصيان ، وكرّه إليهم الإيمان به والطاعة .

القول فى تأويل قوله تعالى :

وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا فِي كُلِّ قَرْيَةٍ أَكَابِرَ مُجْرِمِيهَا لِيَمْكُرُوا فِيهَا ۖ وَمَا يَمْكُرُونَ إِلَّا بِأَنفُسِهِمْ وَمَا يَشْعُرُونَ ﴿١٢٣﴾

يقول جلّ ثناؤه : وكما زينا للكافرين ما كانوا يعملون ، كذلك جعلنا بكلّ قرية عظماءها مجرميها ، يعنى : أهل الشرك بالله ، والمعصية له (لِيَمْكُرُوا فِيهَا) بغرور من القول ، أو بباطل من الفعل بدين الله وأنبيائه (وَمَا يَمْكُرُونَ) : أى ما يحيق مكرهم ذلك (إِلَّا بِأَنفُسِهِمْ) ، لأن الله تعالى ذكره من وراء عقوبتهم على صدّهم عن سبيله ، وهم لايشعرون ، يقول : لايدرون ما قد أعدّ الله لهم من أليم عذابه ، فهم فى غيهم وعتوّهم على الله يتمادون .

وبنحو ما قلنا فى ذلك ، قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبوعاصم ، قال : ثنا عيسى ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد (أَكَابِرَ مُجْرِمِيهَا) قال : عظماءها .

حدثنى المثنى ، قال : ثنا أبوحذيفة ، قال : ثنا شبل ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، مثله .

حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة (أَكَابِرَ مُجْرِمِيهَا) قال : عظماءها .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، عن عكرمة ، نزلت فى المستهزئين . قال ابن جريج : عن عمرو ، عن عطاء عن عكرمة (أَكَابِرَ مُجْرِمِيهَا) ... إلى قوله (بِمَا كَانُوا يَمْكُرُونَ) بدين الله وبنبيه عليه الصلاة والسلام وعباده المؤمنين ، والأكابر : جمع أكبر ، كما الأفاضل : جمع أفضل . ولو قيل : هو جمع كبير ، فجمع أكابر ، لأنه قد يقال أكبر ، كما قيل : (قُلْ هَلْ أُنَبِّئُكُمْ بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَالًا) واحدهم الخاسر لكان صوابا . وحكى عن العرب سماعا : الأكابرة والأصاغرة ، والأكابر والأصاغر بغير الهاء على نية النعت ، كما يقال : هو أفضل منك ، وكذلك تفعل

العرب بما جاء من النعوت على أفعل ، إذا أخرجوها إلى الأسماء مثل جمعهم الأحمر والأسود : الأحامر والأحامرة ، والأساود والأساودة ؛ ومنه قول الشاعر :

إنَّ الأحامِرَةَ الثَّلاثَةَ أهْلَكَتْ ... مالى وكنتُ بِهِنَّ قِدْماً مُولَعَا

الخَمْرُ واللَّحْمُ السَّمينُ أُدِيمُهُ ... والزَّعفرانُ فلَنْ أزالَ مُبَقَّعَا[١]

وأما المكر : فانه الخديعة والاحتيال للممكور به بالغدر ليورِّطه الماكر به مكروها من الأمر .

القول في تأويل قوله تعالى :

﴿وَإِذَا جَآءَتْهُمْ ءَايَةٌ قَالُوا۟ لَن نُّؤْمِنَ حَتَّىٰ نُؤْتَىٰ مِثْلَ مَآ أُوتِىَ رُسُلُ ٱللَّهِ ٱللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُۥ سَيُصِيبُ ٱلَّذِينَ أَجْرَمُوا۟ صَغَارٌ عِندَ ٱللَّهِ وَعَذَابٌ شَدِيدٌۢ بِمَا كَانُوا۟ يَمْكُرُونَ ﴿١٢٤﴾﴾

يقول تعالى ذكره : وإذا جاءت هؤلاء المشركين الذين يجادلون المؤمنين بزخرف القول فيما حرم الله عليهم ليصدّوا عن سبيل الله آية ، يعنى : حجة من الله على صحة ما جاءهم به محمد صلى الله عليه وسلم من عند الله وحقيقته ، قالوا لنبيّ الله وأصحابه (لَنْ نُؤْمِنَ) يقول : يقولون : لن نصدّق بما دعانا إليه محمد صلى الله عليه وسلم من الإيمان به ، وبما جاء به من تحريم ما ذكر أن الله حرّمه علينا (حتى نُؤْتَى) يعنون : حتى يعطيهم الله من المعجزات مثل الذى أعطى موسى من فلق البحر ، وعيسى من إحياء الموتى وإبراء الأكمه والأبرص ، يقول تعالى ذكره (اللهُ أعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسالَتَهُ) يعنى بذلك جلّ ثناؤه : أن آيات الأنبياء والرسل لم يعطها من البشر إلا رسول مرسل ، وليس العادلون بربهم الأوثان والأصنام منهم فيعطوها ، يقول جلّ ثناؤه : فأنا أعلم بمواضع رسالاتى ومن هو لها أهل ، فليس لكم أيها المشركون أن تتخيروا ذلك علىّ أنتم ، لأن تخير الرسول إلى المرسل دون المرسل إليه ، والله أعلم إذا أرسل رسالة بموضع رسالاته .

القول في تأويل قوله تعالى ﴿ سَيُصِيبُ الَّذِينَ أجرَمُوا صَغارٌ عِنْدَ اللهِ وَعَذَابٌ شَدِيدٌ بِمَا كانُوا يَمْكُرُونَ ﴾ :

يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم ، معلمه ما هو صانع بهؤلاء المتمرّدين عليه ، سيصيب يا محمد الذين اكتسبوا الإثم بشركهم بالله ، وعبادتهم غيره ، صغار ، يعنى : ذلة وهوان .

كما حدثنى محمد بن الحسين ، قال : ثنا أحمد بن المفضل ، قال : ثنا أسباط ، عن السدى (سَيُصِيبُ

(١) فى اللسان : (خمر) أن البيتين للأعشى ؟ ولم أجدهما فى ديوانه طبعة القاهرة بشرح الدكتور محمد حسين . وفى رواية اللسان « وكنت بها قديما مولعا » . و « أطلى » فى موضع : « أديمه » . وأشار إلى رواية المؤلف . والشاهد أن الأحمر جمع على الأحامرة ، لأنه خرج من باب الصفات إلى باب الأسماء .

الَّذِينَ أَجْرَمُوا صَغَارٌ عِنْدَ اللهِ) قال : الصغار : الذلة ، وهو مصدر من قول القائل : صغر يصغر صغارا وصغرا ، وهو أشدّ الذلّ .

وأما قوله (صَغَارٌ عِنْدَ اللهِ) فإن معناه : سيصيبهم صغار من عند الله ، كقول القائل : سيأتيني رزقى عند الله ، بمعنى : من عند الله ، يراد بذلك : سيأتيني الذى لى عند الله ، وغير جائز لمن قال : سيصيبهم صغارعند الله أن يقول : جئت عند عبدالله بمعنى : جئت من عند عبدالله ، لأن معنى سيصيبهم صغارعند الله : سيصيبهم الذىعند الله من الذلّ بتكذيبهم رسوله ، فليس ذلك بنظير جئت من عند عبدالله .

وقوله (وَعَذَابٌ شَدِيدٌ بِمَا كَانُوا يَمْكُرُونَ) يقول : يصيب هؤلاء المكذّبين بالله ورسوله ، المستحلين ما حرّم الله عليهم من الميتة مع الصغار ، عذاب شديد بما كانوا يكيدون للإسلام وأهله بالجدال بالباطل والزخرف من القول غرورا لأهل دين الله وطاعته .

القول في تأويل قوله تعالى :

فَمَن يُرِدِ اللَّهُ أَن يَهْدِيَهُۥ يَشْرَحْ صَدْرَهُۥ لِلْإِسْلَٰمِ ۖ وَمَن يُرِدْ أَن يُضِلَّهُۥ يَجْعَلْ صَدْرَهُۥ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِى ٱلسَّمَآءِ ۚ كَذَٰلِكَ يَجْعَلُ ٱللَّهُ ٱلرِّجْسَ عَلَى ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٢٥﴾

يقول تعالى ذكره (فَمَنْ يُرِدِ اللهُ أَنْ يَهْدِيَهُ) للإيمان به وبرسوله ، وما جاء به من عند ربه فيوفقه له (يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلإِسْلَامِ) يقول : فسح صدره لذلك وهوّنه عليه وسهله له بلطفه ومعونته ، حتى يستنير الإسلام فى قلبه ، فيضيء له ، ويتسع له صدره بالقبول .

كالذى جاء الأثر به عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، الذى حدثنا سوار بن عبد الله العنبرى ، قال : ثنا المعتمر بن سليمان ، قال : سمعت أبى يحدّث ، عن عبد الله بن مرّة ، عن أبى جعفر ، قال : لما نزلت هذه الآية(فَمَنْ يُرِدِ اللهُ أَنْ يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلإِسْلَامِ) قالوا : كيف يشرح الصدر ؟ قال : إذا نزل النور فى القلب انشرح له الصدر ، وانفسح ، قالوا : فهل لذلك آية يعرف بها ؟ قال : نعم الإنابة إلى دار الخلود ، والتجافى عن دار الغرور ، والاستعداد للموت قبل الفوت .

حدثنا الحسن بن يحيى ، قال : أخبرنا عبد الرازق ، قال : أخبرنا الثورىّ ، عن عمرو بن قيس ، عن عمرو بن مرّة ، عن أبى جعفر ، قال : « سئل النبىّ صلى الله عليه وسلم : أىّ المؤمنين أكيس ؟ قال : أَكْثَرُهُمْ لِلْمَوْتِ ذِكْرًا ، وَأَحْسَنُهُمْ لِمَا بَعْدَهُ اسْتِعْدَادًا . قال : وسئل النبىّ صلى الله عليه وسلم عن هذه الآية (فَمَنْ يُرِدِ اللهُ أَنْ يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلإِسْلَامِ) قالوا : كيف يشرح صدره يا رسول الله ؟ قال : نُورٌ يُقْذَفُ فِيهِ فَيَنْشَرِحُ لَهُ وَيَنْفَسِحُ ، قالو : فهل لذلك من أمارة يُعرف بها ، قال : الإِنَابَةُ إلى دارِ الخُلُودِ ، والتَّجَافِي عَنْ دَارِ الغُرُورِ ، وَالاسْتِعْدَادُ لِلْمَوْتِ قَبْلَ المَوْتِ » .

حدثنا هناد ، قال : ثنا قبيصة ، عن سفيان ، عن عمرو بن مرّة عن رجل يكنى أبا جعفر كان يسكن

المدائن ، قال : «سئل النبيّ صلى الله عليه وسلم ، عن قوله(فَمَنْ يُرِدِ اللهُ أنْ يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ للإسْلام) قال : « نُورٌ يُقْذَفُ في القَلْبِ فَيَنْشَرِحُ ويَنْفَسِحُ ، قالوا : يا رسول الله ، هل له من أمارة يُعرف بها ؟ ثم ذكر باقى الحديث مثله» .

حدثنى محمد بن العلاء ، قال : ثنا سعيد بن عبدالملك بن واقد الحرانى ، قال : قال : ثنا محمد بن سلمة ، عن أبى عبدالرحيم ، عن زيد بن أبى أنيسة ، عن عمرو بن مرّة ، عن أبى عبيدة ، عن عبد الله بن مسعود ، قال : « قيل لرسول الله صلى الله عليه وسلم حين نزلت هذه الآية (فَمَنْ يُرِدِ اللهُ أنْ يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ للإسْلامِ) قال : إذَا دَخَلَ النُّورُ القَلْبَ انْفَسَحَ وانْشَرَحَ ، قالوا : فهل لذلك من أمارة يُعرف بها ؟ قال : الإنابَةُ إلى دارِ الخُلُودِ ، والتَّنَحِّى عَنْ دَارِ الغُرُورِ ، والاسْتِعْدَادُ للمَوْتِ قَبْلَ المَوْتِ » .

حدثنى سعيد بن الربيع الرازى ، قال : ثنا سفيان بن عيينة ، عن خالد بن أبى كريمة ، عن عبد الله بن المسور ، قال : « قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم(فَمَنْ يُرِدِ اللهُ أنْ يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ للإسْلامِ) ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : إذَا دَخَلَ النورُ القَلْبَ انْفَسَحَ وانْشَرَحَ ، قالوا : يا رسول الله ، وهل لذلك من علامة تُعرف ؟ قال : نعَمْ ، الإنابَةُ إلى دَارِ الخُلُودِ ، والتَّجافِى عَنْ دَارِ الغُرُورِ ، وَالاسْتِعْدَادُ للمَوْتِ قَبْلَ نُزُولِ المَوْتِ » .

حدثنى ابن سنان القزّاز ، قال : ثنا محبوب بن حسن الهاشمى ، عن يونس ، عن عبد الرحمن بن عبد الله بن عتبة ، عن عبدالله بن مسعود ، عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قال (فَمَنْ يُرِدِ اللهُ أنْ يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ للإسْلامِ) قالوا : يارسول الله ، وكيف يشرح صدره ؟ قال : يُدْخَلُ فيهِ النُّورُ فَيَنْفَسِحُ ، قالوا : وهل لذلك من علامة يا رسول الله ؟ قال : التَّجافِى عَنْ دَارِ الغُرُورِ ، والإنابَةُ إلى دَارِ الخُلُودِ ، وَالاسْتِعْدادَ للموْتِ قبْلَ أنْ يَنْزِلَ المَوْتُ » .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك ، قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنى محمد بن الحسين ، قال : ثنا أحمد بن المفضل ، قال : ثنا أسباط ، عن السدىّ (فَمَنْ يُرِدِ اللهُ أنْ يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ للإسْلامِ) أما يشرح صدره للإسلام : فيوسع صدره للإسلام .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، قوله (فَمَنْ يُرِدِ اللهُ أنْ يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ للإسْلامِ) بِلاإلَهَ إلاّ اللهُ .

حدثنى المثنى ، قال : ثنا سويد بن نصر ، قال : أخبرنا ابن المبارك ، عن ابن جريج قراءة (فَمَنْ يُرِدِ اللهُ أنْ يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ للإسْلامِ بِلا إلَهَ إلاّ اللهُ يَجْعَلْ لهَا فى صَدْرِهِ مُتَّسَعا) .

القول فى تأويل قوله تعالى : ﴿وَمَنْ يُرِدْ أنْ يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقًا حَرَجا﴾ :

يقول تعالى ذكره : ومن أراد الله إضلاله عن سبيل الهدى اشغله بكفره ، وصدّه عن سبيله ، يجعل

صدره بخذلانه وغلبة الكفر عليه حرجا ، والحرج : أشدّ الضيق ، وهو الذى لاينفذ من شدّة ضيقه ، وهو ههنا الصدر الذى لاتصل إليه الموعظة ، ولا يدخله نور الإيمان لرَيْن الشرك عليه ، وأصله من الحرج والحرج جمع حرجة : وهى الشجرة الملتفّ بها الأشجار ، لايدخل بينها وبينها شيء لشدّة التفافها بها .

كما حدثنى المثنى ، قال : ثنا الحجاج بن المنهال ، قال : ثنا هشيم ، قال : ثنا عبد الله بن عمار رجل من أهل اليمن ، عن أبي الصلت الثقفى ، أنّ عمر بن الخطاب رحمة الله عليه قرأ هذه الآية (وَمَنْ يُرِدْ أَنْ يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقا حَرَجا) بنصب الراء ، قال : وقرأ بعض من عنده من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ضيقا حرِجا ، قال صفوان : فقال عمر : ابغونى رجلا من كنانة ، واجعلوه راعيا ، وليكن مدلجيا ، قال : فأتوه به ، فقال له عمر : يا فتى ما الحرجة ؟ قال : الحرجة فينا : الشجرة تكون بين الأشجار التى لاتصل إليها راعية ، ولا وحشية ، ولا شيء ؛ قال : فقال عمر : كذلك قلب المنافق لايصل إليه شيء من الخير .

حدثنى محمد بن سعد ، قال : ثنى أبى ، قال : ثنى عمى ، قال : ثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس (وَمَنْ يُرِدْ أَنْ يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقا حَرَجا) يقول : من أراد الله أن يضله يضيق عليه صدره حتى يجعل الإسلام عليه ضيقا والإسلام واسع ، وذلك حين يقول (وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ) يقول : ما جعل عليكم فى الإسلام من ضيق .

واختلف أهل التأويل فى تأويل ذلك ، فقال بعضهم : معناه : شاكا .

ذكر من قال ذلك

حدثنا عمران بن موسى ، قال : ثنا عبد الوارث بن سعيد ، قال : ثنا حميد ، عن مجاهد (ضَيِّقا حَرَجا) قال : شاكا .

حدثنى محمد بن الحسين ، قال : ثنا أحمد بن المفضل ، قال : ثنا أسباط ، عن السدىّ (ضَيِّقا حَرَجا) أما حرجا : فشاكا .

وقال آخرون : معناه : ملتبسا .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقا حَرَجا) قال : ضيقا : ملتبسا .

حدثنا عبد الوارث بن عبد الصمد ، قال : ثنى أبى ، قال : ثنى عمى ، قال : ثنى أبى ، عن الحسن ، عن قتادة أنه كان يقرأ (ضَيِّقا حَرَجا) يقول : ملتبسا .

وقال آخرون : معناه : وأنه من شدّة الضيق لايصل إليه الإيمان .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا جرير ، عن حبيب بن أبي عمرة ، عن سعيد بن جبير (يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقا حَرَجا) قال : لايجد مسلكا إلا صعدا .

حدثنا محمد بن عبد الأعلى، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن عطاء الخراسانى (ضَيِّقا حَرَجا) قال : ليس للخير فيه منفذ .

حدثنى المثنى ، قال : ثنا سويد بن نصر ، قال : أخبرنا ابن المبارك، عن معمر، عن عطاء الخراسانى مثله .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج عن ابن جريج، قوله (وَمَنْ يُرِدْ أَنْ يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقا حَرَجاً) بلاله إلا الله لايجد لها فى صدره مساغا .

حدثنى المثنى ، قال : ثنا سويد بن نصر ، قال : أخبرنا ابن المبارك ، عن ابن جريج قراءة ، فى قوله (وَمَنْ يُرِدْ أَنْ يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقاً) بلا إله إلا الله ، حتى لايستطيع أن تدخله .

واختلفت القرّاء فى قراءة ذلك ، فقرأه بعضهم (ضَيِّقا حَرَجاً) بفتح الحاء والراء من (حَرَجاً) ، وهى قراءة عامة المكيين والعراقيين، بمعنى : جمع حرجة على ماوصفت . وقرأ ذلك عامة قرّاء المدينة (ضَيِّقا حَرِجاً) بفتح الحاء وكسر الراء .

ثم اختلف الذين قرءوا ذلك فى معناه ، فقال بعضهم : هو بمعنى الحَرَج، وقالوا : الحَرَج بفتح الحاء والراء ، والحَرِج بفتح الحاء وكسر الراء بمعنًى واحد ، وهما لغتان مشهورتان، مثل الدَّنَف والدَّنِف ، والوَحَد والوَحِد ، والفَرَد والفَرِد .

وقال آخرون منهم : بل هو بمعنى الإثم من قولهم : فلان آثم حرج . وذكر عن العرب سماعا منها : حرج عليك ظلمى ، بمعنى : ضيق وإثم .

والقول عندى فى ذلك أنهما قراءتان مشهورتان ، ولغتان مستفيضتان بمعنى واحد ، وبأيتهما قرأ القارئ فهو مصيب لاتفاق معنييهما ، وذلك كما ذكرنا من الروايات عن العرب فى الوحَد والفرَد ، بفتح الحاء من الوحد والراء من الفرد وكسرهما بمعنى واحد . وأما الضيق، فإن عامة القرّاء على فتح ضاده وتشديد يائه ، خلا بعض المكيين ، فإنه قرأه (ضَيْقاً) بفتح الضاد وتسكين الياء وتخفيفه؛ وقد يتجه لتسكينه ذلك وجهان : أحدهما أن يكون سكنه وهو ينوى معنى التحريك والتشديد، كما قيل: هَيْن لَيْن ، بمعنى : هَيِّن لَيِّن . والآخر أن يكون سكّنه بنية المصدر من قولهم : ضاق هذا الأمر يضيق ضَيْقا ، كما قال رؤبة :

وَقَدْ عَلِمْنا عندَ كُلِّ مَأْزِقِ ضَيْقٍ بوَجْهِ الأمرِ أىَّ مَضْيَقِ[1]

ومنه قول الله (وَلا تَكُ فِى ضَيْقٍ مِمَّا يَمْكُرُونَ) . وقال رؤبة أيضا :

---

(١) لم أجد البيت فى ديوان رؤبة طبع ليبسج سنة ١٩٠٣ ، ولم أجده فى ديوان أبيه العجاج ، ولكنى وجدت أرجوزة للعجاج من هذه القافية ، وبينها وبين البيت مناسبة ؛ وأولها : « يا رب رب البيت والمشرق » ، فلعل البيت منها .

وفى (اللسان : أزق) : المأزق : المكان الضيق يقتتلون فيه . و (فى اللسان : ضيق) : أبو عمرو : الضيق : الشىء الضيق . والضيق أيضا : تخفيف الضيق . و مضيق على مفعل مصدر ميمى بمعنى الضيق ، وكان حقه أن يكون أى مضاق ، ولكنه جاء على الأصل شذوذا.

وشَفَّها اللَّوْحُ بِمأْزُولٍ ضَيَقْ [1]

بمعنى : ضيق . وحُكى عن الكسائى أنه كان يقول : الضيق بالكسر : فى المعاش والموضع ، وفى الأمر الضيق .

﴿ وفى هذه الآية أبين البيان لمن وفق لفهمها ، عن أن السبب الذى به توصل إلى الإيمان والطاعة ، غير السبب الذى به توصل إلى الكفر والمعصية ، وأن كلا السببين من عند الله ، وذلك أن الله جلّ ثناؤه أخبر عن نفسه أنه يشرح صدر من أراد هدايته للإسلام ، ويجعل صدر من أراد إضلاله ضيقا عن الإسلام حرجا ، كأنما يصعد فى السماء ، ومعلوم أن شرح الصدر للإيمان ، خلاف تضييقه له ، وأنه لو كان توصل بتضييق الصدر عن الإيمان إليه ، لم يكن بين تضييقه عنه وبين شرحه له فرق ، ولكان من ضيق صدره عن الإيمان قد شرح صدره له ، ومن شرح صدره له فقد ضيق عنه ، إذ كان موصولا بكلّ واحد منهما ، أعنى من التضييق والشرح إلى ما يوصل به إلى الآخر [2] . ولو كان ذلك كذلك ، وجب أن يكون الله قد كان شرح صدر أبى جهل للإيمان به ، وضيّق صدر رسول الله صلى الله عليه وسلم عنه ، وهذا القول من أعظم الكفر بالله ، وفى فساد ذلك أن يكون كذلك الدليل الواضح على أن السبب الذى به آمن المؤمنون بالله ورسله وأطاعه المطيعون ، غير السبب الذى كفر به الكافرون بالله ، وعصاه العاصون ، وأن كلا السببين من عند الله وبيده ؛ لأنه أخبر جلّ ثناؤه ، أنه هو الذى يشرح صدر هذا المؤمن به للإيمان إذا أراد هدايته ، ويضيق صدر هذا الكافر عنه إذا أراد إضلاله .

القول فى تأويل قوله تعالى : ﴿ كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِى السَّمَاءِ ﴾ :

وهذا مثل من الله تعالى ذكره ضربه لقلب هذا الكافر فى شدّة تضييقه إياه عن وصوله إليه ، مثل امتناعه من الصعود إلى السماء ، وعجزه عنه ، لأن ذلك ليس فى وسعه .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك ، قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن عطاء الخراسانى (كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِى السَّمَاءِ) يقول : مثله كمثل الذى لا يستطيع أن يصعد فى السماء .

حدثنى المثنى ، قال : ثنا سويد ، قال : أخبرنا ابن المبارك ، عن معمر ، عن عطاء الخراسانى ، مثله . وبه قال : أخبرنا ابن المبارك ، عن ابن جريج قراءة : يجعل صدره ضيقا حرجا بلا إله إلا الله ، حتى لا يستطيع أن تدخله ، كأنما يصّعد فى السماء من شدّة ذلك عليه .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، مثله .

---

(١) هذا بيت من مشطور الرجز لرؤبة (ديوانه طبعة ليبسج سنة ١٩٠٣ ص ١٠٥ وهو البيت ٤٢ من أرجوزة فى وصف المفازة) وشفها : أحرق أكبادها ، والضمير عائد على الإبل فى أبيات قبل البيت . واللوح : شدة العطش . والمأزول : المضيق . والضيق ، بفتح الضاد والياء ، قال فى اللسان عن الأزهرى : الضيق : الشك ، ولا يناسب الغرض هنا ، واستشهد به المؤلف على أنه بمعنى الضيق . قال العينى فى تفسير البيت (المقاصد النحوية . على هامش الخزانة ١ : ٥٤) : شفها : أى جهدها . واللوح : العطش . بمأزول : أى بموضع أزل يعنى خشن ضيق .

(٢) لعله : إلى مايوصل له بالآخر .

حدثني محمد بن الحسين ، قال : ثنا أحمد بن مفضل ، قال : ثنا أسباط ، عن السدي (كأنما يصّعّدُ في السماء) من ضيق صدره .

واختلفت القرّاء في قراءة ذلك ، فقرأته عامة قرّاء أهل المدينة والعراق (كأنما يصّعّدُ) بمعنى : يتصعدُ فأدغموا التاء في الصاد ، فلذلك شدّدوا الصاد . وقرأ ذلك بعض الكوفيين (يصّاعَدُ) بمعنى : يتصاعد ، فأدغم التاء في الصاد وجعلها صادا مشدّدة . وقرأ ذلك بعض قراء المكيين (كأنما يَصْعَدُ) من صعد يصعد. وكل هذه القراءات متقاربات المعاني ، وبأيها قرأ القارئ فهو مصيب ، غير أني أختار القراءة في ذلك بقراءة من قرأه (كأنما يصّعّدُ) بتشديد الصاد بغير ألف ، بمعنى : يتصعد ، لكثرة القراء بها ، ولقيل عمر ابن الخطاب رضي الله عنه : ما تصعّدني شيء ما تصعّدتني خطبة النكاح .

القول في تأويل قوله تعالى : ﴿ كَذَلِكَ يَجْعَلُ اللهُ الرِّجْسَ عَلَى الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ ﴾ :

يقول تعالى ذكره : كما يجعل الله صدر من أراد إضلاله ضيقا حرَجا ، كأنما يصعد في السماء من ضيقه عن الإيمان ، فيجزيه بذلك ، كذلك يسلط الله الشيطان عليه وعلى أمثاله ، ممن أبى الإيمان بالله ورسوله ، فيغويه ويصدّه عن سبيل الحقّ .

وقد اختلف أهل التأويل في معنى الرجس ، فقال بعضهم : هو كلّ ما لاخير فيه .

ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، عن عيسى ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، قال : الرجس : ما لاخير فيه .

حدثني المثنى ، قال : ثنا أبو حذيفة ، قال : ثنا شبل ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد (يَجْعَلُ اللهُ الرِّجْسَ عَلَى الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ) قال : مالاخير فيه .

وقال آخرون : الرجس : العذاب .

ذكر من قال ذلك

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد (كَذَلِكَ يَجْعَلُ اللهُ الرِّجْسَ عَلَى الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ) قال : الرجس : عذاب الله .

وقال آخرون : الرجس : الشيطان .

ذكر من قال ذلك

حدثني المثنى ، قال : ثنا عبد الله بن صالح ، قال : ثني معاوية بن صالح ، عن عليّ بن أبي طلحة ، عن ابن عباس ، قوله (الرِّجْسَ) قال : الشيطان .

وكان بعض أهل المعرفة بلغات العرب من الكوفيين يقول : الرجس والنجس لغتان . ويحكى عن العرب أنها تقول : ماكان رجسا ، ولقد رجُس رجاسة ، ونجُس نجاسة . وكان بعض نحويي البصريين يقول : الرجس والرجز سواء ، وهما العذاب .

❊ والصواب فى ذلك من القول عندى ما قاله ابن عباس ، ومن قال : إن الرجس والنجس واحد ، للخبر الذى رُوى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه كان يقول إذا دخل الخلاء : « اللَّهُمَّ إِنِّى أَعُوذُ بِكَ مِنَ الرِّجْسِ النَّجِسِ الخَبِيثِ المُخْبِثِ ، الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ » .

حدثنى بذلك عبد الرحمن بن البخترىّ الطائى ، قال : ثنا عبد الرحمن بن محمد المحاربى ، عن إسماعيل ابن مسلم ، عن الحسن وقتادة ، عن أنس ، عن النبىّ صلى الله عليه وسلم ، وقد بَيَّن هذا الخبر أن الرجس هو النجس القذر ، الذى لاخير فيه ، وأنه من صفة الشيطان .

القول فى تأويل قوله تعالى :

﴿ وَهَٰذَا صِرَٰطُ رَبِّكَ مُسْتَقِيمًا ۗ قَدْ فَصَّلْنَا ٱلْءَايَٰتِ لِقَوْمٍ يَذَّكَّرُونَ ﴾ ١٢٦

❊ يقول تعالى ذكره : وهذا الذى بينا لك يا محمد فى هذه السورة وغيرها من سور القرآن ، هو صراط ربك ، يقول : طريق ربك ودينه الذى ارتضاه لنفسه دينا ، وجعله مستقيا لااعوجاج فيه ، فاثبت عليه وحرّم ما حرمته عليك ، وأحلل ما أحللته لك ، فقد بينا الآيات والحجج على حقيقة ذلك وصحته لقوم يذّكّرون ، يقول : لمن يتذكر ما احتجّ الله به عليه من الآيات والعبر ، فيعتبر بها ، وخصّ بها الذين يتذكرون ، لأنهم هم أهل التمييز والفهم ، وأولو الحجا والفضل ، فقيل : يذّكّرون .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك ، قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنى محمد بن سعد ، قال : ثنى أبى ، قال : ثنى عمى ، قال : ثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله (وَهَٰذَا صِرَاطُ رَبِّكَ مُسْتَقِيمًا) يعنى به الإسلام .

القول فى تأويل قوله تعالى :

﴿ ۞ لَهُمْ دَارُ ٱلسَّلَٰمِ عِندَ رَبِّهِمْ ۖ وَهُوَ وَلِيُّهُم بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴾ ١٢٧

❊ يعنى تعالى ذكره بقوله لهم للقوم الذين يذكرون آيات الله ، فيعتبرون بها ، ويوقنون بدلالتها على ما دلت عليه من توحيد الله ، ومن نبوّة نبيه محمد صلى الله عليه وسلم ، وغير ذلك ، فيصدّقون بما وصلوا بها إلى علمه من ذلك . وأما دار السلام ، فهى دار الله التى أعدّها لأوليائه فى الآخرة جزاء لهم على ما أبلوا فى الدنيا فى ذات الله وهى جنته . والسلام : اسم من أسماء الله تعالى ، كما قال السدىّ .

حدثنى محمد بن الحسين ، قال : ثنا أحمد بن مفضل ، قال : ثنا أسباط ، عن السدىّ (لَهُمْ دَارُ السَّلَامِ عِنْدَ رَبِّهِمْ) الله هو السلام ، والدار : الجنة .

وأما قوله (وَهُوَ وَلِيُّهُمْ) فإنه يقول : والله ناصر هؤلاء القوم الذين يذكرون آيات الله (بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ) يعنى جزاء بما كانوا يعملون من طاعته الله ، ويتبعون رضوانه .

القول في تأويل قوله تعالى

﴿وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ قَدِ اسْتَكْثَرْتُمْ مِنَ الْإِنْسِ وَقَالَ أَوْلِيَاؤُهُمْ مِنَ الْإِنْسِ رَبَّنَا اسْتَمْتَعَ بَعْضُنَا بِبَعْضٍ وَبَلَغْنَا أَجَلَنَا الَّذِي أَجَّلْتَ لَنَا قَالَ النَّارُ مَثْوَاكُمْ خَالِدِينَ فِيهَا إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ ۝١٢٨﴾

يعنى تعالى ذكره بقوله (وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جميعا) : ويوم يحشر هؤلاء العادلين بالله الأوثان والأصنام وغيرهم من المشركين مع أوليائهم من الشياطين الذين كانوا يوحون إليهم زخرف القول غرورا ليجادلوا به المؤمنين ، فيجمعهم جميعا فى موقف القيامة ، يقول للجن (يا مَعْشَرَ الجنِّ قَدِ اسْتَكْثَرْتُمْ مِنَ الإنْسِ) وحذف « يقول للجن » من الكلام اكتفاء بدلالة ما ظهر من الكلام عليه منه .

وعنى بقوله (قَدِ اسْتَكْثَرْتُمْ مِنَ الإنْسِ) استكثرتم من إضلالهم وإغوائهم .

كما حدثنى المثنى ، قال : ثنا عبد الله بن صالح ، قال : ثنى معاوية بن صالح ، عن على بن أبى طلحة عن ابن عباس ، قوله (وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعاً يا مَعْشَرَ الجنِّ قَدِ اسْتَكْثَرْتُمْ مِنَ الإنْسِ) يعنى : أضللتم منهم كثيرا .

حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة (يا مَعْشَرَ الجنِّ قَدِ اسْتَكْثَرْتُمْ مِنَ الإنْسِ) قال : قد أضللتم كثيرا من الإنس .

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد فى قول الله (قَدِ اسْتَكْثَرْتُمْ مِنَ الإنْسِ) قال : كثر من أغويتم .

حدثنى المثنى ، قال : ثنا أبو حذيفة ، قال : ثنا شبل ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، مثله .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنا أبو سفيان ، عن معمر ، عن الحسن (قَدِ اسْتَكْثَرْتُمْ مِنَ الإنْسِ) يقول : أضللتم كثيرا من الإنس .

القول فى تأويل قوله تعالى : ﴿وَقَالَ أَوْلِيَاؤُهُمْ مِنَ الإنْسِ رَبَّنَا اسْتَمْتَعَ بَعْضُنَا بِبَعْضٍ﴾ :

يقول تعالى ذكره : فيجيب أولياء الجن من الإنس ، فيقولون : ربنا استمتع بعضنا ببعض فى الدنيا .

فأما استمتاع الإنس بالجن ، فكان كما حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، قوله (رَبَّنا اسْتَمْتَعَ بَعْضُنا بِبَعْضٍ) قال : كان الرجل فى الجاهلية ينزل الأرض فيقول : أعوذ بكبير هذا الوادى ، فذلك استمتاعهم ، فاعتذروا يوم القيامة . وأما استمتاع الجن بالإنس ، فإنه كان فيما ذكر ، ما ينال الجن من الإنس من تعظيمهم إياهم فى استعاذتهم بهم ، فيقولون : قد سدنا الجن والإنس .

القول فى تأويل قوله تعالى : ﴿وَبَلَغْنَا أَجَلَنَا الَّذِى أَجَّلْتَ لَنَا﴾ :

يقول تعالى ذكره : قالوا : وبلغنا الوقت الذى وقّت لموتنا ، وإنما يعنى جلّ ثناؤه بذلك أنهم قالوا : استمتع بعضنا ببعض أيام حياتنا إلى حال موتنا .

كما حدثنى محمد بن الحسين ، قال : ثنا أحمد بن المفضل ، قال : ثنا أسباط ، عن السدىّ : أما قوله (وَبَلَغْنَا أَجَلَنَا الَّذِى أَجَّلْتَ لَنَا) فالموت .

القول فى تأويل قوله تعالى : ﴿ قال النَّارُ مَثْوَاكُمْ خالِدِينَ فيها إلاَّ ماشاءَ اللهُ ، إنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ ﴾ :

وهذا خبر من الله تعالى ذكره عما هو قائل لهؤلاء الذين يحشرهم يوم القيامة من العادلين به فى الدنيا الأوثان ، ولقرنائهم من الجنّ ، فأخرج الخبر عما هو كائن مخرج الخبر عما كان لتقدّم الكلام قبله بمعناه ، والمراد منه ، فقال : قال الله لأولياء الجنّ من الإنس الذين قد تقدم خبره عنهم (النَّارُ مَثْوَاكُمْ) يعنى نار جهنم مثواكم الذى تثوون فيه : أى تقيمون فيه ، والمثوى : هو المفعل ، من قولهم : ثوى فلان بمكان كذا ، إذا أقام فيه (خالِدِينَ فيها) يقول : لابثين فيها (إلاَّ ما شاءَ اللهُ) يعنى : إلا ما شاء الله من قدر مدة ما بين مبعثهم من قبورهم إلى مصيرهم إلى جهنم ، فتلك المدة التى استثناها الله من خلودهم فى النار (إنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ) فى تدبيره فى خلقه ، وفى تصريفه إياهم فى مشيئته من حال إلى حال ، وغير ذلك من أفعاله (عَلِيمٌ) بعواقب تدبيره إياهم ، وما إليه صائر أمرهم من خير وشرّ . وروى عن ابن عباس أنه كان يتأوّل فى هذا الاستثناء أن الله جعل أمر هؤلاء القوم فى مبلغ عذابه إياهم إلى مشيئته .

حدثنى المثنى ، قال : ثنا عبد الله بن صالح ، قال : ثنى معاوية بن صالح ، عن علىّ بن أبى طلحة ، عن ابن عباس (قالَ النَّارُ مَثْوَاكُمْ خالِدِينَ فيها إلاَّ ما شاءَ اللهُ ، إنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ) قال : إن هذه الآية آية لاينبغى لأحد أن يحكم على الله فى خلقه أن لاينزلهم جنة ولا نارا .

القول فى تأويل قوله تعالى :

وَكَذَٰلِكَ نُوَلِّى بَعْضَ ٱلظَّٰلِمِينَ بَعْضًۢا بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ﴿١٢٩﴾

اختلف أهل التأويل فى تأويل (نُوَلِّى) فقال بعضهم : معناه : نجعل بعضهم لبعض وليا على الكفر بالله .

ذكر من قال ذلك

حدثنا يونس ، قال : ثنا بشر بن معاذ ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (وكذلكَ نُوَلِّى بَعْضَ الظَّالِمِينَ بَعْضًا بِمَا كانُوا يَكْسِبُونَ) وإنما يولى الله بين الناس بأعمالهم . فالمؤمن ولىّ المؤمن ، أين كان ، وحيث كان ، والكافر ولىّ الكافر ، أينما كان ، وحيثما كان ، ليس الإيمان بالتمنى ولا بالتحلّى .

وقال آخرون : معناه : نُتْبِع بعضهم بعضا فى النار من الموالاة ، وهو المتابعة بين الشىء والشىء ؛ من قول القائل : واليت بين كذا وكذا : إذا تابعت بينهما .

ذكر من قال ذلك

حدثنى محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة (وَكَذَلِكَ نُوَلِّى بَعْضَ الظَّالِمِينَ بَعْضًا) فى النار يتبع بعضهم بعضا .

وقال آخرون : معنى ذلك : نسلط بعض الظلمة على بعض :

ذكر من قال ذلك

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله (وَكَذَلِكَ نُوَلِّى بَعْضَ الظَّالِمِينَ بَعْضًا) قال : ظالمى الجن وظالمى الإنس ، وقرأ (وَمَنْ يَعْشُ عَنْ ذِكْرِ الرَّحْمَنِ نُقَيِّضْ لَهُ شَيْطَانًا فَهُوَ لَهُ قَرِينٌ) قال : نسلط ظلمة الجنّ على ظلمة الإنس .

وأولى هذه الأقوال فى تأويل ذلك بالصواب ، قول من قال : معناه : وكذلك نجعل بعض الظالمين لبعض أولياء ، لأن الله ذكر قبل هذه الآية ما كان من قول المشركين ، فقال جلّ ثناؤه (وَقَالَ أَوْلِيَاؤُهُمْ مِنَ الإِنْسِ رَبَّنَا اسْتَمْتَعَ بَعْضُنَا بِبَعْضٍ) ، وأخبر جلّ ثناؤه أن بعضهم أولياء بعض ، ثم عقّب خبره ذلك بخبره عن أن ولاية بعضهم بعضا بتوليته إياهم ، فقال : وكما جعلنا بعض هؤلاء المشركين من الجنّ والإنس أولياء بعض ، يستمتع بعضهم ببعض ، كذلك نجعل بعضهم أولياء بعض فى كلّ الأمور بما كانوا يكسبون من معاصى الله ويعملونه .

القول فى تأويل قوله تعالى :

يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِنْكُمْ يَقُصُّونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِي وَيُنْذِرُونَكُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَذَا قَالُوا شَهِدْنَا عَلَى أَنْفُسِنَا وَغَرَّتْهُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَشَهِدُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ أَنَّهُمْ كَانُوا كَافِرِينَ ﴿١٣٠﴾

وهذا خبر من الله جلّ ثناؤه عما هو قائل يوم القيامة لهؤلاء العادلين به من مشركى الإنس والجنّ ، يخبر أنه يقول لهم تعالى ذكره يومئذ (يا مَعْشَرَ الجِنِّ والإِنْسِ ، أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِنْكُمْ يَقُصُّونَ عَلَيْكُمْ آياتِى) يقول : يخبرونكم بما أوحى إليهم من تنبيهى إياكم على مواضع حججى ، وتعريفى لكم أدلتى على توحيدى ، وتصديق أنبيائى ، والعمل بأمرى ، والانتهاء إلى حدودى (وَيُنْذِرُونَكُمْ لِقاءَ يَوْمِكُمْ هَذَا) يقول : يحذّرونكم لقاء عذابى فى يومكم هذا ، وعقابى على معصيتكم إياى ، فتنتهوا عن معاصىّ ، وهذا من الله جلّ ثناؤه تقريع وتوبيخ لهؤلاء الكفرة على ما سلف منهم فى الدنيا من الفسوق والمعاصى ، ومعناه : قد أتاكم رسل منكم ينبهونكم على خطإ ما كنتم عليه مقيمين بالحجج البالغة ، وينذرونكم وعيد الله على مقامكم ، على ما كنتم عليه مقيمين ، فلم تقبلوا ذلك ، ولم تتذكروا ولم تعتبروا .

واختلف أهل التأويل فى الجنّ ، هل أرسل منهم إليهم أم لا ؟ فقال بعضهم : قد أرسل إليهم رسل ، كما أرسل إلى الإنس منهم رسل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا يحيى بن واضح ، قال : ثنا عبيد بن سليمان ، قال : سئل الضحاك عن الجنّ هل كان فيهم نبيّ قبل أن يبعث النبيّ صلى الله عليه وسلم ، فقال : ألم تسمع إلى قول الله (يَا مَعْشَرَ الجِنِّ وَالإِنْسِ أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِنْكُمْ يَقُصُّونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِي) يعنى بذلك : رسلا من الإنس ورسلا من الجنّ ، فقالوا : بلى .

وقال آخرون : لم يرسل منهم إليهم رسول ، ولم يكن له من الجنّ قطّ رسول مرسل ، وإنما الرسل من الإنس خاصة . فأما من الجنّ فالنذر ، قالوا : وإنما قال الله (أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِنْكُمْ) والرسل من أحد الفريقين ، كما قال (مَرَجَ البَحْرَيْنِ يَلْتَقِيَانِ) ثم قال (يَخْرُجُ مِنْهُمَا اللُّؤْلُؤُ وَالمَرْجَانُ) وإنما يخرج اللؤلؤ والمرجان من الملح دون العذب منهما ؛ وإنما معنى ذلك : يخرج من بعضهما أو من أحدهما ، قال : وذلك كقول القائل لجماعة أدؤر إن فى هذه الدور لشرّا ، وإن كان الشرّ فى واحدة منهنّ ، فيخرج الخبر عن جميعهنّ ، والمراد به الخبر عن بعضهنّ ، وكما يقال : أكلت خبزا ولبنا : إذا اختلطا ؛ ولو قيل : أكلت لبنا ، كان الكلام خطأ ، لأن اللبن يشرب ولا يؤكل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، قوله (يَا مَعْشَرَ الجِنِّ وَالإِنْسِ أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِنْكُمْ) قال : جمعهم كما جمع قوله (وَمِنْ كُلٍّ تَأْكُلُونَ لَحْمًا طَرِيًّا ، وَتَسْتَخْرِجُونَ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا) ولا يخرج من الأنهار حلية . قال ابن جريج . قال ابن عباس : هم الجن الذين لَقُوا قومهم ، وهم رسل إلى قومهم ، فعلى قول ابن عباس هذا ، إن من الجنّ رسلا للإنس إلى قومهم .

❊ فتأويل الآية على هذا التأويل الذى تأوّله ابن عباس : ألم يأتكم أيها الجنّ والإنس رسل منكم ؟ فأما رسل الإنس ، فرسل من الله إليهم ؛ وأما رسل الجنّ ، فرسل رسل الله من بنى آدم ، وهم الذين إذ سمعوا القرآن ولّوا إلى قومهم منذرين .

وأما الذين قالوا بقول الضحاك ، فإنهم قالوا : إن الله تعالى ذكره ، أخبر أن من الجنّ رسلا أرسلوا إليهم ، كما أخبر أن من الإنس رسلا أرسلوا إليهم ، قالوا : ولو جاز أن يكون خبره عن رسل الجنّ ، بمعنى أنهم رسل الإنس ، جاز أن يكون خبره عن رسل الإنس ، بمعنى أنهم رسل الجنّ ؛ قالوا : وفى فساد هذا المعنى مايدلّ على أن الخبرين جميعا بمعنى الخبر عنهم أنهم رسل الله ، لأن ذلك هو المعروف فى الخطاب دون غيره .

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿ قالُوا شَهِدْنا على أنْفُسِنا وَغَرَّتْهُمُ الحَياةُ الدُّنْيا ، وَشَهِدُوا على أنفُسِهِمْ أَنَّهُمْ كانُوا كافِرِينَ ﴾:

وهذا خبر من الله جلّ ثناؤه عن قول مشركى الجنّ والإنس عند تقريعه إياهم بقوله لهم (أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِنْكُمْ يَقُصُّونَ عَلَيْكُمْ آياتى ، وَيُنْذِرُونَكُمْ لِقاءَ يَوْمِكُمْ هذا) أنهم يقولون (شَهِدْنا على أنْفُسِنا) بأن رسلك قد أتتنا بآياتك ، وأنذرتنا لقاء يومنا هذا ، فكذّبناها وجحدنا رسالتها ، ولم نتبع آياتك ولم نؤمن بها ، قال الله خبرا مبتدأ ، وغرّت هؤلاء العادلين بالله الأوثان والأصنام وأولياءهم من الجنّ (الحَياةُ الدُّنْيا) يعنى : زينة الحياة الدنيا ، وطلب الرياسة فيها ، والمنافسة عليها أن يسلموا لأمر الله ، فيطيعوا فيها رسله ، فاستكبروا وكانوا قوما عالين ، فاكتفى بذكر الحياة الدنيا من ذكر المعانى التى غرّتهم وخدعتهم فيها ، إذ كان فى ذكرها مكتفى عن ذكر غيرها لدلالة الكلام على ما ترك ذكره ، يقول الله تعالى (وَشَهِدُوا على أنْفُسِهِمْ) يعنى هؤلاء العادلين به يوم القيامة أنهم كانوا فى الدنيا كافرين به وبرسله ، لتتمّ حجة الله عليهم بإقرارهم على أنفسهم بما يوجب عليهم عقوبته وأليم عذابه .

القول في تأويل قوله تعالى

﴿ ذَٰلِكَ أَن لَّمْ يَكُن رَّبُّكَ مُهْلِكَ ٱلْقُرَىٰ بِظُلْمٍ وَأَهْلُهَا غَٰفِلُونَ ﴾ (١٣١)

يقول تعالى ذكره (ذَلِكَ أنْ لَمْ يَكُنْ رَبُّكَ مُهْلِكَ القُرَى بِظُلْمٍ) : أى إنما أرسلنا الرسل يا محمد إلى من وصفت أمره ، وأعلمتك خبره من مشركى الإنس والجنّ يقصون عليهم آياتى ، وينذرونهم لقاء معادهم إلىّ من أجل أن ربك لم يكن مهلك القرى بظلم .

وقد يتجه من التأويل فى قوله بظلم وجهان : أحدهما (ذَلِكَ أنْ لَمْ يَكُنْ رَبُّكَ مُهْلِكَ القُرَى بِظُلْمٍ) : أى بشرك ، من أشرك ، وكُفْر من كفر من أهلها ، كما قال لقمان (إنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ) ، (وأهْلُها غافِلُونَ) يقول : لم يكن يعاجلهم بالعقوبة حتى يبعث إليهم رسلا تنبههم على حجج الله عليهم ، وتنذرهم عذاب الله يوم معادهم إليه ، ولم يكن بالذى يأخذهم غفلة ، فيقولوا : ما جاءنا من بشير ولا نذير .

والآخر (ذَلِكَ أنْ لَمْ يَكُنْ رَبُّكَ مُهْلِكَ القُرَى بظُلْمٍ) يقول : لم يكن ليهلكهم دون التنبيه والتذكير بالرسل والآيات والعبر ، فيظلمهم بذلك ، والله غير ظلام للعبيد .

وأولى القولين بالصواب عندى القول الأوّل ، أن يكون معناه : أن لم يكن ليهلكهم بشركهم دون إرسال الرسل إليهم ، والإعذار بينه وبينهم ، وذلك أن قوله (ذَلِكَ أنْ لَمْ يَكُنْ رَبُّكَ مُهْلِكَ القُرَى بِظُلْمٍ) عقيب قوله (أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِنْكُمْ يَقُصُّونَ عَلَيْكُمْ آياتى) فكان فى ذلك الدليل الواضح على أن نص قوله (ذَلِكَ أنْ لَمْ يَكُنْ رَبُّكَ مُهْلِكَ القُرَى بِظُلْمٍ) إنما هو إنما فعلنا ذلك من أجل أنا لا نهلك القُرَى بغير تذكير وتنبيه . وأما قوله (ذَلِكَ) فإنه يجوز أن يكون نصبا ، بمعنى :

فعلنا ذلك ، ويجوز أن يكون رفعا بمعنى الابتداء ، كأنه قال ذلك كذلك ؛ وأما « أن» فإنها فى موضع نصب بمعنى : فعلنا ذلك من أجل أن لم يكن ربك مُهْلِك القرى ، فإذا حذف ما كان يخفضها ، تعلق بها الفعل فنصب.

القول في تأويل قوله تعالى :

وَلِكُلٍّ دَرَجَٰتٌ مِّمَّا عَمِلُوا۟ ۚ وَمَا رَبُّكَ بِغَٰفِلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ ﴿١٣٢﴾

يقول تعالى ذكره : ولكلّ عامل فى طاعة الله أو معصيته منازل ومراتب من عمله ، يبلغه الله إياها ، ويثيبه بها ، إن خير فخير ، وإن شرًا فشرًا (وَمَا رَبُّكَ بغافل عَمَّا يَعْمَلُونَ) يقول جلّ ثناؤه وكلّ ذلك من عملهم يا محمد بعلم من ربك يحصيها ويثبتها لهم عنده ليجازيهم عليها عند لقائهم إياه ، ومعادهم إليه .

القول في تأويل قوله تعالى :

وَرَبُّكَ ٱلْغَنِىُّ ذُو ٱلرَّحْمَةِ ۚ إِن يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَسْتَخْلِفْ مِنۢ بَعْدِكُم مَّا يَشَآءُ كَمَآ أَنشَأَكُم مِّن ذُرِّيَّةِ قَوْمٍ ءَاخَرِينَ ﴿١٣٣﴾

يقول جلّ ثناؤه : وربك يا محمد الذى أمر عباده بما أمرهم به ، ونهاهم عما نهاهم عنه ، وأثابهم على الطاعة ، وعاقبهم على المعصية ، الغنىّ عن عباده ، الذين أمرهم بما أمر ، ونهاهم عما نهى ، وعن أعمالهم وعبادتهم إياه ، و هم المحتاجون إليه ، لأنه بيده حياتهم ومماتهم وأرزاقهم وأقواتهم ، ونفعهم وضرّهم ، يقول عز ذكره : فلم أخلقهم يا محمد ، ولم آمرهم بما أمرتهم به ، وأنههم عما نهيتهم عنه ، لحاجة لى إليهم ، ولا إلى أعمالهم ، ولكن لأتفضل عليهم برحمتى ، وأثيبهم على إحسانهم إن أحسنوا ، فإنى ذو الرأفة والرحمة .

وأما قوله(إنْ يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَسْتَخْلِفْ مِنْ بَعْدِكُمْ ما يَشاءُ) فإنه يقول : إن يشأ ربك يا محمد الذى خلق خلقه لغير حاجة منه إليهم ، وإلى طاعتهم إياه يذهبكم ، يقول : يهلك خلقه هؤلاء الذين خلقهم من ولد آدم ، ويستخلف من بعدكم ما يشاء ، يقول : ويأت بخلق غيركم ، وأمم سواكم يخلفونكم فى الأرض من بعدكم ، يعنى : من بعد فنائكم وهلاككم (كَمَا أَنْشَأَكُمْ مِنْ ذُرِّيَّةِ قَوْمٍ آخَرِينَ) كما أحدثكم وابتدعكم من بعد خلق آخرين كانوا قبلكم . ومعنى « مِنْ » فى هذا الموضع : التعقيب ، كما يقال فى الكلام أعطيتك من دينارك ثوبا ، بمعنى : مكان الدينار ثوبا ، لا أن الثوب من الدينار بعض ، كذلك الذين خوطبوا بقوله (كَمَا أَنْشَأَكُمْ) لم يرد بإخبارهم هذا الخبر أنهم أنشئوا من أصلاب قوم آخرين ، ولكن معنى ذلك ماذكرنا من أنهم أنشئوا مكان خَلْقٍ خَلَفَ قوم آخرين قد هلكوا قبلهم ؛ والذرية الفُعِّيلة من قول القائل : ذرأ الله الخلق ، بمعنى خلقهم فهو يذرؤهم ، ثم ترك الهمزة فقيل : ذرا الله ، ثم أخرج الفعيلة بغير همز على مثال العُلِّيَّة ، وقد رُوِى عن بعض المتقدمين أنه كان يقرأ (مِنْ ذَرِيئَةِ قَوْمٍ آخَرِينَ) على مثال فَعِيلَة ،

وعن آخر أنه كان يقرأ (وَمِنْ ذُرْيَةِ) على مثال علية . والقراءة التي عليها القرّاء في الأمصار (ذُرِّيَّةِ) بضم الذال وتشديد الياء على مثال عُلِّيَّة . وقد بيَّنّا اشتقاق ذلك فيما مضى قبل، بما أغنى عن إعادته ههنا . وأصل الإنشاء : الإحداث ، يقال : قد أنشأ فلان يحدّث القوم ، بمعنى : ابتدأ وأخذ فيه .

القول في تأويل قوله تعالى :

﴿ إِنَّ مَا تُوعَدُونَ لَآتٍ وَمَا أَنتُم بِمُعْجِزِينَ ﴾ ﴿١٣٤﴾

﴿ يقول تعالى ذكره للمشركين به : أيها العادلون بالله الأوثان والأصنام ، إن الذي يوعدكم به ربكم من عقابه على إصراركم على كفركم واقع بكم (وَمَا أَنْتُمْ بِمُعْجِزِينَ) ، يقول : لن تعجزوا ربكم هربا منه في الأرض فتفوتوه ، لأنكم حيث كنتم في قبضته ، وهو عليكم وعلى عقوبتكم بمعصيتكم إياه قادر ، يقول : فاحذروه ، وأنيبوا إلى طاعته قبل نزول البلاء بكم .

القول في تأويل قوله تعالى :

﴿ قُلْ يَا قَوْمِ اعْمَلُوا عَلَىٰ مَكَانَتِكُمْ إِنِّي عَامِلٌ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ مَن تَكُونُ لَهُ عَاقِبَةُ الدَّارِ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ ﴾ ﴿١٣٥﴾

﴿ يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم : قل يا محمد لقومك من قريش ، الذين يجعلون مع الله إلها آخر (اعْمَلُوا على مَكَانَتِكُمْ) يقول : اعملوا على حيالكم وناحيتكم .

كما حدثني عليّ بن داود ، قال : ثنا عبد الله بن صالح ، قال : ثني معاوية بن صالح ، عن عليّ ابن أبي طلحة ، عن ابن عباس (يا قَوْمِ اعْمَلُوا على مَكَانَتِكُمْ) يعني على ناحيتكم ، يقال منه : هو يعمل على مكانته ومكينته . وقرأ ذلك بعض الكوفيين (على مَكَانَاتِكُمْ) على جمع المكانة . والذي عليه قرّاء الأمصار (على مَكَانَتِكُمْ) على التوحيد (إِنِّي عَامِلٌ) يقول جلّ ثناؤه لنبيه : قل لهم : اعملوا ما أنتم عاملون ، فإني عامل ما أنا عامله مما أمرني به ربي (فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ) يقول : فسوف تعلمون عند نزول نقمة الله بكم ، أينا كان المحقّ في عمله والمصيب سبيل الرشاد ، أنا أم أنتم ؟ . وقوله تعالى ذكره لنبيه : قل لقومك (يا قَوْمِ اعْمَلُوا على مَكَانَتِكُمْ) أمر منه له بوعيدهم وتهديدهم ، لا إطلاق لهم في عمل ما أرادوا من معاصي الله .

القول في تأويل قوله تعالى ﴿ مَنْ تَكُونُ لَهُ عَاقِبَةُ الدَّارِ إِنَّهُ لا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ ﴾ :

يعني بقوله جلّ ثناؤه (مَنْ تَكُونُ لَهُ عَاقِبَةُ الدَّارِ) فسوف تعلمون أيها الكفرة بالله عند معاينتكم العذاب ، من الذي تكون له عاقبة الدار منا ومنكم ، يقول : من الذي يعقب دنياه ، ما هو خير له منها ، أو شرّ منها بما قدّم فيها من صالح أعماله أو سيئها ؛ ثم ابتدأ الخبر جلّ ثناؤه فقال (إِنَّهُ لا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ)

يقول : إنه لاينجح ولا يفوز بحاجته عند الله من عمل بخلاف ما أمره الله به من العمل فى الدنيا ، وذلك معنى ظلم الظالم فى هذا الموضع ، وفى « مَنْ » التى فى قوله (مَنْ تَكُونُ) له وجهان من الإعراب : الرفع على الابتداء ، والنصب بقوله (تَعْلَمُونَ) لإعمال العلم فيه ؛ والرفع فيه أجود ، لأن معناه : فسوف تعلمون أينا له عاقبة الدار ، فالابتداء فى من أصحّ وأفصح من إعمال العلم فيه .

القول في تأويل قوله تعالى :

وَجَعَلُوا۟ لِلَّهِ مِمَّا ذَرَأَ مِنَ ٱلْحَرْثِ وَٱلْأَنْعَٰمِ نَصِيبًا فَقَالُوا۟ هَٰذَا لِلَّهِ بِزَعْمِهِمْ وَهَٰذَا لِشُرَكَآئِنَا ۖ فَمَا كَانَ لِشُرَكَآئِهِمْ فَلَا يَصِلُ إِلَى ٱللَّهِ ۖ وَمَا كَانَ لِلَّهِ فَهُوَ يَصِلُ إِلَىٰ شُرَكَآئِهِمْ ۗ سَآءَ مَا يَحْكُمُونَ ﴿١٣٦﴾

❊ يقول تعالى ذكره : وجعل هؤلاء العادلون بربهم الأوثان والأصنام لربهم مما ذرأ خالقهم ، يعنى : مما خلق من الحرث والأنعام ، يقال منه : ذرأ الله الخلق يذرؤهم ذرأ وذروا[1] : إذا خلقهم . نصيبا : يعنى قسما وجزءا .

ثم اختلف أهل التأويل فى صفة النصيب الذى جعلوا لله ، والذى جعلوه لشركائهم من الأوثان والشيطان فقال بعضهم : كان ذلك جزءا من حروثهم وأنعامهم ، يقرّرونه لهذا ، وجزءا آخر لهذا .

ذكر من قال ذلك

حدثنى إسحاق بن إبراهيم بن حبيب بن الشهيد ، قال : ثنا عتاب بن بشير ، عن خصيف ، عن عكرمة عن ابن عباس (فَمَا كَانَ لِشُرَكَائِهِمْ فَلَا يَصِلُ إِلَى اللهِ) . . . الآية ، قال : كانوا إذا أدخلوا الطعام فجعلوه حزما جعلوا منها لله سهما ، وسهما لآلهتهم ، وكان إذا هبت الريح من نحو الذى جعلوه لآلهتهم إلى الذى جعلوه لله ، ردّوه إلى الذى جعلوه لآلهتهم ؛ وإذا هبت الريح من نحو الذى جعلوه لله إلى الذى جعلوه لآلهتهم أقرّوه ولم يردّوه ، فذلك قوله (سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ) .

حدثنى المثنى ، قال : ثنا أبو صالح ، قال ثنى معاوية بن صالح ، عن على بن أبى طلحة ، عن ابن عباس ، فى قوله (وَجَعَلُوا لِلَّهِ مِمَّا ذَرَأَ مِنَ الحَرْثِ والأنعامِ نَصِيبا ، فقالُوا هَذَا لِلَّهِ بِزَعْمِهِمْ وَهَذَا لِشُرَكائِنا) قال : جعلوا لله من ثمراتهم ومالهم نصيبا ، وللشيطان والأوثان نصيبا ، فإن سقط من ثمرة ما جعلوا لله فى نصيب الشيطان تركوه ، وإن سقط مما جعلوه للشيطان فى نصيب الله التقطوه وحفظوه وردّوه إلى نصيب الشيطان ، وإن انفجر من سَقْى ما جعلوه لله فى نصيب الشيطان تركوه ؛ وإن انفجر من سَقْى ما جعلوه للشيطان فى نصيب الله سدوه ، فهذا ما جعلوا من الحروث وسقى الماء . وأما ما جعلوا للشيطان من الأنعام ، فهو قول الله (ما جَعَلَ اللهُ مِنْ بَحِيرَةٍ وَلا سائِبَةٍ وَلا وَصِيلَةٍ وَلا حامٍ)

حدثنى محمد بن سعد ، قال : ثنى أبى ، قال : ثنى عمى ، قال : ثنى أبى عن أبيه ، عن ابن عباس ،

(١) كذا فى الأصول . وليس فى المعاجم مصدر لذرأ إلا (الذرء) . ولعل الثانى مصدر (ذرا) مخفف الهمز .

قوله (وَجَعَلُوا لِلَّهِ مِمَّا ذَرَأَ مِنَ الحَرْثِ والأنْعامِ نَصِيبا فَقالُوا هَذَا لِلَّهِ بِزَعْمِهِمْ) . . . الآية ، وذلك أن أعداء الله كانوا إذا احترثوا حرثا ، أو كانت لهم ثمرة جعلوا لله منها جزءا ، وللوثن جزءا ، فما كان من حرث أو ثمرة أو شيء من نصيب الأوثان حفظوه وأحصوه ، فإن سقط منه شيء فيما سمي لله ردّوه إلى ماجعلوا للوثن ، وإن سبقهم الماء إلى الذى جعلوه للوثن ، فسقى شيئا جعلوه لله ، جعلوا ذلك للوثن ، وإن سقط شيء من الحرث والثمرة التى جعلوا لله ، فاختلط بالذى جعلوا للوثن ، قالوا : هذا فقير ، ولم يردّوه إلى ما جعلوا لله ، وإن سبقهم الماء الذى جعلوا لله ، فسقى ما سمي للوثن تركوه للوثن، وكانوا يُحَرِّمون من أنعامهم : البحيرة ، والسائبة ، والوصيلة ، والحام ، فيجعلونه للأوثان ، ويزعمون أنهم يحرّمونه لله ، فقال الله فى ذلك (وَجَعَلُوا لِلَّهِ مِمَّا ذَرَأَ مِنَ الحَرْثِ والأنْعامِ نَصِيبا) . . . الآية .

حدثنا محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبوعاصم ، قال : ثنا عيسى ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد فى قول الله (وَجَعَلُوا لِلَّهِ مِمَّا ذَرَأَ مِنَ الحَرْثِ والأنْعامِ نَصِيبا) قال : يسمون لله جزءا من الحرث ولشركائهم وأوثانهم جزءا ، فما ذهبت به الريح مما سموا لله إلى جزء أوثانهم تركوه ، وما ذهب من جزء أوثانهم إلى جزء الله ردّوه ، وقالوا : الله عن هذا غنيّ ، والأنعام : السائبة والبحيرة التى سَمَّوْا .

حدثنى المثنى ، قال : ثنا أبوحذيفة ، قال : ثنا شبل ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، نحوه .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (وَجَعَلُوا لِلَّهِ مِمَّا ذَرَأَ مِنَ الحَرْثِ والأنْعامِ نَصِيبا) . . . الآية ، عمد ناس من أهل الضلالة ، فجزّءوا من حروثهم ومواشيهم جزءا لله ، وجزءا لشركائهم ، وكانوا إذا خالط شيء مما جزّءوا لله فيما جزّءوا لشركائهم خلوه ، فإذا خالط شيء مما جزّءوا لشركائهم فيما جزّءوا لله ردّوه على شركائهم ، وكانوا إذا أصابتهم السَّنة استعانوا بما جزّءوا لله ، وأقرّوا ما جزءوا لشركائهم ، قال الله (ساءَ ما يَحْكُمُونَ) .

حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة (وَجَعَلُوا لِلَّهِ مِمَّا ذَرَأَ مِنَ الحَرْثِ والأنْعامِ نَصِيبا) قال : كانوا يجزئون من أموالهم شيئا ، فيقولون : هذا لله ، وهذا للأصنام التى يعبدون ، فإذا ذهب مما جعلوا لشركائهم ، فخالط ما جعلوا لله ردّوه ، وإن ذهب مما جعلوه لله ، فخالط شيئا مما جعلوه لشركائهم تركوه ، وإن أصابتهم سنة ، أكلوا ما جعلوا لله وتركوا ما جعلوا لشركائهم ، فقال الله (ساءَ ما يَحْكُمُونَ) .

حدثنى محمد بن الحسين ، قال : ثنا أحمد بن المفضل ، قال : ثنا أسباط ، عن السدىّ (وَجَعَلُوا لِلَّهِ مِمَّا ذَرَأَ مِنَ الحَرْثِ والأنْعامِ نَصِيبا) . . . إلى (يَحْكُمُونَ) قال : كانوا يقسمون من أموالهم قسما فيجعلونه لله ، ويزرعون زرعا فيجعلونه لله ، ويجعلون لآلهتهم مثل ذلك ، فما خرج للآلهة أنفقوه عليها ، وما خرج لله تصدّقوا به ؛ فإذا هلك الذى يصنعون لشركائهم ، وكثر الذى لله ، قالوا : ليس بدّ لآلهتنا من نفقة ، وأخذوا الذى لله فأنفقوه على آلهتهم ؛ وإذا أجدب الذى لله وكثر الذى لآلهتهم ، قالوا : لوشاء

أزكى الذى له ، فلا يردّون عليه شيئا مما للآلهة ، قال الله : لوكانوا صادقين فيما قسموا لبئس إذًا ما حكموا أن يأخذوا منى ولا يعطونى ، فذلك حين يقول (ساءَ ما يَحْكُمُونَ) . .

وقال آخرون : النصيب الذى كانوا يجعلونه لله فكان يصل منه إلى شركائهم أنهم كانوا لايأكلون ما ذبحوا لله حتى يسموا الآلهة ، وكانوا ما ذبحوه للآلهة يأكلونه ، ولا يسمون الله عليه .

ذكر من قال ذلك

حدثنى يونس بن عبد الأعلى ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله (وَجَعَلُوا لله مِمَّا ذَرَأَ مِنَ الحَرْثِ والأنْعام نَصِيبا) ... حتى بلغ (وَما كانَ لله فَهُوَ يَصِلُ إلى شُرَكائِهِمْ) قال : كلّ شيء جعلوه لله من ذبح يذبحونه ، لايأكلونه أبدا حتى يذكروا معه أسماء الآلهة ؛ وما كان للآلهة لم يذكروا اسم الله معه ، وقرأ الآية حتى بلغ (ساءَ ما يَحْكُمُونَ) .

❁ وأولى التأويلين بالآية ، ما قال ابن عباس ، ومن قال بمثل قوله فى ذلك ، لأن الله جلّ ثناؤه أخبر أنهم جعلوا لله من حرثهم وأنعامهم قسما مقدّرا ، فقالوا : هذا لله ، وجعلوا مثله لشركائهم ، وهم أوثانهم بإجماع من أهل التأويل عليه ، فقالوا : هذا لشركائنا وإن نصيب شركائهم لايصل منه إلى الله ، بمعنى : لايصل إلى نصيب الله ، وما كان لله وصل إلى نصيب شركائهم ، فلو كان وصول ذلك بالتسمية ، وترك التسمية ، كان أعيان ما أخبر الله عنه أنه لم يصل جائزا أن تكون قد وصلت ، وما أخبر عنه أنه قد وصل لم يصل ، وذلك خلاف ما دلّ عليه ظاهر الكلام ، لأن الذبيحتين تذبح إحداهما لله ، والأخرى للآلهة ، جائز أن تكون لحومهما قد اختلطت وخلطوهما ، إذ كان المكروه عندهم تسمية الله على ما كان مذبوحا للآلهة دون اختلاط الأعيان ، واتصال بعضها ببعض .

وأما قوله (ساءَ ما يَحْكُمُونَ) فإنه خبر من الله جلّ ثناؤه عن فعل هؤلاء المشركين الذين وصف صفتهم ، يقول جلّ ثناؤه : وقد أساءوا فى حكمهم إذ أخذوا من نصيبى لشركائهم ، ولم يعطونى من نصيب شركائهم ، وإنما عنى بذلك تعالى ذكره الخبر عن جهلهم وضلالتهم ، وذهابهم عن سبيل الحقّ بأنهم لم يرضوا أن عدلوا بمن خلقهم وغذاهم ، وأنعم عليهم بالنعم التى لاتحصى ما لايضرّهم ولاينفعهم ، حتى فضلوه فى إقسامهم عند أنفسهم بالقسم عليه .

القول في تأويل قوله تعالى: وَكَذَٰلِكَ زَيَّنَ لِكَثِيرٍ مِّنَ الْمُشْرِكِينَ قَتْلَ أَوْلَادِهِمْ شُرَكَاؤُهُمْ لِيُرْدُوهُمْ وَلِيَلْبِسُوا عَلَيْهِمْ دِينَهُمْ ۖ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا فَعَلُوهُ ۖ فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ ﴿١٣٧﴾

❁ يقول تعالى ذكره : وكما زيّن شركاء هؤلاء العادلين بربهم الأوثان والأصنام لهم ما زيّنوا لهم، من تصييرهم لربهم من أموالهم قسما بزعمهم ، وتركهم ما وصل من القسم الذى جعلوه لله إلى قسم شركائهم فى قسمهم ، وردّهم ما وصل من القسم الذى جعلوه لشركائهم إلى قسم نصيب الله ، إلى قسم شركائهم

(وَكذلكَ زَيَّنَ لكَثيرٍ مِنَ المُشْرِكِينَ قَتْلَ أوْلادِهِم شُرَكاؤُهُمْ) من الشياطين، فحسنوا لهم وأد البنات (لِيُرْدُوهُمْ) يقول: ليهلكوهم (وَلِيَلْبِسُوا عَلَيْهِمْ دِينَهُمْ) فعلوا ذلك بهم ليخلطوا عليهم دينهم فيلتبس، فيضلوا ويهلكوا بفعلهم ما حرّم عليهم الله، ولو شاء الله أن لايفعلوا ما كانوا يفعلون من قتلهم لم يفعلوه، بأن كان يهديهم للحقّ، ويوفّقهم للسداد، فكانوا لايقتلونهم، ولكن الله خذلهم عن الرشاد فقتلوا أولادهم، وأطاعوا الشياطين التى أغوتهم، يقول الله لنبيه متوعدا لهم على عظيم فريتهم على ربهم فيما كانوا يقولون فى الأنصباء التى يقسمونها: هذا لله، وهذا لشركائنا وفى قتلهم أولادهم: ذرهم يا محمد ومايفترون: وما يتقوّلون علىّ من الكذب والزور، فإنى لهم بالمرصاد، ومن وراء العذاب والعقاب.

وبنحو الذى قلنا فى ذلك، قال أهل التأويل.

ذكر من قال ذلك

حدثنى المثنى، قال: ثنا أبو صالح، قال: ثنى معاوية، عن علىّ بن أبى طلحة، عن ابن عباس، قوله (وَكذلكَ زَيَّنَ لكَثيرٍ مِنَ المُشْرِكِينَ قَتْلَ أوْلادِهِمْ شُرَكاؤُهُمْ لِيُرْدُوهُمْ): زيّنوا لهم من قتل أولادهم.

حدثنى محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى، عن ابن أبى نجيح، عن مجاهد فى قول الله (قَتْلَ أوْلادِهِمْ شُرَكاؤُهُمْ) شياطينهم يأمرونهم أن يئدوا أولادهم خيفة العيلة.

حدثنى المثنى، قال: ثنا أبو حذيفة، قال: ثنا شبل، عن ابن أبى نجيح، عن مجاهد، نحوه.

حدثنا بشر بن معاذ، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، قوله (وَكذلكَ زَيَّنَ لكَثيرٍ مِنَ المُشْرِكِينَ قَتْلَ أوْلادِهِمْ) . . . الآية، قال: شركاؤهم زينوا لهم ذلك (وَلَوْ شاءَ رَبُّكَ ما فَعَلُوهُ، فَذَرْهُمْ وَما يَفْتَرُونَ).

حدثنى يونس، قال: أخبرنا وهب، قال: قال ابن زيد فى قوله (وَكذلكَ زَيَّنَ لكَثيرٍ مِنَ المُشْرِكِينَ قَتْلَ أوْلادِهِمْ شُرَكاؤُهُمْ) قال: شياطينهم التى عبدوها، زينوا لهم قتل أولادهم.

حدثنى محمد بن الحسين، قال: ثنا أحمد بن المفضل، قال: ثنا أسباط، عن السدىّ (وَكذلكَ زَيَّنَ لكَثيرٍ مِنَ المُشْرِكِينَ قَتْلَ أوْلادِهِمْ شُرَكاؤُهُمْ لِيُرْدُوهُمْ) أمرتهم الشياطين أن يقتلوا البنات.

وأما (لِيُرْدُوهُمْ): فيهلكوهم. وأما (لِيَلْبِسُوا عَلَيْهِمْ دِينَهُمْ) فيخلطوا عليهم دينهم.

واختلفت القرّاء فى قراءة ذلك، فقرأته قرّاء الحجاز والعراق (وَكَذلكَ زَيَّنَ) بفتح الزاى من زيّن (لِكَثيرٍ مِنَ المُشْرِكِينَ قَتْلَ أوْلادِهِمْ) بنصب القتل (شُرَكاؤُهُمْ) بالرفع، بمعنى أن شركاء هؤلاء المشركين الذين زينوا لهم قتل أولادهم، فيرفعون الشركاء بفعلهم، وينصبون القتل لأنه مفعول به.

وقرأ ذلك بعض قرّاء أهل الشام (وَكذلكَ زُيِّنَ) بضم الزاى (لِكَثيرٍ مِنَ المُشْرِكِينَ قَتْلُ) بالرفع (أوْلادَهُمْ) بالنصب (شُرَكائِهِمْ) بالخفض، بمعنى: وكذلك زين لكثير من المشركين قتل شركائهم

أولادهم، ففرقوا بين الخافض والمخفوض بما عمل فيه من الاسم. وذلك في كلام العرب قبيح غير فصيح. وقد رُوِي عن بعض أهل الحجاز بيت من الشعر يؤيد قراءة من قرأ بما ذكرتُ من قراءة أهل الشام، رأيت رواة الشعر وأهل العلم بالعربية من أهل العراق ينكرونه، وذلك قول قائلهم:

فَزَجَجْتُــهُ مُتَمَكِّنًا زَجَّ القَلُوصَ أَبِي مَزَادَهْ[1]

❁ والقراءة التي لا أستجيز غيرها (وكذلكَ زَيَّنَ لِكَثِيرٍ مِنَ الْمُشْرِكِينَ قَتْلَ أَوْلادِهِمْ شُرَكَاؤُهُمْ) بفتح الزاي من زيَّن، ونصب القتل بوقوع زيَّن عليه وخفض أولادهم بإضافة القتل إليهم، ورفع شركاء بفعلهم لأنهم هم الذين زينوا للمشركين قتل أولادهم على ما ذكرت من التأويل.

وإنما قلت: لا أستجيز القراءة بغيرها لإجماع الحجة من القرّاء عليه، وأن تأويل أهل التأويل بذلك ورد، ففي ذلك أوضح البيان على فساد ما خالفها من القراءة، ولولا أن تأويل جميع أهل التأويل بذلك ورد، ثم قرأ قارئ (وكذلكَ زُيِّنَ لكَثِيرٍ مِنَ الْمُشْرِكِينَ قَتْلُ أَوْلادِهِمْ شُرَكَائِهِمْ) بضم الزاي من زيِّن ورفع القتل وخفض الأولاد والشركاء، على أن الشركاء مخفوضون بالردّ على الأولاد بأن الأولاد شركاء آبائهم في النسب والميراث كان جائزا، ولو قرأه كذلك قارئ، غير أنه رفع الشركاء وخفض الأولاد كما يقال: ضُرِب عبد الله أخوك، فيظهر الفاعل بعد أن جرى الخبر بما لم يسمّ فاعله، كان ذلك صحيحا في العربية جائزا.

القول في تأويل قوله تعالى:

وَقَالُواْ هَٰذِهِۦٓ أَنْعَٰمٌ وَحَرْثٌ حِجْرٌ لَّا يَطْعَمُهَآ إِلَّا مَن نَّشَآءُ بِزَعْمِهِمْ وَأَنْعَٰمٌ حُرِّمَتْ ظُهُورُهَا وَأَنْعَٰمٌ لَّا يَذْكُرُونَ ٱسْمَ ٱللَّهِ عَلَيْهَا ٱفْتِرَآءً عَلَيْهِ سَيَجْزِيهِم بِمَا كَانُواْ يَفْتَرُونَ ﴿١٣٨﴾

❁ وهذا خبر من الله تعالى ذكره عن هؤلاء الجهلة من المشركين أنهم كانوا يحرّمون ويحلّلون من قِبَل أنفسهم من غير أن يكون الله أذن لهم بشيء من ذلك، يقول تعالى ذكره، وقال هؤلاء العادلون بربهم من المشركين جهلا منهم، لأنعام لهم وحرث: هذه أنعام، وهذا حرث حجر، يعني بالأنعام. والحرث ما كانوا جعلوه لله ولآلهتهم التي قد مضى ذكرها في الآية قبل هذه، وقيل: إن الأنعام: السائبة، والوَصيلة، والبحيرة التي سَمّوْا.

حدثني بذلك محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد

---

(١) البيت من شواهد النحويين، أورده ابن الأنباري في الإنصاف في مسائل الخلاف (الجزء الأول المسألة ال ٦٠ طبعة محمود توفيق بمطبعة الاستقامة). ورواية الشطر الأول فيه: «فزججتها بمزجة». ورواه العيني في شواهده الصغرى (فرائد القلائد) في باب الإضافة ص ٢٤٥، وروايته: «فزججته» بتذكير الضمير. والبيت شاهد على الخلاف بين البصريين والكوفيين في جواز الفصل بين المضاف والمضاف إليه بغير الظرف والجار والمجرور، فيأباه البصريون، ويجيزه الكوفيون مطلقا، ومنه هذا البيت، فقد فصل فيه بين المضاف «زج»، والمضاف إليه «أبي مزادة» بالقلوص، وهو مفعول وليس ظرفا ولا جارا ومجرورا، والتقدير زج أبي مزادة القلوص. والمزجة، بكسر الميم: رمح قصير كالمزراق. وفي اللسان: المزج، بلا تاء لهذا الرمح. والقلوص: الناقة الشابة الفتية. وأبو مزادة: كنية رجل.

الأنعام : السائبة والبحيرة التى سموا . والحِجْر فى كلام العرب : الحرام ، يقال : حجرت على فلان كذا : أى حرّمت عليه ؛ ومنه قول الله (وَيَقُولُونَ حِجْرًا مَحْجُورًا) ومنه قول المتلمس :

حَنَّتْ إلى النَّخلَةِ القُصْوَى فقُلْتُ لهَا   حِجْرٌ حَرامٌ ، ألا ثَمّ الدَّهارِيسُ[1]

وقول رُؤبة :

وجارَةُ البَيْتِ لهَا حُجْرِىُّ[2]

يعنى : المحرم ؛ ومنه قول الآخر :

فَبِتُّ مُرْتَفِقا والعَيْنُ ساهِرَةٌ   كأنّ نَوْمِى علَىّ اللّيْلَ مَحْجُورُ[3]

أى حرام ، يقال : حِجر وحُجر ، بكسر الحاء وضمها ، وبضمها كان يقرأ فيما ذكر الحسين وقتادة .

حدثنى عبد الوارث بن عبد الصمد ، قال : ثنى أبى ، قال : ثنى عمى ، قال : ثنى أبى ، عن الحسين ، عن قتادة ، أنه كان يقرؤها (وحَرْثٌ حُجْرٌ) يقول : حرام . مضمومة الحاء . وأما القرّاء من الحجاز والعراق والشام فعلى كسرها ، وهى القراءة التى لاأستجيز خلافها لإجماع الحجة من القرّاء عليها ، وأنها اللغة الجودَى من لغات العرب .

ورُوى عن ابن عباس ، أنه كان يقرؤها (وحَرْثٌ حُرْجٌ) بالراء قبل الجيم .

حدثنى بذلك الحرث ، قال : ثنى عبدالعزيز ، قال : ثنا ابن عيينة ، عن عمرو ، عن ابن عباس ، أنه كان يقرؤها كذلك ، وهى لغة ثالثة معناها ومعنى الحجر واحد ، وهذا كما قالوا : جذب وجبذ ، وناء ونأى ، ففى الحجر إذن لغات ثلاث : حِجْر بكسر الحاء والجيم قبل الراء ، وحُجُر بضم الحاء والجيم قبل الراء ، وحِرْجٌ بكسر الحاء والراء قبل الجيم .

وبنحو الذى قلنا فى تأويل الحجر ، قال أهل التأويل .

---

(١) البيت للمتلمس من أبيات له ، وبعده :

إلى شَآمِيَةٍ إذْ لا عِرَاقَ لَنا   قَوْمٌ نَوَدُّهُمُ إذْ قَوْمُنا شُوسُ

قال البكرى (فى معجم ما استعجم فى رسم نخلة) عن ابن ولاد : هما نخلتان : نخلة الشامية ، ونخلة اليمانية . فالشامية : واد ينصب من الغمير ، واليمانية : واد ينصب من بطن قرن المنازل ، وهو طريق اليمن إلى مكة ، وهو المراد فى قول الشاعر : النخلة القصوى ، التى حنت إليها ناقته ، وأراد : هو السير إلى نخلة الشامية ، كما فى البيت الذى بعده . وحجر مثلث الحاء ، ويروى بسل ، وكلاهما بمعنى حرام . والدهاريس : الدواهى . واحدها دهرس ، مثلث الدال ، ساكن الهاء .

(٢) البيت فى (لسان العرب : حجر) قال : وقول الشاعر : « وجارة البيت لها حجرى » فمعناه : لها خاصة . ووجدت البيت فى ديوان العجاج ، طبع ليبسك سنة ١٩٠٣ ص ٦٨ وهو البيت ٤٩ وبعده : « وَمَحْرَماتٌ هَتْكُها بُجْرِىُّ »
وقال السيد محمد توفيق البكرى فى شرحه البيتين ، فى (كتابه أراجيز العرب ص ١٧٧) : والحجرى : الحرمة . والبجرى : الأمر الفظيع . يريد رؤبة أن جارة بيته لها حرمة ، من انتهكها ، فقد فعل أمرا فظيعا مستنكرا .

(٣) البيت لأعشى باهلة ، كما قال ابن برى (اللسان : رفق) . ومرتفقا : (متكئا على مرفق يدى . ومحجور : ممنوع) .

ذكر من قال ذلك

حدثني عمران بن موسى القزّاز ، قال : ثنا عبد الوارث ، عن حميد ، عن مجاهد وأبي عمرو وحرث حِجْرٌ) يقول : حرام .

حدثني المثنى ، قال : ثنا عبد الله بن صالح ، قال : ثني معاوية ، عن عليّ بن أبي طلحة ، عن ابن عباس قوله (وَحَرْثٌ حِجْرٌ) فالحجر : ما حرّموا من الوصيلة ، وتحريم ما حرّموا .

حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة (وَحَرْثٌ حِجْرٌ) قال : حرام .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (هَـٰذِهِ أَنْعَامٌ وَحَرْثٌ حِجْرٌ) ... الآية ، تحريم كان عليهم من الشياطين في أموالهم وتغليظ وتشديد ، وكان ذلك من الشياطين ، ولم يكن من الله .

حدثني محمد بن الحسين ، قال : ثنا أحمد بن المفضل ، قال : ثنا أسباط ، عن السديّ ، أما قوله (وقالُوا هَـٰذِهِ أَنْعَامٌ وحَرْثٌ حِجْرٌ) فيقولون : حرام أن نطعم إلا من شئنا .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله (هَـٰذِهِ أَنْعَامٌ وحَرْثٌ حِجْرٌ) نحتجرها على من نريد وعمن لانريد ، لايطعمها إلا من نشاء بزعمهم ، قال : إنما احتجروا ذلك لآلهتهم ، وقالوا (لايَطْعَمُها إلا مَنْ نَشاءُ بِزَعْمِهِمْ) قالوا : نحتجرها عن النساء ، ونجعلها للرجال .

حُدثت عن الحسين بن الفرج ، قال : سمعت أبا معاذ ، قال : ثنا عبيد بن سليمان ، قال : سمعت الضحاك يقول في قوله (أَنْعَامٌ وَحَرْثٌ حِجْرٌ) أما حجر ، يقول : محرّم ، وذلك أنهم كانوا يصنعون في الجاهلية أشياء لم يأمر الله بها ، كانوا يحرّمون من أنعامهم أشياء لايأكلونها ، ويعزلون من حرثهم شيئا معلوما لآلهتهم ، ويقولون : لايحلّ لنا ما سمينا لآلهتنا .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثني حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد (أَنْعَامٌ وحَرْثٌ حِجْرٌ) ما جعلوه لله ولشركائهم .

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبوعاصم ، قال : ثنا عيسى ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، مثله .

القول في تأويل قوله تعالى : ﴿وأَنْعامٌ حُرِّمَتْ ظُهُورُها ، وأَنْعامٌ لا يَذْكُرُونَ اسْمَ اللهِ عَلَيْها افْتِراءً عَلَيْهِ سَيَجْزِيهِمْ بِمَا كانُوا يَفْتَرُونَ﴾ :

يقول تعالى ذكره : وحرّم هؤلاء الجهلة من المشركين ، ظهور بعض أنعامهم ، فلا يركبون ظهورها ، وهم ينتفعون برِسْلها (١) ونِتاجها ، وسائر الأشياء منها غير ظهورها للركوب ، وحرّموا من أنعامهم أنعاما أخر فلا يحجون عليها ، ولا يذكرون اسم الله عليها إن ركبوها بحال ، ولا إن حلبوها ، ولا إن حملوا عليها .

وبما قلنا في ذلك ، قال أهل التأويل .

(١) الرسل بوزن سهم : اللبن .

ذكر من قال ذلك

حدثنا سفيان ، قال : ثنا أبو بكر بن عياش ، عن عاصم ، قال : قال لى أبو وائل : أتدرى ما أنعام لايذكرون اسم الله عليها ؟ قال : قلت : لا ، قال : أنعام لايحجون عليها .

حدثنا محمد بن عباد بن موسى ، قال : ثنا شاذان ، قال : ثنا أبو بكر بن عياش، عن عاصم ، قال : قال لى أبو وائل : أتدرى ما قوله (حُرِّمَتْ ظُهُورُها ، وأنْعامٌ لايَذْكُرُونَ اسْمَ اللهِ عَلَيْها) قال : قلت : لا ، قال : هى البحيرة كانوا لايحجون عليها .

حدثنا أحمد بن عمرو البصرىّ ، قال : ثنا محمد بن سعيد الشهيد ، قال : ثنا أبو بكر بن عياش ، عن عاصم ، عن أبى وائل (وأنْعامٌ لايَذْكُرُونَ اسْمَ اللهِ عَلَيْها) قال : لايحجون عليها .

حدثنى محمد بن الحسين ، قال : ثنا أحمد بن المفضل ، قال : ثنا أسباط ، عن السدىّ ، أما (أنْعامٌ حُرِّمَتْ ظُهُورُها) فهى البحيرة والسائبة والحام ؛ وأما الأنعام التى لايذكرون اسم الله عليها ، قال : إذا ولدوها ، ولا إن نحروها .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، قوله (وأنْعامٌ لايَذْكُرُونَ اسْمَ اللهِ عَلَيْها) قال : كان من إبلهم طائفة لايذكرون اسم الله عليها ، ولا فى شىء من شأنها إلا إن ركبوها ، ولا إن حلبوا ، ولا إن حملوا ، وإلا إن منحوا ، ولا إن عملوا شيئا .

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله (وأنعامٌ حُرِّمَتْ ظُهُورُها) قال : لايركبها أحد (وأنْعامٌ لايَذْكُرُونَ اسْمَ اللهِ عَلَيْها) .

وأما قوله (افْتِرَاءً) على الله ، فإنه يقول : فعل هؤلاء المشركون ما فعلوا من تحريمهم ما حرّموا ، وقالوا ما قالوا من ذلك ، كذبا على الله ، وتخرّصا الباطلَ عليه ، لأنهم أضافوا ما كانوا يحرّمون من ذلك على ما وصفه عنهم جلّ ثناؤه فى كتابه إلى أن الله هو الذى حرّمه ، فنفى الله ذلك عن نفسه ، وأكذبهم ، وأخبر نبيه والمؤمنين أنهم كذبة فيما يزعمون ، ثم قال عزّ ذكره (سَيَجْزِيهِمْ) يقول : سيثيبهم ربهم (بِمَا كانُوا يَفْتَرُونَ) على الله الكذب ثوابهم ، ويجزيهم بذلك جزاءهم .

القول في تأويل قوله تعالى :

وَقَالُوا۟ مَا فِى بُطُونِ هَـٰذِهِ ٱلْأَنْعَـٰمِ خَالِصَةٌ لِّذُكُورِنَا وَمُحَرَّمٌ عَلَىٰٓ أَزْوَٰجِنَا ۖ وَإِن يَكُن مَّيْتَةً فَهُمْ فِيهِ شُرَكَآءُ ۚ سَيَجْزِيهِمْ وَصْفَهُمْ ۚ إِنَّهُۥ حَكِيمٌ عَلِيمٌ ﴿١٣٩﴾

اختلف أهل التأويل فى المعنىّ بقوله (ما فِى بُطُونِ هَذِهِ الأنْعامِ) فقال بعضهم : عنى بذلك اللبن .

ذكر من قال ذلك

حدثنا أبوكريب ، قال : ثنا ابن عطية ، قال : ثنا إسرائيل ، عن أبى إسحاق ، عن عبدالله بن أبى الهذيل ، عن ابن عباس (وَقالُوا ما فِى بُطُونِ هَذِهِ الأنْعامِ خالِصَةٌ لِذُكُورِنَا) قال : اللبن .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا يحيى ، عن إسرائيل ، عن أبى إسحاق ، عن ابن أبى الهذيل ، عن ابن عباس مثله .

حدثنا بشر بن معاذ ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (وَقالُوا ما فِى بُطُونِ هٰذِهِ الأَنْعامِ خالِصَةٌ لِذُكُورِنا ، وَمُحَرَّمٌ على أَزْوَاجِنا) ألبان البحائر كانت للذكور دون النساء ، وإن كانت ميتة اشترك فيها ذكورهم وإناثهم .

حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة (خالِصَةٌ لِذُكُورِنا وَمُحَرَّمٌ على أَزْوَاجِنا) قال : ما فى بُطون البحائر : يعنى ألبانها ، كانوا يجعلونه للرجال دون النساء .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنا عيسى بن يونس ، عن زكريا ، عن عامر ، قال : البحيرة لا يأكل من لبنها إلا الرجال ، وإن مات منها شيء أكله الرجال والنساء .

حدثنى محمد بن سعد ، قال : ثنى أبى ، قال : ثنى عمى ، قال : ثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله (وَقالُوا ما فِى بُطُونِ هٰذِهِ الأَنْعامِ خالِصَةٌ لِذُكُورِنا) . . . الآية ، فهو اللبن كانوا يحرّمونه على إناثهم ، ويشربه ذكرانهم ، وكانت الشاة إذا ولدت ذكرا ذبحوه ، وكان للرجال دون النساء ، وإن كانت أنثى تركت فلم تذبح ، وإن كانت ميتة فهم فيه شركاء ، فنهى الله عن ذلك .

وقال آخرون : بل عنى بذلك ما فى بطون البحائر والسوائب من الأجنة .

ذكر من قال ذلك

حدثنى محمد بن الحسين ، قال : ثنا أحمد بن المفضل ، قال : ثنا أسباط ، عن السدىّ (وَقالُوا ما فِى بُطُونِ هٰذِهِ الأَنْعامِ خالِصَةٌ لِذُكُورِنا وَمُحَرَّمٌ على أَزْوَاجِنا ، وَإِنْ يَكُنْ مَيْتَةً فَهُمْ فِيهِ شُرَكاءُ) فهذه الأنعام ماولد منها من حىّ فهو خالص للرجال دون النساء ؛ وأما ما ولد من ميت فيأكله الرجال والنساء .

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، عن ابن جريج ، عن مجاهد (ما فِى بُطُونِ هٰذِهِ الأَنْعامِ خالِصَةٌ لِذُكُورِنا) السائبة والبحيرة .

حدثنى المثنى ، قال : ثنا أبو حذيفة ، قال : ثنا شبل ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، مثله .

❊ وأولى الأقوال فى تأويل ذلك بالصواب أن يقال : إن الله تعالى ذكره أخبر عن هؤلاء الكفرة أنهم قالوا فى أنعام بأعيانها : ما فى بطون هذه الأنعام خالصة لذكورنا دون إناثنا ، واللبن مما فى بطونها ، وكذلك أجنتها ، ولم يخصص الله بالخبر عنهم أنهم قالوا بعض ذلك حرام عليهنّ دون بعض . وإذ كان ذلك كذلك ، فالواجب أن يقال : إنهم قالوا ما فى بطون تلك الأنعام من لبن وجنين حلّ لذكورهم خالصة دون إناثهم ، وإنهم كانوا يؤثرون بذلك رجالهم ، إلا أن يكون الذى فى بطونها من الأجنة ميتا ، فيشترك حينئذ فى أكله الرجال والنساء .

واختلف أهل العربية فى المعنى الذى من أجله أنثت الخالصة ، فقال بعض نحويى البصرة وبعض

الكوفيين : أنثت لتحقيق الخلوص ، كأنه لما حقق لهم الخلوص أشبه الكثرة ، فجرى مجرى راوية ونسَّابة. وقال بعض نحويى الكوفة : أنثت لتأنيث الأنعام ، لأن ما فى بطونها مثلها ، فأنثت لتأنيثها ، ومن ذكَّره فلتذكير « ما » ؛ قال : وهى فى قراءة عبد الله : خالص ؛ قال : وقد تكون الخالصة فى تأنيثها مصدرا ، كما تقول العافية والعاقبة ، وهو مثل قوله : (إِنَّا أَخْلَصْنَاهُمْ بِخَالِصَةٍ) .

والصواب من القول فى ذلك عندى أن يقال : أريد بذلك المبالغة فى خلوص ما فى بطون الأنعام التى كانوا حرّموا ما فى بطونها على أزواجهم لذكورهم دون إناثهم ، كما فعل ذلك بالراوية ، والنسابة ، والعلامة ، إذا أريد بها المبالغة فى وصف من كان ذلك من صفته ، كما يقال : فلان خالصة فلان وخلصانه .

وأما قوله (وَمُحَرَّمٌ على أَزْوَاجِنا) فإن أهل التأويل اختلفوا فى المعنىّ بالأزواج ، فقال بعضهم : عنى بها النساء .

ذكر من قال ذلك

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد (وَمُحَرَّمٌ على أَزْوَاجِنا) قال : النساء .

وقال آخرون : بل عنى بالأزواج : البنات .

ذكر من قال ذلك

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد (وَمُحَرَّمٌ على أَزْوَاجِنا) قال : الأزواج : البنات ، وقالوا : ليس للبنات منه شىء .

والصواب من القول فى ذلك أن يقال : إن الله أخبر عن هؤلاء المشركين أنهم كانوا يقولون لما فى بطون هذه الأنعام ، يعنى أنعامهم : هذا محرّم على أزواجنا ، والأزواج إنما هى نساؤهم فى كلامهم ، وهن لاشكّ بنات من هن أولاده ، وحلائل من هنّ أزواجه . وفى قول الله عزّ وجلّ (وَمُحَرَّمٌ على أَزْوَاجِنا) الدليل الواضح على أن تأنيث الخالصة كان لما وصفت من المبالغة فى وصف ما فى بطون الأنعام بالخلوصة للذكور ، لأنه لو كان لتأنيث الأنعام لقيل : ومحرّمة على أزواجنا ، ولكن لما كان التأنيث فى الخالصة لما ذكرت ، ثم لم يقصد فى المحرّم ماقصد فى الخالصة من المبالغة ، رجع فيها إلى تذكير ما ، واستعمال ما هو أولى به من صفته .

وأما قوله (وَإِنْ يَكُنْ مَيْتَةً فَهُمْ فِيهِ شُرَكَاءُ) فاختلفت القرّاء فى قراءة ذلك ، فقرأه يزيد بن القعقاع وطلحة بن مصرّف فى آخرين (وَإِنْ تَكُنْ مَيْتَةٌ) بالتاء فى تكن ورفع ميتة ، غير أن يزيد كان يشدّد الياء من ميتة ، ويخففها طلحة .

حدثنى بذلك المثنى ، قال : ثنا إسحاق ، قال : ثنا ابن أبى حماد ، قال : ثنا عيسى ، عن طلحة بن مصرف.

وحدثنا أحمد بن يوسف ، عن القاسم ، وإسماعيل بن جعفر ، عن يزيد . وقرأ ذلك بعض قرّاء المدينة والكوفة والبصرة (وَإِنْ يَكُنْ مَيْتَةً) بالياء وميتة بالنصب وتخفيف الياء ، وكأنّ من قرأ (وَإِنْ يَكُنْ)

بالياء (مَيْتَةً) بالنصب ، أرادوا إن يكن ما فى بطون تلك الأنعام ، فذكَّر يكن لتذكير « ما »، نصب الميتة لأنه خبر يكن . وأما من قرأ (وَإِنْ تَكُنْ مَيْتَةٌ) فإنه إن شاء الله أراد وإن يكن ما فى بطونها ميتة، فأنث تكن لتأنيث ميتة .

وقوله(فَهُمْ فيهِ شُرَكاءُ) فإنه يعني أن الرجال وأزواجهم شركاء في أكله لايحرّمونه على أحد منهم ، كما ذكرنا عمن ذكرنا ذلك عنه قبل من أهل التأويل .

وكان ابن زيد يقول فى ذلك ما حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد (وَإِنْ يَكُنْ مَيْتَةً فَهُمْ فيهِ شُرَكاءُ) قال : تأكل النساء مع الرجال ، إن كان الذى يخرج من بطونها ميتة فهم فيه شركاء، وقالوا : إن شئنا جعلنا للبنات فيه نصيبا : وإن شئنا لم نجعل ، وظاهر التلاوة بخلاف ما تأوّله ابن زيد ، لأن ظاهرها يدلّ على أنهم قالوا : إن لم يكن ما فى بطونها ميتة، فنحن فيه شركاء بغير شرط مشيئة . وقد زعم ابن زيد أنهم جعلوا ذلك إلى مشيئتهم .

القول في تأويل قوله تعالى :﴿سَيَجْزِيهِمْ وَصْفَهُمْ إِنَّهُ حَكِيمٌ عَلِيمٌ﴾ :

يقول جلّ ثناؤه : سيجزى : أى سيثيب ويكافئ هؤلاء المفترين عليه الكذب فى تحريمهم مالم يحرّمه الله ، وتحليلهم مالم يحلله الله ، وإضافتهم كذبهم فى ذلك إلى الله . وقوله (وَصْفَهُمْ) يعنى بوصفهم الكذب على الله ، وذلك كما قال جلّ ثناؤه فى موضع آخر من كتابه (وَتَصِفُ أَلْسِنَتُهُمُ الكَذِبَ) والوصف والصفة فى كلام العرب واحد ، وهما مصدران مثل الوزن والزنة .

وبنحو الذى قلنا فى معنى الوصف ، قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبوعاصم ، قال : ثنا عيسى ، عن ابن نجيح، عن مجاهد ، فى قوله (سَيَجْزِيهِمْ وَصْفَهُمْ) قال : قولهم الكذب فى ذلك .

حدثنى المثنى ، قال : ثنا أبوحذيفة ، قال : ثنا شبل ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، مثله .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا ابن نمير ، عن أبى جعفر الرازى ، عن الربيع بن أنس، عن أبى العالية (سَيَجْزِيهِمْ وَصْفَهُمْ) : أى كذبهم .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثناسعيد ، عن قتادة(سَيَجْزِيهِمْ وَصْفَهُمْ) : أى كذبهم .

وأما قوله (حَكِيمٌ عَلِيمٌ) فإنه يقول جلّ ثناؤه : إن الله فى مجازاتهم على وصفهم الكذب، وقيلهم الباطل عليه ، حكيم فى سائر تدبيره فى خلقه ، عليم بما يصلحهم ، وبغير ذلك من أمورهم .

القول في تأويل قوله تعالى :

قَدْ خَسِرَ الَّذِينَ قَتَلُوا أَوْلَادَهُمْ سَفَهًا بِغَيْرِ عِلْمٍ وَحَرَّمُوا مَا رَزَقَهُمُ اللَّهُ افْتِرَاءً عَلَى اللَّهِ قَدْ ضَلُّوا وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ ﴿١٤٠﴾

يقول تعالى ذكره : قد هلك هؤلاء المفترون على ربهم الكذب، العادلون به الأوثان والأصنام ، الذين زيّن لهم شركاؤهم قتل أولادهم ، وتحريم ما حرّمت عليهم من أموالهم ، فقتلوا طاعة لها أولادهم ، وحرّموا ما أحلّ الله لهم ، وجعله لهم رزقا من أنعامهم سفها منهم ، يقول : فعلوا ما فعلوا من ذلك جهالة منهم بما لهم وعليهم ، ونقص عقول ، وضعف أحلام منهم ، وقلة فهم بعاجل ضرّه ، وآجل مكروهه من عظيم عقاب الله عليه لهم ، افتراء على الله ، يقول : تكذيبا على الله، وتخرّصا عليه الباطل (قَدْ ضَلُّوا) يقول : قد تركوا محجة الحقّ فى فعلهم ذلك، وزالوا عن سواء السبيل (وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ) يقول : ولم يكن فاعلو ذلك على هدى واستقامة فى أفعالهم التى كانوا يفعلون قبل ذلك (وَلَا كَانُوا مُهْتَدِينَ) للصواب فيها ولا موفقين له ، ونزلت هذه الآية فى الذين ذكر الله خبرهم فى هذه الآيات ، من قوله (وَجَعَلُوا لِلَّهِ مِمَّا ذَرَأَ مِنَ الْحَرْثِ وَالْأَنْعَامِ نَصِيبًا) الذين كانوا يبحرون البحائر ، ويسيبون السوائب، ويئدون البنات.

كما حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، قال : قال عكرمة ، قوله (الَّذِينَ قَتَلُوا أَوْلَادَهُمْ سَفَهًا بِغَيْرِ عِلْمٍ) قال : نزلت فيمن يئد البنات من ربيعة ومضر ، كان الرجل يشترط على امرأته أن تستحيى جارية وتئد أخرى ، فإذا كانت الجارية التى توأد ، غدا الرجل أو راح من عند امرأته وقال لها : أنت علىّ كظهر أمى إن رجعت إليك ولم تئديها ، فتخدّ لها فى الأرض خدا ، وترسل إلى نسائها ، فيجتمعن عندها ، ثم يتداولنها ، حتى إذا أبصرته راجعا دسّتها فى حفرتها ، ثم سوّت عليها التراب .

حدثنى محمد بن الحسين ، قال : ثنا أحمد بن المفضل ، قال : ثنا أسباط ، عن السدىّ ، ثم ذكر ما صنعوا فى أولادهم وأموالهم، فقال (قَدْ خَسِرَ الَّذِينَ قَتَلُوا أَوْلَادَهُمْ سَفَهًا بِغَيْرِ عِلْمٍ وَحَرَّمُوا مَا رَزَقَهُمُ اللَّهُ) .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (قَدْ خَسِرَ الَّذِينَ قَتَلُوا أَوْلَادَهُمْ سَفَهًا بِغَيْرِ عِلْمٍ) فقال : هذا صنيع أهل الجاهلية ، كان أحدهم يقتل ابنته مخافة السباء والفاقة ويغذو كلبه ، وقوله (وَحَرَّمُوا مَا رَزَقَهُمُ اللَّهُ) . . . الآية ، وهم أهل الجاهلية جعلوا بحيرة وسائبة ووصيلة وحاميا ، تحكما من الشياطين فى أموالهم .

حدثنى الحرث ، قال : ثنا عبد العزيز ، قال : إذا سرّك أن تعلم جهل العرب ، فاقرأ ما بعد المائة من سورة الأنعام ، قوله (قَدْ خَسِرَ الَّذِينَ قَتَلُوا أَوْلَادَهُمْ سَفَهًا بِغَيْرِ عِلْمٍ) . . . الآية ، وكان أبو رزين يتأوّل قوله (قَدْ ضَلُّوا) أنه معنىّ به قد ضلوا قبل هؤلاء الأفعال من قتل الأولاد ، وتحريم الرزق الذى رزقهم الله بأمور غير ذلك .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن سفيان ، عن الأعمش ، عن أبى رزين ، فى قوله (قَدْ خَسِرَ الَّذِينَ قَتَلُوا أَوْلَادَهُمْ) . . . إلى قوله (قَدْ ضَلُّوا) قال : قد ضلوا قبل ذلك .

القول في تأويل قوله تعالى :

* وَهُوَ الَّذِي أَنشَأَ جَنَّاتٍ مَّعْرُوشَاتٍ وَغَيْرَ مَعْرُوشَاتٍ وَالنَّخْلَ وَالزَّرْعَ مُخْتَلِفًا أُكُلُهُ وَالزَّيْتُونَ وَالرُّمَّانَ مُتَشَابِهًا وَغَيْرَ مُتَشَابِهٍ كُلُوا مِن ثَمَرِهِ إِذَا أَثْمَرَ وَآتُوا حَقَّهُ يَوْمَ حَصَادِهِ وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ ﴿١٤١﴾

وهذا إعلام من الله تعالى ذكره ، ما أنعم به عليهم من فضله ، وتنبيه منه لهم على موضع إحسانه ، وتعريف منه لهم ما أحلّ وحرّم وقسَم فى أموالهم من الحقوق لمن قسم له فيها حقا ، يقول تعالى ذكره : وربكم أيها الناس (أَنشَأَ) : أى أحدث وابتدع خلقا ، لا الآلهة والأصنام (جَنَّاتٍ) يعنى : بساتين (مَعْرُوشاتٍ) وهى ما عرش الناس من الكروم (وغيرَ مَعْرُوشاتٍ) : غير مرفوعات مبنيات ، لا ينبته الناس ولا يرفعونه ، ولكن الله يرفعه وينبته وينميه .

كما حدثنى المثنى ، قال : ثنا أبو صالح ، قال : ثنى معاوية ، عن علىّ بن أبى طلحة ، عن ابن عباس ، قوله (مَعْرُوشاتٍ) يقول : مسموكات .

وبه عن ابن عباس (وَهُوَ الَّذِى أَنشَأَ جَنَّاتٍ مَعْرُوشاتٍ وغيرَ مَعْرُوشاتٍ) فالمعروشات : ما عَرَش الناس ؛ وغير معروشات : ما خرج فى البرّ والجبال من الثمرات .

حدثنى محمد بن الحسين ، قال : ثنا أحمد بن المفضل ، قال : ثنا أسباط ، عن السدىّ ، أما جنات : فالبساتين ؛ وأما المعروشات : فما عُرِش كهيئة الكرم .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، عن عطاء الخراسانى ، عن ابن عباس ، قوله (وَهُوَ الَّذِى أَنشَأَ جَنَّاتٍ مَعْرُوشاتٍ) قال : ما يُعْرَش من الكروم (وغيرَ مَعْرُوشاتٍ) قال : ما لا يعرش من الكرم .

القول في تأويل قوله تعالى : ﴿ والنَّخْلَ وَالزَّرْعَ مُخْتَلِفا أُكُلُهُ ، والزَّيْتُونَ والرُّمَّانَ مُتَشابِها وغيرَ مُتَشابِهٍ كُلُوا مِنْ ثَمَرِهِ إذَا أَثْمَرَ ﴾ :

يقول جلّ ثناؤه : وأنشأ النخل والزرع مختلفا أكله ، يعنى بالأُكل : الثمر ، يقول : وخلق النخل والزرع مختلفا ما يخرج منه ، مما يؤكل من الثمر والحبّ ، والزيتون والرمان ، متشابها وغير متشابه فى الطعم ، منه الحلو والحامض والمزّ .

كما حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، قوله (مُتَشابِها وغيرَ مُتَشابِهٍ) قال : متشابها فى المنظر ، وغير متشابه فى الطعم .

وأما قوله (كُلُوا مِنْ ثَمَرِهِ إذَا أَثْمَرَ) فإنه يقول : كلوا من رطبه ما كان رطبا ثمره ؟

كما حدثني المثنى ، قال : ثنا إسحاق، قال : ثنا أبوهمام الأهوازي ، قال : ثنا موسى بن عبيدة ، عن محمد بن كعب ، في قوله (كُلُوا مِنْ ثَمَرِه إِذَا أَثْمَرَ) قال : من رطبه وعنبه .

حدثنا عمرو بن عليّ ، قال : ثنا محمد بن الزبرقان ، قال : ثنا موسى بن عبيدة في قوله (كُلُوا مِنْ ثَمَرِهِ إِذَا أَثْمَرَ) قال : من رطبه وعنبه .

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿وَآتُوا حَقَّهُ يَوْمَ حَصَادِهِ﴾:

اختلف أهل التأويل في تأويل ذلك ، فقال بعضهم : هذا أمر من الله بإيتاء الصدقة المفروضة من الثمر والحبّ .

ذكر من قال ذلك

حدثنا عمرو بن عليّ ، قال : ثنا يزيد بن زريع ، قال : ثنا يونس، عن الحسن ، في قوله (وَآتُوا حَقَّهُ يَوْمَ حَصَادِهِ) قال : الزكاة .

حدثنا عمرو ، قال : ثنا عبد الصمد ، قال : ثنا يزيد بن درهم ، قال : سمعت أنس بن مالك يقول (وَآتُوا حَقَّهُ يَوْمَ حَصَادِهِ) قال : الزكاة المفروضة .

حدثنا عمرو ، قال : ثنا معلى بن أسد ، قال : ثنا عبد الواحد بن زياد ، قال: ثنا الحجاج بن أرطاة ، عن الحكم ، عن مجاهد ، عن ابن عباس ، في قوله (وَآتُوا حَقَّهُ يَوْمَ حَصَادِهِ) قال : العشر، ونصف العشر .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا هانئ بن سعيد ، عن حجاج ، عن محمد بن عبيد الله ، عن عبد الله بن شداد ، عن ابن عباس (وَآتُوا حَقَّهُ يَوْمَ حَصَادِهِ) قال : العشر ونصف العشر .

حدثنا عمرو بن عليّ وابن وكيع وابن بشار ، قالوا : ثنا عبدالرحمن ، قال : ثنا إبراهيم بن نافع المكيّ ، عن ابن عباس ، عن أبيه ، في قوله (وَآتُوا حَقَّهُ يَوْمَ حَصَادِهِ) قال : الزكاة .

حدثنا عمرو ، قال : ثنا عبد الرحمن ، قال : ثنا أبو هلال ، عن حيان الأعرج ، عن جابر بن زيد (وَآتُوا حَقَّهُ يَوْمَ حَصَادِهِ) قال : الزكاة .

حدثني يعقوب ، قال : ثنا ابن علية ، قال : أخبرنا يونس ، عن الحسن ، في قوله (وَآتُوا حَقَّهُ يَوْمَ حَصَادِهِ) قال : هي الصدقة ، قال : ثم سئل عنها مرّة أخرى، فقال : هي الصدقة من الحبّ والثمار .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا محمد بن بكر ، عن ابن جريج ، قال : أخبرني أبو بكر بن عبدالله ، عن عمرو بن سليمان وغيره ، عن سعيد بن المسيب ، أنه قال (وَآتُوا حَقَّهُ يَوْمَ حَصَادِهِ) قال : الصدقة المفروضة .

حدثني يعقوب ، قال : ثنا ابن علية ، عن أبي رجاء ، عن الحسن ، في قوله (وَآتُوا حَقَّهُ يَوْمَ حَصَادِهِ) قال : هي الصدقة من الحبّ والثمار .

حدثني المثنى ، قال : ثنا عبد الله بن صالح ، قال : ثني معاوية ، عن عليّ بن أبي طلحة ، عن ابن

عباس ، قوله (وآتُوا حَقَّهُ يَوْمَ حَصَادِهِ) يعنى بحقه : زكاته المفروضة، يوم يُكال ، أو يُعلم كيله .

حدثنى محمد بن سعد ، قال : ثنى أبى ، قال : ثنى عمى ، قال : ثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس، قوله (وآتُوا حَقَّهُ يَوْمَ حَصَادِهِ) وذلك أن الرجل كان إذا زرع فكان يوم حصاده ، وهو أن يعلم ما كيله وحقه ، فيخرج من كلّ عشرة واحدا ، وما يلتقط الناس من سنبله .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (وآتُوا حَقَّهُ يَوْمَ حَصَادِهِ) وحقه يوم حصاده : الصدقة المفروضة ، ذُكر لنا أن نبىّ الله صلى الله عليه وسلم سنّ فيما سقت السماء ، أو العين السائحة ، أوسقاه الطلّ ، والطلّ : الندى ، أو كان بعلا العشر كاملا ؛ وإن سقى برشاء : نصف العشر . قال قتادة : وهذا فيما يكال من الثمرة ، وكان هذا إذا بلغت الثمرة خمسة أوسق، وذلك ثلاث مئة صاع ، فقد حقّ فيها الزكاة ، وكانوا يستحبون أن يعطوا مما لايكال من الثمرة على قدر ذلك .

حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة وطاوس (وآتُوا حَقَّهُ يَوْمَ حَصَادِهِ) قالا : هو الزكاة .

حدثنى المثنى ، قال : ثنا عمرو بن عون ، قال : أخبرنا هشيم، عن الحجاج ، عن سالم المكىّ ، عن محمد بن الحنفية، قوله (وآتُوا حَقَّهُ يَوْمَ حَصَادِهِ) قال : يوم كيله، يعطى العشر ، أو نصف العشر.

حدثنى المثنى ، قال : ثنا الحمانى ، قال : ثنا شريك، عن سالم المكىّ ، عن محمد بن الحنفية ، قوله (وآتُوا حَقَّهُ يَوْمَ حَصَادِهِ) قال : العشر ، ونصف العشر .

حدثنى المثنى ، قال : ثنا سويد، قال : أخبرنا ابن المبارك ، عن معمر ، عن ابن طاوس ، عن أبيه ، وعن قتادة (وآتُوا حَقَّهُ يَوْمَ حَصَادِهِ) قالا : الزكاة .

حدثنى المثنى ، قال : ثنا إسحاق ، قال : ثنا أبو معاوية الضرير ، عن الحجاج ، عن الحكم ، عن مقسم ، عن ابن عباس (وآتُوا حَقَّهُ يَوْمَ حَصَادِهِ) قال : العشر ، ونصف العشر .

حدثنى المثنى ، قال : ثنا سويد ، قال : أخبرنا ابن المبارك، عن شريك ، عن الحكم بن عتيبة ، عن ابن عباس، مثله .

حُدثت عن الحسين بن الفرج ، قال : سمعت أبا معاذ ، قال : أخبرنا عبيد بن سليمان، قال : سمعت الضحاك ، يقول فى قوله(وآتُوا حَقَّهُ يَوْمَ حَصَادِهِ) يعنى : يوم كيله ما كان من برّ أو تمر أو زبيب . وحقه : زكاته .

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب، قال : قال ابن زيد، فى قوله (كُلُوا مِنْ ثَمَرِهِ إِذَا أَثْمَرَ ، وآتُوا حَقَّهُ يَوْمَ حَصَادِهِ) قال : كل منه ، وإذا حصدته فآت حقه ، وحقه : عشوره .

حدثنا ابن المثنى ، قال : ثنا محمد بن جعفر ، قال : ثنا شعبة ، عن يونس بن عبيد ، عن الحسن أنه قال فى هذه الآية (وآتُوا حَقَّهُ يَوْمَ حَصَادِهِ) قال : الزكاة إذا كلته .

حدثنا عمرو ، قال : ثنا محمد بن جعفر ، قال : ثنا شعبة ، عن أبى رجاء ، قال : سألت الحسن ، عن قوله (وآتُوا حَقَّهُ يَوْمَ حَصَادِهِ) قال : الزكاة .

حدثنى ابن البرقى ، قال : ثنا عمرو بن أبى سلمة ، قال : سألت ابن زيد بن أسلم ، عن قول الله (وآتُوا حَقَّهُ يَوْمَ حَصَادِهِ) فقلت له : هو العشور ؟ قال : نعم ، فقلت له : عن أبيك ؟ قال : عن أبى وغيره .

وقال آخرون : بل ذلك حقّ أوجبه الله فى أموال أهل الأموال ، غير الصدقة المفروضة .

ذكر من قال ذلك

حدثنا عمرو بن علىّ ، قال : ثنا عبد الوهاب ، قال : ثنا محمد بن جعفر ، عن أبيه (وآتُوا حَقَّهُ يَوْمَ حَصَادِهِ) قال : شيئا سوى الحقّ الواجب ، قال : وكان فى كتابه عن علىّ بن الحسين .

حدثنا عمرو ، قال : ثنا يحيى ، قال : ثنا عبد الملك ، عن عطاء ، فى قوله (وآتُوا حَقَّهُ يَوْمَ حَصَادِهِ) قال : القبضة من الطعام .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا محمد بن بكر ، عن ابن جرير ، عن عطاء (وآتُوا حَقَّهُ يَوْمَ حَصَادِهِ) قال : من النخل والعنب والحبّ كله .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا محمد بن بكر ، عن ابن جريج ، قال : قلت لعطاء : أرأيت ما حصدت من الفواكه . قال : ومنها أيضا تؤتى ، وقال : من كلّ شىء حصدت تؤتى منه حقه يوم حصاده ، من نخل أو عنب أو حبّ ، أو فواكه ، أو خضر ، أو قصب من كلّ شىء من ذلك ، قلت لعطاء : أواجب على الناس ذلك كله ؟ قال : نعم ثم تلا (وآتُوا حَقَّهُ يَوْمَ حَصَادِهِ) قال : قلت لعطاء (وآتُوا حَقَّهُ يَوْمَ حَصَادِهِ) هل فى ذلك شىء مؤقت معلوم ؟ قال : لا .

حدثنى المثنى ، قال : ثنا سويد ، قال : أخبرنا ابن المبارك ، عن عبد الملك ، عن عطاء ، فى قوله (وآتُوا حَقَّهُ يَوْمَ حَصَادِهِ) قال : يعطى من حصاده يومئذ ما تيسر ، وليس بالزكاة .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا عيسى بن يونس ، عن عبد الملك ، عن عطاء (وآتُوا حَقَّهُ يَوْمَ حَصَادِهِ) قال : ليس بالزكاة ، ولكن يطعم من حضره ساعتئذ حصده .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا جرير ، عن العلاء بن المسيب ، عن حماد (وآتُوا حَقَّهُ يَوْمَ حَصَادِهِ) قال : كانوا يعطون رطبا .

حدثنا ابن حميد وابن وكيع ، قالا : ثنا جرير ، عن منصور ، عن مجاهد (وآتُوا حَقَّهُ يَوْمَ حَصَادِهِ) قال : إذا حضرك المساكين طرحتَ لهم منه ، وإذا أنقيته وأخذت فى كيله حثوت لهم منه ، وإذا علمت كيله عزلت زكاته . وإذا أخذت فى جذاذ النخل طرحت لهم من التفاريق ، وإذا أخذت فى كيله حثوت لهم منه ، وإذا علمت كيله عزلت زكاته .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا جرير ، عن ليث ، عن مجاهد (وآتُوا حَقَّهُ يَوْمَ حَصَادِهِ) قال : سوى الفريضة .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا حكام ، عن عمرو ، عن منصور ، عن مجاهد (وآتُوا حَقَّهُ يَوْمَ حَصَادِهِ) قال : يُلْقِى إلى السؤال عند الحصاد من السنبل ، فاذا طبن ، أو طين[1] الشكّ من أبي جعفر ، ألقى إليهم ، فاذا حمله فأراد أن يجعله كُدْساً ألقى إليهم ، وإذا داس أطعم منه ، وإذا فرغ وعلم كم كيله ، عزل زكاته . وقال : فى النخل عند الجداذ يطعم من الثمرة والشماريخ ، فإذا كان عند كيله أطعم من التمر ، فاذا فرغ عزل زكاته .

حدثنا عمرو بن علىّ ومحمد بن بشار ، قالا : ثنا عبد الرحمن ، قال : ثنا سفيان ، عن منصور ، عن مجاهد ، قوله (وآتُوا حَقَّهُ يَوْمَ حَصَادِهِ) قال : إذا حصد الزرع ألقى من السنبل ، وإذا جدّ النخل ألقى من الشماريخ ، فإذا كاله زكّاه .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبي ، عن سفيان ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، قال : عند الحصاد ، وعند الدّياس ، وعند الصرام يقبض لهم منه ، فإذا كاله عزل زكاته .

وبه عن سفيان ، عن مجاهد مثله ، إلا أنه قال : سوى الزكاة .

حدثنا عمرو بن علىّ ، قال : ثنا يحيى بن سعيد ، عن سفيان ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد (وآتُوا حَقَّهُ يَوْمَ حَصَادِهِ) قال : شيء سوى الزكاة فى الحصاد والجداذ إذا حصدوا وإذا جدّوا .

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبوعاصم ، عن عيسى ، عن ابن أبي نجيح ، فى قول الله (وآتُوا حَقَّهُ يَوْمَ حَصَادِهِ) قال : واجب حين يصرم .

حدثنا ابن المثنى ، قال : ثنا محمد بن جعفر ، قال : ثنا شعبة ، عن منصور ، عن مجاهد أنه قال : قال فى هذه الآية (وآتُوا حَقَّهُ يَوْمَ حَصَادِهِ) قال : إذا حصد أطعم ، وإذا أدخله البيدر ، وإذا داسه أطعم منه .

حدثنا أبوكريب ، قال : ثنا ابن يمان ، عن سفيان ، عن أشعث ، عن ابن عمر ، قال : يطعم المُعْتَرّ سوى ما يعطى من العشر ونصف العشر .

وبه عن سفيان ، عن منصور ، عن مجاهد ، قال : قبضة عند الحصاد ، وقبضة عند الجذاذ .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا حفص ، عن أشعث ، عن ابن سيرين ، قال : كانوا يعطون من اعترّ بهم الشيء .

حدثنا أبوكريب ، قال : ثنا ابن يمان ، عن سفيان ، عن حماد ، عن إبراهيم ، قال : الضغث .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا يحيى بن سعيد ، عن سفيان ، عن حماد ، عن إبراهيم ، قال : يعطى مثل الضغث .

(١) كذا فى أصله وحرر .

حدثنا عمرو بن على ، قال : ثنا يحيى بن سعيد ، قال : ثنا سفيان ، قال : ثنا حماد ، عن إبراهيم (وآتُوا حَقَّهُ يَوْمَ حَصَادِهِ) قال : مثل هذا من الضغث، ووضع يحيى إصبعه الإبهام على المفصل الثانى من السبَّابة .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبى ، عن سفيان ، عن حماد ، عن إبراهيم، قال : نحو الضعث .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبى ، عن إسرائيل، عن جابر ، عن أبى جعفر، عن سفيان ، عن حماد ، عن إبراهيم ، قال : يعطى ضغثا .

حدثنا عمرو بن على ، قال : ثنا كثير بن هشام، قال : ثنا جعفر بن برقان ، عن يزيد بن الأصم ، قال : كان النخل إذا صُرم يجيء الرجل بالعِذق من نخله ، فيعلقه فى جانب المسجد ، فيجيء المسكين فيضربه بعصاه ، فإذا تناثر أكل منه ، فدخل رسول الله صلى الله عليه وسلم ومعه حسن أو حسين، فتناول تمرة ، فانتزعها من فيه ، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يأكل الصدقة ، ولا أهل بيته، فذلك قوله (وآتُوا حَقَّهُ يَوْمَ حَصَادِهِ) .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا خالد بن حيان ، عن جعفر بن برقان، عن ميمون بن مهران ، ويزيد بن الأصم ، قالا : كان أهل المدينة إذا صرموا يجيئون بالعذق ، فيضعونه فى المسجد ، ثم يجيء السائل فيضربه بعصاه ، فيسقط منه ، وهو قوله (وآتُوا حَقَّهُ يَوْمَ حَصَادِهِ) .

حدثنا على بن سهم ، قال : ثنا زيد بن أبى الزرقاء، عن جعفر ، عن زيد وميمون، فى قوله (وآتُوا حَقَّهُ يَوْمَ حَصَادِهِ) قالا : كان الرجل إذا جذّ النخل يجيء بالعذق، فيعلقه فى جانب المسجد، فيأتيه المسكين فيضربه بعصاه ، فيأكل ما يتناثر منه .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا عبيد الله ، عن أبى جعفر الرازى، عن الربيع بن أنس (وآتُوا حَقَّهُ يَوْمَ حَصَادِهِ) قال : لقط السنبل .

حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور، عن معمر ، عن عبد الكريم الجزرى ، عن مجاهد ، قال : كانوا يعلقون العذق فى المسجد عند الصرام ، فيأكل منه الضعيف .

وبه عن معمر ، قال : قال مجاهد (وآتُوا حَقَّهُ يَوْمَ حَصَادِهِ) يطعم الشيء عند صرامه .

حدثنى المثنى ، قال : ثنا الحمانى ، قال : ثنا شريك ، عن سالم، عن سعيد بن جبير (وآتُوا حَقَّهُ يَوْمَ حَصَادِهِ) قال : الضغث وما يقع من السنبل .

وبه عن سالم ، عن سعيد (وآتُوا حَقَّهُ يَوْمَ حَصَادِهِ) قال : العلف .

حدثنى المثنى ، قال : ثنا سويد ، قال : أخبرنا ابن المبارك ، عن شريك ، عن سالم، عن سعيد ، فى قوله (وآتُوا حَقَّهُ يَوْمَ حَصَادِهِ) قال : كان هذا قبل الزكاة للمساكين القبضة والضغث لعلف دابته .

حدثنا عمرو بن عليّ ، قال : ثنا أبوعاصم، قال : ثنا محمد بن رفاعة ، عن محمد بن كعب ، فى قوله (وآتُوا حَقَّهُ يَوْمَ حَصَادِهِ) قال : ما قلّ منه أو كثر .

حدثنا الحسن بن يحيى ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا ابن عيينة ، عن ابن أبى نجيح (وآتُوا حَقَّهُ يَوْمَ حَصَادِهِ) قال : عند الزرع يعطى القبض، وعند الصرام يعطى القبض ، ويتركهم فيتتبعون آثار الصرام .

وقال آخرون : كان هذا شيئا أمر الله به المؤمنين قبل أن تفرض عليهم الصدقة المؤقتة ، ثم نسخته الصدقة المعلومة ، فلا فرض فى مال كائنا ما كان زرعا كان أو غرسا ، إلا الصدقة التى فرضها الله فيه .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبومعاوية ، عن حجاج ، عن الحكم ، عن مقسم ، عن ابن عباس ، قال : نسخها العشر ، ونصف العشر .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا حفص ، عن الحجاج ، عن الحكم ، عن ابن عباس ، قال : نسخها العشر ، ونصف العشر .

وبه عن حجاج ، عن سالم ، عن ابن الحنفية ، قال : نسخها العشر ، ونصف العشر .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا يحيى بن آدم ، عن شريك ، عن سالم ، عن سعيد بن جبير (وآتُوا حَقَّهُ يَوْمَ حَصَادِهِ) قال : هذا قبل الزكاة ، فلما نزلت الزكاة نسختها ، فكانوا يعطون الضغث .

حدثنا ابن حميد وأبو وكيع ، قالا : ثنا جرير ، عن مغيرة ، عن شباك، عن إبراهيم (وآتُوا حَقَّهُ يَوْمَ حَصَادِهِ) قال : كانوا يفعلون ذلك حتى سنّ العشر ، ونصف العشر ؛ فلما سنّ العشر ، ونصف العشر ترك .

حدثنا عمرو بن عليّ ، قال : ثنا عبدالرحمن بن مهديّ ، قال : ثنا سفيان ، عن مغيرة ، عن شباك ، عن إبراهيم (وآتُوا حَقَّهُ يَوْمَ حَصَادِهِ) قال : هى منسوخة نسختها العشر ، ونصف العشر .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا يحيى ، عن سفيان ، عن المغيرة ، عن إبراهيم (وآتُوا حَقَّهُ يَوْمَ حَصَادِهِ) قال : نسختها العشر ، ونصف العشر .

حدثنا أبوكريب ، قال : ثنا ابن يمان ، عن سفيان ، عن مغيرة ، عن شباك ، عن إبراهيم ، قال : نسختها العشر ، ونصف العشر .

وبه عن سفيان ، عن يونس ، عن الحسن ، قال : نسختها الزكاة .

وبه عن سفيان ، عن السديّ ، قال : نسختها الزكاة (وآتُوا حَقَّهُ يَوْمَ حَصَادِهِ) .

حدثنى يعقوب ، قال : ثنا هشيم ، قال : أخبرنا مغيرة ، عن شباك، عن إبراهيم ، فى قوله (وآتُوا حَقَّهُ يَوْمَ حَصَادِهِ) قال : هذه السورة مكية نسختها العشر ، ونصف العشر ، قلت : عمن ؟ قال : عن العلماء .

وبه عن سفيان ، عن مغيرة ، عن شباك ، عن إبراهيم ، قال : نسختها العشر ، ونصف العشر .

حدثنى محمد بن الحسين ، قال : ثنا أحمد بن المفضل ، قال : ثنا أسباط ، عن السدىّ ، أما (وآتُوا حَقَّهُ يَوْمَ حَصَادِهِ) فكانوا إذا مرّ بهم أحد يوم الحصاد أو الجذاذ أطعموه منه ، فنسخها الله عنهم بالزكاة ، وكان فيما أنبتت الأرض العشر ، ونصف العشر .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا عبد الأعلى ، عن يونس ، عن الحسن ، قال : كانوا يرضخون لقرابتهم من المشركين .

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا بن إدريس ، عن أبيه ، عن عطية (وآتُوا حَقَّهُ يَوْمَ حَصَادِهِ) قال : نسخه العشر ، ونصف العشر ، كانوا يعطون إذا حصدوا وإذا ذروا ، فنسختها العشر ، ونصف العشر .

❊ وأولى الأقوال فى ذلك عندى بالصواب ، قول من قال : كان ذلك فرضا فرضه الله على المؤمنين فى طعامهم وثمارهم التى تخرجها زروعهم وغروسهم ، ثم نسخه الله بالصدقة المفروضة ، والوظيفة المعلومة من العشر ، ونصف العشر ، وذلك أن الجميع مجمعون لاخلاف بينهم ، أن صدقة الحرث لاتؤخذ إلا بعد الدياس والتنقية والتذرية ، وأن صدقة التمر لاتؤخذ إلا بعد الجفاف . فإذا كان ذلك كذلك ، وكان قوله جلّ ثناؤه (وآتُوا حَقَّهُ يَوْمَ حَصَادِهِ) ينبئ عن أنه أمر من الله جلّ ثناؤه بإيتاء حقه يوم حصاده ، وكان يوم حصاده ، هو يوم جدّه وقطعه ؛ والحبّ لاشكّ أنه فى ذلك اليوم فى سنبله ، والتمر وإن كان ثمر نخل أو كرم غير مستحكم جفوفه ويبسه ، وكانت الصدقة من الحبّ إنما تؤخذ بعد دياسه وتذريته وتنقيته كيلا ؛ والتمر إنما تؤخذ صدقته بعد استحكام يبسه وجفوفه كيلا ، عُلم أن ما يؤخذ صدقة بعد حين حصده غير الذى يجب إيتاؤه المساكين يوم حصاده .

❊ فإن قال قائل : وما تنكر أن يكون ذلك إيجابا من الله فى المال حقا سوى الصدقة المفروضة ؟ قيل : لأنه لايخلو أن يكون ذلك فرضا واجبا ، أو نفلا ، فإن يكن فرضا واجبا ، فقد وجب أن يكون سبيله سبيل الصدقات المفروضات التى من فرّط فى أدائها إلى أهلها كان بربه آثما ، ولأمره مخالفا ، وفى قيام الحجة بأن لافرض لله فى المال بعد الزكاة ، يجب وجوب الزكاة ، سوى ما يجب من النفقة لمن يلزم المرء نفقته ما ينبئ عن أن ذلك ليس كذلك ، أو يكون ذلك نفلا ، فإن يكن ذلك كذلك فقد وجب أن يكون الخيار فى إعطاء ذلك إلى ربّ الحرث والثمر ، وفى إيجاب القائلين بوجوب ذلك ، ما ينبئ عن أن ذلك ليس كذلك ؛ وإذا خرجت الآية من أن يكون مرادا بها الندب ، وكان غير جائز أن يكون لها مخرج فى وجوب الفرض بها فى هذا الوقت ، علم أنها منسوخة . ومما يؤيد ما قلنا فى ذلك من القول دليلا على صحته ، أنه جلّ ثناؤه ، أتبع قوله (وآتُوا حَقَّهُ يَوْمَ حَصَادِهِ ، وَلا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لا يُحِبُّ المُسْرِفِينَ) ومعلوم أن من حكم الله فى عباده مذ فرض فى أموالهم الصدقة المفروضة المؤقتة القدر ، أن القائم بأخذ ذلك ساستهم ورعاتهم . وإذا كان ذلك كذلك ، فما وجه نهى ربّ المال عن الإسراف فى إيتاء ذلك ، والآخذ مجبر ، وإنما يأخذ الحقّ الذى فرض الله فيه .

فإن ظن ظانّ أن ذلك إنما هو نهي من الله القيِّم بأخذ ذلك من الرعاة عن التعدّي في مال ربّ المال ، والتجاوز إلى أخذ ما لم يبح له أخذه ، فإن آخر الآية ، وهو قوله (وَلَا تُسْرِفُوا) معطوف على أوّله وهو قوله (وآتُوا حَقَّهُ يَوْمَ حَصَادِهِ) فإن كان المنهي عن الإسراف القيم بقبض ذلك ، فقد يجب أن يكون المأمور بإتيانه ، المنهي عن الإسراف فيه ، وهو السلطان ، وذلك قول إن قاله قائل ، كان خارجا من قول جميع أهل التأويل ، ومخالفا المعهود من الخطاب ، وكفى بذلك شاهدا على خطئه .

فإن قال قائل : وما تنكر أن يكون معنى قوله (وآتُوا حَقَّهُ يَوْمَ حَصَادِهِ) : وآتوا حقه يوم كيله ، لا يوم فصله وقطعه ، ولا يوم جذاذه وقطافه ، فقد علمت من قال ذلك من أهل التأويل .

وذلك ما حدثنا يعقوب بن إبراهيم ، قال : ثنا هشيم ، قال : أخبرنا جويبر ، عن الضحاك ، في قوله (وآتُوا حَقَّهُ يَوْمَ حَصَادِهِ) قال : يوم كيله .

وحدثنا المثنى ، قال : ثنا عمرو بن عون ، قال : أخبرنا هشيم ، عن الحجاج ، عن سالم المكيّ ، عن محمد بن الحنفية ، قوله (وآتُوا حَقَّهُ يَوْمَ حَصَادِهِ) قال : يوم كيله يعطي العشر ، ونصف العشر مع آخرين ، قد ذُكرت الرواية فيما مضى عنهم بذلك ؛ قيل : لأن يوم كيله ، غير يوم حصاده ، ولن يخلو معنى قائلي هذا القول من أحد أمرين : إما أن يكونوا وجهوا معنى الحصاد إلى معنى الكيل ، فذلك ما لا يعقل في كلام العرب ، لأن الحصاد والحصد في كلامهم الجذّ والقطع ، لا الكيل . أو يكونوا وجهوا تأويل قوله (وآتُوا حَقَّهُ يَوْمَ حَصَادِهِ) إلى وآتوا حقه بعد يوم حصاده إذا كلتموه ، فذلك خلاف ظاهر التنزيل ، وذلك أن الأمر في ظاهر التنزيل بإيتاء الحقّ منه يوم حصاده ، لا بعد يوم حصاده . ولا فرق بين قائل : إنما عنى الله بقوله (وآتُوا حَقَّهُ يَوْمَ حَصَادِهِ) بعد يوم حصاده . وآخر قال : عنى بذلك قبل يوم حصاده ، لأنهما جميعا قائلان قولا دليل ظاهر التنزيل بخلافه .

القول في تأويل قوله تعالى : ﴿ وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ ﴾ :

اختلف أهل التأويل في الإسراف الذي نهى الله عنه بهذه الآية ، ومن المنهي عنه ، فقال بعضهم : المنهيّ عنه : ربّ النخل والزرع والثمر ، والسرف الذي نهى الله عنه في هذه الآية ، مجاوزة القدر في العطية إلى ما يجحف بربّ المال .

ذكر من قال ذلك

حدثنا عمرو بن عليّ ، قال : ثنا المعتمر بن سليمان ، قال : ثنا عاصم ، عن أبي العالية ، في قوله (وآتُوا حَقَّهُ يَوْمَ حَصَادِهِ وَلَا تُسْرِفُوا) . . . الآية ، قال : كانوا يعطون شيئا سوى الزكاة ، ثم تسارفوا ، فأنزل الله (وَلَا تُسْرِفُوا ، إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ) .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنا معتمر بن سليمان ، عن عاصم الأحول ، عن أبي العالية (وآتُوا حَقَّهُ يَوْمَ حَصَادِهِ) قال : كانوا يعطون يوم الحصاد شيئا سوى الزكاة ، ثم تباروا فيه وأسرفوا ، فقال الله (وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ) .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنا معتمر بن سليمان ، عن عاصم الأحول ، عن أبى العالية (وآتُوا حَقَّهُ يَوْمَ حَصَادِهِ) قال : كانوا يعطون يوم الحصاد شيئا ، ثم تسارفوا ، فقال الله (وَلا تُسْرِفُوا إنَّهُ لا يُحِبُّ المُسْرِفِينَ) .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، قال : نزلت فى ثابت بن قيس ابن شماس ، جذّ نخلا فقال : لايأتينّ اليوم أحد إلا أطعمته ، فأطعم حتى أمسى. وليست له ثمرة ، فقال الله (وَلا تُسْرِفُوا إنَّهُ لا يُحِبُّ المُسْرِفِينَ) .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا محمد بن بكر ، عن ابن جريج ، قال : قلت لعطاء (وَلا تُسْرِفُوا) يقول : لاتسرفوا فيما يؤتى يوم الحصاد ، أم فى كلّ شىء ؟ قال : بلى فى كلّ شىء ينهى عن السرف . قال : ثم عاودته بعد حين ، فقلت : ما قوله (وَلا تُسْرِفُوا إنَّهُ لا يُحِبُّ المُسْرِفِينَ) قال : ينهى عن السرف فى كل شىء ، ثم تلا (لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا) .

حدثنا عمرو بن علىّ ، قال : ثنا يزيد بن هارون ، قال : أخبرنا سفيان بن حسين ، عن أبى بشر ، قال : أطاف الناس بإياس بن معاوية بالكوفة ، فسألوه : ما السرف ؟ فقال : ما تجاوز أمر الله فهوسرف .

حدثنى محمد بن الحسين ، قال : ثنا أحمد بن مفضل ، قال : ثنا أسباط ، عن السدىّ (وَلا تُسْرِفُوا) لاتعطوا أموالكم ، فتغدوا فقراء .

وقال آخرون : الإسراف الذى نهى الله عنه فى هذا الموضع : منع الصدقة ، والحقّ الذى أمر الله ربّ المال بإيتائه أهله بقوله (وآتُوا حَقَّهُ يَوْمَ حَصَادِهِ) .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا محمد بن بكر ، عن ابن جريج ، قال : أخبرنى أبو بكر بن عبد الله ، عن عمرو بن سليم وغيره ، عن سعيد بن المسيب ، فى قوله (وَلا تُسْرِفُوا) قال : لاتمنعوا الصدقة فتعصوا

حدثنا عمرو بن علىّ ، قال : ثنا محمد بن الزبرقان ، قال : ثنا محمد بن عبيدة ، عن محمد بن كعب (وَلا تُسْرِفُوا إنَّهُ لا يُحِبُّ المُسْرِفِينَ) والسرف : أن لايعطى فى حقّ .

وقال آخرون : إنما خوطب بهذا السلطان : نهى أن يأخذ من ربّ المال فوق الذى ألزم الله ماله .

ذكر من قال ذلك

حدثنا يونس بن عبد الأعلى ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال ابن زيد ، فى قوله (وَلا تُسْرِفُوا) قال : قال للسلطان : لاتسرفوا ، لاتأخذوا بغير حقّ ، فكانت هذه الآية بين السلطان وبين الناس ، يعنى قوله (كُلُوا مِنْ ثَمَرِهِ إذَا أَثْمَرَ) . . . الآية .

❊ والصواب من القول فى ذلك عندى أن يقال : إن الله تعالى ذكره نهى بقوله (وَلا تُسْرِفُوا) عن جميع معانى الإسراف ، ولم يخصص منها معنى دون معنى . وإذ كان ذلك كذلك ، وكان الإسراف فى كلام العرب : الإخطاء بإصابة الحقّ فى العطية ، إما بتجاوز حدّه فى الزيادة ، وإما بتقصير عن حدّه الواجب

كان معلوما أن المفرق ماله مباراة ، والباذله للناس حتى أجحفت به عطيته، مسرف بتجاوزه حدّ الله إلى ما كيفته له ، وكذلك المقصر فى بذله فيما ألزمه الله بذله فيه، وذلك كمنعه ما ألزمه إيتاءه منه أهل سهمان الصدقة ، إذا وجبت فيه، أو منعه من ألزمه الله نفقته من أهله وعياله ما ألزمه منها ، وكذلك السلطان فى أخذه من رعيته ما لم يأذن الله بأخذه كل هؤلاء فيما فعلوا من ذلك مسرفون ، داخلون فى معنى من أتى ما نهى الله عنه من الإسراف بقوله (وَلَا تُسْرِفُوا) فى عطيتكم من أموالكم ما يجحف بكم، إذ كان ماقبله من الكلام أمرا من الله بإيتاء الواجب فيه أهله يوم حصاده، فإن الآية قد كانت تنزل على رسول الله صلى الله عليه وسلم بسبب خاص من الأمور، والحكم بها على العامّ ، بل عامة آى القرآن كذلك ، فكذلك قوله (وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ) ومن الدليل على صحة ماقلنا من معنى الإسراف، أنه على ماقلنا قول الشاعر :

أَعْطَوْا هُنَيْدَةَ يَحْدُوها ثَمَانِيَةٌ ... ما فى عَطائِهِمُ مَنٌّ وَلا سَرَفُ[١]

يعنى بالسرف : الخطأ فى العطية .

القول فى تأويل قوله تعالى :

وَمِنَ الْأَنْعَامِ حَمُولَةً وَفَرْشًا كُلُوا مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ ﴿١٤٢﴾

﴿ يقول تعالى ذكره : وأنشأ من الأنعام حمولة وفرشا،مع ما أنشأ من الجنات المعروشات وغير المعروشات والحمولة : ما حمل عليه من الإبل وغيرها ، والفرش : صغار الإبل التى لم تدرك أن يحمل عليها .

واختلف أهل التأويل فى تأويل ذلك، فقال بعضهم : الحمولة : ما حمل عليه من كبار الإبل ومسانها ؛ والفرش : صغارها ، التى لايحمل عليها لصغرها .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبى ، عن سفيان ، عن أبى إسحاق ، عن أبى الأحوص ، عن عبد الله، فى قوله (حَمُولَةً وفَرْشا) قال : الحمولة : الكبار من الإبل ؛ وفرشا : الصغار من الإبل .

وقال : ثنا أبى ، عن أبى بكر الهذلى ، عن عكرمة ، عن ابن عباس: الحمولة هى الكبار ، والفرش : الصغار من الإبل .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا عبيد الله ، عن إسرائيل ، عن أبى يحيى ، عن مجاهد ، قال : الحمولة : ما حمل من الإبل ، والفرش : ما لم يحمل .

وبه عن إسرائيل ، عن خصيف ، عن مجاهد : الحمولة : ما حمل من الإبل ، والفرش : ما لم يحمل .

(١) البيت لجرير . وقد تقدم الكلام عليه (فى الجزء الرابع من هذا التفسير ص ٢٥٤) .

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبوعاصم ، قال : ثنا عيسى ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، فى قول الله (وَفَرْشًا) قال : صغار الإبل .

حدثنا محمد بن بشار ، قال : ثنا عبد الرحمن ، قال : ثنا سفيان ، عن أبى إسحاق ، عن أبى الأحوص ، عن عبد الله ، فى قوله (حَمُولَةً وَفَرْشًا) قال : الحمولة : الكبار ، والفرش : الصغار .

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : ثنا سفيان ، عن أبى إسحاق ، عن أبى الأحوص ، عن ابن مسعود فى قوله (حَمُولَةً وَفَرْشًا) الحمولة : ما حمل من الإبل ، والفرش : هنّ الصغار .

حدثنا محمد بن المثنى ، قال : ثنا محمد بن جعفر ، قال : ثنا شعبة ، عن أبى إسحاق ، عن أبى الأحوص عن عبد الله ، أنه قال فى هذه الآية (حَمُولَةً وفَرْشًا) قال : الحمولة : ما حمل عليه من الإبل ، والفرش : الصغار .

قال ابن المثنى ، قال محمد ، قال شعبة : إنما كان حدثنى سفيان عن ابن إسحاق . حدثنا ابن عبدالأعلى ، قال : ثنا المعتمر بن سليمان ، عن أبيه ، قال : قال الحسن : الحمولة من الإبل والبقر . وقال بعضهم : الحمولة من الإبل ، وما لم يكن من الحمولة فهو الفرش .

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة ، عن الحسن (حَمُولَةً وفَرْشًا) قال : الحمولة : ما حمل عليه ، والفرش : حواشيها ، يعنى صغارها .

حدثنى محمد بن سعد ، قال : ثنى أبى ، قال : ثنى عمى ، قال : ثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله (وَمِنَ الأنْعامِ حَمُولَةً وفَرْشًا) فالحمولة ما حمل من الإبل ، والفرش : صغار الإبل ، الفصيل وما دون ذلك مما لايحمل ، ويقال : الحمولة : من البقر والإبل ، والفرش : الغنم .

وقال آخرون : الحمولة : ما حمل عليه من الإبل والخيل والبغال وغير ذلك ، والفرش : الغنم .

ذكر من قال ذلك

حدثنى المثنى ، قال : ثنا عبد الله بن صالح ، قال : ثنى معاوية ، عن علىّ بن أبى طلحة ، عن ابن عباس ، قوله (وَمِنَ الأنْعامِ حَمُولَةً وَفَرْشًا) فأما الحمولة : فالإبل والخيل والبغال والحمير ، وكلّ شىء يحمل عليه ؛ وأما الفرش : فالغنم .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا عبيد الله ، عن أبى جعفر ، عن الربيع بن أنس : الحمولة من الإبل : والبقر ، وفرشا : المعز والضأن .

حدثنا بشر بن معاذ ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (وَمِنَ الأنْعام حَمُولَةً وفَرْشًا) قال : أما الحمولة : فالإبل والبقر ، قال : وأما الفرش : فالغنم .

حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة ، كان غير الحسن يقول : الحمولة : الإبل والبقر ، والفرش : الغنم .

حدثنى محمد بن الحسين ، قال : ثنا أحمد بن المفضل ، قال : ثنا أسباط ، عن السدىّ (وَمِنَ الأنْعامِ

حَمُولَةً وَفَرْشا) أما الحمولة : فالإبل . وأما الفرش : فالفُصلان والعجاجيل والغنم ، وما حمل عليه ، فهو حمولة .

حُدثت عن الحسين بن الفرج ، قال : سمعت أبا معاذ ، قال : ثنا عبيد بن سليمان، قال : سمعت الضحاك يقول فى قوله (حَمُولَةً وَفَرْشا) الحمولة : الإبل ، والفرش : الغنم .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبى ، عن أبى بكر الهذلى ، عن الحسن (وفَرْشا) قال : الفرش : الغنم .

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب، قال : قال ابن زيد ، فى قوله (حَمُولَةً وفَرْشا) قال : الحمولة : ما تركبون ، والفرش : ما تأكلون وتحلبون ، شاة لاتحمل ، تأكلون لحمها، وتتخذون من أصوافها لحافا وفرشا .

والصواب من القول فى ذلك عندى أن يقال : إن الحمولة: هى ماحمل من الأنعام، لأن ذلك من صفتها إذا حملت ، لا أنه اسم لها كالإبل والخيل والبغال ؛ فاذا كانت إنما سميت حمولة لأنها تحمل، فالواجب أن يكون كلّ ما حمل على ظهره من الأنعام فحمولة، وهى جمع لاواحد لها من لفظها ، كالركوبة والجزورة، وكذلك الفرش إنما هو صفة لما لطف ، فقرب من الأرض جسمه، ويقال له الفرش ، وأحسبها سميت بذلك تمثيلا لها فى استواء أسنانها ولطفها بالفرش من الأرض ، وهى الأرض المستوية التى يتوطؤها الناس . فاما الحُمولة بضمّ الحاء : فإنها الأحمال ، وهى الحمول أيضا بضم الحاء .

القول فى تأويل قوله تعالى : ﴿ كُلُوا مِمَّا رَزَقَكُمُ اللهُ ، وَلا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطانِ ، إنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ ﴾ :

يقول جلّ ثناؤه : كلوا مما رزقكم الله أيها المؤمنون ، فأحلّ لكم ثمرات حروثكم وغروسكم ولحوم أنعامكم ، إذ حرّم بعض ذلك على أنفسهم المشركون بالله، فجعلوا لله مما ذرأ من الحرث والأنعام نصيبا ، وللشيطان مثله ، فقالوا : هذا لله بزعمهم، وهذا لشركائنا (وَلا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطانِ) كما اتبعها باحرو البحيرة ، ومسيبو السوائب ، فتحرموا على أنفسكم من طيب رزق الله الذى رزقكم ما حرموه ، فتطيعوا بذلك الشيطان ، وتعصوا به الرحمن .

كما حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله (وَلا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطانِ) : لاتتبعوا طاعته هى ذنوب لكم، وهى طاعة للخبيث إن الشيطان لكم عدوّ يبغى هلاككم ، وصدّكم عن سبيل ربكم ، مبين ، قد أبان لكم عدوانه بمناصبته أباكم بالعداوة، حتى أخرجه من الجنة بكيده وخدعه ، وحسدا منه له ، وبغيا عليه .

القول فى تأويل قوله تعالى :

ثَمَٰنِيَةَ أَزْوَٰجٍ مِّنَ الضَّأْنِ اثْنَيْنِ وَمِنَ الْمَعْزِ اثْنَيْنِ قُلْ ءَآلذَّكَرَيْنِ حَرَّمَ أَمِ الْأُنثَيَيْنِ أَمَّا اشْتَمَلَتْ عَلَيْهِ أَرْحَامُ الْأُنثَيَيْنِ نَبِّـُٔونِي بِعِلْمٍ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿١٤٣﴾

وهذا تقريع من الله جلّ ثناؤه العادلين به الأوثان من عبدة الأصنام الذين بحروا البحائر، وسيبوا السوائب، ووصلوا الوصائل، وتعليم منه نبيه صلى الله عليه وسلم والمؤمنين به، الحجة عليهم فى تحريمهم ماحرّموا من ذلك، فقال للمؤمنين به وبرسوله (وَهُوَ الَّذِى أَنْشَأَ جَنَّاتٍ مَعْرُوشاتٍ وغيرَ مَعْرُوشاتٍ) ومن الأنعام أنشأ حمولة وفرشا، ثم بين جلّ ثناؤه الحمولة والفرش، فقال: ثمانية أزواج، وإنما نصب الثمانية، لأنها ترجمة عن الحمولة والفرش، وبدل منها؛ كأن معنى الكلام: ومن الأنعام أنشأ ثمانية أزواج فلما قدّم قبل الثمانية الحمولة والفرش بين ذلك بعد، فقال(ثَمانِيَةَ أَزْوَاجٍ)على ذلك المعنى (مِنَ الضَّأْنِ اثْنَيْنِ، وَمِنَ المَعْزِ اثْنَيْنِ) فذلك أربعة، لأن كلّ واحد من الاثنين من الضأن زوج، فالأنثى منه زوج الذكر، والذكر منه زوج الأنثى، وكذلك ذلك من المعز، ومن سائر الحيوان، فلذلك قال جلّ ثناؤه(ثَمانِيَةَ أَزْوَاجٍ)كما قال(وَمِنْ كلِّ شيء خلقْنَا زَوْجينِ) لأن الذكر زوج الأنثى والأنثى زوج الذكر، فهما وإن كانا اثنين فهما زوجان، كما قال جلّ ثناؤه (وَجعلَ مِنهَا زَوْجهَا لِيسْكُنَ إليهَا) وكما قال: (أَمْسِكْ عليْكَ زَوْجكَ).

وكما حدثنا ابن وكيع، قال: ثنا أبومعاوية، عن جويبر، عن الضحاك (مِنَ الضَّأْنِ اثْنَيْنِ) ذكروأنثى (وَمِنَ البَقَرِ اثْنَيْنِ) ذكروأنثى (وَمِنَ الإبِلِ اثْنَيْنِ) ذكر وأنثى، ويقال للاثنين: هما زوج كما قال لبيد:

مِنْ كُلِّ مَحْفُوفٍ يُظِلُّ عِصِيَّهُ   زَوْجٌ عَلَيْهِ كِلَّةٌ وَقِرَامُهَا(١)

ثم قال لهم: كلوا مما رزقكم الله من هذه الثمار واللحوم، واركبوا هذه الحمولة أيها المؤمنون، فلا تتبعوا خطوات الشيطان فى تحريم ما حرّم هؤلاء الجهلة بغير أمرى إياهم بذلك، قل يا محمد لهؤلاء الذين حرّموا ما حرّموا من الحرث والأنعام، اتباعا للشيطان من عبدة الأوثان والأصنام الذين زعموا أن الله حرّم عليهم

(١) البيت من معلقة لبيد (انظره فى شرحى الزوزنى والتبريزى على المعلقات). (من) بيانية تبين قوله فى البيت قبله : « فتكنسوا قطنا » : أى اتخذوا للظعائن هوادج من قطن، تشبه كنس الظباء. و « كل محفوف » يريد به الهودج قد حف بالثياب، أى جعلت على أحفته، وهى جوانبه، الواحد حفاف. وعصيه: خشبه. والزوج: قال الزوزنى: النمط من الثياب. وقال التبريزى: الزوج النمط الواحد. وقال الفيومى فى المصباح المنير: الزوج: الشكل يكون له نظير، كالأصناف والألوان، أو يكون له نقيض، كالرطب واليابس، والذكر والأنثى، والليل والنهار، والحلو والمر. قال ابن دريد: والزوج: كل اثنين، ضد الفرد. وتبعه الجوهرى فقال: ويقال للاثنين المتزاوجين: زوجان، وزوج أيضا، تقول: عندى زوج نعال: تريد اثنين. وزوجان: تريد أربعة. وقال ابن قتيبة: الزوج يكون واحدا، ويكون اثنين. وقوله تعالى: « من كل زوجين اثنين »: هو هنا واحد. وقال أبوعبيدة، وابن فارس كذلك. وقال الأزهرى: وأنكر النحويون أن يكون الزوج اثنين، والزوج عندهم: الفرد. وهذا هو الصواب. وقال ابن الأنبارى: والعامة تخطئ، فتظن أن الزوج اثنان، وليس ذلك من مذهب العرب، إذ كانوا لايتكلمون بالزوج موحدا، فى مثل قولهم زوج حمام، وإنما يقولون: زوجان من حمام، وزوجان من خفاف. ولا يقولون للواحد من الطير: زوج، بل للذكر: فرد، وللأنثى فردة.

والكلة: الستر الرقيق لايحجب ما وراءه، والقرام: الستر الذى يلقى فوق الهودج، أو على بعض جوانبه، لئلا تؤذى الشمس صاحبته. يصف الهودج بأن عليه كلة وقراما، فكأن بعضه مغطى بالقرام لحجب الشمس، وبعضه مغطى بالكلة فقط للانتفاع بالضوء.

ماهم محرّمون من ذلك : (آلذَّكَرَيْنِ حَرَّمَ) ربكم أيها الكذبة على الله من الضأن والمعز ، فإنهم إن ادّعوا ذلك وأقرّوا به ، كذّبوا أنفسهم ، وأبانوا جهلهم ، لأنهم إذا قالوا : يحرّم الذكرين من ذلك ، أوجبوا تحريم كلّ ذكرين من ولد الضأن والمعز ، وهم يستمتعون بلحوم الذكران منها وظهورها ، وفى ذلك فساد دعواهم ، وتكذيب قولهم (أَمِ الأُنْثَيَيْنِ) فانهم إن قالوا : حرّم ربنا الأنثيين ، أوجبوا تحريم لحوم كل أنثى من ولد الضأن والمعز على أنفسهم وظهورها ، وفى ذلك أيضا تكذيب لهم ، ودحض دعواهم أن ربهم حرّم ذلك عليهم ، إذ كانوا يستمتعون بلحوم بعض ذلك وظهوره (أَمَّا اشْتَمَلَتْ عَلَيْهِ أَرْحَامُ الأُنْثَيَيْنِ) يقول : أم حرّم مااشتملت عليه أرحام الأنثيين ، يعنى أرحام أنثى الضأن وأنثى المعز ، فلذلك قال : أرحام الأنثيين ، وفى ذلك أيضا لو أقرّوا به ، فقالوا : حرّم علينا ما اشتملت عليه أرحام الأنثيين بطول قولهم ، وبيان كذبهم ، لأنهم كانوا يقرّون بإقرارهم بذلك أن الله حرّم عليهم ذكور الضأن والمعز وإناثها أن يأكلوا لحومها ، أو يركبوا ظهورها ، وقد كانوا يستمتعون ببعض ذكورها وإناثها . و « ما » التى فى قوله (أَمَّا اشْتَمَلَتْ عَلَيْهِ أَرْحَامُ الأُنْثَيَيْنِ) نصب عطفا بها على الأنثيين (نَبِّئُونِي بِعِلْمٍ) يقول : قل لهم : خبرونى بعلم ذلك على صحته ، أىّ ذلك حرّم ربكم عليكم ، وكيف حرّم (إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ) فيما تنحلونه ربكم من دعواكم ، وتضيفونه إليه من تحريمكم . وإنما هذا إعلام من الله جلّ ثناؤه نبيه ، أن كل ما قاله هؤلاء المشركون فى ذلك ، وأضافوه إلى الله ، فهو كذب على الله ، وأنه لم يحرّم شيئا من ذلك ، وأنهم إنما اتبعوا فى ذلك خطوات الشيطان ، وخالفوا أمره .

وبنحو الذى قلنا فى تأويل ذلك ، قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر بن معاذ ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (ثَمَانِيَةَ أَزْوَاجٍ مِنَ الضَّأْنِ اثْنَيْنِ ، وَمِنَ الْمَعْزِ اثْنَيْنِ) . . . الآية ، إن كلّ هذا لم أحرّم منه قليلا ولا كثيرا ، ذكرا ولا أنثى .

حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة (مِنَ الضَّأْنِ اثْنَيْنِ ومِنَ الْمَعْزِ اثْنَيْنِ) قال : سلهم (آلذَّكَرَيْنِ حَرَّمَ أَمِ الأُنْثَيَيْنِ أَمَّا اشْتَمَلَتْ عَلَيْهِ أَرْحَامُ الأُنْثَيَيْنِ) : أى لم أحرّم من هذا شيئا بعلم ، إن كنتم صادقين ، فذكر من الإبل والبقر نحو ذلك .

حدثنا محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبوعاصم ، قال : ثنا عيسى ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، فى قول الله (ثَمَانِيَةَ أَزْوَاجٍ) فى شأن ما نهى الله عنه من البحيرة .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، قوله (ثَمَانِيَةَ أَزْوَاجٍ) قال : هذا فى شأن ما نهى الله عنه من البحائر والسيب . قال ابن جريج : يقول : من أين حرّمت هذا من قبل الذكرين ، أم من قِبَلِ الأنثيين ، أما اشتملت عليه أرحام الأنثيين ، وإنها لاتشتمل إلا على ذكر أو أنثى ، فمن أين جاء التحريم ؟ فأجابوا هم : وجدنا آباءنا كذلك يفعلون .

حدثنى محمد بن الحسين ، قال : ثنا أحمد بن المفضل ، قال : ثنا أسباط ، عن السدىّ (ثَمانيةَ أزْواجٍ مِنَ الضَّأْنِ اثْنَيْنِ ،وَمِنَ المَعْزِ اثْنَيْنِ ، وَمِنَ البَقَرِ اثْنَيْنِ ، وَمِنَ الإبِلِ اثْنَيْنِ): يقول : أنزلت لكم ثمانية أزواج من هذا الذى عددت ذكر وأنثى ، فالذكرين حرّمت عليكم أم الأنثيين ، أمّا اشتملت عليه أرحام الأنثيين ، يقول : أى ما اشتملت عليه أرحام الأنثيين ماتشتمل إلا على ذكر أو أنثى ، فما حرّمت عليكم ذكرا ولا أنثى من الثمانية ، إنما ذكر هذا من أجل ما حرّموا من الأنعام .

حدثنى يعقوب بن إبراهيم ، قال : ثنا ابن علية ، عن أبى رجاء ، عن الحسن (أمَّا اشْتَمَلَتْ عَلَيْهِ أرْحامُ الأُنْثَيَيْنِ) قال : ما حملت الرحم .

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله (قُلْ آلذَّكَرَيْنِ حَرَّمَ أمِ الأُنْثَيَيْنِ) قال : هذا لقولهم (ما فى بُطُونِ هَذِهِ الأنْعامِ خالِصَةٌ لِذُكُورِنا ، وَمُحَرَّمٌ على أزْواجِنا) قال : وقال ابن زيد فى قوله (ثَمانِيَةَ أزْواجٍ مِنَ الضَّأْنِ اثْنَيْنِ ، وَمِنَ المَعْزِ اثْنَيْنِ) قال : الأنعام : هى الإبل والبقر والضأن والمعز ، هذه الأنعام التى قال الله ثمانية أزواج ، قال : وقال فى قوله (هَذِه أنْعامٌ وحَرْثٌ حِجْرٌ) نحتجرها على من نريد وعمن نريد ، وقوله (وأنْعامٌ حُرِّمَتْ ظُهُورُها) قال : لايركبها أحد (وأنْعامٌ لايَذْكُرُونَ اسْمَ اللهِ عَلَيْها) فقال (آلذَّكَرَيْنِ حَرَّمَ أمِ الأُنْثَيَيْنِ) أىّ هذين حرّم على هؤلاء ، أى أن تكون لهؤلاء حلاًّ ، وعلى هؤلاء حراما[1] .

حدثنى المثنى ، قال : ثنا عبد الله بن صالح ، قال : ثنى معاوية بن صالح ، عن علىّ بن أبى طلحة ، عن ابن عباس ، قوله (ثَمانِيَةَ أزْواجٍ مِنَ الضَّأْنِ اثْنَيْنِ وَمِنَ المَعْزِ اثْنَيْنِ ، قُلْ آلذَّكَرَيْنِ حَرَّمَ أمِ الأُنْثَيَيْنِ ، أمَّا اشْتَمَلَتْ عَلَيْهِ أرْحامُ الأُنْثَيَيْنِ) يعنى : هل تشتمل الرحم إلا على ذكر أو أنثى ، فهم يحرّمون بعضا ، ويحلون بعضا .

حدثنى محمد بن سعد ، قال : ثنى أبى ، قال : ثنى عمى ، قال : ثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله (ثَمانِيَةَ أزْواجٍ ، مِنَ الضَّأْنِ اثْنَيْنِ ، وَمِنَ المَعْزِ اثْنَيْنِ) فهذه أربعة أزواج (وَمِنَ الإبِلِ اثْنَيْنِ ، وَمِنَ البَقَرِ اثْنَيْنِ ، قُلْ آلذَّكَرَيْنِ حَرَّمَ أمِ الأُنْثَيَيْنِ) يقول : لم أحرّم شيئا من ذلك (نَبِّئُونِى بِعِلْمٍ إنْ كُنْتُمْ صادِقِينَ) يقول : كله حلال . والضأن : جمع لاواحد له من لفظه ، وقد يجمع الضأن : الضَّئين والضِّئين ، مثل الشَّعير والشِّعير ، كما يجمع العبد على عبيد وعِبيد . وأما الواحد من ذكوره فضائن ، والأنثى ضائنة ، وجمع الضائنة : ضوائن ، وكذلك المعز جمع على غير واحد ، وكذلك المعزى[2] ؛ وأما الماعز ، فجمعه مواعز .

القول فى تأويل قوله تعالى :

وَمِنَ الإِبِلِ اثْنَيْنِ وَمِنَ الْبَقَرِ اثْنَيْنِ قُلْ ءَآلذَّكَرَيْنِ حَرَّمَ أَمِ الْأُنثَيَيْنِ أَمَّا اشْتَمَلَتْ عَلَيْهِ

(١) فى الأصل : أى أن تكون لهؤلاء حل ، وعلى هؤلاء حرام ، بالرفع فيهما . (٢) فى الأصل الماعزى تحريف .

أَرْحَامُ ٱلْأُنثَيَيْنِ ۖ أَمْ كُنتُمْ شُهَدَآءَ إِذْ وَصَّىٰكُمُ ٱللَّهُ بِهَٰذَا ۚ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا لِّيُضِلَّ ٱلنَّاسَ بِغَيْرِ عِلْمٍ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٤٤﴾

﴿ وتأويل قوله (وَمِنَ الإبِلِ اثْنَيْنِ ، وَمِنَ البَقَرِ اثْنَيْنِ ، قُلْ آلذَّكَرَيْنِ حَرَّمَ أم الأُنْثَيَيْنِ ، أمَّا اشْتَمَلَتْ عَلَيْهِ أرْحامُ الأُنْثَيَيْنِ) نحو تأويل قوله (مِنَ الضَّأْنِ اثْنَيْنِ ، وَمِنَ المَعْزِ اثْنَيْنِ) وهذه أربعة أزواج ، على نحو ما بينا من الأزواج الأربعة قبل من الضأن والمعز ، فذلك ثمانية أزواج ، كما وصف جلّ ثناؤه..

وأما قوله (أمْ كُنْتُمْ شُهَدَاءَ إذْ وَصَّاكُمُ اللهُ بِهَذَا فَمَنْ أظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى على الله كَذِبًا لِيُضِلَّ النَّاسَ بغيرِ عِلْمٍ) فإنه أمر من الله جلّ ثناؤه نبيه صلى الله عليه وسلم أن يقول لهؤلاء الجهلة من المشركين الذين قصّ قصصهم فى هذه الآيات التى مضت. يقول له عزّ ذكره : قل لهم يا محمد ، أىّ هذه سألتكم عن تحريمه حرّم ربكم عليكم من هذه الأزواج الثمانية. فان أجابوك عن شىء مما سألتهم عنه من ذلك ، فقل لهم : أخبرا قلتم إن الله حرّم هذا عليكم ، أخبركم به رسول عن ربكم ، أم شهدتم ربكم فرأيتموه فوصاكم بهذا الذى تقولون ، وتردّون على الله. فإن هذا الذى تقولون من إخباركم عن الله أنه حرام بما تزعمون على ما تزعمون ، لايعلم إلا بوحى من عنده ، مع رسول يرسله إلى خلقه ، أو بسماع منه ، فبأىّ هذين الوجهين علمتم أن الله حرّم ذلك كذلك برسول أرسله إليكم ، فأنبئونى بعلم إن كنتم صادقين ، أم شهدتم ربكم ، فأوصاكم بذلك ؟ وقال لكم : حرّمت ذلك عليكم ، فسمعتم تحريمه منه وعهده إليكم بذلك . فإنه لم يكن واحد من هذين الأمرين ، يقول جلّ ثناؤه (فمَنْ أظْلَمُ مِمَّنِ افترَى عَلَى الله كذِبًا) يقول: فمن أشدّ ظلما لنفسه ، وأبعد عن الحقّ ممن تخرّص على الله قيل الكذب ، وأضاف إليه تحريم ما لم يحرّم ، وتحليل ما لم يحلل (لِيُضِلَّ النَّاسَ بغيرِ عِلْمٍ) يقول : ليصدّهم عن سبيله (إنَّ اللهَ لا يَهْدِى القَوْمَ الظَّالِمِينَ) يقول : لايوفق الله للرشد من افترى على الله وقال عليه الزور والكذب ، وأضاف إليه تحريم ما لم يحرّم كفرا بالله ، وجحودا لنبوّة نبيه محمد صلى الله عليه وسلم .

كالذى حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله (أمْ كُنْتُمْ شُهَدَاءَ إذْ وَصَّاكُمُ اللهُ بِهَذَا) الذى تقولون .

حدثنى محمد بن الحسين ، قال : ثنا أحمد بن المفضل ، قال : ثنا أسباط ، عن السدىّ . قال : كانوا يقولون ، يعنى الذين كانوا يتخذون البحائر والسوائب ، إن الله أمر بهذا ، فقال الله (فَمَنْ أظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى على الله كَذِبًا لِيُضِلَّ النَّاسَ بغيرِ عِلْمٍ) .

القول فى تأويل قوله تعالى :

قُل لَّآ أَجِدُ فِى مَآ أُوحِىَ إِلَىَّ مُحَرَّمًا عَلَىٰ طَاعِمٍ يَطْعَمُهُۥٓ إِلَّآ أَن يَكُونَ مَيْتَةً أَوْ دَمًا

مَّسْفُوحًا أَوْ لَحْمَ خِنزِيرٍ فَإِنَّهُ رِجْسٌ أَوْ فِسْقًا أُهِلَّ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ فَمَنِ اضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَإِنَّ رَبَّكَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٤٥﴾

❁ يقول جلّ ثناؤه لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم : قل يامحمد لهؤلاء الذين جعلوا لله مما ذرأ من الحرث والأنعام نصيبا ولشركائهم من الآلهة والأنداد مثله والقائلين (هذه أنعامٌ وحرثٌ حِجْرٌ لايطْعَمُها إلاَّ مَنْ نشاء بزَعمهم) والمحرّمين من أنعام أُخَر ظهورها ، والتاركين ذكر اسم الله على أُخَر منها ، والمحرّمين بعض ما فى بطون بعض أنعامهم على إناثهم وأزواجهم ، ومحلّيه لذكورهم ، المحرّمين ما رزقهم الله افتراء على الله ، وإضافة منهم ما يحرّمون من ذلك ، إلى أن الله هو الذى حرّمه عليهم ، أجاءكم من الله رسول بتحريمه ذلك عليكم ، فأنبئونا به ، أم وصاكم الله بتحريمه مشاهدة منكم له ، فسمعتم منه تحريمه ذلك عليكم فحرّمتموه ، فإنكم كذبة إن ادّعيتم ذلك ، ولا يمكنكم دعواه ، لأنكم إذا ادّعيتموه علم الناس كذبكم ، فإنى لاأجد فيما أوحى إلىّ من كتابه ، وآى تنزيله شيئا محرّما على آكل يأكله ، مما تذكرون أنه حرّمه من هذه الأنعام التى تصفون تحريم ما حرّم عليكم منها بزعمكم إلا أن يكون ميتة قد ماتت بغير تذكية ، أو دما مسفوحا ، وهو المنصبّ أو إلا أن يكون لحم خنزير ، فإنه رجس أو فسقا ، يقول : أو إلا أن يكون فسقا يعنى بذلك : أو إلا أن يكون مذبوحا ذبحه ذابح من المشركين من عبدة الأوثان لصنمه وآلهته ، فذكر عليه اسم وثنه ، فإن ذلك الذبح فسق نهى الله عنه وحرّمه ، ونهى من آمن به عن أكل ما ذبح كذلك ، لأنه ميتة ، وهذا إعلام من الله جلّ ثناؤه للمشركين الذين جادلوا نبىّ الله وأصحابه فى تحريم الميتة بما جادلوهم به أن الذى جادلوهم فيه من ذلك هو الحرام الذى حرّمه الله ، وأن الذى زعموا أن الله حرّمه حلال قد أحله الله وأنهم كذبة فى إضافتهم تحريمه إلى الله .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك ، قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن ابن طاوس ، عن أبيه ، فى قوله (قُلْ لاأجِدُ فِيما أُوحِيَ إلىَّ مُحَرَّما) قال : كان أهل الجاهلية يحرّمون أشياء ، ويحلون أشياء ، فقال : قل لاأجد مما كنتم تحرّمون وتستحلون إلاهذا (إلاَّ أنْ يكونَ مَيْتَةً ، أوْ دَماً مَسْفُوحاً ، أوْ لحمَ خِنْزِيرٍ ، فإنَّهُ رِجْسٌ ، أوْ فِسْقاً أُهِلَّ لِغيرِ اللهِ بِهِ) .

حدثنى المثنى ، قال : ثنا سويد ، قال : أخبرنا ابن المبارك ، عن معمر ، عن ابن طاوس ، عن أبيه ، فى قوله (قُلْ لاأجِدُ فِيما أُوحِيَ إلىَّ مُحَرَّما) . . . الآية ، قال : كان أهل الجاهلية يستحلون أشياء ، ويحرّمون أشياء ، فقال الله لنبيه (قُلْ لاأجِدُ فِيما أُوحِيَ إلىَّ مُحَرَّما) مما كنتم تستحلون إلا هذا وكانت أشياء يحرّمونها فهى حرام الآن .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، عن ابن طاوس ، عن أبيه

(قُلْ لاأجِدُ فِيما أُوحِيَ إلَىَّ مُحَرَّما على طاعِمٍ يَطْعَمُهُ) قال: مايؤكل ، قلت : فى الجاهلية ؟ قال : نعم ، وكذلك كان يقول (إلاَّ أنْ يَكُونَ مَيْتَةً أوْ دَمًا مَسْفُوحًا) .

قال ابن جريج : وأخبرنى إبراهيم بن أبى بكر ، عن مجاهد (قُلْ لاأجِدُ فِيما أُوحِيَ إلَىَّ مُحَرَّما) قال : مما كان فى الجاهلية يأكلون لاأجد محرّما من ذلك على طاعم يطعمه ، إلا أن يكون ميتة ، أو دما مسفوحا .وأما قوله (أوْ دَمًا مَسْفُوحًا) فإن معناه : أودما مسالا مهراقا، يقال منه : سفحت دمه : إذا أرقته ، أسفحه سفحا ، فهو دم مسفوح ، كما قال طرفة بن العبد :

إنّى وَجَدِّكَ ما هَجَوْتُكَ والْـ ... أنْصابِ يُسْفَحُ فَوْقَهُنَّ دَمُ[1]

وكما قال عبيد بن الأبرص :

إذَا ما عادَهُ مِنَّا نِساءٌ ... سَفَحْنَ الدَّمْعَ مِن بعدِ الرَّنِينِ[2]

يعنى : صببن ، وأسلن الدمع . وفى اشتراطه جلّ ثناؤه فى الدم عند إعلامه عباده تحريمه إياه المسفوح منه دون غيره ، الدليل الواضح أن ما لم يكن منه مسفوحا فحلال غير نجس .

وذلك كالذى حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا ابن عيينة ، عن عمرو ، عن عكرمة (أوْ دَمًا مَسْفُوحًا) قال : لولا هذه الآية لتتبع المسلمون من العروق ما تتبعت اليهود .

حدثنا الحسن بن يحيى ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا ابن عيينة ، عن عمرو بن دينار ، عن عكرمة بنحوه ، إلا أنه قال : لاتبع المسلمون .

حدثنى المثنى ، قال : ثنا سويد ، قال : أخبرنا ابن المبارك ، عن ابن عيينة ، عن عمرو بن دينار ، عن عكرمة بنحوه .

حدثنا أبو كريب ، قال : أخبرنا وكيع ، عن عمران بن حدير ، عن أبى مجلز ، فى القدر يعلوها الحمرة من الدم ، قال : إنما حرّم الله الدم المسفوح .

حدثنى المثنى ، قال : ثنا الحجاج بن المنهال ، قال : ثنا حماد ، عن عمران بن حدير ، عن أبى مجلز ،

---

(١) البيت فى شعر طرفة (مختار الشعر الجاهلى طبعة الحلبى ص ٣٤٧) وفيه : « بينهن » فى موضع « فوقهن » . وقوله و« الأنصاب » أقسم بالأوثان التى تقرب لها القرابين . ويسفح : يصب ويراق .

(٢) البيت فى ديوانه (طبعة ليدن سنة ١٩١٣ بإشراف لجنة جب التذكارية ص ٤٥ ، وهو البيت ال ١٧ من القصيدة) وفيه : (منها) فى موضع (منا) و (صفحن) فى موضع (سفحن) . ولم يشرحه . وسفحن : أرقن . والرنين هنا : البكاء بصوت . وقوله منها : الضمير راجع إلى الطعنة فى البيت قبله :

وأسمر قد نصبت لذى سناء ... يرى منى محافظة اليقين

يحاول أن يقوم وقد مضته ... مُغابنة بذى خرص قَتينِ

أى يحاول أن يقوم الرجل من طعنة أماتته وقد مضته : أى نفذت منه الطعنة . والمغابنة : الطعنة التى تغبن من لحمه ، كما يغبن الثوب : أى يثنى . ويروى معاينة : أى وهو يرى ذلك ويعاينه . ويروى معاندة . والخرص : السنان . وقتين : محدد الرأس . والقتين أيضا : القليل الطعم .

قال : سألته عن الدم ، وما يتلطخ بالمذبح من الرأس ، وعن القدر يرى فيها الحمرة ، قال : إنما نهى الله عن الدم المسفوح .

حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة (أَوْ دَمًا مَسْفُوحًا) قال : حرّم الدم ما كان مسفوحا ؛ وأما لحم خالطه دم فلا بأس به .

حدثنى المثنى ، قال : ثنا عبد الله بن صالح ، قال : ثنى معاوية بن صالح ، عن علىّ بن أبى طلحة عن ابن عباس ، قوله (قُلْ لاأَجِدُ فِيما أُوحِىَ إِلىَّ مُحَرَّمًا على طاعِمٍ يَطْعَمُهُ إِلاَّ أَنْ يَكُونَ مَيْتَةً أَوْ دَمًا مَسْفُوحًا) يعنى مهراقا .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، أخبرنى ابن دينار ، عن عكرمة (أَوْ دَمًا مَسْفُوحًا) قال : لولا هذه الآية لتتبع المسلمون عروق اللحم كما تتبعها اليهود .

حدثنى المثنى ، قال : ثنا الحجاج بن المنهال ، قال : ثنا حماد ، عن يحيى بن سعيد ، عن القاسم بن محمد ، عن عائشة أنها كانت لاترى بلحوم السباع بأسا ، والحمرة والدم يكونان على القدر بأسا ، وقرأت هذه الآية (قُلْ لاأَجِدُ فِيما أُوحِىَ إِلىَّ مُحَرَّمًا على طاعِمٍ يَطْعَمُهُ) . . . الآية .

حدثنى المثنى ، قال : ثنا سويد ، قال : أخبرنا ابن المبارك ، عن يحيى بن سعيد ، قال : ثنى القاسم ابن محمد ، عن عائشة قالت (١) ، وذكرت هذه الآية (أَوْ دَمًا مَسْفُوحًا) قلت : وإن البرمة ليرى فى مائها الصفرة . وقد بينا معنى الرجس فيما مضى من كتابنا هذا ، وأنه النجس والنتن ، وما يعصى الله به بشواهده فأغنى عن إعادته فى هذا الموضع ، وكذلك القول فى معنى الفسق ، وفى قوله (أُهِلَّ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ) قد مضى ذلك كله بشواهده الكافية من وفق لفهمه عن تكراره وإعادته .

واختلفت القرّاء فى قراءة قوله (إِلاَّ أَنْ يَكُونَ مَيْتَةً) فقرأ ذلك بعض قرّاء أهل المدينة والكوفة والبصرة (إِلاَّ أَنْ يَكُونَ) بالياء (مَيْتَةً) مخففة الياء منصوبة على أن فى يكون مجهولا ، والميتة فعل له فنصبت على أنها فعل يكون ، وذكروا يكون لتذكير المضمر فى يكون ، وقرأ ذلك بعض قرّاء أهل مكة والكوفة (إِلاَّ أَنْ تَكُونَ) بالتاء (مَيْتَةً) بتخفيف الياء من الميتة ونصبها ، وكأن معنى نصبهم الميتة معنى الأوّلين ، وأنثوا تكون لتأنيث الميتة ، كما يقال : إنها قائمة جاريتك ، وإنه قائم جاريتك ، فيذكر المجهول مرّة ، ويؤنث أخرى لتأنيث الاسم الذى بعده . وقرأ ذلك بعض المدنيين (إِلاَّ أَنْ تَكُونَ مَيِّتَةٌ) بالتاء فى تكون ، وتشديد الياء من ميتة ورفعها ، فجعل الميتة اسم تكون ، وأنث تكون لتأنيث الميتة ، وجعل تكون مكتفية بالاسم دون الفعل ، لأن قوله (إِلاَّ أَنْ تَكُونَ مَيْتَةً) استثناء ، والعرب تكتفى فى الاستثناء بالأسماء عن الأفعال ، فيقولون : قام الناس إلا أن يكون أخاك ، وإلا أن يكون أخوك ، فلا تأتى ليكون بفعل ، وتجعلها مستغنية بالاسم ، كما يقال : قام القوم إلا أخاك وإلا أخوك ، فلا يعتد الاسم الذى بعد حرف الاستثناء نفلا .

(١) فيه اختصار يعلم مما قبله .

* والصواب من القراءة في ذلك عندي (إِلاَّ أَنْ يَكُونَ) بالياء (مَيْتَةً) بتخفيف الياء ونصب الميتة، لأن الذي في يكون من المكنيّ من ذكر المذكر ، وإنما هو : قُلْ لاأجد فيما أوحي إليّ محرّما على طاعم يطعمه ، إلا أن يكون ذلك ميتة أو دما مسفوحا . فأما قراءة ميتة بالرفع ، فإنه وإن كان في العربية غير خطإ فإنه في القراءة في هذا الموضع غير صواب، لأن الله يقول (أَوْدَمًا مَسْفُوحًا) فلا خلاف بين الجميع في قراءة الدم بالنصب، وكذلك هو في مصاحف المسلمين ، وهو عطف على الميتة . فإذ كان ذلك كذلك ، فمعلوم أن الميتة لوكانت مرفوعة لكان الدم وقوله أوفسقا مرفوعين ، ولكنها منصوبة فيعطف بهما عليها بالنصب.

القول في تأويل قوله تعالى : ﴿ فَمَنِ اضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَإِنَّ رَبَّكَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾ :

وقد ذكرنا اختلاف أهل التأويل في تأويل قوله (فَمَنِ اضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ) .

* والصواب من القول فيه عندنا فيما مضى من كتابنا هذا في سورة البقرة بما أغنى عن إعادته في هذا الموضع ، وأن معناه : فمن اضطرّ إلى أكل ماحرّم الله من أكل الميتة والدم المسفوح أو لحم الخنزير ، أوماأهلّ لغير الله به ، غير باغ في أكله إياه تلذّذا ، لالضرورة حالة من الجوع ، ولا عاد في أكله بتجاوزه ما حدّه الله وأباحه له من أكله ، وذلك أن يأكل منه ما يدفع عنه الخوف على نفسه بترك أكله من الهلاك ، لم يتجاوز ذلك إلى أكثر منه ، فلا حرج عليه في أكله ما أكل من ذلك (فَإِنَّ اللهَ غَفُورٌ) فيما فعل من ذلك ، فساتر عليه بتركه عقوبته عليه ، ولو شاء عاقبه عليه (رَحِيمٌ) بإباحته إياه أكل ذلك عند حاجته إليه ، ولو شاء حرمه عليه ومنعه منه .

القول في تأويل قوله تعالى :

وَعَلَى الَّذِينَ هَادُوا حَرَّمْنَا كُلَّ ذِي ظُفُرٍ وَمِنَ الْبَقَرِ وَالْغَنَمِ حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ شُحُومَهُمَا إِلَّا مَا حَمَلَتْ ظُهُورُهُمَا أَوِ الْحَوَايَا أَوْ مَا اخْتَلَطَ بِعَظْمٍ ذَٰلِكَ جَزَيْنَاهُم بِبَغْيِهِمْ وَإِنَّا لَصَادِقُونَ ﴿١٤٦﴾

* يقول تعالى ذكره : وحرّمنا على اليهود كلّ ذي ظفر ، وهو من البهائم والطير ، ما لم يكن مشقوق الأصابع كالإبل والأنعام والأوز والبط .

وبنحو ما قلنا في ذلك ، قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثني المثنى ، وعليّ بن داود ، قالا : ثنا عبد الله بن صالح ، قال : ثني معاوية بن صالح ، عن عليّ بن أبي طلحة ، عن ابن عباس ، قوله (وَعَلَى الَّذِينَ هَادُوا حَرَّمْنَا كُلَّ ذِي ظُفُرٍ) وهو البعير والنعامة .

حدثنى محمد بن سعد ، قال : ثنى أبى ، قال : ثنى عمى ، قال : ثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس (وَعلى الَّذِينَ هادُوا حَرَّمْنا كُلَّ ذِى ظُفُرٍ) قال : البعير والنعامة ونحو ذلك من الدوابّ .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا يحيى بن آدم ، عن شريك ، عن عطاء ، عن سعيد (وَعلى الَّذِينَ هادُوا حَرَّمْنا كُلَّ ذِى ظُفُرٍ) قال : هو ليس الذى بمنفرج الأصابع .

حدثنى علىّ بن الحسين الأزدىّ ، قال : ثنا يحيى بن يمان ، عن شريك ، عن عطاء بن السائب ، عن سعيد بن جبير ، فى قوله (وَعلى الَّذِينَ هادُوا حَرَّمْنا كُلَّ ذِى ظُفُرٍ) قال : كل شىء متفرّق[1] الأصابع ، ومنه الديك .

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبوعاصم ، قال : ثنا عيسى ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، قال : (كُلَّ ذِى ظُفُرٍ) : النعامة والبعير .

حدثنى المثنى ، قال : ثنا أبوحذيفة ، قال : ثنا شبل ، عن ابن أبى نجيح ، مثله .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (وَعلى الَّذِينَ هادُوا حَرَّمْنا كُلَّ ذِى ظُفُرٍ) فكان يقال : البعير والنعامة وأشباهه من الطير والحيتان .

حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، قال : ثنا معمر ، عن قتادة (كُلَّ ذِى ظُفُرٍ) قال : الإبل والنعام ، ظفر يد البعير ورجله ، والنعام أيضا كذلك ، وحرّم عليهم أيضا من الطير البط وشبهه ، وكلّ شىء ليس بمشقوق الأصابع .

حدثنى محمد بن الحسين ، قال : ثنا أحمد بن المفضل ، قال : ثنا أسباط ، عن السدىّ : أما كلّ ذى ظفر : فالإبل والنعام .

حدثنى الحرث ، قال : ثنا عبد العزيز ، قال : ثنا شيخ ، عن مجاهد ، فى قوله (وَعلى الَّذِينَ هادُوا حَرَّمْنا كُلَّ ذِى ظُفُرٍ) قال : النعامة والبعير شقا شقا ، قال : قلت : ماشقا شقا ؟ قال ، كل مالم تفرّج قوائمه لم يأكله اليهود ، البعير والنعامة ، والدجاج والعصافير تأكلها اليهود لأنها قد فرجت .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد (كُلَّ ذِى ظُفُرٍ) قال : النعامة والبعير شقا شقا ، قلت للقاسم بن أبى بزة وحدثنيه : ما شقا شقا ؟ قال : كل شىء لم يفرج من قوائم البهائم ، قال : ومانفرج أكلته اليهود ، قال : انفرجت قوائم الدجاج والعصافير ، فيهود تأكلها . قال : ولم تنفرج قائمة البعير خفه ولا خفّ النعامة ، ولا قائمة الوزين ، فلا تأكل اليهود الإبل ولا النعام ولا الوزين ، ولا كلّ شىء لم تنفرج قائمته ، وكذلك لاتأكل حمار وحش .

وكان ابن زيد يقول فى ذلك بما حدثنى به يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله (وَعلى الَّذِينَ هادُوا حَرَّمْنا كُلَّ ذِى ظُفُرٍ) الإبل فقط .

❊ وأولى القولين فى ذلك بالصواب ، القول الذى ذكرنا عن ابن عباس ، ومن قال بمثل مقالته ، لأن الله

(١) لعله غير متفرق ليوافق ما قبله وما يأتى بعده .

جلّ ثناؤه أخبر أنه حرّم على اليهود كلّ ذى ظُفُر ، فغير جائز إخراج شىء من عموم هذا الخبر ، إلا ما أجمع أهل العلم أنه خارج منه . وإذا كان ذلك كذلك ، وكان النعام وكلّ ما لم يكن من البهائم والطير مما له ظفر ، غير منفرج الأصابع داخلا فى ظاهر التنزيل ، وجب أن يحكم له بأنه داخل فى الخبر ، إذ لم يأت بأن بعض ذلك غير داخل فى الآية ، خبر عن الله ، ولا عن رسوله ، وكانت الأمة أكثرها مجمع على أنه فيه داخل .

القول فى تأويل قوله تعالى : ﴿وَمِنَ الْبَقَرِ وَالْغَنَمِ حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ شُحُومَهُمَا إِلَّا مَا حَمَلَتْ ظُهُورُهُمَا﴾

اختلف أهل التأويل فى الشحوم التى أخبر الله تعالى أنه حرّمها على اليهود من البقر والغنم ، فقال بعضهم : هى شحوم الثروب خاصة .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (وَمِنَ الْبَقَرِ وَالْغَنَمِ حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ شُحُومَهُمَا) الثروب . ذكر لنا أن نبىّ الله صلى الله عليه وسلم كان يقول : « قاتل الله اليهود حَرَّمَ اللهُ عَلَيْهِمُ الثُّرُوبَ ثُمَّ أَكَلُوا أَثْمَانَهَا » .

وقال آخرون : بل ذلك كان كلّ شحم لم يكن مختلطا بعظم ولا على عظم .

ذكر من قال ذلك

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، قال : قال ابن جريج ، قوله (حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ شُحُومَهُمَا) قال : إنما حرّم عليهم الثَّرْب ، وكلّ شحم كدن[1] كذلك ليس فى عظم .

وقال آخرون : بل ذلك شحم الثَّرْب والكُلَى .

ذكر من قال ذلك

حدثنى محمد بن الحسين ، قال : ثنا أحمد بن مفضل ، قال : ثنا أسباط ، عن السدىّ ، قوله (حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ شُحُومَهُمَا) قال : الثرب وشحم الكليتين ، وكانت اليهود تقول : إنما حرّمه إسرائيل ، فنحن نحرّمه .

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله (حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ شُحُومَهُمَا) قال : إنما حرّم عليهم الثروب والكليتين ، هكذا هو فى كتابى عن يونس ، وأنا أحسب أنه الكلى .

✲ والصواب فى ذلك من القول أن يقال : إن الله أخبر أنه كان حرّم على اليهود من البقر والغنم شحومهما إلا ما استثناه منها ، مما حملت ظهورهما أوالحوايا ، أوما اختلط بعظم ، فكلّ شحم سوى ما استثناه الله فى كتابه من البقر والغنم ، فإنه كان محرّما عليهم .

وبنحو ذلك من القول ، تظاهرت الأخبار عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وذلك قوله : « قَاتَلَ اللهُ الْيَهُودَ ، حُرِّمَتْ عَلَيْهِمُ الشُّحُومُ فَجَمَّلُوهَا ثُمَّ بَاعُوهَا وَأَكَلُوا أَثْمَانَهَا » .

(١) الكدن . بوزن نمر : السمين الكثير .

وأما قوله (إِلاَّ مَا حَمَلَتْ ظُهُورُهُمَا) فإنه يعنى : إلا شحوم الجنب ، وما علق بالظهر ، فإنها لم تحرّم عليهم .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك ، قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنى المثنى ، قال : ثنا عبد الله بن صالح ، قال : ثنى معاوية ، عن علىّ ، عن ابن عباس (إِلاَّ مَا حَمَلَتْ ظُهُورُهُمَا) يعنى : ما علق بالظهر من الشحوم .

حدثنى محمد بن الحسين ، قال : ثنا أحمد بن مفضل ، قال : ثنا أسباط ، عن السدىّ ، أما ما حملت ظهورهما : فالأليات .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبوأسامة ، عن إسماعيل، عن أبى صالح ، قال : الألية مما حملت ظهورهما .

القول فى تأويل قوله تعالى : ﴿أَوِ الْحَوَايَا﴾ :

قال أبوجعفر : والحوايا جمع ، واحدها حاوياء وحاوية وحَوِيَّة : وهى ما تحوّى من البطن فاجتمع واستدار ، وهى بنات اللبن ، وهى المباعر ، وتسمى المرابض ، وفيها الأمعاء . ومعنى الكلام : ومن البقر والغنم حرّمنا عليهم شحومهما إلا ما حملت ظهورهما ، أو ما حملت الحوايا ، فالحوايا رفع عطفا على الظهور ، وما التى بعد إلا ، نصب على الاستثناء من الشحوم .

وبمثل ما قلنا فى ذلك ، قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنى المثنى ، قال : ثنا أبوصالح ، قال : ثنى معاوية ، عن علىّ بن أبى طلحة ، عن ابن عباس (أَوِ الْحَوَايَا) وهى المبعر .

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبوعاصم ، قال : ثنا عيسى ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، فى قول الله (أَوِ الْحَوَايَا) قال : المبعر .

حدثنى المثنى ، قال : ثنا أبوحذيفة ، قال : ثنا شبل ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد : الحوايا : المبعر والمربض .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبوأسامة ، عن شبل ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد (أَوِ الْحَوَايَا) قال : المبعر .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا يحيى بن يمان ، عن سفيان ، عن عطاء ، عن سعيد بن جبير (أَوِ الْحَوَايَا) قال : المباعر .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا يحيى بن آدم ، عن شريك ، عن عطاء ، عن سعيد بن جبير (أَوِ الْحَوَايَا) قال : المباعر .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (أَوِ الْحَوَايَا) قال : المبعر .

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة (أوِ الحَوَايا) قال : المبعر .

حدثنا ابن وكيع ، قال ثنا أبوأسامة والمحاربي ، عن جويبر ، عن الضحاك ، قال : المبعر .

حُدثت عن الحسين بن الفرج ، قال : سمعت أبا معاذ ، قال : ثنا عبيد بن سليمان ، قال : سمعت الضحاك يقول في قوله (أوِ الحَوَايا) يعني : البطون غير الثروب .

حدثني محمد بن سعد ، قال : ثني أبي ، قال : ثني عمي ، قال : ثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله (أوِ الحَوَايا) هوالمبعر .

حدثني محمد بن الحسين ، قال : ثنا أحمد بن المفضل ، قال : ثنا أسباط ، عن السديّ (أوِ الحَوَايا) قال : المباعر .

وقال ابن زيد في ذلك ، ما حدثني به يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله (أوِ الحَوَايا) قال : الحوايا : المرابض التي تكون فيها الأمعاء تكون وسطها . وهي بنات اللبن ، وهي في كلام العرب تُدعى المرابض .

القول في تأويل قوله تعالى : ﴿ أوْ ما اخْتَلَطَ بِعَظْمٍ ﴾ :

يقول تعالى ذكره : ومن البقر والغنم حرّمنا على الذين هادوا شحومهما سوى ما حملت ظهورهما ، أو ما حملت حواياهما ، فإنا أحللنا ذلك لهم ، وإلا ما اختلط بعظم فهو لهم أيضا حلال ، فردّ قوله (أوْ ما اخْتَلَطَ بِعَظْمٍ) على قوله (إلاّ ما حَمَلَتْ ظُهُورُهُما) فما التي في قوله (أوْ ما اخْتَلَطَ بِعَظْمٍ) في موضع نصب عطفا على « ما» التي في قوله (إلاّ ما حَمَلَتْ ظُهُورُهُما) . وعنى بقوله (أوْ ما اخْتَلَطَ بِعَظْمٍ) شحم الألية والجنب ، وما أشبه ذلك .

كما حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثني حجاج ، عن ابن جريج (أوْ ما اخْتَلَطَ بِعَظْمٍ) قال : شحم الألية بالعصعص ، فهو حلال ، وكلّ شيء في القوائم والجنب والرأس والعين قد اختلط بعظم ، فهو حلال .

حدثني محمد بن الحسين ، قال : ثنا أحمد بن المفضل ، قال : ثنا أسباط ، عن السديّ (أوْ ما اخْتَلَطَ بِعَظْمٍ) مما كان من شحم على عظم .

القول في تأويل قوله تعالى : ﴿ ذلكَ جَزَيْناهُمْ بِبَغْيِهِمْ وَإنَّا لَصَادِقُونَ ﴾ :

يقول تعالى ذكره : فهذا الذي حرّمنا على الذين هادوا من الأنعام والطير ، ذوات الأظافير غير المنفرجة ، ومن البقر والغنم ، ما حرّمنا عليهم من شحومهما الذي ذكرنا في هذه الآية ، حرّمناه عليهم عقوبة منا لهم ، وثوابا على أعمالهم السيئة ، وبغيهم على ربهم .

كما حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (ذلكَ جَزَيْناهُمْ بِبَغْيِهِمْ وَإنَّا لَصَادِقُونَ) إنما حرّم ذلك عليهم عقوبة ببغيهم .

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله (ذَلِكَ جَزَيْنَاهُمْ بِبَغْيِهِمْ) فعلنا ذلك بهم ببغيهم .

وقوله (وَإِنَّا لَصَادِقُونَ) يقول : وإنا لصادقون فى خبرنا هذا ، عن هؤلاء اليهود عما حرّمنا عليهم من الشحوم ولحوم الأنعام والطير التى ذكرنا أنا حرّمنا عليهم ، وفى غير ذلك من أخبارنا ، وهم الكاذبون فى زعمهم أن ذلك إنما حرّمه إسرائيل على نفسه ، وأنهم إنما حرّموه لتحريم إسرائيل إياه على نفسه .

القول فى تأويل قوله تعالى :

فَإِن كَذَّبُوكَ فَقُل رَّبُّكُمْ ذُو رَحْمَةٍ وَاسِعَةٍ وَلَا يُرَدُّ بَأْسُهُ عَنِ الْقَوْمِ الْمُجْرِمِينَ ﴿١٤٧﴾

يقول جلّ ثناؤه لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم : فإن كذّبوك يا محمد هؤلاء اليهود فيما أخبرناك أنا حرّمنا عليهم ، وحللنا لهم كما بينا فى هذه الآية ، فقل : ربكم ذو رحمة بنا ، وبمن كان به مؤمنا من عباده وبغيرهم من خلقه ، واسعة ، تسع جميع خلقه ، المحسن والمسىء ، لايعاجل من كفر به بالعقوبة ، ولا من عصاه بالنقمة ، ولا يدع كرامة من آمن به وأطاعه ، ولا يحْرمه ثواب عمله رحمة منه بكلا الفريقين ، ولكن بأسه ، وذلك سطوته وعذابه ، لايردّه إذا أحله عند غضبه على المجرمين بهم عنهم شىء ، والمجرمون هم الذين أجرموا ، فاكتسبوا الذنوب ، واجترحوا السيئات .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك ، قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبوعاصم ، قال : ثنا عيسى ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد (فَإِنْ كَذَّبُوكَ) اليهود .

حدثنى المثنى ، قال : ثنا أبوحذيفة ، قال : ثنا شبل ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد (فَإِنْ كَذَّبُوكَ) اليهود (فَقُلْ رَبُّكُمْ ذُو رَحْمَةٍ وَاسِعَةٍ) .

حدثنى محمد بن الحسين ، قال : ثنا أحمد بن المفضل ، قال : ثنا أسباط ، عن السدىّ ، قال : كانت اليهود يقولون : إنما حرّمه إسرائيل ، يعنى : الثرب وشحم الكليتين ، فنحن نحرّمه ، فذلك قوله (فَإِنْ كَذَّبُوكَ فَقُلْ رَبُّكُمْ ذُو رَحْمَةٍ وَاسِعَةٍ ، وَلَا يُرَدُّ بَأْسُهُ عَنِ الْقَوْمِ الْمُجْرِمِينَ) .

القول فى تأويل قوله تعالى :

سَيَقُولُ الَّذِينَ أَشْرَكُوا لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَشْرَكْنَا وَلَا آبَاؤُنَا وَلَا حَرَّمْنَا مِن شَيْءٍ كَذَٰلِكَ كَذَّبَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ حَتَّىٰ ذَاقُوا بَأْسَنَا قُلْ هَلْ عِندَكُم مِّنْ عِلْمٍ فَتُخْرِجُوهُ لَنَا إِن تَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَإِنْ أَنتُمْ إِلَّا تَخْرُصُونَ ﴿١٤٨﴾

⁂ يقول جلّ ثناؤه (سَيَقُولُ الَّذِينَ أَشْرَكُوا) وهم العادلون بالله الأوثان والأصنام من مشركى قريش (لَوْ شاءَ اللهُ ما أَشْرَكْنا) يقول: قالوا احتجارا من الإذعان للحقّ بالباطل من الحجة لما تبين لهم الحقّ ، وعلموا باطل ماكانوا عليه مقيمين من شركهم ، وتحريمهم ما كانوا يحرّمون من الحروث والأنعام على ماقد بيَّن تعالى ذكره فى الآيات الماضية قبل ذلك (وَجَعَلُوا لِلهِ مِمَّا ذَرَأَ مِنَ الحَرْثِ والأَنْعامِ نَصيبا) وما بعد ذلك لو أراد الله منا الإيمان به ، وإفراده بالعبادة دون الأوثان والآلهة ، وتحليل ما حرّم من البحائر والسوائب وغير ذلك من أموالنا ، ما جعلنا لله شريكا ، ولا جعل ذلك له آباؤنا من قبلنا ، ولا حرّمنا ما نحرّمه من هذه الأشياء التى نحن على تحريمها مقيمون ، لأنه قادر أن يحول بيننا وبين ذلك ، حتى لايكون لنا إلى فعل شىء من ذلك سبيل ، إما بأن يضطرّنا إلى الإيمان وترك الشرك به ، وإلى القول بتحليل ما حرّمنا ؛ وإما بأن يلطف بنا بتوفيقه ، فنصير إلى الإقرار بوحدانيته ، وترك عبادة ما دونه من الأنداد والأصنام ، وإلى تحليل ما حرّمنا ، ولكنه رضى منا ما نحن عليه من عبادة الأوثان والأصنام ، واتخاذ الشريك له فى العبادة والأنداد ، وأراد ما نحرّم من الحروث والأنعام ، فلم يحل بيننا وبين ما نحن عليه من ذلك ، قال الله مكذّبا لهم فى قيلهم : إن الله رضى منا ما نحن عليه من الشرك ، وتحريم ما نحرّم ، ورادّا عليهم باطل ما احتجوا به من حجتهم فى ذلك (كَذلِكَ كَذَّبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ) يقول : كما كذّب هؤلاء المشركون يامحمد ما جئتهم به من الحقّ والبيان ، كذّب من قبلهم من فسقة الأمم الذين طغوا على ربهم ما جاءتهم به أنبياؤهم من آيات الله ، وواضح حججه ، وردّوا عليهم نصائحهم (حَتّى ذَاقُوا بَأْسَنا) يقول : حتى أسخطونا فغضبنا عليهم ، فأحللنا بهم بأسنا فذاقوه ، فعطبوا بذوقهم إياه ، فخابوا وخسروا الدنيا والآخرة ، يقول : وهؤلاء الآخرون ، مسلوك بهم سبيلهم ، إن هم لم ينيبوا فيؤمنوا ويصدّقوا بما جئتهم به من عند ربهم .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك ، قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنى المثنى ، قال : ثنا عبد الله بن صالح ، قال : ثنى معاوية بن صالح ، عن علىّ بن أبى طلحة ، عن ابن عباس ، قوله (لَوْ شاءَ اللهُ ما أَشْرَكْنا وَلا آباؤُنا) وقال (كَذلِكَ كَذَّبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ) ثم قال (وَلَوْ شاءَ اللهُ ما أَشْرَكُوا) فإنهم قالوا : عبادتنا الآلهة ، تقرّبنا إلى الله زلفى ، فأخبرهم الله أنها لاتقربهم ، وقوله (وَلَوْ شاءَ اللهُ ما أَشْرَكُوا) يقول الله سبحانه : لو شئتُ لجمعتهم على الهدى أجمعين .

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبوعاصم ، عن عيسى ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد (وَلا حَرَّمْنا مِنْ شَىْءٍ) قال : قول قريش ، يعنى : إن الله حرم هذه البحيرة والسائبة .

حدثنى المثنى ، قال : ثنا أبوحذيفة ، قال : ثنا شبل ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد (وَلا حَرَّمْنا مِنْ شَىْءٍ) قول قريش بغير يقين : إن الله حرّم هذه البحيرة والسائبة .

⁂ فإن قال قائل : وما برهانك على أن الله تعالى إنما كذّب من قيل هؤلاء المشركين قولهم : رضى الله منا

عبادة الأوثان ، وأراد منا تحريم ما حرّمنا من الحروث والأنعام ، دون أن يكون تكذيبه إياهم ، كان على قولهم (لَوْ شاءَ اللهُ ما أشْرَكْنا وَلا آباؤُنا ، وَلا حَرَّمْنا مِنْ شَيْءٍ) وعلى وصفهم إياه بأنه قد شاء شركهم وشرك آبائهم ، وتحريمهم ما كانوا يحرّمون ، قيل : له الدلالة على ذلك ، قوله (كذلكَ كَذَّبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ) فأخبر جلّ ثناؤه عنهم أنهم سلكوا فى تكذيبهم نبيهم محمدا صلى الله عليه وسلم ، فيما آتاهم به من عند الله من النهى عن عبادة شيء غير الله تعالى ، وتحريم غير ما حرّم الله فى كتابه وعلى لسان رسوله مسلك أسلافهم من الأمم الخالية المكذّبة الله ورسوله ، والتكذيب منهم إنما كان لمكذّب ، ولو كان ذلك خبرا من الله عن كذبهم فى قيلهم (لَوْ شاءَ اللهُ ما أشْرَكْنا وَلا آباؤُنا) لقال (كذلكَ كَذَبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ) بتخفيف الذال ، وكان ينسبهم فى قيلهم ذلك إلى الكذب على الله ، لا إلى التكذيب مع علل كثيرة يطول بذكرها الكتاب ، وفيما ذكرنا كفاية لمن وفق لفهمه .

القول فى تأويل قوله تعالى :﴿قُلْ هَلْ عِنْدَكُمْ مِنْ عِلْمٍ فَتُخْرِجُوهُ لَنا إنْ تَتَّبِعُونَ إلاَّ الظَّنَّ وإنْ أنْتُمْ إلاَّ تَخْرُصُونَ﴾ :

يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم : قل يا محمد لهؤلاء العادلين بربهم الأوثان والأصنام المحرّمين ما هم له محرّمون من الحروث والأنعام ، القائلين (لَوْ شاءَ اللهُ ما أشْرَكْنا وَلا آباؤُنا ، وَلا حَرَّمْنا مِنْ شَيْءٍ) ولكنه رضى منا ما نحن عليه من الشرك ، وتحريم ما نحرّم. هل عندكم بدعواكم ما تدّعون على الله من رضاه بإشراككم فى عبادته ما تشركون ، وتحريمكم من أموالكم ما تحرّمون علم يقين من خبر من يقطع خبره العذر ، أو حجة توجب لنا اليقين من العلم فتخرجوه لنا ، يقول : فتظهروا ذلك لنا وتبينوه ، كما بينا لكم مواضع خطإ قولكم وفعلكم ، وتناقض ذلك واستحالته فى المعقول والمسموع (إنْ تَتَّبِعُونَ إلاَّ الظَّنَّ) يقول له ؛ قل لهم : إن تقولون ماتقولون أيها المشركون ، وتعبدون من الأوثان والأصنام ما تعبدون ، وتحرّمون من الحروث والأنعام ما تحرّمون إلا ظنا وحسبانا أنه حقّ ، وأنكم على حقّ وهو باطل ، وأنتم على باطل (وَإنْ أنْتُمْ إلاَّ تَخْرُصُونَ) يقول : وإن أنتم ، وما أنتم فى ذلك كله إلا تخرُصون ، يقول : إلا تتقوّلون الباطل على الله ظنا بغير يقين علم ، ولا برهان واضح .

القول فى تأويل قوله تعالى

﴿قُلْ فَلِلَّهِ ٱلْحُجَّةُ ٱلْبَٰلِغَةُ فَلَوْ شَآءَ لَهَدَىٰكُمْ أَجْمَعِينَ ١٤٩﴾

يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم : قل يا محمد لهؤلاء العادلين بربهم الأوثان والأصنام ، القائلين على ربهم الكذب فى تحريمهم ما حرّموا من الحروث والأنعام ، إن عجزوا عن إقامة الحجة عند قيلك لهم : هل عندكم من علم بما تدّعون على ربكم ، فتخرجوه لنا ، وعن إخراج علم ذلك لك وإظهاره ، وهم لاشكّ عن ذلك عجزة ، وعن إظهاره مقصرّون ، لأنه باطل لاحقيقة له ، فالله الذى حرّم عليكم أن تشركوا به شيئا ، وأن تتبعوا خطوات الشيطان فى أموالكم من الحروث والأنعام ، الحجة البالغة

دونكم أيها المشركون ، ويعني بالبالغة : أنها تبلغ مراده في ثبوتها على من احتجّ بها عليه من خلقه ، وقطع عذره إذا انتهت إليه فيما جعلت حجة فيه (فَلَوْ شاءَ لَهَدَاكُمْ أَجْمَعِينَ) يقول : فلو شاء ربكم لوفقكم أجمعين للإجماع على إفراده بالعبادة والبراءة من الأنداد والآلهة والدينونة ، بتحريم ما حرّم الله ، وتحليل ما حلله الله ، وترك اتباع خطوات الشيطان ، وغير ذلك من طاعاته ، ولكنه لم يشأ ذلك ، فخالف بين خلقه فيما شاء منهم ، فمنهم كافر ، ومنهم مؤمن .

وبنحو الذي قلنا في ذلك ، قال جماعة من أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثني المثنى ، قال : ثنا إسحاق ، قال : ثنا عبد الله بن أبي جعفر ، عن أبيه ، عن الربيع بن أنس ، قال : لاحجة لأحد عصى الله ، ولكن لله الحجة البالغة على عباده ، وقال (فَلَوْ شاءَ لَهَدَاكُمْ أَجْمَعِينَ) قال : (لا يُسْئَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْئَلُونَ) .

القول في تأويل قوله تعالى :

قُلْ هَلُمَّ شُهَدَاءَكُمُ الَّذِينَ يَشْهَدُونَ أَنَّ اللَّهَ حَرَّمَ هَٰذَا فَإِن شَهِدُوا فَلَا تَشْهَدْ مَعَهُمْ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَالَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ وَهُم بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ ﴿١٥٠﴾

❊ يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم : قل يا محمد لهؤلاء المفترين على ربهم من عبدة الأوثان ، الزاعمين أن الله حرّم عليهم ما هم محرموه من حروثهم وأنعامهم (هَلُمَّ شُهَدَاءَكُمْ) يقول : هاتوا شهداءكم الذين يشهدون على الله أنه حرّم عليكم ما تزعمون أنه حرّمه عليكم . وأهل العالية من تهامة توحد هلمّ في الواحد والاثنين والجمع ، وتذكر في المؤنث والمذكر ، فتقول للواحد : هلمّ يا فلان وللاثنين والجمع كذلك ، وللأنثى مثله ؛ ومنه قول الأعشى :

وكانَ دَعا قَوْمَــهُ دَعْوَةً هَلُمَّ إلى أمْرِكُمْ قَدْ صُرِمْ[1]

يُنشِد هلمّ وهلموا . وأما أهل السافلة من نجد ، فإنهم يوحدون للواحد ، ويثنون للاثنين ، ويجمعون للجميع فيقال للواحد من الرجال : هلمّ ، وللواحدة من النساء : هلمي ، وللاثنين : هلما ، وللجماعة من الرجال هلموا ، وللنساء : هَلْمُمْنَ .

قال الله لنبيه (فإنْ شَهِدُوا) يقول : يا محمد . فإن جاءوك بشهداء يشهدون أن الله حرّم ما يزعمون أن الله حرّمه عليهم (فَلَا تَشْهَدْ مَعَهُمْ) فإنهم كذبة وشهود زور في شهادتهم بما شهدوا به من ذلك على

(١) البيت في ديوان الأعشى (طبعة القاهرة بشرح الدكتور محمد حسين ص ٤٣) وفي روايته : « رهطه » في موضع « قومه » . وهو البيت ٦٤ من قصيدة له يمدح بها قيس بن معديكرب . والبيت مرتبط بأبيات قبله في قصة ذكرها الشاعر ، معتبرا بما آل إليه « الحضر » ، وهو قصر كان حيال تكريت بين دجلة والفراة بناه الضيزن ، وهو رجل قيل من قضاعة ، تملك على الجزيرة ، وغزا بلاد الفرس ، وأخذ أخت ملكها سابور ، فغزاه سابور بجنوده ، وأخذوا يضربون القصر بفئوسهم حولين ، وحاول صاحبه استنقاذه فهجم عليه ليلا ، وأخذ يدعو قومه ويحمسهم ويذكرهم بسالف أيامهم إذ كانوا ناعمين في ظل القصر وصاحبه .

الله . وخاطب بذلك جلّ ثناؤه نبيه صلى الله عليه وسلم ، والمراد به أصحابه والمؤمنون به (وَلا تَتَّبِعْ أهْوَاءَ الَّذِينَ كَذَّبُوا بآياتنا) يقول : ولا تتابعهم على ما هم عليه من التكذيب بوحى الله وتنزيله فى تحريم ما حرّم ، وتحليل ما أحلّ لهم ، ولكن اتبع ما أوحى إليك من كتاب ربك الذى لايأتيه الباطل من بين يديه ، ولا من خلفه (وَالَّذِينَ لايُؤْمِنُونَ بالآخِرَةِ) يقول : ولا تتبع أهواء الذين لايؤمنون بالآخرة ، فتكذّب بما هم به مكذّبون من إحياء الله خلقه بعد مماتهم ، ونشره إياهم بعد فنائهم (وَهُمْ بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ) يقول : وهم مع تكذيبهم بالبعث بعد الممات ، وجحودهم قيام الساعة بالله يعدلون الأوثان والأصنام ، فيجعلونها له عدلا ، ويتخذونها له ندّا يعبدونها من دونه .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك ، قال جماعة من أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنى محمد بن الحسين ، قال : ثنا أحمد بن المفضل ، قال : ثنا أسباط ، عن السدىّ ، قوله (هَلُمَّ شُهَدَاءَكُمُ الَّذِينَ يَشْهَدُونَ أنَّ اللهَ حَرَّمَ هَذَا) يقول : قل أرونى الذين يشهدون أن الله حرّم هذا مما حرّمت العرب ، وقالوا : أمرنا الله به ، قال الله لرسوله (فإنْ شَهِدُوا فَلا تَشْهَدْ مَعَهُمْ) .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، قوله (هَلُمَّ شُهَدَاءَكُمُ الَّذِينَ يَشْهَدُونَ أنَّ اللهَ حَرَّمَ هَذَا) قال : البحائر والسيب .

القول فى تأويل قوله تعالى :

﴿ قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ أَلَّا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُم مِّنْ إِمْلَاقٍ نَّحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ وَلَا تَقْرَبُوا الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ ذَٰلِكُمْ وَصَّاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿١٥١﴾ ﴾

يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم : قل يا محمد لهؤلاء العادلين بربهم الأوثان والأصنام ، الزاعمين أن الله حرّم عليهم ماهم محرّموه من حروثهم وأنعامهم ، على ما ذكرت لك فى تنزيلى عليك : تعالوا أيها القوم أقرأ عليكم ما حرّم ربكم حقا يقينا ، لاالباطل ، تخرّصا كخرصكم على الله الكذب والفرية ظنا ، ولكن وحيا من الله أوحاه إلىّ ، وتنزيلا أنزله علىّ ، ألا تشركوا بالله شيئا من خلقه ، ولا تعدلوا به الأوثان والأصنام ، ولا تعبدوا شيئا سواه (وَبالوَالِدَيْن إحْسانا) يقول : وأوصى بالوالدين إحسانا ، وحذف أوصى وأمر لدلالة الكلام عليه ، ومعرفة السامع بمعناه ، وقد بينا ذلك بشواهده فيما مضى من الكتاب .

وأما « أن » فى قوله (أنْ لاتُشْرِكُوا بِهِ شَيْئا) فرفع ، لأن معنى الكلام : قل تعالوا أتل ماحرّم ربكم عليكم ، هو أن لاتشركوا به شيئا . وإذا كان ذلك معناه ، كان فى قوله (تُشْرِكُوا) وجهان : الجزم

بالنهى ، وتوجيه « لا » إلى معنى النهى والنصب على توجيه الكلام إلى الخبر ، ونصب تشركوا بألا كما يقال : أمرتك أن لاتقوم ، وإن شئت جعلت « أن » فى موضع نصب ردًّا على « ما » وبيانا عنها ، ويكون فى قوله (تُشْرِكُوا) أيضا من وجهى الإعراب نحو ما كان فيه منه ، وأن فى موضع رفع ، ويكون تأويل الكلام حينئذ : قل تعالوا أتل ما حرّم ربكم عليكم ، أتل أن لاتشركوا به شيئا .

❊ فإن قال قائل : وكيف يجوز أن يكون قوله (تُشْرِكُوا) نصبا بأن لا ، أم كيف يجوز توجيه قوله : أن لاتشركوا به ، على معنى الخبر ، وقد عطف عليه بقوله (وَلا تَقْتُلُوا أَوْلادَكُمْ مِنْ إِمْلاقٍ) وما بعد ذلك من جزم النهى ؟ قيل : جاز ذلك كما قال تعالى ذكره (قُلْ إِنّى أُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ أَوَّلَ مَنْ أَسْلَمَ) فجعل أن أكون خبرا ، وأن اسما ثم عطف عليه ، وكما قال الشاعر :

حَجَّ وأَوْصَى بِسُلَيْمَى الأعْبُدَا أَنْ لاتَرَى وَلا تُكَلِّمْ أَحَدَا
وَلا يَزَلْ شَرابُها مُبَرَّدَا(١)

فجعل قوله « أن لاترى » خبرا ، ثم عطف بالنهى ، فقال : ولا تكلم ، ولا يزل .

القول فى تأويل قوله تعالى : ﴿ وَلا تَقْتُلُوا أَوْلادَكُمْ مِنْ إِمْلاقٍ نَحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ ﴾ :

يعنى تعالى ذكره بقوله (وَلا تَقْتُلُوا أَوْلادَكُمْ مِنْ إِمْلاقٍ) ولا تئدوا أولادكم فتقتلوهم من خشية الفقر على أنفسكم بنفقاتهم ، فإن الله هو رازقكم وإياهم ، ليس عليكم رزقهم ، فتخافوا بحياتهم على أنفسكم العجز عن أرزاقهم وأقواتهم . والإملاق : مصدر من قول القائل : أملقت من الزاد ، فأنا أملق إملاقا ، وذلك إذا فنى زاده ، وذهب ماله وأفلس .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك ، قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنى المثنى ، قال : ثنا عبد الله بن صالح ، قال : ثنى معاوية ، عن علىّ ، عن ابن عباس ، قوله (وَلا تَقْتُلُوا أَوْلادَكُمْ مِنْ إِمْلاقٍ) الإملاق : الفقر ، قتلوا أولادهم خشية الفقر .

حدثنا بشر بن معاذ ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، فى قوله (وَلا تَقْتُلُوا أَوْلادَكُمْ مِنْ إِمْلاقٍ) أى خشية الفاقة .

حدثنى محمد بن الحسين ، قال : ثنا أحمد بن المفضل ، قال : ثنا أسباط ، عن السدى (وَلا تَقْتُلُوا أَوْلادَكُمْ مِنْ إِمْلاقٍ) قال : الإملاق : الفقر .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، قال : قال ابن جريج ، قوله (مِنْ إِمْلاقٍ) قال : شياطينهم يأمرونهم أن يئدوا أولادهم خيفة العيلة .

(١) هذه أبيات ثلاثة من مشطور الرجز ، ولم أقف على قائلها ، والشاهد فيها أن « لا » فى قوله (لا ترى) لا نافية ، وقد عطف عليها الفعل بعدها مجزوما بلا الناهية ، كما قال أبوجعفر .

حُدثت عن الحسين بن الفرج ، قال : سمعت أبا معاذ يقول : ثنا عبيد بن سليمان ، عن الضحاك ، فى قوله (مِنْ إمْلاقٍ) يعنى : من خشية فقر .

القول فى تأويل قوله تعالى : ﴿وَلا تَقْرَبُوا الفَوَاحِشَ ما ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ ﴾ :

يقول تعالى ذكره : ولا تقربوا الظاهر من الأشياء المحرّمة عليكم ، التى هى علانية بينكم ، لاتتناكرون ركوبها ، والباطن منها الذى تأتونه سرّا فى خفاء لاتجاهرون به ، فإن كلّ ذلك حرام . وقد قيل : إنما قيل لاتقربوا ما ظهر من الفواحش وما بطن ، لأنهم كانوا يستقبحون من معانى الزنا بعضا : وليس ما قالوا من ذلك بمدفوع ، غير أن دليل الظاهر من التنزيل على النهى عن ظاهر كلّ فاحشة وباطنها ، ولا خبر يقطع العذر بأنه عُنى به بعضٌ دون جميع ، وغير جائز إحالة ظاهر كتاب الله إلى باطن إلا بحجة يجب التسليم لها .

ذكر من قال : ما ذكرنا من قول من قال الآية خاصّ المعنى .

حدثنى محمد بن الحسين ، قال : ثنا أحمد بن المفضل ، قال : ثنا أسباط ، عن السدىّ (وَلا تَقْرَبُوا الفَوَاحِشَ ما ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ) أما ما ظهر منها : فزوانى الحوانيت ، وأما ما بطن : فما خفى .

حدثت عن الحسين بن الفرج ، قال : سمعت أبا معاذ يقول : ثنا عبيد بن سليمان ، عن الضحاك ، قوله (وَلا تَقْرَبُوا الفَوَاحِشَ ما ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ) كان أهل الجاهلية يستسرّون بالزنا ، ويرون ذلك حلالا ما كان سرّا ، فحرّم الله السرّ منه والعلانية (ما ظَهَرَ مِنْهَا) يعنى : العلانية (وَمَا بَطَنَ) يعنى : السرّ .

حدثنى المثنى ، قال : ثنا عبد الله بن صالح ، قال : ثنى معاوية ، عن علىّ بن أبى طلحة ، عن ابن عباس ، قوله (وَلا تَقْرَبُوا الفَوَاحِشَ ما ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ) قال : كانوا فى الجاهلية لايرون بالزنا بأسا فى السرّ ، ويستقبحونه فى العلانية ، فحرّم الله الزنا فى السرّ والعلانية .

وقال آخرون فى ذلك بمثل الذى قلنا فيه .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر بن معاذ ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (وَلا تَقْرَبُوا الفَوَاحِشَ ما ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ) : سرّها وعلانيتها .

حدثنى محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة ، نحوه .

وقال آخرون : ما ظهر نكاح الأمهات ، وحلائل الآباء ، وما بطن : الزنا .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبى ، عن أبيه ، عن خصيف ، عن مجاهد (وَلا تَقْرَبُوا الفَوَاحِشَ ما ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ) قال : ماظهر : جمع بين الأختين ، وتزويج الرجل[1] امرأة أبيه من بعده ، وما بطن : الزنا .

وقال آخرون فى ذلك بما حدثنى إسحاق بن زياد العطار البصرى ، قال : ثنا محمد بن إسحاق البلخى ، قال

(١) يريد : أن يتزوج الرجل . . . الخ .

ثنا تميم بن شاكر الباهلي ، عن عيسى بن أبي حفصة ، قال : سمعت الضحاك يقول : في قوله (وَلَا تَقْرَبُوا الْفَوَاحِشَ ما ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ) قال : ما ظهر الخمر ، وما بطن : الزنا .

القول في تأويل قوله تعالى : ﴿ وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ ، ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴾ :

يقول تعالى ذكره : (قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ ، أَنْ لَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا - وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حرّم الله إِلَّا بِالْحَقِّ) يعني بالنفس التي حرّم الله قتلها : نفس مؤمن أو معاهَد . وقوله (إلا بالحقّ) يعني : بما أباح قتلها به ، من أن تقتل نفسا ، فتقتل قودا بها ، أو تزني وهي محصنة ، فترجم ، أو ترتدّ عن دينها الحقّ فتُقتل ؛ فذلك الحقّ الذي أباح الله جلّ ثناؤه قتل النفس التي حرّم على المؤمنين قتلها به ، (ذَلِكُمْ) يعني : هذه الأمور التي عهد إلينا فيها ربنا أن لا نأتيه ، وأن لا ندعه ، هي الأمور التي أوصانا والكافرين بها أن نعمل جميعا به (لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ) يقول : وصاكم بذلك لعلكم تعقلون ما وصاكم به ربكم .

القول في تأويل قوله تعالى :

﴿ وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ حَتَّى يَبْلُغَ أَشُدَّهُ وَأَوْفُوا الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ بِالْقِسْطِ لَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا وَإِذَا قُلْتُمْ فَاعْدِلُوا وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَى وَبِعَهْدِ اللَّهِ أَوْفُوا ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿١٥٢﴾ ﴾

يعني جلّ ثناؤه بقوله (وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ) ولا تقربوا ماله إلا بما فيه صلاحه وتثميره .

كما حدثني المثنى ، قال : ثنا الحماني ، قال : ثنا شريك ، عن ليث ، عن مجاهد (وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ) قال : التجارة فيه .

حدثني محمد بن الحسين ، قال : ثنا أحمد بن المفضل ، قال : ثنا أسباط ، عن السدي (وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ) فليثمِّر ماله .

حدثني الحرث ، قال : ثنا عبد العزيز ، قال : ثنا فضيل بن مرزوق العنزي ، عن سليط بن بلال ، عن الضحاك بن مزاحم ، في قوله (وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ) قال : يبتغي له فيه ، ولا يأخذ من ربحه شيئا .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله (وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ) قال : التي هي أحسن : أن يأكل بالمعروف إن افتقر وإن استغنى فلا يأكل ،

قال الله (وَمَنْ كانَ غَنِيًّا فَلْيَسْتَعْفِفْ ، وَمَنْ كانَ فَقِيرًا فَلْيَأْكُلْ بِالمَعْرُوف) قال : وسئل عن الكسوة فقال : لم يذكر الله الكسوة إنما ذكر الأكل .

وأما قوله (حَتّى يَبْلُغَ أَشُدَّهُ) فإن الأشدّ جمع شدّ ، كما الأضرّ جمع ضرّ ، وكما الأشرّ جمع شرّ ؛ والشدّ : القوّة ، وهو استحكام قوّة شبابه وسنه ، كما شدّ النهار ارتفاعه وامتداده ، يقال : أتيته شدّ النهار ومدّ النهار ، وذلك حين امتداده وارتفاعه ؛ وكان المفضل فيما بلغني ينشد بيت عنترة :

عَهْدِى بِهِ شَدَّ النَّهار كأنَّمَا　　خُضِبَ اللَّبانُ ورأسُهُ بالعِظْلِمِ [1]

ومنه قول الآخر :

يُطِيفُ بِهِ شَدَّ النَّهار ظَعِينَةٌ　　طَوِيلَةُ أنْقاءِ اليَدَيْنِ سَحُوقُ [2]

وكان بعض البصريين يزعم أن الأشدّ ، اسم مثل الآنك . فأما أهل التأويل فإنهم مختلفون في الحين الذى إذا بلغه الإنسان ، قيل بلغ أشدّه ، فقال بعضهم : يقال ذلك له إذا بلغ الحلم .

ذكر من قال ذلك

حدثني أحمد بن عبد الرحمن ، قال : ثنا عمى ، قال : أخبرنى يحيى بن أيوب ، عن عمرو بن الحرث ، عن ربيعة ، فى قوله (حَتّى يَبْلُغَ أَشُدَّهُ) قال : الحلم .

حدثني أحمد بن عبد الرحمن ، قال : ثنا عمى ، قال : ثنى عبد الرحمن بن زيد بن أسلم ، عن أبيه ، مثله.

قال ابن وهب : وقال لى مالك مثله .

حُدثت عن الحمانى ، قال : ثنا هشيم ، عن مجاهد ، عن عامر (حَتّى يَبْلُغَ أَشُدَّهُ) قال : الأشدّ : الحلم ، حيث تكتب له الحسنات ، وتكتب عليه السيئات .

وقال آخرون : إنما يقال ذلك له إذا بلغ ثلاثين سنة .

ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن الحسين ، قال : ثنا أحمد بن المفضل ، قال : ثنا أسباط ، عن السدىّ (حَتّى يَبْلُغَ أَشُدَّهُ) قال : أما أشدّه : فثلاثون سنة ، ثم جاء بعدها (حَتّى إذَا بَلَغُوا النِّكاحَ) ، وفى الكلام محذوف ترك ذكره اكتفاء بدلالة ماظهر عما حذف . وذلك أن معنى الكلام : ولاتقربوا مال اليتيم إلا بالتى هى أحسن ، حتى يبلغ أشدّه ، فإذا بلغ أشده فآنستم منه رشدا ، فادفعوا إليه ماله ، لأنه جلّ ثناؤه لم ينه

(١) البيت لعنترة فى معلقته (مختار الشعر الجاهلى طبعة الحلبى ص ٣٧٧) يصف بطلا من أبطال الحرب أصابه عنترة بطعنة من رمحه فخر صريعا ، وشد النهار : ارتفاعه . ويروى مد النهار ، وهو امتداده . واللبان : صدر الفرس ، ويظهر أنه محرف عن البنان ، كما فى شرح الزوزنى وشرح التبريزى على المعلقات ، وكما فى مختار الشعر الجاهلى . والبنان : الأصابع . والعظلم : نبت يختضب به ، وهو الوسمة . يقول : رأيته عند ارتفاع النهار بعد قتلى إياه ، وقد جف الدم عليه ، كأن أصابعه ورأسه قد خضبت بالعظلم . وفى اللسان : شد النهار : أى أشد النهار . يعنى أعلاه وأمتعه .

(٢) البيت فى (اللسان : سحق) عن ابن الأعرابى . وشد النهار : أعلاه وأرفعه . والظعينة : المرأة ما دامت فى الهودج ، وقيل مطلقا . والأنقاء : جمع نقو ، وهو كل عظم فيه مخ ، يريد قصب اليدين والرجلين . والسحوق : الطويلة ، وأصله من صفات النخلة ، واستعار بعضهم السحوق للمرأة الطويلة ، وأنشد ابن الأعرابى : يطيف . . . الخ .

أن يُقرَب مال اليتيم فى حال يتمه إلا بالتى هى أحسن، حتى يبلغ أشدّه ، ويحلّ لوليه بعد بلوغه أشدّه أن يقربه بالتى هى أسوأ ، ولكنه نهاهم أن يقربوا حياطة منه له ، وحفظا عليه ليسلموه إليه، إذا بلغ أشدّه .

القول في تأويل قوله تعالى ﴿وأوْفُوا الكَيْلَ والمِيزَانَ بالقِسْطِ ، لانُكَلِّفُ نَفْسا إلاَّ وُسْعَهَا﴾:

يقول تعالى ذكره : قل تعالوا أتل ما حرّم ربكم عليكم أن لاتشركوا به شيئا، وأن أوفوا الكيل والميزان يقول : لاتبخسوا الناس الكيل إذا كلتموهم ، والوزن إذا وزنتموهم ، ولكن أوفوهم حقوقهم وإيفاؤهم ذلك : إعطاوهم حقوقهم تامّة بالقسط ، يعنى : بالعدل .

كما حدثنى المثنى ، قال : ثنا أبو حذيفة ، قال : ثنا شبل ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد بالقسط : بالعدل . وقد بيّنا معنى القسط بشواهده فيما مضى ، وكرهنا إعادته .

وأما قوله(لانُكَلِّفُ نَفْسا إلاوُسْعَهَا) فإنه يقول : لانكلف نفسا من إيفاء الكيل والوزن إلا ما يسعها ، فيحلّ لها ، ولا تحرّج فيه ، وذلك أن الله جلّ ثناؤه علم من عباده أن كثيرا منهم تضيق نفسه عن أن تطيب لغيره بما لايجب عليها له ، فأمر المعطى بايفاء ربّ الحقّ حقه الذى هو له ، ولم يكلفه الزيادة لما فى الزيادة عليه من ضيق نفسه بها ، وأمر الذى له الحقّ بأخذ حقه ، ولم يكلفه الرضا بأقلّ منه ، لما فى النقصان عنه من ضيق نفسه ، فلم يكلف نفسا منهما إلا ما لاحرج فيه ولا ضيق ، فلذلك قال (لانُكَلِّفُ نَفْسا إلاَّ وُسْعَهَا) ، وقد استقصينا بيان ذلك بشواهده فى موضع غير هذا الموضع ، بما أغنى عن إعادته .

القول في تأويل قوله تعالى :﴿وَإذَا قُلْتُمْ فاعْدِلُوا وَلَوْكانَ ذَا قُرْبَى ، وَبِعَهْدِ اللهِ أوْفُوا ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ :

يعنى تعالى ذكره بقوله « وَإذَا قُلْتُمْ فاعْدِلُوا) : وإذا حكمتم بين الناس فتكلمتم ، فقولوا الحقّ بينهم ، واعدلوا وأنصفوا ولا تجوروا ، ولو كان الذى يتوجه الحقّ عليه والحكم ذا قرابة لكم ، ولا يحملنكم قرابة قريب ، أو صداقة صديق ، حكمتم بينه وبين غيره ، أن تقولوا غير الحقّ فيما احتكم إليكم فيه ، (وَبِعَهْدِ اللهِ أوْفُوا) يقول : وبوصية الله التى أوصاكم بها فأوفوا ، وإيفاء ذلك أن يطيعوه فيما أمرهم به ونهاهم ، وأن يعملوا بكتابه وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم ، وذلك هو الوفاء بعهد الله .

وأما قوله (ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ) يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم : قل للعادلين بالله الأوثان والأصنام من قومك : هذه الأمور التى ذكرت لكم فى هاتين الآيتين ، هى الأشياء التى عهد إلينا ربنا ، ووصاكم بها ربكم ، وأمركم بالعمل بها ، لابالبحائر والسوائب والوصائل والحام ، وقتل الأولاد ، ووأد البنات ، واتباع خطوات الشيطان (لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ) يقول : أمركم بهذه الأمور التى أمركم بها فى هاتين الآيتين ، ووصاكم بها ، وعهد إليكم فيها لتتذكروا عواقب أمركم ، وخطأ ما أنتم عليه مقيمون ، فتنزجروا عنها ، وترتدعوا وتنيبوا إلى طاعة ربكم . وكان ابن عباس يقول : هذه الآيات هنّ الآيات المحكمات .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبى ، عن علىّ بن أبى صالح ، عن أبى إسحاق ، عن عبد الله بن قيس ،

عن ابن عباس ، قال : هنّ الآيات المحكمات ، قوله (قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ أَنْ لَاتُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا) .

حدثنا محمد بن المثنى ومحمد بن بشار ، قالا : ثنا وهب بن جرير ، قال : ثنا أبى ، قال : سمعت يحيى بن أيوب ، يحدّث عن يزيد بن أبى حبيب ، عن مرثد بن عبد الله ، عن عبيد الله بن عدىّ بن الخيار ، قال : سمع كعب الأحبار رجلا يقرأ (قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ) فقال : والذى نفس كعب بيده ، إن هذا لأوّل شيء فى التوراة (بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ) .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبى ، عن أبيه ، عن سعيد بن مسروق ، عن رجل ، عن الربيع بن خيثم أنه قال لرجل : هل لك فى صحيفة عليها خاتم محمد ؟ ثم قرأ هؤلاء الآيات (قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ ، أَنْ لَاتُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا) .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا إسحاق الرازى ، عن أبى سنان ، عن عمرو بن مرّة ، قال : قال الربيع : ألا أقرأ عليكم صحيفة من رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يفلّ خاتمها ، فقرأ هذه الآيات (قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ) .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا جرير ، عن الأعمش ، عن إبراهيم ، عن علقمة ، قال : جاء إليه نفر فقالوا : قد جالست أصحاب محمد فحدّثنا عن الوحى ، فقرأ عليهم هذه الآيات من الأنعام (قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ أَنْ لَاتُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا) قالوا : ليس عن هذا نسألك ، قال : فما عندنا وحى غيره .

حدثنا محمد بن الحسين ، قال : ثنا أحمد بن المفضل ، قال : ثنا أسباط ، عن السدىّ ، قال : هؤلاء الآيات التى أوصى بها من محكم القرآن .

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله (وَإِذَا قُلْتُمْ فَاعْدِلُوا) قال : قولوا الحقّ .

القول فى تأويل قوله تعالى :

وَأَنَّ هَٰذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِ ۚ ذَٰلِكُمْ وَصَّاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٥٣﴾

﴿ يقول تعالى ذكره : وهذا الذى وصاكم به ربكم أيها الناس فى هاتين الآيتين من قوله (قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ) وأمركم بالوفاء به ، هو صراطه ، يعنى طريقه ودينه الذى ارتضاه لعباده (مُسْتَقِيمًا) يعنى : قويما لااعوجاج به عن الحقّ (فَاتَّبِعُوهُ) يقول : فاعملوا به ، واجعلوه لأنفسكم منهاجا تسلكونه فاتبعوه (وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ) يقول : ولا تسلكوا طريقا سواه ، ولا تركبوا

منهجا غيره ، ولا تبغوا دينا خلافه من اليهودية والنصرانية والمجوسية ، وعبادة الأوثان ، وغير ذلك من الملل ، فإنها بدع وضلالات (فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ) يقول : فيشتت بكم إن اتبعتم السبل المحدثة التي ليست لله بسبل ولا طرق ، ولا أديان اتباعكم إياها عن سبيله ، يعني : عن طريقه ودينه الذي شرعه لكم وارتضاه،وهو الإسلام الذي وصّى به الأنبياء ، وأمر به الأمم قبلكم (ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ): يقول تعالى ذكره : هذا الذي وصاكم به ربكم من قوله لكم (أَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ ، وَلا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ) وصاكم به لعلكم تتقون، يقول: لتتقوا الله في أنفسكم فلا تهلكوها ، وتحذروا ربكم فيها فلا تسخطوه عليها ، فيحلّ بكم نقمته وعذابه .

وبنحو الذي قلنا في ذلك ، قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبوعاصم ، قال : ثنا عيسى ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، في قول الله (وَلا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ) قال : البدع والشبهات .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبوأسامة ، عن شبل ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، مثله .

حدثني المثنى ، قال : ثنا أبوحذيفة ، قال : ثنا شبل ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد (وَلا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ) : البدع والشبهات .

حدثني المثنى ، قال : ثنا عبد الله بن صالح ، قال : ثنا معاوية ، عن عليّ بن أبي طلحة ، عن ابن عباس ، قوله (فَاتَّبِعُوهُ وَلا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ)

وقوله (وَأَقِيمُوا الدِّينَ وَلا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ) ونحو هذا في القرآن ، قال : أمر الله المؤمنين بالجماعة ، ونهاهم عن الاختلاف والفرقة ، وأخبرهم أنه إنما هلك من كان قبلهم بالمراء والخصومات في دين الله .

حدثني محمد بن سعد ، قال : ثني أبي ، قال : ثني عمي ، قال : ثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس، قوله (وَلا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ) يقول : لاتتبعوا الضلالات .

حدثني المثنى ، قال : ثنا الحماني ، قال : ثنا حماد ، عن عاصم ، عن أبي وائل ، عن عبد الله ، قال : « خطّ لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم يوما خطا ، فقال : هَذَا سَبِيلُ اللهِ ، ثم خطّ عن يمين ذلك الخطّ وعن شماله خطوطا ، فقال : هَذِهِ سُبُلٌ على كُلّ سَبِيلٍ مِنْهَا شَيْطَانٌ يَدْعُو إلَيْهَا ، ثم قرأ هذه الآية : (وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ ، وَلا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ) » .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، ، قال : قال ابن زيد في قوله (وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ ، وَلا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ) قال : سبيله : الإسلام ، وصراطه : الإسلام ، نهاهم أن يتبعوا السبل سواه ، فتفرّق بكم عن سبيله : عن الإسلام .

حدثني محمد بن عبدالأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن أبان أن رجلا قال لابن مسعود:

ما الصراط المستقيم ؟ قال : تركنا محمد صلى الله عليه وسلم فى أدناه ، وطرفه فى الجنة ، وعن يمينه جوادّ ، وعن يساره جوادّ ، وثمّ رجال يدعون من مرّ بهم ، فمن أخذ فى تلك الجوادّ انتهت به إلى النار ، ومن أخذ على الصراط انتهى به إلى الجنة ؛ ثم قرأ ابن مسعود (وَأَن هَـٰذَا صِرَاطِى مُسْتَقِيمًا) . . . الآية .

واختلفت القرّاء فى قراءة قوله (وَأَنَّ هَـٰذَا صِرَاطِى مُسْتَقِيمًا) فقرأ ذلك عامة قرّاء المدينة والبصرة وبعض الكوفيين (وأنّ) بفتح الألف من أن ، وتشديد النون ، ردّا على قوله (أَنْ لاتُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا) بمعنى : قل تعالوا أتل ما حرّم ربكم عليكم أن لاتشركوا به شيئا ، وأن هذا صراطى مستقيما . وقرأ ذلك عامة قرّاء الكوفيين (وَإِنَّ) بكسر الألف من أن ، وتشديد النون منها على الابتداء ، وانقطاعها عن الأول ، إذ كان الكلام قد انتهى بالخبر عن الوصية التى أوصى الله بها عباده دونه عندهم .

والصواب من القول فى ذلك عندى : أنهما قراءتان مستفيضتان فى قرّاء الأمصار وعوامّ المسلمين صحيح معنياهما ، فبأىّ القراءتين قرأ القارئ فهو مصيب الحقّ فى قراءته ، وذلك أن الله تعالى ذكره قد أمر باتباع سبيله ، كما أمر عباده بالأشياء ، وإن أدخل ذلك مدخل فيما أمر الله نبيه صلى الله عليه وسلم أن يقول للمشركين (تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ) وما أمركم به ففتح على ذلك « أن » فمصيب ، وإن كسرها إذ كانت التلاوة قولا وإن كان بغير لفظ القول لبعدها من قوله : أتل ، وهو يريد إعمال ذلك فيه فمصيب ، وإن كسرها بمعنى ابتداء وانقطاع عن الأوّل والتلاوة ، وأن ما أمر النبىّ صلى الله عليه وسلم بتلاوته على من أمر بتلاوة ذلك عليهم قد انتهى دون ذلك فمصيب . وقد قرأ ذلك عبد الله بن أبى إسحاق البصرىّ[1] ، وأن بفتح الألف من أن ، وتخفيف النون منها ، بمعنى : قل تعالوا أتل ما حرّم ربكم عليكم أن لاتشركوا به شيئا ، وأن هذا صراطى ، فخففها إذ كانت أن فى قوله (أَنْ لاتُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا) مخففة ، وكانت « أن » من قوله (وَأَنَّ هَـٰذَا صِرَاطِى) معطوفة عليها ، فجعلها نظيرة ما عطفت عليه ، وذلك وإن كان مذهبا ، فلا أحبّ القراءة به لشذوذها عن قراءة قرّاء الأمصار ، وخلاف ما هم عليه فى أمصارهم .

القول فى تأويل قوله تعالى

﴿ ثُمَّ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَـٰبَ تَمَامًا عَلَى ٱلَّذِىٓ أَحْسَنَ وَتَفْصِيلًا لِّكُلِّ شَىْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لَّعَلَّهُم بِلِقَآءِ رَبِّهِمْ يُؤْمِنُونَ ﴾

يعنى جلّ ثناؤه بقوله (ثُمَّ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ) ثم قل بعد ذلك يا محمد : آتى ربك موسى الكتاب ، فترك ذكر قل ، إذ كان قد تقدم فى أوّل القصة ما يدلّ على أنه مراد فيها ذلك قوله (قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ) فقصّ ما حرّم عليهم وأحلّ ، ثم قال : ثم قل : آتينا موسى ، فحذف قل لدلالة قوله : قل عليه ، وأنه مراد فى الكلام .

(١) هو عبد الله بن أبى إسحاق الحضرمى النحوى ، من أوائل نحاة البصرة ، ومن شيوخ القراء بها . توفى سنة ١١٧ .

وإنما قلنا ذلك مراد فى الكلام ، لأن محمدا صلى الله عليه وسلم لاشكّ أنه بعث بعد موسى بدهر طويل وأنه إنما أمر بتلاوة هذه الآيات على من أمر بتلاوتها عليه بعد مبعثه ، ومعلوم أن موسى أوتى الكتاب من قبل أمر الله محمدا بتلاوة هذه الآيات على من أمر بتلاوتها عليه ، وثم فى كلام العرب حرف يدلّ على أن ما بعده من الكلام والخبر بعد الذى قبلها .

ثم اختلف أهل التأويل فى معنى قوله (تَمَاماً عَلَى الَّذِى أَحْسَنَ) فقال بعضهم : معناه : تماما على المحسنين .

ذكر من قال ذلك

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد (تَمَاماً عَلَى الَّذِى أَحْسَنَ) قال : على المؤمنين .

حدثنى المثنى ، قال : ثنا أبو حذيفة ، قال : ثنا شبل ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد (تَمَاماً عَلَى الَّذِى أَحْسَنَ) المؤمنين والمحسنين . وكأن مجاهدا وجه تأويل الكلام ومعناه إلى أن الله جلّ ثناؤه أخبر عن موسى أنه آتاه الكتاب فضيلة على ما آتى المحسنين من عباده .

فإن قال قائل : فكيف جاز أن يقال (عَلَى الَّذِى أَحْسَنَ) فيوحد الذى ، والتأويل على الذين أحسنوا ؟ قيل : إن العرب تفعل ذلك خاصة فى الذى وفى الألف واللام إذا أرادت به الكلّ والجميع ، كما قال جلّ ثناؤه (وَالْعَصْرِ إِنَّ الإِنْسَانَ لَفِى خُسْرٍ) وكما قالوا : أكثر الذى هم فيه فى أيدى الناس ، وقد ذُكِر عن عبد الله بن مسعود أنه كان يقرأ (ذَلِكَ تَمَاماً عَلَى الَّذِينَ أَحْسَنُوا) ، وذلك من قراءته كذلك يؤيد قول مجاهد . وإذا كان المعنى كذلك ، كان قوله (أَحْسَنَ) فعلا ماضيا ، فيكون نصبه لذلك . وقد يجوز أن يكون أحسن فى موضع خفض ، غير أنه نصب ، إذ كان أفعل ، وأفعل لايجرى فى كلامها ، فإن قيل : فبأىّ شىء خفض ؟ قيل : ردّا على الذى إذ لم يظهر له مايرفعه .

فيكون تأويل الكلام حينئذ : ثم آتينا موسى الكتاب تماما على الذى هو أحسن ، ثم حذف هو ، وجاور أحسن الذى ، فعرف بتعريفه ، إذ كان كالمعرفة من أجل أن الألف واللام لايدخلانه ، والذى مثله كما تقول العرب : مررت بالذى خير منك وشرّ منك ، وكما قال الراجز :

إِنَّ الزُّبَيْرِيَّ الَّذِى مِثْلُ الحَلَمْ مَشَّى بِأَسْلَابِكُمْ أَهْلُ العَلَمْ[1]

فأتبع مثل الذى فى الإعراب ، ومن قال ذلك لم يقل : مررت بالذى عالم ، لأن عالما نكرة والذى معرفة، ولا تتبع نكرة معرفة .

وقال آخرون : معنى ذلك : تماما على الذى أحسن موسى فيما امتحنه الله به فى الدنيا من أمره ونهيه .

(١) لم نقف على الرجز ، ولا قائله .

ذكر من قال ذلك

حدثنى المثنى ، قال : ثنا إسحاق ، قال : ثنا عبد الله بن أبى جعفر ، عن أبيه ، عن الربيع (ثُمَّ آتَيْنَا مُوسَى الكِتَابَ تَمَامًا عَلَى الَّذِي أَحْسَنَ) فيما أعطاه الله .

حدثنى محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة (ثُمَّ آتَيْنَا مُوسَى الكِتَابَ تَمَامًا عَلَى الَّذِي أَحْسَنَ) قال : من أحسن فى الدنيا تمم الله له ذلك فى الآخرة .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد عن قتادة قوله (ثُمَّ آتَيْنَا مُوسَى الكِتَابَ تَمَامًا عَلَى الَّذِي أَحْسَنَ) يقول : من أحسن فى الدنيا تمت عليه كرامته الله فى الآخرة . وعلى هذا التأويل الذى تأوّله الربيع يكون أحسن نصبا ، لأنه فعل ماض ، والذى بمعنى ما ، وكان الكلام حينئذ : ثم آتينا موسى الكتاب تماما على ما أحسن موسى : أى آتيناه الكتاب لأتمم له كرامتى فى الآخرة تماما على إحسانه فى الدنيا فى عبادة الله ، والقيام بما كلفه به من طاعته .

وقال آخرون فى ذلك : معناه : ثم آتينا موسى الكتاب تماما على إحسان الله إلى أنبيائه وأياديه عندهم .

ذكر من قال ذلك

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله (ثُمَّ آتَيْنَا مُوسَى الكِتَابَ تَمَامًا عَلَى الَّذِي أَحْسَنَ) قال : تماما من الله وإحسانه الذى أحسن إليهم وهداهم للإسلام ، وآتاهم ذلك الكتاب تماما لنعمته عليهم وإحسانه وأحسن على هذا التأويل أيضا فى موضع نصب على أنه فعل ماض والذى على هذا القول ، والقول الذى قاله الربيع بمعنى « ما » وذكر عن يحيى بن يعمُر أنه كان يقرأ ذلك (تَمَامًا عَلَى الَّذِي أَحْسَنُ) رفعا بتأويل على الذى هو أحسن .

حدثنى بذلك أحمد بن يوسف ، قال : ثنا القاسم بن سلام ، قال : ثنا الحجاج ، عن هارون ، عن أبى عمرو بن العلاء ، عن يحيى بن يعمُر .

قال أبو جعفر : وهذه قراءة لاأستجيز القراءة بها ، وإن كان لها فى العربية وجه صحيح لخلافها ماعليه الحجة مجمعة من قرأة الأمصار .

وأولى هذه الأقوال عندى بالصواب قول من قال : معناه : ثم آتينا موسى الكتاب تماما لنعمنا عنده على الذى أحسن موسى فى قيامه بأمرنا ونهينا ، لأن ذلك أظهر معانيه فى الكلام ، وأن إيتاء موسى كتابه نعمة من الله عليه ، ومنة عظيمة ، فأخبر جلّ ثناؤه أنه أنعم بذلك عليه لما سلف له من صالح عمل وحسن طاعة ، ولو كان التأويل على ما قاله ابن زيد كان الكلام : ثم آتينا موسى الكتاب تماما على الذى أحسنًا ، أو ثم آتى الله موسى الكتاب تماما على الذى أحسن ، وفى وصفه جلّ ثناؤه نفسه بإيتائه الكتاب ، ثم صرفه الخبر بقوله : أحسن ، إلى غير المخبر عن نفسه بقرب ما بين الخبرين ، الدليل الواضح على أن القول غير القول الذى قاله ابن زيد . وأما ماذكر عن مجاهد من توجيهه الذى إلى معنى الجميع فلا دليل فى الكلام يدلّ على صحة ما قال من ذلك ، بل ظاهر الكلام بالذى اخترنا من القول أشبه ، وإذا تنوزع فى تأويل الكلام كان أولى معانيه به أغلبه على الظاهر ، إلا أن يكون من العقل أو الخبر دليل واضح على أنه معنىّ به غير ذلك .

وأما قوله (وَتَفْصِيلاً لِكُلِّ شَيْءٍ) فإنه يعني : وتبيينا لكل شيء من أمر الدين الذي أمروا به .

❁ فتأويل الكلام إذن : ثم آتينا موسى التوراة تماما لنعمنا عنده ، وأيادينا قبله ، تمّ به كرامتنا عليه على إحسانه ، وطاعته ربه ، وقيامه بما كلفه من شرائع دينه ، وتبيينا لكلّ ما لقومه وأتباعه إليه الحاجة من أمر دينهم .

كما حدثني بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (وَتَفْصِيلاً لِكُلِّ شَيْءٍ) فيه حلاله وحرامه .

القول في تأويل قوله تعالى : ﴿وَهُدًى وَرَحْمَةً لَعَلَّهُمْ بِلِقَاءِ رَبِّهِمْ يُؤْمِنُونَ﴾ :

يقول تعالى ذكره : آتينا موسى الكتاب تماما وتفصيلا لكلّ شيء (وَهُدًى) يعني بقوله وهدى : تقويما لهم على الطريق المستقيم ، وبيانا لهم سبل الرشاد لئلا يضلوا (وَرَحْمَةً) يقول : ورحمة منا بهم ، ورأفة ، لننجيهم من الضلالة وعمى الحيرة .

وأما قوله (لَعَلَّهُمْ بِلِقَاءِ رَبِّهِمْ يُؤْمِنُونَ) فإنه يعني : إيتائي موسى الكتاب تماما لكرامة الله موسى على إحسان موسى ، وتفصيلا لشرائع دينه ، وهدى لمن اتبعه ورحمة لمن كان منهم ضالا ، لينجيه الله به من الضلالة ، وليؤمن بلقاء ربه إذا سمع مواعظ الله التي وعظ بها خلقه فيه ، فيرتدع عما هو عليه مقيم من الكفر به ، وبلقائه بعد مماته ، فيطيع ربه ، ويصدّق بما جاءه به نبيه موسى ، صلى الله عليه وسلم.

القول في تأويل قوله تعالى

وَهَٰذَا كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ مُبَارَكٌ فَٱتَّبِعُوهُ وَٱتَّقُوا۟ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿١٥٥﴾

❁ يعني جلّ ثناؤه بقوله (وَهَذَا كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ مُبَارَكٌ) وهذا القرآن الذي أنزلناه إلى نبينا محمد صلى الله عليه وسلم ، كتاب أنزلناه مبارك (فاتَّبِعُوهُ) يقول : فاجعلوه إماما تتبعونه ، وتعملون بما فيه أيها الناس (وَاتَّقُوا) يقول : واحذروا الله في أنفسكم أن تضيعوا العمل بما فيه ، وتتعدّوا حدوده ، وتستحلوا محارمه .

كما حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (وَهَذَا كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ مُبَارَكٌ) وهو القرآن الذي أنزله الله على محمد عليه الصلاة والسلام (فاتَّبِعُوهُ) يقول : فاتبعوا حلاله وحرموا حرامه . وقوله (لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ) يقول : لترحموا فتنجوا من عذاب الله ، وأليم عقابه .

القول في تأويل قوله تعالى :

أَن تَقُولُوٓا۟ إِنَّمَآ أُنزِلَ ٱلْكِتَٰبُ عَلَىٰ طَآئِفَتَيْنِ مِن قَبْلِنَا وَإِن كُنَّا عَن دِرَاسَتِهِمْ لَغَٰفِلِينَ ﴿١٥٦﴾

اختلف أهل العربية فى العامل فى « أن » التى فى قوله (أنْ تَقُولُوا) وفى معنى هذا الكلام ، فقال بعض نحويّى البصرة[1] : معنى ذلك : ثم آتينا موسى الكتاب تماما على الذى أحسن كراهية أن تقولوا : إنما أنزل الكتاب على طائفتين من قبلنا .

وقال بعض نحويى الكوفة : بل ذلك فى موضع نصب بفعل مضمر ، قال : ومعنى الكلام : فاتبعوه واتقوا لعلكم ترحمون ، اتقوا أن تقولوا ؛ قال : ومثله بقول الله (أن تَحْبَطَ أعْمالُكُمْ وأنْتُمْ لاتَشْعُرُونَ) .

وقال آخرون منهم : هو فى موضع نصب ، قال : ونصبه من مكانين ، أحدهما أنزلناه لئلا يقول : إنما أنزل الكتاب على . والآخر من قوله (اتّقوا) قال : ولا يصلح فى موضع أن كقوله (يُبَيِّنُ اللهُ لَكُمْ أنْ تَضِلُّوا) .

❁ وأولى هذه الأقوال عندى بالصواب قول من قال : نصب أن لتعلقها بالإنزال ، لأن معنى الكلام : وهذا كتاب أنزلناه مبارك لئلا تقولوا : إنما أنزل الكتاب على طائفتين من قبلنا . فأما الطائفتان اللتان ذكرهما الله ، وأخبر أنه إنما أنزل كتابه على نبيه محمد ، لئلا يقول المشركون : لم ينزل علينا كتاب فنتبعه ، ولم نؤمر ، ولم ننه ، فليس علينا حجة فيما نأتى ونذر ، إذ لم يأت من الله كتاب ولا رسول ، وإنما الحجة على الطائفتين اللتين أنزل عليهما الكتاب من قبلنا ، فإنهما اليهود والنصارى .

وكذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنى المثنى ، قال : ثنا عبد الله بن صالح ، قال : ثنى معاوية ، عن علىّ بن أبى طلحة ، عن ابن عباس ، قوله (أنْ تَقُولُوا إنَّمَا أُنْزِلَ الكِتابُ على طائِفَتَيْنِ مِنْ قَبْلِنا) وهم اليهود والنصارى .

حدثنى المثنى ، قال : ثنا أبو حذيفة ، قال : ثنا شبل ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد (أنْ تَقُولُوا إنَّمَا أُنْزِلَ الكِتابُ على طائِفَتَيْنِ مِنْ قَبْلِنا) اليهود والنصارى نخاف أن تقوله قريش .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنا حجاج ، عن ابن جريج عن مجاهد (أنْ تَقُولُوا إنَّمَا أُنْزِلَ الكِتابُ على طائِفَتَيْنِ مِنْ قَبْلِنا) قال : اليهود والنصارى قال : أن تقول قريش .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (أنْ تَقُولُوا إنَّمَا أُنْزِلَ الكِتابُ على طائِفَتَيْنِ مِنْ قَبْلِنا) وهم اليهود والنصارى .

حدثنى محمد بن الحسين ، قال : ثنا أحمد بن المفضل ، قال : ثنا أسباط ، عن السدىّ (إنَّمَا أُنْزِلَ الكِتابُ على طائِفَتَيْنِ مِنْ قَبْلِنا) أما الطائفتان : فاليهود والنصارى . وأما (وَإنْ كُنَّا عَنْ دِراسَتِهِمْ لَغافِلِينَ) فإنه يعنى : أن تقولوا : وقد كنا عن تلاوة الطائفتين الكتاب الذى أنزلت عليهم غافلين ، لاندرى ما هى ، ولا نعلم مايقرءون وما يقولون ، وما أنزل إليهم فى كتابهم ، لأنهم كانوا أهله دوننا ،

(١) الذى فى الفخر ، « أنزلناه » أى القرآن : كراهة أن تقولوا . اهـ . وهو الظاهر من المقام .

ولم نعن به ، ولم نؤمر بما فيه ، ولا هو بلساننا ، فيتخذوا ذلك حجة ، فقطع الله بانزاله القرآن على نبيه محمد صلى الله عليه وسلم حجتهم تلك .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك ، قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنى المثنى ، قال : ثنا عبد الله بن صالح ، قال : ثنى معاوية ، عن علىّ بن أبى طلحة ، عن ابن عباس (وَإِنْ كُنَّا عَنْ دِرَاسَتِهِمْ لَغَافِلِينَ) يقول : وإن كنا عن تلاوتهم لغافلين .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (وَإِنْ كُنَّا عَنْ دِرَاسَتِهِمْ لَغَافِلِينَ) أى عن قراءتهم .

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد فى قوله (وَإِنْ كُنَّا عَنْ دِرَاسَتِهِمْ لَغَافِلِينَ) قال : الدراسة : القراءة والعلم ، وقرأ (وَدَرَسُوا مافيه) قال : علموا ما فيه لم يأتوه بجهالة .

حدثنى محمد بن الحسين ، قال : ثنا أحمد بن المفضل ، قال : ثنا أسباط ، عن السدىّ (وَإِنْ كُنَّا عَنْ دِرَاسَتِهِمْ لَغَافِلِينَ) يقول : وإن كنا عن قراءتهم لغافلين لانعلم ما هى .

القول فى تأويل قوله تعالى :

أَوْ تَقُولُوا لَوْ أَنَّا أُنْزِلَ عَلَيْنَا الْكِتَابُ لَكُنَّا أَهْدَى مِنْهُمْ فَقَدْ جَاءَكُمْ بَيِّنَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ كَذَّبَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَصَدَفَ عَنْهَا سَنَجْزِي الَّذِينَ يَصْدِفُونَ عَنْ آيَاتِنَا سُوءَ الْعَذَابِ بِمَا كَانُوا يَصْدِفُونَ ﴿١٥٧﴾

يقول تعالى ذكره : وهذا كتاب أنزلناه مبارك ، لئلا يقول المشركون من عبدة الأوثان من قريش : إنما أنزل الكتاب على طائفتين من قبلنا ، أو لئلا يقولوا : (لَوْ أَنَّا أُنْزِلَ عَلَيْنَا الكتابَ) كما أنزل على هاتين الطائفتين من قبلنا ، فأمرنا فيه ونهينا ، وبيّن لنا فيه خطأ ما نحن فيه من صوابه (لَكُنَّا أَهْدَى مِنْهُمْ) : أى لكنا أشدّ استقامة على طريق الحقّ ، واتباعا للكتاب ، وأحسن عملا بما فيه من الطائفتين اللتين أنزل عليهما الكتاب من قبلنا ، يقول الله (فَقَدْ جاءَكُمْ بَيِّنَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ) يقول : فقد جاءكم كتاب بلسانكم عربىّ مبين ، حجة عليكم واضحة بينة من ربكم (وَهُدًى) يقول : وبيان للحقّ ، وفرقان بين الصواب والخطأ (وَرَحْمَةٌ) لمن عمل به واتبعه ؟

كما حدثنا محمد بن الحسين ، قال : ثنا أحمد بن المفضل ، قال : ثنا أسباط ، عن السدىّ (أَوْ تَقُولُوا لَوْ أَنَّا أُنْزِلَ عَلَيْنا الكِتابُ لَكُنَّا أَهْدَى مِنْهُمْ ، فَقَدْ جاءَكُمْ بَيِّنَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ) يقول : قد جاءكم بينة لسان عربىّ مبين ، حين لم تعرفوا دراسة الطائفتين ، وحين قلتم : لو جاءنا كتاب لكنا أهدى منهم .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (أَوْ تَقُولُوا لَوْ أَنَّا أُنْزِلَ عَلَيْنَا الكِتَابُ لَكُنَّا أَهْدَى مِنْهُمْ) فهذا قول كفار العرب ، فَقَدْ جَاءَكُمْ بَيِّنَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ) .

القول في تأويل قوله تعالى ﴿ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ كَذَّبَ بِآيَاتِ اللهِ وَصَدَفَ عَنْهَا ، سَنَجْزِى الَّذِينَ يَصْدِفُونَ عَنْ آيَاتِنَا سُوءَ العَذَابِ بِمَا كَانُوا يَصْدِفُونَ ﴾ :

يقول جلّ ثناؤه : فمن أخطأُ فعلا ، وأشدّ عدوانا منكم أيها المشركون ، المكذّبون بحجج الله وأدلته وهى آياته (وَصَدَفَ عَنْهَا) يقول : وأعرض عنها بعد ما أتته ، فلم يؤمن بها ، ولم يصدّق بحقيقتها ، وأخرج جلّ ثناؤه الخبر بقوله (فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ كَذَّبَ بِآيَاتِ اللهِ) مخرج الخبر عن الغائب ، والمعنىّ به المخاطبون به من مشركي قريش .

وبنحو الذى قلنا فى تأويل قوله (وَصَدَفَ عَنْهَا) قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنى المثنى ، قال : ثنا عبد الله بن صالح ، قال : ثنى معاوية ، عن علىّ بن أبي طلحة ، عن ابن عباس ، قوله (وَصَدَفَ عَنْهَا) يقول : أعرض عنها .

حدثنى المثنى ، قال : ثنا أبوحذيفة ، قال : ثنا شبل ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد (يَصْدِفُونَ عَنْ آيَاتِنَا) : يعرضون عنها ، والصدف : الإعراض .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (وَصَدَفَ عَنْهَا) أعرض عنها ، (سَنَجْزِى الَّذِينَ يَصْدِفُونَ عَنْ آيَاتِنَا سُوءَ العَذَابِ بِمَا كَانُوا يَصْدِفُونَ) أى يعرضون .

حدثنى محمد بن الحسين ، قال : ثنا أحمد بن المفضل ، قال : ثنا أسباط ، عن السدىّ (وَصَدَفَ عَنْهَا) فصدّ عنها .

وقوله (سَنَجْزِى الَّذِينَ يَصْدِفُونَ عَنْ آيَاتِنَا سُوءَ العَذَابِ) يقول : سيثيب الله الذين يعرضون عن آياته وحججه ولا يتدبرونها ، ولا يتعرّفون حقيقتها فيؤمنوا بما دلّهم عليه من توحيد الله ، وحقية نبوّة نبيه ، وصدق ما جاءهم به من عند ربهم سوء العذاب ، يقول : شديد العقاب ، وذلك عذاب النار التى أعدّها الله لكفرة خلقه به (بِمَا كَانُوا يَصْدِفُونَ) يقول : يفعل الله ذلك بهم ، جزاء بما كانوا يعرضون عن آياته فى الدنيا ، فلا يقبلون ما جاءهم به نبيهم محمد صلى الله عليه وسلم .

القول في تأويل قوله تعالى :

هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا أَن تَأْتِيَهُمُ الْمَلَائِكَةُ أَوْ يَأْتِيَ رَبُّكَ أَوْ يَأْتِيَ بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ يَوْمَ يَأْتِي بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ
لَا يَنفَعُ نَفْسًا إِيمَانُهَا لَمْ تَكُنْ آمَنَتْ مِن قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِي إِيمَانِهَا خَيْرًا قُلِ انتَظِرُوا إِنَّا مُنتَظِرُونَ ﴿١٥٨﴾

يقول جلّ ثناؤه : هل ينتظر هؤلاء العادلون بربهم الأوثان والأصنام ، إلا أن تأتيهم الملائكة بالموت ، فتقبض أرواحهم ، أو أن يأتيهم ربك يا محمد بين خلقه فى موقف القيامة ، أو يأتى بعض آيات ربك ، يقول : أو أن يأتيهم بعض آيات ربك ، وذلك فيما قال أهل التأويل : طلوع الشمس من مغربها .

ذكر من قال من أهل التأويل ذلك .

حدثنى المثنى ، قال : ثنا أبوحذيفة ، قال : ثنا شبل ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد (إلاَّ أنْ تَأْتِيَهُمُ المَلائِكَةُ) يقول : عند الموت حين توفاهم ، ، أو يأتى ربك ذلك يوم القيامة (أوْ يَأْتِىَ بَعْضُ آياتِ رَبِّكَ) طلوع الشمس من مغربها .

حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة (إلاَّ أنْ تَأْتِيَهُمُ المَلائِكَةُ) بالموت (أوْ يَأْتِىَ رَبُّكَ) يوم القيامة (أوْ يَأْتِىَ بَعْضُ آياتِ رَبِّكَ) قال : آية موجبة طلوع الشمس من مغربها ، أو ما شاء الله .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (هَلْ يَنْظُرُونَ إلاَّ أنْ تَأْتِيَهُمُ المَلائِكَةُ) يقول : بالموت (أوْ يَأْتِىَ رَبُّكَ) وذلك يوم القيامة (أوْ يَأْتِىَ بَعْضُ آياتِ رَبِّكَ) .

حدثنى محمد بن الحسين ، قال : ثنا أحمد بن المفضل ، قال : ثنا أسباط ، عن السدىّ (هَلْ يَنْظُرُونَ إلاَّ أنْ تَأْتِيَهُمُ المَلائِكَةُ) عند الموت (أوْ يَأْتِىَ رَبُّكَ ، أوْ يَأْتِىَ بَعْضُ آياتِ رَبِّكَ) يقول : طلوع الشمس من مغربها .

حدثنا ابن وكيع وابن حميد ، قالا : ثنا جرير ، عن منصور ، عن أبى الضحى ، عن مسروق ، قال : قال عبد الله فى قوله (هَلْ يَنْظُرُونَ إلاَّ أنْ تَأْتِيَهُمُ المَلائِكَةُ ، أوْ يَأْتِىَ رَبُّكَ ، أوْ يَأْتِىَ بَعْضُ آياتِ رَبِّكَ) قال : يصبحون والشمس والقمر من ههنا من قبل المغرب كالبعيرين القرينين ؛ زاد ابن حميد فى حديثه ، فذلك حين (لايَنْفَعُ نَفْسًا إيمَانُها لَمْ تَكُنْ آمَنَتْ مِنْ قَبْلُ ، أوْ كَسَبَتْ فى إيمانها خَيْرًا) وقال : كالبعيرين المقترنين .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، قوله (هَلْ يَنْظُرُونَ إلاَّ أنْ تَأْتِيَهُمُ المَلائِكَةُ) تقبض الأنفس بالموت (أوْ يَأْتِىَ رَبُّكَ) يوم القيامة (أوْ يَأْتِىَ بَعْضُ آياتِ رَبِّكَ) .

القول فى تأويل قوله تعالى : ﴿ يَوْمَ يَأْتِى بَعْضُ آياتِ رَبِّكَ لايَنْفَعُ نَفْسًا إيمَانُها لَمْ تَكُنْ آمَنَتْ مِنْ قَبْلُ أوْ كَسَبَتْ فى إيمانها خَيْرًا ﴾ :

يقول تعالى ذكره : يوم يأتى بعض آيات ربك ، لاينفع من كان قبل ذلك مشركا بالله أن يؤمن بعد مجىء تلك الآية . وقيل : إن تلك الآية التى أخبر الله جلّ ثناؤه أن الكافر لاينفعه إيمانه عند مجيئها : طلوع الشمس من مغربها .

ذكر من قال ذلك ، وما ذُكِر فيه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم :

حدثني عيسى بن عثمان الرملي ، قال : ثنا يحيى بن عيسى ، عن ابن أبي ليلى ، عن عطية ، عن أبي سعيد الخدريّ ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «(يَوْمَ يَأْتِي بَعْضُ آياتِ رَبِّكَ لاينْفَعُ نَفْساً إيمانُها) قال : طلوع الشمس مِنْ مَغْرِبِها » .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبي ، عن ابن أبي ليلى ، عن عطية ، عن أبي سعيد ، عن النبيّ صلى الله عليه وسلم ، مثله .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا محمد بن فضيل ، وجرير عن عمارة ، عن أبي زرعة ، عن أبي هريرة ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لاتَقُومُ السَّاعَةُ حتى تَطْلُعَ الشَّمْسُ مِنْ مَغْرِبِها ، قال : فإذا رآها النَّاسُ آمَنَ مَنْ عَلَيْها ، فَتِلْكَ حِينَ لايَنْفَعُ نَفْسا إيمانُها لَمْ تَكُنْ آمَنَتْ مِنْ قَبْلُ ، أَوْ كَسَبَتْ فِي إيمانِها خَيْرًا)» .

حدثنا عبد الحميد بن بيان اليَشْكُريّ وإسحاق بن شاهين ، قالا : أخبرنا خالد بن عبد الله الطحان ، عن يونس ، عن إبراهيم التيمي ، عن أبيه ، عن أبي ذرّ ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يوما : « أتَدْرُونَ أيْنَ تَذْهَبُ هَذِهِ الشَّمْسُ ؟ قالوا : الله ورسوله أعلم ، قال : إنَّها تَذْهَبُ إلى مُسْتَقَرِّها تَحْتَ العَرْشِ ، فَتَخِرُّ ساجِدَةً ، فَلا تَزَالُ كَذلكَ حتى يُقالَ لَها ارْتَفِعِي مِنْ حَيْثُ شِئْتِ ، فَتُصْبِحُ طالِعَةً مِنْ مَطْلَعِها ، ثُمَّ تَجْرِي إلى أنْ تَنْتَهِيَ إلىمُسْتَقَرٍّ لَها تَحْتَ العَرْشِ ، فَتَخِرُّ ساجِدَةً ، فَلا تَزَالُ كَذلكَ حتى يقالَ لَها ارْتَفِعِي مِنْ حَيْثُ شِئْت فَتُصْبِحُ طالِعَةً مِنْ مَطْلَعِها ، ثُم تَجْرِي لايُنْكِرُ النَّاسُ مِنْها شَيْئا ، حتى تَنْتَهِيَ فَتَخِرُّ ساجِدَةً فِي مُسْتَقَرٍّ لَها تَحْتَ العَرْشِ ، فَيُصْبِحُ النَّاسُ لايُنْكِرُونَ مِنْها شَيْئا ، فَيُقالُ لَها : اطْلُعِي مِنْ مَغْرِبِكِ ، فَتُصْبِحُ طالِعَةً مِنْ مَغْرِبِها ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : أتَدْرُونَ أيُّ يَوْمٍ ذلكَ ؟ قالوا : الله ورسوله أعلم ، قال : ذاكَ يَوْمَ لايَنْفَعُ نَفْسا إيمانُها لَمْ تَكُنْ آمَنَتْ مِنْ قَبْلُ ، أوْ كَسَبَتْ فِي إيمانِها خَيْرًا » .

حدثنا مؤمل بن هشام ويعقوب بن إبراهيم ، قالا : ثنا ابن علية ، عن يونس ، عن إبراهيم بن يزيد التيمي ، عن أبيه ، عن أبي ذرّ ، عن النبيّ صلى الله عليه وسلم ، نحوه .

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا عبيد الله ، عن إسرائيل ، عن عاصم ، عن زرّ ، عن صفوان بن عسال ، قال : ثنا رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إنَّ مِنْ قِبَلِ مَغْرِبِ الشَّمْسِ بابا مَفْتُوحا للتَّوْبَةِ ، حتى تطلع الشمس من نحوه ، فإذا طلعت الشمس من نحوه ، لم ينفع نفسا إيمانها لم تكن آمنت من قبل ، أو كسبت فى إيمانها خيرا » .

حدثنا المُفَضل بن إسحاق ، قال : ثنا أشعث بن عبد الرحمن بن زبيد اليامى ، عن أبيه ، عن زبيد ، عن زرّ بن حبيش ، عن صفوان بن عسال المرادى ، قال : ذكرت التوبة ، فقال النبيّ صلى الله عليه وسلم :

« للتَّوْبَةِ بابٌ بالمَغْرِبِ مَسِيرَةَ سَبْعِينَ عاما أوْ أرْبَعِينَ عاما ، فَلا يَزَالُ كذلكَ حَتى يَأْتِيَ بَعْضُ آياتِ رَبِّكَ » .

حدثني محمد بن عمارة ، قال : ثنا سهل بن عامر ، قال : ثنا مالك ، عن عاصم بن أبي النَّجود ، عن زرّ بن حبيش ، عن صفوان بن عسال ، أنه قال : «إن بالمغرب بابا مفتوحا للتوبة مسيرة سبعين عاما ، فإذا طلعت الشمس من مغربها ، لم يفنع نفسا إيمانها لم تكن آمنت من قبل ، أو كسبت فى إيمانها خيرا » .

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا ابن فضيل ، عن عمارة بن القعقاع ، عن أبي زرعة ، عن أبي هريرة ، قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « لاتَقُومُ السَّاعَةُ حتى تَطْلُعَ الشَّمْسُ مِنْ مَغْرِبِها ، فإذَا طَلَعَتْ ورآها النَّاسُ آمَنَ مَنْ عَلَيْها ، فَذلك حِينَ لايَنْفَعُ نَفْسا إيمانُها لَمْ تَكُنْ آمَنَتْ مِنْ قَبْلُ » .

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا خالد بن مخلد ، قال : ثنا محمد بن جعفر ، عن العلاء ، عن أبيه ، عن أبي هريرة ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لا تَقُوم السَّاعَةُ حتى تَطْلُعَ الشَّمْسُ مِنْ مَغْرِبِها ، فَيَوْمَئِذٍ يُؤْمِنِ النَّاسُ كُلُّهُمْ أجْمَعُونَ ، وَذلكَ حِينَ لايَنْفَعَ نَفْسا إيمانُها لَمْ تَكُنْ آمَنَتْ مِنْ قَبْلُ ، أوْ كَسَبَتْ فِي إيمانِها خَيْرًا » .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبي ، عن أبي عون ، عن ابن سيرين ، عن أبي هريرة ، قال: التوبة مقبولة مالم تطلع الشمس من مغربها .

حدثنا أحمد بن الحسن الترمذيّ ، قال : ثنا سليمان بن عبد الرحمن ، قال : ثنا ابن عياش ، قال : ثنا ضمضم بن زرعة ، عن شريح بن عبيد ، عن مالك بن يخامر ، عن معاوية بن أبي سفيان وعبد الرحمن بن عوف ، وعبد الله بن عمرو بن العاص ، عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قال : « لاتَزَالُ التَّوْبَةُ مَقْبُولَةً حتى تَطْلُعَ الشَّمْسُ مِنْ مَغْرِبِها ، فإذَا طَلَعَتْ طُبِعَ على كُلِّ قَلْبٍ بِما فِيهِ ، وكُفِيَ النَّاسُ العَمَلَ » .

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا أبو أسامة وجعفر بن عون ، بنحوه .

حدثني يعقوب ، قال : ثنا ابن علية ، عن أبي حيان التيمي ، عن أبي زرعة ، قال : جلس ثلاثة من المسلمين إلى مروان بن الحكم بالمدينة ، فسمعوه وهو يحدّث عن الآيات ، أن أوّلها خروجا الدجّالُ ، فانصرف القوم إلى عبدالله بن عمرو ، فحدثوه بذلك ، فقال : لم يقل مروان شيئا ، قد حفظت من رسول الله صلى الله عليه وسلم فى ذلك شيئا لم أنسه ، لقد سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « إنَّ أوَّلَ الآياتِ خُرُوجا : طُلُوعُ الشَّمْسِ مِنْ مَغْرِبِها ، أوْ خُرُوجُ الدَّابَّةِ على النَّاسِ ضُحًى ، أيَّتُهُما كانَتْ قَبْلَ صاحِبَتِها فالأُخْرَى على أثَرِها قَرِيبا » ثم قال عبد الله بن عمرو وكان يقرأ الكتب : أظنّ أوّلهما خروجا : طلوع الشمس من مغربها ، وذلك أنها كلما غربت أتت تحت العرش ، فسجدت واستأذنت فى الرجوع ، فيؤذن لها فى الرجوع ، حتى إذا بدا لله أن تطلع من مغربها فعلت كما كانت تفعل

أتت تحت العرش ، فسجدت واستأذنت فى الرجوع ، فلم يردّ عليها شيئا ، فتفعل ذلك ثلاث مرات لا يردّ عليها بشىء ، حتى إذا ذهب من الليل ما شاء الله أن يذهب ، وعرفت أن لو أذن لها لم تدرك المشرق ، قالت : ما أبعد المشرق ربّ من لى بالناس ، حتى إذا صار الأفق كأنه طوق استأذنت فى الرجوع ، فقيل لها : اطلعى من مكانك ، فتطلع من مغربها ، ثم قرأ (يَوْمَ يَأْتِى بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ لَا يَنْفَعُ نَفْسًا إِيمَانُهَا) . . . إلى آخر الآية .

حدثنى المثنى ، قال : ثنا أبو ربيعة فهد ، قال : ثنا حماد ، عن يحيى بن سعيد أبى حيان ، عن الشعبىّ ، أن ثلاثة نفر دخلوا على مروان بن الحكم ، فذكر نحوه ، عن عبد الله بن عمرو .

حدثنا الحسن بن يحيى ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا معمر ، قال : سمعت عاصم بن أبى النجود يحدّث عن زرّ بن حبيش ، عن صفوان بن عسال ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إن بالمَغْرِبِ بابا مَفْتُوحا للتَّوْبَةِ مَسِيرَةَ سَبْعِينَ عاما ، لا يُغْلَقُ حتى تَطْلُعَ الشَّمْسُ مِنْ نَحْوِهِ » .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبو خالد ، عن حجاج ، عن عاصم ، عن زرّ بن حبيش ، عن صفوان ابن عسال ، قال : إذا طلعت الشمس من مغربها ، فيومئذ لا ينفع نفسا إيمانها لم تكن آمنت من قبل .

حدثنى المثنى ، قال : ثنا أبو ربيعة فهد ، قال : ثنا عاصم بن بهدلة ، عن زرّ بن حبيش ، قال : غدونا إلى صفوان بن عسال ، فقال : إن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قال : « إنَّ بابَ التَّوْبَةِ مَفْتُوحٌ مِنْ قِبَلِ المَغْرِبِ ، عَرْضُهُ مَسِيرَةُ سَبْعِينَ عاما ، فَلا يَزَالُ مَفْتُوحا حتى تَطْلُعَ مِنْ قِبَلِهِ الشَّمْسُ ، ثم قرأ (هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَنْ تَأْتِيَهُمُ المَلَائِكَةُ ، أَوْ يَأْتِيَ رَبُّكَ ، أَوْ يَأْتِيَ بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ) . . . إلى (خَيْرًا) » .

حدثنى الربيع بن سليمان ، قال : ثنا شعيب بن الليث ، قال : ثنا الليث ، عن جعفر بن ربيعة ، عن عبد الرحمن بن هرمز ، أنه قال : قال أبو هريرة ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لا تَقُومُ السَّاعَةُ حتى تَطْلُعَ الشَّمْسُ مِنَ المَغْرِبِ ، قال : فإذا طَلَعَتِ الشَّمْسُ مِنَ المَغْرِبِ آمَنَ النَّاسُ كُلُّهُمْ وذلكَ حِينَ لا يَنْفَعُ نَفْسا إيمانُها لَمْ تَكُنْ آمَنَتْ مِنْ قَبْلُ ، أَوْ كَسَبَتْ فِى إيمانِها خَيْرًا »

حدثنا الحسن بن يحيى ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا معمر ، عن أيوب ، عن ابن سيرين ، عن أبى هريرة ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « مَنْ تابَ قَبْلَ أَنْ تَطْلُعَ الشَّمْسُ مِنْ مَغْرِبِها قُبِلَ مِنْهُ » .

حدثنى المثنى ، قال : ثنا فهد ، قال : ثنا حماد ، عن يونس بن عبيد ، عن إبراهيم بن يزيد التيمى ، عن أبى ذرّ ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قال : « إنَّ الشَّمْسَ إذا غَرَبَتْ ، أَتَتْ تَحْتَ العَرْشِ فَسَجَدَتْ ، فَيُقالُ لَها : اطلُعِى مِنْ حَيْثُ غَرَبْتِ ، ثم قرأ هذه الآية (هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَنْ تَأْتِيَهُمُ المَلَائِكَةُ) . . . إلى آخر الآية » .

حدثني المثنى ، قال : ثنا يزيد بن هارون ، عن سفيان بن حسين ، عن الحكم ، عن إبراهيم التيمي ، عن أبيه ، عن أبي ذرّ ، قال : «كنتُ ردفَ النبيّ صلى الله عليه وسلم ذات يوم على حمار ، فنظر إلى الشمس حين غربت ، فقال : إنّها تَغْرُبُ في عَيْنٍ حَمِئَةٍ ، تَنْطَلِقُ حتى تَخِرَّ لِرَبِّها ساجِدَةً تَحْتَ العَرْشِ ، حتى يَأْذَنَ لَها ، فإذَا أرادَ أنْ يُطْلِعَها مِنْ مَغْرِبِها حَبَسَها ، فَتَقُولُ يا رَبِّ إنَّ مَسِيري بَعِيدٌ ، فَيَقُولُ لَها : اطْلِعِي مِنْ حَيْثُ غَرَبْتِ، فذلكَ حِينَ لايَنْفَعُ نَفْسا إيمانُها لَمْ تَكُنْ آمَنَتْ مِنْ قَبْلُ » .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا عبدة ، عن موسى بن المسيب ، عن إبراهيم التيمي ، عن أبيه ، عن أبي ذرّ قال : « نظر النبيّ صلى الله عليه وسلم يوما إلى الشمس فقال : يُوشِكُ أنْ تَجِيءَ حَتى تَقِفَ بينَ يَدَيِ اللهِ ، فَيَقُولُ : ارجِعِي مِنْ حَيْثُ جِئْتِ، فَعِنْدَ ذلكَ لايَنْفَعُ نَفْسا إيمانُها لَمْ تَكُنْ آمَنَتْ مِنْ قَبْلُ ، أوْ كَسَبَتْ في إيمانِها خَيْرًا » .

حدثني محمد بن سعد ، قال : ثني أبي ، قال : ثني عمي ، قال : ثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس، قوله (يَوْمَ يَأْتِي بَعْضُ آياتِ رَبِّكَ لايَنْفَعُ نَفْسا إيمانُها لَمْ تَكُنْ آمَنَتْ مِنْ قَبْلُ ، أوْ كَسَبَتْ فِي إيمانِها خَيْرًا) فهو أنه لاينفع مشركا إيمانه عند الآيات ، وينفع أهل الإيمان عند الآيات ، إن كانوا اكتسبوا خيرا قبل ذلك ، قال ابن عباس : «خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم عشية من العشيات ، فقال لهم : يا عباد الله ، توبوا إلى الله ، فإنكم توشكون أن تروا الشمس من قبل المغرب ، فإذا فعلت ذلك حبست التوبة وطوى العمل وختم الإيمان ، فقال الناس : هل لذلك من آية يا رسول الله ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : إن آيَةَ تِلْكُمُ اللَّيْلَةَ أنْ تَطُولَ كَقَدْرِ ثَلاثِ لَيالٍ ، فَيَسْتَيْقِظُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ فَيُصَلُّونَ لَهُ ، ثُمَّ يَقْضُونَ صَلاتَهُم واللَّيْلُ مَكانَهُ لَمْ يَنْقَضِ ، ثمَّ يأتُونَ مَضاجِعَهُمْ فَيَنامُونَ ، حتى إذا اسْتَيْقَظُوا وَاللَّيْلُ مَكانَهُ ، فإذَا رأوْا ذلكَ خافُوا أنْ يَكُونَ ذلكَ بينَ يَدَيْ أمْرٍ عَظِيمٍ ، فإذَا أصْبَحُوا وَطالَ عَلَيْهِمْ طُلُوعُ الشَّمْسِ ، فَبَيْنَاهُمْ يَنْتَظِرُونَها إذْ طَلَعَتْ عَلَيْهِمْ مِنْ قِبَلِ المَغْرِبِ ، فإذَا فَعَلَتْ ذلكَ ، لَمْ يَنْفَعْ نَفْسا إيمانُها لَمْ تَكُنْ آمَنَتْ مِنْ قَبْلُ » .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثني حجاج ، عن ابن جريج ، عن صالح مولى التوأمة ، عن أبي هريرة ، أنه سمعه يقول : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لاتَقُومُ السَّاعَةُ حَتى تَطْلُعَ الشَّمْسُ مِنْ مَغْرِبِها ، فإذَا طَلَعَتْ ورآها النَّاسُ آمَنُوا كُلُّهُمْ أجْمَعُونَ ، فَيَوْمَئِذٍ لايَنْفَعُ نَفْسا إيمانُها) . . . الآية » .

وبه قال : حدثني حجاج ، قال : قال ابن جريج : أخبرني ابن أبي عتيق ، أنه سمع عبيد بن عمير يتلو (يَوْمَ يَأْتِي بَعْضُ آياتِ رَبِّكَ لايَنْفَعُ نَفْسا إيمانُها) قال : يقول : نتحدّث والله أعلم أنها الشمس تطلع من مغربها .

قال ابن جريج : وأخبرنى عمرو بن دينار ، أنه سمع عبيد بن عمير يقول ذلك .

قال ابن جريج : وأخبرنى عبد الله بن أبى مليكة ، أنه سمع عبد الله بن عمرو يقول : إن الآية التى (لايَنْفَعُ نَفْسا إيمانُها) إذا طلعت الشمس من مغربها . قال ابن جريج : وقال مجاهد ذلك أيضا .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبى ، عن شعبة ، عن قتادة ، عن زرارة بن أوفى ، عن ابن مسعود (يَوْمَ يَأْتِى بَعْضُ آياتِ رَبِّكَ لايَنْفَعُ نَفْسا إيمانُها) قال : طلوع الشمس من مغربها .

حدثنا محمد بن بشار ومحمد بن المثنى ، قالا : ثنا محمد بن جعفر ، قال : ثنا شعبة ، قال : سمعت قتادة يحدث عن زرارة بن أوفى ، عن عبد الله بن مسعود فى هذه الآية (يَوْمَ يَأْتِى بَعْضُ آياتِ رَبِّكَ) قال : طلوع الشمس من مغربها .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا ابن أبى عدىّ وعبد الوهاب بن عوف ، عن ابن سيرين ، قال : ثنى أبو عبيدة بن عبد الله بن مسعود ، قال : كان عبد الله بن مسعود يقول : ما ذكر من الآيات فقد مضين غير أربع : طلوع الشمس من مغربها ، ودابة الأرض ، والدجال ، وخروج يأجوج ومأجوج ، والآية التى تختم بها الأعمال : طلوع الشمس من مغربها ، ألم تر أن الله قال (يَوْمَ يَأْتِى بَعْضُ آياتِ رَبِّكَ لايَنْفَعُ نَفْسا إيمانُها لَمْ تَكُنْ آمَنَتْ مِنْ قَبْلُ ، أَوْ كَسَبَتْ فِى إيمانِها خَيْرًا) قال : فهى طلوع الشمس من مغربها .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا ابن أبى عدىّ ، عن شعبة ، عن سليمان ، عن أبى الضحى ، عن مسروق ، قال : قال عبد الله (يَوْمَ يَأْتِى بَعْضُ آياتِ رَبِّكَ لايَنْفَعُ نَفْسا إيمانُها) قال : طلوع الشمس من مغربها مع القمر ، كأنهما بعيران مقرونان .

قال شعبة : وحدثنا قتادة ، عن زرارة ، عن عبد الله بن مسعود (يَوْمَ يَأْتِى بَعْضُ آياتِ رَبِّكَ) قال : طلوع الشمس من مغربها .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا جرير ، عن الأعمش ، عن أبى الضحى ، عن مسروق ، عن عبد الله بن مسعود (يَوْمَ يَأْتِى بَعْضُ آياتِ رَبِّكَ) قال : طلوع الشمس من مغربها مع القمر كالبعيرين المقترنين.

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبى ، عن سفيان ، عن منصور والأعمش ، عن أبى الضحى ، عن مسروق عن عبد الله (يَوْمَ يَأْتِى بَعْضُ آياتِ رَبِّكَ لايَنْفَعُ نَفْساً إيمانُها) قال : طلوع الشمس من مغربها مع القمر كالبعيرين القرينين .

وقال : ثنا أبى ، عن إسرائيل وأبيه ، عن أشعث بن أبى الشعثاء ، عن أبيه ، عن عبد الله ، قال : التوبة مبسوطة ما لم تطلع الشمس من مغربها .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قال : ذكر لنا أن ابن أم عبد كان يقول لايزال باب التوبة مفتوحا حتى تطلع الشمس من مغربها ، فإذا رأى الناس ذلك آمنوا ، وذلك حين لاينفع نفسا إيمانها لم تكن آمنت من قبل ، أو كسبت فى إيمانها خيرا .

حدثنا بشر ، قال : ثنا عبد الله بن جعفر ، قال : ثنا العلاء بن عبد الرحمن ، عن أبيه ، عن أبي هريرة ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لاتَقُومُ السَّاعَةُ حتى تَطْلُعَ الشَّمْسُ مِنْ مَغْرِبِها ، فإذَا طَلَعَتْ آمَنَ النَّاسُ كُلُّهُم ، فيَوْمَئِذٍ لايَنْفَعُ نَفْسا إيمانُها لَمْ تَكُنْ آمَنَتْ مِن قَبْلُ ، أوْ كَسَبَتْ فِي إيمانِها خَيْرًا » .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا ابن عيينة ، عن عمرو بن دينار ، عن عبيد بن عمير (يَوْمَ يَأْتِي بَعْضُ آياتِ رَبِّكَ) قال : طلوع الشمس من مغربها .

وقال : حدثنا أبي ، عن الحسن بن عقبة أبي كيران عن الضحاك (يَوْمَ يَأْتِي بَعْضُ آياتِ رَبِّكَ لايَنْفَعُ نَفْسا إيمانُها) قال : طلوع الشمس من مغربها .

حدثنا الحسن بن يحيى ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا إسرائيل ، قال : أخبرني أشعث ابن أبي الشعثاء ، عن أبيه ، عن ابن مسعود ، في قوله (لايَنْفَعُ نَفْسا إيمانُها لَمْ تَكُنْ آمَنَتْ مِنْ قَبْلُ) قال : لاتزال التوبة مبسوطة ما لم تطلع الشمس من مغربها .

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، في قول الله (يَوْمَ يَأْتِي بَعْضُ آياتُ رَبِّكَ) قال : طلوع الشمس من مغربها .

حدثني يونس بن عبدالأعلى ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : أخبرني أبوصخر ، عن القرظي أنه كان يقول في هذه الآية(يَوْمَ يَأْتِي بَعْضُ آياتِ رَبِّكَ لايَنْفَعُ نَفْسا إيمانُها لَمْ تَكُنْ آمَنَتْ مِنْ قَبْلُ) يقول : إذا جاءت الآيات لم ينفع نفسا إيمانها ، يقول : طلوع الشمس من مغربها .

حدثني الحرث ، قال : ثنا عبد العزيز ، قال : ثنا سفيان الثوريّ ، عن عاصم بن أبي النجود ، عن زرّ بن حبيش ، عن صفوان بن عسال(يَوْمَ يَأْتِي بَعْضُ آياتِ رَبِّكَ) قال : طلوع الشمس من مغربها .

حدثني الحرث ، قال : ثنا عبد العزيز ، قال : ثنا إسرائيل ، عن أبي إسحاق ، عن وهب بن جابر ، عن عبد الله بن عمرو (يَوْمَ يَأْتِي بَعْضُ آياتِ رَبِّكَ) قال : طلوع الشمس من مغربها .

وقال آخرون : بل ذلك بعض الآيات الثلاثة : الدابة ، ويأجوج ومأجوج ، وطلوع الشمس من مغربها .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا جعفر بن عون ، عن المسعودي ، عن القاسم ، قال : قال عبد الله : التوبة معروضة على ابن آدم إن قبلها ما لم تخرج إحدى ثلاث : ما لم تطلع الشمس من مغربها ، أو الدّابة ، أو فتح يأجوج ومأجوج .

حدثني يعقوب ، قال : ثنا ابن علّية ، قال : ثنا المسعوديّ ، عن القاسم بن عبد الرحمن ، قال : قال عبد الله : التوبة معروضة على ابن آدم إن قبلها ، ما لم تخرج إحدى ثلاث : الدابة ، وطلوع الشمس من مغربها ، وخروج يأجوج ومأجوج :

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبي ، عن سفيان ، عن منصور ، عن عامر ، عن عائشة ، قالت : إذا خرج أوّل الآيات طرحت الأقلام ، وحبست الحفظة ، وشهدت الأجساد على الأعمال .

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا ابن فضيل ، عن أبيه ، عن أبي حازم ، عن أبي هريرة ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « ثَلاثٌ إذَا خَرَجَتْ لايَنْفَعُ نَفْسا إيمانُها لَمْ تَكُنْ آمَنَتْ مِنْ قَبْلُ ، أوْ كَسَبَتْ فِي إيمانِها خَيْرًا : طُلُوعُ الشَّمْسِ مِنْ مَغْرِبِها ، وَالدَّجَّالُ ، وَدَابَّةُ الأَرْضِ » .

حدثنا بشر بن معاذ ، قال : ثنا معاوية بن عبد الكريم ، قال : ثنا الحسن ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « بادِرُوا بالأعْمالِ سِتًّا : طُلُوعَ الشَّمْسِ مِنْ مَغْرِبِها ، وَالدَّجَّالَ ، والدُّخانَ ، وَدَابَّةَ الأَرْضِ ، وخُوَيْصَّةَ أحَدِكُمْ ، وأمْرَ العامَّةِ » .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قال : ذكر أن نبيّ الله صلى الله عليه وسلم كان يقول ، فذكر نحوه .

⁂ وأولى الأقوال بالصواب فى ذلك ، ما تظاهرت به الأخبار عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال ذلك حين تطلع الشمس من مغربها .

وأما قوله (أوْ كَسَبَتْ فِي إيمانِها خَيْرًا) فإنه يعنى : أو عملت فى تصديقها بالله خيرا من عمل صالح تصدق قيله ، وتحققه من قبل طلوع الشمس من مغربها ، لاينفع كافرا لم يكن آمن بالله قبل طلوعها ، كذلك إيمانه بالله إن آمن ، وصدّق بالله ورسله ، لأنها حالة لاتمتنع نفس من الإقرار بالله العظيم الهول الوارد عليهم من أمر الله ، فحكم إيمانهم كحكم إيمانهم عند قيام الساعة ، وتلك حال لايمتنع الخلق من الإقرار بوحدانية الله لمعاينتهم من أهوال ذلك اليوم ماترتفع معه حاجتهم إلى الفكر والاستدلال والبحث والاعتبار ، ولا ينفع من كان بالله وبرسله مصدّقا ، ولفرائض الله مضيعا غير مكتسب بجوارحه لله طاعة إذا هى طلعت من مغربها أعماله إن عمل ، وكسبه إن اكتسب ، لتفريطه الذى سلف قبل طلوعها فى ذلك .

كما حدثنى محمد بن الحسين ، قال : ثنا أحمد بن المفضل ، قال : ثنا أسباط ، عن السدىّ (يَوْمَ يَأْتِي بَعْضُ آياتِ رَبِّكَ لايَنْفَعُ نَفْسا إيمانُها لَمْ تَكُنْ آمَنَتْ مِنْ قَبْلُ أوْ كَسَبَتْ فِي إيمانِها خَيْرًا) يقول : كسبت فى تصديقها خيرا عملا صالحا ، فهؤلاء أهل القبلة ، وإن كانت مصدّقة ولم تعمل قبل ذلك خيرا ، فعملت بعد أن رأت الآية لم يقبل منها ، وإن عملت قبل الآية خيرا ، ثم عملت بعد الآية خيرا ، قُبِل منها .

حُدثت عن الحسين بن الفرج ، قال : سمعت أبا معاذ ، قال : ثنا عبيد بن سليمان ، قال : سمعت الضحاك يقول ، فى قوله (يَوْمَ يَأْتِي بَعْضُ آياتِ رَبِّكَ لايَنْفَعُ نَفْسا إيمانُها) قال : من أدركه بعض الآيات ، وهو على عمل صالح مع إيمانه قبل الله منه العمل بعد نزول الآية ، كما قبل منه قبل ذلك .

القول في تأويل قوله تعالى : ﴿ قُلِ انْتَظِرُوا إنَّا مُنْتَظِرُونَ ﴾ :

يقول تعالى لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم : قل يا محمد لهؤلاء العادلين بربهم الأوثان والأصنام :

انظروا أن تأتيكم الملائكة بالموت ، فتقبض أرواحكم ، أو أن يأتى ربكم لفصل القضاء بيننا وبينكم فى موقف القيامة ، أو أن يأتيكم طلوع الشمس من مغربها ، فتطوى صحائف الأعمال ، ولا ينفعكم إيمانكم حينئذ إن آمنتم ، حتى تعلموا حينئذ المحق منا من المبطل ، والمسيء من المحسن ، والصادق من الكاذب ، وتتبينوا عند ذلك بمن يحيق عذاب الله ، وأليم نكاله ، وممن الناجى منا ومنكم ، ومن الهالك ،إنا منتظرو ذلك ، ليجزل الله لنا ثوابه على طاعتنا إياه ، وإخلاصنا العبادة له ، وإفرادناه بالربوبية دون ما سواه ، ويفصل بيننا وبينكم بالحق ، وهو خير الفاصلين .

القول فى تأويل قوله تعالى :

إِنَّ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيَعًا لَّسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ إِنَّمَا أَمْرُهُمْ إِلَى اللَّهِ ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا كَانُوا يَفْعَلُونَ ﴿١٥٩﴾

اختلف القرّاء فى قراءة قوله (فرّقوا) فروى عن علىّ بن أبى طالب رضى الله عنه ، ما حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبى ، عن سفيان ، عن أبى إسحاق ، عن عمرو بن دينار ، أن عليا رضى الله عنه ، قرأ (إنّ الّذينَ فارَقُوا دِينَهُمْ) .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا جرير ، قال : قال حمزة الزيات، قرأها علىّ رضى الله عنه (فارَقُوا دِينَهُمْ) .

وقال : ثنا الحسن بن علىّ ، عن سفيان ، عن قتادة (فارَقُوا دِينَهُمْ) وكأن عليا ذهب بقوله (فارَقُوا دِينَهُمْ) خرجوا فارتدّوا عنه من المفارقة .

وقرأ ذلك عبدالله بن مسعود ، كما حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا يحيى بن رافع ، عن زهير ، قال : ثنا أبو إسحاق أن عبد الله كان يقروها (فَرَّقُوا دِينَهُمْ) ، وعلى هذه القراءة ، أعنى قراءة عبد الله قرّاء المدينة والبصرة ، وعامة قرّاء الكوفيين ، وكأن عبد الله تأوّل بقراءته ذلك كذلك أن دين الله واحد، وهو دين إبراهيم الحنيفية المسلمة ، ففرّق ذلك اليهود والنصارى ، فتهوّد قوم ، وتنصّر آخرون ، فجعلوه شيعا متفرّقة .

والصواب من القول فى ذلك أن يقال : إنهما قراءتان معروفتان ، قد قرأتْ بكلّ واحدة منهما أئمة من القرّاء ، وهما متفقتا المعنى غير مختلفتيه ، وذلك أن كلّ ضالّ فلدينه مفارق ، وقد فرّق الأحزاب دين الله الذى ارتضاه لعباده ، فتهوّد بعض، وتنصّر آخرون ، وتمجس بعض ، وذلك هو التفريق بعينه ومصير أهله شيعا متفرّقين غير مجتمعين ، فهم لدين الله الحقّ مفارقون ، وله مفرّقون ، فبأىّ ذلك قرأ القارئُ فهو للحقّ مصيب ، غير أنى أختار القراءة بالذى عليه عظم القرّاء ، وذلك تشديد الراء من فرّقوا .

ثم اختلف أهل التأويل فى المعنيين بقوله (إنّ الّذينَ فارَقُوا دِينَهُمْ) فقال بعضهم : عنى بذلك اليهود والنصارى :

ذكر من قال ذلك

حدثنا محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، فى قول الله (وكانُوا شيَعا) قال : يهود .

حدثنى المثنى ، قال : ثنا أبو حذيفة ، قال : ثنا شبل ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، بنحوه .

حدثنا محمد بن عبدالأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة (فَرَّقُوا دِينَهُمْ) قال : هم اليهود والنصارى .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (إنَّ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وكانُوا شِيَعا) من اليهود والنصارى .

حدثنى محمد بن الحسين ، قال : ثنا أحمد بن المفضل ، قال : ثنا أسباط ، عن السدىّ (إنَّ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وكانُوا شيَعا لَسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ) هؤلاء اليهود والنصارى .

وأما قوله (فَرَّقُوا دِينَهُمْ) فيقول : تركوا دينهم وكانوا شيعا .

حدثنى محمد بن سعد ، قال : ثنى أبى ، قال : ثنى عمى ، قال : ثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس قوله (إنَّ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وكانُوا شيَعا) وذلك أن اليهود والنصارى اختلفوا قبل أن يبعث محمد فتفرّقوا ، فلما بعث محمد أنزل الله (إنَّ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وكانُوا شيعاً لَسْتَ مِنهُمْ في شَيْءٍ) .

حُدثت عن الحسين بن الفرج ، قال : سمعت أبا معاذ يقول : أخبرنا عبيد بن سليمان ، قال : سمعت الضحاك يقول فى قوله (إنَّ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وكانُوا شيَعا) يعنى : اليهود والنصارى .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا حسين بن علىّ ، عن شيبان ، عن قتادة (فارَقُوا دِينَهُمْ) قال : هم اليهود والنصارى .

وقال آخرون : عنى بذلك : أهل البدع من هذه الأمة الذين اتبعوا متشابه القرآن دون محكمه .

ذكر من قال ذلك

حدثنا محمد بن بشار ، قال : ثنا عبد الرحمن ، قال : ثنا سفيان ، عن ليث ، عن طاوس ، عن عن أبى هريرة ، قال (إنَّ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُم) قال : نزلت هذه الآية فى هذه الأمة .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبى ، عن سفيان ، عن ليث ، عن طاوس ، عن أبى هريرة (إنَّ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وكانُوا شيَعا) قال : هم أهل الضلالة .

حدثنى سعيد بن عمرو السكونى ، قال : ثنا بقية بن الوليد ، قال : كتب إلىّ عباد بن كثير ، قال : ثنى ليث ، عن طاوس ، عن أبى هريرة ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «فى هذه الآية (إنَّ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وكانُوا شيَعا لَسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ) وَلَيْسُوا مِنْكَ ، هُمْ أهْلُ البِدَعِ وأهْلُ الشُّبُهاتِ وأهْلُ الضَّلالَةِ مِنْ هَذِهِ الأمَّةِ » .

والصواب من القول فى ذلك عندى أن يقال : إن الله أخبر نبيه صلى الله عليه وسلم أنه برىء ممن فارق

دينه الحقّ ، وفرّقه ، وكانوا فرقا فيه وأحزابا شيعا ، وأنه ليس منهم ولاهم منه ، لأن دينه الذى بعثه الله به هو الإسلام دين إبراهيم الحنيفية كما قال له ربه وأمره أن يقول (قُلْ إنَّنِي هدانِي رَبِّي إلى صراطٍ مستقيمٍ دِيناً قِيَماً مِلَّةَ إبراهيمَ حَنيفاً وما كانَ مِنَ المشرِكِينَ) فكان من فارق دينه الذى بعث به صلى الله عليه وسلم من مشرك ووثنىّ ويهودىّ ونصرانىّ ومتحنف مبتدع قد ابتدع فى الدين ماضلّ به عن الصراط المستقيم والدين القيم ، ملة إبراهيم المسلم ، فهو برىء من محمد صلى الله عليه وسلم ومحمد منه برىء ، وهو داخل فى عموم قوله (إنَّ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وكانُوا شِيَعًا لَسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ) .

وأما قوله (لَسْتَ مِنهُمْ فِي شَيْءٍ إنَّما أمْرُهُمْ إلى اللهِ) فإن أهل التأويل اختلفوا فى تأويله ، فقال بعضهم : نزلت هذه الآية على نبىّ الله بالأمر بترك قتال المشركين قبل وجوب فرض قتالهم ، ثم نسخها الأمر بقتالهم فى سورة براءة ، وذلك قوله (فاقْتُلُوا المُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ) .

ذكر من قال ذلك

حدثنى محمد بن الحسين ، قال : ثنا أحمد بن المفضل ، قال : ثنا أسباط ، عن السدىّ ، قوله (لَسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ إنَّما أمْرُهُمْ إلى اللهِ) لم يؤمر بقتالهم ، ثم نسخت ، فأمر بقتالهم فى سورة براءة .

وقال آخرون : بل نزلت على النبىّ صلى الله عليه وسلم إعلاما من الله له أن من أمته من يحدث بعده فى دينه ، وليست بمنسوخة ، لأنها خبر لا أمر ، والنسخ إنما يكون فى الأمر والنهى .

ذكر من قال ذلك

حدثنا أبوكريب ، قال : ثنا ابن إدريس ، قال : أخبرنا مالك بن مغول ، عن علىّ بن الأقمر ، عن أبى الأحوص ، أنه تلا هذه الآية (إنَّ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وكانُوا شِيَعًا لَسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ) ثم يقول : برىء نبيكم صلى الله عليه وسلم منهم .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبى وابن إدريس وأبوأسامة ويحيى بن آدم ، عن مالك بن مغول ، بنحوه.

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنا شجاع أبو بدر ، عن عمرو بن قيس الملأ ، قال : قالت أمّ سلمة : ليتق امرؤ أن لا يكون من رسول الله صلى الله عليه وسلم فى شىء ، ثم قرأت (إنَّ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وكانُوا شِيَعًا ، لَسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ) قال عمرو بن قيس : قالها مرّة الطيب وتلا هذه الآية .

❊ والصواب من القول فى ذلك أن يقال : إن قوله (لَسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ) إعلام من الله نبيه محمدا صلى الله عليه وسلم أنه من مبتدعة أمته الملحدة فى دينه برىء ، ومن الأحزاب من مشركى قومه ومن اليهود والنصارى ، وليس فى إعلامه ذلك ما يوجب أن يكون نهاه عن قتالهم ، لأنه غير محال أن يقال فى الكلام : لست من دين اليهود والنصارى فى شىء فقاتلهم ، فإن أمرهم إلى الله فى أن يتفضل على من شاء منهم فيتوب عليه ، ويهلك من أراد إهلاكه منهم كافرا ، فيقبض روحه ، أو يقتله بيدك على كفره ، ثم ينبئهم بما كانوا يفعلون عند مقدمهم عليه . وإذ كان غير مستحيل اجتماع الأمر بقتالهم ، وقوله (لَسْتَ مِنْهُمْ

فى شئ ، إنما أمرهم إلى الله) ولم يكن فى الآية دليل واضح على أنها منسوخة ، ولا ورد بأنها منسوخة عن الرسول خبر كان ، غير جائز أن يقضى عليها بأنها منسوخة حتى تقوم حجة موجبة صحة القول بذلك لما قد بينا من أن المنسوخ هو ما لم يجز اجتماعه وناسخه فى حال واحدة فى كتابنا كتاب « اللطيف ، عن أصول الأحكام » .

وأما قوله (إنما أمرهم إلى الله) فإنه يقول : أنا الذى إلىّ أمر هؤلاء المشركين الذين فارقوا دينهم وكانوا شيعا ، والمبتدعة من أمتك الذين ضلوا عن سبيلك دونك ، ودون كل أحد إما بالعقوبة إن أقاموا على ضلالتهم ، وفرقتهم دينهم فأهلكهم بها ، وإما بالعفو عنهم بالتوبة عليهم والتفضل منى عليهم ، ثم ينبئهم بما كانوا يفعلون ، يقول : ثم أخبرهم فى الآخرة عند ورودهم علىّ يوم القيامة بما كانوا يفعلون ؛ فأجازى كلا منهم بما كانوا فى الدنيا يفعلون ، المحسن منهم بالإحسان ، والمسىء بالإساءة ، ثم أخبر جلّ ثناؤه مامبلغ جزائه مَن جازى منهم بالإحسان أو بالإساءة ، فقال (مَنْ جاءَ بالحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أمْثالِهَا ، وَمَنْ جاءَ بالسَّيِّئَةِ فَلا يُجْزَى إلاَّ مِثْلَها وَهُمْ لايُظْلَمُونَ) .

القول فى تأويل قوله تعالى :

مَن جَآءَ بِٱلْحَسَنَةِ فَلَهُۥ عَشْرُ أَمْثَالِهَا ۖ وَمَن جَآءَ بِٱلسَّيِّئَةِ فَلَا يُجْزَىٰٓ إِلَّا مِثْلَهَا وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿١٦٠﴾

⁂ يقول تعالى ذكره : من وافى ربه يوم القيامة فى موقف الحساب من هؤلاء الذين فارقوا دينهم وكانوا شيعا بالتوبة والإيمان ، والإقلاع عما هو عليه مقيم من ضلالته ، وذلك هو الحسنة التى ذكرها الله ، فقال : من جاء بها فله عشر أمثالها . ويعنى بقوله (فَلَهُ عَشْرُ أمْثالِهَا) فله عشر حسنات أمثال حسنته التى جاء بها (وَمَنْ جاءَ بالسَّيِّئَةِ) يقول : ومن وافى يوم القيامة منهم بفراق الدين الحقّ والكفر بالله ، فلا يجزى إلا ما ساءه من الجزاء ، كما وافى الله به من عمله السيئ (وَهُمْ لايُظْلَمُونَ) يقول : ولايظلم الله الفريقين : لافريق الإحسان ، ولا فريق الإساءة ، بأن يجازى المحسن بالإساءة ، والمسىء بالإحسان ، ولكنه يجازى كلا الفريقين من الجزاء ما هو له ، لأنه جلّ ثناؤه حكيم ، لايضع شيئا إلا فى موضعه الذى يستحقّ أن يضعه فيه ، ولا يجازى أحدا إلا بما يستحقّ من الجزاء .

وقد دللنا فيما مضى على أن معنى الظلم : وضع الشىء فى غير موضعه بشواهده المغنية عن إعادتها فى هذا الموضع .

⁂ فإن قال قائل : فإن كان الأمر كما ذكرت من أن معنى الحسنة فى هذا الموضع الإيمان بالله ، والإقرار بوحدانيته ، والتصديق برسوله ، والسيئة فيه الشرك به ، والتكذيب لرسوله ، فللإيمان أمثال ، فيجازى بها المؤمن ، وإن كان له مثل فكيف يجازى به ، والإيمان إنما هو عندك قول وعمل ، والجزاء من الله لعباده

عليه الكرامة فى الآخرة ، والإنعام عليه بما أعدّ لأهل كرامته من النعيم فى دار الخلود ، وذلك أعيان ترى وتعاين وتحس ، ويلتذّ بها ، لاقول يُسمع ، ولاكسب جوارح ؟ قيل : إن معنى ذلك غير الذى ذهبت إليه،وإنما معناه: من جاء بالحسنة فوافى الله بها له مطيعا ، فإن له من الثواب ثواب عشر حسنات أمثالها .

فإن قلت : فهل لقول لاإله إلا الله من الحسنات مثل ؟ قيل : له مثل هو غيره ، وليس له مثل هو قول لاإله إلا الله ، وذلك هو الذى وعد الله جلّ ثناؤه من أتاه به أن يجازيه عليه من الثواب بمثل عشرة أضعاف ما يستحقه قائله ، وكذلك ذلك فيمن جاء بالسيئة التى هى الشرك ، إلا أنه لايجازى صاحبها عليها إلا مايستحقه عليها من غير إضعافه عليه .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك ، قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا يعقوب القمى ، عن جعفر بن أبى المُغيرة ، عن سعيد بن جبير ، قال : لما نزلت (مَنْ جاءَ بالحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أمْثالِهَا) قال رجل من القوم : فإن لاإله إلا الله حسنة ؟ قال : نعم ، أفضل الحسنات .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا حفص بن غياث ، عن الأعمش والحسن بن عبيد الله ، عن جامع بن شدّاد ، عن الأسود بن هلال ، عن عبد الله (مَن جاءَ بالحَسَنَةِ) لاإله إلا الله .

حدثنا يعقوب بن إبراهيم ، قال : ثنا حفص ، قال : ثنا الأعمش والحسن بن عبيد الله ، عن جامع بن شدّاد ، عن الأسود بن هلال ، عن عبد الله ، قال (مَنْ جاءَ بالحَسَنَةِ) قال : من جاء بلا إله إلا الله ، قال (وَمَنْ جاءَ بالسَّيِّئَةِ) قال : الشرك .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا ابن فضيل ، عن الحسن بن عبيد الله ، عن جامع بن شدّاد ، عن الأسود ابن هلال ، عن عبد الله (مَنْ جاءَ بالحَسَنَةِ) قال : لاإله إلا الله .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا معاوية بن عمرو ، والمعنى عن زائدة ، عن عاصم ، عن شقيق (مَنْ جاءَ بالحَسَنَةِ) قال : لاإله إلا الله كلمة الإخلاص (وَمَنْ جاءَ بالسَّيِّئَةِ) قال : الشرك .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا ابن يمان ، عن أشعث ، عن جعفر ، عن سعيد ، وعن عثمان بن الأسود ، عن مجاهد والقاسم بن أبى بزّة (مَنْ جاءَ بالحَسَنَةِ) قالوا : لاإله إلا الله كلمة الإخلاص (وَمَنْ جاءَ بالسَّيِّئَةِ) قالوا : بالشرك وبالكفر .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا ابن نمير وابن فضيل ، عن عبد الملك ، عن عطاء(مَنْ جاءَ بالحَسَنَةِ) قال : لاإله إلا الله (وَمَنْ جاءَ بالسَّيِّئَةِ) قال : الشرك .

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا جابر بن نوح ، قال : ثنا موسى بن عبيدة ، عن محمد بن كعب (مَنْ جاءَ بالحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أمْثالِهَا) قال : لاإله إلا الله .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا عبد الرحمن ، قال : ثنا سفيان ، عن أبي المحجّل ، عن إبراهيم (مَنْ جاءَ بالحَسَنَةِ) قال : لاإله إلا الله (وَمَنْ جاءَ بالسَّيِّئَةِ) قال : الشرك .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا أبو أحمد الزبيرى ، قال : ثنا سفيان ، عن أبي المحجل ، عن أبي معشر ، عن إبراهيم ، مثله .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبي ، عن سفيان ، عن أبي المحجل ، عن إبراهيم ، مثله .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا جرير ، عن أبي المحجل ، عن أبي معشر ، قال : كان إبراهيم يحلف بالله ما يستثنى ، أن (مَن جاءَ بالحَسَنَةِ) لاإله إلا الله ، (وَمَنْ جاءَ بالسَّيِّئَةِ) من جاء بالشرك .

حدثنى يعقوب ، قال : ثنا هشيم ، قال : أخبرنا عبد الملك ، عن عطاء ، فى قوله (مَنْ جاءَ بالحَسَنَةِ) قال : كلمة الإخلاص : لاإله إلا الله ، (وَمَنْ جاءَ بالسَّيِّئَةِ) قال : بالشرك .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبي ، وحدثنا المثنى بن إبراهيم ، قال : ثنا أبونعيم جميعا ، عن سفيان ، عن الأعمش ، عن أبي صالح (مَنْ جاءَ بالحَسَنَةِ) قال : لاإله إلا الله (وَمَنْ جاءَ بالسَّيِّئَةِ) قال : الشرك .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا ابن نمير ، عن عثمان بن الأسود ، عن القاسم بن أبي بزّة (مَنْ جاءَ بالحَسَنَةِ) قال : كلمة الإخلاص (وَمَنْ جاءَ بالسَّيِّئَةِ) قال : الكفر .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبي ، عن سلمة ، عن الضحاك (مَنْ جاءَ بالحَسَنَةِ) قال : لاإله إلا الله .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبوخالد الأحمر ، عن أشعث ، عن الحسن (مَنْ جاءَ بالحَسَنَةِ) قال : لاإله إلا الله .

حدثنى المثنى ، قال : ثنا الحمانى ، قال : ثنا شريك ، عن سالم ، عن سعيد (مَنْ جاءَ بالحَسَنَةِ) قال : لاإله إلا الله .

حدثنى المثنى ، قال : ثنا الحمانى ، قال : ثنا شريك ، عن ليث ، عن مجاهد ، مثله .

حدثنى المثنى ، قال : ثنا عبد الله بن صالح ، قال : ثنى معاوية ، عن علىّ بن أبي طلحة ، عن ابن عباس ، قوله (مَنْ جاءَ بالحَسَنَةِ) يقول : من جاء بلا إله إلا الله (وَمَنْ جاءَ بالسَّيِّئَةِ) قال : الشرك .

حدثنا بشر بن معاذ ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (مَنْ جاءَ بالحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أمْثالِها ، وَمَنْ جاءَ بالسَّيِّئَةِ فَلا يُجْزَى إلاَّ مِثْلَها ، وَهُمْ لايُظْلَمُونَ) ذكر لنا أن نبىّ الله صلى الله عليه وسلم كان يقول : « الأعْمالُ سِتَّةٌ : مُوجِبَةٌ وَمُوجِبَةٌ ، وَمُضَعَّفَةٌ وَمُضَعَّفَةٌ ، وَمِثْلٌ وَمِثْلٌ ؛ فأمَّا المُوجِبَتانِ : فَمَنْ لَقِىَ اللهَ لايُشْرِكُ بِهِ شَيْئا دَخَلَ الجَنَّةَ ، وَمَنْ لَقِىَ اللهَ مُشْرِكا بِهِ دَخَلَ النَّارَ ؛ وأمَّا المُضَعَّفُ والمُضَعَّفُ : فَنَفَقَةُ المُؤْمِنِ فِى سَبِيلِ اللهِ سَبْعُ مِئَةِ ضِعْفٍ ، وَنَفَقَتُهُ على أهْلِ بَيْتِهِ عَشْرُ أمْثالِها ؛ وأمَّا مِثْلٌ وَمِثْلٌ : فإذَا هَمَّ

العَبْدُ بِحَسَنَةٍ فَلَمْ يَعْمَلْها كُتِبَتْ لَهُ حَسَنَةٌ ، وَإذَا هَمَّ بِسَيِّئَةٍ ثُمَّ عَمِلَها كُتِبَتْ عَلَيْهِ سَيِّئَةٌ » .

حدثنا المثنى ، قال : ثنا أبو نعيم ، قال : ثنا الأعمش ، عن شمر بن عطية ، عن شيخ من التيم ، عن أبي ذرّ ، قال : « قلت : يا رسول الله علمني عملا يقرّبني إلى الجنة ، ويباعدني من النار ، قال : إذَا عَمِلْتَ سَيِّئَةً فاعْمَلْ حَسَنَةً ، فإنَّها عَشْرُ أمْثالِهَا ، قال : قلت : يا رسول الله ، لاإله إلا الله من الحسنات ؟ قال : هِيَ أحْسَنُ الحَسَنَاتِ » .

وقال قوم : عنى بهذه الآية : الأعراب ؛ فأما المهاجرون ، فإن حسناتهم سبع مئة ضعف أو أكثر .

ذكر من قال ذلك

حدثنا محمد بن بشار ، قال : ثنا معاذ بن هشام ، قال : ثنا أبي ، عن قتادة ، عن أبي الصديق الناجي ، عن أبي سعيد الخدريّ ، في قوله (مَنْ جاءَ بالحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أمْثالِهَا) قال : هذه للأعراب ، وللمهاجرين سبع مئة .

حدثنا محمد بن نشيط بن هارون الحربيّ ، قال : ثنا يحيى بن أبي بكر ، قال : ثنا فضيل بن مرزوق ، عن عطية العوفي ، عن عبد الله بن عمرو ، قال : نزلت هذه الآية في الأعراب (مَنْ جاءَ بالحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أمْثالِهَا) قال : قال رجل : فما للمهاجرين ؟ قال : ما هو أعظم من ذلك (إنَّ اللهَ لايَظْلِمُ مِثْقالَ ذَرَّةٍ ، وَإنْ تَكُ حَسَنَةً يُضَاعِفْها ، وَيُؤْتِ مِنْ لَدُنْهُ أجْرًا عَظِيما) وإذا قال الله لشيء عظيم ، فهو عظيم .

حدثني المثنى ، قال : ثنا إسحاق ، قال : ثنا عبد الرحمن بن سعد ، قال : ثنا أبو جعفر ، عن الربيع ، قال : نزلت هذه الآية (مَنْ جاءَ بالحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أمْثالِهَا) وهم يصومون ثلاثة أيام من الشهر ، ويؤدّون عشر أموالهم ، ثم نزلت الفرائض بعد ذلك : صوم رمضان ، والزكاة .

❊ فإن قال قائل : وكيف قيل عشر أمثالها ، فأضيف العشر إلى الأمثال ، وهي الأمثال ، وهل يضاف الشيء إلى نفسه ؟ قيل : أضيفت إليها لأنه مراد بها : فله عشر حسنات أمثالها ، فالأمثال حلّت محلّ المفسر ، وأضيف العشر إليها ، كما يقال : عندي عشر نسوة ، فلأنه أريد بالأمثال مقامها (١) ، فقيل : عشر أمثالها ، فأخرج العشر مخرج عدد الآيات ، والمثل مذكر لامؤنث ، ولكنها لما وضعت موضع الآيات ، وكان المثل يقع للمذكر والمؤنث ، فجعلت خلفا منها ، فعل بها ما ذكرتُ ؛ ومن قال : عندي عشر أمثالها ، لم يقل : عندي عشر صالحات ، لأن الصالحات فعل لايعدّ ، وإنما تعدّ الأسماء والمثل اسم ، ولذلك جاز العدد به . وقد ذكر عن الحسن البصريّ أنه كان يقرأ ذلك (فَلَهُ عَشْرٌ) بالتنوين (أمْثالُهَا) بالرفع ، وذلك على وجه صحيح في العربية ، غير أن القرّاء في الأمصار على خلافها ، فلا نستجيز خلافها ، فيما هي عليه مجتمعة .

(١) لايخفى مافيه . ولعل الأصل ولأنه أريد بالأمثال الآيات ، وأقيمت الأمثال مقامها قيل الخ .

القول في تأويل قوله تعالى:

قُلْ إِنَّنِي هَدَانِي رَبِّي إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ دِينًا قِيَمًا مِّلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا ۚ وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿١٦١﴾

يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم (قُلْ) يامحمد لهؤلاء العادلين بربهم الأوثان والأصنام (إِنَّنِي هَدَانِي رَبِّي إلى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ) يقول: قل لهم: إننى أرشدنى ربى إلى الطريق القويم، هو دين الله الذى ابتعثه به، وذلك الحنيفية المسلمة، فوفقنى له (دِينا قِيَما) يقول: مستقيما (مِلَّةَ إِبْراهِيمَ) يقول: دين إبراهيم (حَنِيفا) يقول: مستقيما (وَمَا كانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ) يقول: وماكان من المشركين بالله، يعنى: إبراهيم صلوات الله عليه، لأنه لم يكن ممن يعبد الأصنام.

واختلفت القرّاء فى قراءة قوله (دِينا قِيَما) فقرأ ذلك عامة قرّاء المدينة، وبعض البصريين (دِينا قَيِّماً) بفتح القاف وتشديد الياء إلحاقا منهم ذلك بقول الله (ذلكَ الدِّينُ القَيِّمُ) وبقوله (ذلكَ دِينُ القَيِّمَةِ)، وقرأ ذلك عامّة قرّاء الكوفيين (دِينا قِيَما) بكسر القاف وفتح الياء وتخفيفها، وقالوا: القَيِّمُ والقِيَم بمعنى واحد، وهما لغتان معناهما: الدين المستقيم.

والصواب من القول فى ذلك عندى، أنهما قراءتان مشهورتان فى قرأة الأمصار، متفقتا المعنى، فبأيّتهما قرأ القارئ، فهو للصواب مصيب، غير أن فتح القاف وتشديد الياء أعجب إلىّ، لأنه أفصح اللغتين وأشهرهما. ونصب قوله (دِينا) على المصدر من معنى قوله (إِنَّنِي هَدَانِي رَبِّي إلى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ) وذلك أن المعنى هدانى ربى إلى دين قويم، فاهتديت له دينا قيما، فالدين منصوب من المحذوف الذى هو اهتديت الذى ناب عنه قوله (إنى هَدَانى رَبِّى إلى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ). وقال بعض نحويى البصرة: إنما نصب ذلك لأنه لما قال (هَدَانِي رَبِّي إلى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ) قد أخبر أنه عرف شيئا، فقال (دِينا قَيِّما) كأنه قال: عرفت دينا قيما ملة إبراهيم. وأما معنى الحنيف، فقد بينته فى مكانه فى سورة البقرة بشواهده، بما أغنى عن إعادته فى هذا الموضع.

القول في تأويل قوله تعالى:

قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٦٢﴾ لَا شَرِيكَ لَهُ ۖ وَبِذَٰلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ ﴿١٦٣﴾

يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم (قُلْ) يا محمد لهؤلاء العادلين بربهم الأوثان، والأصنام، الذين يسألونك أن تتّبع أهواءهم على الباطل من عبادة الآلهة والأوثان (إنَّ صَلاَتى ونُسُكى)

يقول : وذبحي (وَمَحْيَايَ) يقول : وحياتي (وَمَمَاتِي) يقول : ووفاتي (لِلهِ رَبِّ العَالَمِينَ) يعني أن ذلك كله له خالصا دون ما أشركتم به أيها المشركون من الأوثان (لاشَرِيكَ لَهُ) في شَيْءٍ من ذلك من خلقه ، ولالشيء منهم فيه نصيب ، لأنه لاينبغي أن يكون ذلك إلا له خالصا (وبذلكَ أُمِرْتُ)يقول: وبذلك أمرني ربي (وأنا أوَّلُ المُسْلِمِينَ) يقول : وأنا أول من أقرّ وأذعن وخضع من هذه الأمة لربه ، بأن ذلك كذلك .

وبنحو الذي قلنا في ذلك ، قال أهل التأويل .

ذكر من قال : النسك في هذا الموضع : الذبح .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا حكام ، عن عنبسة ، عن محمد بن عبد الرحمن ، عن القاسم بن أبي بزّة ، عن مجاهد (إنَّ صَلاتي ونُسُكي) قال : النسك : الذبائح في الحجّ والعُمرة .

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبوعاصم ، قال : ثنا عيسى ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، في قول الله (ونُسُكي) : ذبيحتي في الحجّ والعُمرة .

حدثني المثنى ، قال : ثنا أبوحذيفة ، قال : ثنا شبل ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد (ونُسُكي) : ذبيحتي في الحجّ والعُمرة .

حدثنا محمد بن بشار ، قال : ثنا عبد الرحمن ، قال : ثنا سفيان ، عن إسماعيل ، وليس بابن أبي خالد ، عن سعيد بن جبير ، في قوله (صَلاتي ونُسُكي) قال : ذبحي .

حدثنا الحسن بن يحيى ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا الثوريّ ، عن إسماعيل ، عن سعيد ابن جبير ، في قوله (صَلاتي ونُسُكي) قال : ذبيحتي .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا عبد الرحمن بن مهدي ، عن سفيان ، عن إسماعيل بن جبير ، قال ابن مهدي : لاأدري من إسماعيل هذا (صَلاتي ونُسُكي) قال : صلاتي وذبيحتي .

حدثني المثنى ، قال : ثنا إسحاق ، قال : ثنا عبد الرزاق ، قال : ثنا الثوريّ ، عن إسماعيل بن أبي خالد ، عن سعيد بن جبير ، في قوله (صَلاتي ونُسُكي) قال : وذبيحتي .

حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة (ونُسُكي) قال ذبحي .

حدثني محمد بن الحسين ، قال : ثنا أحمد بن المفضل ، قال : ثنا أسباط ، عن السديّ ، قوله : (ونُسُكي) قال : ذبيحتي .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا المحاربي ، عن جويبر ، عن الضحاك (صَلاتي ونُسُكي) قال : الصلاة: الصلاة ، والنسك : الذبح .

وأما قوله (وأنا أوَّلُ المُسْلِمِينَ) فإن محمد بن عبد الأعلى حدثنا ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر عن قتادة (وأنا أوَّلُ المُسْلِمِينَ) قال : أوّل المسلمين من هذه الأمة .

القول فى تأويل قوله تعالى :

﴿ قُلْ أَغَيْرَ اللَّهِ أَبْغِي رَبًّا وَهُوَ رَبُّ كُلِّ شَيْءٍ وَلَا تَكْسِبُ كُلُّ نَفْسٍ إِلَّا عَلَيْهَا وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُم مَّرْجِعُكُمْ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴾ (١٦٤)

يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم (قُلْ) يامحمد لهؤلاء العادلين بربهم الأوثان ، الداعيك إلى عبادة الأصنام ، واتباع خطوات الشيطان (أغيرَ الله أبْغِي رَبا) يقول : أسوَى الله أطلب سيِّدا يسودنى (وَهُوَ رَبُّ كُلِّ شَيْءٍ) يقول : وهو سيد كلّ شىء دونه ، ومدبره ومصلحه (وَلا تَكْسِبُ كُلُّ نَفْسٍ إلاَّ عَلَيْهَا) يقول : ولا تجترح نفس إثما إلا عليها : أى لايؤخذ بما أتت من معصية الله تبارك وتعالى ، وركبت من الخطيئة سواها ، بل كلّ ذى إثم فهو المعاقَب بإثمه ، والمأخوذ بذنبه (وَلا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى) يقول : ولا تأثم نفس آثمة بإثم نفس أخرى غيرها ، ولكنها تأثم بإثمها وعليه تعاقب دون إثم أخرى غيرها . وإنما يعنى بذلك المشركين الذين أمر الله نبيه صلى الله عليه وسلم أن يقول هذا القول لهم ، يقول : قل لهم : إنا لسنا مأخوذين بآثامكم ، وعليكم عقوبة إجرامكم ، ولنا جزاء أعمالنا ، وهذا كما أمره الله جلّ ثناؤه فى موضع آخر أن يقول لهم (لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ) .

وذلك كما حدثنى المثنى ، قال : ثنا إسحاق ، قال : ثنا عبد الله بن أبى جعفر ، عن أبيه ، عن الربيع ، قال : كان فى ذلك الزمان لامخرج للعلماء العابدين إلا إحدى خلَّتين ، إحداهما أفضل من صاحبتها : إما أمر ودعاء إلى الحقّ ، أو الاعتزال ، فلا تشارك أهل الباطل فى عملهم ، وتؤدّى الفرائض فيما بينك وبين ربك ، وتحبّ لله ، وتبغض لله ، ولا تشارك أحدا فى إثم ، قال : وقد أنزل فى ذلك آية محكمة (قُلْ أَغيرَ اللهِ أَبْغِي رَبًّا وَهُوَ رَبُّ كُلِّ شَيْءٍ) ... إلى قوله (فِيهِ تَخْتَلِفُونَ) وفى ذلك قال (وَمَا تَفَرَّقَ الَّذِينَ أُوتُوا الكِتابَ إلاَّ مِنْ بَعْدِ ماجاءَتْهُمُ البَيِّنَةُ) يقال من الوِزْر : وَزِرَ يَوْزَر ، فهو وَزِير ، ووُزِرَ يُوزَر فهو مَوْزُور[١] .

القول فى تأويل قوله تعالى : ﴿ ثُمَّ الى رَبِّكُمْ مَرْجِعُكُمْ فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴾

يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم : قل لهؤلاء العادلين بربهم الأوثان : كلّ عامل منا ومنكم فله ثواب عمله ، وعليه وزره ، فاعملوا ما أنتم عاملوه (ثُمَّ إلى رَبِّكُمْ) أيها الناس (مَرْجِعُكُمْ) يقول : ثم إليه مصيركم ومنقلبكم (فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ فِيهِ) فى الدنيا (تَخْتَلِفُونَ) من الأديان والملل ، إذ كان بعضكم يدين باليهودية ، وبعض بالنصرانية ، وبعض بالمجوسية ، وبعض بعبادة الأصنام ، وادّعاء الشركاء مع الله والأنداد ، ثم يجازى جميعكم بما كان يعمل فى الدنيا من خير أو شرّ ، فتعلموا حينئذ مَن المحسن منا والمسىء .

(١) فى اللسان وزر يوزر (كفرح يفرح) ووزر يزر (كوعد يعد) ووزر يوزر (مبنى للمجهول) فهو موزور . وفيه أيضا : وقيل لوزير السلطان وزير لأنه يزر عن السلطان أثقال ما أسند إليه من تدبير المملكة ، أى يحمل ذلك .

القول في تأويل قوله تعالى :

﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى جَعَلَكُمْ خَلَٰٓئِفَ ٱلْأَرْضِ وَرَفَعَ بَعْضَكُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَٰتٍ لِّيَبْلُوَكُمْ فِى مَآ ءَاتَىٰكُمْ إِنَّ رَبَّكَ سَرِيعُ ٱلْعِقَابِ وَإِنَّهُۥ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌۢ ﴿١٦٥﴾ ﴾

يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم وأمته : والله (الَّذِي جَعَلَكُمْ) أيها الناس (خَلَائِفَ الأَرْضِ) بأن أهلك من كان قبلكم من القرون والأمم الخالية ، واستخلفكم فجعلكم خلائف منهم فى الأرض ، تخلفونهم فيها ، وتعمرونها بعدهم . والخلائف : جمع خليفة ، كما الوصائف : جمع وصيفة ، وهى من قول القائل : خلف فلان فلانا فى داره يخلفه خلافة فهو خليفة فيها ، كما قال الشماخ :

تُصِيبُهُمْ وَتُخْطِئُنِي المَنَايَا وَأُخْلَفُ فِي رُبُوعٍ عَنْ رُبُوعِ [1]

وذلك كما حدثنى الحسين ، قال : ثنا أحمد بن مفضل ، قال : ثنا أسباط ، عن السدىّ (وَهُوَ الَّذِي جَعَلَكُمْ خَلَائِفَ الأَرْضِ) قال : أما خلائف الأرض : فأهلك القرون ، واستخلفنا فيها بعدهم .

وأما قوله (وَرَفَعَ بَعْضَكُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ) فإنه يقول : وخالف بين أحوالكم ، فجعل بعضكم فوق بعض ، بأن رفع هذا على هذا ، بما بسط لهذا من الرزق ، ففضله بما أعطاه من المال والغنى على هذا الفقير فيما خوّله من أسباب الدنيا ، وهذا على هذا بما أعطاه من الأيد والقوّة على هذا الضعيف الواهن القُوَى ، فخالف بينهم بأن رفع من درجة هذا على درجة هذا ، وخفض من درجة هذا عن درجة هذا .

وذلك كالذى حدثنى محمد بن الحسين ، قال : ثنا أحمد بن المفضل ، قال : ثنا أسباط ، عن السدىّ (وَرَفَعَ بَعْضَكُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ) يقول : فى الرزق .

وأما قوله (لِيَبْلُوَكُمْ فِيمَا آتَاكُمْ) فإنه يعنى : ليختبركم فيما خوّلكم من فضله ، ومنحكم من رزقه ، فيعلم المطيع له منكم فيما أمره به ونهاه عنه ، والعاصى ومن المؤدّى مما آتاه الحقّ الذى أمره بأدائه منه ، والمفرط فى أدائه .

القول في تأويل قوله تعالى ﴿ إِنَّ رَبَّكَ سَرِيعُ العِقَابِ ، وَإِنَّهُ لَغَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾ :

يقول جلّ ثناؤه لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم : إن ربك يا محمد لسريع العقاب لمن أسخطه بارتكابه معاصيه ، وخلافه أمره فيما أمره به ونهاه ، ولمن ابتلى منه فيما منحه من فضله وطوْله ، توليا وإدبارا عنه ، مع إنعامه عليه ، وتمكينه إياه فى الأرض ، كما فعل بالقرون السالفة (وَإِنَّهُ لَغَفُورٌ) : وإنه لساتر ذنوب من ابتلى منه إقبالا إليه بالطاعة عند ابتلائه إياه بنعمة ، واختباره إياه بأمره ونهيه ، فغطّ عليه فيها ، وتارك فضيحته بها فى موقف الحساب (رَحِيمٌ) بتركه عقوبته على سالف ذنوبه التى سلفت بينه وبينه إذ تاب وأناب إليه قبل لقائه ومصيره إليه .

(١) البيت فى ديوانه طبع السعادة بالقاهرة سنة ١٣٢٧ هـ بشرح أحمد بن الأمين الشنقيطى ، كما رواه المؤلف . وهو من قصيدة يخاطب فيها امرأته التى تلومه على تشديده على نفسه فى المعيشة ، ولزومه الإبل ، والتعزب فيها . تصيبهم من الإصابة ، وهى ضد الخطإ . والمنايا : جمع منية ، وهى الموت . وأخلف : أبقى . وربوع جمع ربع ، وهو المنزل . أى تصيبهم المنايا ، وأبقى أنا فى ديارهم . وانظر البيت فى (اللسان : خلف) .

(٧) سورة الأعراف مكية
وآياتها ست ومائتان

القول في تفسير السورة التي يذكر فيها الأعراف

بسم الله الرحمن الرحيم

* المص ﴿١﴾

قال أبو جعفر : اختلف أهل التأويل فى تأويل قول الله تعالى (المص) فقال بعضهم : معناه : أنا الله أفضل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا سفيان ، قال : ثنا أبى ، عن شريك ، عن عطاء بن السائب ، عن أبى الضحى ، عن ابن عباس (المص) : أنا الله أفضل .

حدثنى الحرث ، قال : ثنا القاسم بن سلام ، قال : ثنا عمار بن محمد ، عن عطاء بن السائب ، عن سعيد بن جبير ، فى قوله (المص) : أنا الله أفضل .

وقال آخرون : هو هجاء حروف اسم الله تعالى الذى هو المصوّر .

ذكر من قال ذلك

حدثنى محمد بن الحسين ، قال : ثنا أحمد بن المفضل ، قال : ثنا أسباط ، عن السدىّ (المص) قال : هى هجاء المصوّر .

وقال آخرون : هى اسم من أسماء الله أقسم ربنا به .

ذكر من قال ذلك

حدثنى المثنى ، قال : ثنا عبد الله بن صالح ، قال : ثنى معاوية ، عن علىّ بن أبى طلحة ، عن ابن عباس ، قوله (المص) قسم أقسمه الله ، وهو من أسماء الله .

وقال آخرون : هو اسم من أسماء القرآن .

ذكر من قال ذلك

حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة (المص) قال : اسم من أسماء القرآن .

حدثنا الحسن بن يحيى ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا معمر ، عن قتادة ، مثله .

وقال آخرون : هى حروف هجاء مقطعة .

وقال آخرون : هى من حساب الجمل .

وقال آخرون : هي حروف تحوى معانى كثيرة دلّ بها الله خلقه على مراده من ذلك .

وقال آخرون : هي حروف اسم الله الأعظم ،

وقد ذكرنا كل ذلك بالرواية فيه، وتعليل كلّ فريق قال فيه قولا . وأما الصواب من القول عندنا فى ذلك بشواهده وأدلته فيما مضى بما أغنى عن إعادته فى هذا الموضع .

القول في تأويل قوله تعالى :

كِتَٰبٌ أُنزِلَ إِلَيۡكَ فَلَا يَكُن فِي صَدۡرِكَ حَرَجٌ مِّنۡهُ لِتُنذِرَ بِهِۦ وَذِكۡرَىٰ لِلۡمُؤۡمِنِينَ ۝

قال أبوجعفر : يعنى تعالى ذكره هذا القرآن يا محمد فى كتاب أنزله الله إليك . ورفع الكتاب بتأويل هذا كتاب

القول في تأويل قوله تعالى : ﴿فَلَا يَكُنْ فِى صَدْرِكَ حَرَجٌ منه﴾ .

يقول جل ثناؤه لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم : فلا يضق صدرك يا محمد من الإنذار به من أرسلتك لإنذاره به ، وإبلاغه من أمرتك بإبلاغه إياه ، ولا تشكّ فى أنه من عندى ، واصبر بالمضى لأمر الله ، واتباع طاعته فيما كلفك وحمّلك من عبء أثقال النبوة ، كما صبر أولو العزم من الرسل ، فإن الله معك . والحرج : هو الضيق فى كلام العرب ، وقد بينا معنى ذلك بشواهده وأدلته فى قوله : (ضَيِّقاً حَرَجاً) بما أغنى عن إعادته .

وقال أهل التأويل فى ذلك ، ما حدثنى به محمد بن سعد ، قال : ثنى أبى ، قال : ثنى عمى ، قال : ثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، فى قوله (فَلَا يَكُنْ فى صَدْرِكَ حَرَجٌ مِنْهُ) قال : لاتكن فى شك منه .

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبوعاصم ، قال : ثنا عيسى ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، فى قول الله (فَلَا يَكُن فِى صَدْرِكَ حَرَجٌ مِنْهُ) قال : شكّ .

حدثنى المثنى ، قال : ثنا أبوحذيفة ، قال : ثنا شبل ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، مثله .

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، قال : ثنا معمر ، عن قتادة (فَلَا يَكُنْ فِى صَدْرِكَ حَرَجٌ مِنْهُ) : شكّ منه .

حدثنا بشر بن معاذ ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة مثله .

حدثنى محمد بن الحسين ، قال : ثنا أحمد بن المفضل ، قال : ثنا أسباط ، عن السُّدىّ (فَلَا يَكُنْ فِى صَدْرِكَ حَرَجٌ مِنْهُ) قال : أما الحرج : فشكّ .

حدثنا الحرث ، قال : ثنا عبد العزيز ، قال : ثنا أبوسعد المدنى ، قال : سمعت مجاهدا ، فى قوله (فَلَا يَكُنْ فِى صَدْرِكَ حَرَجٌ مِنْهُ) قال : شكّ من القرآن .

قال أبوجعفر : وهذا الذى ذكرته من التأويل عن أهل التأويل : هو معنى ما قلنا فى الحرج ، لأن الشك فيه لايكون إلا من ضيق الصدر به ، وقلة الاتساع لتوجيهه وجهته ، التى هى وجهته الصحيحة . وإنما اخترنا العبارة عنه بمعنى الضيق ، لأن ذلك هو الغالب عليه من معناه فى كلام العرب ، كما قد بيناه قبل .

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿لِتُنْذِرَ بِهِ وَذِكْرَى لِلْمُؤْمِنِينَ﴾:

يعنى بذلك تعالى ذكره: هذا كتاب أنزلناه إليك يا محمد لتنذر به من أمرتك بانذاره، وذكرى للمؤمنين، وهو من المؤخر الذى معناه التقديم، ومعناه: كتاب أنزل إليك لتنذر به، وذكرى للمؤمنين، فلا يكن فى صدرك حرج منه. وإذا كان ذلك معناه كان موضع قوله (وَذِكْرَى) نصبا بمعنى: أنزلنا إليك هذا الكتاب لتنذر به، وتذكر به المؤمنين، ولو قيل: معنى ذلك: هذا كتاب أنزل إليك فلا يكن فى صدرك حرج منه أن تنذر به، وتذكر به المؤمنين، كان قولا غير مدفوعة صحته. وإذا وجه معنى الكلام إلى هذا الوجه كان فى قوله (وَذِكْرَى) من الإعراب وجهان: أحدهما النصب بالرد على موضع لتنذر به، والآخر الرفع عطفا على الكتاب، كأنه قيل: المص كتاب أنزل إليك وذكرى للمؤمنين.

القول في تأويل قوله تعالى:

﴿اتَّبِعُوا مَا أُنْزِلَ إِلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ وَلَا تَتَّبِعُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ قَلِيلًا مَا تَذَكَّرُونَ ﴿٣﴾﴾

❁ يقول جل ثناؤه لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم: قل يا محمد لهؤلاء المشركين من قومك الذين يعبدون الأوثان والأصنام: اتبعوا أيها الناس ما جاءكم من عند ربكم بالبينات والهدى، واعملوا بما أمركم به ربكم، (وَلَا تَتَّبِعُوا) شيئا (مِنْ دُونِهِ) يعنى: شيئا غير ما أنزل إليكم ربكم، يقول: لاتتبعوا أمر أوليائكم الذين يأمرونكم بالشرك بالله، وعبادة الأوثان، فإنهم يضلونكم ولا يهدونكم.

❁ فإن قال قائل: وكيف قلت: معنى الكلام: قل اتبعوا، وليس فى الكلام موجودا ذكر القول؟ قيل: إنه وإن لم يكن مذكورا صريحا، فإن فى الكلام دلالة عليه، وذلك قوله (فَلَا يَكُنْ فِى صَدْرِكَ حَرَجٌ مِنْهُ لِتُنْذِرَ بِهِ)، فى قوله «لِتُنْذِرَ بِهِ» الأمر بالإنذار، وفى الأمر بالإنذار، الأمر بالقول لأن الإنذار قول. فكان معنى الكلام: أنذر القوم وقل لهم: اتبعوا ما أُنزل إليكم من ربكم، ولو قيل: معناه: لتنذر به وتذكر به المؤمنين، فتقول لهم: اتبعوا ما أُنزل إليكم، كان غير مدفوع. وقد كان بعض أهل العربية يقول قوله (اتَّبِعُوا) خطاب النبى صلى الله عليه وسلم، ومعناه: كتاب أُنزل إليك، فلا يكن فى صدرك حرج منه، اتبع ما أنزل إليك من ربك، ويرى أن ذلك نظير قول الله (يا أَيُّها النَّبِيُّ إِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ فَطَلِّقُوهُنَّ لِعِدَّتِهِنَّ) إذ ابتدأ خطاب النبى صلى الله عليه وسلم، ثم جعل الفعل للجميع، إذ كان أمر الله نبيه بأمر أمرا منه لجميع أمته، كما يقال للرجل يفرد بالخطاب، والمراد به هو وجماعة أتباعه أوعشيرته وقبيلته: أما تتقون الله، أما تستحيون من الله، ونحو ذلك من الكلام، وذلك وإن كان وجها غير مدفوع، فالقول الذى اخترناه أولى بمعنى الكلام لدلالة الظاهر الذى وصفنا عليه.

وقوله (قَلِيلًا مَا تَذَكَّرُونَ) يقول: قليلا ما تتعظون وتعتبرون، فتراجعون الحق.

القول في تأويل قوله تعالى

﴿وَكَمْ مِنْ قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا فَجَاءَهَا بَأْسُنَا بَيَاتًا أَوْ هُمْ قَائِلُونَ ﴿٤﴾﴾

❁ يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم: حذر هؤلاء العابدين غيرى، والعادلين بى لآلهة

والأوثان سخطي ، لأحلّ بهم عقوبتي فأهلكهم ، كما أهلكتُ من سلك سبيلهم من الأمم قبلهم ، فكثيرا ما أهلكت قبلهم من أهل قرًى عصوني ، وكذّبوا رسلي ، وعبدوا غيري (فجاءَها بأْسُنا بَيَاتا) يقول : فجاءتهم عقوبتنا ونقمتنا ليلا قبل أن يصبحوا ، أوجاءتهم قائلين ، يعني نهارا في وقت القائلة . وقيل : وكم لأن المراد بالكلام ما وصفت من الخبر ، عن كثرة ما قد أصاب الأمم السالفة من المثلات بتكذيبهم رسله ، وخلافهم عليه ، وكذلك تفعل العرب إذا أرادوا الخبر عن كثرة العدد ، كما قال الفرزدق :

كَمْ عَمَّةٍ لَكَ يا جَرِيرُ وخالَةٍ فَدْعاءَ قَدْ حَلَبَتْ عَلَيَّ عِشارِي[1]

﴿ فإن قال قائل : فإنّ الله تعالى ذكره إنما أخبرَ أنه أهلك قرى ، فما في خبره عن إهلاكه القرى من الدليل على إهلاكه أهلها ؟ قيل : إن القرى لاتسمى قرى ، ولا القرية قرية إلاوفيها مساكن لأهلها وسكان منهم ، ففي إهلاكها إهلاك من فيها من أهلها . وقد كان بعض أهل العربية يرى أن الكلام خرج مخرج الخبر عن القرية ، والمراد به أهلها . والذي قلنا في ذلك ، أولى بالحقّ لموافقته ظاهر التنزيل المتلوّ .

﴿ فإن قال قائل : وكيف قيل (وكَمْ مِنْ قَرْيَةٍ أَهْلَكْناها فَجاءَها بأْسُنا بَيَاتا أوْ هُمْ قائِلُونَ) وهل هلكت قرية إلا بمجيء بأس الله ، وحلول نقمته وسخطه بها ، فكيف قيل أهلكناها فجاءها ، وإن كان مجيء بأس الله إياها بعد هلاكها ، فما وجه مجيء ذلك قوما قد هلكوا وبادوا ولايشعرون بما ينزل بهم ولابمساكنهم ؟ قيل : إن لذلك من التأويل وجهين كلاهما صحيح واضح منهجه : أحدهما أن يكون معناه : وكم من قرية أهلكناها بخذلاننا إياها عن اتباع ماأنزلنا إليها من البينات والهدى واختيارها اتباع أمر أوليائها ، المُغويها ، عن طاعة ربها ، فجاءها بأسنا إذ فعلت ذلك بياتا ، أوهم قائلون ، فيكون إهلاك الله إياها : خذلانه لها عن طاعته ، ويكون مجيء بأس الله إياهم جزاء لمعصيتهم ربهم بخذلانه إياهم . والآخر منهما ، أن يكون الإهلاك هو البأس بعينه ، فيكون في ذكر الإهلاك الدلالة على ذكر مجيء البأس ، وفي ذكر مجيء البأس الدلالة على ذكر الإهلاك . وإذا كان ذلك كذلك ، كان سواء عند العرب بدئ بالإهلاك ، ثم عطف عليه بالبأس ، أو بدئ بالبأس ثم عطف عليه بالإهلاك ، وذلك كقولهم : زرتني فأكرمتني إذا كانت الزيارة : هي الكرامة ، فسواء عندهم قدّم الزيارة وأخّر الكرامة ، أو قدّم الكرامة وأخّر الزيارة ، فقال : أكرمتني فزرتني . وكان بعض أهل العربية يزعم أن في الكلام محذوفا ، لولا ذلك لم يكن الكلام صحيحا ، وأن معنى ذلك : وكم من قرية أهلكناها ، فكان مجيء بأسنا إياها قبل إهلاكنا. وهذا قول لادلالة على صحته من ظاهر التنزيل ، ولا من خبر يجب التسليم له ، وإذا خلا القول من دلالة على صحته من بعض الوجوه التي يجب التسليم لها ، كان بيّنا فساده .

---

(١) البيت للفرزدق (ديوانه طبعة الصاوى بالقاهرة ص ٤٥١) من قصيدة يهجو بها جريرا . الفدعاء : صفة من الفدع ، وهو اعوجاج الرسغ من اليد والرجل حتى ينقلب الكف والقدم إلى إنسيهما . حلبت علي : أي على كره مني . عشاري : جمع عشراء ، التي مضى عليها في حملها عشرة أشهر . والشاهد في كم عمة ، فإن كم خبرية بمعنى : عدد كثير . وقيل استفهامية تهكمية ، ولذلك نصب عمة تمييزا لها في بعض الروايات . ورواية الشطر الأول في الديون : «كم عمة لك ياجرير وعمة» .

وقال آخر منهم أيضا : معنى الفاء فى هذا الموضع معنى الواو ، وقال تأويل الكلام : وكم من قرية أهلكناها ، وجاءها بأسنا بياتا ، وهذا قول لامعنى له ، إذ كان للفاء عند العرب من الحكم ما ليس للواو فى الكلام ، فصرفها إلى الأغلب من معناها عندهم ما وجد إلى ذلك سبيل أولى من صرفها إلى غيره .

❁ فإن قال : وكيف قيل : (فجاءَها بأْسُنا بَياتا أَوْ هُمْ قائِلُونَ) ، وقد علمت أن الأغلب من شأن « أو » فى الكلام اجتلاب الشكّ ، وغير جائز أن يكون فى خبر الله شك ؟ قيل : إن تأويل ذلك خلاف ما إليه ذهبتَ ، وإنما معنى الكلام : وكم من قرية أهلكناها فجاء بعضها بأسنا بياتا ، وبعضها وهم قائلون ، ولو جعل مكان « أو » فى هذا الموضع الواو لكان الكلام كالمحال ، ولصار الأغلب من معنى الكلام : إن القرية التى أهلكها الله جاءها بأسه بياتا ، وفى وقت القائلة ، وذلك خبر عن البأس أنه أهلك من قد هلك ، وأفنى من قد فنى ، وذلك من الكلام خُلْف ، ولكن الصحيح من الكلام هو ما جاء به التنزيل ، إذ لم يفصل القرى التى جاءها البأس بياتا من القرى التى جاءها ذلك قائلة : ولو فصلت لم يخبر عنها إلا بالواو ؛ وقيل : فجاءها بأسُنا خبرا عن القرية أن البأس أتاها ، وأجرى الكلام على ماابتدئ به فى أوّل الآية ؛ ولو قيل : فجاءهم بأسنا بياتا لكان صحيحا فصيحا ردّا للكلام إلى معناه ، إذ كان البأس إنما قصد به سكان القرية دون بنيانها ، وإن كان قد نال بنيانها ومساكنها من البأس بالخراب نحوٌ من الذى نال سكانها ، وقد رجع فى قوله (أَوْ هُمْ قائِلُونَ) إلى خصوص الخبر عن سكانها دون مساكنها لما وصفنا من أن المقصود بالبأس كان السكان وإن كان فى هلاكهم هلاك مساكنهم وخرابها . ولو قيل : أو هى قائلة كان صحيحا إذ كان السامعون قد فهموا المراد من الكلام .

❁ فإن قال قائل : أو ليس قوله (أَوْ هُمْ قائِلُونَ) خبرا عن الوقت الذى أتاهم فيه بأس الله من النهار ، قيل بلى ، فإن قال : أو ليس المواقيت فى مثل هذا تكون فى كلام العرب بالواو الدالّ على الوقت ؟ قيل : إن ذلك وإن كان كذلك ، فإنهم قد يحذفون من مثل هذا الموضع استثقالا للجمع بين حرفى عطف ، إذ كان « أو » عندهم من حروف العطف ، وكذلك الواو ، فيقولون : لقيتنى مملقا ، أو أنا مسافر ، بمعنى : أو وأنا مسافر ، فيحذفون الواو وهم مريدوها فى الكلام لما وصفت .

القول فى تأويل قوله تعالى :

فَمَا كَانَ دَعْوَىٰهُمْ إِذْ جَآءَهُم بَأْسُنَآ إِلَّآ أَن قَالُوٓا۟ إِنَّا كُنَّا ظَٰلِمِينَ ﴿٥﴾

❁ يقول تعالى ذكره : فلم يكن دعوى أهل القرية التى أهلكناها إذ جاءهم بأسنا وسطوتنا بياتا ، أو هم قائلون إلا اعترافهم على أنفسهم بأنهم كانوا إلى أنفسهم مسيئين وبربهم آثمين ، ولأمره ونهيه مخالفين ، وعنى بقوله جلّ ثناؤه (دَعْوَاهُمْ) فى هذا الموضع دعاءهم . وللدعوى فى كلام العرب وجهان : أحدهما الدعاء ؛ والآخر الادّعاء للحقّ ، ومن الدعوى التى معناها الدعاء قول الله تبارك وتعالى (فَمَا زَالَتْ تِلْكَ دَعْوَاهُمْ) ومنه قول الشاعر :

وَإِنْ مَذِلَتْ رِجْلِي دَعَوْتُكِ أَشْتَفِي بِدَعْوَاكِ مِنْ مَذْلٍ بِهَا فَيَهُونُ (١)

وقد بيّنا فيما مضى قبل ، أن البأس والبأساء : الشدّة ، بشواهد ذلك الدالة على صحته ، بما أغنى عن إعادته في هذا الموضع . وفي هذه الآية الدلالة الواضحة على صحة ما جاءت به الرواية عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قوله « ما هَلَكَ قَوْمٌ حتى يُعْذِرُوا مِنْ أَنْفُسِهِمْ » . وقد تأوّل ذلك كذلك بعضهم .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا جرير ، عن أبي سنان ، عن عبد الملك بن ميسرة الزرّاد ، قال : قال عبد الله بن مسعود ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ما هَلَكَ قَوْمٌ حتى يُعْذِرُوا مِنْ أَنْفُسِهِمْ » قال : قلت لعبد الملك : كيف يكون ذلك ؟ قال : فقرأ هذه الآية (فَمَا كَانَ دَعْوَاهُمْ إِذْ جَاءَهُمْ بأسُنا) . . . الآية .

﴿ فإن قال قائل : وكيف قيل (فَمَا كَانَ دَعْوَاهُمْ إِذْ جَاءَهُمْ بَأْسُنا إِلاَّ أَنْ قَالُوا إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ) وكيف أمكنتهم الدعوى بذلك ، وقد جاءهم بأس الله بالهلاك ، أقالوا ذلك قبل الهلاك ؟ فإن كانوا قالوه قبل الهلاك ، فإنهم قالوا قبل مجيء البأس ، والله يخبر عنهم أنهم قالوه حين جاءهم ، لا قبل ذلك ، أو قالوه بعد ما جاءهم ، فتلك حالة قد هلكوا فيها ، فكيف يجوز وصفهم بقيل ذلك إذا عاينوا بأس الله ، وحقيقة ما كانت الرسل تعدهم من سطوة الله ؟ قيل : ليس كل الأمم كان هلاكها في لحظة ، ليس بين أوّله وآخره مهل ، بل كان منهم من غرق بالطوفان ، فكان بين أوّل ظهور السبب الذي علموا أنهم به هالكون ، وبين آخره الذي عمّ جميعهم هلاكه ، المدّة التي لا خفاء بها على ذي عقل ؛ ومنهم من متع بالحياة بعد ظهور علامة الهلاك لأعينهم أياما ثلاثة ، كقوم صالح وأشباههم ، فحينئذ لما عاينوا أوائل بأس الله الذي كانت رسل الله تتوعدهم به ، وأيقنوا حقيقة نزول سطوة الله بهم ، دعوا : (يا وَيْلَنا إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ) (فَلَمْ يَكُ يَنْفَعُهُمْ إِيمَانُهُمْ) مع مجيء وعيد الله ، وحلول نقمته بساحتهم ، فحذّر ربنا جلّ ثناؤه الذين أرسل إليهم نبيه محمدا صلى الله عليه وسلم من سطوته وعقابه على كفرهم به ، وتكذيبهم رسوله ، ما حلّ بمن كان قبلهم من الأمم ، إذ عصوا رسله ، واتبعوا أمر كلّ جبار عنيد .

القول في تأويل قوله تعالى :

فَلَنَسْـَٔلَنَّ ٱلَّذِينَ أُرْسِلَ إِلَيْهِمْ وَلَنَسْـَٔلَنَّ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿٦﴾

﴿ يقول تعالى ذكره : لنسألنّ الأمم الذين أرسلت إليهم رسلي ماذا عملت فيما جاءتهم به الرسل من عندي من أمري ونهيي ، هل عملوا بما أمرتهم به ، وانتهوا عما نهيتهم عنه ، وأطاعوا أمري أم عصوني ، فخالفوا ذلك ؟ (وَلَنَسْأَلَنَّ الْمُرْسَلِينَ) يقول : ولنسألنّ الرسل الذين أرسلتهم إلى الأمم ، هل بلغتهم رسالاتي ، وأدّت إليهم ما أمرتهم بأدائه إليهم ، أم قصّروا في ذلك ، ففرّطوا ولم يبلغوهم .

(١) البيت في اللسان : مذل ، ولم ينسبه . وفيه « بذكراك » في موضع « بدعواك » . قال : ومذلت رجله مذلا (بفتح الذال) ومذلا (بسكون الذال) وأمذلت : خدرت (بكسر الدال) ، وامذألت (بتشديد اللام) . ودعواك في معنى دعائك وذكرك .

وكذلك كان أهل التأويل يتأولونه .

ذكر من قال ذلك

حدثني المثنى ، قال : ثنا عبد الله بن صالح ، قال : ثنى معاوية بن صالح ، عن علىّ بن أبى طلحة ، عن ابن عباس ، قوله (فَلَنَسْئَلَنَّ الَّذِينَ أُرْسِلَ إِلَيْهِمْ ، وَلَنَسْأَلَنَّ الْمُرْسَلِينَ) قال : يسأل الله الناس عما أجابوا المرسلين ، ويسأل المرسلين عما بلغوا .

حدثني محمد بن سعد ، قال : ثنى أبى ، قال : ثنى عمى ، قال : ثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله (فَلَنَسْأَلَنَّ الَّذِينَ أُرْسِلَ إِلَيْهِمْ) ... إلى قوله (غائِبِينَ) قال : يوضع الكتاب يوم القيامة فيتكلم بما كانوا يعملون .

حدثني محمد بن الحسين ، قال : ثنا أحمد بن المفضل ، قال : ثنا أسباط ، عن السدىّ (فَلَنَسْأَلَنَّ الَّذِينَ أُرْسِلَ إِلَيْهِمْ ؛ وَلَنَسْأَلَنَّ الْمُرْسَلِينَ) يقول فلنسألن الأمم ماعملوا فيما جاءت به الرسل . ولنسألنّ الرسل هل بلّغوا ما أرسلوا به .

حدثني الحرث ، قال : ثنا عبد العزيز ، قال : ثنا أبوسعد المدنى ، قال : قال مجاهد (فَلَنَسْأَلَنَّ الَّذِينَ أُرْسِلَ إِلَيْهِمْ) الأمم ، ولنسألنّ الذين أرسلنا إليهم عما ائتمناهم عليه ، هل بلّغوا .

القول في تأويل قوله تعالى :

فَلَنَقُصَّنَّ عَلَيْهِم بِعِلْمٍ وَمَا كُنَّا غَائِبِينَ ﴿٧﴾

يقول تعالى ذكره : فلنخبرنّ الرسل ومن أرسلتهم إليه بيقين علم بما عملوا فى الدنيا فيما كنت أمرتهم به ، وما كنت نهيتهم عنه ، وما كنا غائبين عنهم ، وعن أفعالهم التى كانوا يفعلونها .

فإن قال قائل : وكيف يسأل الرسل والمرسل إليهم ، وهويخبر أنه يقصّ عليهم بعلم بأعمالهم وأفعالهم فى ذلك ؟ قيل : إن ذلك منه تعالى ذكره ليس بمسئلة استرشاد ولا مسئلة تعرّف منهم ما هو به غيرعالم ، وإنما هو مسألة توبيخ وتقرير معناها الخبر ، كما يقول الرجل للرجل : ألم أحسن إليك فأسأت ، وألم أصلك فقطعت ، فكذلك مسئلة الله المرسل إليهم بأن يقول لهم : ألم يأتكم رسلى بالبينات ، ألم أبعث إليكم النذر ، فتنذركم عذابى وعقابى فى هذا اليوم من كفر بى وعبد غيرى ، كما أخبر جلّ ثناؤه أنه قائل لهم يومئذ : (أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يا بَنِى آدَمَ أَلاَّ تَعْبُدُوا الشَّيْطانَ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ . وأَنِ اعْبُدُونِي هَذا صِراطٌ مُسْتَقِيمٌ) ونحو ذلك من القول الذى ظاهره ظاهر مسألة ، ومعناه الخبر والقصص ، وهو بعد توبيخ وتقرير . وأما مسألة الرسل الذى هو قصص وخبر ، فإن الأمم المشركة لما سئلت فى القيامة قيل لها (أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِنْكُمْ يَتْلُونَ عَلَيْكُمْ آياتِ رَبِّكُمْ) أنكر ذلك كثير منهم وقالوا : ما جاءنا من بشير ولا نذير ، فقيل للرسل : هل بلّغتم ما أُرسلتم به ؟ أو قيل لهم : ألم تبلّغوا إلى هؤلاء ما أرسلتم به ؟ كما جاء الخبر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وكما قال جلّ ثناؤه لأمة نبينا محمد صلى

الله عليه وسلم (وكذلك جعلناكم أمة وسطا لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيدا) فكل ذلك من الله مسألة للرسل على وجه الاستشهاد لهم على من أرسلوا إليه من الأمم وللمرسل إليهم على وجه التقرير والتوبيخ ، وكل ذلك بمعنى القصص والخبر . فأما الذى هو عن الله منفى من مسألته خلقه ، فالمسألة التى هى مسألة استرشاد واستثبات ، فيما لايعلمه السائل عنها ، ويعلمه المسئول ، ليعلم السائل علم ذلك من قبله ، فذلك غير جائز أن يوصف الله به ، لأنه العالم بالأشياء قبل كونها ، وفى حال كونها ، وبعد كونها ، وهى المسألة التى نفاها جل ثناؤه عن نفسه بقوله (فيومئذ لايسئل عن ذنبه إنس ولا جان) ، وبقوله (ولا يسئل عن ذنوبهم المجرمون) يعنى : لايسأل عن ذلك أحدا منهم علم مستثبت ، ليعلم علم ذلك من قبل من سأل منه ، لأنه العالم بذلك كله ، وبكل شىء غيره . وقد ذكرنا ما روى فى معنى ذلك من الخبر فى غير هذا الموضع ، فكرهنا إعادته . وقد روى عن ابن عباس أنه كان يقول فى معنى قوله (فلنقصن عليهم بعلم) أنه ينطق لهم كتاب عملهم عليهم بأعمالهم ، وهذا قول غير بعيد من الحق ، غير أن الصحيح من الخبر ، عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال : «مامنكم من أحد إلا سيكلمه ربه يوم القيامة ليس بينه وبينه ترجمان ، فيقول له : أتذكر يوم فعلت كذا وفعلت كذا ؟ حتى يذكره ما فعل فى الدنيا ».والتسليم لخبر رسول الله صلى الله عليه وسلم أولى من التسليم لغيره .

القول في تأويل قوله تعالى :

﴿وَٱلْوَزْنُ يَوْمَئِذٍ ٱلْحَقُّ فَمَن ثَقُلَتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾

الوزن : مصدر من قول القائل : وزنت كذا وكذا ، أزنه وزنا وزنة ، مثل : وعدته أعده وعدا وعدة ، وهو مرفوع بالحق ، والحق به . ومعنى الكلام :والوزن يوم نسأل الذين أرسل إليهم والمرسلين الحق . ويعنى بالحق : العدل . وكان مجاهد يقول : الوزن فى هذا الموضع : القضاء .

حدثنى المثنى ، قال : ثنا أبو حذيفة ، قال : ثنا شبل ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد : والوزن يومئذ : القضاء . وكان يقول أيضا : معنى الحق ههنا : العدل .

ذكر الرواية بذلك

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا جرير ، عن الأعمش ، عن مجاهد (والوزن يومئذ الحق) قال العدل.

وقال آخرون : معنى قوله (والوزن يومئذ الحق) وزن الأعمال .

ذكر من قال ذلك

حدثنى محمد بن الحسين ، قال : ثنا أحمد بن المفضل ، قال : ثنا أسباط ، عن السدى ، قوله (والوزن يومئذ الحق) توزن الأعمال .

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ،

فى قول الله (وَالوَزْنُ يَوْمَئِذٍ الحَقُّ) قال : قال عبيد بن عمير : يؤتى بالرجل العظيم الطويل الأكول الشروب ، فلا يزن جناح بعوضة .

حدثنى المثنى ، قال : ثنا أبو حذيفة ، قال : ثنا شبل ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد (وَالوَزْنُ يَوْمَئِذٍ الحَقُّ) قال : قال عبيد بن عمير : يؤتى بالرجل الطويل العظيم ، فلا يزن جناح بعوضة .

حدثنى الحرث ، قال : ثنا عبد العزيز ، قال : ثنا يوسف بن صهيب ، عن موسى ، عن بلال بن يحيى ، عن حذيفة ، قال : صاحب الموازين يوم القيامة جبريل عليه السلام ، قال : يا جبريل زن بينهم ، فردّ على المظلوم ، وإن لم يكن له حسنات حُمِل عليه من سيئات صاحبه ، فيرجع الرجل وعليه مثل الجبال ، فذلك قوله (والوَزْنُ يَوْمَئِذٍ الحَقُّ) .

واختلف أهل التأويل فى تأويل قوله (فَمَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ) فقال بعضهم : معناه : فمن كثرت حسناته .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا جرير ، عن الأعمش ، عن مجاهد (فَمَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ) قال : حسناته .

وقال آخرون : معنى ذلك : فمن ثقلت موازينه التى توزن بها حسناته وسيئاته ، قالوا : وذلك هو الميزان الذى يعرفه الناس ، له لسان وكفتان .

ذكر من قال ذلك

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، قال : قال ابن جريج : قال لى عمرو بن دينار : قوله (والوَزْنُ يَوْمَئِذٍ الحَقُّ) قال : إنا نرى ميزانا وكفتين ، سمعت عبيد بن عمير يقول : يجعل الرجل العظيم الطويل فى الميزان ، ثم لا يقوم بجناح ذباب .

⁂ قال أبو جعفر : والصواب من القول فى ذلك عندى القول الذى ذكرناه عن عمرو بن دينار من أن ذلك : هو الميزان المعروف الذى يوزن به ، وأن الله جلّ ثناؤه يزن أعمال خلقه الحسنات منها والسيئات ، كما قال جلّ ثناؤه (فَمَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ) موازين عمله الصالح (فَأُولَئِكَ هُمُ المُفْلِحُونَ) يقول : فأولئك هم الذين ظفروا بالنجاح ، وأدركوا الفوز بالطليقات ، والخلود والبقاء فى الجنات ؛ لتظاهر الأخبار عن رسول الله صلى الله عليه وسلم بقوله : « ما وُضِعَ فِى المِيزَانِ شَىْءٌ أثْقَلَ مِنْ حُسْنِ الخُلُقِ » ، ونحو ذلك من الأخبار التى تحقق أن ذلك ميزان يوزن به الأعمال على ما وصفت ، فإن أنكر ذلك جاهل بتوجيه معنى خبر الله عن الميزان ، وخبر رسوله صلى الله عليه وسلم عنه وجهته . وقال : أوَ بالله حاجة إلى وزن الأشياء ، وهو العالم بمقدار كلّ شىء قبل خلقه إياه وبعده ، وفى كلّ حال ، أو قال وكيف توزن الأعمال ، والأعمال ليست بأجسام توصف بالثقل والخفة ، وإنما توزن الأشياء ليعرف ثقلها من خفتها ، وكثرتها من قلتها ، وذلك لا يجوز إلا على الأشياء التى توصف بالثقل والخفة والكثرة والقلة ؟ اقيل له فى قوله : وما وجه وزن الله الأعمال وهو العالم بمقاديرها قبل كونها ، وزن ذلك نظير إثباته إياه

فى أمّ الكتاب ، واستنساخه ذلك فى الكتاب من غير حاجة به إليه ، ومن غير خوف من نسيانه ، وهو العالم بكلّ ذلك فى كل حال ووقت قبل كونه ، وبعد وجوده ، بل ليكون ذلك حجة على خلقه ، كما قال جلّ ثناؤه فى تنزيله (كُلُّ أُمَّةٍ تُدْعَى إلى كِتابِها ، اليَوْمَ تُجْزَوْنَ ما كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ، هَذا كِتابُنا يَنْطِقُ عَلَيْكُمْ بالحَقّ) . . . الآية ، فكذلك وزنه تعالى أعمال خلقه بالميزان حجة عليهم ولهم ، إما بالتقصير فى طاعته والتضييع ، وإما بالتكميل والتتميم .

وأما وجه جواز ذلك ، فإنه كما حدثنى موسى بن عبدالرحمن المسروقى ، قال : ثنا جعفر بن عون ، قال : ثنا عبد الرحمن بن زياد الإفريقى ، عن عبد الله بن يزيد ، عن عبد الله بن عمر ، قال : يؤتى بالرجل يوم القيامة إلى الميزان ، فيوضع فى الكفة ، فيخرج له تسعة وتسعون سجلاً فيها خطاياه وذنوبه ، قال : ثم يخرج له كتاب مثل الأنملة ، فيها شهادة أن لاإله إلا الله ، وأن محمدا عبده ورسوله صلى الله عليه وسلم ، قال : فتوضع فى الكفة ، فترجح بخطاياه وذنوبه ، فكذلك وزن الله أعمال خلقه بأن يوضع العبد وكتب حسناته فى كفة من كفتى الميزان ، وكتب سيئاته فى الكفة الأخرى ، ويحدث الله تبارك وتعالى ثقلا وخفة فى الكفة التى الموزون بها أولى احتجاجا من الله بذلك على خلقه كفعله بكثير منهم من استنطاق أيديهم وأرجلهم ، استشهادا بذلك عليهم ، وما أشبه ذلك من حججه ، ويسئل من أنكر ذلك ، فيقال له : إن الله أخبرنا تعالى ذكره أنه يثقل موازين قوم فى القيامة ، ويخفف موازين آخرين ، وتظاهرت الأخبار عن رسول الله صلى الله عليه وسلم بتحقيق ذلك ، فما الذى أوجب لك إنكار الميزان ، أن يكون هو الميزان الذى وصفنا صفته ، الذى يتعارفه الناس ، أحجة عقل ، فقد يقال : وجه صحته من جهة العقل ، وليس فى وزن الله جلّ ثناؤه خلقه وكتب أعمالهم ، لتعريفهم أثقل القسمين منها بالميزان خروج من حكمة ، ولا دخول فى جور فى قضية ، فما الذى أحال ذلك عندك من حجة ، أوعقل ، أو خبر ، إذ كان لاسبيل إلى حقيقة القول بإفساد ما لايدفعه العقل إلا من أحد الوجهين اللذين ذكرت ، ولا سبيل إلى ذلك ، وفى عدم البرهان على صحة دعواه من هذين الوجهين وضوح فساد قوله ، وصحة ما قاله أهل الحقّ فى ذلك ، وليس هذا الموضع من مواضع الإكثار فى هذا المعنى على من أنكر الميزان الذى وصفنا صفته ، إذ كان قصدنا فى هذا الكتاب البيان عن تأويل القرآن دون غيره ، ولولا ذلك لقرنا إلى ماذكرنا نظائره ، وفى الذى ذكرنا من ذلك كفاية لمن وفّق لفهمه إن شاء الله .

القول فى تأويل قوله تعالى :

وَمَنْ خَفَّتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓاْ أَنفُسَهُم بِمَا كَانُواْ بِـَٔايَٰتِنَا يَظْلِمُونَ ۝

يقول جلّ ثناؤه : ومن خفت موازين أعماله الصالحة ، فلم تثقل بإقراره بتوحيد الله والإيمان به وبرسوله واتباع أمره ونهيه ، فأولئك الذين غبنوا أنفسهم حظوظها من جزيل ثواب الله وكرامته (بِمَا كانُوا

بآياتنا يَظْلِمُونَ) يقول : بما كانوا بحجج الله وأدلته يجحدون ، فلا يقرّون بصحتها ، ولا يوقنون بحقيقتها .

كالذى حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا جرير ، عن الأعمش ، عن مجاهد (وَمَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ) قال : حسناته ، وقيل : فأولئك ومَنْ فى لفظ الواحد ، لأن معناه الجمع ، ولو جاء موحدا كان صوابا فصيحا .

القول في تأويل قوله تعالى :

وَلَقَدْ مَكَّنَّاكُمْ فِي الْأَرْضِ وَجَعَلْنَا لَكُمْ فِيهَا مَعَايِشَ قَلِيلًا مَا تَشْكُرُونَ ﴿١٠﴾

يقول تعالى ذكره : ولقد وطنا لكم أيها الناس فى الأرض ، وجعلناها لكم قرارا تستقرّون فيها ، ومهادا تمهدونها ، وفراشا تفترشونها (وَجَعَلْنَا لَكُمْ فِيها مَعَايِشَ) تعيشون بها أيام حياتكم ، من مطاعم ومشارب ، نعمة منى عليكم ، وإحسانا منى إليكم (قَلِيلاً ما تَشْكُرُونَ) يقول : وأنتم قليل شكركم على هذه النعم التى أنعمتها عليكم لعبادتكم غيرى ، واتخاذكم إلها سواى ، والمعايش : جمع معيشة .

واختلفت القرّاء فى قراءتها ، فقرأ ذلك عامة قرّاء الأمصار (مَعَايِشَ) بغير همز ، وقرأه عبد الرحمن الأعرج (مَعَائِشَ) بالهمز .

والصواب من القراءة فى ذلك عندنا (مَعَايِشَ) بغير همز ، لأنها مفاعل من قول القائل : عشت تعيش فالميم فيها زائدة ، والياء فى الحكم متحرّكة ، لأن واحدها مفعلة معيشة متحركة الياء ، نُقلت حركة الياء منها إلى العين فى واحدها ؛ فلما جمعت ردّت حركتها إليها لسكون ما قبلها وتحركها ، وكذلك تفعل العرب بالياء والواو إذا سكن ماقبلهما وتحركتا فى نظائر ما وصفنا من الجمع الذى يأتى على مثال مفاعل ، وذلك مخالف لما جاء من الجمع على مثال فعائل التى تكون الياء فيها زائدة ليست بأصل ، فإن ما جاء من الجمع على هذا المثال فالعرب تهمزه كقولهم : هذه مدائن وصحائف ونظائر ، لأن مدائن جمع مدينة ، والمدينة : فعيلة من قولهم : مدنت المدينة ، وكذلك صحائف جمع صحيفة ، والصحيفة فعيلة من قولك : صحفت الصحيفة ، فالياء فى واحدها زائدة ساكنة ، فإذا جمعت همزت لخلافها فى الجمع الياء التى كانت فى واحدها ، وذلك أنها كانت فى واحدها ساكنة ، وهى فى الجمع متحركة ، ولو جعلت مدينة مفعلة من دان يدين ، وجمعت على مفاعل ، كان الفصيح ترك الهمز فيها ، وتحريك الياء ، وربما همزت العرب جمع مفعلة فى ذوات الياء والواو وإن كان الفصيح من كلامها ترك الهمز فيها ، إذا جاءت على مفاعل تشبيها منهم جمعها بجمع فعيلة ، كما تشبه مَفْعَلا بفَعِيل ، فتقول : مَسِيل الماء ، من سَال يسيل ، ثم تجمعها جمع « فعيل » ، فتقول : هى أمسلة فى الجمع تشبيها منهم لها بجمع بعير وهو فعيل ، إذ تجمعه أبعرة ، وكذلك يجمع المصير وهو مفعل مصران ، تشبيها له بجمع بعير وهو فعيل ، إذ تجمعه بعران ، وعلى هذا همز الأعرج (مَعَائِشَ) ، وذلك ليس بالفصيح فى كلامها . وأولى ما قرئ به كتاب الله من الألسن ، أفصحها وأعرفها ، دون أنكرها وأشذّها .

القول في تأويل قوله تعالى :

وَلَقَدْ خَلَقْنَاكُمْ ثُمَّ صَوَّرْنَاكُمْ ثُمَّ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ لَمْ يَكُنْ مِنَ السَّاجِدِينَ ﴿١١﴾

اختلف أهل التأويل فى تأويل ذلك ، فقال بعضهم : تأويل ذلك : (وَلَقَدْ خَلَقْنَاكُمْ) فى ظهر آدم أيها الناس (ثُمَّ صَوَّرْنَاكُمْ) فى أرحام النساء خلقا مخلوقا ، ومثالا ممثَّلا فى صورة آدم .

ذكر من قال ذلك

حدثنى المثنى ، قال : ثنا عبد الله بن صالح ، قال : ثنى معاوية ، عن علىّ بن أبى طلحة ، عن ابن عباس ، قوله (وَلَقَدْ خَلَقْنَاكُمْ ثُمَّ صَوَّرْنَاكُمْ) ، قوله (خَلَقْنَاكُمْ) يعنى آدم ، وأما صوّرناكم فذرّيته .

حدثنى محمد بن سعد ، قال : ثنى أبى ، قال : ثنى عمى ، قال : ثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله (وَلَقَدْ خَلَقْنَاكُمْ ثُمَّ صَوَّرْنَاكُمْ) ... الآية ، قال : أما خلقناكم فآدم ، وأما صوّرناكم : فذرّية آدم من بعده .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا حكام ، عن أبى جعفر ، عن الربيع (وَلَقَدْ خَلَقْنَاكُمْ) يعنى : آدم ، ثم صوّرناكم ، يعنى : فى الأرحام .

حدثنى المثنى ، قال : ثنا إسحاق ، قال : ثنا عبد الرحمن بن سعد ، قال : أخبرنا أبو جعفر الرازى ، عن الربيع بن أنس ، فى قوله (وَلَقَدْ خَلَقْنَاكُمْ ثُمَّ صَوَّرْنَاكُمْ) يقول : خلقناكم خلق آدم ، ثم صوّرناكم فى بطون أمهاتكم .

حدثنى محمد بن الحسين ، قال : ثنا أحمد بن المفضل ، قال : ثنا أسباط ، عن السدىّ (وَلَقَدْ خَلَقْنَاكُمْ ثُمَّ صَوَّرْنَاكُمْ) يقول : خلقنا آدم ثم صوّرنا الذرية فى الأرحام .

حدثنا بشر بن آدم ، قال : ثنا يزيد بن زريع ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (وَلَقَدْ خَلَقْنَاكُمْ ثُمَّ صَوَّرْنَاكُمْ) قال : خلق الله آدم من طين ، ثم صوّرناكم فى بطون أمهاتكم خلقا من بعد خلق ، علقة ثم مضغة ، ثم عظاما ، ثم كسا العظام لحما ، ثم أنشأناه خلقا آخر .

حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة ، قال : خلق الله آدم ثم صوّر ذرّيته من بعده .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا عمر بن هارون ، عن نصر بن مشاوش ، عن الضحاك (خَلَقْنَاكُمْ ثُمَّ صَوَّرْنَاكُمْ) قال : ذرّيته .

حُدثت عن الحسين بن الفرج ، قال : سمعت أبا معاذ يقول : أخبرنا عبيد بن سليمان ، عن الضحاك ، قوله (وَلَقَدْ خَلَقْنَاكُمْ) يعنى آدم ، (ثُمَّ صَوَّرْنَاكُمْ) ، يعنى : ذرّيته .

وقال آخرون : بل معنى ذلك : ولقد خلقناكم فى أصلاب آبائكم ، ثم صوّرناكم فى بطون أمهاتكم .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبى ، عن شريك ، عن سماك ، عن عكرمة (وَلَقَدْ خَلَقْنَاكُمْ ثُمَّ صَوَّرْنَاكُمْ) قال : خلقناكم فى أصلاب الرجال ، وصوّرناكم فى أرحام النساء .

حدثنى المثنى ، قال : ثنا الحمانى ، قال : ثنا شريك ، عن سماك ، عن عكرمة ، مثله .

حدثنا محمد بن بشار ، قال : ثنا مؤمل ، قال : ثنا سفيان ، قال : سمعت الأعمش يقرأ (وَلَقَدْ خَلَقْنَاكُمْ ثُمَّ صَوَّرْنَاكُمْ) قال : خلقناكم فى أصلاب الرجال ، ثم صوّرناكم فى أرحام النساء .

وقال آخرون : بل معنى ذلك (خَلَقْنَاكُمْ) يعنى آدم (ثُمَّ صَوَّرْنَاكُمْ) يعنى فى ظهره .

ذكر من قال ذلك

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبوعاصم ، قال : ثنا عيسى ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، فى قول الله (وَلَقَدْ خَلَقْنَاكُمْ) قال : آدم (ثُمَّ صَوَّرْنَاكُمْ) قال : فى ظهر آدم .

حدثنى المثنى ، قال : ثنا أبو حذيفة ، قال : ثنا شبل ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد (وَلَقَدْ خَلَقْنَاكُمْ ثُمَّ صَوَّرْنَاكُمْ) فى ظهر آدم .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، قوله(وَلَقَدْ خَلَقْنَاكُمْ ثُمَّ صَوَّرْنَاكُمْ) قال : صوّرناكم فى ظهر آدم .

حدثنى الحرث ، قال : ثنا عبد العزيز ، قال : ثنا أبو سعد المدنى ، قال : سمعت مجاهدا فى قوله(ولقد خَلَقْنَاكُمْ ثُمَّ صَوَّرْنَاكُمْ) قال : فى ظهر آدم لما تصيرون إليه من الثواب فى الآخرة .

وقال آخرون : معنى ذلك : ولقد خلقناكم فى بطون أمهاتكم ، ثم صورناكم فيها .

ذكر من قال ذلك

حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عمن ذكره ، قال (خَلَقْنَاكُمْ ثُمَّ صَوَّرْنَاكُمْ) قال : خلق الله الإنسان فى الرحم ، ثم صوّره فشقّ سمعه وبصره وأصابعه .

قال أبو جعفر : وأولى الأقوال بالصواب قول من قال : تأويله (وَلَقَدْ خَلَقْنَاكُمْ) ولقد خلقنا آدم (ثُمَّ صَوَّرْنَاكُمْ) بتصويرنا آدم ، كما قد بيّنا فيما مضى من خطاب العرب الرجل بالأفعال تضيفها إليه ، والمعنىّ فى ذلك سلفه ، وكما قال جلّ ثناؤه لمن بين أظهر المؤمنين من اليهود على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم (وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ الطُّورَ خُذُوا مَا آتَيْنَاكُمْ بِقُوَّةٍ) وما أشبه ذلك من الخطاب الموجّه إلى الحىّ الموجود ، والمراد به السلف المعدوم ، فكذلك ذلك فى قوله (وَلَقَدْ خَلَقْنَاكُمْ ثُمَّ صَوَّرْنَاكُمْ) معناه : ولقد خلقنا آباكم آدم ، ثم صوّرناه .

وإنما قلنا : هذا القول أولى الأقوال فى ذلك بالصواب ، لأن الذى يتلو ذلك قوله(ثُمَّ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ) ومعلوم أن الله تبارك وتعالى قد أمر الملائكة بالسجود لآدم ، قبل أن يصوّر ذرّيته

فى بطون أمهاتهم ، بل قبل أن يخلق أمهاتهم ، وثم فى كلام العرب لاتأتى إلا بايذان انقطاع ما بعدها عما قبلها ، وذلك كقول القائل : قمت ثم قعدت ، لايكون القعود إذ عطف به بثم على قوله : قمت إلا بعد القيام ، وكذلك ذلك فى جميع الكلام ، ولو كان العطف فى ذلك بالواو جاز أن يكون الذى بعدها قد كان قبل الذى قبلها ، وذلك كقول القائل : قمت وقعدت ، فجائز أن يكون القعود فى هذا الكلام قد كان قبل القيام ، لأن الواو تدخل فى الكلام إذا كانت عطفا لتوجب للذى بعدها من المعنى ماوجب للذى قبلها من غير دلالة منها بنفسها ، على أن ذلك كان فى وقت واحد أو وقتين مختلفين ، أو إن كانا فى وقتين أيهما المتقدم وأيهما المتأخر؟ فلما وصفنا قلنا : إن قوله (وَلَقَدْ خَلَقْنَاكُمْ ثُمَّ صَوَّرْنَاكُمْ) لايصح تأويله إلا على ماذكرنا . فإن ظن ظان أن العرب إذ كانت ربما نطقت بثم فى موضع الواو فى ضرورة شعر كما قال بعضهم :

سألْتُ رَبِيعَةَ مَنْ خَيْرُها أباً ثُمَّ أمًّا فَقالَتْ لِمَهْ (١)

بمعنى : أبا وأما ، فإن ذلك جائز أن يكون نظيره ، فإن ذلك بخلاف ما ظن ، وذلك أن كتاب الله جل ثناؤه نزل بأفصح لغات العرب ، وغير جائز توجيه شىء منه إلى الشاذ من لغاتها ، وله فى الأفصح الأشهر معنى مفهوم ، ووجه معروف ، وقد وجه بعض من ضعفت معرفته بكلام العرب ذلك إلى أنه من المؤخر الذى معناه التقديم ، وزعم أن معنى ذلك : ولقد خلقناكم ، ثم قلنا للملائكة : اسجدوا لآدم ، ثم صورناكم وذلك غير جائز فى كلام العرب ، لأنها لاتدخل « ثم » فى الكلام ، وهى مراد بها التقديم على ما قبلها من الخبر ، وإن كانوا قد يقدمونها فى الكلام ، إذا كان فيه دليل على أن معناها التأخير ، وذلك كقولهم : قام ثم عبد الله عمرو ؛ فأما إذا قيل : قام عبد الله ثم قعد عمرو ، فغير جائز أن يكون قعود عمرو كان إلا بعد قيام عبد الله ، إذا كان الخبر صدقا ، فقول الله تبارك وتعالى (وَلَقَدْ خَلَقْنَاكُمْ ثُمَّ صَوَّرْنَاكُمْ ، ثُمَّ قُلْنَا لِلْمَلائِكَةِ اسْجُدُوا) نظير قول القائل : قام عبد الله ثم قعد عمرو فى أنه غير جائز أن يكون أمر الله الملائكة بالسجود لآدم كان إلا بعد الخلق والتصوير لما وصفنا قبل . وأما قوله (لِلْمَلائِكَةِ اسْجُدُوا لآدَمَ) فإنه يقول جل ثناؤه : فلما صورنا آدم وجعلناه خلقا سويا ، ونفخنا فيه من روحنا ، قلنا للملائكة : اسجدوا لآدم ، ابتلاء منا واختبارا لهم بالأمر ، ليعلم الطائع منهم من العاصى (فَسَجَدُوا) يقول : فسجد الملائكة (إلاَّ إبْلِيسَ) فإنه (لَمْ يَكُنْ مِنَ السَّاجِدِينَ) لآدم حين أمره الله مع من أمر من سائر الملائكة غيره بالسجود . وقد بينا فيما مضى المعنى الذى من أجله امتحن جل جلاله ملائكته بالسجود لآدم ، وأمر إبليس وقصصه ، بما أغنى عن إعادته فى هذا الموضع .

القول فى تأويل قوله تعالى

﴿ قَالَ مَا مَنَعَكَ أَلَّا تَسْجُدَ إِذْ أَمَرْتُكَ قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِّنْهُ خَلَقْتَنِي مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُ مِن طِينٍ ﴾ ١٢

(١) لم نقف على قائل البيت .

وهذا خبر من الله تعالى ذكره عن قيله لإبليس إذ عصاه ، فلم يسجد لآدم إذ أمره بالسجود له ، يقول (قالَ) الله لإبليس : (ما مَنَعَكَ) أىّ شيء منعك (ألاَّ تَسْجُدَ) : أن تدع السجود لآدم (إذْ أمَرْتُكَ) أن تسجد ، (قالَ أنا خَيْرٌ مِنْهُ) يقول : قال إبليس : أنا خير من آدم (خَلَقْتَنِى مِنْ نارٍ وَخَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ) .

☼ فإن قال قائل : أخبرْنا عن إبليس ألحقته الملامة على السجود ، أم على ترك السجود ؟ فإن تكن لحقته الملامة على ترك السجود ، فكيف قيل له (ما مَنَعَكَ ألاَّ تَسْجُدَ إذْ أمَرْتُكَ) وإن كان النكير على السجود ، فذلك خلاف ما جاء به التنزيل فى سائر القرآن ، وخلاف مايعرفه المسلمون . قيل : إن الملامة لم تلحق إبليس إلا على معصيته ربه بتركه السجود لآدم إذ أمره بالسجود له ، غير أن فى تأويل قوله : (ما مَنَعَكَ ألاَّ تَسْجُدَ إذْ أمَرْتُكَ) بين أهل المعرفة بكلام العرب اختلافا أبدأ بذكر ما قالوا ، ثم أذكر الذى هو أولى ذلك بالصواب ، فقال بعض نحويى البصرة : معنى ذلك : ما منعك أن تسجد ، ولا ههنا زائدة ، كما قال الشاعر :

أَبَى جُودُهُ (لا) البُخْلَ وَاستَعْجَلَتْ بِهِ (نَعَمْ) مِنْ فَتًى لاَيَمْنَعُ الجُودَ قاتلَهْ ١

وقال : فسرته العرب : أبى جوده البخل ، وجعلوا « لا » زائدة حشوا ههنا وصلوا بها الكلام . قال : وزعم يونس أن أبا عمرو كانَ يجرّ البخل ، ويجعل « لا » مضافة إليه، أراد : أبى جوده « لا » التى هى للبخل ، ويجعل « لا » مضافة ، لأن لا قد تكون للجود والبخل ، لأنه لو قال له : امنع الحقّ ولا تعط المسكين ، فقال « لا » كان هذا جودا منه .

وقال بعض نحويى الكوفة نحو القول الذى ذكرناه عن البصريين فى معناه وتأويله ، غير أنه زعم أن العلة فى دخول « لا » فى قوله (أنْ لاتَسْجُدَ) أن فى أوّل الكلام جحدا ، يعنى بذلك قوله (لَمْ يَكُنْ مِنَ السَّاجِدِينَ) فإن العرب ربما أعادوا فى الكلام الذى فيه جحد الجحد ، كالاستيثاق والتوكيد له ؛ قال : وذلك كقولهم :

ما إنْ رأَيْنا مِثْلَهُنَّ لِمَعْشَرٍ سُودُ الرُّءُوسِ فَوَالِجٌ وَفُيُولُ ٢

فأعاد على الجحد الذى هو « ما » جحدا ، وهو قوله « إنْ » فجمعهما للتوكيد :

وقال آخر منهم : ليست « لا » بحشو فى هذا الموضع ، ولا صلة ، ولكن المنع ههنا بمعنى القول .

(١) البيت فى (مغنى اللبيب : باب لا) وفى (شرح شواهده للسيوطى : ٢١٧) وهو غير معزو . و(البخل) : مجرور بإضافة (لا) إليه ، فى حكاية يونس عن أبى عمر بن العلاء . أو منصوب بأبى على المفعولية مع زيادة (لا) عن أبى على الفارسى . ولفظ القافية (قاتله) منصوب بيمنع ، أى لو أراد سائله قتله مامنعه جوده ، على ماأوضحه الأمير . أوالقافية (قائله) بالرفع أوالنصب وفى توجيه كل منهما غموض . ولذلك قال الزمخشرى : البيت غامض المعنى وما رأيت أحدا فسره . وفى تفسير القرطبى : « نائله » بالرفع ، وبها يتضح معنى البيت . يريد أن عطاءه وإن كثر جدا لايمنعه أن يجود لسائله ، لأنه لا يخشى الفقر وفى رواية الأصل : الجوع بدله الجود ، تحريف .

(٢) لم أقف على قائله . والمعشر : الجماعة ، والفوالج : جمع الفالج ، ولعل المراد به هنا : الجمل الضخم ذو السنامين ، وهو الذى بين البختى والعربى ، يحمل من السند للفحلة ، سمى بذلك لأن سنامه نصفان . والفيول : جمع فيل ، ويجمع أيضا على أفيال وفيلة . ويقال : ليلة مثل لون الفيل ، أى سوداء لايهتدى لها ، ولون الفيلة كذلك . ولعل الفوالج كذلك لونها أسود . (انظر اللسان) . يصف إبلا سودا ضخاما ، فيشبهها بالفوالج السندية وبالأفيال ، لضخامتهن وسوادهن .

وإنما تأويل الكلام : من قال لك : لاتسجد إذ أمرتك بالسجود ؟ ولكن دخل فى الكلام « أنْ » إذ كان المنع بمعنى القول لافى لفظه ، كما يفعل ذلك فى سائر الكلام الذى يضارع القول ، وهو له فى اللفظ مخالف كقولهم : ناديت أن لاتقم ، وحلفت أن لاتجلس ، وما أشبه ذلك من الكلام .

وقال بعض من روى : « أبى جوده لاالبخلِ » بمعنى : كلمة البخل ، لأن « لا » هى كلمة البخل ، فكأنه قال : كلمة البخل .

وقال بعضهم : معنى المنع : الحول بين المرء وما يريده ، قال : والممنوع مضطرٌّ به إلى خلاف ما منع منه ، كالممنوع من القيام وهو يريده ، فهو مضطرٌّ من الفعل إلى ما كان خلافا للقيام ، إذ كان المختار للفعل هو الذى له السبيل إليه وإلى خلافه ، فيؤثر أحدهما على الآخر فيفعله ؛ قال : فلما كانت صفة المنع ذلك ، فخوطب إبليس بالمنع ، فقيل له : (ما مَنَعَكَ ألاَّ تَسْجُدَ) كان معناه : كأنه قيل له : أىّ شىء اضطرّك إلى أن لاتسجد .

❊ قال أبو جعفر : والصواب عندى من القول فى ذلك أن يقال : إن فى الكلام محذوفا قد كفى دليل الظاهر منه ، وهو أن معناه : ما منعك من السجود فأحوجك أن لاتسجد ، فترك ذكر أحوجك استغناء بمعرفة السامعين ، قوله (إلاَّ إبْلِيسَ لَمْ يَكُنْ مِنَ السَّاجِدِينَ) أن ذلك معنى الكلام من ذكره ، ثم عمل قوله (ما مَنَعَكَ) فى أن ما كان عاملا فيه قبل أحوجك لو ظهر إذ كان قد ناب عنه .

وإنما قلنا : إن هذا القول أولى بالصواب لما قد مضى من دلالتنا قبل على أنه غير جائز أن يكون فى كتاب الله شىء لامعنى له ، وأن لكلّ كلمة معنى صحيحا ، فتبين بذلك فساد قول من قال « لا » فى الكلام حشو لامعنى لها . وأما قول من قال : معنى المنع ههنا : القول ، فلذلك دخلت لا مع أن ، فإن المنع وإن كان قد يكون قولا وفعلا ، فليس المعروف فى الناس استعمال المنع فى الأمر بترك الشىء ، لأن المأمور بترك الفعل إذا كان قادرا على فعله وتركه ، ففعله لايقال فعله ، وهو ممنوع من فعله إلا على استكراه للكلام ، وذلك أن المنع من الفعل حوّل بينه وبينه ، فغير جائز أن يكون وهو مَحُول بينه وبينه فاعلا له ، لأنه إن جاز ذلك وجب أن يكون محولا بينه وبينه لامحولا وممنوعا لاممنوعا ؛ وبعد : فإن إبليس لم يأتمر لأمر الله ، تعالى بالسجود لآدم كبرا ، فكيف كان يأتمر لغيره فى ترك أمر الله وطاعته بترك السجود لآدم ، فيجوز أن يقال له : أىّ شىء قال لك : لاتسجد لآدم إذ أمرتك بالسجود له ؟ ولكن معناه إن شاء الله ما قلت : ما منعك من السجود له ، فأحوجك ، أو فأخرجك ، أو فاضطرّك إلى أن لاتسجد له على ما بيَّنت .

وأما قوله (أنا خَيْرٌ مِنْهُ خَلَقْتَنِى مِنْ نارٍ وَخَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ) فإنه خبر من الله جلّ ثناؤه عن جواب إبليس إياه إذ سأله : ما الذى منعه من السجود لآدم ، فأحوجه إلى أن لايسجد له ، واضطرّه إلى خلافه أمره به ، وتركه طاعته ، أن المانع كان له من السجود ، والداعى له إلى خلافه أمر ربه فى ذلك أنه أشدّ منه يدا ، وأقوى منه قوّة ، وأفضل منه فضلا ، لفضل الجنس الذى منه خلق ، وهو النار من الذى خلق منه آدم ، وهو الطين ؛ فجهل عدوّ الله وجه الحقّ ، وأخطأ سبيل الصواب ، إذ كان معلوما أن من جوهر النار : الخفة والطيش والاضطراب والارتفاع علوّا ، والذى فى جوهرها من ذلك هو الذى

حمل الخبيثَ بعد الشقاء الذى سبق له من الله فى الكتاب السابق على الاستكبار عن السجود لآدم، والاستخفاف بأمر ربه ، فأورثه العطب والهلاك ، وكان معلوما أن من جوهر الطين : الرزانة والأناة والحلم والحياء والتثبت ، وذلك الذى فى جوهره من ذلك كان الداعي لآدم بعد السعادة التى كانت سبقت له من ربه فى الكتاب السابق إلى التوبة من خطيئته ، ومسئلته ربه العفو عنه والمغفرة ؛ ولذلك كان الحسن وابن سيرين يقولان : أوّل من قاس إبليس ، يعنيان بذلك : القياس الخطأ ، وهو هذا الذى ذكرنا من خطأ قوله ، وبُعده من إصابة الحقّ فى الفضل الذى خصّ الله به آدم على سائر خلقه من خلقه إياه بيده ، ونفخه فيه من روحه ، وإسجاده له الملائكة ، وتعليمه أسماء كلّ شيء مع سائر ما خصه به من كرامته ، فضرب عن ذلك كله الجاهل صفحا ، وقصد إلى الاحتجاج بأنه خلقه من نار وخلق آدم من طين ، وهو فى ذلك أيضا له غير كفء ، لو لم يكن لآدم من الله جلّ ذكره تكرمة شيء غيره ، فكيف والذى خصّ به من كرامته يكثر تعداده ، ويُملّ إحصاؤه .

حدثنى عمرو بن مالك ، قال : ثنا يحيى بن سليم الطائفى ، عن هشام ، عن ابن سيرين ، قال : أوّل من قاس إبليس ، وما عُبِدَتِ الشمس والقمر إلا بالمقاييس .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنا محمد بن كثير ، عن ابن شوذب ، عن مطر الورّاق ، عن الحسن ، قوله(خَلَقْتَنِى مِنْ نارٍ وَخَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ) قال : قاس إبليس وهو أوّل من قاس .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك ، قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا عثمان بن سعيد ، قال : ثنا بشر بن عمارة ، عن أبى روق ، عن الضحاك عن ابن عباس ، قال : لما خلق الله آدم قال للملائكة الذين كانوا مع إبليس خاصة دون الملائكة الذين فى السموات : اسجدوا لآدم ، فسجدوا كلهم أجمعون إلا إبليس استكبر ، لما كان حدّث نفسه من كبره واغتراره ، فقال : لا أسجد له ، وأنا خير منه ، وأكبر سنا ، وأقوى خلقا ، خلقتنى من نار وخلقته من طين ، يقول : إن النار أقوى من الطين .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، قوله (خَلَقْتَنِى مِنْ نارٍ) قال : ثم جعل ذرّيته من ماء .

قال أبو جعفر : وهذا الذى قاله عدوّ الله ليس لما سأله عنه بجواب ، وذلك أن الله تعالى ذكره قال له ما منعك من السجود ؟ فلم يجب بأن الذى منعه من السجود : أنه خلقه من نار ، وخلق آدم من طين ، ولكنه ابتدأ خبرا عن نفسه ، فيه دليل على موضع الجواب ، فقال : (أنا خَيْرٌ مِنْهُ خَلَقْتَنِى مِنْ نارٍ وَخَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ) .

القول فى تأويل قوله تعالى :

﴿ قَالَ فَاهْبِطْ مِنْهَا فَمَا يَكُونُ لَكَ أَن تَتَكَبَّرَ فِيهَا فَاخْرُجْ إِنَّكَ مِنَ الصَّاغِرِينَ ﴾ ١٣

☼ يعنى بذلك جلّ ثناؤه : قال الله لإبليس عند ذلك (فاهْبِطْ مِنْها) وقد بيَّنا معنى الهبوط فيما مضى قبل بما أغنى عن إعادته (فَمَا يَكُونُ لَكَ أنْ تَتَكَبَّرَ فِيها) يقول تعالى ذكره : فقال الله له : اهبط منها ، يعنى : من الجنة ، فما يكون لك ، يقول : فليس لك أن تستكبر فى الجنة عن طاعتى وأمرى .

☼ فإن قال قائل : هل لأحد أن يتكبر فى الجنة ؟ قيل : إن معنى ذلك بخلاف ما إليه ذهبتَ ، وإنما معنى ذلك : فاهبط من الجنة ، فإنه لايسكن الجنة متكبر عن أمر الله ، فأما غيرها فإنه قد يسكنها المستكبر عن أمر الله ، والمستكين لطاعته .

وقوله (فاخْرُجْ إنَّكَ مِنَ الصَّاغِرِينَ) يقول : فاخرج من الجنة إنك من الذين قد نالهم من الله الصغار والذلّ والمهانة ، يقال منه : صغر يصغر صغرا وصغارا وصغرانا ؛ وقد قيل : صغر يصغر صغارا وصغارة ، وبنحو الذى قلنا قال السدىّ .

حدثنا موسى ، قال : ثنا عمرو ، قال : ثنا أسباط ، عن السدىّ (فاخْرُجْ إنَّكَ مِنَ الصَّاغِرِينَ) والصغار : هو الذلّ .

القول فى تأويل قوله تعالى :

قَالَ أَنظِرْنِي إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴿١٤﴾ قَالَ إِنَّكَ مِنَ الْمُنظَرِينَ ﴿١٥﴾

☼ وهذه أيضا جهلة أخرى من جهلاته الخبيثة ، سأل ربه ما قد علم أنه لاسبيل لأحد من خلق الله إليه ، وذلك أنه سأل النظِرَة إلى قيام الساعة ، وذلك هو يوم يبعث فيه الخلق ، ولو أعطى ما سأل من النظرة كان قد أعطى الخلود ، وبقاء لافناء معه ، وذلك أنه لاموت بعد البعث فقال جلّ ثناؤه له(إنَّكَ مِنَ المُنْظَرِينَ إلى يَوْمِ الوَقْتِ المَعْلُومِ)وذلك إلىاليوم الذى قدكتب الله عليه فيه الهلاك والموت والفناء لأنه لاشىء يبقى فلا يفنى غير ربنا الحىّ الذى لايموت ، يقول الله تعالى ذكره (كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ المَوْتِ) والإنظار فى كلام العرب : التأخير ، يقال منه : أنظرته بحقى عليه ، أنظره به إنظارا .

☼ فإن قال قائل: فإن الله قد قال له إذ سأله الإنظار إلى يوم يُبعثون (إنَّكَ مِنَ المُنْظَرِينَ) فى هذا الموضع ، فقد أجابه إلى ماسأل ؟ قيل له : ليس الأمركذلك ، وإنماكان مجيبا له إلى ماسأل لوكان قال له : إنك من المنظرين إلىالوقت الذى سألت ، أو إلى يوم البعث ، أو إلى يوم يبعثون ، أوما أشبه ذلك مما يدلّ على إجابته إلى ماسأل من النظرة . وأما قوله (إنَّكَ مِنَ المُنْظَرِينَ) فلا دليل فيه لولا الآية الأخرى التى قد بين فيها مدة إنظاره إياه إليها ، وذلك قوله(فإنَّكَ مِنَ المُنْظَرِينَ. إلى يَوْمِ الوَقْتِ المَعْلُومِ) على المدة التى أنظره إليها ، لأنه إذا أنظره يوما واحدا ، أو أقلّ منه أو أكثر ، فقد دخل فىعداد المنظرين وتمّ فيه وعد الله الصادق ، ولكنه قد بين قدر مدّة ذلك بالذى ذكرناه ، فعلم بذلك الوقت الذى أنظر إليه وبنحو ذلك كان السدىّ يقول .

حدثنى يونس بن هارون ، قال : ثنا عمرو ، قال : ثنا أسباط ، عن السدىّ (قالَ رَبِّ فَأَنْظِرْنِي

إلى يَوْمِ يُبْعَثُونَ. قالَ فإنَّكَ مِنَ المُنْظَرِينَ. إلى يَوْمِ الوَقْتِ المَعْلُومِ) فلم يُنْظِره إلى يوم البعث ، ولكن أنظَرَه إلى يوم الوقت المعلوم ، وهو يوم ينفخ فى الصور النفخة الأولى ، فصَعِق من فى السموات ومن فى الأرض ، فمات .

فتأويل الكلام : قال إبليس لربه : أنظرنى : أى أخرنى وأجِّلْنى ، وأنسئ فى أجلى ، ولا تُمِتنى إلى يوم يُبعثون ، يقول : إلى يوم يُبعث الخلق ، فقال تعالى ذكره (إنَّكَ مِنَ المُنْظَرِينَ) إلى يوم ينفخ فى الصور فيصعق من فى السموات ومن فى الأرض إلا من شاء الله .

❊ فإن قال قائل : فهل أحد منظر إلى ذلك اليوم سوى إبليس ؟ فيقال له : إنك منهم ؟ قيل : نعم ، من لم يقبض الله روحه من خلقه إلى ذلك اليوم ممن تقوم عليه الساعة ، فهم من المنظرين بآجالهم إليه ، ولذلك قيل لإبليس : (إنَّكَ مِنَ المُنْظَرِينَ) بمعنى : إنك ممن لا يميته الله إلا ذلك اليوم .

القول في تأويل قوله تعالى

﴿ قَالَ فَبِمَآ أَغْوَيْتَنِي لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَٰطَكَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ﴾ ﴿١٦﴾

❊ يقول جلّ ثناؤه : قال إبليس لربه : (فَبِمَا أغْوَيْتَنِي) يقول : فبما أضللتنى .

كما حدثنى المثنى ، قال : ثنا عبد الله بن صالح ، قال : ثنى معاوية ، عن علىّ بن أبى طلحة ، عن ابن عباس ، قوله (فَبِمَا أغْوَيْتَنِي) يقول : أضللتنى .

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله (فَبِمَا أغْوَيْتَنِي) قال : فبما أضللتنى .

وكان بعضهم يتأوّل قوله (فَبِمَا أغْوَيْتَنِي) : بما أهلكتنى ، من قولهم : غوى الفصيل يَغْوَى غَوًى ، وذلك إذا فقد اللبن فمات ، من قول الشاعر :

مُعَطَّفَةُ الأَثْنَاءِ لَيْسَ فَصِيلُهَا ... بِرَازِئِهَا دَرًّا وَلا مَيِّتٍ غَوًى[1]

وأصل الإغواء فى كلام العرب : تزيين الرجل للرجل الشيء حتى يحسنه عنده غارًّا له . وقد حُكى عن بعض قبائل طيّئ أنها تقول : أصبح فلان غاويا : أى أصبح مريضا . وكان بعضهم يتأوّل ذلك أنه بمعنى القسم ، كأن معناه عنده : فباغوائك إياى لأقعدنّ لهم صراطك المستقيم ، كما يقال : بالله لأفعلنّ كذا . وكان

(١) البيت فى (اللسان : غوى) قال : وغوى الفصيل والسخلة يغوى غوى ، فهو غو : بشم من اللبن ، وفسد جوفه . وقيل : هو أن يمتنع من الرضاع ، فلا يروى ، حتى يهزل ، ويضربه الجوع ، وتسوء حاله ، ويموت هزالا ، أو يكاد يهلك . قال : يصف قوسا : معطفة ... الخ ، يعنى القوس وسهما رمى به عنها ، وهذا من اللغز . وقال الليث : غوى الفصيل يغوى غوى : إذا لم يصب ريا من اللبن ، حتى كاد يهلك . وقال ابن شميل : غوى الصبى والفصيل إذا لم يجد من اللبن إلا علقة ، فلا يروى ، وتراه ممثلا (سيىء الغذاء) . قال شمر : وهذا هو الصحيح عند أصحابنا . وقال ابن السكيت : هو ألا يروى من لبأ أمه ، ولا يروى من اللبن حتى يموت هزالا . قال ابن برى : الظاهر فى هذا البيت قول ابن السكيت ، والجمهور على أن الغوى : البشم من اللبن . وقال ابن قتيبة فى كتابه « المعانى الكبير ص : ١٠٤٧ » : أنشد ابن الأعرابى لعامر المجنون : معطفة الأذناب ... الخ ، يريد : القوس ، وفصيلها السهم . والغوى : البشم . وانظره فى المخصص (٧ : ١٨٠) .

بعضهم يتأوّل ذلك بمعنى المجازاة ، كأن معناه عنده : فلأنك أغويتنى ، أو فبأنك أغويتنى لأقعدنّ لهم صراطك المستقيم ، وفى هذا بيان واضح على فساد ما يقول القدرية من أن كلّ من كفر أو آمن فبتفويض الله أسباب ذلك إليه ، وأن السبب الذى به يصل المؤمن إلى الإيمان ، هو السبب الذى به يصل الكافر إلى الكفر ، وذلك أن ذلك لو كان كما قالوا : لكان الخبيث قد قال بقوله (فَبِمَا أَغْوَيْتَنِي) : فبما أصلحتنى ، إذ كان سبب الإغواء ، هو سبب الإصلاح ، وكان فى إخباره عن الإغواء ، إخبار عن الإصلاح ، ولكن لما كان سبباهما مختلفين ، وكان السبب الذى به غوى وهلك من عند الله أضاف ذلك إليه فقال (فَبِمَا أَغْوَيْتَنِي)

وكذلك قال محمد بن كعب القُرَظى ، فيما حدثنى موسى بن عبد الرحمن المسروقى ، قال : ثنا زيد بن الحباب ، قال : ثنا أبومودود ، سمعت محمد بن كعب القرظى يقول : قاتل الله القدرية ، لَإبليسُ أعلم بالله منهم .

وأما قوله (لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ) فإنه يقول : لأجلسنّ لبنى آدم صراطك المستقيم ، يعنى : طريقك القويم ، وذلك دين الله الحقّ ، وهو الإسلام وشرائعه .

وإنما معنى الكلام : لأصدنّ بنى آدم عن عبادتك وطاعتك ، ولأغوينهم كما أغويتنى ، ولأُضِلّنهم كما أضللتنى . وذلك كما روى عن سَبْرة بن الفاكه أنه سمع النبيّ صلى الله عليه وسلم يقول : « إن الشَّيْطانَ قَعَدَ لابْنِ آدَمَ بأطْرُقه ، فَقَعَدَ لَه بِطَرِيقِ الإسْلامِ ، فَقالَ : أَتُسْلِمُ وَتَذَرُ دِينَكَ وَدِينَ آبائِك ، فَعَصاهُ فَأسْلَم ، ثُمَّ قَعَدَ لَهُ بِطَرِيقِ الهِجْرَةِ ، فَقالَ : أتهاجِرُ وَتَذَرُ أرْضَكَ وَسَماءَكَ ، وإنَّمَا مَثَلُ المُهاجِرِ كالفَرَسِ فِي الطِّوَلِ ، فَعَصَاه وَهاجَرَ ؛ ثُمَّ قَعَدَ لَهُ بِطَرِيقِ الجِهادِ ، وَهُوَ جِهْدُ النَّفْسِ والمَالِ ، فقالَ : أتُقاتِلُ فتُقْتَلَ فَتُنْكَحُ المَرْأةُ ويُقَسَّمُ المَالُ ؟ قالَ : فَعَصَاهُ فَجاهَدَ » .

ورُوى عن عون بن عبد الله فى ذلك ، ما حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا حيوة أبو يزيد ، عن عبد الله ابن بكير ، عن محمد بن سوقة ، عن عون بن عبد الله (لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ) قال : طريق مكة ، والذى قاله عون وإن كان من صراط الله المستقيم فليس هو الصراط كله ، وإنما أخبر عدوّ الله أنه يقعد لهم صراط الله المستقيم ولم يخصص منه شيئا دون شيء ، فالذى رُوى فى ذلك عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أشبه بظاهر التنزيل ، وأولى بالتأويل ، لأن الخبيث لايألو عباد الله الصدّ عن كلّ ما كان لهم قربة إلى الله .

وبنحو ما قلنا فى ذلك ، قال أهل التأويل فى معنى المستقيم فى هذا الموضع .

ذكر من قال ذلك

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبوعاصم ، قال : ثنا عيسى ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد (صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ) قال : الحقّ .

حدثنى المثنى ، قال : ثنا أبوحذيفة ، قال : ثنا شبل ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، مثله .

حدثنى الحرث ، قال : ثنا عبد العزيز ، قال : ثنا أبو سعد المدنىّ ، قال : سمعت مجاهدا يقول : (لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ) قال : سبيل الحقّ ، فلأضلنهم إلا قليلا .

واختلف أهل العربية فى ذلك ، فقال بعض نحويى البصرة : معناه : لأقعدنّ لهم على صراطك المستقيم ، كما يقال : توجه مكة : أى إلى مكة ، وكما قال الشاعر :

كأنى إذْ أسْعَى لِأَظْفَرَ طائِرًا ... مَعَ النَّجْمِ مِنْ جَوِّ السَّماءِ يَصُوبُ [1]

بمعنى : لأظفر بطائر ، فألقى الباء ، وكما قال : (أَعَجِلْتُمْ أَمْرَ رَبِّكُمْ) بمعنى : أعجلتم عن أمر ربكم . وقال بعض نحويى الكوفة : المعنى والله أعلم ، لأقعدنّ لهم على طريقهم ، وفى طريقهم ؛ قال : وإلقاء الصفة من هذا جائز ، كما تقول : قعدت لك وجه الطريق ، وعلى وجه الطريق ؛ لأن الطريق صفة فى المعنى يحتمل ما يحتمله اليوم والليلة والعام ، إذ قيل : آتيك غدا ، وآتيك فى غد .

وهذا القول هو أولى القولين فى ذلك عندى بالصواب ، لأن القعود مقتض مكانا يقعد فيه ، فكما يقال : قعدت فى مكانك ، يقال : قعدت على صراطك ، وفى صراطك ، كما قال الشاعر :

لَدْنٌ بِهَزِّ الكَفِّ يَعْسِلُ مَتْنُهُ ... فِيهِ كَمَا عَسَلَ الطَّرِيقَ الثَّعْلَبُ [2]

فلا تكاد العرب تقول ذلك فى أسماء البلدان ، ولا يكادون يقولون : جلست مكة وقمت بغداد .

القول في تأويل قوله تعالى :

﴿ ثُمَّ لَآتِيَنَّهُمْ مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَانِهِمْ وَعَنْ شَمَائِلِهِمْ وَلَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَاكِرِينَ ﴾ ١٧

اختلف أهل التأويل فى تأويل ذلك ، فقال بعضهم : معنى قوله (لَآتِيَنَّهُمْ مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ) من قِبَل الآخرة (وَمِنْ خَلْفِهِمْ) من قِبَل الدنيا (وَعَنْ أَيْمَانِهِمْ) من قِبَل الحقّ (وَعَنْ شَمَائِلِهِمْ) من قِبَل الباطل .

---

(١) يصوب : أى ينزل . ولم أقف على قائله .

(٢) البيت من شواهد النحويين (الخزانة للبغدادى ١ : ٤٧٤) على أن حذف حرف الجر من الطريق شاذ ، والأصل : كما عسل فى الطريق الثعلب ، واللدن : الناعم اللين ، ويعسل : يشتد اهتزازه ، عسل الثعلب والذئب فى عدوه : إذا اشتد اضطرابه ، والمصدر : عسلا وعسلانا بتحريكهما . والبيت لساعدة بن جؤية الهذلى ، مخضرم أسلم ، وليست له صحبة . ورواه السكرى فى أشعار هذيل ، « لذ بهز الكف يعسل نصله » وقال : يضطرب نصله كما يضطرب الثعلب فى الطريق إذا عدا . والنصل السنان . اهـ . ورواية المؤلف كرواية سيبويه ، وهى الجيدة . وفى اللسان (: عسل) : وقول ساعدة بن جؤية : لدن . . . البيت كرواية المؤلف . أراد : عسل فى الطريق ، فحذف وأوصل ، كقولهم : دخلت البيت .

وقال الأعلم : استشهد به سيبويه على وصول الفعل إلى الطريق ، وهو اسم خاص للموضع المستطرق ، بغير واسطة حرف جر ، قال تشبيها بالمكان ، لأن الطريق مكان ، وهو نحو قول العرب : ذهبت الشام ، إلا أن الطريق أقرب إلى الإبهام من الشام ، لأن الطريق تكون فى كل موضع يسار فيه ، وليس الشام كذلك .

ذكر من قال ذلك

حدثني المثنى ، قال : ثنا عبد الله بن صالح ، قال : ثني معاوية ، عن عليّ ، عن ابن عباس ، قوله (ثُمَّ لَآتِيَنَّهُمْ مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ) يقول : أشككهم في آخرتهم (وَمِنْ خَلْفِهِمْ) أرغبهم في دنياهم (وَعَنْ أَيْمَانِهِمْ) أشبه عليهم أمر دينهم (وَعَنْ شَمَائِلِهِمْ) أشهّي لهم المعاصي .

وقد رُوي عن ابن عباس بهذا الإسناد في تأويل ذلك خلاف هذا التأويل .

وذلك ما حدثني المثنى ، قال : ثنا عبد الله بن صالح ، قال : ثني معاوية ، عن عليّ بن أبي طلحة ، عن ابن عباس ، قوله (ثُمَّ لَآتِيَنَّهُمْ مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ) يعني من الدنيا (وَمِنْ خَلْفِهِمْ) من الآخرة (وَعَنْ أَيْمَانِهِمْ) من قِبَل حسناتهم (وَعَنْ شَمَائِلِهِمْ) من قِبَل سيئاتهم .

وتحقق هذه الرواية الأخرى التي حدثني بها محمد بن سعد ، قال : ثني أبي ، قال : ثني عمي ، قال : ثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله (ثُمَّ لَآتِيَنَّهُمْ مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وعن أيمانهم وَعَنْ شَمَائِلِهِمْ) قال : مابين أيديهم فمن قبلهم ؛ أما ومن خلفهم فأمر آخرتهم ؛ وأما عن أيمانهم : فمن قِبَل حسناتهم ؛ وأما عن شمائلهم : فمن قِبَل سيئاتهم .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (ثُمَّ لَآتِيَنَّهُمْ مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ) ... الآية ، أتاهم من بين أيديهم ، فأخبرهم أنه لابعث ولا جنة ولا نار ، ومن خلفهم من أمر الدنيا ، فزينها لهم ، ودعاهم إليها ؛ وعن أيمانهم : من قِبَل حسناتهم بطّأهم عنها ؛ وعن شمائلهم : زيّن لهم السيئات والمعاصي ودعاهم إليها وأمرهم بها ، أتاك يا ابن آدم من كلّ وجه ، غير أنه لم يأتك من فوقك ، لم يستطع أن يحول بينك وبين رحمة الله .

وقال آخرون : بل معنى قوله (مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ) من قِبَل دنياهم (وَمِنْ خَلْفِهِمْ) من قِبَل آخرتهم .

ذكر من قال ذلك

حدثنا محمد بن بشار ، قال : ثنا مؤمل ، قال : ثنا سفيان ، عن منصور ، عن إبراهيم ، في قوله (ثُمَّ لَآتِيَنَّهُمْ مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ) قال : من بين أيديهم : من قِبَل دنياهم ؛ ومن خلفهم : من قِبَل آخرتهم (وَعَنْ أَيْمَانِهِمْ) من قِبَل حسناتهم (وَعَنْ شَمَائِلِهِمْ) : من قبل سيئاتهم.

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبي ، عن سفيان ، عن منصور ، عن الحكم (ثُمَّ لَآتِيَنَّهُمْ مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَانِهِمْ وَعَنْ شَمَائِلِهِمْ) قال : من بين أيديهم : من دنياهم ؛ ومن خلفهم : من آخرتهم ؛ وعن أيمانهم : من حسناتهم ؛ وعن شمائلهم : من قِبَل سيئاتهم .

حدثنا سفيان ، قال : ثنا جرير ، عن منصور ، عن الحكم (ثُمَّ لَآتِيَنَّهُمْ مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ) قال : من قِبل الدنيا يزينها لهم ؛ ومن خلفهم : من قِبَل الآخرة يبطّئهم عنها ؛ وعن أيمانهم : من قِبَل الحقّ يصدّهم عنه ؛ وعن شمائلهم : من قِبَل الباطل يرغبهم فيه ، ويزينه لهم .

حدثني محمد بن الحسين ، قال : ثنا أحمد بن المفضل ، قال : ثنا أسباط ، عن السدي (ثُمَّ لَآتِيَنَّهُمْ

مِنْ بينِ أيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أيمانِهِمْ وَعَنْ شَمائِلِهِمْ) أما من بين أيديهم : فالدنيا أدعوهم إليها ، وأرغبهم فيها ؛ ومن خلفهم : فمن الآخرة أشككهم فيها وأبعِّدها عليهم ؛ وعن أيمانهم : يعنى الحقّ فأشككهم فيه ؛ وعن شمائلهم : يعنى الباطل أخففه عليهم ، وأرغبهم فيه .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، قال : قال ابن جريج : قوله (مِنْ بينِ أيْدِيهِمْ) من دنياهم أرغبهم فيها (وَمِنْ خَلْفِهِمْ) آخرتهم أكفرهم بها ، وأزهدهم فيها (وَعَنْ أيمانِهِمْ) حسناتهم أزهدهم فيها (وَعَنْ شَمائِلِهِمْ) مساوى أعمالهم أحسِّنها إليهم .

وقال آخرون : معنى ذلك : من حيث يبصرون ، ومن حيث لايبصرون .

ذكر من قال ذلك

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبوعاصم ، قال : ثنا عيسى ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، قول الله (مِنْ بينِ أيْدِيهِمْ وَعَنْ أيمانِهِمْ) قال : حيث يبصرون (وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ شَمائِلِهِمْ) حيث لايبصرون .

حدثنى المثنى ، قال : ثنا أبوحذيفة ، قال : ثنا شبل ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، مثله .

حدثنا ابن وكيع وابن حميد ، قالا : ثنا جرير ، عن منصور ، قال : تذاكرنا عند مجاهد ، قوله (ثُمَّ لآتِيَنَّهُمْ مِنْ بَيْنِ أيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أيْمانِهِمْ وَعَنْ شَمائِلِهِمْ) فقال مجاهد : هو كما قال : يأتيهم من بين أيديهم ومن خلفهم وعن أيمانهم وعن شمائلهم ، زاد ابن حميد ، قال : يأتيهم من ثَمّ .

حدثنى الحرث ، قال : ثنا عبد العزيز ، قال : ثنا أبوسعد المدنى ، قال : قال مجاهد : فذكر نحو حديث محمد بن عمرو ، عن أبى عاصم .

⁂ قال أبو جعفر : وأولى هذه الأقوال عندى بالصواب قول من قال : معناه : ثم لآتينهم من جميع وجوه الحقّ والباطل ، فأصدّهم عن الحقّ ، وأحسِّن لهم الباطل ؛ وذلك أن ذلك عقيب قوله (لأقْعُدَنَّ لَهُمْ صِراطَكَ المُسْتَقِيمَ) فأخبر أنه يقعد لبنى آدم على الطريق الذى أمرهم الله أن يسلكوه ، وهو ما وصفنا من دين الله الحقّ ، فيأتيهم فى ذلك من كلّ وجوهه ، من الوجه الذى أمرهم الله به ، فيصدّهم عنه ، وذلك من بين أيديهم ، وعن أيمانهم ، ومن الوجه الذى نهاهم الله عنه ، فيزينه لهم ، ويدعوهم إليه ، وذلك من خلفهم ، وعن شمائلهم . وقيل : ولم يقل : من فوقهم ، لأن رحمة الله تنزل على عباده من فوقهم .

ذكر من قال ذلك

حدثنا سعد بن عبد الله بن عبد الحكم المصرىّ ، قال : ثنا حفص بن عمر ، قال : ثنا الحكم بن أبان ، عن عكرمة ، عن ابن عباس ، فى قوله (ثُمَّ لآتِيَنَّهُمْ مِنْ بينِ أيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أيمانِهِمْ وَعَنْ شَمائِلِهِمْ) ولم يقل : من فوقهم ، لأن الرحمة تنزل من فوقهم .

وأما قوله (وَلا تَجِدُ أكْثَرَهُمْ شاكِرِينَ) فإنه يقول : ولا تجد رب أكثر بنى آدم شاكرين لك

نعمتك التي أنعمت عليهم كتكرمتك أباهم آدم بما أكرمته به ، من إسجادك له ملائكتك ، وتفضيلك إياه عليّ ، وشكرهم إياه طاعتهم له بالإقرار بتوحيده ، واتباع أمره ونهيه .

وكان ابن عباس يقول في ذلك بما حدثني به المثنى ، قال : ثنا عبد الله بن صالح ، قال : ثني معاوية ، عن عليّ بن أبي طلحة ، عن ابن عباس ، قوله (وَلَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَاكِرِينَ) يقول : موحدين .

القول في تأويل قوله تعالى :

﴿ قَالَ ٱخْرُجْ مِنْهَا مَذْءُومًا مَّدْحُورًا لَّمَن تَبِعَكَ مِنْهُمْ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنكُمْ أَجْمَعِينَ ﴾

وهذا خبر من الله تعالى ذكره ، عن إحلاله بالخبيث عدوّ الله ما أحلّ به من نقمته ولعنته ، وطرده إياه عن جنته ، إذ عصاه وخالف أمره ، وراجعه من الجواب بما لم يكن له مراجعته به ؛ يقول : قال الله له عند ذلك : اخرج منها : أي من الجنة مذءوما مدحورا ، يقول : معيبا ، والذأم : العيب ، يقال منه : ذأمه يذأمه ذأما فهو مذءوم ، ويتركون الهمز فيقولون : ذمته أذيمه ذيما وذاما ، والذأم والذيم أبلغ في العيب من الذم ؛ وقد أنشد بعضهم هذا البيت :

صَحِبْتُكَ إذْ عَيْنِي عَلَيْهَا غِشَاوَةٌ فَلَمَّا انْجَلَتْ قَطَّعْتُ نَفْسِي أذِيمُهَا[1]

وأكثر الرواة على إنشاده ألومها . وأما المدحور : فهو المقصَى ، يقال : دحره يدحره دحرا ودحورا : إذا أقصاه وأخرجه ؛ ومنه قولهم : ادحر عنك الشيطان .

وبنحو الذي قلنا في ذلك ، قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر بن معاذ ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (اخْرُجْ مِنْهَا مَذْءُومًا مَدْحُورًا) يقول : اخرج منها لعينا منفيا .

حدثنا المثنى ، قال : ثنا أبو صالح ، قال : ثني معاوية ، عن عليّ ، عن ابن عباس : مذءوما : ممقوتا.

حدثني محمد بن سعد ، قال : ثني أبي ، قال : ثني عمي ، قال : ثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله (قَالَ اخْرُجْ مِنْهَا مَذْءُومًا) يقول : صغيرا منفيا .

حدثني محمد بن الحسين ، قال : ثنا أحمد بن المفضل ، قال : ثنا أسباط ، عن السديّ ، قوله (اخْرُجْ مِنْهَا مَذْءُومًا مَدْحُورًا) : أما مذءوما : فمنفيا ، وأما مدحورا : فطرودا .

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد : (مَذْءُومًا) قال : منفيا (مَدْحُورًا) قال : مطرودا .

---

(١) في (اللسان : ذأم) : ذأم الرجل يذأمه ذأما : حقره وذمه وعابه ، وقيل : حقره وطرده ، فهو مذءوم . أو ذأمه ذأما : طرده . وفي التنزيل العزيز : « اخرج منها مذءوما مدحورا » يكون معناه : مذموما ، ويكون : مطرودا . وقال مجاهد : مذءوما : منفيا ، ومدحورا : مطرودا . وذأمه ذأما : أخزاه ، والذأم : العيب ، يهمز ولا يهمز . وقال في (ذيم) الذيم والذام : العيب ، وقد ذامه يذيمه ذيما وذاما : عابه ، وذمته أذيمه ، وذأمته وذممته ، كله بمعنى عن الأخفش .

حدثنى المثنى ، قال : ثنا إسحاق ، قال : ثنا عبد الله بن أبى جعفر ، عن أبيه ، عن الربيع ، قوله (اخْرُجْ مِنْهَا مَذْءُومًا) قال : منفيا ، والمدحور ، قال : المصغَّر .

حدثنى المثنى ، قال : ثنا إسحاق ، قال : ثنا عبدالله بن الزبير ، عن ابن عيينة ، عن يونس وإسرائيل ، عن أبى إسحاق ، عن التميمى ، عن ابن عباس (اخْرُجْ مِنْهَا مَذْءُومًا) قال : منفيا .

حدثنى أبو عمرو القرقسانى عثمان بن يحيى ، قال : ثنا سفيان ، عن أبى إسحاق ، عن التميمى ، سأل ابن عباس : ما (اخْرُجْ مِنْهَا مَذْءُومًا مَدْحُورًا) قال : مقيتا :

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله (اخْرُجْ مِنْهَا مَذْءُومًا مَدْحُورًا) فقال : مانعرف المذءوم والمذموم إلا واحدا ، ولكن يكون[١] منتقصة ، وقال العرب لعامر : يا عام ، ولحارث : يا حار ، وإنما أنزل القرآن على كلام العرب .

القول فى تأويل قوله تعالى : ﴿ لَمَنْ تَبِعَكَ مِنْهُمْ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنْكُمْ أَجْمَعِينَ ﴾ :

وهذا قسم من الله جل ثناؤه ، أقسم أن من اتبع من بنى آدم عدو الله إبليس وأطاعه وصدق ظنه عليه أن يملأ من جميعهم ، يعنى من كفرة بنى آدم تبّاع إبليس ، ومن إبليس وذريته جهنم ، فرحم الله امرأ كذّب ظن عدو الله فى نفسه ، وخيّب فيها أمله وأمنيته ، ولم يكن ممن أطمع فيها عدوه ، واستغشه ولم يستنصحه ، وإن الله تعالى ذكره إنما نبه بهذه الآيات عباده على قدم عداوة عدوه وعدوهم إبليس لهم ، وسالف ما سلف من حسده لأبيهم ، وبغيه عليه وعليهم ، وعرّفهم مواقع نعمه عليهم قديما فى أنفسهم ووالدهم ليدّبروا آياته ، وليتذكر أولو الألباب ، فينزجروا عن طاعة عدوه وعدوهم إلى طاعته وينيبوا إليها .

القول فى تأويل قوله تعالى :

﴿ وَيَا آدَمُ اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ فَكُلَا مِنْ حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ ﴾ ١٩

يقول الله تعالى ذكره : وقال الله لآدم (يا آدَمُ اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ فَكُلَا مِنْ حَيْثُ شِئْتُمَا) فأسكن جل ثناؤه آدم وزوجته الجنة بعد أن أهبط منها إبليس وأخرجه منها ، وأباح لها أن يأكلا من ثمارها ، من أى مكان شاءا منها ، ونهاهما أن يقربا ثمر شجرة بعينها . وقد ذكرنا اختلاف أهل التأويل فى ذلك ، وما نرى من القول فيه صوابا فى غير هذا الموضع ، فكرهنا إعادته (فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ) يقول : فتكونا ممن خالف أمر ربه ، وفعل ما ليس له فعله .

القول فى تأويل قوله تعالى :

﴿ فَوَسْوَسَ لَهُمَا الشَّيْطَانُ لِيُبْدِيَ لَهُمَا مَا وُورِيَ عَنْهُمَا مِنْ سَوْآتِهِمَا وَقَالَ مَا نَهَاكُمَا رَبُّكُمَا عَنْ هَذِهِ الشَّجَرَةِ إِلَّا أَنْ تَكُونَا مَلَكَيْنِ أَوْ تَكُونَا مِنَ الْخَالِدِينَ ﴾ ٢٠

(١) بياض فى الأصل بقدر كلمة . ولعل الساقط كلمة : « المذموم » . أى يكون لفظة المذؤم منتقصة من المذموم .

﴿ يعني جلّ ثناؤه بقوله (فَوَسْوَسَ لَهُما) فوسوس إليهما ، وتلك الوسوسة كانت قوله لهما (ما نَهاكُما رَبُّكُما عَنْ هَذِهِ الشَّجَرَةِ إلاَّ أنْ تَكُونا مَلَكَيْنِ أوْ تَكُونا مِنَ الخالِدِينَ) وإقسامه لهما على ذلك ؛ وقيل : وسوس لهما ، والمعنى ما ذكرت ، كما قيل : عرضت له ، بمعنى : استبنت إليه ، وإنما يعني : عرضت من هؤلاء إليه ، فكذلك معنى ذلك : فوسوس من نفسه إليهما الشيطان بالكذب من القيل (لِيُبْدِيَ لَهُما ما وُورِيَ عَنْهُما مِنْ سَوْآتِهِما) كما قال رؤبة :

وَسْوَسَ يَدْعُو مُخْلِصاً رَبَّ الفَلَقْ[١]

ومعنى الكلام : فجذب إبليس إلى آدم حوّاء ، وألقى إليهما : مانهاكما ربكما عن أكل ثمر هذه الشجرة إلا أن تكونا ملكين ، أو تكونا من الخالدين ، ليبدى لهما ما واراه الله عنهما من عوراتهما ، فغطاه بستره الذى ستره عليهما .

وكان وهب بن منبه يقول فى الستر الذى كان الله سترهما به ما حدثنى به حوثرة[٢] بن محمد المنقرى ، قال ثنا سفيان بن عيينة ، عن عمرو ، عن ابن منبه ، فى قوله(فَبَدَتْ لَهُما سَوْآتُهُما) قال : كان عليهما نور لاترى سوآتهما .

القول في تأويل قوله تعالى :﴿وَقالَ ما نَهاكُما رَبُّكُما عَنْ هَذِهِ الشَّجَرَةِ إلاَّ أنْ تَكُونا مَلَكَيْنِ أوْ تَكُونا مِنَ الخالِدِينَ﴾ :

يقول جلّ ثناؤه : وقال الشيطان لآدم وزوجته حوّاء : ما نهاكما ربكما عن هذه الشجرة أن تأكلا ثمرها إلا لئلا تكونا ملكين ، وأسقطت « لا » من الكلام لدلالة ماظهر عليها ، كما أسقطت من قوله(يُبَيِّنُ اللهُ لَكُمْ أنْ تَضِلُّوا) والمعنى يبين الله لكم أن لاتضلوا . وكان بعض أهل العربية من أهل البصرة يزعم أن معنى الكلام : مانهاكما ربكما عن هذه الشجرة إلا كراهة أن تكونا ملكين ، كما يقال : إياك أن تفعل كراهية أن تفعل ، أو تكونا من الخالدين فى الجنة الماكثين فيها أبدا فلاتموتا . والقراءة على فتح اللام بمعنى ملكين من الملائكة .

ورُوى عن ابن عباس ما حدثنى المثنى ، قال : ثنا إسحاق ، قال : ثنا ابن أبى حماد ، قال : ثنا عيسى الأعمى ، عن السدىّ ، قال : كان ابن عباس يقرأ (إلاَّ أنْ تَكُونا مَلِكَيْنِ) بكسر اللام .

وعن يحيي بن أبى كثير ما حدثنى أحمد بن يوسف ، قال : ثنى القاسم بن سلام ، قال : ثنا حجاج ، عن هارون ، قال : ثنا يعلى بن حكيم ، عن يحيي بن أبى كثير أنه قرأها ملكين بكسر اللام ، وكأن ابن عباس ويحيي وجها تأويل الكلام إلى أن الشيطان قال لهما (ما نَهاكُما رَبُّكُما عَنْ هَذِهِ الشَّجَرَةِ إلاَّ أنْ تَكُونا مَلِكَيْنِ) من الملوك ، وأنهما تأوّلا فى ذلك قول الله فى موضع آخر (قالَ يا آدَمُ هَلْ أدُلُّكَ على شَجَرَةِ الخُلْدِ وَمُلْكٍ لايَبْلَى) .

﴿ قال أبو جعفر : والقراءة التى لاأستجيز القراءة فى ذلك بغيرها ، القراءة التى عليها قرّاء الأمصار ،

(١) البيت الثالث والخمسون بعد المئة فى ديوانه طبع ليبسج سنة ١٩٠٣ من أرجوزته المطولة فى وصف المفازة ص ١٠٨ .
(٢) هو حوثرة بن محمد المنقرى أبوالأزهر البصرى الوراق ، مات سنة ٢٥٦ وثقه ابن حبان .

وهي فتح اللام من ملَكين ، بمعنى : ملَكين من الملائكة لما قد تقدم من بياننا فى أن كلّ ما كان مستفيضا فى قرأة الإسلام من القراءة ، فهو الصواب الذى لايجوز خلافه.

القول في تأويل قوله تعالى:

﴿ وَقَاسَمَهُمَا إِنِّي لَكُمَا لَمِنَ النَّاصِحِينَ ﴾ ٢١

يعنى جلّ ثناؤه بقوله (وَقَاسَمَهُمَا) : وحلف لهما ، كما قال فى موضع آخر (تَقَاسَمُوا بِاللهِ لَنُبَيِّتَنَّهُ) بمعنى : تحالفوا بالله ؛ وكما قال خالد بن زهير عمّ أبي ذويب :

وقاسَمَها بالله جَهْـدًا لأنْتُمُ　　أَلَذُّ منَ السَّلْوَى إذا ما نَشُورُها [1]

بمعنى : وحالفها بالله ؛ وكما قال أعشى بنى ثعلبة :

رَضِيعَىْ لِبانٍ ثَدْيِ أُمٍّ تَقاسَمَا　　بأسْحَمَ داجٍ عَوْضُ لانَتَفَرَّقُ [2]

بمعنى تحالفا . وقوله(إِنِّي لَكُمَا لَمِنَ النَّاصِحِينَ) : أى لممن ينصح لكما فى مشورته لكما ، وأمره إياكما بأكل ثمر الشجرة التى نُهيتما عن أكل ثمرها ، وفى خبرى إياكما بما أخبركما به من أنكما إن أكلتماه كنتما ملَكين ، أو كنتما من الخالدين .

كما حدثنا بشر بن معاذ ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (وَقَاسَمَهُمَا إِنِّي لَكُمَا لَمِنَ النَّاصِحِينَ) فحلف لهما بالله حتى خدعهما ، وقد يُخدع المؤمن بالله ، فقال : إنى خُلقت قبلكما وأنا أعلم منكما ، فاتبعانى أرشدكما . وكان بعض أهل العلم يقول : من خادعنا بالله خَدَعنا .

القول في تأويل قوله تعالى:

﴿ فَدَلَّاهُمَا بِغُرُورٍ فَلَمَّا ذَاقَا الشَّجَرَةَ بَدَتْ لَهُمَا سَوْآتُهُمَا وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِنْ وَرَقِ الْجَنَّةِ وَنَادَاهُمَا رَبُّهُمَا أَلَمْ أَنْهَكُمَا عَنْ تِلْكُمَا الشَّجَرَةِ وَأَقُلْ لَكُمَا إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمَا عَدُوٌّ مُبِينٌ ﴾ ٢٢

(١) البيت فى (اللسان : سلا) منسوبا إلى خالد بن زهير ، قال : أى نأخذها من خليتها ، يعنى العسل . قال الزجاج : أخطأ خالد ، إنما السلوى طائر . قال الفارسى : السلوى : كل ما سلاك ، وقيل للعسل : سلوى ، لأنه يسليك بحلاوته ، وتأتيه عن غيره ، عما تلحقك فيه مؤنة الطبخ وغيره من أنواع الصناعة . يرد بذلك على أبى إسحاق (الزجاج) . قال : وقال أبو بكر : قال المفسرون : المن : الترنجبين ، والسلوى : السمانى . قال : والسلوى عند العرب : العسل . وفى (اللسان : قسم) : وقاسمه : حلف له . وتقاسموا بالله : تحالفوا .

(٢) البيت للأعشى ميمون : (ديوانه طبع القاهرة بشرح الدكتور محمد حسين ص ٢٢٥)وفيه وفى اللسان : (تحالفا) فى موضع (تقاسما) والرضيعان : هما الندى : أى الكرم والمحلق ، وهو الممدوح بالقصيدة ، وقد ذكرهما فى البيت قبله وذكر نار القرى ، قال:

تُشَبُّ لِمَقْرُورَيْنِ يَصْطَلِيَانِها　　وباتَ على النَّارِ النَّدَى والمُحَلَّقُ

يريد أن الكرم وهذا الرجل قد رضعا ثدى أم واحدة ، وقد تحالفا أنهما لايفترقان أبدا . والأسحم الداجى : قيل هو الليل ، وهو مما يقسمون به . وقيل : سواد حلمة الثدى الذى رضعاه معا . وعوض : ظرف مبنى على الضم ، ومعناه : ما يستقبل من الزمان : أى أبد الدهر . وانظره فى (اللسان : عوض) .

يعني جلّ ثناؤه بقوله (فَدَلَّاهُما بِغُرُورٍ) فخدعهما بغرور ، يقال منه : ما زال فلان يدلى فلانا بغرور ، بمعنى : ما زال يخدعه بغرور ، ويكلمه بزخرف من القول باطل (فَلَمَّا ذَاقَا الشَّجَرَةَ) يقول : فلما ذاق آدم وحوّاء ثمر الشجرة ، يقول : طعماه (بَدَتْ لَهُما سَوْآتُهُما) يقول : انكشفت لهما سوآتهما ، لأن الله أعراهما من الكسوة التي كان كساهما قبل الذنب والخطيئة ، فسلبهما ذلك بالخطيئة التي أخطأ ، أو المعصية التي ركبا (وَطَفِقا يَخْصِفانِ عَلَيْهِما مِنْ وَرَقِ الجَنَّةِ) يقول : أقبلا وجعلا يشدّان عليهما من ورق الجنة ليواريا سوآتهما .

كما حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا وكيع ، عن إسرائيل ، عن سماك ، عن عكرمة ، عن ابن عباس (وَطَفِقا يَخْصِفانِ عَلَيْهِما مِنْ وَرَقِ الجَنَّةِ) قال : جعلا يأخذان من ورق الجنة فيجعلان على سوءاتهما .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن أبي بكر ، عن الحسن ، عن أبيّ بن كعب ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « كانَ آدَمُ كأنَّهُ نَخْلَةٌ سَحُوقٌ كَثِيرَ شَعْرِ الرَّأْسِ ، فَلَمَّا وَقَعَ بالخَطِيئَةِ بَدَتْ لَهُ عَوْرَتُهُ وكانَ لا يَراها ، فانْطَلَقَ فارًّا ، فَتَعَرَّضَتْ لَهُ شَجَرَةٌ فَحَبَسَتْهُ بِشَعْرِهِ ، فَقالَ لَها : أرْسِلِينِي ، فَقالَتْ : لَسْتُ بِمُرْسِلَتِكَ ، فَناداهُ رَبُّهُ : يا آدَمُ ، أمِنِّي تَفِرُّ ؟ قالَ : لا ، وَلَكِنِّي اسْتَحْيَيْتُكَ » .

حدثنى المثنى ، قال : ثنا إسحاق ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا سفيان بن عيينة وابن مبارك ، عن الحسن ، عن عمارة ، عن المنهال بن عمرو ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس ، قال : كانت الشجرة التي نهى الله عنها آدم وزوجته : السنبلة ؛ فلما أكلا منها بدت لهما سوءاتهما ، وكان الذى وارى عنهما من سوآتهما أظفارهما (وَطَفِقا يَخْصِفانِ عَلَيْهِما مِنْ وَرَقِ الجَنَّةِ) ورق التين يلصقان بعضها إلى بعض ، فانطلق آدم مولّيا فى الجنة ، فأخذت برأسه شجرة من الجنة ، فناداه : أى آدم أمنى تفرّ ؟ قال : لا ، ولكنى استحيتك يا ربّ ، قال : أما كان لك فيما منحتك من الجنة ، وأبحتك منها مندوحة عما حرّمت عليك ؟ قال : بلى يا ربّ ، ولكن وعزّتك ما حسبت أن أحدا يحلف بك كاذبا ، قال : وهو قول الله (وَقاسَمَهُما إنّى لَكُما لَمِنَ النَّاصِحِينَ) قال : فبعزّتى لأهبطنك إلى الأرض ، ثم لاتنال العيش إلا كدّا قال : فأهبط من الجنة ، وكانا يأكلان فيها رغدا ، فأهبطا فى غير رغد من طعام وشراب ، فعلّم صنعة الحديد ، وأمر بالحرث ، فحرث وزرع ثم سقى ، حتى إذا بلغ حصده ثم داسه ، ثم ذراه ، ثم طحنه ، ثم عجنه ، ثم خبزه ، ثم أكله ، فلم يبلغه حتى بلغ منه ما شاء الله أن يبلغ .

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، فى قول الله (يَخْصِفانِ) قال : يرقعان كهيئة الثوب .

حدثنى المثنى ، قال : ثنا أبو حذيفة ، قال : ثنا شبل ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد : يخصفان عليهما من الورق كهيئة الثوب .

حدثنا بشر بن معاذ ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (فَلَمَّا ذَاقَا الشَّجَرَةَ بَدَتْ لَهُمَا سَوْآتُهُمَا) وكانا قبل ذلك لايريانها (وطَفِقَا يَخْصِفانِ) . . . الآية .

وقال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قال : ثنا الحسن ، عن أبيّ بن كعب ، أن آدم عليه السلام كان رجلا طوالا ، كأنه نخلة سحوق ، كثير شعر الرأس ؛ فلما وقع بما وقع به من الخطيئة ، بدت له عورته عند ذلك، وكان لايراها ، فانطلق هاربا فى الجنة ، فعلقت برأسه شجرة من شجر الجنة ، فقال لها : أرسليني ، قالت : إنى غير مرسلتك ، فناداه ربه : يا آدم ، أمِنى تفرّ ؟ قال : ربّ إنى استحييتك .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا جعفر بن عون ، عن سفيان الثورىّ ، عن ابن أبى ليلى ، عن المنهال بن عمرو ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس (وَطَفِقَا يَخْصِفانِ عَلَيْهِما مِنْ وَرَقِ الجَنَّةِ) قال : ورق التين .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا يحيى بن آدم ، عن شريك ، عن ابن أبى ليلى ، عن المنهال ، عن سعيد ابن جبير ، عن ابن عباس (وَطَفِقَا يَخْصِفانِ عَلَيْهِما مِنْ وَرَقِ الجَنَّةِ) قال : ورق التين .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن حسام بن معبد ، عن قتادة وأبى بكر ، عن غير قتادة ، قال : كان لباس آدم فى الجنة ظُفُرا(١) كله ، فلما وقع بالذنب كشط عنه وبدت سوأته . قال أبو بكر : قال غير قتادة (فَطَفِقَا يَخْصِفانِ عَلَيْهِما مِنْ وَرَقِ الجَنَّةِ) قال : ورق التين .

حدثنا الحسن بن يحيى ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا معمر ، عن قتادة ، فى قوله : (بَدَتْ لَهُما سَوْآتُهُما) قال : كانا لا يريان سوآتهما .

حدثنى المثنى ، قال : ثنا إسحاق ، قال : ثنا عبد الله بن الزبير ، عن ابن عيينة ، قال : ثنا عمرو ، قال: سمعت وهب بن منبه يقول (يَنْزِعُ عَنْهُما لِباسَهُما) قال : كان لباس آدم وحوّاء عليهما السلام نورا على فروجهما ، لايرى هذا عورة هذه ، ولا هذه عورة هذا ، فلما أصابا الخطيئة بدت لهما سوآتهما .

القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ وَنادَاهُمَا رَبُّهُمَا أَلَمْ أَنْهَكُمَا عَنْ تِلْكُمَا الشَّجَرَةِ وأَقُلْ لَكُمَا إِنَّ الشَّيْطانَ لَكُما عَدُوٌّ مُبِينٌ ﴾ :

يقول تعالى ذكره : ونادى آدم وحوّاء ربهما : ألم أنهكما عن أكل ثمرة الشجرة التى أكلتما ثمرها ، وأعلمكما أن إبليس لكما عدوّ مبين ، يقول : قد أبان عداوته لكما بترك السجود لآدم حسدا وبغيا .

كما حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن أبى معشر ، عن محمد بن قيس ، قوله (وَنادَاهُما رَبُّهُما ، أَلَمْ أَنْهَكُما عَنْ تِلْكُما الشَّجَرَةِ وأَقُلْ لَكُما إِنَّ الشَّيْطانَ لَكُماعَدُوٌّ مُبِينٌ) لِمَ أكلتها وقد نهيتك عنها ؟ قال : ياربّ أطعمتنى حوّاء ، قال : لحوّاء : لم أطعمته ؟ قالت : أمرتنى الحية ، قال للحية : لم أمرتها ؟ قالت : أمرنى إبليس ، قال : ملعون مدحور ، أما أنتِ يا حوّاء فكما دَميت الشجرة تدْمين كلّ شهر ، وأما أنت ياحية فأقطع قوائمك فتمشين على وجهك ، وسيشدخ رأسك من لقيك (اهْبِطُوا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ) .

(١) فى النهاية لابن الأثير : كان لباس آدم عليه السلام الظفر : أى شىء يشبه الظفر فى بياضه وصفائه وكثافته .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنا عباد بن العوّام ، عن سفيان بن حسين ، عن يعلى بن مسلم ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس ، قال : لما أكل آدم من الشجرة قيل له : لم أكلتَ من الشجرة التى نهيتك عنها ، قال : حوّاء أمرتنى ، قال : فإنى قد أعقبتها أن لاتحمل إلا كرها ، ولا تضع إلا كرها ، قال : فرنّت حوّاء عند ذلك ، فقيل لها : الرنة[1] عليك وعلى ولدك .

القول فى تأويل قوله تعالى:

﴿ قَالَا رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴾ ٢٣

وهذا خبر من الله جلّ ثناؤه عن آدم وحوّاء فيما أجاباه به ، واعترافهما على أنفسهما بالذنب ، ومسئلتهما إياه المغفرة منه والرحمة ، خلاف جواب اللعين إبليس إياه . ومعنى قوله (قالا رَبَّنا ظَلَمْنا أنْفُسَنا) قال : آدم وحوّاء لربهما : يا ربنا فعلنا بأنفسنا من الإساءة إليها بمعصيتك وخلاف أمرك ، وبطاعتنا عدوّنا وعدوّك ، فيما لم يكن لنا أن نطيعه فيه من أكل الشجرة التى نهيتنا عن أكلها (وَإنْ لَمْ تَغْفِرْ لَنا) يقول : وإن أنت لم تستر علينا ذنبنا فتغطيه علينا ، وتترك فضيحتنا به بعقوبتك إيانا عليه ، وترحمنا بتعطفك علينا ، وتركك أخذنا به (لَنَكُونَنَّ مِنَ الخاسِرِينَ) يعنى : لنكوننّ من الهالكين ، وقد بيّنا معنى الخاسر فيما مضى بشواهده والرواية فيه بما أغنى عن إعادته فى هذا الموضع .

حدثنا الحسن بن يحيى ، قال : أخبرنا عبدالرزاق ، قال : أخبرنا معمر ، عن قتادة ، قال . قال آدم عليه السلام : يا ربّ ، أرأيت إن تبت واستغفرتك ؟ قال : إذا أدخلك الجنة . وأما إبليس فلم يسأله التوبة ، وسأل النظرة ، فأعطى كلّ واحد منهما ما سأل .

حدثنى المثنى ، قال : ثنا عمرو بن عون ، قال : أخبرنا هشيم ، عن جويبر ، عن الضحاك ، فى قوله (رَبَّنا ظَلَمْنا أنْفُسَنا وَإن لَمْ تَغْفِرْ لَنا) . . . الآية ، قال : هى الكلمات التى تلقاها آدم من ربه .

القول فى تأويل قوله تعالى

﴿ قَالَ اهْبِطُوا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ وَلَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَاعٌ إِلَىٰ حِينٍ ﴾ ٢٤

وهذا خبر من الله تعالى ذكره عن فعله بإبليس وذرّيته وآدم وولده والحية ، يقول تعالى ذكره لآدم وحواء وإبليس والحية : اهبطوا من السماء إلى الأرض ، بعضكم لبعض عدوّ .

كما حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا عمرو بن طلحة ، عن أسباط ، عن السدىّ (اهْبِطُوا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ) قال : فلعن الحية ، وقطع قوائمها ، وتركها تمشى على بطنها ، وجعل رزقها من التراب ، وأهبطوا إلى الأرض : آدم وحوّاء وإبليس والحية .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبوأسامة ، عن أبى عوانة ، عن إسماعيل بن سالم ، عن أبى صالح (اهْبِطُوا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ) قال : آدم وحوّاء والحية .

(١) رنت : صوتت . والرنة : المرة من الرنين ، أى صيحتك .

وقوله (وَلَكُمْ فِي الأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ) يقول : ولكم يا آدم وحوّاء وإبليس والحية ، فى الأرض قرار تستقرّونه ، وفراش تمهدونه .

كما حدثنى المثنى ، قال : ثنا آدم العسقلانى ، قال : ثنا أبو جعفر ، عن الربيع ، عن أبى العالية ، فى قوله (وَلَكُمْ فِي الأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ) قال : هو قوله (هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الأَرْضَ فِرَاشًا)

ورُوى عن ابن عباس ذلك ماحُدثت عن عبيد الله ، عن إسرائيل ، عن السدىّ ، عمن حدثه ، عن ابن عباس ، قوله (وَلَكُمْ فِي الأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ) قال : القبور .

قال أبو جعفر : والصواب من القول فى ذلك أن يقال : إن الله تعالى ذكره ، أخبر آدم وحوّاء وإبليس والحية إذ أهبطوا إلى الأرض ، أنهم عدوّ بعضهم لبعض ، وأنّ لهم فيها مستقرًّا يستقرّون فيه ، ولم يخصصها بأن لهم فيها مستقرًّا فى حال حياتهم دون حال موتهم ، بل عمّ الخبر عنها بأن لهم فيها مستقرًّا ، فذلك على عمومه كما عمّ خبر الله ، ولهم فيها مستقرّ فى حياتهم على ظهرها ، وبعد وفاتهم فى بطنها ، كما قال جلّ ثناؤه (أَلَمْ نَجْعَلِ الأَرْضَ كِفَاتًا أَحْيَاءً وَأَمْوَاتًا) .

وأما قوله (وَمَتَاعٌ إِلَى حِينٍ) فإنه يقول جلّ ثناؤه : ولكم فيها متاع تستمتعون به إلى انقطاع الدنيا ، وذلك هو الحين الذى ذكره .

كما حُدثت عن عبيد الله بن موسى ، قال : أخبرنا إسرائيل ، عن السدىّ ، عمن حدثه ، عن ابن عباس (وَمَتَاعٌ إِلَى حِينٍ) قال : إلى يوم القيامة ، وإلى انقطاع الدنيا ، والحين نفسه الوقت ، غير أنه مجهول القدر ، يدلّ على ذلك قول الشاعر :

وَمَا مِرَاحُكَ بَعْدَ الحِلْمِ وَالدِّينِ　　وَقَدْ عَلاكَ مَشِيبٌ حِينَ لاحِينُ (١)

أى وقت لاوقت .

القول في تأويل قوله تعالى :

قَالَ فِيهَا تَحْيَوْنَ وَفِيهَا تَمُوتُونَ وَمِنْهَا تُخْرَجُونَ ﴿٢٥﴾

يقول تعالى ذكره : قال الله للذين أهبطهم من سمواته إلى أرضه (فِيهَا تَحْيَوْنَ) يقول : فى الأرض تحيون يقول : تكونون فيها أيام حياتكم (وَفِيهَا تَمُوتُونَ) يقول فى الأرض تكون وفاتكم (وَمِنْهَا تُخْرَجُونَ) : يقول : ومن الأرض يخرجكم ربكم ، ويحشركم إليه لبعث القيامة أحياء .

(١) فى (اللسان : مرح) : المرح : شدة الفرح و النشاط ، حتى يجاوز قدره ، وقد أمرحه غيره . والاسم : المراح بكسر الميم . وفى (اللسان : حين) : الحين : الدهر . وقيل وقت من الدهر مبهم ، يصلح لجميع الأزمان كلها ، طالت أو قصرت ، يكون سنة وأكثر من ذلك . والحين : الوقت ، والحين : المدة ، وقوله : « حين لاحين » : أى تمرح فى وقت غير وقت مرح لمثلك ، وقد علت سنك ، وشاب رأسك .

القول في تأويل قوله تعالى :

﴿ يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ قَدۡ أَنزَلۡنَا عَلَيۡكُمۡ لِبَاسٗا يُوَٰرِي سَوۡءَٰتِكُمۡ وَرِيشٗاۖ وَلِبَاسُ ٱلتَّقۡوَىٰ ذَٰلِكَ خَيۡرٞۚ ذَٰلِكَ مِنۡ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ لَعَلَّهُمۡ يَذَّكَّرُونَ ﴾ ٢٦

يقول جلّ ثناؤه للجهلة من العرب الذين كانوا يتعرّون للطواف اتباعا منهم أمر الشيطان ، وتركا منهم طاعة الله ، فعرّفهم انخداعهم بغروره لهم ، حتى تمكن منهم فسلبهم من ستر الله الذى أنعم به عليهم ، حتى أبدى سوآتهم ، وأظهرها من بعضهم لبعض ، مع تفضل الله عليهم بتمكينهم مما يسترونها به ، وأنهم قد سار بهم سيرته فى أبوَيهم آدم وحوّاء اللذين دلاهما بغرور حتى سلبهما ستر الله الذى كان أنعم به عليهما ، حتى أبدى لهما سوآتهما فعرّاهما منه (يا بَنِى آدَمَ قَدْ أنْزَلْنا عَلَيْكُمْ لِباسا) : يعنى بانزاله عليهم ذلك : خلقه لهم ، ورزقه إياهم . واللباس : ما يلبسون من الثياب (يُوَارِى سَوآتِكُمْ) يقول : يستر عوراتكم عن أعينكم ، وكنى بالسوآت عن العورات ، واحدتها سوأة ، وهى فَعلة من السوء ، وإنما سميت سوأة لأنه يسوء صاحبها انكشافها من جسده ، كما قال الشاعر :

خرَقُوا جَيْبَ فَتاتِهِمْ لم يُبالُوا سَوْأةَ الرَّجُلَه [1]

وبنحو الذى قلنا فى ذلك ، قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبوعاصم ، قال : ثنا عيسى ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، فى قول الله (لِباسا يُوَارِى سَوآتِكُمْ) قال : كان ناس من العرب يطوفون بالبيت عراة ، ولا يلبس أحدهم ثوبا طاف فيه .

حدثنى المثنى ، قال : ثنا أبوحذيفة ، قال : ثنا شبل ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، بنحوه .

حدثنى الحرث ، قال : ثنا عبد العزيز ، قال : ثنا أبوسعد المدنى ، قال : سمعت مجاهدا يقول فى قوله : (يا بَنِى آدَمَ قَدْ أنْزَلْنا عَلَيْكُمْ لِباسا يُوَارِى سَوْآتِكُمْ وَرِيشا) قال : أربع آيات نزلت فى قريش كانوا فى الجاهلية لايطوفون بالبيت إلا عراة .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبوأسامة ، عن عوف ، قال : سمعت معبدًا الجُهَنى يقول فى قوله (يا بَنِى آدَمَ قَدْ أنْزَلْنا عَلَيْكُمْ لِباسا يُوَارِى سَوْآتِكُمْ وَرِيشا) قال : اللباس الذى يلبسون .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد (يا بَنِى آدَمَ قَدْ

---

(١) البيت فى (اللسان : رجل) وقبله بيت آخر ، وهو :

كُلُّ جارٍ ظَلَّ مُغْتَبِطاً غير جيرانِ بنى جَبَلَهْ

وهو شاهد على أن أنثى الرجل : رجلة . ثم قال : عنى بجيبها : هنها . وفى رواية اللسان : لم يبالوا حرمة الرجلة .

أَنْزَلْنَا عَلَيْكُمْ لِبَاسًا يُوَارِى سَوْآتِكُمْ) قال : كانت قريش تطوف عراة ، لايلبس أحدهم ثوبا طاف فيه ، وقد كان ناس من العرب يطوفون بالبيت عراة .

حدثنا محمد بن بشار ، قال : ثنا محمد بن جعفر وسهل بن يوسف ، عن عوف ، عن معبد الجهنى (يَا بَنِى آدَمَ قَدْ أَنْزَلْنَا عَلَيْكُمْ لِبَاسًا يُوَارِى سَوْآتِكُمْ) قال : اللباس الذى يوارى سوآتكم : هو لبوسكم هذا .

حدثنى محمد بن الحسين ، قال : ثنا أحمد بن مفضل ، قال : ثنا أسباط ، عن السدىّ (لِبَاسًا يُوَارِى سَوْآتِكُمْ) قال : هى الثياب .

حدثنا الحرث ، قال : ثنا عبد العزيز ، قال : ثنا أبو سعد، قال : ثنى من سمع عروة بن الزبير ، يقول : اللباس : الثياب .

حُدثت عن الحسين بن الفرج ، قال : سمعت أبا معاذ ، قال : ثنا عبيد بن سليمان ، قال : سمعت الضحاك يقول ، فى قوله (قَدْ أَنْزَلْنَا عَلَيْكُمْ لِبَاسًا يُوَارِى سَوْآتِكُمْ) قال : يعنى ثياب الرجل التى يلبسها .

القول في تأويل قوله تعالى :﴿ وَرِيشًا ﴾ :

اختلف القرّاء فى قراءة ذلك ، فقرأته عامة قرّاء الأمصار (وَرِيشًا) بغير ألف .

وذُكِر عن زرّ بن حبيش والحسن البصرىّ أنهما كانا يقرآ نه (وَرِيَاشًا) .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا عبد الصمد بن عبد الوارث ، عن أبان العطار ، قال: حدثنا عاصم ، أن زرّ بن حبيش قرأها (وَرِيَاشًا) .

قال أبو جعفر : والصواب من القراءة فى ذلك ، قراءة من قرأ (وَرِيشًا) بغير ألف لإجماع الحجة من القرّاء عليها . وقد رُوى عن النبىّ صلى الله عليه وسلم خبر فى إسناده نظر ، أنه قرأه (وَرِيَاشًا) ، فمن قرأ ذلك (وَرِيَاشًا) فانه محتمل أن يكون أراد به جمع الريش ، كما تجمع الذئب ذئابا والبئر بئارا ، ويحتمل أن يكون أراد به مصدرا من قول القائل : راشه الله يريشه رياشا وريشا ، كما يقال : لبسه يلبسه لباسا ولِبسا ؛ وقد أنشد بعضهم :

فَلَمَّا كَشَفْنَ اللِّبْسَ عَنْهُ مَسَحْنَهُ ... بِأَطْرَافِ طَفْلٍ زَانَ غَيْلًا مُوَشَّمَا[1]

بكسر اللام من اللِّبس والرياش فى كلام العرب : الأثاث وما ظهر من الثياب من المتاع مما يلبس أو يحشى من فراش أودثار ، والريش : إنما هو المتاع والأموال عندهم ، وربما استعملوه فى الثياب والكسوة دون

(١) البيت فى (اللسان : طفل) . قال : وبنان طفل . وإنما جاز أن يوصف البنان وهو جمع ، بالطفل وهو واحد ، لأن كل جمع ليس بينه وبين واحده إلا الهاء ، فإنه يوحد ويذكر ، ولهذا قال حميد : . . . البيت . أراد بأطراف بنان طفل ، فجعله بدلا عنه والبيت فى ديوان حميد بن ثور الهلالى (طبعة دار الكتب المصرية ص ١٤) وهو الثالث والثلاثون فى القصيدة . واللبس بالكسر : ما عليه من الثياب . وبالضم المصدر . والغيل : الساعد الريان . وموشم : به وشم . والبيت فى صفة بعير .

سائر المال ، يقولون : أعطاه سرجا بريشه ، ورحلا بريشه : أى بكسوته وجهازه ، ويقولون : إنه لحسن ريش الثياب ، وقد يستعمل الرياش فى الخصب ورفاهة العيش .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك ، قال أهل التأويل .

ذكر من قال : الرياش : المال .

حدثنى المثنى ، قال : ثنا عبد الله ، قال : ثنى معاوية ، عن علىّ بن أبى طلحة ، عن ابن عباس ، قوله (وَرِيشا) يقول : مالا .

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد : (وَرِيشا) قال : المال .

حدثنى المثنى ، قال : ثنا أبوحذيفة ، قال : ثنا شبل ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، مثله .

حدثنى محمد بن الحسين ، قال : ثنا أحمد بن المفضل ، قال : ثنا أسباط ، عن السدىّ (وَرِياشا) قال : أما رياشا : فرياش المال .

حدثنى الحرث قال : ثنا عبد العزيز ، قال : ثنا أبوسعد المدنى ، قال : ثنى من سمع عروة بن الزبير تقول : الرياش : المال .

حُدثت عن الحسين بن الفرج ، قال : سمعت أبا معاذ ، قال : ثنا عبيد بن سليمان ، عن الضحاك ، قوله (وَرِياشا) يعنى : المال .

ذكر من قال : هو اللباس ، ورفاهة العيش .

حدثنى محمد بن سعد ، قال : ثنى أبى ، قال : ثنى عمى ، قال : ثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله (وَرِياشا) قال : الرياش : اللباس ، والعيش : النعيم .

حدثنا محمد بن بشار ، قال : ثنا محمد بن جعفر وسهل بن يوسف ، عن عوف ، عن معبد الجهنى (وَرِياشا) قال : الرياش : المعاش .

حدثنى يعقوب بن إبراهيم ، قال : ثنا ابن علية ، قال : أخبرنا عوف ، قال : قال معبد الجهنى : (وَرِياشا) قال : هو المعاش .

وقال آخرون : الريش : الجمال .

ذكر من قال ذلك

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله (وَرِياشا) قال : الريش : الجمال .

القول فى تأويل قوله تعالى : (وَلِبَاسُ التَّقْوَى ذلكَ خَيْرٌ) :

اختلف أهل التأويل فى تأويل ذلك ، فقال بعضهم : لباس التقوى : هو الإيمان .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر بن معاذ ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (وَلِبَاسُ التَّقْوَى) هو الإيمان .

حدثني محمد بن الحسين ، قال : ثنا أحمد بن المفضل ، قال : ثنا أسباط ، عن السدىّ (وَلِبَاسُ التَّقْوَى) : الإيمان .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : أخبرنى حجاج ، عن ابن جريج (وَلِبَاسُ التَّقْوَى) الإيمان

وقال آخرون : هو الحياء .

ذكر من قال ذلك

حدثنا محمد بن بشار ، قال : ثنا محمد بن جعفر وسهل بن يوسف ، عن عوف ، عن معبد الجهنىّ ، فى قوله (وَلِبَاسُ التَّقْوَى) الذى ذكر الله فى القرآن هو الحياء .

حدثنى يعقوب بن إبراهيم ، قال : ثنا ابن علية ، قال : أخبرنا عوف ، قال : قال معبد الجهنىّ ، فذكر مثله .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبو أسامة ، عن عوف ، عن معبد بنحوه .

وقال آخرون : هو العمل الصالح .

ذكر من قال ذلك

حدثنى محمد بن سعد ، قال : ثنى أبى ، قال : ثنى عمى ، قال : ثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس (وَلِبَاسُ التَّقْوَى ذَلِكَ خَيْرٌ) قال : لباس التقوى : العمل الصالح .

وقال آخرون : بل ذلك هو السمت الحسن .

حدثنى زكريا بن يحيى بن أبى زائدة ، قال : ثنا عبد الله بن داود ، عن محمد بن موسى ، عن الزباء ابن عمرو ، عن ابن عباس (وَلِبَاسُ التَّقْوَى) قال : السمت الحسن فى الوجه .

حدثنى المثنى ، قال : ثنا إسحاق بن الحجاج ، قال : ثنا إسحاق بن إسماعيل ، عن سليمان بن أرقم ، عن الحسن ، قال : رأيت عثمان بن عفان على منبر رسول الله صلى الله عليه وسلم عليه قميص قُوهِىّ محلول الزِّرّ ، وسمعته يأمر بقتل الكلاب ، وينهى عن اللعب بالحمام ، ثم قال : يا أيها الناس اتقوا الله فى هذه السرائر ، فإنى سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « والَّذِى نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ ما عَمِلَ أحَدٌ قطّ سِرًّا إلاَّ ألْبَسَهُ اللهُ رِداءَهُ عَلانِيَةً ، إنْ خَيْرًا فخَيْرًا ، وَإنْ شَرًّا فَشَرًّا » ثم تلا هذه الآية (وَرِيَاشا) ، ولم يقرأها (وَرِيشا ، وَلِبَاسُ التَّقْوَى ذَلِكَ خَيْرٌ ذَلِكَ مِنْ آيَاتِ اللهِ) قال : السمت الحسن .

وقال آخرون : هو خشية الله .

ذكر من قال ذلك

حدثنى الحرث ، قال : ثنا عبد العزيز ، قال : ثنا أبو سعد المدنى ، قال : ثنى من سمع عروة بن الزبير يقول (لِبَاسُ التَّقْوَى) خشية الله .

وقال آخرون (لِباسُ التَّقْوَى) فى هذه المواضع : ستر العورة .

ذكر من قال ذلك

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله (وَلِباسُ التَّقْوَى) يتقى الله فيوارى عورته ، ذلك لباس التقوى .

واختلف القرّاء فى قراءة ذلك ، فقرأته عامة قرّاء المكيين والكوفيين والبصريين (وَلِباسُ التَّقْوَى ذلكَ خَيْرٌ) برفع ولباسُ . وقرأ ذلك عامة قرّاء المدينة (ولِباسَ التَّقْوَى) بنصب اللباس ،وهى قراءة بعض قراء الكوفيين ؛ فمن نصب (وَلِباسَ) فإنه نصبه عطفا على الريش بمعنى : قد أنزلنا عليكم لباسا يوارى سوآتكم وريشا ، وأنزلنا لباس التقوى . وأما الرفع ، فإن أهل العربية مختلفون فى المعنى الذى ارتفع به اللباس ، فكان بعض نحويى البصرة يقول : هو مرفوع على الابتداء ، وخبره فى قوله (ذلكَ خَيْرٌ) وقد استخطأه بعض أهل العربية فى ذلك وقال : هذا غلط ، لأنه لم يعد على اللباس فى الجملة عائد ، فيكون اللباس إذًا رفع على الابتداء وجعل ذلك خير خبرا .

وقال بعض نحويى الكوفة : (وَلِباسُ) يُرفع بقوله : ولباس التقوى خير ، ويجعل ذلك من نعته ، وهذا القول عندى أولى بالصواب فى رافع اللباس ، لأنه لاوجه للرفع إلا أن يكون مرفوعا بخير ، وإذا رفع بخير لم يكن فى ذلك وجه إلا أن يجعل اللباس نعتا ، لاأنه عائد على اللباس من ذكره ، فى قوله (ذلكَ خَيْرٌ) فيكون خير مرفوعا بذلك ، وذلك به . فإذ كان ذلك كذلك ، فتأويل الكلام إذن : رفع لباس التقوى : ولباس التقوى ذلك الذى قد علمتموه خير لكم يابنى آدم من لباس الثياب التى توارى سوآتكم ، ومن الرياش التى أنزلناها إليكم فالبسوه . وأما تأويل من قرأه نصبا : فإنه يا بنى آدم قد أنزلنا عليكم لباسا يوارى سوآتكم ، وريشا ، ولباس التقوى هذا الذى أنزلنا عليكم ، من اللباس الذى يوارى سوآتكم ، والريش ، ولباس التقوى خير لكم من التعرّى والتجرّد من الثياب فى طوافكم بالبيت ، فاتقوا الله والبسوا ما رزقكم الله من الرياش ، ولا تطيعوا الشيطان بالتجرّد والتعرّى من الثياب ، فإن ذلك سخرية منه بكم وخدعة ، كما فعل بأبويكم آدم وحوّاء ، فخدعهما حتى جرّدهما من لباس الله الذى كان ألبسهما بطاعتهما له فى أكل ما كان الله نهاهما عن أكله من ثمر الشجرة التى عصياه بأكلها .

وهذه القراءة أولى القراءتين فى ذلك عندى بالصواب ، أعنى نصب قوله (وَلِباسَ التَّقْوَى) لصحة معناه فى التأويل على ما بينت ، وإن الله إنما ابتدأ الخبر عن إنزاله اللباس الذى يوارى سوآتنا والرياش توبيخا للمشركين الذين كانوا يتجرّدون فى حال طوافهم بالبيت ، ويأمرهم بأخذ ثيابهم ، والاستتار بها فى كلّ حال مع الإيمان به واتباع طاعته ، ويعلمهم أن كلّ ذلك خير من كلّ ما هم عليه مقيمون من كفرهم بالله وتعرّيهم ، لأنه أعلمهم أن بعض ما أنزل إليهم خير من بعض . ومما يدلّ على صحة ما قلنا فى ذلك الآيات التى بعد هذه الآية ، وذلك قوله (يا بَنِى آدَمَ لايَفْتِنَنَّكُمُ الشَّيْطانُ كَما أَخْرَجَ أَبَوَيْكُمْ مِنَ الجَنَّةِ يَنْزِعُ عَنْهُما لِباسَهُما لِيُرِيَهُما سَوْآتِهِما) وما بعد ذلك من الآيات إلى قوله (وأَنْ

تقولوا على الله مالاتعلمون) فإنه جل ثناؤه يأمر فى كل ذلك بأخذ الزينة من الثياب ، واستعمال اللباس ، وترك التجرد والتعرى ، وبالإيمان به ، واتباع أمره والعمل بطاعته ، وينهى عن الشرك به ، واتباع أمر الشيطان مؤكدا فى كل ذلك ما قد أجمله فى قوله (يا بنى آدم قد أنزلنا عليكم لباسا يوارى سوآتكم وريشا ولباس التقوى ذلك خير) .

❁ وأولى الأقوال بالصحة فى تأويل قوله (ولباس التقوى) استشعار النفوس تقوى الله فى الانتهاء عما نهى الله عنه من معاصيه ، والعمل بما أمر به من طاعته ، وذلك يجمع الإيمان والعمل الصالح والحياء ، وخشية الله ، والسمت الحسن ، لأن من اتقى الله كان به مؤمنا ، وبما أمره به عاملا ، ومنه خائفا ، وله مراقبا ، ومن أن يرى عند ما يكرهه من عباده مستحييا ، ومن كان كذلك ظهرت آثار الخير فيه ، فحسن سمته وهديه ، ورؤيت عليه بهجة الإيمان ونوره.

وإنما قلنا : عنى بلباس التقوى : استشعار النفس والقلب ذلك، لأن اللباس إنما هو ادراع ما يلبس ، واحتباء ما يكتسى ، أو تغطية بدنه أو بعضه به ، فكل من ادرع شيئا أواحتبى به حتى يرى هو، أو أثره عليه ، فهوله لابس ، ولذلك جعل جل ثناؤه الرجال للنساء لباسا وهن لهم لباسا ، وجعل الليل لعباده لباسا.

ذكر من تأول ذلك بالمعنى الذى ذكرنا من تأويله إذا قرئ قوله (ولباس التقوى) رفعا :

حدثنى محمد بن الحسين ، قال : ثنا أحمد بن المفضل ، قال : ثنا أسباط ، عن السدى (ولباس التقوى) : الإيمان (ذلك خير) يقول : ذلك خير من الرياش واللباس ، يوارى سوآتكم .

حدثنا بشر بن معاذ ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة، قوله (ولباس التقوى) قال : لباس التقوى خير ، وهو الإيمان .

القول فى تأويل قوله تعالى :﴿ ذلك من آيات الله لعلهم يذكرون ﴾ :

يقول تعالى ذكره : ذلك الذى ذكرت لكم أنى أنزلته إليكم أيها الناس من اللباس والرياش من حجج الله وأدلته التى يعلم بها من كفر صحة توحيد الله ، وخطأ ماهم عليه مقيمون من الضلالة (لعلهم يذكرون) يقول جل ثناؤه : جعلت ذلك لهم دليلا على ما وصفت ليذكروا ، فيعتبروا وينيبوا إلى الحق ، وترك الباطل رحمة منى بعبادى .

القول فى تأويل قوله تعالى :

يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ لَا يَفْتِنَنَّكُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ كَمَآ أَخْرَجَ أَبَوَيْكُم مِّنَ ٱلْجَنَّةِ يَنزِعُ عَنْهُمَا لِبَاسَهُمَا لِيُرِيَهُمَا سَوْءَٰتِهِمَآ إِنَّهُۥ يَرَىٰكُمْ هُوَ وَقَبِيلُهُۥ مِنْ حَيْثُ لَا تَرَوْنَهُمْ إِنَّا جَعَلْنَا ٱلشَّيَٰطِينَ أَوْلِيَآءَ لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٢٧﴾

❁ يقول تعالى ذكره : يا بنى آدم لايخدعنكم الشيطان، فيبدى سوآتكم للناس بطاعتكم إياه عند اختباره

لكم ، كما فعل بأبويكم آدم وحوّاء عند اختباره إياهما فأطاعاه وعصيا ربهما فأخرجهما بما سبب لهما من مكره وخدْعه من الجنة ، ونزع عنهما ما كان ألبسهما من اللباس ليريهما سوآتهما بكشف عورتهما وإظهارها لأعينهما بعد أن كانت مستترة . وقد بيّنا فيما مضى أن معنى الفتنة : الاختبار والابتلاء بما أغنى عن إعادته .

وقد اختلف أهل التأويل فى صفة اللباس الذى أخبر الله جلّ ثناؤه أنه نزعه عن أبوينا وما كان، فقال بعضهم : كان ذلك أظفارا .

ذكر من لم يذكر قوله فيما مضى من كتابنا هذا فى ذلك .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا يحيى بن آدم ، عن شريك ، عن عكرمة (يَنْزِعُ عَنْهُمَا لِبَاسَهُمَا) قال : لباس كلّ دابة منها ، ولباس الإنسان : الظُّفُر ، فأدركت آدم التوبة عند ظفره ، أو قال: أظفاره .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا عبد الحميد الحمانى ، عن نصر بن عمر ، عن عكرمة ، عن ابن عباس ، قال : تركت أظفاره عليه زينة ومنافع فى قوله (يَنْزِعُ عنهما لِبَاسَهُمَا) .

حدثنى أحمد بن الوليد القرشىّ ، قال : ثنا إبراهيم بن أبى الوزير ، قال : أخبرنا مخلد بن الحسين، عن عمرو بن مالك ، عن أبى الجوزاء ، عن ابعن باس ، فى قوله (يَنْزِعُ عَنْهُمَا لِبَاسَهُمَا) قال : كان لباسهما الظفر ، فلما أصابا الخطيئة نزع عنهما ، وتركت الأظفار تذكرة وزينة .

حدثنى المثنى ، قال : ثنا الحمانى ، قال : ثنا شريك ، عن سماك ، عن عكرمة ، فى قوله (يَنْزِعُ عَنْهُمَا لِبَاسَهُمَا) قال : كان لباسه الظفر ، فانتهت توبته إلى أظفاره .

وقال آخرون : كان لباسهما نورا .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا ابن عيينة ، عن عمرو ، عن وهب بن منبه (يَنْزِعُ عَنْهُمَا لِبَاسَهُمَا) : النور :

حدثنى المثنى ، قال : ثنا إسحاق ، قال : ثنا عبد الله بن الزبير ، عن ابن عيينة ، قال : ثنا عمرو ، قال سمعت وهب بن منبه يقول فى قوله (يَنْزِعُ عَنْهُمَا لِبَاسَهُمَا لِيُرِيَهُمَا سَوْآتِهِمَا) قال : كان لباس آدم وحوّاء نورا على فروجهما ، لا يرى هذا عورة هذه ، ولا هذه عورة هذا .

وقال آخرون : إنما عنى الله بقوله (يَنْزِعُ عَنْهُمَا لِبَاسَهُمَا) يسلبهما تقوى الله .

ذكر من قال ذلك .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا مطلب بن زياد ، عن ليث ، عن مجاهد (يَنْزِعُ عَنْهُمَا لِبَاسَهُمَا) قال : التقوى .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا يحيى بن آدم ، عن شريك ، عن ليث ، عن مجاهد (يَنْزِعُ عَنْهُمَا لِبَاسَهُمَا) قال : التقوى .

حدثنى المثنى ، قال : ثنا الحمانى ، قال : ثنا شريك ، عن ليث ، عن مجاهد ، مثله .

قال أبو جعفر : والصواب من القول فى تأويل ذلك عندى أن يقال : إن الله تعالى حذّر عباده أن يفتنهم الشيطان كما فتن أبويهم آدم وحوّاء ، وأن يجرّدهم من لباس الله الذى أنزله إليهم ، كما نزع عن أبويهم لباسهما ، واللباس المطلق من الكلام بغير إضافة إلى شىء فى متعارف الناس ، هو ما اختار فيه اللابس من أنواع الكساء ، أو غطى بدنه أو بعضه . وإذ كان ذلك كذلك ، فالحقّ أن يقال : إن الذى أخبر الله عن آدم وحوّاء من لباسهما الذى نزعه عنهما الشيطان هو بعض ماكانا يواريان به أبدانهما وعورتهما ، وقد يجوز أن يكون ذلك كان ظُفُرا ، ويجوز أن يكون ذلك كان نورا ، ويجوز أن يكون غير ذلك ، ولا خبر عندنا بأىّ ذلك تثبت به الحجة ، فلا قول فى ذلك أصوب من أن يقال ، كما قال جلّ ثناؤه (يَنْزِعُ عَنْهُما لِباسَهُما) ، وأضاف جلّ ثناؤه إلى إبليس إخراج آدم وحوّاء من الجنة ، ونزع ماكان عليهما من اللباس عنهما وإن كان الله جلّ ثناؤه هو الفاعل ذلك بهما عقوبة على معصيتهما إياه ، إذ كان الذى كان منهما فى ذلك عن تشبيه ذلك لهما بمكره وخداعه ، فأضيف إليه أحيانا بذلك المعنى ، وإلى الله أحيانا بفعله ذلك بهما .

القول في تأويل قوله تعالى : ﴿إِنَّهُ يَرَاكُمْ هُوَ وَقَبِيلُهُ مِنْ حَيْثُ لاتَرَوْنَهُمْ ، إِنَّا جَعَلْنَا الشَّيَاطِينَ أَوْلِيَاءَ لِلَّذِينَ لايُؤْمِنُونَ﴾ :

يعنى جلّ ثناؤه بذلك : إن الشيطان يراكم هو ، والهاء فى إنه عائدة على الشيطان . وقبيله : يعنى وصنفه وجنسه الذى هو منه واحد : جمعه قُبُل : وهم الجنّ .

كما حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، قوله (إِنَّهُ يَرَاكُمْ هُوَ وَقَبِيلُهُ) قال : الجنّ والشياطين .

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد فى قوله (إِنَّهُ يَرَاكُمْ هُوَ وَقَبِيلُهُ) قال : قبيله : نسله . وقوله (مِنْ حَيْثُ لاتَرَوْنَهُمْ) يقول : من حيث لاترون أنتم أيها الناس الشيطان وقبيله (إِنَّا جَعَلْنَا الشَّيَاطِينَ أَوْلِيَاءَ لِلَّذِينَ لايُؤْمِنُونَ) يقول : جعلنا الشياطين نصراء الكفار الذين لايوحدون الله ، ولا يصدّقون رسله .

القول في تأويل قوله تعالى :

﴿وَإِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً قَالُوا وَجَدْنَا عَلَيْهَا آبَاءَنَا وَاللَّهُ أَمَرَنَا بِهَا قُلْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاءِ أَتَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٢٨﴾﴾

ذكر أن معنى الفاحشة فى هذا الموضع ، ما حدثنى علىّ بن سعيد بن مسروق الكندىّ ، قال : ثنا أبو محياة عن منصور ، عن مجاهد (وَإِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً قَالُوا وَجَدْنَا عَلَيْهَا آبَاءَنَا وَاللَّهُ أَمَرَنَا بِهَا)

قال : كانوا يطوفون بالبيت عُراة ، يقولون : نطوف كما ولدتنا أمّهاتنا ، فتضع المرأة على قُبُلها النِّسْعة أو الشيء فتقول :

اليَوْمَ يَبْدُو بَعْضُهُ أوْ كُلُّهُ ... فَمَا بَدَا مِنْــهُ فَلا أُحِلُّهُ (١)

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا جرير ، عن منصور ، عن مجاهد ، فى قوله (وَإِذَا فَعَلُوا فاحِشَةً قالُوا وَجَدْنا عَلَيْها آباءَنا) فاحشتهم أنهم كانوا يطوفون بالبيت عُراة .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبو أسامة ، عن مفضل ، عن منصور ، عن مجاهد ، مثله .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا عمران بن عيينة ، عن عطاء بن السائب ، عن سعيد بن جبير والشعبيّ (وَإِذَا فَعَلُوا فاحِشَةً قالُوا وَجَدْنا عَلَيْها آباءَنا) قال : كانوا يطوفون بالبيت عُراة .

حدثنى محمد بن الحسين ، قال : ثنا أحمد بن المفضل ، قال : ثنا أسباط ، عن السدىّ (وَإِذا فَعَلُوا فاحِشَةً قالُوا وجَدْنا عَلَيْها آباءَنا ، وَاللهُ أَمَرَنا بِها) قال : كان قبيلة من العرب من أهل اليمن يطوفون بالبيت عراة . فإذا قيل : لم تفعلون ذلك ؟ قالوا : وجدنا عليها آباءنا ، والله أمرنا بها .

حدثنى الحرث ، قال : ثنا عبد العزيز ، قال : ثنا إسرائيل ، عن عطاء بن السائب ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس (وَإِذَا فَعَلُوا فاحِشَةً) قال : طوافهم بالبيت عراة .

حدثنى الحرث ، قال : ثنا عبد العزيز ، قال : ثنا أبو سعد ، عن مجاهد (وَإِذَا فَعَلُوا فاحِشَةً قالُوا وَجَدْنا عَلَيْها آباءَنا) قال : فى طواف الحمس فى الثياب وغيرهم عراة .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، قوله (وَإِذَا فَعَلُوا فاحِشَةً قالُوا وَجَدْنا عَلَيْها آباءَنا) قال : كان نساؤهم يطفن بالبيت عراة ، فتلك الفاحشة التى وجدوا عليها آباءهم (قُلْ إنَّ اللهَ لا يَأْمُرُ بالفَحْشاءِ) . . . الآية .

﴿ فتأويل الكلام إذن : وإذا فعل الذين لايؤمنون بالله ، الذين جعل الله الشياطين لهم أولياء قبيحا من الفعل وهو الفاحشة ، وذلك تعرّيهم للطواف بالبيت ، وتجرّدهم له ، فعُذِلوا على ما أتوا من قَبيح فعلهم ، وعُوتبوا عليه ، قالوا : وجدنا على مثل ما نفعل آباءنا ، فنحن نفعل مثل ما كانوا يفعلون ، ونقتدى بهديهم ونستنّ بسنتهم ، والله أمرنا به ، فنحن نتبع أمره فيه ، يقول الله جلّ ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم : قل يا محمد لهم : إن الله لايأمر بالفحشاء ، يقول : لايأمر خلقه بقبائح الأفعال ومَساويها ، أتقولون أيها الناس على الله : مالاتعلمون ، يقول : أتروون على الله أنه أمركم بالتعرّى والتجرّد من الثياب واللباس للطواف ، وأنتم لاتعلمون أنه أمركم بذلك .

---

(١) البيتان ينسبان لضباعة بنت عامر بن صعصعة ، من بنى سلمة بن قشير ، كما فى الروض الأنف للسهيل فى شرح سيرة ابن هشام (١ : ١٣٤) قال صاحب السيرة : يصف هيئة طواف العرب بالكعبة فى الجاهلية : « وأما النساء فتضع إحداهن ثيابها كلها ، إلا درعا مفرجا عليها ، ثم تطوف فيه ، فقالت امرأة من العرب ، وهى كذلك تطوف بالبيت . . . » وذكر البيتين اللذين استشهد بهما المؤلف ، وهما من مشطور الرجز . والهاء فى كله وأحله : كناية عن المن .

القول في تأويل قوله تعالى :

﴿ قُلْ أَمَرَ رَبِّي بِالْقِسْطِ وَأَقِيمُوا وُجُوهَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ كَمَا بَدَأَكُمْ تَعُودُونَ ۝ فَرِيقًا هَدَىٰ وَفَرِيقًا حَقَّ عَلَيْهِمُ الضَّلَالَةُ إِنَّهُمُ اتَّخَذُوا الشَّيَاطِينَ أَوْلِيَاءَ مِن دُونِ اللَّهِ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُم مُّهْتَدُونَ ۝ ﴾

يقول تعالى ذكره لنبيه (قُلْ) يامحمد لهؤلاء الذين يزعمون أن الله أمرهم بالفحشاء كذبا على الله : ما أمر ربى بما تقولون ، بل (أَمَرَ رَبِّى بالقِسْطِ) يعنى : بالعدل .

كما حدثنى المثنى ، قال : ثنا أبوحذيفة ، قال : ثنا شبل ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد (قُلْ أَمَرَ رَبِّى بالقِسْطِ) بالعدل .

حدثنى محمد بن الحسين ، قال : ثنا أحمد بن المفضل : قال : ثنا أسباط ، عن السدىّ (قُلْ أَمَرَ رَبِّى بالقِسْطِ) والقسط : العدل .

وأما قوله (وَأَقِيمُوا وَجُوهَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ) فإن أهل التأويل اختلفوا فى تأويله ؛ فقال بعضهم : معناه : وجهوا وجوهكم حيث كنتم فى الصلاة إلى الكعبة .

ذكر من قال ذلك

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبوعاصم ، قال : ثناعيسى ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، فى قول الله (وأَقِيمُوا وُجُوهَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ) إلى الكعبة حيثما صليتم فى الكنيسة وغيرها .

حدثنى المثنى ، قال : ثنا أبوحذيفة ، قال : ثنا شبل ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، فى قوله (وَأَقِيمُوا وُجُوهَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ) قال : إذا صليتم فاستقبلوا الكعبة فى كنائسكم وغيرها .

حدثنى محمد بن الحسين ، قال : ثنا أحمد بن المفضل ، قال : ثنا أسباط ، عن السدىّ (وأَقِيمُوا وُجُوهَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ) هو المسجد : الكعبة .

حدثنا المثنى ، قال : ثنا إسحاق ، قال : ثنا خالد بن عبد الرحمن ، عن عمر بن ذرّ ، عن مجاهد فى قوله (وأَقِيمُوا وُجُوهَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ) قال : الكعبة حيثما كنت .

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله (وأَقِيمُوا وُجُوهَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ) قال : أقيموها للقبلة هذه القبلة التى أمركم الله بها .

وقال آخرون : بل عنى بذلك : واجعلوا سجودكم لله خالصا دون ماسواه من الآلهة والأنداد .

ذكر من قال ذلك

حدثنى المثنى ، قال : ثنا إسحاق ، قال : ثنا عبد الله بن أبى جعفر ، عن أبيه ، عن الربيع ، فى قوله (وأَقِيمُوا وُجُوهَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ) قال : فى الإخلاص أن لاتدعوا غيره ، وأن تخلصوا له الدين .

قال أبو جعفر : وأولى هذين التأويلين بتأويل الآية ما قاله الربيع ، وهو أن القوم أمروا أن يتوجهوا بصلاتهم إلى ربهم ، لا إلى ما سواه من الأوثان والأصنام ، وأن يجعلوا دعاءهم لله خالصا ، لامكاء ولا تصدية .

وإنما قلنا : ذلك أولى التأويلين بالآية ، لأن الله إنما خاطب بهذه الآية قوما من مشركي العرب لم يكونوا أهل كنائس وبيع ، وإنما كانت الكنائس والبيع لأهل الكتابين ، فغير معقول أن يقال لمن لا يصلي في كنيسة ولا بيعة : وجِّه وجهك إلى الكعبة في كنيسة أو بيعة .

وأما قوله (وَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ) فإنه يقول : واعملوا لربكم مخلصين له الدين والطاعة ، لا تخلطوا ذلك بشرك ، ولا تجعلوا في شيء مما تعملون له شريكا .

كما حدثني المثنى ، قال : ثنا إسحاق ، قال : ثنا عبد الله بن أبي جعفر ، عن أبيه ، عن الربيع : (وَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ) قال : أن تخلصوا له الدين والدعوة والعمل ، ثم توجهون إلى البيت الحرام .

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿كَمَا بَدَأَكُمْ تَعُودُونَ . فَرِيقًا هَدَى ، وَفَرِيقًا حَقَّ عَلَيْهِمُ الضَّلَالَةُ﴾:

اختلف أهل التأويل في تأويل قوله (كَمَا بَدَأَكُمْ تَعُودُونَ) فقال بعضهم : تأويله : كما بدأكم أشقياء وسعداء ، كذلك تُبعثون يوم القيامة .

ذكر من قال ذلك

حدثني المثنى ، قال : ثنا عبد الله ، قال : ثني معاوية ، عن عليّ ، عن ابن عباس ، قوله (كَمَا بَدَأَكُم تَعُودُونَ . فَرِيقًا هَدَى ، وَفَرِيقًا حَقَّ عَلَيْهِمُ الضَّلَالَةُ) قال : إن الله سبحانه بدأ خلق ابن آدم مؤمنا وكافرا ، كما قال جلّ ثناؤه (هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ ، فَمِنْكُمْ كافِرٌ وَمِنْكُمْ مُؤْمِنٌ) ثم يعيدهم يوم القيامة ، كما بدأ خلقهم مؤمنا وكافرا .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبي ، عن سفيان ، عن منصور ، قال : ثنا أصحابنا ، عن ابن عباس (كَمَا بَدَأَكُم تَعُودُونَ) قال : يبعث المؤمن مؤمنا ، والكافر كافرا .

حدثني المثنى ، قال : ثنا إسحاق ، قال : ثنا يحيى بن الضريس ، عن أبي جعفر ، عن الربيع ، عن رجل ، عن جابر ، قال : يُبعثون على ما كانوا عليه ، المؤمن على إيمانه ، والمنافق على نفاقه .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبي ، عن أبي جعفر الرازي ، عن الربيع ، عن أبي العالية ، قال : عادوا إلى علمه فيهم ، ألم تسمع إلى قول الله فيهم (كَمَا بَدَأَكُمْ تَعُودُونَ) ، ألم تسمع قوله (فَرِيقًا هَدَى ، وَفَرِيقًا حَقَّ عَلَيْهِمُ الضَّلَالَةُ) .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا عبيد الله ، عن أبي جعفر الرازي ، عن الربيع بن أنس ، عن أبي العالية (كَمَا بَدَأَكُمْ تَعُودون) قال : رُدّوا إلى علمه فيهم .

حدثني المثنى ، قال : ثنا إسحاق ، قال : ثنا أبو همام الأهوازي ، قال : ثنا موسى بن عبيدة ، عن محمد بن كعب ، في قوله (كَمَا بَدَأَكُمْ تَعُودُونَ) قال : من ابتدأ الله خلقه على الشقوة صار إلى ما ابتدأ

الله بخلقه عليه وإن عمل بأعمال أهل السعادة ، كما أن إبليس عمل بأعمال أهل السعادة ، ثم صار إلى ما ابتدئ عليه خلقه ، ومن ابتدئ خلقه على السعادة صار إلى ما ابتدئ عليه خلقه وإن عمل بأعمال أهل الشقاء ، كما أن السحرة عملت بأعمال أهل الشقاء ، ثم صاروا إلى ما ابتدئ عليه خلقهم .

حدثنا محمد بن بشار ، قال : ثنا عبد الرحمن ، قال : ثنا سفيان ، عن وفاء بن إياس أبي يزيد ، عن مجاهد (كَمَا بَدَأَكُمْ تَعُودُونَ) قال : يبعث المسلم مسلما ، والكافر كافرا .

حدثني المثنى ، قال : ثنا أبو دكين ، قال : ثنا سفيان ، عن أبي يزيد ، عن مجاهد (كَمَا بَدَأَكُمْ تَعُودُونَ) قال : يبعث المسلم مسلما ، والكافر كافرا .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا عبد الرحمن ، قال : ثنا محمد بن أبي الوضاح ، عن سالم الأفطس ، عن سعيد بن جبير (كَمَا بَدَأَكُمْ تَعُودُونَ) قال : كما كتب عليكم تكونون .

حدثني المثنى ، قال : ثنا الحمانى ، قال : ثنا شريك ، عن سالم ، عن سعيد ، مثله .

حدثني محمد بن الحسين ، قال : ثنا أحمد بن المفضل ، قال : ثنا أسباط ، عن السدىّ (كَمَا بَدَأَكُمْ تَعُودُونَ . فَرِيقًا هَدَى وَفَرِيقًا حَقَّ عَلَيْهِمُ الضَّلالَةُ) يقول : كما بدأكم تعودون : كما خلقناكم فريق مهتدون ، وفريق ضالّ ، كذلك تعودون وتخرجون من بطون أمهاتكم .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا عبد الرحمن ، قال : ثنا سفيان ، عن الأعمش ، عن سفيان ، عن جابر ، أن النبيّ صلى الله عليه وسلم ، قال : « تُبْعَثُ كُلُّ نَفْسٍ على ما كانَتْ عَلَيْهِ » .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبو داود الحفرى ، عن شريك ، عن سالم ، عن سعيد بن جبير (كَمَا بَدَأَكُمْ تَعُودُونَ) قال : كما كُتِبَ عليكم تكونون .

حدثني المثنى ، قال : ثنا الحمانى ، قال : ثنا حماد بن زيد ، عن ليث ، عن مجاهد ، قال : يبعث المؤمن مؤمنا ، والكافر كافرا .

حدثني المثنى ، قال : ثنا أبو حذيفة ، قال : ثنا شبل ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد (كَمَا بَدَأَكُمْ تَعُودُونَ) شقيا وسعيدا .

حدثني المثنى ، قال : ثنا سويد ، قال : أخبرنا ابن المبارك قراءة عن مجاهد ، مثله .

وقال آخرون : معنى ذلك : كما خلقكم ولم تكونوا شيئا تعودون بعد الفناء .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا غندر ، عن عوف ، عن الحسن (كَمَا بَدَأَكُمْ تَعُودُونَ) قال : كما بدأكم ولم تكونوا شيئا فأحياكم ، كذلك يميتكم ثم يحييكم يوم القيامة .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا عبد الأعلى ، عن عوف ، عن الحسن (كَمَا بَدَأَكُمْ تَعُودُونَ) قال : كما بدأكم فى الدنيا كذلك تعودون يوم القيامة أحياء .

حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة (كَمَا بَدَأَكُمْ تَعُودُونَ) قال : بدأ خلقهم ولم يكونوا شيئا ، ثم ذهبوا ثم يعيدهم .

حدثني محمد بن سعد ، قال : ثني أبي ، قال : ثني عمي ، قال : ثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله (كَمَا بَدَأَكُمْ تَعُودُونَ . فَرِيقًا هَدَى) يقول : كما خلقناكم أول مرة كذلك تعودون .

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبوعاصم ، قال : ثنا عيسى ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، في قول الله (كَمَا بَدَأَكُمْ تَعُودُونَ) يحييكم بعد موتكم .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله (كَمَا بَدَأَكُمْ تَعُودُونَ) قال : كما خلقهم أولا ، كذلك يعيدهم آخرا .

قال أبوجعفر : وأولى الأقوال في تأويل ذلك بالصواب ، القول الذي قاله من قال معناه : كما بدأكم الله خلقا بعد أن لم تكونوا شيئا تعودون بعد فنائكم خلقا مثله ، يحشركم إلى يوم القيامة ، لأن الله تعالى أمر نبيه صلى الله عليه وسلم أن يُعْلِمَ بما في هذه الآية قوما مشركين ، أهل جاهلية ، لايؤمنون بالمعاد ، ولا يصدّقون بالقيامة ، فأمره أن يدعوهم إلى الإقرار بأن الله باعثهم يوم القيامة ، ومُثيب من أطاعه ، ومعاقب من عصاه ، فقال له : قل لهم : أمر ربي بالقسط ، وأن أقيموا وجوهكم عند كلّ مسجد ، وأن ادعوه مخلصين له الدين ، وأن أقرّوا بأن كما بدأكم تعودون ، فترك ذكر ، وأن أقرّوا بأن كما ترك ذكر أن مع أقيموا ، إذ كان فيما ذكر دلالة على ما حذف منه . وإذ كان ذلك كذلك ، فلا وجه لأن يؤمر بدعاء من كان جاحدا النشور بعد الممات ، إلى الإقرار بالصفة التي عليها يُنشر من نُشر ، وإنما يؤمر بالدعاء إلى ذلك من كان بالبعث مصدّقا . فأما من كان له جاحدا ، فإنما يُدعى إلى الإقرار به ، ثم يُعَرَّف كيف شرائط البعث ، على أن في الخبر الذي رُوي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم الذي حدّثناه محمد بن بشار ، قال : ثنا يحيى بن سعيد ، قال : ثنا سفيان ، قال : ثني المغيرة بن النعمان ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس عن النبيّ صلى الله عليه وسلم ، قال : « يُحْشَرُ النَّاسُ عُرَاةً غُرْلا ، وأوّل مَنْ يُكْسَى إبْرَاهِيمُ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، ثمّ قرأ (كَمَا بَدَأْنا أوّلَ خَلْقٍ نُعِيدُهُ ، وَعْدًا عَلَيْنا إنَّا كُنَّا فاعِلِينَ) »

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا إسحاق بن يوسف ، قال : ثنا سفيان ، عن المغيرة بن النعمان ، عن سعيد ابن جبير ، عن ابن عباس ، عن النبيّ صلى الله عليه وسلم ، بنحوه .

حدثنا محمد بن المثنى ، قال : ثنا محمد بن جعفر ، قال : ثنا شعبة ، عن المُغيرة بن النعمان ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس ، قال : قام فينا رسول الله صلى الله عليه وسلم بموعظة ، فقال : « يا أيُّها النَّاسُ إنَّكُمْ تُحْشَرُونَ إلى اللهِ حُفاةً غُرْلاً (كَمَا بَدَأْنا أوّلَ خَلْقٍ نُعِيدُهُ ، وَعْدًا عَلَيْنا إنَّا كُنَّا فاعِلِينَ) » ما يبين صحة القول الذي قلنا في ذلك ، من أن معناه : أن الخلق يعودون إلى الله يوم القيامة خلقا أحياء ، كما بدأهم في الدنيا خلقا أحياء ، يقال منه : بدأ الله الخلق يبدؤهم وأبدأهم يبدئهم إبداء بمعنى خلقهم ، لغتان فصيحتان ، ثم ابتدأ الخبر جلّ ثناؤه عما سبق من علمه في خلقه ، وجرى به فيهم

قضاؤه ، فقال : هدى الله منهم فريقا فوفّقهم لصالح الأعمال فهم مهتدون ، وحقّ على فريق منهم الضلالة عن الهدى والرشاد ، باتخاذهم الشيطان من دون الله وليا .

وإذا كان التأويل هذا ، كان الفريق الأوّل منصوبا بإعمال هدَى فيه ، والفريق الثانى بوقوع قوله حقّ على عائد ذكره فى عليهم ، كما قال جلّ ثناؤه (يُدْخِلُ مَنْ يَشاءُ فِي رَحْمَتِهِ ، وَالظَّالِمِينَ أعَدَّ لَهُمْ عَذَابا أليِما) ومن وجّه تأويل ذلك إلى أنه كما بدأكم فى الدنيا صنفين : كافرا ، ومؤمنا ، كذلك تعودون فى الآخرة فريقين : (فَرِيقا هَدَى ، وَفَرِيقا حَقَّ عَلَيْهِمُ الضَّلالَةُ) نصب فريقا الأوّل بقوله تعودون ، وجعل الثانى عطفا عليه . وقد بيّنّا الصواب عندنا من القول فيه .

القول فى تأويل قوله تعالى: ﴿إنَّهُمُ اتَّخَذُوا الشَّياطِينَ أوْلِياءَ مِنْ دُونِ اللهِ ، وَيَحْسَبُونَ أنَّهُمْ مُهْتَدُونَ﴾ :

يقول تعالى ذكره : إن الفريق الذى حقّ عليهم الضلالة إنما ضلوا عن سبيل الله ، وجاروا عن قصد المحجة ، باتخاذهم الشياطين نُصَراء من دون الله وظهراء ، جهلا منهم بخطأ ما هم عليه من ذلك ، بل فعلوا ذلك وهم يظنون أنهم على هدى وحقّ ، وأن الصواب ما أتوه وركبوا ، وهذا من أبين الدلالة على خطأ قول من زعم أن الله لايعذّب أحدا على معصية ركبها ، أو ضلالة اعتقدها ، إلا أن يأتيها بعد علم منه بصواب وجهها ، فيركبها عنادا منه لربه فيها ؛ لأن ذلك لو كان كذلك ، لم يكن بين فريق الضلالة الذى ضلّ ، وهو يحسب أنه هاد ، وفريق الهدى فرق ، وقد فرّق الله بين أسمائهما وأحكامهما فى هذه الآية .

القول فى تأويل قوله تعالى :

* يَٰبَنِىٓ ءَادَمَ خُذُوا۟ زِينَتَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَكُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟ وَلَا تُسْرِفُوٓا۟ ۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُسْرِفِينَ ﴿٣١﴾

يقول تعالى ذكره لهؤلاء الذين يتعرّون عند طوافهم ببيته الحرام ، ويبدون عوراتهم هنالك من مشركى العرب ، والمحرّمين منهم أكل ما لم يحرّمه الله عليهم من حلال رزقه تبرّرا عند نفسه لربه (يا بَنِي آدَمَ خُذُوا زِينَتَكُمْ) من الكساء واللباس (عِنْدَ كُلِّ مَسْجِد ، وكُلُوا) من طيبات ما رزقتكم ، وحللته لكم (وَاشْرَبُوا) من حلال الأشربة ، ولا تحرّموا إلا ما حرّمت عليكم فى كتابى ، أو على لسان رسولى محمد صلى الله عليه وسلم .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك ، قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا يحيى بن حبيب بن عربى ، قال : ثنا خالد بن الحرث ، قال : ثنا شعبة ، عن سلمة ، عن مسلم البطين ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس : إنّ النساء كنّ يطفن بالبيت عراة . وقال فى موضع آخر : بغير ثياب إلا أن تجعل المرأة على فرجها خرقة فيما وصف إن شاء الله ، وتقول :

اليَوْمَ يَبْدُو بَعْضُهُ أَوْ كُلُّهُ فَمَا بَدَا مِنْهُ فَلا أُحِلُّه

قال : فنزلت هذه الآية (خُذُوا زِينَتَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ) .

حدثنا عمرو بن عليّ ، قال : ثنا محمد بن جعفر ، قال : ثنا شعبة ، عن سلمة بن كهيل ، عن مسلم البطين ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس ، قال : كانوا يطوفون عراة ، الرجال بالنهار ، والنساء بالليل ، وكانت المرأة تقول :

اليَوْمَ يَبْدُو بَعْضُهُ أَوْ كُلُّهُ فَمَا بَدَا مِنْهُ فَلا أُحِلُّهُ

فقال الله (خُذُوا زِينَتَكُمْ) .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا ابن عيينة ، عن عمرو ، عن ابن عباس (خُذُوا زِينَتَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ) قال : الثياب .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا غندر ووهب بن جرير ، عن شعبة ، عن سلمة بن كهيل ، قال : سمعت مسلما البطين يحدّث عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس ، قال : كانت المرأة تطوف بالبيت عريانة ، قال غُنْدَرٌ[١] : وهي عريانة . قال وهب : كانت المرأة تطوف بالبيت وقد أخرجت صدرها وما هنالك . قال غندر[١] : وتقول : من يعيرنى تطوافا تجعله على فرجها ، وتقول :

اليَوْمَ يَبْدُو بَعْضُهُ أَوْ كُلُّهُ وَمَا بَدَا مِنْـهُ فَلا أُحِلُّهُ

فأنزل الله (يا بَنِي آدَمَ خُذُوا زِينَتَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ) .

حدثنى المثنى ، قال : ثنا عبد الله بن صالح ، قال : ثنى معاوية ، عن عليّ بن أبي طلحة ، عن ابن عباس ، قوله (يا بَنِي آدَمَ خُذُوا زِينَتَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ) قال : كانوا يطوفون بالبيت عراة ، فأمرهم الله أن يلبسوا ثيابهم ولا يتعرّوا .

حدثنى محمد بن سعد ، قال : ثنى أبى ، قال : ثنى عمى ، قال : ثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس قوله (خُذُوا زِينَتَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ) . . . الآية ، قال : كان رجال يطوفون بالبيت عراة ، فأمرهم الله بالزينة ، والزينة : اللباس ، وهو ما يوارى السوأة ، وما سوى ذلك من جيد البز والمتاع ، فأمروا أن يأخذوا زينتهم عند كلّ مسجد .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا المحاربى وابن فضيل ، عن عبد الملك ، عن عطاء (خُذُوا زِينَتَكُمْ) قال : كانوا يطوفون بالبيت عراة ، فأمروا أن يلبسوا ثيابهم .

حدثنى يعقوب بن إبراهيم ، قال : ثنا هشيم ، عن عبد الملك ، عن عطاء ، بنحوه .

حدثنى عمرو ، قال : ثنا يحيى ، قال : ثنا عبد الملك ، عن عطاء ، فى قوله (خُذُوا زِينَتَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ) : البسوا ثيابكم .

حدثنا يعقوب ، قال : ثناهشيم ، قال : أخبرنا مغيرة ، عن إبراهيم ، فى قوله (خُذُوا زِينَتَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ) قال : كان ناس يطوفون بالبيت عراة فنهوا عن ذلك .

(١) غندر : لقب محمد بن جعفر الهذلى مولاهم البصرى ، أبو عبد الله الكرابيسى الحافظ ، ربيب شعبة . كان من أصح الناس كتابا . قال أبو داود : مات سنة ١٩٣ ، وقال ابن سعد : سنة ١٩٤ هـ .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا جرير ، عن مغيرة ، عن إبراهيم (خُذُوا زِينَتَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ) قال : كانوا يطوفون بالبيت عراة ، فأمروا أن يلبسوا الثياب .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا يحيى بن يمان ، عن عثمان بن الأسود ، عن مجاهد (خُذُوا زِينَتَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ) قال : ما وارى العورة ولو عباءة .

حدثنا عمرو قال : ثنا يحيى بن سعيد ، وأبوعاصم ، وعبد الله بن داود ، عن عثمان بن الأسود ، عن مجاهد ، فى قوله (خُذُوا زِينَتَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ) قال : ما يوارى عورتك ولو عباءة .

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبوعاصم ، قال : ثنا عيسى ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، فى قول الله (خُذُوا زِينَتَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ) فى قريش ، لتركهم الثياب فى الطواف .

حدثنى المثنى ، قال : ثنا أبوحذيفة ، قال : ثنا شبل ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، بنحوه .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبى ، قال : ثنا سفيان ، عن سالم ، عن سعيد بن جبير (خُذُوا زِينَتَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ) قال : الثياب .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا زيد بن حباب ، عن إبراهيم ، عن نافع ، عن ابن طاوس ، عن أبيه (خُذُوا زِينَتَكُمْ عِنْدَ كُم مَسْجِدٍ) قال : الشملة من الزينة .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا ابن عيينة ، عن عمرو ، عن طاوس (خُذُوا زِينَتَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ) قال : الثياب .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا سويد وأبوأسامة ، عن حماد بن زيد ، عن أيوب ، عن سعيد بن جبير ، قال : كانوا يطوفون بالبيت عراة ، فطافت امرأة بالبيت وهى عريانة ، فقالت :

الْيَوْمَ يَبْدُو بَعْضُهُ أَوْ كُلُّهُ فَمَا بَدَا مِنْــهُ فَلَا أُحِلُّهُ

حدثنا بشر بن معاذ ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (خُذُوا زِينَتَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ) قال : كان حىٌّ من أهل اليمن كان أحدهم إذا قدم حاجا أو معتمرا يقول : لاينبغى أن أطوف فى ثوب قد دنَّست فيه ، فيقول : من يعيرنى مئزرا ، فإن قدر على ذلك ، وإلا طاف عريانا ، فأنزل الله فيه ما تسمعون (خُذُوا زِينَتَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ) .

حدثنى محمد بن الحسين ، قال : ثنا أحمد بن المفضل ، قال : ثنا أسباط ، عن السدىّ ، قال الله (يَا بَنِى آدَمَ خُذُوا زِينَتَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ) يقول : ما يوارى العورة عند كلّ مسجد .

حدثنى محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن الزهرىّ ، أن العرب كانت تطوف بالبيت عراة ، إلا الحمس قريش وأحلافهم ؛ فمن جاء من غيرهم وضع ثيابه وطاف فى ثياب أحمس ، فإنه لايحلّ له أن يلبس ثيابه ، فإن لم يجد من يعيره من الحمس ، فإنه يلقى ثيابه ويطوف عريانا ، وإن طاف فى ثياب نفسه ألقاها إذا قضى طوافه يحرمها فيجعلها حراما عليه ، فلذلك قال (خُذُوا زِينَتَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ) .

وبه عن معمر قال : قال ابن طاوس ، عن أبيه : الشملة من الزينة .

حُدثت عن الحسين بن الفرج ، قال : سمعت أبا معاذ ، قال : ثنا عبيد بن سليمان ، قال : سمعت الضحاك يقول فى قوله (خُذُوا زِينَتَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ) . . . الآية ، كان ناس من أهل اليمن والأعراب إذا حجوا البيت يطوفون به عراة ليلا ، فأمرهم الله أن يلبسوا ثيابهم ، وَلا يتعرّوا فى المسجد .

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد (خُذُوا زِينَتَكُمْ) قال : زينتهم ثيابهم التى كانوا يطرحونها عند البيت ويتعرّون .

وحدثنى به مرة أخرى باسناده ، عن ابن زيد فى قوله (قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللهِ التى أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ ، وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ) قال : كانوا إذا جاءوا البيت فطافوا به حرمت عليهم ثيابهم التى طافوا فيها ، فإن وجدوا من يعيرهم ثيابا ، وإلا طافوا بالبيت عراة ، فقال (مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللهِ) قال : ثياب الله التى أخرج لعباده . . . الآية .

وكالذى قلنا أيضا ، قالوا فى تأويل قوله (وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلا تُسْرِفُوا) .

ذكر من قال ذلك

حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن ابن طاوس ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قال : أحلّ الله الأكل والشرب ما لم يكن سرفا أو مخيلة .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، عن عطاء الخراسانى ، عن ابن عباس ، قوله (وكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلا تُسْرِفُوا إنَّهُ لا يُحِبُّ المُسْرِفِينَ) فى الطعام والشراب .

حدثنى محمد بن الحسين ، قال : ثنا أحمد بن المفضل ، قال : ثنا أسباط ، عن السدىّ ، قال : كان الذين يطوفون بالبيت عراة يحرّمون عليهم الودك ما أقاموا بالموسم ، فقال الله لهم (كُلُوا وَاشْرَبُوا وَلا تُسْرِفُوا إنّه لا يُحِبُّ المُسْرِفِينَ) يقول : لاتسرفوا فى التحريم .

حدثنى الحرث ، قال : ثنا عبدالعزيز ، قال : ثنا أبو سعد ، قال : سمعت مجاهدا يقول فى قوله (وكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلا تُسْرِفُوا) قال : أمرهم أن يأكلوا ويشربوا مما رزقهم الله .

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله (وَلا تُسْرِفُوا) لا تأكلوا حراما ذلك الإسراف ، وقوله (إنَّهُ لا يُحِبُّ المُسْرِفِينَ) يقول : إن الله لايحبّ المتعدّين حدّه فى حلال أو حرام ، الغالين فيما أحلّ الله أوحرّم بإحلال الحرام ، وبتحريم الحلال ، ولكنه يحب أن يحلل ما أحلّ ويحرّم ما حرّم ، وذلك العدل الذى أمر به .

القول فى تأويل قوله تعالى :

قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ قُلْ هِيَ لِلَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا خَالِصَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ كَذَلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿٣٢﴾

يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم (قُلْ) يا محمد لهؤلاء الجهلة من العرب الذين يتعرّون عند طوافهم بالبيت ، ويحرّمون على أنفسهم ما أحللت لهم من طيبات الرزق (مَنْ حَرَّمَ) أيها القوم عليكم (زِينَةَ اللهِ) التى خلقها لعباده أن تتزينوا بها وتتجملوا بلباسها ، والحلال من رزق الله الذى رزق خلقه لمطاعمهم ومشاربهم .

واختلف أهل التأويل فى المعنىّ بالطيبات من الرزق بعد إجماعهم على أن الزينة ما قلنا ، فقال بعضهم : الطيبات من الرزق فى هذا الموضع : اللحم ، وذلك أنهم كانوا لا يأكلونه فى حال إحرامهم .

ذكر من قال ذلك منهم

حدثنى محمد بن الحسين ، قال : ثنا أحمد بن المفضل ، قال : ثنا أسباط ، عن السدىّ ، فى قوله (قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللهِ التى أخرَجَ لِعِبادِهِ والطَّيِّباتِ مِنَ الرِّزْقِ) وهو الودك .

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله (قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللهِ التى أخرَجَ لِعِبادِهِ والطَّيِّباتِ مِنَ الرِّزْقِ) الذى حرّموا على أنفسهم ، قال : كانوا إذا حجوا أو اعتمروا حرّموا الشاة عليهم ، وما يخرج منها .

وحدثنى به يونس مرّة أخرى ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال بن زيد ، فى قوله (قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللهِ) . . . إلى آخر الآية ، قال : كان قوم يحرّمون ما يخرج من الشاة لبنها وسمنها ولحمها ، فقال الله (قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللهِ التى أخرَجَ لِعِبادِهِ والطَّيِّباتِ مِنَ الرِّزْقِ) قال : والزينة من الثياب .

حدثنى المثنى ، قال : ثنا حبان بن موسى ، قال : أخبرنا ابن المبارك ، عن سفيان ، عن رجل ، عن الحسن ، قال : لما بعث الله محمدا فقال : هذا نبيى ، هذا خيارى استنوا به ، خذوا فى سنته وسبيله ، لم تُغلق دونه الأبواب ، ولم تقم دونه الحجب ، ولم يغد عليه بالجبار[1] ، ولم يرجع عليه بها ، وكان يجلس بالأرض ، ويأكل طعامه بالأرض ، ويلعق يده ، ويلبس الغليظ ، ويركب الحمار ، ويردف عبده ، وكان يقول : « مَنْ رَغِبَ عَنْ سُنَّتِى فَلَيْسَ مِنِّى » . قال الحسن : فما أكثر الراغبين عن سنته ، التاركين لها ، ثم علوجا فسّاقا ، أكلة الربا والغلول ، قد سفههم ربى ومقتهم ، زعموا أن لا بأس عليهم فيما أكلوا وشربوا وزخرفوا هذه البيوت ، يتأوّلون هذه الآية (قُلْ مَنْ حَرَمَ زِينَةَ اللهِ التى أخرَجَ لِعِبادِهِ والطَّيِّباتِ مِنَ الرِّزْقِ) وإنما جعل ذلك لأولياء الشيطان ، قد جعلها ملاعب لبطنه و فرجه من كلام لم يحفظه سفيان .

وقال آخرون : بل عنى بذلك ما كانت الجاهلية تحرّم من البحائر والسوائب .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر بن معاذ ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللهِ التى

(١) كذا فى أصله ، وفى نسخة : بالجباب ، بجيم وموحدتين بينهما ألف .

أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ) وهو ما حرّم أهل الجاهلية عليهم من أموالهم : البحيرة ، والسائبة ، والوصيلة ، والحام .

حدثني المثنى ، قال : ثنا عبد الله بن صالح ، قال : ثنى معاوية بن صالح ، عن علىّ ، عن ابن عباس قوله (قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللهِ الَّتِى أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ) قال : إن الجاهلية كانوا يحرّمون أشياء أحلها الله من الثياب وغيرها ، وهو قول الله (قُلْ أَرَأَيْتُمْ مَا أَنْزَلَ اللهُ لَكُمْ مِنْ رِزْقٍ فَجَعَلْتُمْ مِنْهُ حَرَامًا وَحَلَالًا) وهو هذا ، فأنزل الله (قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللهِ الَّتِى أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ ، وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ) .

القول في تأويل قوله تعالى : ﴿قُلْ هِيَ لِلَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا خَالِصَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ ﴾ :

يقول الله تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم : قل يا محمد لهؤلاء الذين أمرتك أن تقول لهم (مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللهِ الَّتِى أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ) إذ عيوا بالجواب ، فلم يدروا ما يجيبونك زينة الله التى أخرج لعباده ، وطيبات رزقه للذين صدّقوا الله ورسوله ، واتبعوا ما أنزل إليك من ربك فى الدنيا ، وقد شركهم فى ذلك فيها من كفر بالله ورسوله ، وخالف أمر ربه ، وهى للذين آمنوا بالله ورسوله خالصة يوم القيامة ، لايشركهم فى ذلك يومئذ أحد كفر بالله ورسوله ، وخالف أمر ربه .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك ، قال أهل التأويل :

ذكر من قال ذلك

حدثنى المثنى ، قال : ثنا عبد الله ، قال : ثنى معاوية ، عن علىّ بن أبى طلحة ، عن ابن عباس (قُلْ هِيَ لِلَّذِينَ آمَنُوا فِى الْحَيَاةِ الدُّنْيَا خَالِصَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ) يقول : شارك المسلمون الكفار فى الطيِّبات ، فأكلوا من طيبات طعامها ، ولبسوا من خيار ثيابها ، ونكحوا من صالح نسائها ، وخلصوا بها يوم القيامة .

وحدثنى به المثنى مرّة أخرى بهذا الإسناد بعينه ، عن ابن عباس ، فقال : (قُلْ هِيَ لِلَّذِينَ آمَنُوا فِى الْحَيَاةِ الدُّنْيَا) يعنى : يشارك المسلمون المشركين فى الطيِّبات فى الحياة الدنيا ، ثم يخلص الله الطيبات فى الآخرة للذين آمنوا ، وليس للمشركين فيها شيء .

حدثنى محمد بن سعد ، قال : ثنى أبى ، قال : ثنى عمى ، قال : ثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قال : قال الله لمحمد صلى الله عليه وسلم (قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللهِ الَّتِى أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ ، قُلْ هِيَ لِلَّذِينَ آمَنُوا فِى الْحَيَاةِ الدُّنْيَا خَالِصَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ) يقول : قل هى فى الآخرة خالصة لمن آمن بى فى الدنيا ، لايشركهم فيها أحد ، وذلك أن الزينة فى الدنيا لكلّ بنى آدم ، فجعلها الله خالصة لأوليائه فى الآخرة .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبى ، عن سلمة بن نبيط ، عن الضحاك (قُلْ هِيَ الَّذِينَ آمَنُوا

فِي الحَيَاةِ الدُّنْيَا خَالِصَةً يَوْمَ القِيَامَةِ) قال : اليهود والنصارى يشركونكم فيها فى الدنيا ، وهى للذين آمنوا خالصة يوم القيامة .

حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن الحسن (قُلْ هِيَ الَّذِينَ آمَنُوا فِي الحَيَاةِ الدُّنْيَا خَالِصَةً يَوْمَ القِيَامَةِ) خالصة للمؤمنين فى الآخرة لايشاركهم فيها الكفار ، فأما فى الدنيا فقد شاركوهم .

حدثنا بشر بن معاذ ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (قُلْ هِيَ لِلَّذِينَ آمَنُوا فى الحَيَاةِ الدُّنْيَا خَالِصَةً يَوْمَ القِيَامَةِ) من عمل بالإيمان فى الدنيا خلصت له كرامة الله يوم القيامة ، ومن ترك الإيمان فى الدنيا ، قدم على ربه لاعذر له .

حدثنى محمد بن الحسين ، قال : ثنا أحمد بن المفضل ، قال : ثنا أسباط ، عن السدىّ (قُل هِيَ لِلَّذِينَ آمَنُوا فِي الحَيَاةِ الدُّنْيَا) يشترك فيها معهم المشركون (خَالِصَةً يَوم القِيامَةِ) للذين آمنوا .

حُدثت عن الحسين بن الفرج ، قال : سمعت أبا معاذ ، قال : ثنا عبيد بن سليمان ، قال : سمعت الضحاك يقول فى قوله (قُل مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ ، وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ قُلْ هِيَ لِلَّذِينَ آمَنُوا فِي الحَيَاةِ الدُّنْيَا خَالِصَةً يَوم القِيَامَةِ) يقول : المشركون يشاركون المؤمنين فى الدنيا ، فى اللباس والطعام والشراب ، ويوم القيامة يُخلّص اللباس والطعام والشراب للمؤمنين ، وليس للمشركين فى شىء من ذلك نصيب .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، قال : الدنيا يصيب منها المؤمن والكافر ، ويخلص خير الآخرة للمؤمنين ، وليس للكافر فيها نصيب .

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد (قُلْ هِيَ لِلَّذِينَ آمَنُوا فِي الحَيَاةِ الدُّنْيَا خَالِصَةً يَوْمَ القِيَامَةِ) قال : هذه يوم القيامة للذين آمنوا ، لايشركهم فيها أهل الكفر ويشركونهم فيها فى الدنيا ، وإذا كان يوم القيامة فليس لهم فيها قليل ولا كثير .

وقال سعيد بن جبير فى ذلك ، بما حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا إسماعيل بن أبان وحيوية الرازى أبويزيد عن يعقوب القمى ، عن سعيد بن جبير (قُلَ هِيَ لِلَّذِينَ آمَنُوا فِي الحَيَاةِ الدُّنْيَا خَالِصَةً يَوْمَ القِيامَةِ) قال : ينتفعون بها فى الدنيا ولا يتبعهم إثمها .

واختلفت القرّاء فى قراءة قوله خالصة ، فقرأ ذلك بعض قرّاء المدينة (خَالِصَةٌ) برفعها ، بمعنى : قل هى خالصة للذين آمنوا . وقرأه سائر قرّاء الأمصار (خالصَةً) بنصبها على الحال من لهم ، وقد ترك ذكرها من الكلام اكتفاء منها بدلالة الظاهر عليها ، على ماقد وصفت فى تأويل الكلام أن معنى الكلام : قل هى للذين آمنوا فى الحياة الدنيا مشتركة ، وهى لهم فى الآخرة خالصة ، ومن قال ذلك بالنصب جعل خبر هى فى قوله (لِلَّذِينَ آمَنُوا) .

قال أبو جعفر : وأولى القراءتين عندي بالصحة ، قراءة من قرأ نصبا لإيثار العرب النصب فى الفعل ، إذا تأخر بعد الاسم والصفة وإن كان الرفع جائزا ، غير أن ذلك أكثر فى كلامهم .

القول في تأويل قوله تعالى ﴿ كَذَلِكَ نُفَصِّلُ الآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴾ :

يقول تعالى ذكره : كما بينت لكم الواجب عليكم فى اللباس والزينة والحلال من المطاعم والمشارب ، والحرام منها ، وميزت بين ذلك لكم أيها الناس ، كذلك أبين جميع أدلتى وحججى ، وأعلام حلالى وحرامى وأحكامى لقوم يعلمون ما يبين لهم ، ويفقهون ما يميز لهم .

القول في تأويل قوله تعالى :

﴿ قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَالْإِثْمَ وَالْبَغْيَ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَأَنْ تُشْرِكُوا بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ سُلْطَانًا وَأَنْ تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٣٣﴾

يقول تعالى ذكره لنبيه محمد : قل يا محمد لهؤلاء المشركين الذين يتجرّدون من ثيابهم للطواف بالبيت ، ويحرمون أكل طيبات ماأحلّ الله لهم من رزقه أيها القوم ، إن الله لم يحرّم ما تحرّمونه ، بل أحلّ ذلك لعباده المؤمنين ، وطيّبه لهم . وإنما حرّم ربى القبائح من الأشياء ، وهى الفواحش ، ما ظهر منها فكان علانية ، وما بطن منها فكان سرًّا فى خفاء .

وقد رُوى عن مجاهد فىذلك ما حدثنى الحرث ، قال : ثنى عبد العزيز ، قال : ثنا أبوسعد ، قال : سمعت مجاهدا يقول فىقوله (ماظَهَرَ مِنْها وَما بَطَنَ) قال : ما ظهر منها طواف أهل الجاهلية عراة . وما بطن : الزنا . وقد ذكرت اختلاف أهل التأويل فى تأويل ذلك بالروايات فيما مضى فكرهت إعادته .

وأما الإثم : فإنه المعصية . والبغى : الاستطالة على الناس . يقول تعالى ذكره : إنما حرّم ربى الفواحش مع الإثم والبغى على الناس .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك ، قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا محمد بن الحسين ، قال : ثنا أحمد بن المفضل ، قال : ثنا أسباط ، عن السدىّ (وَالإثْمَ والبَغْىَ) أما الإثم : فالمعصية ، والبغى : أن يبغى على الناس بغير الحقّ .

حدثنى الحرث ، قال : ثنا عبد العزيز ، قال : ثنا أبوسعد ، قال : سمعت مجاهدا فىقوله (ما ظَهَرَ مِنْها وَما بَطَنَ والإثْمَ وَالبَغْىَ) قال : نهى عن الإثم ، وهى المعاصى كلها ، وأخبر أن الباغى بغيه كائن على نفسه .

القول في تأويل قوله تعالى :﴿ وأنْ تُشْرِكُوا باللهِ ما لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ سُلْطانا وأنْ تَقُولُوا على اللهِ مالاتَعْلَمُونَ ﴾ .

يقول جل ثناؤه : إنما حرم ربى الفواحش والشرك به : أن تعبدوا مَعَ اللهِ إلها غيرَهُ (مالَمْ يُنَزِّلْ بِهِ سُلْطاناً) يقول : حرّم ربكم عليكم أن تجعلوا معه فى عبادته شركا لشىء لم يجعل لكم

فى إشراككم إياه فى عبادته حجة ولا برهانا ، وهو السلطان (وَأَنْ تَقُولُوا على الله ما لا تَعْلَمُونَ) يقول : وأن تقولوا : إن الله أمركم بالتعرّى والتجرّد للطواف بالبيت ، وحرّم عليكم أكل هذه الأنعام التى حرّمتموها وسيّبتموها ، وجعلتموها وصائل وحوامى ، وغير ذلك مما لاتعلمون أن الله حرّمه ، أو أمر به أو أباحه ، فتضيفوا إلى الله تحريمه وحظره والأمر به ، فإن ذلك هو الذى حرّمه الله عليكم دون ما تزعمون أن الله حرّمه ، أو تقولون إن الله أمركم به جهلا منكم بحقيقة ماتقولون ، وتضيفونه إلى الله .

القول في تأويل قوله تعالى :

وَلِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ فَإِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ لَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ ﴿٣٤﴾

❊ يقول تعالى ذكره مهدّدا للمشركين الذين أخبر جلّ ثناؤه عنهم أنهم كانوا إذا فعلوا فاحشة قالوا وجدنا عليها آباءنا ، والله أمرنا بها ، ووعيدا منه لهم على كذبهم عليه ، وعلى إصرارهم على الشرك به ، والمقام على كفرهم ، ومذكّرا لهم ما أحلّ بأمثالهم من الأمم الذين كانوا قبلهم (وَلِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ) يقول : ولكلّ جماعة اجتمعت على تكذيب رسل الله وردّ نصائحهم ، والشرك بالله مع متابعة ربهم حججه عليهم ، أجل ، يعنى : وقت لحلول العقوبات بساحتهم ، ونزول المثلات بهم على شركهم (فَإِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ) يقول : فإذا جاء الوقت الذى وقّته الله لهلاكهم ، وحلول العقاب بهم (لَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ) يقول : لا يتأخرون بالبقاء فى الدنيا ، ولا يتمتعون بالحياة فيها عن وقت هلاكهم ، وحين حلول أجل فنائهم ساعة من ساعات الزمان (وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ) يقول : ولا يتقدمون بذلك أيضا عن الوقت الذى جعله الله لهم وقتا للهلاك .

القول في تأويل قوله تعالى :

يَا بَنِي آدَمَ إِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ رُسُلٌ مِنْكُمْ يَقُصُّونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِي فَمَنِ اتَّقَى وَأَصْلَحَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٣٥﴾

❊ يقول تعالى ذكره ، معرّفا خلقه ما أعدّ لحزبه ، وأهل طاعته ، والإيمان به وبرسوله ، وما أعدّ لحزب الشيطان وأوليائه ، والكافرين به وبرسله (يَا بَنِي آدَمَ إِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ رُسُلٌ مِنْكُمْ) يقول : إن يجئكم رسلى الذين أرسلهم إليكم بدعائكم إلى طاعتى ، والانتهاء إلى أمرى ونهيى منكم ، يعنى : من أنفسكم ، ومن عشائركم وقبائلكم (يَقُصُّونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِي) يقول : يتلون عليكم آيات كتابى ، ويعرّفونكم أدلّتى وأعلامى على صدق ما جاءوكم به من عندى ، وحقيقة ما دعوكم إليه من توحيدى (فَمَنِ اتَّقَى وَأَصْلَحَ) يقول : فمن آمن منكم بما أتاه به رسلى مما قصّ عليه من آياتى وصدّق واتقى الله ، فخافه بالعمل بما أمره به ، والانتهاء عما نهاه عنه ، على لسان رسوله ، وأصلح : يقول : وأصلح أعماله التى كان لها مفسدا قبل ذلك من معاصى الله بالتحوّب منها (فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ) يقول : فلا خوف عليهم يوم

القيامة من عقاب الله إذا وردوا عليه(وَلاهُمْ لا يَحْزَنُونَ) على مافاتهم من دنياهم التى تركوها ، وشهواتهم التى تجنبوها ، اتباعا منهم لنهى الله عنها إذا عاينوا من كرامة الله ماعاينوا هنالك .

حدثنى المثنى ، قال : ثنا إسحاق ، قال : ثنا هشام أبوعبد الله ، قال : ثنا هياج ، قال : ثنا عبد الرحمن ابن زياد ، عن أبى سيار السلمى ، قال : إن الله جعل آدم وذريته فى كفه ، فقال (يا بَنِى آدَمَ إمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ رُسُلٌ مِنْكُمْ يَقُصُّونَ عَلَيْكُمْ آياتِى ، فَمَنِ اتَّقَى وأصْلَحَ فَلا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلا هُمْ يَحْزَنُونَ) ثم نظر إلى الرسل فقال (يا أيُّها الرُّسُلُ كُلُوا مِنَ الطَّيِّباتِ وَاعْمَلُوا صَالحا ، إنِّى بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ . وَإنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةٌ واحِدَةٌ ، وأنا رَبُّكُمْ فاتَّقُونِ) ثم بثهم .

❁ فإن قال قائل : ما جواب قوله (إمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ رُسُلٌ مِنْكُمْ ؟) قيل : قد اختلف أهل العربية فى ذلك ، فقال بعضهم فى ذلك : الجواب مضمر ، يدلّ عليه ما ظهر من الكلام ، وذلك قوله (فَمَنِ اتَّقَى وأصْلَحَ) وذلك لأنه حين قال : فمن اتقى وأصلح ، كأنه قال : فأطيعوهم :

وقال آخرون منهم : الجواب : فمن اتقى ، لأن معناه ، فمن اتقى منكم وأصلح ، قال : ويدلّ على أن ذلك كذلك ، تبعيضه الكلام ، فكان فى التبعيض اكتفاء من ذكر منكم .

القول فى تأويل قوله تعالى :

وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَاسْتَكْبَرُوا عَنْهَا أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿٣٦﴾

❁ يقول جل ثناؤه : وأما من كذب بأنباء رسلى التى أرسلتها إليه ، وجحد توحيدى ، وكفر بما جاء به رسلى ، واستكبر عن تصديق حججى وأدلتى (فأُولَئِكَ أصْحابُ النَّارِ هُمْ فيها خالدون) يقول هم فى نار جهنم ماكثون ، لايخرجون منها أبدا .

القول فى تأويل قوله تعالى :

فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِآيَاتِهِ ۚ أُولَٰئِكَ يَنَالُهُمْ نَصِيبُهُم مِّنَ الْكِتَابِ ۖ حَتَّىٰ إِذَا جَاءَتْهُمْ رُسُلُنَا يَتَوَفَّوْنَهُمْ قَالُوا أَيْنَ مَا كُنتُمْ تَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ ۖ قَالُوا ضَلُّوا عَنَّا وَشَهِدُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ أَنَّهُمْ كَانُوا كَافِرِينَ ﴿٣٧﴾

❁ يقول تعالى ذكره : فمن أخطأ فعلا وأجهل قولا ، وأبعد ذهابا عن الحقّ والصواب (مِمَّنِ افْتَرَى على الله كَذِبا) يقول : ممن اختلق على الله زورا من القول ، فقال إذا فعل فاحشة : إن الله أمرنا بها (أوْ كَذَّبَ بآياتِهِ) يقول : أو كذّب بأدلته وأعلامه الدالة على وحدانيته ونبوّة أنبيائه ، فجحد حقيقتها ودافع صحتها (أُولَئِكَ)يقول : من فعل ذلك فافترى على الله الكذب ، وكذّب بآياته(أُولَئِكَ يَنالُهُمْ نَصِيبُهُمْ مِنَ الكِتابِ) يقول : يصل إليهم حظهم مما كتب الله لهم فى اللوح المحفوظ .

ثم اختلف أهل التأويل فى صفة ذلك النصيب الذى لهم فى الكتاب وما هو ، فقال بعضهم : هو عذاب الله الذى أعدّه لأهل الكفر به .

ذكر من قال ذلك

حدثنا يعقوب بن إبراهيم ، قال : ثنا مروان ، عن إسماعيل بن أبى خالد ، عن أبى صالح ، قوله (أُولَـٰئِكَ يَنَالُهُمْ نَصِيبُهُمْ مِنَ الكِتَابِ) : أى من العذاب .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبوأسامة ، عن إسماعيل ، عن أبى صالح ، مثله .

حدثنى محمد بن الحسين ، قال : ثنا أحمد بن مفضل ، قال : ثنا أسباط ، عن السدىّ (أُولَـٰئِكَ يَنَالُهُمْ نَصِيبُهُمْ مِنَ الكِتَابِ) يقول : ما كتب لهم من العذاب .

حدثنى المثنى ، قال : ثنا عمرو بن عون ، قال : أخبرنا هشيم ، عن جويبر ، عن كثير بن زياد ، عن الحسن فى قوله (أُولَـٰئِكَ يَنَالُهُمْ نَصِيبُهُمْ مِنَ الكِتَابِ) قال : من العذاب .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبو معاوية ، عن جويبر ، عن أبى سهل ، عن الحسن ، قال : من العذاب.

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا المحاربى ، عن جويبر ، عن رجل ، عن الحسن ، قال : من العذاب .

وقال آخرون : معنى ذلك : أولئك ينالهم نصيبهم مما سبق لهم من الشقاء والسعادة .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا يحيى بن آدم ، عن شريك ، عن سعيد (أولَـٰئِكَ يَنَالُهُمْ نَصِيبُهُمْ مِنَ الكِتَابِ) قال : من الشقوة والسعادة .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا حكام ، عن عنبسة ، عن محمد بن عبد الرحمن بن أبى ليلى ، عن القاسم بن أبى بزّة ، عن مجاهد (أُولَـٰئِكَ يَنَالُهُمْ نَصِيبُهُمْ مِنَ الكِتَابِ) كشقىّ وسعيد .

حدثنا واصل بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن فضيل ، عن الحسن ، بن عمرو الفقيمى ، عن الحكم قال : سمعت مجاهدا يقول (أُولَـٰئِكَ يَنَالُهُمْ نَصِيبُهُمْ مِنَ الكِتَابِ) قال : هو ما سبق .

حدثنا المثنى ، قال : ثنا أبو حذيفة ، قال : ثنا شبل ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد (أُولَـٰئِكَ يَنَالُهُم نَصِيبُهُمْ مِنَ الكِتَابِ) : ما كتب لهم من الشقاوة والسعادة .

حدثنى المثنى ، قال : ثنا سويد ، قال : أخبرنا ابن المبارك ، عن شبل ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد (يَنَالُهُم نَصِيبُهُم مِنَ الكِتَابِ) : ما كتب عليهم من الشقاوة والسعادة ، كشقىّ وسعيد .

قال : حدثنا ابن المبارك ، عن شريك ، عن جابر ، عن مجاهد ، عن ابن عباس (أُولَـٰئِكَ يَنَالُهُمْ نَصِيبُهُم مِنَ الكِتَابِ) من الشقاوة والسعادة .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا ابن نمير وابن إدريس ، عن الحسن بن عمرو ، عن الحكم ، عن مجاهد (أُولَـٰئِكَ يَنَالُهُمْ نَصِيبُهُمْ مِنَ الكِتَابِ) قال : ما قد سبق من الكتاب .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا حميد بن عبد الرحمن ، عن فضيل بن مرزوق ، عن عطية (أُولَـٰئِكَ يَنَالُهُمْ نَصِيبُهُم مِنَ الكِتَابِ) قال : ما سبق لهم فى الكتاب .

قال : ثنا سويد بن عمرو ويحيى بن آدم ، عن شريك ، عن سالم ، عن سعيد (أُولَـٰئِكَ يَنَالُهُمْ نَصِيبُهُم) قال : من الشقاوة والسعادة .

قال : حدثنا أبومعاوية ، عن سفيان ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، قال : ما قضى أو قدّر عليهم.

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، قال : قال ابن عباس (يَنَالُهُم نَصِيبُهُمْ مِنَ الكِتَابِ) ينالهم الذى كتب عليهم من الأعمال .

حدثنا عمرو بن عبد الحميد ، قال : ثنا مروان بن معاوية ، عن إسماعيل بن سميع ، عن بكر الطويل ، عن مجاهد ، فى قول الله (أولَـٰئِكَ يَنَالُهُمْ نَصِيبُهُمْ مِنَ الكِتَابِ) قال : قوم يعملون أعمالا لابدّ لهم أن يعملوها .

وقال آخرون : معنى ذلك : أولئك ينالهم نصيبهم من كتابهم الذى كتب لهم أو عليهم بأعمالهم التى عملوها فى الدنيا من خير وشرّ .

ذكر من قال ذلك

حدثنى المثنى ، قال : ثنا عبد الله بن صالح ، قال : ثنى معاوية ، عن علىّ ، عن ابن عباس (أُولَـٰئِكَ يَنَالُهُمْ نَصِيبُهُمْ مِنَ الكِتَابِ) يقول : نصيبهم من الأعمال ، من عمل خيرا جزى به ، ومن عمل شرّا جزى به .

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبوعاصم ، قال : ثنا عيسى ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، فى قول الله (أُولَـٰئِكَ يَنَالُهُمْ نَصِيبُهُمْ مِنَ الكِتَابِ) قال : من أحكام الكتاب على قدر أعمالهم .

حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة (أُولَـٰئِكَ يَنَالُهُمْ نَصِيبُهُمْ مِنَ الكِتَابِ) قال : ينالهم نصيبهم فى الآخرة من أعمالهم التى عملوا وأسلفوا .

حدثنا بشر بن معاذ ، قال : ثنا يزيد ، عن سعيد ، عن قتادة ، قوله (أُولَـٰئِكَ يَنَالُهُم نَصِيبُهُمْ مِنَ الكِتَابِ) أى أعمالهم ، أعمال السوء التى عملوها وأسلفوها .

حدثنى أحمد بن المقدام ، قال : ثنا المعتمر ، قال : قال أبى (أُولَـٰئِكَ يَنَالُهُمْ نَصِيبُهُمْ مِنَ الكِتَابِ) زعم قتادة : من أعمالهم التى عملوا .

حُدثت عن الحسين بن الفرج ، قال : سمعت أبا معاذ يقول : ثنا عبيد بن سليمان ، عن الضحاك ، قوله (أولَـٰئِكَ يَنَالُهُمْ نَصِيبُهُم مِنَ الكِتَابِ) يقول : ينالهم نصيبهم من العمل ، يقول : إن عمل من ذلك نصيب خير جزى خيرا ، وإن عمل شرّا جزى مثله .

وقال آخرون : معنى ذلك : ينالهم نصيبهم مما وعدوا فى الكتاب من خير أو شرّ .

ذكر من قال ذلك

حدثنا علىّ بن سهل ، قال : ثنا زيد بن أبى الزرقاء ، عن سفيان ، عن جابر ، عن مجاهد ، عن ابن عباس فى هذه الآية (أُولَـٰئِكَ يَنَالُهُمْ نَصِيبُهُم مِّنَ الْكِتَابِ) قال : من الخير والشرّ .

قال : حدثنا زيد ، عن سفيان ، عن منصور ، عن مجاهد ، قال : ما وعدوا .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا عبد الرحمن ، قال : ثنا سفيان ، عن منصور ، عن مجاهد (أُولَـٰئِكَ يَنَالُهُمْ نَصِيبُهُم مِّنَ الْكِتَابِ) قال : ما وعدوا .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبى ، عن سفيان ، عن منصور ، عن مجاهد (أُولَـٰئِكَ يَنَالُهُمْ نَصِيبُهُم مِّنَ الْكِتَابِ) قال : ما وعدوا فيه من خير أو شرّ .

قال : حدثنا أبى ، عن سفيان ، عن جابر ، عن مجاهد ، عن ليث ، عن ابن عباس (أُولَـٰئِكَ يَنَالُهُمْ نَصِيبُهُم مِّنَ الْكِتَابِ) قال : ما وعدوا مثله .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا المحاربى ، عن جويبر ، عن الضحاك ، قال : ما وعدوا فيه من خير أو شرّ .

حدثنى المثنى ، قال : ثنا أبو نعيم ، قال : ثنا سفيان ، عن منصور ، عن مجاهد (أُولَـٰئِكَ يَنَالُهُمْ نَصِيبُهُم مِّنَ الْكِتَابِ) قال : ما وعدوا فيه .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا جرير ، عن منصور ، عن مجاهد ، فى قوله (أُولَـٰئِكَ يَنَالُهُمْ نَصِيبُهُم مِّنَ الْكِتَابِ) قال : ما وعدوا من خير أو شرّ .

حدثنا عمرو بن عبد الحميد ، قال : ثنا مروان بن معاوية ، عن الحسن بن عمرو ، عن الحكم ، عن مجاهد ، فى قول الله (أُولَـٰئِكَ يَنَالُهُمْ نَصِيبُهُم مِّنَ الْكِتَابِ) قال : ينالهم ما سبق لهم من الكتاب .

وقال آخرون : معنى ذلك : أولئك ينالهم نصيبهم من الكتاب الذى كتبه الله على ما افترى عليه .

ذكر من قال ذلك

حدثنى محمد بن سعد ، قال : ثنى أبى ، قال : ثنى عمى ، قال : ثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله (أُولَـٰئِكَ يَنَالُهُمْ نَصِيبُهُم مِّنَ الْكِتَابِ) يقول : ينالهم ما كتب عليهم ، يقول : قد كتب لمن يفترى على الله أن وجهه مسودّ .

وقال آخرون : معنى ذلك : أولئك ينالهم نصيبهم مما كتب لهم من الرزق والعمر والعمل .

ذكر من قال ذلك

حدثنى المثنى ، قال : ثنا إسحاق ، قال : ثنا عبد الرحمن بن سعد ، قال : ثنا أبو جعفر ، عن الربيع ابن أنس (أُولَـٰئِكَ يَنَالُهُمْ نَصِيبُهُم مِّنَ الْكِتَابِ) مما كتب لهم من الرزق .

قال : ثنا إسحاق ، قال : ثنا محمد بن حرب ، عن ابن لهيعة ، عن أبى صخر ، عن القرظى (أُولَـٰئِكَ يَنَالُهُمْ نَصِيبُهُم مِّنَ الْكِتَابِ) قال : عمله ورزقه وعمره .

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله (أُولَـٰئِكَ يَنَالُهُمْ

نَصِيبُهُمْ مِنَ الْكِتَابِ) قال : من الأعمال والأرزاق والأعمار ، فإذا فنى هذا جاءتهم رسلنا يتوفونهم ، وقد فرغوا من هذه الأشياء كلها .

قال أبوجعفر : وأولى هذه الأقوال عندى بالصواب قول من قال : معنى ذلك : أولئك ينالهم نصيبهم من الكتاب مما كتب لهم من خير وشرّ فى الدنيا ، ورزق وعمل وأجل ، وذلك أن الله جلّ ثناؤه أتبع ذلك قوله(حَتَّى إِذَا جَاءَتْهُمْ رُسُلُنَا يَتَوَفَّوْنَهُمْ ، قَالُوا أَيْنَ مَا كُنْتُمْ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللهِ) فأبان بإتباعه ذلك قوله (أُولَئِكَ يَنَالُهُمْ نَصِيبُهُمْ مِنَ الْكِتَابِ) أن الذى ينالهم من ذلك إنما هو ما كان مقضيا عليهم فى الدنيا أن ينالهم ، لأنه قد أخبر أن ذلك ينالهم إلى وقت مجيئهم رسله لتقبض أرواحهم ، ولو كان ذلك نصيبهم من الكتاب ، أو مما قد أعدّ لهم فى الآخرة ، لم يكن محدودا بأنه ينالهم إلى مجىء رسل الله لو فاتهم ، لأن رسل الله لاتجيئهم للوفاة فى الآخرة ، وأن عذابهم فى الآخرة لا آخر له ولا انقضاء فإن الله قد قضى عليهم بالخلود فيه ، فبين بذلك أن معناه ما اخترنا من القول فيه .

القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ حَتَّى إِذَا جَاءَتْهُمْ رُسُلُنَا يَتَوَفَّوْنَهُمْ قَالُوا أَيْنَ مَا كُنْتُمْ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللهِ ؟ قَالُوا ضَلُّوا عَنَّا وَشَهِدُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ أَنَّهُمْ كَانُوا كَافِرِينَ ﴾ :

يعنى جلّ ثناؤه بقوله (حَتَّى إِذَا جَاءَتْهُمْ رُسُلُنَا)إلى أن جاءتهم رسلنا ، يقول جلّ ثناؤه : وهؤلاء الذين افتروا على الله الكذب ، أو كذّبوا بآيات ربهم ، ينالهم حظوظهم التى كتب الله لهم ، وسبق فى علمه لهم من رزق وعمل وأجل ، وخير وشرّ فى الدنيا ، إلى أن تأتيهم رسلنا لقبض أرواحهم (فَإِذَا جَاءَتْهُمْ رُسُلُنَا) يعنى : ملك الموت وجنده (يَتَوَفَّوْنَهُمْ) يقول : يستوفون عددهم من الدنيا إلى الآخرة (قَالُوا أَيْنَ مَا كُنْتُمْ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللهِ) يقول : قالت الرسل : أين الذين كنتم تدعونهم أولياء من دون الله وتعبدونهم ، لايدفعون عنكم ما قد جاءكم من أمر الله الذى هو خالقكم وخالقهم ، وما قد نزل بساحتكم من عظيم البلاء وهلا يغيثونكم من كرب ما أنتم فيه ، فينقذونكم منه ، فأجابهم الأشقياء ، فقالوا: ضلّ عنا أولياؤنا الذين كنا ندعو من دون الله ، يعنى بقوله (ضَلُّوا) : جاروا وأخذوا غير طريقنا ، وتركونا عند حاجتنا إليهم فلم ينفعونا ، يقول الله جلّ ثناؤه : وشهد القوم حينئذ على أنفسهم أنهم كانوا كافرين بالله ، جاحدين وحدانيته .

القول فى تأويل قوله تعالى :

قَالَ ادْخُلُوا فِي أُمَمٍ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِكُمْ مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ فِي النَّارِ كُلَّمَا دَخَلَتْ أُمَّةٌ لَعَنَتْ أُخْتَهَا حَتَّى إِذَا ادَّارَكُوا فِيهَا جَمِيعًا قَالَتْ أُخْرَاهُمْ لِأُولَاهُمْ رَبَّنَا هَؤُلَاءِ أَضَلُّونَا فَآتِهِمْ عَذَابًا ضِعْفًا مِنَ النَّارِ قَالَ لِكُلٍّ ضِعْفٌ وَلَكِنْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٣٨﴾

وهذا خبر من الله جلّ ثناؤه عن قيله لهؤلاء المفترين عليه ، المكذّبين آياته يوم القيامة ، يقول تعالى

ذكره : قال لهم حين وردوا عليه يوم القيامة : ادخلوا أيها المفترون على ربكم ، المكذّبون رسله فى جماعات من ضربائكم (قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِكُمْ) يقول : قد سلفت من قبلكم من الجنّ والإنس فى النار . ومعنى ذلك : ادخلوا فى أمم هى فى النار ، قد خلت من قبلكم من الجنّ والإنس . وإنما يعنى بالأمم : الأحزاب وأهل الملل الكافرة (كُلَّمَا دَخَلَتْ أُمَّةٌ لَعَنَتْ أُخْتَها) يقول جلّ ثناؤه : كلما دخلت النار جماعة من أهل ملة لعنت أختها ، يقول : شتمت الجماعةُ الأخرى من أهل ملتها تبرّيا منها . وإنما عنى بالأخت : الأخوّة فى الدين والملة ؛ وقيل أختها ، ولم يقل أخاها ، لأنه عنى بها أمة وجماعة أخرى ، كأنه قيل : كلما دخلت أمة لعنت أمة أخرى من أهل ملتها ودينها .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك ، قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنى محمد بن الحسين ، قال : ثنا أحمد بن مفضل ، قال : ثنا أسباط ، عن السدىّ (كُلَّمَا دَخَلَتْ أُمَّةٌ لَعَنَتْ أُخْتَهَا) يقول : كلما دخلت أهل ملة لعنوا أصحابهم على ذلك الدين ، يلعن المشركون المشركين ، واليهود اليهود ، والنصارى النصارى ، والصابئون الصابئين ، والمجوس المجوس ، تلعن الآخرةُ الأولى .

القول فى تأويل قوله تعالى : ﴿حَتَّى إِذَا ادَّارَكُوا فِيهَا جَمِيعًا﴾ :

يقول تعالى ذكره : حتى إذا تداركت الأمم فى النار جميعا ، يعنى : اجتمعت فيها ، يقال : قد ادّاركوا وتداركوا : إذا اجتمعوا ، يقول : اجتمع فيها الأوّلون من أهل الملل الكافرة ، والآخرون منهم .

القول فى تأويل قوله تعالى :﴿قَالَتْ أُخْرَاهُمْ لِأُولَاهُمْ : رَبَّنَا هَؤُلَاءِ أَضَلُّونَا فَآتِهِمْ عَذَابًا ضِعْفًا مِنَ النَّارِ ، قَالَ لِكُلٍّ ضِعْفٌ وَلَكِنْ لَا تَعْلَمُونَ ﴾:

وهذا خبر من الله جلّ ثناؤه عن محاورة الأحزاب من أهل الملل الكافرة فى النار يوم القيامة ، يقول الله تعالى ذكره : فإذا اجتمع أهل الملل الكافرة فى النار فادّاركوا ، قالت أخرى أهل كلّ ملة دخلت النار الذين كانوا فى الدنيا بعد أولى منهم تقدمتها ، وكانت لها سلفا وإماما فى الضلالة والكفر لأولاها الذين كانوا قبلهم فى الدنيا ، ربنا هؤلاء أضلونا عن سبيلك ، ودعونا إلى عبادة غيرك ، وزيّنوا لنا طاعة الشيطان فآتهم اليوم من عذابك الضعف على عذابنا .

كما حدثنى محمد بن الحسين ، قال : ثنا أحمد بن مفضل ، قال : ثنا أسباط ، عن السدىّ ، قالت أخراهم الذين كانوا فى آخر الزمان لأولاهم الذين شرعوا لهم ذلك الدين (رَبَّنَا هَؤُلَاءِ أَضَلُّونَا فَآتِهِمْ عَذَابًا ضِعْفًا مِنَ النَّارِ) .

وأما قوله (قَالَ لِكُلٍّ ضِعْفٌ وَلَكِنْ لَا تَعْلَمُونَ) فإنه خبر من الله عن جوابه لهم ، يقول : قال الله للذين يدعونه فيقولون : ربنا هؤلاء أضلونا فآتهم عذابا ضعفا من النار لكلكم ، أوّلكم وآخركم وتابعوكم ومتبعوكم ضعف ، يقول مكرّر عليه العذاب ، وضعف الشيء : مثله مرّة .

وكان مجاهد يقول فى ذلك ما حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبوعاصم ، قال : ثنا عيسى ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، فى قول الله (عَذَابًا ضِعْفًا مِنَ النَّارِ ، قَالَ لِكُلٍّ ضِعْفٌ) .

حدثنى المثنى ، قال : ثنا أبوحذيفة ، قال : ثنا شبل ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، مثله .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك ، قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنى محمد بن الحسين ، قال : ثنا أحمد بن المفضل ، قال : ثنا أسباط ، عن السدىّ ، قال الله : (لِكُلٍّ ضِعْفٌ) للأولى وللآخرة ضعف .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا عبد الرحمن ، قال : ثنا سفيان ، قال : ثنى غير واحد ، عن السدىّ ، عن مرّة ، عن عبد الله (ضِعْفًا مِنَ النَّارِ) قال : أفاعى .

حدثنى الحرث ، قال : ثنا عبد العزيز ، قال : ثنا سفيان ، عن السدىّ ، عن مرّة ، عن عبد الله (فآتهم عَذَابًا ضِعْفًا مِنَ النَّارِ) قال : حيات وأفاعى . وقيل : إن الضعف فى كلام العرب ما كان ضعفين ؛ والمضاعف ما كان أكثر من ذلك .

وقوله (وَلَكِنْ لَا تَعْلَمُونَ) يقول : ولكنكم يا معشر أهل النار ، لاتعلمون ما قدر ما أعدّ الله لكم من العذاب ، فلذلك تسأل الضعف منه الأمة الكافرة الأخرى لأختها الأولى .

القول فى تأويل قوله تعالى :

وَقَالَتْ أُولَاهُمْ لِأُخْرَاهُمْ فَمَا كَانَ لَكُمْ عَلَيْنَا مِنْ فَضْلٍ فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْسِبُونَ ﴿٣٩﴾

يقول جلّ ثناؤه : وقالت أولى كلّ أمة وملة سبقت فى الدنيا لأخراها الذين جاءوا من بعدهم ، وحدثوا بعد زمانهم فيها ، فسلكوا سبيلهم ، واستنوا سنتهم (فَمَا كَانَ لَكُمْ عَلَيْنَا مِنْ فَضْلٍ) وقد علمتم ما حلّ بنا من عقوبة الله بمعصيتنا إياه ، وكفرنا به ، وجاءتنا وجاءتكم بذلك الرسل والنُّذر ، هل انتهيتم إلى طاعة الله ، وارتدعتم عن غوايتكم وضلالتكم ؛ فانقضت حجة القوم وخصموا ، ولم يطيقوا جوابا بأن يقولوا فُضّلنا عليكم أنا اعتبرنا بكم فآمنا بالله وصدّقنا رسله ؛ قال الله لجميعهم : فذوقوا جميعكم أيها الكفرة عذاب جهنم ، بما كنتم فى الدنيا تكسبون من الآثام والمعاصى ، وتجترحون من الذنوب والأجرام .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك ، قال أهل التأويل :

ذكر من قال ذلك

حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا المعتمر ، قال : سمعت عمران ، عن أبى مجلز (وَقَالَتْ أُولَاهُمْ لِأُخْرَاهُمْ فَمَا كَانَ لَكُمْ عَلَيْنَا مِنْ فَضْلٍ ، فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْسِبُونَ) قال : يقول : فما فضلكم علينا ، وقد بين لكم ما صنع بنا وحُذرتم .

حدثنى محمد بن الحسين ، قال : ثنا أحمد بن المفضل ، قال : ثنا أسباط ، عن السدىّ (وَقَالَتْ أُولاهُمْ لِأُخْرَاهُمْ فَمَا كَانَ لَكُمْ عَلَيْنَا مِنْ فَضْلٍ) فقد ضللتم كما ضللنا .

وكان مجاهد يقول فى هذا بما حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد (فَمَا كَانَ لَكُمْ عَلَيْنَا مِنْ فَضْلٍ) قال : من التخفيف من العذاب .

حدثنى المثنى ، قال : ثنا أبو حذيفة ، قال : ثنا شبل ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد (فَمَا كَانَ لَكُمْ عَلَيْنَا مِنْ فَضْلٍ) قال : من تخفيف .

✲ وهذا القول الذى ذكرناه عن مجاهد قول لامعنى له ، لأن قول القائلين : فما كان لكم علينا من فضل ، لمن قالوا ذلك : إنما هو توبيخ منهم على ماسلف منهم قبل تلك الحال ، يدلّ على ذلك دخول كان فى الكلام ، ولو كان ذلك منهم توبيخا لهم على قيلهم الذى قالوا لربهم : آتهم عذابا ضعفا من النار ، لكان التوبيخ أن يقال : فما لكم علينا من فضل فى تخفيف العذاب عنكم ، وقد نالكم من العذاب ما قد نالنا ، ولم يقل : فما كان لكم علينا من فضل .

القول فى تأويل قوله تعالى :

إِنَّ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَاسْتَكْبَرُوا عَنْهَا لَا تُفَتَّحُ لَهُمْ أَبْوَابُ السَّمَاءِ وَلَا يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ حَتَّىٰ يَلِجَ الْجَمَلُ فِي سَمِّ الْخِيَاطِ ۚ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِي الْمُجْرِمِينَ ﴿٤٠﴾

✲ يقول تعالى ذكره : إن الذين كذّبوا بحججنا وأدلتنا فلم يصدّقوا بها ، ولم يتبعوا رسلنا (وَاسْتَكْبَرُوا عَنْهَا) يقول : وتكبروا عن التصديق بها ، وأنفوا من اتباعها والانقياد لها تكبرا ، لاتفتح لهم لأرواحهم إذا خرجت من أجسادهم أبواب السماء ، ولا يصعد لهم فى حياتهم إلى الله قول ولا عمل ، لأن أعمالهم خبيثة ، وإنما يرفع الكلم الطيب والعمل الصالح ، كما قال جلّ ثناؤه (إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ) .

ثم اختلف أهل التأويل فى تأويل قوله (لَا تُفَتَّحُ لَهُمْ أَبْوَابُ السَّمَاءِ) فقال بعضهم : معناه : لاتفتح لأرواح هؤلاء الكفار أبواب السماء .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا يعلى ، عن أبى سنان ، عن الضحاك ، عن ابن عباس (لَا تُفَتَّحُ لَهُمْ أَبْوَابُ السَّمَاءِ) قال : عنى بها الكفار أن السماء لاتفتح لأرواحهم ، وتفتح لأرواح المؤمنين .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبو معاوية ، عن أبى سنان ، عن الضحاك ، قال : قال ابن عباس : تفتح السماء لروح المؤمن ، ولا تفتح لروح الكافر .

حدثنا محمد بن الحسين ، قال : ثنا أحمد بن المفضل ، قال : ثنا أسباط ، عن السدىّ (لَا تُفَتَّحُ لَهُمْ أَبْوَابُ السَّمَاءِ) قال : إن الكافر إذا أخذ روحه ضربته ملائكة الأرض حتى يرتفع إلى السماء ، فإذا بلغ السماء الدنيا ضربته ملائكة السماء فهبط ، فضربته ملائكة الأرض فارتفع ، فاذا بلغ السماء الدنيا ضربته

ملائكة السماء الدنيا ، فهبط إلى أسفل الأرضين ؛ وإذا كان مؤمنا أخذ روحه ، وفُتح له أبواب السماء ، فلا يمرّ بملك إلا حياه وسلم عليه حتى ينتهى إلى الله ، فيعطيه حاجته ، ثم يقول : الله ردّوا روح عبدى فيه إلى الأرض ، فإنى قضيت من التراب خلقه ، وإلى التراب يعود ، ومنه يخرج .

وقال آخرون : معنى ذلك : أنه لايصعد لهم عمل صالح ، ولا دعاء إلى الله .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا عبيد الله ، عن سفيان ، عن ليث ، عن عطاء ، عن ابن عباس (لاتُفَتَّحُ لَهُمْ أبْوَابُ السَّماءِ) : لايصعد لهم قول ولا عمل .

حدثنى المثنى ، قال : ثنا عبد الله بن صالح ، قال : ثنى معاوية ، عن علىّ بن أبى طلحة ، عن ابن عباس ، قوله (إنَّ الَّذِينَ كَذَّبُوا بآياتِنا وَاسْتَكْبَرُوا عَنْها لاتُفَتَّحُ لَهُم أبْوَابُ السَّماءِ) يعنى : لايصعد إلى الله من عملهم شىء .

حدثنى محمد بن سعد ، قال : ثنى أبى ، قال : ثنى عمى ، قال : ثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس (لاتُفَتَّحُ لَهُمْ أبْوابُ السَّماءِ) يقول : لاتفتح لخير يعملون .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبى ، عن سفيان ، عن منصور ، عن مجاهد (لاتُفَتَّحُ لَهُمْ أبْوَابُ السَّماءِ) قال : لايصعد لهم كلام ولا عمل .

حدثنا مطر بن محمد الضبى ، قال : ثنا عبد الله بن داود ، قال : ثنا شريك ، عن منصور ، عن إبراهيم ، فى قوله (لاتُفَتَّحُ لَهُمْ أبْوَابُ السَّماءِ) قال : لايرتفع لهم عمل ولا دعاء .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا يحيى بن آدم ، عن شريك ، عن سالم ، عن سعيد (لاتُفَتَّحُ لَهُمْ أبْوَابُ السَّماءِ) قال : لايرتفع لهم عمل ولا دعاء .

حدثنى المثنى ، قال : ثنا الحمانى ، قال : ثنا شريك ، عن سعيد (لاتُفَتَّحُ لَهُمْ أبْوَابُ السَّماءِ) قال : لايرفع لهم عمل صالح ولا دعاء .

وقال آخرون : معنى ذلك : لاتفتح أبواب السماء لأرواحهم ولا لأعمالهم .

ذكر من قال ذلك

حدثنى القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج (لاتُفَتَّحُ لَهُمْ أبْوَابُ السَّماءِ) قال : لأرواحهم ولا لأعمالهم .

❊ قال أبوجعفر : وإنما اخترنا فى تأويل ذلك ما اخترنا من القول لعموم خبر الله جلّ ثناؤه أن أبواب السماء لاتفتح لهم ، ولم يخصص الخبر بأنه يفتح لهم فى شىء ، فذلك على ما عمه خبر الله تعالى بأنها لاتفتح لهم فى شىء مع تأييد الخبر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ما قلنا فى ذلك .

وذلك ما حدثنا أبوكريب ، قال : ثنا أبو بكر بن عياش ، عن الأعمش ، عن المنهال ، عن زاذان ، عن البراء « أن رسول الله صلى الله عليه وسلم ذكر قبض روح الفاجر ، وأنه يصعد بها إلى السماء ، قال

فيصعدون بها فلا يمرون على ملإ من الملائكة إلا قالوا : ما هذا الروح الخبيث ، فيقولون : فلان بأقبح أسمائه التي كان يدعى بها في الدنيا حتى ينتهوا بها إلى السماء ، فيستفتحون له فلا يفتح له ، ثم قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم : (لاتفتّح لهم أبواب السماء ولا يدخلون الجنة حتى يلج الجمل في سم الخياط) » .

حدثنا أبوكريب ، قال : ثنا عثمان بن عبد الرحمن ، عن ابن أبي ذئب ، عن محمد بن عمرو بن عطاء ، عن سعيد بن يسار ، عن أبي هريرة ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قال : « الميت تحضره الملائكة ، فإذا كان الرجل الصالح قالوا اخرجي أيتها النفس الطيبة كانت في الجسد الطيب ، اخرجي حميدة ، وأبشري بروح وريحان ورب غير غضبان ، قال : فيقولون ذلك حتى يعرج بها إلى السماء فيستفتح لها ، فيقال من هذا ؟ فيقولون فلان ، فيقال مرحبا بالنفس الطيبة التي كانت في الجسد الطيب ، ادخلي حميدة ، وأبشري بروح وريحان ورب غير غضبان ، فيقال لها ذلك حتى تنتهي إلى السماء التي فيها الله . وإذا كان الرجل السوء قال : اخرجي أيتها النفس الخبيثة كانت في الجسد الخبيث ، اخرجي ذميمة ، وأبشري بحميم وغساق ، وآخر من شكله أزواج ، فيقولون ذلك حتى تخرج ثم يعرج بها إلى السماء ، فيستفتح لها ، فيقال من هذا ؟ فيقولون فلان ، فيقولون لا مرحبا بالنفس الخبيثة كانت في الجسد الخبيث ، ارجعي ذميمة فإنه لاتفتح لك أبواب السماء ، فترسل بين السماء والأرض فتصير إلى القبر » .

حدثني محمد بن عبد الله بن عبد الحكم ، قال : ثنا ابن أبي فديك ، قال : ثني ابن أبي ذئب ، عن محمد بن عمرو بن عطاء ، عن سعيد بن يسار ، عن أبي هريرة ، عن النبي صلى الله عليه وسلم بنحوه .

واختلفت القرّاء في قراءة ذلك ، فقرأته عامة قرّاء الكوفة (لايفتح لهم أبواب السماء) بالياء من يفتح وتخفيف التاء منها ، بمعنى : لايفتح لهم جميعها بمرّة واحدة وفتحة واحدة ، وقرأ ذلك بعض المدنيين وبعض الكوفيين (لاتفتّح) بالتاء وتشديد التاء الثانية بمعنى : لايفتح لهم باب بعد باب ، وشيء بعد شيء .

قال أبو جعفر : والصواب في ذلك عندي من القول أن يقال : إنهما قراءتان مشهورتان صحيحتا المعنى ، وذلك أن أرواح الكفار لاتفتح لها ولا لأعمالهم الخبيثة أبواب السماء بمرّة واحدة ، ولا مرّة بعد مرّة ، وباب بعد باب ، فكلا المعنيين في ذلك صحيح ، وكذلك الياء والتاء في يفتح وتفتح ، لأن الياء بناء على فعل الواحد للتوحيد والتاء ، لأن الأبواب جماعة ، فيخبر عنها خبر الجماعة .

القول في تأويل قوله تعالى : ﴿ ولا يدخلون الجنة حتى يلج الجمل في سم الخياط ، وكذلك نجزي المجرمين ﴾ :

يقول جل ثناؤه : ولا يدخل هؤلاء الذين كذبوا بآياتنا واستكبروا عنها الجنة ، التي أعدها الله

لأوليائه المؤمنين أبدا ، كما لايلج الجمل فِي سَمّ الخياط أبدا ، وذلك ثقب الإبرة ، وكلّ ثقب فى عين أو أنف ، أو غير ذلك ، فإن العرب تسميه سَمّا وتجمعه سُموما وسِماما ، والسّمام فى جمع السّمّ القاتل أشهر وأفصح من السموم ، وهو فى جمع السّمّ الذى هو بمعنى الثقب أفصح ، وكلاهما فى العرب مستفيض ، وقد يقال لواحد السُّموم التى هى الثقوب: سَم وسُم بفتح السين وضمها ، ومن السّمّ الذى بمعنى الثقب قول الفرزدق :

فَنَفَّسْتُ عَنْ سَمَّيْهِ حتى تَنَفَّسَا وَقُلْتُ لهُ لاتَخْشَ شَيْئا وَرَائِيا[١]

يعنى بسَمَّيه : ثقبَي أنفه . وأما الخياط : فإنه المخْيَط وهى الإبرة ، قيل لها : خياط ومخيط ، كما قيل : قناع ومقنع ، وإزار ومئزر ، وقرام ومقرم ، ولحاف وملحف . وأما القرّاء من جميع الأمصار ، فإنها قرأت قوله (فِي سَمّ الخياطِ) بفتح السين ، وأجمعت على قراءة الجَمَل بفتح الجيم والميم وتخفيف ذلك . وأما ابن عباس وعكرمة وسعيد بن جبير ، فإنه حُكى عنهم أنهم كانوا يقرءون ذلك (الجُمَّل) بضم الجيم وتشديد الميم ، على اختلاف فى ذلك عن سعيد وابن عباس .

فأما الذين قرءوه بالفتح من الحرفين والتخفيف ، فإنهم وجهوا تأويله إلى الجمل المعروف وكذلك فسروه .

ذكر من قال ذلك

حدثنا يحيى بن طلحة اليربوعى ، قال : ثنا فضيل بن عياض ، عن مغيرة ، عن إبراهيم ، عن عبد الله فى قوله (حتى يَلِجَ الجَمَلُ فى سَمّ الخياطِ) قال : الجمل : ابن الناقة ، أو زوج الناقة .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا عبد الرحمن ، قال : ثنا سفيان ، عن أبى حصين ، عن إبراهيم ، عن عبد الله (حتى يَلِجَ الجَمَلُ فِي سَمّ الخياطِ) قال : الجمل : زوج الناقة .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبى ، عن سفيان ، عن أبى حصين ، عن إبراهيم ، عن عبد الله ، مثله .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا ابن مهدى ، عن هشيم ، عن مغيرة ، عن إبراهيم ، عن عبد الله ، قال : الجمل : زوج الناقة .

حدثنى المثنى ، قال : ثنا عمرو بن عون ، قال : أخبرنا هشيم ، عن مغيرة ، عن إبراهيم ، عن عبد الله مثله .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا عبد الرحمن ، قال : ثنا قرة ، قال : سمعت الحسن يقول : الجمل الذى يقوم فى المربد .

(١) البيت فى ديوان الفرزدق (طبعة الصاوى سنة ١٩٣٦ ص ٨٩٥) من قصيدته التى مطلعها :

ألم تر أنى يوم جو سويقة بكيت فنادتنى هنيدة ماليا

والضمير فى سمية عائد على مذكور فى البيت قبله ، وهو :

دعانى ابن حمراء العجان ولم يجد له إذ دعا مستأخرا من دعائيا

يريد البعيث الشاعر . والسمان : هما ثقبا الأنف . يريد أنه كان خائفا ، فاستغاث به يعلوه البهر وتردد النفس ، فطمأنه حتى هدأت نفسه ، وذهب ما به من خوف .

حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن الحسن (حَتَّى يَلِجَ الْجَمَلُ فِي سَمِّ الْخِيَاطِ) قال : حتى يدخل البعير فى خرق الإبرة .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا ابن مهدى ، عن هشيم ، عن عباد بن راشد ، عن الحسن ، قال : هو الجمل ، فلما أكثروا عليه ، قال : هو الأشتر .

حدثنى المثنى ، قال : ثنا عمرو بن عون ، قال : ثنا هشيم ، عن عباد بن راشد ، عن الحسن ، مثله .

حدثنا المثنى ، قال : ثنا الحجاج ، قال : ثنا حماد ، عن يحيى ، قال : كان الحسن يقرؤها (حَتَّى يَلِجَ الْجَمَلُ فِي سَمِّ الْخِيَاطِ) قال : فذهب بعضهم يستفهمه ، قال : أشتر أشتر .

حدثنى المثنى ، قال : ثنا أبوالنعمان عارم ، قال : ثنا حماد بن زيد ، عن شعيب بن الحبحاب ، عن أبى العالية (حَتَّى يَلِجَ الْجَمَلُ) قال : الجمل : الذى له أربع قوائم .

حدثنا الحسن بن يحيى ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا الثورىّ ، عن أبى حصين ، أو حصين ، عن إبراهيم ، عن ابن مسعود فى قوله (حَتَّى يَلِجَ الْجَمَلُ فِي سَمِّ الْخِيَاطِ) قال : زوج الناقة ، يعنى الجمل .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا يحيى بن واضح ، قال : ثنا عبيد بن سليمان ، عن الضحاك ، أنه كان يقرأ (الْجَمَلُ) وهو الذى له أربع قوائم .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبو تميلة ، عن عبيد ، عن الضحاك (حَتَّى يَلِجَ الْجَمَلُ) الذى له أربع قوائم .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا زيد بن الحباب ، عن قرة ، عن الحسن (حَتَّى يَلِجَ الْجَمَلُ) قال : الذى بالمربد .

حدثنى المثنى ، قال : ثنا أبوحذيفة ، قال : ثنا شبل ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، عن ابن مسعود أنه كان يقرأ (حَتَّى يَلِجَ الْجَمَلُ الأَصْفَرُ) .

حدثنا نصر بن على ، قال : ثنا يحيى بن سليم ، قال : ثنا عبد الكريم بن أبى المخارق ، عن الحسن ، فى قوله (حَتَّى يَلِجَ الْجَمَلُ فِي سَمِّ الْخِيَاطِ) قال : الجمل : ابن الناقة . أو بعل الناقة .

وأما الذين خالفوا هذه القراءة ، فإنهم اختلفوا ، فروى عن ابن عباس فى ذلك روايتان : إحداهما الموافقة لهذه القراءة وهذا التأويل .

ذكر الرواية بذلك عنه

حدثنى المثنى ، قال : ثنا عبد الله بن صالح ، قال : ثنى معاوية ، عن على ، عن ابن عباس (حَتَّى يَلِجَ الْجَمَلُ فِي سَمِّ الْخِيَاطِ) والجمل : ذو القوائم ، وذكر أن ابن مسعود قال ذلك .

حدثنى محمد بن سعد ، قال : ثنى أبى ، قال : ثنى عمى ، قال : ثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس (حَتَّى يَلِجَ الْجَمَلُ فِي سَمِّ الْخِيَاطِ) : هو الجمل العظيم لايدخل فى خرق الإبرة من أجل أنه أعظم منها.

والرواية الأخرى ما حدثني يحيى بن طلحة اليربوعي ، قال : ثنا فضيل بن عياض ، عن منصور ، عن مجاهد ، عن ابن عباس ، في قوله (حَتَّى يَلِجَ الجَمَلُ فِي سَمِّ الخِيَاطِ) قال : هو قَلْس السفينة .

حدثني عبد الأعلى بن واصل ، قال : ثنا أبو غسان مالك بن إسماعيل ، عن خالد بن عبد الله الواسطي ، عن حنظلة السدوسيّ ، عن عكرمة ، عن ابن عباس أنه كان يقرأ (حَتَّى يَلِجَ الجَمَلُ فِي سَمِّ الخِيَاطِ) يعني : الحبل الغليظ ، فذكرت ذلك للحسن ، فقال : (حَتَّى يَلِجَ الجَمَلُ) قال عبد الأعلى ، قال أبو غسان ، قال خالد : يعني البعير .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبو أسامة ، عن فضيل ، عن مغيرة ، عن مجاهد ، عن ابن عباس أنه قرأ (الجُمَّل) مثقلة ، وقال : هو حبل السفينة .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا ابن مهدي ، عن هشيم ، عن مغيرة ، عن مجاهد ، عن ابن عباس ، قال : الجمَّل : حبال السفن .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا يحيى بن آدم ، عن ابن المبارك ، عن حنظلة ، عن عكرمة ، عن ابن عباس (حَتَّى يَلِجَ الجَمَلُ فِي سَمِّ الخِيَاطِ) قال : الحبل الغليظ .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا جرير ، عن مغيرة ، عن مجاهد ، عن ابن عباس (حَتَّى يَلِجَ الجَمَلُ فِي سَمِّ الخِيَاطِ) قال : هو الحبل الذي يكون على السفينة .

واختلف عن سعيد بن جبير أيضا في ذلك ، فروى عنه روايتان إحداهما مثل الذي ذكرنا عن ابن عباس بضمّ الجيم ، وتثقيل الميم .

ذكر الرواية بذلك عنه

حدثنا عمران بن موسى القزّاز ، قال : ثنا عبد الوارث بن سعيد ، قال : ثنا حسين المعلم ، عن أبي بشر عن سعيد بن جبير ، أنه قرأها (حَتَّى يَلِجَ الجُمَّلُ) يعني : قلوس السفن ، يعني الحبال الغلاظ ، والأخرى منهما بضم الجيم وتخفيف الميم .

ذكر الرواية بذلك عنه

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا يحيى بن واضح ، قال : ثنا عمرو ، عن سالم بن عجلان الأفطس ، قال : قرأت على أبي (حَتَّى يَلِجَ الجَمَلُ) فقال (حَتَّى يَلِجَ الجُمَلُ) خفيفة : هو حبل السفينة ، هكذا أقرأنيها سعيد بن جبير . وأما عكرمة ، فإنه كان يقرأ ذلك (الجُمَّل) بضمّ الجيم وتشديد الميم .

ويتأوله كما حدثني ابن وكيع ، قال : ثنا أبو تُمَيلة ، عن عيسى بن عبيدة ، قال : سمعت عكرمة يقرأ (الجُمَّلُ) مثقلة ، ويقول : هو الحبل الذي يصعد به إلى النخل .

حدثنا محمد بن بشار ، قال : ثنا مسلم بن إبراهيم ، قال : ثنا كعب بن فرُّوخ ، قال : ثنا قتادة ، عن عكرمة ، في قوله (حَتَّى يَلِجَ الجَمَلُ فِي سَمِّ الخِيَاطِ) قال : الحبل الغليظ في خرق الإبرة .

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبوعاصم ، قال : ثنا عيسى ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، فى قوله (حتى يَلِجَ الجُمَّلُ فى سَمّ الخياط) قال : حبل السفينة فى سمّ الخياط .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، قال : قال عبد الله بن كثير : سمعت مجاهدا يقول : الحبل من حبال السفن .

وكأن من قرأ ذلك بتخفيف الميم وضمّ الجيم على ماذكرنا عن سعيد بن جبير على مثال الصُّرَد والجُعَل وجهه إلى جماع جملة من الحبال جمعت جملا ، كما تجمع الظلمة ظُلَما ، والخربة خَربا .

وكان بعض أهل العربية ينكر التشديد فى الميم ، ويقول : إنما أراد الراوى الجُمَل بالتخفيف ، فلم يفهم ذلك منه ، فشدّده .

وحُدثت عن الفراء ، عن الكسائى أنه قال : الذى رواه عن ابن عباس ، كان أعجميا . وأما من شدّد الميم وضمّ الجيم ، فإنه وجهه إلى أنه اسم واحد : وهو الحبل أو الخيط الغليظ .

قال أبو جعفر : والصواب من القراءة فى ذلك عندنا ما عليه قرّاء الأمصار وهو (حتى يَلِجَ الجَمَلُ فى سَمّ الخياطِ) بفتح الجيم والميم من الجمل وتخفيفها ، وفتح السين من السَّمّ ، لأنها القراءة المستفيضة فى قرّاء الأمصار ، وغير جائز مخالفة ما جاءت به الحجة ، متفقة عليه من القرّاء ، وكذلك ذلك فى فتح السين من قوله (سَمّ الخياطِ) .

وإذ كان الصواب من القراءة ذلك ، فتأويل الكلام : ولا يدخلون الجنة حتى يلج ، والولوج : الدخول من قولهم : ولج فلان الدار يلج ولوجا ، بمعنى : دخل الجمل فى سَمّ الإبرة وهو ثقبها (وكذلكَ نَجْزِى المُجْرِمِينَ) يقول وكذلك نثيب الذين أجرموا فى الدنيا ما استحقوا به من الله العذاب الأليم فى الآخرة .

وبمثل الذى قلنا فى تأويل قوله (سَمّ الخياط) قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبوأسامة وابن مهدى وسويد الكلبى ، عن حماد بن زيد ، عن يحيى بن عتيق ، قال : سألت الحسن ، عن قوله (حتى يَلِجَ الجَمَلُ فى سَمّ الخياطِ) قال : ثقب الإبرة.

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا مسلم بن إبراهيم ، قال : ثنا كعب بن فَرُّوخ ، قال : ثنا قتادة ، عن عكرمة (فى سَمّ الخياطِ) قال : ثقب الإبرة .

حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن الحسن ، مثله .

حدثنى محمد بن الحسين ، قال : ثنا أحمد بن المفضل ، قال : ثنا أسباط ، عن السدىّ (فى سَمّ الخياط) قال : جحر الإبرة .

حدثنى المثنى ، قال : ثنا عبد الله بن صالح ، قال : ثنى معاوية ، عن علىّ ، عن ابن عباس (فى سَمّ الخياطِ) يقول : جحر الإبرة .

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبوعاصم ، قال : ثني عيسى ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، (في سَمِّ الخياطِ) قال : في ثقبه .

القول في تأويل قوله تعالى:

﴿لَهُم مِّن جَهَنَّمَ مِهَادٌ وَمِن فَوْقِهِمْ غَوَاشٍ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِي الظَّالِمِينَ ﴿٤١﴾﴾

يقول جلَّ ثناؤه لهؤلاء الذين كذَّبوا بآياتنا واستكبروا عنها (مِنْ جَهَنَّم مِهادٌ) وهو ما امتهدوه مما يقعد عليه ويضطجع كالفراش الذي يُفرش ، والبساط الذي يُبسط (وَمِنْ فَوْقِهِمْ غَوَاشٍ) وهو جمع غاشية ، وذلك ما غشاهم فغطاهم من فوقهم .

وإنما معنى الكلام : لهم من جهنم مهاد ، من تحتهم فرش ، ومن فوقهم منها لُحُف ، وإنهم بين ذلك . وبنحو ذلك ، قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبي ، عن سفيان ، عن موسى بن عبيدة ، عن محمد بن كعب (لَهُمْ مِنْ جَهَنَّمَ مِهادٌ) قال : الفراش (وَمِنْ فَوْقِهِمْ غواشٍ) قال : اللحف .

حدثنا أبوكريب ، قال : ثنا جابر بن نوح ، عن أبي روق ، عن الضحاك (لَهُمْ مِنْ جَهَنَّمَ مِهادٌ وَمِنْ فَوْقِهِمْ غَوَاشٍ) قال : المهاد : الفرش ، والغواشي : اللحف .

حدثني محمد بن الحسين ، قال : ثنا أحمد بن مفضل ، قال : ثنا أسباط ، عن السدى (لَهُمْ مِنْ جَهَنَّمَ مِهادٌ ، وَمِنْ فَوْقِهِمْ غَوَاشٍ) أما المِهاد لهم : كهيئة الفراش ، والغواشي : تتغشاهم من فوقهم . وأما قوله (وكَذَلِكَ نَجْزِى الظَّالِمِينَ) فإنه يقول : وكذلك نثيب ونكافئ من ظلم نفسه فأكسبها من غضب الله ما لا قبل لها به بكفره بربه وتكذيبه أنبياءه .

القول في تأويل قوله تعالى:

﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿٤٢﴾﴾

يقول جلَّ ثناؤه : والذين صدَّقوا الله ورسوله ، وأقرُّوا بما جاءهم به من وحي الله وتنزيله وشرائع دينه ، وعملوا ما أمرهم الله به ، فأطاعوه ، وتجنبوا ما نهاهم عنه (لانُكَلِّفُ نَفْسًا إلاّ وُسْعَهَا) يقول : لانكلف نفسا من الأعمال إلا مايسعها ، فلا حَرَجَ فيه أولئك ، يقول : هؤلاء الذين آمنوا وعملوا الصالحات أصحاب الجنة ، يقول : هم أهل الجنة الذين هم أهلها دون غيرهم ممن كفر بالله ، وعمل بسيئاتهم ، فيها خالدون ، يقول : هم في الجنة ماكثون ، دائم فيها مكثهم لايخرجون منها ، ولا يُسْلَبون نعيمهم .

القول في تأويل قوله تعالى :

﴿ وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِم مِّنْ غِلٍّ تَجْرِي مِن تَحْتِهِمُ الْأَنْهَارُ وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي هَدَانَا لِهَٰذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِيَ لَوْلَا أَنْ هَدَانَا اللَّهُ لَقَدْ جَاءَتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِالْحَقِّ وَنُودُوا أَن تِلْكُمُ الْجَنَّةُ أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾ (٤٣)

يقول تعالى ذكره : وأذهبنا من صدور هؤلاء الذين وصف صفتهم ، وأخبر أنهم أصحاب الجنة ، مافيها من حقد وغل وعداوة كان من بعضهم فى الدنيا على بعض ، فجعلهم فى الجنة إذا أدخلتهموها على سرر متقابلين ، لايحسد بعضهم بعضا على شىء خصّ الله به بعضهم ، وفضله من كرامته عليه ، تجرى من تحتهم أنهار الجنة .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك ، قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبوخالد الأحمر ، عن جويبر ، عن الضحاك (وَنَزَعْنَا ما فِي صُدُورِهِمْ مِنْ غِلٍّ) قال : العداوة .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا حميد بن عبد الرحمن ، عن سعيد بن بشير ، عن قتادة (وَنَزَعْنا ما فِي صُدُورِهِمْ مِنْ غِلٍّ) قال : هى الإحن .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا ابن المبارك ، عن ابن عيينة ، عن إسرائيل أبى موسى ، عن الحسن ، عن علىّ ، قال : فينا والله أهل بدر نزلت (وَنَزَعْنا ما فِي صُدُورِهِمْ مِنْ غِلٍّ إِخْوَانا على سُرُرٍ مُتَقابِلِينَ) .

حدثنا الحسن بن يحيى ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا ابن عيينة ، عن إسرائيل ، قال : سمعته يقول : قال علىّ عليه السلام : فينا والله أهل بدر نزلت (وَنَزَعْنا ما فِي صُدُورِهِمْ مِنْ غِلٍّ إِخْوَانا على سُرُرٍ مُتَقابِلِينَ) .

حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة ، قال : قال علىّ رضى الله عنه : إنى لأرجو أن أكون أنا وعثمان وطلحة والزبير من الذين قال الله تعالى فيهم (وَنَزَعْنا ما فِي صُدُورِهِمْ مِنْ غِلٍّ) رضوان الله عليهم .

حدثني محمد بن الحسين ، قال : ثنا أحمد بن المفضل ، قال : ثنا أسباط ، عن السدىّ (وَنَزَعْنا ما فِي صُدُورِهِمْ مِنْ غِلٍّ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهِمُ الأَنْهارُ) قال : إن أهل الجنة إذا سيقوا إلى الجنة ، فبلغوا ، وجدوا عند بابها شجرة فى أصل ساقها عينان ، فشربوا من إحداهما ، فينزع ما فى صدورهم من

غلّ ، فهو الشراب الطهور ، واغتسلوا من الأخرى ، فجرت عليهم نضرة النعيم ، فلم يشعثوا ولم يتسخوا بعدها أبدا :

حدثنى يعقوب بن إبراهيم ، قال : ثنا ابن علية ، عن الجريرى ، عن أبى نضرة ، قال : يحبس أهل الجنة دون الجنة حتّى يقضى لبعضهم من بعض ، حتّى يدخلوا الجنة حين يدخلونها ، ولا يطلب أحد منهم أحدا بقلامة ظفر ظلمها إياه ، ويحبس أهل النار دون النار حتّى يقضى لبعضهم من بعض ، فيدخلون النار حين يدخلونها ، ولا يطلب أحد منهم أحدا بقلامة ظفر ظلمها إياه .

القول في تأويل قوله تعالى : ﴿وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي هَدَانَا لِهَٰذَا ، وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِيَ لَوْلَا أَنْ هَدَانَا اللَّهُ﴾ .

يقول تعالى ذكره : وقال هؤلاء الذين وصف جلّ ثناؤه وهم الذين آمنوا وعملوا الصالحات حين أدخلوا الجنة ، ورأوا ما أكرمهم الله به من كرامته ، وما صُرف عنهم من العذاب المهين الذى ابتلى به أهل النار بكفرهم بربهم ، وتكذيبهم رسله (الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي هَدَانَا لِهَٰذَا) يقول : الحمد لله الذى وفّقنا للعمل الذى أكسبنا هذا الذى نحن فيه من كرامة الله وفضله ، وصرف عذابه عنا (وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِيَ لَوْلَا أَنْ هَدَانَا اللَّهُ) يقول : وماكنا لنرشد لذلك لولا أن أرشدنا الله له ، ووفقنا بمنه وطوله .

كما حدثنا أبو هشام الرفاعى ، قال : ثنا أبو بكر بن عياش ، قال : ثنا الأعمش ، عن أبى صالح ، عن أبى سعيد ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « كُلُّ أَهْلِ النَّارِ يَرَى مَنْزِلَهُ مِنَ الجَنَّةِ ، فَيَقُولُونَ : لَوْ هَدَانَا اللهُ ، فَتَكُونُ عَلَيْهِمْ حَسْرَةٌ ، وَكُلُّ أَهْلِ الجَنَّةِ يَرَى مَنْزِلَهُ مِنَ النَّارِ ، فَيَقُولُونَ لَوْلا أَنْ هَدَانَا اللهُ ، فَهَذَا شُكْرُهُمْ » .

حدثنا محمد بن المثنى ، قال : ثنا محمد بن جعفر ، قال : ثنا شعبة ، قال : سمعت أبا إسحاق يحدّث عن عاصم بن ضمرة ، عن علىّ ، قال : ذكر عمر لشىء لا أحفظه ، ثم ذكر الجنة ، فقال : يدخلون فإذا شجرة يخرج من تحت ساقها عينان ، قال : فيغتسلون من إحداهما ، فتجرى عليهم نضرة النعيم ، فلا تشعّث أشعارهم ، ولا تغبر أبشارهم ، ويشربون من الأخرى ، فيخرج كلّ قذى وقذر ، أو شىء فى بطونهم ، قال : ثم يفتح لهم باب الجنة ، فيقال لهم (سَلَامٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ فَادْخُلُوهَا خَالِدِينَ) قال : فتستقبلهم الولدان ، فيحفّون بهم كما تحفّ الولدان بالحميم إذا جاء من غيبته ، ثم يأتون فيبشرون أزواجهم ، فيسمونهم بأسمائهم وأسماء آبائهم ، فيقلن : أنت رأيته ؟ قال : فيستخفهنّ الفرح ، قال : فيجئن حتّى يقفن على أسكفة الباب ، قال : فيجيئون فيدخلون ، فإذا أُس بيوتهم بجندل اللؤلؤ ، وإذا صروح صفر ، وخضر ، وحمر ، ومن كلّ لون ، وسرر مرفوعة ، وأكواب موضوعة ، ونمارق مصفوفة ، وزرابىّ مبثوثة ، فلولا أن الله قدرها لالتمعت أبصارهم مما يرون فيها فيعانقون الأزواج ، ويقعدون على السرر ، ويقولون : (الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي هَدَانَا لِهَٰذَا ، وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِيَ لَوْلَا أَنْ هَدَانَا اللَّهُ ، لَقَدْ جَاءَتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِالْحَقِّ) . . . الآية .

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿لَقَدْ جاءَتْ رُسُلُ رَبِّنا بِالحَقِّ وَنُودُوا أَنْ تِلْكُمُ الجَنَّةُ أُورِثْتُمُوها بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ :

يقول تعالى ذكره ، مخبرا عن هؤلاء الذين آمنوا وعملوا الصالحات أنهم يقولون عند دخولهم الجنة ، ورؤيتهم كرامة الله التى أكرمهم بها ، وهو أن أعداء الله فى النار : والله لقدجاءتنا فىالدنيا وهؤلاء الذين فى النار ،رسل ربنا بالحقّ من الأخبار ، عن وعد الله أهل طاعته ، والإيمان به وبرسله ، ووعيده أهل معاصيه ، والكفر به .

وأما قوله (وَنُودُوا أَنْ تِلْكُمُ الجَنَّةُ أُورِثْتُمُوها بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ) فإن معناه : ونادى مناد هؤلاء الذين وصف الله صفتهم ، وأخبر عما أعدّ لهم من كرامته ، أنْ يا هؤلاء هذه تلكم الجنة التى كانت رسلى فى الدنيا تخبركم عنها ، أورثكموها الله عن الذين كذّبوا رسله ، لتصديقكم إياهم ، وطاعتكم ربكم ، وذلك هو معنى قوله (بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ) .

وبنحو ما قلنا فى تأويل ذلك ، قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنى محمد بن الحسين ، قال : ثنا أحمد بن المفضل ، قال : ثنا أسباط ، عن السدىّ (وَنُودُوا أَنْ تِلْكُمُ الجَنَّةُ أُورِثْتُمُوها بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ) قال : ليس من كافر ولا مؤمن إلا وله فى الجنة والنار منزل ، فإذا دخل أهل الجنة الجنة ، وأهل النار النار ، ودخلوا منازلهم ، رفعت الجنة لأهل النار فنظروا إلى منازلهم فيها ، فقيل لهم : هذه منازلكم لو عملتم بطاعة الله ، ثم يقال : يا أهل الجنة رثوهم بما كنتم تعملون ، فيقسم بين أهل الجنة منازلهم .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا عمر بن سعد أبو داود الحفرى ، عن سعيد بن بكر ، عن سفيان الثورىّ ، عن أبى إسحاق ، عن الأغرّ (وَنُودُوا أَنْ تِلْكُمُ الجَنَّةُ أُورِثْتُمُوها بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ) قال : نودوا أن صحوا فلا تسقموا واخلدوا فلا تموتوا ، وانعموا فلا تبأسوا .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا قبيصة ، عن سفيان ، عن أبى إسحاق ، عن الأغرّ ، عن أبى سعيد : (وَنُودُوا أَنْ تِلْكُمُ الجَنَّةُ) . . . الآية ، قال : ينادى مناد إن لكم أن تصحوا فلا تسقموا أبدا .

واختلف أهل العربية فى أن التى مع تلكم ، فقال بعض نحويى البصرة : هى « أن » الثقيلة خففت ، وأضمر فيها ولا يستقيم أن نجعلها الخفيفة ، لأن بعدها اسما ، والخفيفة لاتليها الأسماء ، وقد قال الشاعر :

فِي فِتْيَةٍ كَسُيُوفِ الهِنْدِ قَدْ عَلِمُوا ... أَنْ هالِكٌ كُلُّ مَنْ يَحْفَى وَيَنْتَعِلُ[1]

---

(١) البيت لأبى بصير الأعشى ميمون بن قيس (البيت ٣٨ من القصيدة السادسة من ديوانه طبعة القاهرة بشرح الدكتور محمد حسين) يصف ندماءه على الشراب . والشطر الثانى فى الديوان « أن ليس يدفع عن ذى الحيلة الحيل » . والرواية المشهورة ، هى التى رواها المؤلف ، وهى التى يرددها النحويون شاهدا على أن « أن » فى أول الشطر الثانى مخففة من « أن » المثقلة ، لأنه قد سبقها فعل من أفعال اليقين ، وهو علم ، وليست هى أن المصدرية ، لأنها لايسبقها يقين ولا شبهة . وقوله « من يحفى » : يريد عامة العرب وفقراءهم . و « ينتعل : يلبس النعل » وهم السادات والخواص . يقول : إن الموت لايفرق بين الرعاع والأشراف . وانظر الكلام على البيت =

وقال آخر :

أُكاشِرُهُ وأعْلَمُ أنْ كِلانا عَلَى ماساءَ صَاحِبَهُ حَرِيصُ(١)

قال : فعناه: أنه كلانا قال ، ويكون كقوله (أنْ قَدْ وَجَدْنا) فى موضع أى ، وقوله (أنْ أقِيمُوا) وَلا تَكُونُ « أن» التى تعمل فى الأفعال ، لأنك تقول : غاظنى أن قام ، وأن ذهب ، فتقع على الأفعال وإن كانت لاتعمل فيها ، وفى كتاب الله (وَانْطَلَقَ المَلأُ مِنْهُمْ أنِ امْشُوا) أى امشوا ، وأنكر ذلك من قوله هذا بعض أهل الكوفة ، فقال : غير جائز أن يكون مع أن فى هذا الموضع هاء مضمرة ، لأن « أن » دخلت فى الكلام لتقى ما بعدها ، قال : و « أن » هذه التى مع تلكم ، هى الدائرة التى يقع فيها ما ضارع الحكاية ، وليس بلفظ الحكاية ، نحو : ناديت أنك قائم ، وأن زيد قائم ، وأن قمت ، فتلى كلّ الكلام ، وجعلت أن وقاية ، لأن النداء يقع على ما بعده ، وسلم ما بعد أن ، كما سلم ما بعد القول ، ألا ترى أنك تقول : قلت : زيد قائم ، وقلت : قام فتليها ما شئت من الكلام ؟ فلما كان النداء بمعنى الظنّ وما أشبهه من القول سلم « ما » بعد « أن » ، ودخلت « أن » وقاية ، قال : وأما « أى » فإنها لاتكون على أن لايكون : أى جواب الكلام ، وأن تكفى من الاسم .

القول فى تأويل قوله تعالى

﴿ وَنَادَىٰٓ أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ أَصْحَٰبَ ٱلنَّارِ أَن قَدْ وَجَدْنَا مَا وَعَدَنَا رَبُّنَا حَقًّا فَهَلْ وَجَدتُّم مَّا وَعَدَ رَبُّكُمْ حَقًّا قَالُوا۟ نَعَمْ فَأَذَّنَ مُؤَذِّنٌۢ بَيْنَهُمْ أَن لَّعْنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٤٤﴾ ﴾

قال أبو جعفر : يقول تعالى ذكره : ونادى أهل الجنة أهل النار بعد دخولهموها : يا أهل النار قد وجدنا ما وعدنا ربنا حقا فى الدنيا على ألسن رسله من الثواب على الإيمان به وبهم ، وعلى طاعته ، فهل وجدتم ما وعدكم ربكم على ألسنتهم على الكفر به ، وعلى معاصيه من العقاب ، فأجابهم أهل النار بأن نعم ، قد وجدنا ماوعد ربنا حقا .

كالذى حدثنى محمد بن الحسين ، قال : ثنا أحمد بن مفضل ، قال : ثنا أسباط ، عن السدىّ (وَنَادَى أصحابُ الجَنَّةِ أصحابَ النَّارِ أنْ قَدْ وَجَدْنا ماوَعَدَنَا رَبُّنا حَقًّا ، فَهَلْ وَجَدْتُمْ ماوَعَدَ رَبُّكُمْ حَقًّا ؟ قالُوا : نَعَمْ) قال : وجد أهل الجنة ما وعدوا من ثواب ، وأهل النار ما وعدوا من عقاب .

= فى المقاصد النحوية للعينى بهامش خزانة البغدادى (٢ : ٢٨٧–٢٩٤) . واستشهد به سيبويه فى الكتاب (١ : ٢٨٢ ، ٤٤٠ ، ٤٨٠) كما رواه المؤلف ، لا كرواية الديوان ، على إضمار الهاء مع أن المخففة . قال فى الموضع الأخير : كأنه قال : إنه هالك . قال ومثل ذلك : أول ما أقول أن باسم الله ، كأنه قال : أول ما أقوله أنه باسم الله اه .

(١) البيت من شواهد سيبويه (الكتاب ١ : ٤٤٠) على أن « أن » المثقلة قد تخفف ، ويكون اسمها ضميرا . قال : وتقول : قد علمت أن من يأتنى آته ، من قبل أن « أن » هاهنا فيها إضمار الهاء ، ولا تجىء مخففة هاهنا إلا على ذلك ، كما قال : أكاشره . . . . البيت . قال الأعلم فى التعليق على بيت الشاهد : الشاهد فى حذف الضمير من « أن » وابتداء ما بعدها ، على نية إثبات الضمير . ومعنى أكاشره : أضاحكه . ويقال : كشر عن نابه : إذا كشف عنه .

حدثني محمد بن سعد ، قال : ثني أبي ، قال : ثني عمي ، قال : ثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله (وَنَادَى أَصْحَابُ الْجَنَّةِ أَصْحَابَ النَّارِ أَنْ قَدْ وَجَدْنَا مَاوَعَدَنَا رَبُّنَا حَقًّا ، فَهَلْ وَجَدْتُمْ مَا وَعَدَ رَبُّكُمْ حَقًّا) ؟ وذلك أن الله وعد أهل الجنة النعيم والكرامة ، وكلّ خير علمه الناس أو لم يعلموه ، ووعد أهل النار كلّ خزى وعذاب علمه الناس ، أو لم يعلموه ، فذلك قوله (وَآخَرُ مِنْ شَكْلِهِ أَزْوَاجٌ)قال : فنادى أصحاب الجنة أصحاب النار(أَنْ قَدْ وَجَدْنَا مَا وَعَدَنَا رَبُّنَا حَقًّا،فَهَلْ وَجَدْتُمْ ماوَعَدَ رَبُّكُمْ حَقًّا ؟ قَالُوا نَعَمْ) يقول : من الخزى والهوان والعذاب ، قال أهل الجنة : فإنا قد وجدنا ما وعدنا ربنا حقا من النعيم والكرامة (فَأَذَّنَ مُؤَذِّنٌ بَيْنَهُمْ أَنْ لَعْنَةُ اللهِ علىالظَّالِمِينَ)

واختلفت القرّاء فى قراءة قوله (قَالُوا نَعَمْ) فقرأ ذلك عامة قرّاء أهل المدينة والكوفة والبصرة (قَالُوا نَعَمْ) بفتح العين من نعم . ورُوى عن بعض الكوفيين أنه قرأ (قَالُوا نَعِمْ) بكسر العين ، وقد أنشد بيتا لبنى كلب :

« نَعِمْ » إِذَا قَالَهَا مِنْــهُ مُحَقَّقَةٌ　　وَلَا تَجِيءُ « عَسَى » مِنْهُ وَلَا « قَمَنُ »[1]

بكسر نَعِم .

❊ قال أبو جعفر : والصواب من القراءة عندنا (نَعَمْ) بفتح العين ، لأنها القراءة المستفيضة فى قرّاء الأمصار ، واللغة المشهورة فى العرب .

وأما قوله (فَأَذَّنَ مُؤَذِّنٌ بَيْنَهُمْ) يقول : فنادى مناد ، وأعلم معلم بينهم ، (أَنْ لَعْنَةُ اللهِ على الظَّالِمِينَ) يقول : غضب الله وسخطه وعقوبته على من كفر به . وقد بيَّنا القول فى أن إذا صحبت من الكلام ما ضارع الحكاية ، وليس بصريح الحكاية بأنها تشدّدها العرب أحيانا ، وتوقع الفعل عليها فتفتحها وتخففها أحيانا ، وتعمل الفعل فيها فتنصبها به ، وتبطل عملها عن الاسم الذى يليها فيما مضى ، بما أغنى عن إعادته فى هذا الموضع . وإذ كان ذلك كذلك ، فسواء شدّدت « أن » أو خففت فى القراءة ، إذ كان معنى الكلام بأىّ ذلك قرأ القارئ واحدا ، وكانتا قراءتين مشهورتين فى قراءة الأمصار .

القول في تأويل قوله تعالى :

الَّذِينَ يَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ وَيَبْغُونَهَا عِوَجًا وَهُم بِالْآخِرَةِ كَافِرُونَ ﴿٤٥﴾

❊ يقول جلّ ثناؤه : إن المؤذّن بين أهل الجنة والنار يقول : أن لعنة الله على الظالمين الذين كفروا بالله ، وصدّوا عن سبيله(وَيَبْغُونَهَا عِوَجًا) يقول : حاولوا سبيل الله وهو دينه ، أن يغيروه ويبدلوه عما جعله الله له من استقامته (وَهُمْ بِالْآخِرَةِ كَافِرُونَ) يقول : وهم لقيام الساعة والبعث فى الآخرة والثواب

(١) قائل البيت يمدح إنسانا بأنه إذا أجاب طالبا بقوله : نعم ، فإنه يحقق له ما وعده بقوله ذلك ، وأن الممدوح لا يجيب طالب الحاجة بقوله: « عسى » : أى عسى أن أفعل ، ولا بقوله « قمن » أى أنا أو أنت حقيق بأن أفى لك بما وعدتك ، لأن هذين اللفظين ليس فيهما عدة مؤكدة مثل نعم . ويقال : فلان قمن أن يفعل ، بفتح الميم ، وهو مصدر يلزم حالة واحدة فى التذكير والتأنيث ، والإفراد والتثنية والجمع . ويقال : قمن أن يفعل ، بكسر الميم ، وهو حينئذ صفة ، فيطابق موصوفه حينئذ ، ويكون مثله . على أن اللغويين يقررون أن « قمن » سواء أكان مصدرا أو وصفا ، لا فعل له . وفى اللسان : نعم ، بفتح النون وكسر العين : لغة فى نعم بالفتح التى للجواب ، وقد قرئ بهما .

والعقاب فيها جاحدون ، والعرب تقول للميل فى الدين والطريق : عِوَج ، بكسر العين ؛ وفى ميل الرجل على الشيء والعطف عليه : عاج إليه يعوج عياجا وعوجا وعوجا ، بالكسر من العين والفتح ، كما قال الشاعر[١] :

قِفَا نَبْكِي مَنَازِلَ آلِ لَيْلَى عَلَى عِوَجٍ إِلَيْهَا وَانْثِنَاءِ[١]

ذكر الفرّاء أن أبا الجراح أنشده إياه بكسر العين من عِوج ؛ فأما ما كان خلقة فى الإنسان ، فإنه يقال فيه : عَوج ساقه ، بفتح العين .

القول في تأويل قوله تعالى:

وَبَيْنَهُمَا حِجَابٌ وَعَلَى الْأَعْرَافِ رِجَالٌ يَعْرِفُونَ كُلًّا بِسِيمَاهُمْ وَنَادَوْا أَصْحَابَ الْجَنَّةِ أَنْ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ لَمْ يَدْخُلُوهَا وَهُمْ يَطْمَعُونَ ﴿٤٦﴾

﴿ يعنى جل ثناؤه بقوله (وَبَيْنَهُمَا حِجَابٌ) وبين الجنة والنار حجاب ، يقول : حاجز ، وهو السور الذى ذكره الله تعالى فقال (فَضُرِبَ بَيْنَهُمْ بِسُورٍ لَهُ بَابٌ ، بَاطِنُهُ فِيهِ الرَّحْمَةُ ، وَظَاهِرُهُ مِنْ قِبَلِهِ الْعَذَابُ) وهو الأعراف التى يقول الله فيها (وَعَلَى الْأَعْرَافِ رِجَالٌ) .

كذلك حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا عبدالله بن رجاء ، وعن ابن جريج ، قال : بلغنى ، عن مجاهد ، قال : الأعراف : حجاب بين الجنة والنار .

حدثنى محمد بن الحسين ، قال : ثنا أحمد بن مفضل ، قال : ثنا أسباط ، عن السدىّ (وَبَيْنَهُمَا حِجَابٌ) وهو السور ، وهو الأعراف .

وأما قوله (وَعَلَى الْأَعْرَافِ رِجَالٌ) فإن الأعراف جمع ، واحدها عرف ، وكلّ مرتفع من الأرض عند العرب فهو عرف ، وإنما قيل لعرف الديك: عرف ، لارتفاعه على ما سواه من جسده ؛ ومنه قول الشماخ بن ضرار :

وَظَلَّتْ بِأَعْرَافٍ تَعَالَى كَأَنَّهَا رِمَاحٌ نَحَاهَا وِجْهَةَ الرِّيحِ رَاكِزُ[٢]

يعنى بقوله : بأعراف : بنشوز من الأرض ؛ ومنه قول الآخر :

كُلُّ كِنَازٍ لَحْمُهُ نِيَافُ كَالْعَلَمِ الْمُوفِي عَلَى الْأَعْرَافِ[٣]

(١) البيت فى اللسان غير منسوب : قفا نسأل منازل آل ليلى متى عوج إليها وانثناء

(٢) البيت فى ديوانه بشرح أحمد بن الأمين الشنقيطى ، طبع القاهرة (السعادة سنة ١٣٢٧ هـ ص ٥٣) . ورواية الشطر الأول فيه : « وظلت تفالى باليفاع كأنها » . تفالى : يحتك بعضها على بعض ، وأصله تتفالى . واليفاع : التل المشرف . ويروى : بالستار وهو موضع . ونحاها : وجهها . ووجهة الريح : جهتها . وراكز اسم فاعل من ركز رمحه بالأرض إذا غرزه . وروى : « مسببة قب البطون كأنها . . . الخ » . ومعنى مسببة : ملعنة ، لأن من يراها : أى الحمر ، قال : قاتلها الله ما أجودها . وقب جمع أقب وقباء : أى ضامرة البطن . المعنى : أنها ظلت يحتك بعضها على بعض ، فهى معوجة ، كأنها رماح مركوزة فى جهة الريح .

(٣) البيت فى (اللسان : نيف) شاهدا على أن النياف الطويل فى ارتفاع ، يقال : قصر نياف ، وناقة نياف ، وجمل نياف . قال ابن برى : وحق النياف أن يذكر فى فصل « نوف » يقال : ناف ينوف : أى طال . وإنما قلبت الواو ياء على جهة التخفيف =

وكان السدىّ يقول : إنما سمى الأعراف أعرافا ، لأن أصحابه يعرفون الناس .

حدثنى بذلك محمد بن الحسين ، قال : ثنا أحمد بن المفضل ، قال : ثنا أسباط ، عن السدىّ .

وبنحو ما قلنا فى ذلك ، قال هل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا سفيان بن وكيع ، قال : ثنا ابن عيينة ، عن عبيد الله بن يزيد ، سمع ابن عباس يقول : الأعراف : هو الشىء المشرف .

حدثنا الحسن بن يحيى ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا ابن عيينة ، عن عبيد الله بن يزيد ، قال : سمعت ابن عباس يقول ، مثله .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنى أبى ، عن سفيان ، عن جابر ، عن مجاهد ، عن ابن عباس ، قال : الأعراف : سور كعرف الديك .

حدثنى المثنى ، قال : ثنا أبونعيم ، قال : ثنا سفيان ، عن جابر ، عن مجاهد ، عن ابن عباس ، مثله .

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبوعاصم ، قال : ثنا عيسى ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، قال : الأعراف : حجاب بين الجنة والنار سور له باب ، قال أبو موسى : وحدثنى عبيد الله بن يزيد ، أنه سمع ابن عباس يقول : إن الأعراف تلّ بين الجنة والنار حُبس عليه ناس من أهل الذنوب بين الجنة والنار .

حدثنى المثنى ، قال : ثنا أبوحذيفة ، قال : ثنا شبل ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، قال : الأعراف : حجاب بين الجنة والنار ، سور له باب .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا جرير ، عن منصور ، عن حبيب بن أبى ثابت ، عن عبد الله بن الحرث عن ابن عباس ، قال : الأعراف : سور بين الجنة والنار .

حدثنى المثنى ، قال : ثنا عبد الله بن صالح ، قال : ثنى معاوية ، عن علىّ بن أبى طلحة ، عن ابن عباس ، قال : الأعراف : سور بين الجنة والنار .

حدثنى محمد بن سعد ، قال : ثنى أبى ، قال : ثنى عمى ، قال : ثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس قوله (وَعلى الأعْرَاف رجالٌ) يعنى بالأعراف : السور الذى ذكر الله فى القرآن وهو بين الجنة والنار .

= ومنه قولهم : صوان وصيان ، وطوال وطيال . وقال نقلا عن ابن جنى : ياء كل ذلك منقلبة عن واو ، لأنه من النوف ، الذى هو العلو والارتفاع ، قلبت فيه الواو تخفيفا ، لاوجوبا ؛ ألا ترى إلى صحة صوان وخوان وصوار ، على أنه قد حكى صيان وصيار ، وذلك عن تخفيف ، لاعن صنعة ووجوب . وقد يجوز أن يكون نياف مصدرا جاريا على فعل معتل مقدر ، فيجرى حينئذ مجرى قيام وصيام ووصف به كما وصف بالمصادر . والكناز : المجتمع اللحم القويه ، وكل مكتنز مجتمع ، والكناز : الناقة الصلبة اللحم ، والجمع كنز مثل كتاب وكتب . وكناز أيضا كالواحد . والعلم : الجبل . والموفى : المشرف . والأعراف : جمع عرف بالضم ، وهو كل عال مرتفع . وعرف الرمل والجبل وكل عال : ظهره . والأعراف أيضا : أعالى سور بين أهل الجنة وأهل النار . واختلف فى أصحاب الأعراف ، فقيل : هم قوم استوت حسناتهم وسيئاتهم ، فلم يستحقوا الجنة بالحسنات ، ولا النار بالسيئات ، فكانوا على الحجاب الذى بالجنة والنار . وقيل غير ذلك .

حدثنا الحرث ، قال : ثنا عبد العزيز ، قال : ثنا إسرائيل ، عن جابر ، عن مجاهد ، عن ابن عباس ، قال : الأعراف : سور له عرف كعرف الديك .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبى ، عن إسرائيل ، عن جابر ، عن أبى جعفر ، قال : الأعراف : سور بين الجنة والنار .

حُدثت عن الحسين بن الفرج ، قال : سمعت أبا معاذ ، قال : ثنى عبيد بن سليمان ، قال : سمعت الضحاك يقول : الأعراف : السور الذى بين الجنة والنار .

واختلف أهل التأويل فى صفة الرجال الذين أخبر الله جلّ ثناؤه عنهم أنهم على الأعراف ، وما السبب الذى من أجله صاروا هنالك ، فقال بعضهم : هم قوم من بنى آدم استوت حسناتهم وسيئاتهم ، فجُعلوا هنالك إلى أن يقضى الله فيهم ما يشاء ، ثم يُدخلهم الجنة بفضل رحمته إياهم .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا يحيى بن واضح ، قال : ثنا يونس بن أبى إسحاق ، قال : قال الشعبى : أرسل إلىّ عبد الحميد بن عبد الرحمن وعنده أبو الزناد عبدالله بن ذكوان مولى قريش ، وإذا هما قد ذكرا من أصحاب الأعراف ذكرا ليس كما ذكرا ، فقلت لهما : إن شئتما أنبأتكما بما ذكر حذيفة ، فقالا : هات ، فقلت : إن حذيفة ذكر أصحاب الأعراف ، فقال : هم قوم تجاوزت بهم حسناتهم النار ، وقصرت بهم سيئاتهم عن الجنة ، فإذا صرفت أبصارهم تلقاء أصحاب النار ، قالوا : ربنا لا تجعلنا مع القوم الظالمين ، فبيناهم كذلك ، اطلع إليهم ربك تبارك وتعالى فقال : اذهبوا وادخلوا الجنة ، فإنى قد غفرت لكم .

حدثنى يعقوب بن إبراهيم ، قال : ثنا هشيم ، قال : أخبرنا حصين ، عن الشعبىّ ، عن حذيفة ، أنه سُئل عن أصحاب الأعراف ، قال : فقال : هم قوم استوت حسناتهم وسيئاتهم ، فقصرت بهم سيئاتهم عن الجنة ، وخلفت بهم حسناتهم عن النار ، قال : فوقفوا هنالك على السور حتى يقضى الله فيهم .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا جرير وعمران بن عيينة ، عن حصين ، عن عامر ، عن حذيفة ، قال : أصحاب الأعراف : قوم كانت لهم ذنوب وحسنات ، فقصرت بهم ذنوبهم عن الجنة ، وتجاوزت بهم حسناتهم عن النار ، فهم كذلك حتى يقضى الله بين خلقه ، فينفذ فيهم أمره .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا يحيى بن يمان ، عن سفيان ، عن جابر ، عن الشعبىّ ، عن حذيفة ، قال : أصحاب الأعراف قوم استوت حسناتهم وسيئاتهم ، فيقول : ادخلوا الجنة بفضلى ومغفرتى ، (لَا خَوْفٌ عَلَيْكُمْ) اليوم (وَلَا أَنْتُمْ تَحْزَنُونَ) .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبى ، عن يونس بن أبى إسحاق ، عن عامر ، عن حذيفة ، قال : أصحاب الأعراف قوم تجاوزت بهم حسناتهم النار ، وقصرت بهم سيئاتهم عن الجنة .

حدثنا المثنى ، قال : ثنا سويد بن نصر ، قال : أخبرنا ابن المبارك ، عن أبى بكر الهذلىّ ، قال : قال سعيد بن جبير ، وهو يحدّث ذلك عن ابن مسعود ، قال : يحاسب الناس يوم القيامة ، فمن كانت

حسناته أكثر من سيئاته بواحدة دخل الجنة ، ومن كانت سيئاته أكثر من حسناته بواحدة دخل النار ، ثم قرأ قول الله (فَمَن ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ . وَمَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ) ، ثم قال : إن الميزان يخفّ بمثقال حبة ويرجح ؛ قال : فمن استوت حسناته وسيئاته كان من أصحاب الأعراف ، فوقفوا على الصراط ، ثم عرفوا أهل الجنة وأهل النار ، فإذا نظروا إلى أهل الجنة نادوا : سلام عليكم ، وإذا صرفوا أبصارهم إلى يسارهم نظروا أصحاب النار ، قالوا : ربنا لاتجعلنا مع القوم الظالمين ، فيتعوّذون بالله من منازلهم : قال : فأما أصحاب الحسنات ، فإنهم يعطون نورا فيمشون به بين أيديهم وبأيمانهم ، ويُعطى كلّ عبد يومئذ نورا ، وكلّ أمة نورا ، فإذا أتوا على الصراط سلب الله نور كلّ منافق ومنافقة ؛ فلما رأى أهل الجنة ما لقى المنافقون ، قالوا : ربنا أتمم لنا نورنا . وأما أصحاب الأعراف ، فإن النور كان فى أيديهم ، فلم ينزع من أيديهم ، فهنالك يقول الله (لَمْ يَدْخُلُوهَا وَهُمْ يَطْمَعُونَ) فكان الطمع دخولا ، قال : فقال ابن مسعود : على أن العبد إذا عمل حسنة كتب له بها عشرا ، وإذا عمل سيئة لم تكتب إلا واحدة ، ثم يقول : هلك من غلب وحدانه أعشاره .

حدثنا أبوهمام الوليد بن شجاع ، قال : أخبرنى بن وهب قال : أخبرنى عيسى الحياط عن الشعبىّ ، عن حذيفة ، قال : أصحاب الأعراف قوم كانت لهم أعمال أنجاهم الله بها من النار ، وهم آخر من يدخل الجنة ، قد عرفوا أهل الجنة وأهل النار .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا أبو داود ، قال : ثنا همام ، عن قتادة ، قال : قال ابن عباس : أصحاب الأعراف : قوم استوت حسناتهم وسيئاتهم ، فلم تزد حسناتهم على سيئاتهم ولا سيئاتهم على حسناتهم :

حدثنا ابن وكيع وابن حميد ، قالا : ثنا جرير عن منصور ، عن حببب بن أبى ثابت ، عن عبد الله بن الحرث ، عن ابن عباس ، قال : الأعراف : سور بين الجنة والنار ، وأصحاب الأعراف بذلك المكان ، حتى إذا بدا لله أن يعافيهم ، انطلق بهم إلى نهر يقال له الحياة ، حافتاه قضب الذهب مكلل باللؤلؤ ترابه المسك ، فألقوا فيه حتى تصلح ألوانهم ويبدو فى نحورهم شامة بيضاء يعرفون بها حتى إذ اصلحت ألوانهم أتى بهم الرحمن ، فقال : تمنوا ما شئتم ، قال : فيتمنون ، حتى إذا انقطعت أمنيتهم قال لهم : لكم الذى تمنيتم ومثله سبعين مرّة ، فيدخلون الجنة وفى نحورهم شامة بيضاء يُعرفون بها ، يُسمون مساكين الجنة .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا عبد الرحمن ، قال : ثنا سفيان ، عن حبيب ، عن مجاهد ، عن عبد الله بن الحرث ، قال : أصحاب الأعراف يؤمر بهم إلى نهر يقال له الحياة ، ترابه الورس والزعفران ، وحافتاه قضب اللؤلؤ ، قال : وأحسبه قال : مكلل باللؤلؤ ؛ وقال : فيغتسلون فيه ، فتبدو فى نحورهم شامة بيضاء فيقال لهم تمنوا ، فيقال لهم : لكم ما تمنيتم وسبعون ضعفا ، وإنهم مساكين أهل الجنة .

قال حبيب : وحدثنى رجل : أنهم استوت حسناتهم وسيئاتهم .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبى ، عن سفيان ، عن حبيب بن أبى ثابت ، عن مجاهد ، عن عبد الله ابن الحارث ، قال : أصحاب الأعراف ينتهى بهم إلى نهر يقال له الحياة ، حافتاه قضب من ذهب ، قال

سفيان : أراه قال : مكلل باللؤلؤ ، قال : فيغتسلون منه اغتسالة ، فتبدو فى نحورهم شامة بيضاء ، ثم يعودون فيغتسلون فيزدادون ، فكلما اغتسلوا ازدادت بياضا ، فيقال لهم : تمنوا ما شئتم ، فيتمنون ما شاءوا ، فيقال لهم : لكم ما تمنيتم وسبعون ضعفا ، قال : فهم مساكين أهل الجنة .

حدثنا الحسن بن يحيى ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا ابن عيينة ، عن حصين ، عن الشعبيّ ، عن حذيفة ، قال : أصحاب الأعراف : قوم استوت حسناتهم وسيئاتهم ، فهم على سور بين الجنة والنار (لَمْ يَدْخُلُوها وَهُمْ يَطْمَعُونَ) .

حدثنا بشر بن معاذ ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قال : كان ابن عباس يقول : الأعراف بين الجنة والنار ، حبس عليه أقوام بأعمالهم ، وكان يقول : قوم استوت حسناتهم وسيئاتهم ، فلم تزد حسناتهم على سيئاتهم ، ولا سيئاتهم على حسناتهم .

حدثنا الحسن بن يحيى ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا معمر ، عن قتادة ، قال : قال ابن عباس : أهل الأعراف : قوم استوت حسناتهم وسيئاتهم .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبو خالد ، عن جويبر ، عن الضحاك ، قال : أصحاب الأعراف : قوم استوت حسناتهم وسيئاتهم .

وقال : ثنا يحيى بن يمان ، عن شريك ، عن منصور ، عن سعيد بن جبير ، قال : أصحاب الأعراف استوت أعمالهم .

حدثنى المثنى ، قال : ثنا عمرو بن عون ، قال : أخبرنا هشيم ، عن جويبر ، عن الضحاك ، عن ابن عباس ، قال : أصحاب الأعراف : قوم استوت حسناتهم وسيئاتهم ، فوقفوا هنالك على السور .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا جرير ، عن منصور ، عن حبيب بن أبى ثابت ، عن سفيع أو سميع .

⁂ قال أبو جعفر : كذا وجدت فى كتاب سفيع ، عن أبى علقمة قال : أصحاب الأعراف : قوم استوت حسناتهم وسيئاتهم .

وقال آخرون : كانوا قُتلوا فى سبيل الله عصاة لآبائهم فى الدنيا .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا يحيى بن يمان ، عن أبى مسعر ، عن شرحبيل بن سعد ، قال : هم قوم خرجوا فى الغزو بغير إذن آبائهم .

حدثنى المثنى ، قال : ثنا عبد الله بن صالح ، قال : ثنى الليث ، قال : ثنى خالد ، عن سعيد ، عن يحيى بن شبل ، أن رجلا من بنى النضير أخبره عن رجل من بنى هلال أن أباه أخبره أنه سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن أصحاب الأعراف ، فقال : « هُمْ قَوْمٌ غَزَوْا فِي سَبِيلِ اللهِ عُصَاةً لآبائِهِمْ ، فَقُتِلُوا ، فأعْتَقَهُمُ اللهُ مِنَ النَّارِ بِقَتْلِهِمْ فِي سَبِيلِه ، وَحُبِسُوا عَنِ الجَنَّةِ بِمَعْصِيَةِ آبائِهِمْ ، فَهُمْ آخِرُ مَنْ يَدْخُلُ الجَنَّةَ » .

حدثني المثنى ، قال : ثنا إسحاق ، قال : ثنا يزيد بن هارون ، عن أبي معشر ، عن يحيى بن شبل مولى بني هاشم ، عن محمد بن عبد الرحمن ، عن أبيه ، قال : سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن أصحاب الأعراف ، فقال : « قَوْمٌ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللهِ بِمَعْصِيَةِ آبائِهِمْ ، فَمَنَعَهُمْ قَتْلُهُمْ فِي سَبِيلِ اللهِ عَنِ النَّارِ ، وَمَنَعَتْهُمْ مَعْصِيَةُ آبائِهِمْ أَنْ يَدْخُلُوا الجَنَّةَ » .

وقال آخرون : بل هم قوم صالحون فقهاء علماء .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبي ، عن سفيان ، عن خصيف ، عن مجاهد ، قال : أصحاب الأعراف : قوم صالحون ، فقهاء ، علماء .

وقال آخرون : بل هم ملائكة وليسوا ببني آدم .

ذكر من قال ذلك

حدثني يعقوب بن إبراهيم ، قال : ثنا ابن علية ، عن أبي مجلز ، قوله (وبَيْنَهُما حِجابٌ وَعَلى الأَعْرافِ رِجالٌ يَعْرِفُونَ كُلاًّ بِسِيماهُمْ) قال : هم رجال من الملائكة يعرفون أهل الجنة وأهل النار ، قال (وَنادَوْا أَصْحابَ الجَنَّةِ أَنْ سَلامٌ عَلَيْكُمْ) . . . إلى قوله (رَبَّنا لا تَجْعَلْنا مَعَ القَوْمِ الظَّالِمِينَ) قال : فنادى أصحاب الأعراف رجالا فى النار ، يعرفونهم بسيماهم (ما أَغْنَى عَنْكُمْ جَمْعُكُمْ وَما كُنْتُمْ تَسْتَكْبِرُونَ . أَهَؤُلاءِ الَّذِينَ أَقْسَمْتُمْ لا يَنالُهُمُ اللهُ بِرَحْمَةٍ) قال : فهذا حين دخل أهل الجنة الجنة (ادْخُلُوا الجَنَّةَ لا خَوْفٌ عَلَيْكُمْ وَلا أَنْتُمْ تَحْزَنُونَ) .

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا المعتمر ، قال : سمعت عمران ، قال : قلت لأبي مجلز يقول الله (وَعَلى الأَعْرافِ رِجالٌ) وتزعم أنت أنهم الملائكة ؟ قال : فقال إنهم ذكور وليسوا بإناث .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا جرير ، عن سليمان التيمى ، عن أبي مجلز (وَعَلى الأَعْرافِ رِجالٌ) قال : رجال من الملائكة يعرفون الفريقين جميعا بسيماهم أهل النار ، وأهل الجنة ، وهذا قبل أن يدخل أهل الجنة الجنة .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا محمد بن أبي عدىّ ، عن التيمى ، عن أبي مجلز ، بنحوه .

وقال : ثنا يحيى بن يمان ، عن سفيان ، عن التيمى ، عن أبي مجلز ، قال : أصحاب الأعراف الملائكة .

حدثني المثنى ، قال : ثنا يعلى بن أسد ، قال : ثنا خالد ، قال : أخبرنا التيمى ، عن أبي مجلز (وَعَلى الأَعْرافِ رِجالٌ) قال : هم الملائكة .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبي ، عن عمران بن حدير ، عن أبي مجلز (وَعَلى الأَعْرافِ رِجالٌ) قال : هم الملائكة ، قلت : يا أبا مجلز يقول الله تبارك وتعالى رجال ، وأنت تقول ملائكة ؟ قال : إنهم ذكران ليسوا بإناث .

حدثني المثنى ، قال : ثنا الحجاج ، قال : ثنا حماد عن عمران بن حُدَير ، عن أبي مجلز ، فى قوله

(وَعَلَى الأَعْرَافِ رِجَالٌ يَعْرِفُونَ كُلاً بِسِيمَاهُمْ) قال : الملائكة ، قال : قلت: يقول الله رجال ، قال : الملائكة ذكور .

قال أبو جعفر : والصواب من القول فى أصحاب الأعراف أن يقال كما قال الله جلّ ثناؤه فيهم : هم رجال يعرفون كلاً من أهل الجنة وأهل النار بسيماهم ، ولا خبر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم يصحّ سنده ، ولا أنه متفق على تأويلها ، ولا إجماع من الأمة على أنهم ملائكة . فإذ كان ذلك كذلك ، وكان ذلك لايدرك قياسا ، وكان المتعارف بين أهل لسان العرب ، أن الرجال اسم يجمع ذكور بنى آدم دون إناثهم ، ودون سائر الخلق غيرهم ، كان بيِّنا ، أن ما قاله أبومجلز من أنهم ملائكة قول لامعنى له ، وأن الصحيح من القول فى ذلك ، ما قاله سائر أهل التأويل غيره ،هذا مع من قال بخلافه من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ومع ما رُوى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فى ذلك من الأخبار وإن كان فى أسانيدها ما فيها .

وقد حدثنى القاسم ، قال : ثنى الحسين ، قال : ثنى جرير عن عمارة بن القعقاع ، عن أبى زرعة ، عن عمرو بن جرير ، قال : سُئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن أصحاب الأعراف ، فقال : هُمْ آخرُ مَنْ يُفْصَلُ بَيْنَهُمْ مِنَ العِبادِ ، وَإِذَا فَرَغَ رَبُّ العالَمِينَ مِنْ فَصْلِهِ بينَ العِبادِ ، قال : أَنْتُمْ قَوْمٌ أخْرَجَتْكُمْ حَسَنَاتُكُمْ مِنَ النَّارِ ولَمْ تُدْخِلْكُمُ الجَنَّةُ ، وأَنْتُمْ عُتَقائِى فَارْعَوْا مِنَ الجَنَّةِ حَيْثُ شِئْتُمْ » .

القول في تأويل قوله تعالى : ﴿ يَعْرِفُونَ كُلاً بِسِيمَاهُمْ ، وَنَادَوْا أَصْحَابَ الجَنَّةِ أَنْ سَلامٌ عَلَيْكُمْ لَمْ يَدْخُلُوها وَهُمْ يَطْمَعُونَ ﴾ .

يقول تعالى ذكره : وعلى الأعراف رجال يعرفون أهل الجنة بسيماهم ، وذلك بياض وجوههم ، ونضرة النعيم عليها ، ويعرفون أهل النار كذلك بسيماهم ، وذلك سواد وجوههم ، وزرقة أعينهم ، فإذا رأوا أهل الجنة نادوهم : سلام عليكم .

وبنحو ما قلنا فى ذلك ، قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنى المثنى ، قال : ثنا عبد الله بن صالح ، قال : ثنى معاوية ، عن علىّ بن أبى طلحة ، عن ابن عباس ، قوله (وَعَلَى الأَعْرَافِ رِجَالٌ يَعْرِفُونَ كُلاً بِسِيمَاهُمْ) قال : يعرفون أهل النار بسواد الوجوه ، وأهل الجنة ببياض الوجوه .

حدثنى محمد بن سعد ، قال : ثنى أبى ، قال : ثنى عمى ، قال : ثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس (وَعَلَى الأَعْرَافِ رِجَالٌ يَعْرِفُونَ كُلاً بِسِيمَاهُمْ) قال : أنزلهم الله بتلك المنزلة ليعرفوا من فى الجنة والنار ، وليعرفوا أهل النار بسواد الوجوه ، ويتعوّذوا بالله أن يجعلهم مع القوم الظالمين ، وهم فى ذلك يحيون أهل الجنة بالسلام ، لم يدخلوها وهم يطمعون أن يدخلوها ، وهم داخلوها إن شاء الله ؟

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد (بِسِيماهُمْ) قال : بسواد الوجوه وزُرقة العيون .

حدثني المثنى ، قال : ثنا أبو حذيفة ، قال : ثنا شبل ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد (وَعَلَى الأعْرافِ رِجالٌ يَعْرِفُونَ كُلاًّ بِسِيماهُمْ) الكفار بسواد الوجوه وزرقة العيون ، وسيما أهل الجنة مبيضة وجوههم .

حدثني المثنى ، قال : ثنا عمرو بن عون ، قال : ثنا هشيم ، عن جويبر ، عن الضحاك ، عن ابن عباس ، قال : أصحاب الأعراف إذا رأوا أصحاب الجنة عرفوهم ببياض الوجوه ، وإذا رأوا أصحاب النار عرفوهم بسواد الوجوه .

حدثني المثنى ، قال : ثنا سويد بن نصر ، قال : أخبرنا ابن المبارك ، عن جويبر ، عن الضحاك ، عن ابن عباس ، قال : إن أصحاب الأعراف رجال كانت لهم ذنوب عظام ، وكان حسم أمرهم لله ، فأقيموا ذلك المقام إذا نظروا إلى أهل النار عرفوهم بسواد الوجوه ف(قَالُوا : رَبَّنَا لاَ تَجْعَلْنَا مَعَ القَوْمِ الظَّالِمِينَ) وإذا نظروا إلى أهل الجنة عرفوهم ببياض الوجوه فذلك قوله (وَنادَوْا أصْحابَ الجَنَّةِ أنْ سَلامٌ عَلَيْكُمْ لَمْ يَدْخُلُوها وَهُمْ يَطْمَعُونَ) .

حُدثت عن الحسين بن الفرج ، قال : سمعت أبا معاذ ، قال : ثنا عبيد بن سليمان ، قال : سمعت الضحاك ، في قوله (وَعَلَى الأعْرَافِ رِجالٌ يَعْرِفُونَ كُلاًّ بِسِيماهُمْ) زعموا أن أصحاب الأعراف رجال من أهل الذنوب أصابوا ذنوبا ، وكان حسم أمرهم لله ، فجعلهم الله على الأعراف ، فإذا نظروا إلى أهل النار عرفوهم بسواد الوجوه ، فتعوّذوا بالله من النار ؛ وإذا نظروا إلى أهل الجنة ، نادوهم أن سلام عليكم ، قال الله (لَمْ يَدْخُلُوها وَهُمْ يَطْمَعُونَ) قال : وهذا قول ابن عباس .

حدثني محمد بن الحسين ، قال : ثنا أحمد بن المفضل ، قال : ثنا أسباط ، عن السديّ (يَعْرِفُونَ كُلاًّ بِسِيماهُمْ) يعرفون الناس بسيماهم ، يعرفون أهل النار بسواد وجوههم ، وأهل الجنة ببياض وجوههم .

حدثنا بشر بن معاذ ، قال : ثنا يزيد بن زريع ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (يَعْرِفُونَ كُلاًّ بِسِيماهُمْ) يعرفون أهل النار بسواد وجوههم ، وأهل الجنة ببياض وجوههم .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله (وَعَلَى الأعْرَافِ رِجالٌ يَعْرِفُونَ كُلاًّ بِسِيماهُمْ) قال : أهل الجنة بسيماهم بيض الوجوه ، وأهل النار بسيماهم سود الوجوه ؛ قال : وقوله (يَعْرِفُونَ كُلاًّ بِسِيماهُمْ) قال : أصحاب الجنة وأصحاب النار ، ونادوا أصحاب الجنة ، قال : حين رأوا وجوههم قد ابيضت .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا المحاربي ، عن جويبر ، عن الضحاك (يَعْرِفُونَ كُلاًّ بِسِيماهُمْ) قال : بسواد الوجوه .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا يحيى بن يمان ، عن مبارك ، عن الحسن (بِسِيمَاهُمْ) قال : بسواد الوجوه ، وزُرقة العيون .

والسيماء : العلامة الدالة على الشيء فى كلام العرب ، وأصله من السمة نُقلت واوها التى هى فاء الفعل إلى موضع العين ، كما يقال : اضمحلّ وامضحلّ . وذُكر سماعا عن بعض بنى عقيل : هى أرض خامة ، يعنى : وَخِمة ؛ ومنه قولهم : له جاه عند الناس ، بمعنى : وجه ، نُقلت واوه إلى موضع عين الفعل وفيها لغات ثلاث : سيما مقصورة ، وسيماء ممدودة ، وسيمياء بزيادة ياء أخرى بعد الميم فيها ، ومدّها على مثال الكبرياء ، كما قال الشاعر :

غُلامٌ رَماهُ اللهُ بالحُسْنِ إذْ رَمَى ... لَهُ سِيمْياءُ لاتَشُقُّ على البَصَرْ[1]

وأما قوله (وَنادَوْا أَصْحابَ الجَنَّةِ أنْ سَلامٌ عَلَيْكُمْ لَمْ يَدْخُلُوها وَهُمْ يَطْمَعُونَ) أى حلت عليهم أمنة الله من عقابه وأليم عذابه .

واختلف أهل التأويل فى المعنى بقوله (لَمْ يَدْخُلُوها وَهُمْ يَطْمَعُونَ) فقال بعضهم : هذا خبر من الله عن أهل الأعراف أنهم قالوا لأهل الجنة ما قالوا قبل دخول أصحاب الأعراف ، غير أنهم قالوه وهم يطمعون فى دخولها .

ذكر من قال ذلك

حدثنى محمد بن الحسين ، قال : ثنا أحمد بن مفضل ، قال : ثنا أسباط ، عن السدىّ ، قال : أهل الأعراف يعرفون الناس ، فإذا مرّوا عليهم بزمرة يذهب بها إلى الجنة ، قالوا سلام عليكم ، يقول الله لأهل الأعراف (لَمْ يَدْخُلُوها وَهُمْ يَطْمَعُونَ) أن يدخلوها .

حدثنى محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، قال : تلا الحسن (لَمْ يَدْخُلُوها وَهُمْ يَطْمَعُونَ) قال : والله ما جعل ذلك الطمع فى قلوبهم إلا لكرامة يريدها بهم .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (لَمْ يَدْخُلُوها وَهُمْ يَطْمَعُونَ) قال : أنبأكم الله بمكانهم من الطمع .

حدثنى المثنى ، قال : ثنا سويد ، قال : أخبرنا ابن المبارك ، عن أبى بكر الهذلىّ ، قال : قال سعيد بن جبير ، وهو يحدّث ذلك عن ابن مسعود ، قال : أما أصحاب الأعراف ، فإن النور كان فى أيديهم ما انتزع من أيديهم يقول الله (لَمْ يَدْخُلُوها وَهُمْ يَطْمَعُونَ) قال : فى دخولها ، قال ابن عباس : فأدخل الله أصحاب الأعراف الجنة .

حدثنى الحرث ، قال : ثنا عبد العزيز ، قال : ثنا إسرائيل ، عن جابر ، عن عكرمة وعطاء (لَمْ يَدْخُلُوها وَهُمْ يَطْمَعُونَ) قالا : فى دخولها .

---

(١) البيت تقدم استشهاد المؤلف به (ج ٣ : ٩٨) وفيه : « يافعا » فى موضع « إذ رمى » . فارجع إلى ما كتبنا عنه هناك .

وقال آخرون : إنما عنى بذلك أهل الجنة ، وأن أصحاب الأعراف يقولون لهم قبل أن يدخلوا الجنة : سلام عليكم ، وأهل الجنة يطمعون أن يدخلوها ، ولم يدخلوها بعد .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا وكيع ، قال : ثنا جرير ، عن سليمان التيمى ، عن أبى مجلز ؟ (وَنَادَوْا أَصْحَابَ الْجَنَّةِ أَنْ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ لَمْ يَدْخُلُوهَا وَهُمْ يَطْمَعُونَ) قال : الملائكة يعرفون الفريقين جميعا بسيماهم ، وهذا قبل أن يدخل أهل الجنة الجنة أصحاب الأعراف ، ينادون أصحاب الجنة : أن سلام عليكم لم يدخلوها وهم يطمعون فى دخولها .

القول في تأويل قوله تعالى :

* وَإِذَا صُرِفَتْ أَبْصَارُهُمْ تِلْقَاءَ أَصْحَابِ النَّارِ قَالُوا رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴿٤٧﴾

❊ يقول تعالى ذكره : وإذا صُرفت أبصار أصحاب الأعراف تلقاء أصحاب النار ، يعنى : حيالهم ووجاههم فنظروا إلى تشويه الله لهم (قَالُوا رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ) الذين ظلموا أنفسهم فأكسبوها من سخطك ما أورثهم من عذابك ما هم فيه .

حدثنى محمد بن الحسين ، قال : ثنا أحمد بن المفضل ، قال : ثنا أسباط ، عن السدىّ ، قال : وإذا مرّوا بهم ، يعنى بأصحاب الأعراف بزُمْرة يُذهب بها إلى النار (قَالُوا رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ)

حدثنى المثنى ، قال : ثنا سويد ، قال : أخبرنا ابن المبارك ، عن جويبر ، عن الضحاك ، عن ابن عباس ، قال : إن أصحاب الأعراف إذا نظروا إلى أهل النار وعرفوهم قالوا (رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ).

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبى ، عن أبى مكين ، عن أخيه ، عن عكرمة (وَإِذَا صُرِفَتْ أَبْصَارُهُمْ تِلْقَاءَ أَصْحَابِ النَّارِ) قال : تحرّد وجوههم للنار ، فإذا رأوا أهل الجنة ذهب ذلك عنهم .

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : ابن زيد فى قوله (وَإِذَا صُرِفَتْ أَبْصَارُهُمْ تِلْقَاءَ أَصْحَابِ النَّارِ) فرأوا وجوههم مُسْوَدّة ، وأعينهم مُزْرَقّة (قَالُوا رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ) .

القول في تأويل قوله تعالى :

وَنَادَىٰ أَصْحَابُ الْأَعْرَافِ رِجَالًا يَعْرِفُونَهُم بِسِيمَاهُمْ قَالُوا مَا أَغْنَىٰ عَنكُمْ جَمْعُكُمْ وَمَا كُنتُمْ تَسْتَكْبِرُونَ ﴿٤٨﴾

☼ يقول جلّ ثناؤه (وَنَادَى أَصْحَابُ الأَعْرَافِ رِجَالاً) من أهل الأرض (يَعْرِفُونَهُمْ بِسِيمَاهُمْ) سيما أهل النار (قَالُوا مَا أَغْنَى عَنْكُمْ جَمْعُكُمْ) ما كنتم تجمعون من الأموال والعدد فى الدنيا (وَمَا كُنْتُمْ تَسْتَكْبِرُونَ) يقول : وتكبركم الذى كنتم تتكبرون فيها .

كما حدثنى محمد بن الحسين ، قال : ثنا أحمد بن المفضل ، قال : ثنا أسباط ، عن السدىّ ، قال : فمرّ بهم ، يعنى بأصحاب الأعراف ناس من الجبارين عرفوهم بسيماهم قال : يقول : قال أصحاب الأعراف : (مَا أَغْنَى عَنْكُمْ جَمْعُكُمْ وَمَا كُنْتُمْ تَسْتَكْبِرُونَ) .

حدثنى محمد بن سعد ، قال : ثنى أبى ، قال : ثنى عمى ، قال : ثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس (وَنَادَى أَصْحَابُ الأَعْرَافِ رِجَالاً) قال : فى النار (يَعْرِفُونَهُمْ بِسِيمَاهُمْ ، قَالُوا مَا أَغْنَى عَنْكُمْ جَمْعُكُمْ) وتكبركم (وَمَا كُنْتُمْ تَسْتَكْبِرُونَ) .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا جرير ، عن سليمان التيمى ، عن أبى مجلز (وَنَادَى أَصْحَابُ الأَعْرَافِ رِجَالاً يَعْرِفُونَهُمْ بِسِيمَاهُمْ ، قَالُوا مَا أَغْنَى عَنْكُمْ جَمْعُكُمْ وَمَا كُنْتُمْ تَسْتَكْبِرُونَ) قال : هذا حين دخل أهل الجنة الجنة (أَهَؤُلاءِ الَّذِينَ أَقْسَمْتُمْ لا يَنَالُهُمُ اللهُ بِرَحْمَةٍ) . . . الآية . قلت لأبى مجلز ، عن ابن عباس ، قال : لا بل عن غيره .

حدثنى يعقوب بن إبراهيم ، قال : ثنا ابن علية ، عن سليمان التيمى ، عن أبى مجلز (وَنَادَى أَصْحَابُ الأَعْرَافِ رِجَالاً يَعْرِفُونَهُمْ بِسِيمَاهُمْ) قال : نادت الملائكة رجالا فى النار ، يعرفونهم بسيماهم : (مَا أَغْنَى عَنْكُمْ جَمْعُكُمْ وَمَا كُنْتُمْ تَسْتَكْبِرُونَ . أَهَؤُلاءِ الَّذِينَ أَقْسَمْتُمْ لا يَنَالُهُمُ اللهُ بِرَحْمَةٍ) قال : هذا حين دخل أهل الجنة الجنة (ادْخُلُوا الْجَنَّةَ لا خَوْفٌ عَلَيْكُمْ وَلا أَنْتُمْ تَحْزَنُونَ) .

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله (وَنَادَى أَصْحَابُ الأَعْرَافِ رِجَالاً يَعْرِفُونَهُمْ بِسِيمَاهُمْ) فالرجال عظماء من أهل الدنيا ؛ قال : فبهذه الصفة عرف أهل الأعراف أهل الجنة من أهل النار ، وإنما ذكر هذا حين يذهب رئيس أهل الخير ، ورئيس أهل الشرّ يوم القيامة ؛ قال : وقال ابن زيد فى قوله (مَا أَغْنَى عَنْكُمْ جَمْعُكُمْ وَمَا كُنْتُمْ تَسْتَكْبِرُونَ) قال : على أهل طاعة الله .

القول فى تأويل قوله تعالى :

﴿ أَهَؤُلاءِ الَّذِينَ أَقْسَمْتُمْ لا يَنَالُهُمُ اللَّهُ بِرَحْمَةٍ ادْخُلُوا الْجَنَّةَ لا خَوْفٌ عَلَيْكُمْ وَلا أَنْتُمْ تَحْزَنُونَ ﴾ ٤٩

اختلف أهل التأويل فى المعنيين بهذا الكلام ، فقال بعضهم : هذا قيل الله لأهل النار توبيخا لهم ، على ما كان من قيلهم فى الدنيا لأهل الأعراف ، عند إدخاله أصحاب الأعراف الجنة .

ذكر من قال ذلك

حدثني المثنى ، قال : ثنا عبد الله بن صالح ، قال : ثني معاوية ، عن عليّ ، عن ابن عباس ، قال : أصحاب الأعراف : رجال كانت لهم ذنوب عظام ، وكان حسم أمرهم لله ، يقومون على الأعراف ، فإذا نظروا إلى أهل الجنة طمعوا أن يدخلوها ، وإذا نظروا إلى أهل النار تعوّذوا بالله منها ، فأدخلوا الجنة ، فذلك قوله تعالى (أَهَؤُلاءِ الَّذِينَ أَقْسَمْتُمْ لايَنالُهُمُ اللهُ بِرَحْمَةٍ) يعني أصحاب الأعراف (ادْخُلُوا الجَنَّةَ لاخَوْفٌ عَلَيْكُمْ وَلا أَنْتُمْ تَحْزَنُونَ) .

حدثني المثنى ، قال : ثنا سويد ، قال : أخبرنا ابن المبارك ، عن جويبر ، عن الضحاك ، قال : قال ابن عباس : إن الله أدخل أصحاب الأعراف الجنة لقوله : (ادْخُلُوا الجَنَّةَ لاخَوْفٌ عَلَيْكُمْ وَلا أَنْتُمْ تَحْزَنُونَ) .

حدثني محمد بن سعد ، قال : ثني أبي ، قال : ثني عمي ، قال : ثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قال الله لأهل التكبر والأموال (أَهَؤُلاءِ الَّذِينَ أَقْسَمْتُمْ لايَنالُهُمُ اللهُ بِرَحْمَةٍ) يعني أصحاب الأعراف (ادْخُلُوا الجَنَّةَ لاخَوْفٌ عَلَيْكُمْ وَلا أَنْتُمْ تَحْزَنُونَ) .

حدثني محمد بن الحسين ، قال : ثنا أحمد بن المفضل ، قال : ثنا أسباط ، عن السديّ (أَهَؤُلاءِ) الضعفاء (الَّذِينَ أَقْسَمْتُمْ لايَنالُهُمُ اللهُ بِرَحْمَةٍ ، ادْخُلُوا الجَنَّةَ لاخَوْفٌ عَلَيْكُمْ وَلا أَنْتُمْ تَحْزَنُونَ) قال : فقال حُذيفة : « أَصْحابُ الأعْرافِ قَوْمٌ تَكافَأَتْ أَعْمالُهُمْ فَقَصَّرَتْ بِهِمْ حَسَناتُهُمْ عَنِ الجَنَّةِ ، وَقَصَّرَتْ بِهِمْ سَيِّئاتُهُمْ عَنِ النارِ ، فَجُعِلُوا على الأعْرافِ يَعْرِفُونَ النَّاسَ بِسِيماهُمْ ؛ فَلَمَّا قُضِيَ بينَ العِبادِ ، أُذِنَ لَهُمْ فِي طَلَبِ الشَّفاعَةِ ، فَأَتَوْا آدَمَ عَلَيْهِ السَّلامُ ، فَقالُوا : يا آدَمُ أَنْتَ أَبُونا فاشْفَعْ لَنا عِنْدَ رَبِّكَ ، فَقالَ : هَلْ تَعْلَمُونَ أَحَدًا خَلَقَهُ اللهُ بِيَدِهِ ، وَنَفَخَ فِيهِ مِنْ رُوحِهِ ، وَسَبَقَتْ رَحْمَةُ اللهِ إلَيْهِ غَضَبَهُ وَسَجَدَتْ لَهُ المَلائِكَةُ غيري ؟ فَيَقُولُونَ لا ، قال : فَيَقُولُ : ما عَلِمْتُ كُنْهَ ما أَسْتَطِيعُ أَنْ أَشْفَعَ لَكُمْ ، وَلَكِنْ ائْتُوا ابْنِي إبْراهِيمَ . قال : فَيَأْتُونَ إبْراهِيمَ عَلَيْهِ السَّلامُ ، فَيَسْأَلُونَهُ أَنْ يَشْفَعَ لَهُمْ عِنْدَ رَبِّهِ ، فَيَقُولُ هَلْ تَعْلَمُونَ مِنْ أَحَدٍ اتَّخَذَهُ اللهُ خَلِيلاً ؟ هَلْ تَعْلَمُونَ أَحَدًا أَحْرَقَهُ قَوْمُهُ فِي النَّارِ فِي اللهِ غيري ؟ فَيَقُولونَ لا ؟ فَيَقُولُ : ماعَلِمْتُ كُنْهَ ماأَسْتَطِيعُ أَنْ أَشْفَعَ لَكُمْ ، وَلَكِنِ ائْتُوا ابني موسى ، فَيَأْتُونَ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلامُ ، فَيَقُولُ : هَلْ تَعْلَمُونَ مِنْ أَحَدٍ كَلَّمَهُ اللهُ تَكْلِيمًا ، وَقَرَّبَهُ نَجِيًّا غيري ؟ فَيَقُولُونَ لا ، فَيَقُولُ : ما عَلِمْتُ كُنْهَ ما أَسْتَطِيعُ أَنْ أَشْفَعَ لَكُمْ ، وَلَكِنِ ائْتُوا عِيسَى ، فَيَأْتُونَهُ فَيَقُولُونَ : اشْفَعْ لَنا عِنْدَ رَبِّكَ ، فَيَقُولُ : هَلْ تَعْلَمُونَ أحدًا خَلَقَهُ اللهُ مِنْ غيرِ أَبٍ غَيْرِيَ فَيَقُولُونَ لا ؟ فَيَقُولُ : هَلْ تَعْلَمُونَ مِنْ أَحَدٍ كانَ يُبْرِئُ الأكْمَهَ وَالأَبْرَصَ وَيُحْيِي المَوْتَى بإذْنِ اللهِ غيري ؟ قال : فَيَقُولُونَ : لا ، قالَ : فَيَقُولُ : أنا حَجِيجُ

نَفْسِي ، ما عَلِمْتُ كُنْهَ ما أَسْتَطِيعُ أَنْ أَشْفَعَ لَكُمْ ، وَلَكِنِ ائْتُوا محمدا رسُولَ اللهِ صَلّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : فَيَأْتُونِي ، فَأَضْرِبُ بِيَدِي على صَدْرِي ثُمَّ أَقُولُ : أنا لَهَا ، ثُمَّ أَمْشِي حتى أَقِفَ بينَ يَدَيِ العَرْشِ ، فَأُثْنِي عَلَى رَبِّي ، فَيَفْتَحُ لي مِنَ الثَّناء ما لَمْ يَسْمَعِ السَّامِعُونَ بِمِثْلِهِ قَطُّ ، ثُمَّ أَسْجُدَ فَيُقالُ لي : يا مُحَمَّدُ ارْفَعْ رأسَكَ ، سَلْ تُعْطَهْ ، وَاشْفَعْ تُشَفَّعْ ، فَأَرْفَعُ رأسِي فَأَقُولُ : رَبِّ أُمَّتِي ، فَيُقالُ : هُمْ لَكَ ، فَلا يَبْقَى نَبِيٌّ مُرْسَلٌ وَلا مَلَكٌ مُقَرَّبٌ إلاَّ غَبَطَنِي يَوْمَئِذٍ بذلكَ المَقامِ ، وَهُوَ المَقامُ المَحْمُودُ . قالَ : فَآتِي بِهِمْ بابَ الجَنَّةِ فأَسْتَفْتِحُ ، فَيُفْتَحُ لي وَلَهُمْ ، فَيُذْهَبُ بِهِمْ إلى نَهْرٍ يُقالُ لَهُ نَهْرُ الحَياةِ ، حافتَاهُ قُضُبٌ مِنْ ذَهَبٍ مُكَلَّلٍ باللُّؤْلُؤِ ، تُرابُهُ المِسْكُ ، وَحَصْباؤُهُ الياقُوتُ ، فَيَغْتَسِلُونَ مِنْهُ ، فَتَعُودُ إلَيْهِمْ أَلْوَانُ أَهْلِ الجَنَّةِ وَرِيحُهُمْ ، وَيَصِيرُونَ كأَنَّهُمُ الكَوَاكِبُ الدُّرِّيَّةِ ، وَيَبْقَى فِي صُدُورِهِمْ شاماتٌ بِيضٌ يُعْرَفُونَ بِها ، يُقال لَهُمْ مَساكِينُ أَهْلِ الجَنَّةِ » .

حُدثت عن الحسين بن الفرج ، قال : سمعت أبا معاذ ، قال : ثنا عبيد بن سليمان ، قال : سمعت الضحاك ، قال : إن الله أدخلهم بعد أصحاب الجنة ، وهو قوله (ادْخُلُوا الجَنَّةَ لاخَوْفٌ عَلَيْكُمْ وَلا أَنْتُمْ تَحْزَنُونَ) يعني أصحاب الأعراف ، وهذا قول ابن عباس .

❊ فتأويل الكلام على هذا التأويل الذى ذكرنا عن ابن عباس ، ومن ذكرنا قوله فيه ، قال الله لأهل التكبر عن الإقرار بوحدانية الله والإذعان لطاعته ، وطاعة رسله الجامعين فى الدنيا الأموال مكاثرة ورياء : أيها الجبابرة الذين كانوا فى الدنيا ، أهؤلاء الضعفاء الذين كنتم فى الدنيا أقسمتم لاينالهم الله برحمة ، قال : قد غفرت لهم ورحمتهم بفضلي ورحمتي ، ادخلوا يا أصحاب الأعراف الجنة ، لاخوف عليكم بعدها من عقوبة تعاقبون بها على ما سلف منكم فى الدنيا من الآثام والإجرام ، ولا أنتم تحزنون على شيء فاتكم فى دنياكم .

وقال أبو مجلز : بل هذا القول خبر من الله عن قيل الملائكة لأهل النار بعد ما دخلوا النار تعييرا منهم لهم على ماكانوا يقولون فى الدنيا للمؤمنين الذين أدخلهم الله يوم القيامة جنته . وأما قوله (ادْخُلُوا الجَنَّةَ لاخَوْفٌ عَلَيْكُمْ وَلا أَنْتُمْ تَحْزَنُونَ) فخبر من الله عن أمره أهل الجنة بدخولها .

حدثني يعقوب ، قال : ثنا ابن عُلية ،عن سليمان التيمى ، عن أبي مجلز ، قال : نادت الملائكة رجالا فى النار يعرفونهم بسيماهم ، ما أغنى عنكم جمعكم وما كنتم تستكبرون ، أهؤلاء الذين أقسمتم لاينالهم الله برحمة ؟ قال : فهذا حين يدخل أهل الجنة الجنة ، ادخلوا الجنة لاخوف عليكم ولا أنتم تحزنون .

القول في تأويل قوله تعالى :

وَنَادَىٰٓ أَصۡحَٰبُ ٱلنَّارِ أَصۡحَٰبَ ٱلۡجَنَّةِ أَنۡ أَفِيضُواْ عَلَيۡنَا مِنَ ٱلۡمَآءِ أَوۡ مِمَّا رَزَقَكُمُ ٱللَّهُۚ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ حَرَّمَهُمَا عَلَى ٱلۡكَٰفِرِينَ ۝٥٠

⁂ وهذا خبر من الله تعالى ذكره عن استغاثة أهل النار بأهل الجنة عند نزول عظيم البلاء بهم من شدّة العطش والجوع ، عقوبة من الله لهم على ماسلف منهم فى الدنيا ، من ترك طاعة الله ، وأداء ما كان فرض عليهم فيها فى أموالهم من حقوق المساكين من الزكاة والصدقة ، يقول تعالى ذكره : ونادى أصحاب النار بعد ما دخلوها أصحاب الجنة بعد ما سكنوها أن يا أهل الجنة (أَفِيضُوا عَلَيْنَا مِنَ المَاءِ أَوْ مِمَّا رَزَقَكُمُ اللهُ) أى أطعمونا مما رزقكم الله من الطعام .

كما حدثنى محمد بن الحسين ، قال : ثنا أحمد بن المفضل ، قال : ثنا أسباط عن السدىّ (أَنْ أَفِيضُوا عَلَيْنَا مِنَ المَاءِ أَوْ مِمَّا رَزَقَكُمُ اللهُ) قال : من الطعام .

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله (أَنْ أَفِيضُوا عَلَيْنَا مِنَ المَاءِ أَوْ مِمَّا رَزَقَكُمُ اللهُ) قال : يستطعمونهم ويستسقونهم ، فأجابهم أهل الجنة إن الله حرّم الماء والطعام على الذين جحدوا توحيده ، وكذّبوا فى الدنيا رسله ، والهاء والميم فى قوله (إِنَّ اللهَ حَرَّمَهُمَا) عائدتان على الماء ، وعلى « ما » التى فى قوله (أَوْ مِمَّا رَزَقَكُمُ اللهُ) .

وبنحو ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبى ، عن سفيان ، عن عثمان الثقفى ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس (وَنَادَى أَصْحَابُ النَّارِ أَصْحَابَ الجَنَّةِ أَنْ أَفِيضُوا عَلَيْنَا مِنَ المَاءِ أَوْ مِمَّا رَزَقَكُمُ اللهُ) قال : ينادى الرجل أخاه أو أباه ، فيقول : قد احترقتُ ، أفض علىّ من الماء ، فيقال لهم : أجيبوهم ، فيقولون (إِنَّ اللهَ حَرَّمَهُمَا على الكافِرِينَ) .

وحدثنى المثنى ، قال : ثنا ابن دكين ، قال : ثنا سفيان ، عن عثمان ، عن سعيد بن جبير (وَنَادَى أَصْحَابُ النَّارِ أَصْحَابَ الجَنَّةِ أَنْ أَفِيضُوا عَلَيْنَا مِنَ المَاءِ أَوْ مِمَّا رَزَقَكُمُ اللهُ) قال : ينادى الرجل أخاه : يا أخى قد احترقت فأغثنى ، فيقول (إِنَّ اللهَ حَرَّمَهُمَا على الكافِرِينَ) .

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله (قَالُوا إِنَّ اللهَ حَرَّمَهُمَا عَلى الكافِرِينَ) قال : طعام أهل الجنة وشرابها .

القول في تأويل قوله تعالى :

الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَهُمْ لَهْوًا وَلَعِبًا وَغَرَّتْهُمُ الْحَيَوٰةُ الدُّنْيَا فَالْيَوْمَ نَنسَاهُمْ كَمَا نَسُوا لِقَاءَ يَوْمِهِمْ هَٰذَا وَمَا كَانُوا بِآيَاتِنَا يَجْحَدُونَ ﴿٥١﴾

⁂ وهذا خبر من الله عن قيل أهل الجنة للكافرين ، يقول تعالى ذكره : فأجاب أهل الجنة أهل النار : (إِنَّ اللهَ حَرَّمَهُمَا على الكافِرِينَ) الذين كفروا بالله ورسله (الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَهُمْ) الذى أمرهم الله به (لَهْوًا وَلَعِبًا) يقول : سخرية ولعبا

وروى عن ابن عباس فى ذلك ما حدثنى المثنى ، قال : ثنا عبد الله ، قال : ثنى معاوية ، عن علىّ ، عن ابن عباس ، فى قوله (الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَهُمْ لَهْوًا وَلَعِبًا) . . . الآية . قال : وذلك أنهم كانوا إذا دعوا إلى الإيمان سخروا ممن دعاهم إليه ، وهزءوا به اغترارا بالله (وَغَرَّتْهُمُ الحَيَاةُ الدُّنْيَا) يقول : وخدعهم عاجل ما هم فيه من العيش والخفض والدعة عن الأخذ بنصيبهم من الآخرة حتى أتتهم المنية ، يقول الله جلّ ثناؤه (فالْيَوْمَ نَنْسَاهُمْ كَمَا نَسُوا لِقَاءَ يَوْمِهِمْ هَذَا) أى ففى هذا اليوم وذلك يوم القيامة ننساهم ، يقول : نتركهم فى العذاب المبين جياعا عطاشا بغير طعام ولا شراب ، كما تركوا العمل للقاء يومهم هذا ، ورفضوا الاستعداد له باتعاب أبدانهم فى طاعة الله . وقد بيّنا معنى قوله ننساهم بشواهده فيما مضى بما أغنى عن إعادته .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك ، قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبى ، عن سفيان ، عن جابر ، عن مجاهد (فالْيَوْمَ نَنْسَاهُمْ) قال : نُسوا فى العذاب .

حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد (فالْيَوْمَ نَنْسَاهُمْ) قال : نتركهم كما تركوا لقاء يومهم هذا .

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبوعاصم ، قال : ثنا عيسى ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، فى قول الله (نَنْسَاهُمْ) قال : نتركهم فى النار .

حدثنى المثنى ، قال : ثنا عبد الله بن صالح ، قال : ثنى معاوية ، عن علىّ ، عن ابن عباس (فالْيَوْمَ نَنْسَاهُمْ كَمَا نَسُوا لِقَاءَ يَوْمِهِمْ هَذَا) قال : نتركهم من الرحمة كما تركوا أن يعملوا للقاء يومهم هذا.

حدثنى محمد بن سعد ، قال : ثنى أبى ، قال : ثنى عمى ، قال : ثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله (فالْيَوْمَ نَنْسَاهُمْ كَمَا نَسُوا لِقَاءَ يَوْمِهِمْ هَذَا) . . . الآية ، يقول : نسيهم الله من الخير ، ولم ينسهم من الشرّ .

حدثنى الحرث ، قال : ثنا عبد العزيز ، قال : ثنا أبوسعد ، قال : سمعت مجاهدا فى قوله (فالْيَوْمَ نَنْسَاهُمْ كَمَا نَسُوا لِقَاءَ يَوْمِهِمْ هَذَا) قال : نؤخرهم فى النار .

وأما قوله (وَمَا كَانُوا بآيَاتِنَا يَجْحَدُونَ) فإن معناه : اليوم ننساهم كما نسوا لقاء يومهم هذا ، وكما كانوا بآياتنا يجحدون ، فما التى فى قوله (وَمَا كَانُوا) معطوفة على « ما » التى فى قوله (كَمَا نَسُوا) .

وتأويل الكلام : فاليوم نتركهم فى العذاب ، كما تركوا العمل فى الدنيا للقاء الله يوم القيامة ، وكما كانوا بآيات الله يجحدون ، وهى حججه التى احتجّ بها عليهم من الأنبياء والرسل والكتب وغير ذلك . يجحدون : يكذّبون ولا يصدّقون بشىء من ذلك .

القول في تأويل قوله تعالى:

﴿ وَلَقَدْ جِئْنَٰهُم بِكِتَٰبٍ فَصَّلْنَٰهُ عَلَىٰ عِلْمٍ هُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴾

يقول تعالى ذكره : أقسم يامحمد لقد جئنا هؤلاء الكفرة بكتاب ، يعنى القرآن الذى أنزله إليهم ، يقول : لقد أنزلنا إليهم هذا القرآن مفصلا مبينا فيه الحق من الباطل (عَلَى عِلْمٍ) يقول : على علم منا بحق ما فصل فيه من الباطل الذى ميز فيه بينه وبين الحق (هُدًى وَرَحْمَةً) يقول : بيناه ليهتدى ويرحم به قوم يصدقون به وبما فيه من أمر الله ونهيه ، وأخباره ، ووعده ووعيده ، فينقذهم به من الضلالة إلى الهدى ، وهذه الآية مردودة على قوله (كِتَابٌ أُنْزِلَ إِلَيْكَ فَلَا يَكُنْ فِي صَدْرِكَ حَرَجٌ مِنْهُ لِتُنْذِرَ بِهِ وَذِكْرَى لِلْمُؤْمِنِينَ وَلَقَدْ جِئْنَاهُمْ بِكِتَابٍ فَصَّلْنَاهُ عَلَى عِلْمٍ) والهدى فى موضع نصب على القطع من الهاء التى فى قوله (فَصَّلْنَاهُ) ولو نصب على فعل فصلناه ، فيكون المعنى : فصلنا الكتاب كذلك كان صحيحا ؛ ولو قرئ (هُدًى وَرَحْمَةٍ) كان فى الإعراب فصيحا ، وكان خفض ذلك بالرد على الكتاب .

القول في تأويل قوله تعالى:

﴿ هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا تَأْوِيلَهُۥ ۚ يَوْمَ يَأْتِى تَأْوِيلُهُۥ يَقُولُ ٱلَّذِينَ نَسُوهُ مِن قَبْلُ قَدْ جَآءَتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِٱلْحَقِّ فَهَل لَّنَا مِن شُفَعَآءَ فَيَشْفَعُوا۟ لَنَآ أَوْ نُرَدُّ فَنَعْمَلَ غَيْرَ ٱلَّذِى كُنَّا نَعْمَلُ ۚ قَدْ خَسِرُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ وَضَلَّ عَنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَفْتَرُونَ ﴾

يقول تعالى ذكره (هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا تَأْوِيلَهُ) هل ينتظر هؤلاء المشركون الذين يكذبون بآيات الله ، ويجحدون لقاءه ، إلا تأويله ؟ يقول : إلا ما يئول إليه أمرهم من ورودهم على عذاب الله ، وصليهم جحيمه ، وأشباه هذا مما أوعدهم الله به . وقد بينا معنى التأويل فيما مضى بشواهده بما أغنى عن إعادته فى هذا الموضع .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك ، قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر بن معاذ ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا تَأْوِيلَهُ) : أى ثوابه يوم يأتى تأويله : أى ثوابه .

حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، قال : ثنا معمر ، عن قتادة (هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا تَأْوِيلَهُ يَوْمَ يَأْتِي تَأْوِيلُهُ) قال : تأويله : عاقبته .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبوأسامة ، عن شبل ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد (هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا تَأْوِيلَهُ) قال : جزاءه (يَوْمَ يَأْتِي تَأْوِيلُهُ) قال : جزاؤه .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا يحيى بن أبى زائدة ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، مثله .

حدثني محمد بن الحسين ، قال : ثنا أحمد بن المفضل ، قال : ثنا أسباط ، عن السدىّ (هَلْ يَنْظُرُونَ إلاَّ تَأْوِيلَهُ) أما تأويله : فعواقبه مثل وقعة بدر ، والقيامة ، وما وعد فيه من موعد .

حدثني المثنى ، قال : ثنا إسحاق ، قال : ثنا عبد الله بن أبي جعفر ، عن أبيه ، عن الربيع بن أنس فى قوله (هَلْ يَنْظُرُونَ إلاَّ تَأْوِيلَهُ يَوْمَ يَأْتِى تَأْوِيلُهُ ، يَقُولُ الَّذِينَ نَسُوهُ مِنْ قَبْلُ قَدْ جاءَتْ رُسُلُ رَبِّنا بِالحَقِّ) فلا يزال يقع من تأويله أمر بعد أمر حتى يتمّ تأويله يوم القيامة ، ففى ذلك أنزل (هَلْ يَنْظُرُونَ إلاَّ تَأْوِيلَهُ) حيث أثاب الله تبارك وتعالى أولياءه وأعداءه ثواب أعمالهم ، (يَقُولُ) يومئذ (الَّذِينَ نَسُوهُ مِنْ قَبْلُ قَدْ جاءَتْ رُسُلُ رَبِّنا بِالحَقِّ) . . . الآية .

حدثني محمد بن سعد ، قال : ثنى أبى ، قال : ثنى عمى ، قال : ثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله (هَلْ يَنْظُرُونَ إلاَّ تَأْوِيلَهُ يَوْمَ يَأْتِى تَأْوِيلُهُ) قال : يوم القيامة .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله (يَوْمَ يَأْتِى تَأْوِيلُهُ) قال : يأتى تحقيقه ، وقرأ قول الله تعالى (هَذَا تَأْوِيلُ رُؤْيَاىَ مِنْ قَبْلُ) قال : هذا تحقيقها ، وقرأ قول الله (وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إلاَّ اللهُ) قال : ما يعلم حقيقته ، ومتى يأتى إلا الله تعالى .

وأما قوله (يَوْمَ يَأْتِى تَأْوِيلُهُ يَقُولُ الَّذِينَ نَسُوهُ مِنْ قَبْلُ) فإن معناه : يوم يجىء ما يئول إليه أمرهم من عقاب الله (يَقُولُ الَّذِينَ نَسُوهُ مِنْ قَبْلُ) : أى يقول الذين ضيعوا ، وتركوا ما أمروا به من العمل المنجيهم مما آل إليه أمرهم يومئذ من العذاب من قبل ذلك فى الدنيا (لَقَدْ جاءَتْ رُسُلُ رَبِّنا بِالحَقِّ) أقسم المساكين حين عاينوا البلاء وحلّ بهم العقاب ، إن رسل الله التى أتتهم بالنذارة ، وبلغتهم عن الله الرسالة ، قد كانت نصحت لهم ، وصدّقتهم عن الله ، وذلك حين لاينفعهم التصديق ، ولا ينجيهم من سخط الله وأليم عقابه كثرة القيل والقال .

وبنحو ما قلنا فى ذلك ، قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن عمرو بن الحسين ، قال : ثنا أحمد بن المفضل ، : قال ثنا أسباط ، عن السدىّ ، (يقول الَّذِينَ نَسُوهُ مِنْ قَبْلُ قَدْ جاءَت رسُلُ رَبِّنا بِالحَقِّ) أما الذين نسوه فتركوه ، فلما رأوا ما وعدهم أنبياؤهم استيقنوا فقالوا : قد جاءت رسل ربنا بالحقّ .

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد (يَقُولُ الَّذِينَ نَسُوهُ) قال : أعرضوا عنه .

حدثني المثنى ، قال : ثنا أبو حذيفة ، قال : ثنا شبل ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، مثله .

القول في تأويل قوله تعالى :﴿ فَهَلْ لَنا مِنْ شُفَعاءَ فَيَشْفَعُوا لَنا ، أَوْ نُرَدُّ فَنَعْمَلَ غيرَ الَّذِى كُنَّا نَعْمَلُ ، قَدْ خَسِرُوا أنْفُسَهُمْ وَضَلَّ عَنْهُمْ ما كانُوا يَفْتَرُونَ ﴾ :

وهذا خبر من الله تعالى ذكره عن هؤلاء المشركين الذين وصف صفتهم أنهم يقولون عند حلول سخط

الله بهم ، وورودهم أليم عذابه ، ومعاينتهم تأويل ما كانت رسل الله تعدهم : هل لنا من أصدقاء وأولياء اليوم ، فيشفعوا لنا عند ربنا ، فتنجينا شفاعتهم عنده مما قد حلّ بنا من سوء فعالنا فى الدنيا ، أو نردّ إلى الدنيا مرّة أخرى ، فنعمل فيها بما يرضيه ويعتبه من أنفسنا ، قال : هذا القول المساكين هنالك ، لأنهم كانوا عهدوا فى الدنيا أنفسهم لها شفعاء تشفع لهم فى حاجاتهم ، فيذكروا ذلك فى وقت لا خلة فيه لهم ولا شفاعة ، يقول الله جلّ ثناؤه (قَدْ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ) يقول : غبنوا أنفسهم حظوظها ببيعهم ما لا خطر له من نعيم الآخرة الدائم بالخسيس من عرض الدنيا الزائل (وَضَلَّ عَنْهُمْ ما كانُوا يَفْتَرُونَ) يقول : وأسلمهم لعذاب الله ، وحاد عنهم أولياؤهم الذين كانوا يعبدونهم من دون الله ، ويزعمون كذبا وافتراء أنهم أربابهم من دون الله .

حدثني محمد بن الحسين ، قال : ثنا أحمد بن المفضل ، قال : ثنا أسباط ، عن السدىّ ، قوله (قَدْ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ) يقول : شروْها بخسران . وإنما رفع قوله (أَوْ نُرَدُّ) ولم ينصب عطفا على قوله (فَيَشْفَعُوا لَنا) لأن المعنى : هل لنا من شفعاء فيشفعوا لنا ، أو هل نردّ فنعمل غير الذى كنا نعمل ، ولم يرد به العطف على قوله (فَيَشْفَعُوا لَنا) .

القول في تأويل قوله تعالى :

إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ يُغْشِي اللَّيْلَ النَّهَارَ يَطْلُبُهُ حَثِيثًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالنُّجُومَ مُسَخَّرَاتٍ بِأَمْرِهِ ۗ أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ ۗ تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴿٥٤﴾

يقول تعالى ذكره : إن سيدكم ومصلح أموركم أيها الناس ، هو المعبود الذى له العبادة من كلّ شىء الذى خلق السموات والأرض فى ستة أيام ، وذلك يوم الأحد والاثنين والثلاثاء والأربعاء والخميس والجمعة .

كما حدثنى المثنى ، قال : ثنا الحجاج بن المنهال ، قال : ثنا أبو عوانة ، عن أبى بشر ، عن مجاهد ، قال : بدء الخلق : العرش والماء والهواء ، وخلقت الأرض من الماء ، وكان بدء الخلق يوم الأحد والاثنين والثلاثاء والأربعاء والخميس ، وجمع الخلق فى يوم الجمعة ، وتهوّدت اليهود يوم السبت ، ويوم من الستة الأيام كألف سنة مما تعدّون (ثُمَّ اسْتَوَى على العَرْشِ) وقد ذكرنا معنى الاستواء واختلاف الناس فيه فيما مضى قبل بما أغنى عن إعادته .

وأما قوله (يُغْشِي اللَّيْلَ النَّهارَ يَطْلُبُهُ حَثِيثا) فإنه يقول : يورد الليل على النهار فيلبسه إياه ، حتى يذهب نضرته ونوره (يَطْلُبُهُ) يقول : يطلب الليل النهار (حَثِيثا) يعنى سريعا .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثني المثنى ، قال : ثنا عبد الله بن صالح ، قال : ثني معاوية ، عن عليّ بن أبي طلحة ، عن ابن عباس (يَطْلُبُهُ حَثِيثا) يقول : سريعا .

حدثني محمد بن الحسين ، قال : ثنا أحمد بن المفضل ، قال : ثنا أسباط ، عن السديّ (يُغْشِي اللَّيْلَ النَّهارَ يَطْلُبُهُ حَثِيثا) قال : يغشى الليل النهار فيذهب بضوئه ، ويطلبه سريعا حتى يدركه .

القول في تأويل قوله تعالى ﴿ والشَّمْسَ والقَمَرَ والنُّجُومَ مُسَخَّرَاتٍ بِأمْرِهِ ، ألا لَهُ الخَلْقُ والأمْرُ تَبارَكَ اللهُ رَبُّ العالَمِين ﴾ :

يقول تعالى ذكره : إن ربكم الله الذى خلق السموات والأرض والشمس والقمر والنجوم ، كلّ ذلك بأمره ، أمرهن الله فأطعن أمره ، ألا لله الخلق كله ، والأمر الذى لايخالف ولا يردّ أمره دون ماسواه من الأشياء كلها ، ودون ماعبده المشركون من الآلهة والأوثان التى لاتضرّ ولاتنفع ، ولا تخلق ، ولا تأمر ، تبارك الله معبودنا الذى له عبادة كلّ شيء ربّ العالمين .

حدثني المثنى ، قال : ثنا إسحاق ، قال : ثنا هشام أبوعبد الرحمن ، قال : ثنا بقية بن الوليد ، قال : ثني عبد الغفار بن عبد العزيز الأنصاريّ ، عن عبد العزيز الشامى ، عن أبيه ، وكانت له صحبة ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « مَنْ لَمْ يَحْمَدِ اللهَ على ما عَمِلَ مِنْ عَمَلٍ صَالِحٍ ، وحَمِدَ نَفْسَهُ ، قَلَّ شُكْرُهُ وَحَبِطَ عَمَلُهُ ، وَمَنْ زَعَمَ أنَّ اللهَ جَعَلَ للعِبادِ مِنَ الأمْرِ شَيْئا فَقَدْ كَفَرَ بِمَا أنْزَلَ اللهُ على أنْبِيائِهِ » لقوله (ألا لَهُ الخَلْقُ والأمْرُ ، تَبارَكَ اللهُ رَبُّ العالَمِينَ) » .

القول في تأويل قوله تعالى :

ٱدْعُواْ رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُعْتَدِينَ ﴿٥٥﴾

يقول تعالى ذكره : ادعوا أيها الناس ربكم وحده ، فأخلصوا له الدعاء دون ما تدعون من دونه من الآلهة والأصنام (تَضَرُّعا) يقول : تذللا واستكانة لطاعته (وَخُفْيَةً) يقول : بخشوع قلوبكم وصحة اليقين منكم بوحدانيته فيما بينكم وبينه ، لاجهارا مراءاة ، وقلوبكم غير موقنة بوحدانيته وربوبيته ، فعل أهل النفاق والخداع لله ولرسوله .

كما حدثني المثنى ، قال : ثنا سويد بن نصر ، قال : أخبرنا ابن المبارك ، عن المبارك بن فضالة ، عن الحسن ، قال : إن كان الرجل لقد جمع القرآن وما يشعر جاره ، وإن كان الرجل لقد فقه الفقه الكثير وما يشعر به الناس ، وإن كان الرجل ليصلى الصلاة الطويلة فى بيته ، وعنده الزوّار وما يشعرون به ، ولقد أدركنا أقواما ماكان على الأرض من عمل يقدرون على أن يعملوه فى السرّ فيكون علانية أبدا ، ولقد كان المسلمون يجتهدون فى الدعاء ، وما يسمع لهم صوت إن كان إلا همسا بينهم وبين ربهم ، وذلك أن الله يقول

(ادْعُوا رَبَّكُمْ تَضَرُّعا وَخُفْيَةً) وذلك أن الله ذكر عبدا صالحا ، فرضى فعله فقال (إِذْ نَادَى رَبَّهُ نِدَاءً خَفِيًّا) .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا جرير ، عن عاصم الأحول ، عن أبي عثمان النهدى ، عن أبي موسى ، قال : كان النبيّ صلى الله عليه وسلم فى غزاة ، فأشرفوا على واد يكبرون ويهللون ويرفعون أصواتهم ، فقال : « أيُّها النَّاسُ ارْبَعُوا على أنْفُسِكُمْ ، إنَّكُمْ لاتَدْعُونَ أصَمَّ وَلا غائبا ، إنَّكُمْ تَدْعُونَ سَمِيعا قَرِيبا مَعَكُمْ » .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، عن عطاء الخراسانى ، عن ابن عباس ، قوله (ادْعُوا رَبَّكُمْ تَضَرُّعا وَخُفْيَةً) قال : السرّ .

وأما قوله (إِنَّهُ لايُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ) فإن معناه : إن ربكم لايحبّ من اعتدى فتجاوز حدّه الذى حدّه لعباده فى دعائه ومسألته ربه ، ورفعه صوته فوق الحدّ الذى حدّ لهم فى دعائهم إياه ومسألتهم ، وفى غير ذلك من الأمور .

كما حدثنى يعقوب بن إبراهيم ، قال : ثنا معتمر بن سليمان ، قال : أنبأنا إسماعيل بن حماد بن أبي سليمان عن عباد بن عباد ، عن علقمة ، عن أبي مجلز (ادْعُوا رَبَّكُمْ تَضَرُّعا وَخُفْيَةً ، إنه لا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ) قال : لايسأل منازل الأنبياء عليهم السلام .

حدثنى القاسم قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، عن عطاء الخراسانى ، عن ابن عباس (إِنَّهُ لايُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ) فى الدعاء ولا فى غيره . قال ابن جريج : إن من الدعاء اعتداء يكره رفع الصوت والنداء والصياح بالدعاء ، ويؤمر بالتضرّع والاستكانة .

القول في تأويل قوله تعالى :

وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا وَادْعُوهُ خَوْفًا وَطَمَعًا إِنَّ رَحْمَتَ اللَّهِ قَرِيبٌ مِنَ الْمُحْسِنِينَ ﴿٥٦﴾

يعنى تعالى ذكره بقوله (وَلا تُفْسِدُوا فِي الأَرْضِ بَعْدَ إِصْلاحِها) لاتشركوا بالله فى الأرض ، ولا تعصوه فيها ، وذلك هو الفساد فيها ، وقد ذكرنا الرواية فى ذلك فيما مضى ، وبيّنا معناه بشواهده (بعدَ إصْلاحِها) يقول : بعد إصلاح الله إياها لأهل طاعته بابتعاثه فيهم الرسل دعاة إلى الحقّ ، وإيضاحه حججه لهم (وَادْعُوهُ خَوْفا وَطَمَعا) يَقُولُ : وأخلصوا له الدعاء والعمل ، ولا تشركوا فى عملكم له شيئا غيره من الآلهة والأصنام وغير ذلك ، وليكن مايكون منكم فى ذلك خوفا من عقابه ، وطمعا فى ثوابه وإن من كان دعاؤه إياه على غير ذلك ، فهو بالآخرة من المكذّبين ، لأن من لم يخف عقاب الله ، ولم يرج ثوابه لم يبال ماركب من أمر يسخطه الله ولا يرضاه (إِنَّ رَحْمَةَ اللهِ قَرِيبٌ مِنَ الْمُحْسِنِينَ) يقول تعالى ذكره : إن ثواب الله الذى وعد المحسنين على إحسانهم فى الدنيا قريب منهم ، وذلك هو رحمته ، لأنه ليس

بينهم وبين أن يصيروا إلى ذلك من رحمته وما أعدّ لهم من كرامته، إلا أن تفارق أرواحهم أجسادهم ، ولذلك من المعنى ذكر قوله (قَرِيبٌ) وهو من خبر الرحمة والرحمة مؤنثة، لأنه أريد به القرب فى الوقت لا فى النسب والأوقات بذلك المعنى ، إذا رفعت أخبارا للأسماء أجرتها العرب مجرى الحال ، فوحدتها مع الواحد والاثنين والجميع ، وذكّرتها مع المؤنث ، فقالوا : كرامة الله بعيد من فلان ، وهى قريب من فلان ، كما يقولون : هند قريب منا ، والهندان منا قريب ، والهندات منا قريب ، لأن معنى ذلك ، هى فى مكان قريب منا ، فاذا حذفوا المكان ، وجعلوا القريب خلفا منه ، ذكروه ووحدوه فى الجمع ، كما كان المكان مذكرا وموحدا فى الجمع . وأما إذا أنثوه أخرجوه مثنى مع الاثنين ومجموعا مع الجميع فقالوا : هى قريبة منا ، وهما منا قريبتان ، كما قال عروة بن الورد :

عَشِيَّةَ لاعَفْرَاءُ مِنْكَ قَرِيبَــةٌ فَتَدْنُو وَلا عَفْرَاءُ مِنْكَ بَعِيدُ[١]

فأنّث قريبة ، وذكّر بعيدا على ما وصفت ، ولو كان القريب من القرابة فى النسب لم يكن مع المؤنث إلا مؤنثا ، ومع الجمع إلا مجموعا . وكان بعض نحويى البصرة يقول : ذُكِّر قريب وهو صفة للرحمة ، وذلك كقول العرب : ريح خريق ، وملحفة جديد ، وشاة سديس . قال : وإن شئت قلت : تفسير الرحمة ههنا المطر ونحوه ، فلذلك ذكر كما قال (وَإِنْ كَانَ طَائِفَةٌ مِنْكُمْ آمَنُوا) فذكّر لأنه أراد الناس ، وإن شئت جعلته كبعض مايذكرون من المؤنث ، كقول الشاعر :

وَلا أَرْضَ أَبْقَلَ إِبْقَالَهَا[٢]

وقد أنكر ذلك من قيله بعض أهل العربية ، ورأى أنه يلزمه إن جاز أن يذكر قريبا توجيها منه للرحمة إلى معنى المطر أن يقول : هند قام توجيها منه لهند ، وهى امرأة إلى معنى إنسان ، ورأى أن ما شبه به قوله (إِنَّ رَحْمَةَ اللهِ قَرِيبٌ مِنَ الْمُحْسِنِينَ) بقوله (وَإِنْ كَانَ طَائِفَةٌ مِنْكُمْ آمَنُوا) غير مشبهه ، وذلك أن الطائفة فيما زعم مصدر بمعنى الطيف ، كما الصيحة والصياح بمعنى ، ولذلك قيل (وَأَخَذَ الَّذِينَ ظَلَمُوا الصَّيْحَةُ) .

---

(١) البيت أنشده صاحب اللسان فى (قرب) لكن مع اختلاف فى روايته عن رواية المؤلف ، وهاكها :

لَيَالِىَ لاعَفْرَاءُ مِنْكَ بَعِيدَةٌ فَتَسْلَى وَلاعَفْرَاءُ مِنْكَ قَرِيبُ

وقد ذكر صاحب اللسان اختلاف اللغويين فى دخول التاء فى مؤنث قريب وبعيد ، وكل ما كان على وزن فعيل ، أو عدم دخوله مستقصى . ومنه ما نقله عن ابن السكيت ، قال : تقول العرب : هو قريب منى ، وهما قريب منى ، وهم قريب منى ، وكذلك المؤنث : هى قريب منى ، وهى بعيد منى ، وهما بعيد ، وهن بعيد منى وقريب ، فتوحد قريبا وتذكره لأنه إن كان مرفوعا فإنه فى تأويل : هو فى مكان قريب منى . وقال الله تعالى : « إن رحمة الله قريب من المحسنين » . وقد يجوز قريبة وبعيدة بالهاء ، تنبيها على قربت وبعدت ، فن أنثها فى المؤنث ثنى وجمع ، وأنشد . . . (بيت الشاهد الذى أورده المؤلف مع اختلاف الرواية) .

(٢) هذا عجز بيت لعامر بن جوين الطائى : (اللسان فى بقل والكتاب لسيبويه ١ : ٢٤٠ — وصدره فيهما : فلا مزنة ودقت ودقها) . قال الأعلم الشنتمرى فى شرح هذا البيت : الشاهد فيه : حذف التاء من أبقلت ، لأن الأرض بمعنى المكان ، فكأنه قال : ولا مكان أبقل إبقالها . وصف أرضا مخصبة لكثرة ما نزل بها من الغيث . والودق : المطر . والمزنة : السحابة . ويروى : « أبقلت إبقالها » بتخفيف الهمزة ، ولا ضرورة فيه على هذا . اهـ . وقال فى اللسان : ولم يقل أبقلت ، لأن تأنيث الأرض ليس بتأنيث حقيقى اهـ .

القول فى تأويل قوله تعالى:

﴿وَهُوَ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيَاحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ حَتَّىٰ إِذَا أَقَلَّتْ سَحَابًا ثِقَالًا سُقْنَاهُ لِبَلَدٍ مَّيِّتٍ فَأَنزَلْنَا بِهِ الْمَاءَ فَأَخْرَجْنَا بِهِ مِن كُلِّ الثَّمَرَاتِ كَذَٰلِكَ نُخْرِجُ الْمَوْتَىٰ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ ﴿٥٧﴾

✲ يقول تعالى ذكره: إن ربكم الذى خلق السموات والأرض والشمس والقمر والنجوم مسخرات بأمره (هُوَ الَّذِى يُرْسِلُ الرِّيَاحُ نَشْرًا بينَ يَدَىْ رَحْمَتِهِ) والنشر بفتح النون وسكون الشين فى كلام العرب من الرياح الطيبة اللينة الهبوب التى تنشئ السحاب، وكذلك كلّ ريح طيبة عندهم فهى نشر؛ ومنه قول امرئ القيس:

كأنّ المُدَامَ وَصَوْبَ الغَمامِ ... وريحَ الخُزَامَى وَنَشْرَ القُطُرْ[١]

وبهذه القراءة قرأ ذلك عامة قرّاء الكوفيين خلا عاصم بن أبى النجود، فإنه كان يقرؤه (بُشْرًا) على اختلاف عنه فيه، فروى ذلك بعضهم عنه (بُشْرًا) بالباء وضمها وسكون الشين، وبعضهم بالباء وضمها وضمّ الشين، وكان يتأوّل فى قراءته ذلك كذلك قوله (وَمِنْ آياتِهِ أن يُرْسِلَ الرِّياحَ مُبَشِّراتٍ): تبشر بالمطر، وأنه جمع بشير بُشُرا، كما يجمع النذير نُذرا. وأما قرّاء المدينة وعامة المكيين والبصريين، فإنهم قرءوا ذلك (وَهُوَ الَّذِى يُرْسِلُ الرِّيَاحَ نُشْرًا) بضم النون والشين، بمعنى جمع نشور جمع نشرا، كما يجمع الصبور صُبُرا، والشكور شكرا، وكان بعض أهل العلم بكلام العرب يقول: معناها إذا قرئت كذلك أنها الريح التى تهبّ من كلّ ناحية، وتجىء من كلّ وجه. وكان بعضهم يقول: إذا قرئت بضمّ النون فينبغى أن تسكن شينها، لأن ذلك لغة بمعنى النشر بالفتح. وقال العرب: تضمّ النون من النشر أحيانا، وتفتح أحيانا بمعنى واحد، قال: فاختلاف القرّاء فى ذلك على قدر اختلافها فى لغتها فيه، وكان يقول: هو نظير الخسف والخُسف بفتح الخاء وضمها.

✲ والصواب من القول فى ذلك أن يقال: إن قراءة من قرأ ذلك نَشْرًا وَنُشُرًا بفتح النون وسكون الشين وبضمّ النون والشين قراءتان مشهورتان فى قرأة الأمصار، فلا أحبّ القراءة بها[٢]، وإن كان لها معنى صحيح ووجه مفهوم فى المعنى والإعراب لما ذكرنا من العلة.

---

(١) البيت فى ديوان امرئ القيس (مختار الشعر الجاهلى طبعة الحلبى ص ١١٧). والمدام: الخمر. والغمام: السحاب. وصوبه: وقعه. والخزامى: خيرى البر، وهى عشبة طويلة العيدان، صغيرة الورق، حمراء الزهرة، طيبة الريح، لها نور كنور البنفسج. والقطر بضم القاف والطاء: العود الذى يتبخر به. والنشر: الرائحة. وخبر كأن فى البيت الذى بعده، وهو:

يُعَلُّ بِهِ بَرْدُ أنيابِهَا ... إذَا طَرَّبَ الطَّائِرُ المُسْتَحِرْ

ويعل به: يسقى به مرة بعد مرة. وطرب: تغنى ورجع فى صوته، وحسنه ومده. والمستحر: المغرد بالسحر. أى هى طيبة ريح الفم فى الوقت الذى تتغير فيه الأفواه، وإنما تتغير بعد النوم.

(٢) قوله «فلا أحب الخ» يظهر أن قبله سقطا، ولعله: وأما قراءة الباء فلا أحب الخ.

وأما قوله (بينَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ) فإنه يقول : قدام رحمته وأمامها ؛ والعرب كذلك تقول لكلّ شيء حدث قدّام شيء وأمامه جاء بين يديه ، لأن ذلك من كلامهم جرى في أخبارهم عن بني آدم ، وكثر استعماله فيهم حتى قالوا ذلك في غير ابن آدم وما لا يد له . والرحمة التي ذكرها جلّ ثناؤه في هذا الموضع المطر.

فمعنى الكلام إذن : والله الذي يرسل الرياح لينا هبوبها ، طيبا نسيمها ، أمام غيثه الذي يسوقه بها إلى خلقه ، فينشئ بها سحابا ثقالا ، حتى إذا أقلّتها ، والإقلال بها : حملها ، كما يقال : استقلّ البعير بحمله، وأقله : إذا حمله فقام به ، ساقه الله لإحياء بلد ميت قد تعفت مزارعه ، ودرست مشاربه ، وأجدب أهله، فأنزل به المطر ، وأخرج به من كلّ الثمرات .

وبنحو الذي قلنا في ذلك ، قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن الحسين ، قال : ثنا أحمد بن المفضل ، قال : ثنا أسباط عن السديّ (وَهُوَ الَّذِي يُرسِلُ الرِّيَاحَ نُشْرًا بينَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ) . . . إلى قوله (لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ) قال : إن الله يرسل الريح ، فتأتي بالسحاب من بين الخافقين طرف السماء والأرض من حيث يلتقيان ، فيخرجه من ثم ، ثم ينشره فيبسطه في السماء كيف يشاء ، ثم يفتح أبواب السماء ، فيسيل الماء على السحاب ، ثم يمطر السحاب بعد ذلك . وأما رحمته : فهو المطر .

وأما قوله (كذلكَ نُخْرِجُ المَوْتَى لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ) فإنه يقول تعالى ذكره : كما نحيي هذا البلد الميت بما ننزل به من الماء الذي ننزله من السحاب ، فنخرج به من الثمرات بعد موته وجدوبته وقحوط أهله ، كذلك نخرج الموتى من قبورهم أحياء بعد فنائهم ، ودروس آثارهم (لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ) يقول تعالى ذكره للمشركين به من عبدة الأصنام ، المكذّبين بالبعث بعد الممات ، المنكرين للثواب والعقاب : ضربت لكم أيها القوم هذا المثل الذي ذكرت لكم من إحياء البلد الميت بقطر المطر الذي يأتي به السحاب ، الذي تنشره الرياح التي وصفت صفتها لتعتبروا ، فتذكروا وتعلموا أن من كان ذلك من قدرته فيسير في إحياء الموتى بعد فنائها ، وإعادتها خلقا سويا بعد دروسها .

وبنحو ما قلنا في ذلك ، قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن الحسين ، قال : ثنا أحمد بن المفضل ، قال : ثنا أسباط ، عن السديّ ، قوله (كذلكَ نُخْرِجُ المَوْتَى لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ) وكذلك تخرجون ، وكذلك النشور ، كما نخرج الزرع بالماء .

وقال أبوهريرة : « إن الناس إذا ماتوا في النفخة الأولى أمطر عليهم من ماء تحت العرش يُدعى ماء الحيوان أربعين سنة فينبتون كما ينبت الزرع من الماء ، حتى إذا استكملت أجسامهم ، نفخ فيهم الروح ، ثم يلقى عليهم نومة ، فينامون في قبورهم ، فإذا نُفخ في الصور الثانية ، عاشوا وهم يجدون طعم النوم

فى رءوسهم وأعينهم ، كما يجد النائم حين يستيقظ من نومه ، فعند ذلك يقولون (يا وَيْلَنا مَنْ بَعَثَنا مِنْ مَرْقَدِنا) فناداهم المنادى (هَذا ما وَعَدَ الرَّحْمَنُ وَصَدَقَ المُرْسَلُونَ) » .

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبوعاصم ، قال : ثنا عيسى ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، فى قول الله (كذلكَ نُخْرِجُ المَوْتَى) قال : إذا أراد الله أن يخرج الموتى أمطر السماء حتى تتشقق عنهم الأرض ، ثم يرسل الأرواح فتعود كل روح إلى جسدها ، فكذلك يحيى الله الموتى بالمطر كإحيائه الأرض .

القول في تأويل قوله تعالى :

وَالْبَلَدُ الطَّيِّبُ يَخْرُجُ نَبَاتُهُ بِإِذْنِ رَبِّهِ وَالَّذِي خَبُثَ لَا يَخْرُجُ إِلَّا نَكِدًا كَذَلِكَ نُصَرِّفُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَشْكُرُونَ ﴿٥٨﴾

يقول تعالى ذكره : والبلد الطيبة تربته ، العذبة مشاربه ، يخرج نباته إذا أنزل الله الغيث ، وأرسل عليه الحيا باذنه طيبا ثمره فى حينه ووقته (وَالَّذِى خَبُثَ) فردؤت تربته ، وملحت مشاربه (لا يَخْرُجُ) نباته (إلاَّ نَكِداً) يقول : إلا عسرا فى شدة ، كما قال الشاعر :

لاتُنْجِزُ الوَعْدَ إنْ وَعَدْتَ وَإنْ ... أعْطَيْتَ أعْطَيْتَ تافِها نَكِدا[1]

يعنى بالتافه : القليل ، وبالنكد : العسر ، يقال منه : نكد ينكد نكدا ونكدا ، فهو نكَد ونكِد ، والنكد المصدر ، ومن أمثالهم نكدا وجحدا ونكدا وجحدا ، والجحد : الشدة والضيق ، ويقال إذا شفه وسئل قد نكدوه ينكدونه نكدا ، كما قال الشاعر :

وأعْطِ ما أعْطَيْتَهُ طَيِّبا ... لاخيرَ فى المَنْكُودِ والنَّاكِدِ[2]

واختلفت القراء فى قراءة ذلك ؛ فقرأه بعض أهل المدينة (إلاَّ نَكَداً) بفتح الكاف ، وقرأه بعض الكوفيين بسكون الكاف (نَكْداً) ، وخالفهما بعد سائر القراء فى الأمصار ، فقرءوه إلا نكدا بكسر الكاف ، كأن من قرأه (نَكَداً) بنصب الكاف أراد المصدر ، وكأن من قرأه بسكون الكاف أراد كسرها فسكنها على لغة من قال : هذه فخْذ وكتْد ، وكان الذى يجب عليه إذا أراد ذلك أن يكسر النون من نكد حتى يكون قد أصاب القياس .

قال أبو جعفر : والصواب من القراءة فى ذلك عندنا قراءة من قرأه (نَكِداً) بفتح النون وكسر الكاف

(١) النكد : العطاء القليل . ونكد عيشهم بكسر الكاف ينكد نكدا : اشتد . ونكد الرجل : قلل العطاء ، أو لم يعط البتة . (اللسان : نكد) .

(٢) البيت فى (اللسان : نكد) : والنكد والنكد ، بضم النون وفتحها مع سكون الكاف فيهما : قلة العطاء ، وأن لا يهنأه من يعطاه ، وأنشد : وأعط . . . البيت . ونكده ما سأله . بفتح الكاف : ينكده ، بضمها ، نكدا : لم يعطه منه إلا أقله . أنشد ابن الأعرابى :

مِنَ البِيضِ تُرْغِينا سِقاطَ حَدِيثِها ... وَتَنْكُدُنا لَهْوَ الحَدِيثِ المُمَنَّعِ

ترغينا : تعطينا منه ما ليس بصريح . ونكده حاجته : منعه إياها .

لإجماع الحجة من قرّاء الأمصار عليه ، وقوله (كذلكَ نُصَرِّفُ الآياتِ لِقَوْمٍ يَشْكُرُونَ) يقول : كذلك نبين آية بعد آية ، ولدلى بحجة بعد حجة ، ونضرب مثلا بعد مثل ، لقوم يشكرون الله على إنعامه عليهم بالهداية ، وتبصيره إياهم سبيل أهل الضلالة ، باتباعهم ما أمرهم باتباعه ، وتجنبهم ما أمرهم بتجنبه من سبل الضلالة ، وهذا مثل ضربه الله للمؤمن والكافر ، فالبلد الطيب الذى يخرج نباته باذن ربه مثل للمؤمن ، والذى خبث فلا يخرج نباته إلا نَكِدا مثل للكافر .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك ، قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنى المثنى ، قال : ثنا عبدالله بن صالح ، قال : ثنى معاوية بن صالح عن علىّ عن ابن عباس قوله (وَالبَلَدُ الطَّيِّبُ يَخْرُجُ نَبَاتُهُ بإذْنِ رَبِّهِ ،وَالَّذِى خَبُثَ لاَيَخْرُجُ إلاَّ نَكِداً) فهذا مثل ضربه الله للمؤمن ، يقول : هو طيب وعمله طيب ، كما البلد الطيب ثمره طيب ، ثم ضرب مثل الكافر كالبلدة السبخة المالحة التى لاتخرج منها البركة ، فالكافر هو الخبيث ، وعمله خبيث .

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ، عن ابن أبى نجيح، عن مجاهد ، فىقول الله (وَالبَلَدُ الطَّيِّبُ ـ والَّذِى خَبُثَ) قال : كلّ ذلك من أرض السباخ وغيرها مثل آدم وذرّيته ، فيهم طيب وخبيث .

حدثنى المثنى ، قال : ثنا أبوحذيفة ، قال : ثنا شبل ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، بنحوه .

حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة (وَالبَلَدُ الطَّيِّبُ يَخْرُجُ نَبَاتُهُ بإذْنِ رَبِّهِ ، وَالَّذِى خَبُثَ لاَيَخْرُجُ إلاَّ نَكِداً) قال : هذا مثل ضربه الله فى الكافر والمؤمن .

حدثنى محمد بن الحسين ، قال : ثنا أحمد ، يعنى ابن المفضل ، قال : ثنا أسباط ، عن السدىّ (وَالبَلَدُ الطَّيِّبُ يَخْرُجُ نَبَاتُهُ بإذْنِ رَبِّهِ ، وَالَّذِى خَبُثَ) هى السبخة (لاَيَخْرُجُ) نباتها (إلاَّ نَكِداً) ، والنكِد : الشىء القليل الذى لاينفع كذلك القلوب لما نزل القرآن ، فالقلب المؤمن لما دخله القرآن آمن به ، وثبت الإيمان فيه ؛ والقلب الكافر لما دخله القرآن لم يتعلق منه بشىء ينفعه ، ولم يثبت فيه من الإيمان شىء إلا ما لاينفع ، كما لم يخرج هذا البلد إلا ما لاينفع من النبات .

حدثنى الحرث ، قال : ثنا عبد العزيز ، قال : ثنا أبوسعد ، عن مجاهد (وَالبَلَدُ الطَّيِّبُ يَخْرُجُ نَبَاتُهُ بإذْنِ رَبِّهِ ، وَالَّذِى خَبُثَ لاَيَخْرُجُ إلاَّ نَكِداً) قال : الطيب ينفعه المطر فينبت ، والذى خبث السباخ لاينفعه المطر لايخرج نباته إلا نكدا ، قال : هذا مثل ضربه الله لآدم وذرّيته كلهم ، إنما خلقوا من نفس واحدة ، فمنهم من آمن بالله وكتابه فطاب ؛ ومنهم من كفر بالله وكتابه فخبُث .

القول في تأويل قوله تعالى :

﴿ لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ فَقَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ إِنِّىٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴾ ٥٩

❁ أقسم ربنا جلّ ثناؤه للمخاطبين بهذه الآية أنه أرسل نوحا إلى قومه منذرهم بأسه ، ومخوّفهم سخطه على عبادتهم غيره ، فقال لمن كفر منهم : (يا قَوْمِ اعْبُدُوا اللهَ) الذى له العبادة ، وذلوا له بالطاعة واخضعوا له بالاستكانة ، ودعوا عبادة ما سواه من الأنداد والآلهة ، فإنه ليس لكم معبود يستوجب عليكم العبادة غيره ، فانى أخاف عليكم إن لم تفعلوا ذلك (عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ) يعنى : عذاب يوم يعظم فيه بلاؤكم بمجيئه إياكم بسخط ربكم .

وقد اختلفت القرّاء فى قراءة قوله (غَيْرُهُ) فقرأ ذلك بعض أهل المدينة والكوفة (مالَكُمْ مِنْ إلَهٍ غيرِه)بخفض غير على النعت للإله ؛ وقرأه جماعة من أهل المدينة والبصرة والكوفة (مَالَكُمْ مِنْ إلَهٍ غَيْرُهُ) برفع غيرُ ، ردّ الهاء على موضع « من » ، لأن موضعها رفع لو نزعت من الكلام لكان الكلام رفعاً ، وقيل : ما لكم إله غير الله ، فالعرب لما وصفت من أن المعلوم بالكلام [1] أدخلت « من » فيه أو أخرجت ، وإنها تدخلها أحيانا فى مثل هذا من الكلام وتخرجها منه أحيانا تردّ مانعتت به الاسم الذى عملت فيه على لفظه ، فاذا خفضت فعلى كلام واحد ، لأنها نعت للإله ؛ وأما إذا رفعت ، فعلى كلامين [2] مالكم غيره من إله ، وهذا قول يستضعفه أهل العربية .

القول في تأويل قوله تعالى

﴿ قَالَ ٱلْمَلَأُ مِن قَوْمِهِۦٓ إِنَّا لَنَرَىٰكَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴾ ٦٠

❁ وهذا خبر من الله جلّ ثناؤه عن جواب مشركى قوم نوح لنوح ، وهم الملأ ، والملأ : الجماعة من الرجال لاامرأة فيهم ، أنهم قالوا له حين دعاهم إلى عبادة الله وحده لاشريك له (إنَّا لَنَرَاكَ) يانوح (فِى ضَلالٍ مُبِينٍ) يعنون : فى أمر زائل عن الحقّ ، مبين زواله عن قصد الحدّ لمن تأمّله .

القول في تأويل قوله تعالى :

﴿ قَالَ يَٰقَوْمِ لَيْسَ بِى ضَلَٰلَةٌ وَلَٰكِنِّى رَسُولٌ مِّن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ ٦١

❁ يقول تعالى ذكره : قال نوح لقومه مجيبا لهم : ياقوم لم آمركم بما أمرتكم به من إخلاص التوحيد لله ، وإفراده بالطاعة دون الأنداد والآلهة زوالا منى عن محجة الحقّ ، وضلالا لسبيل الصواب ، وما بى ماتظنون

(١) كذا فى الأصل المخطوط رقم ١٠٠ . وفى العبارة قلق واضطراب . ويلوح لى أن « أن » التى بعد من مقحمة ، وبحذفها يستقيم الكلام . والذى فى معانى القرآن للفراء فى هذا الموضع : « تجعل غير نعتا للإله ، وقد يرفع بجعله تابعا للتأويل فى إله ، ألا ترى أن الإله لو نزعت منه « من » كان رفعا وقد قرئ بالوجهين جميعا » .

(٢) فى إملاء مامن به الرحمن للعكبرى : « غيره : بالرفع يجوز فيه وجهان : أحدهما هو صفة لإله على الموضع ، والثانى : هو بدل من الموضع ، مثل لاإله إلا الله . ويقرأ بالنصب على الاستثناء ، وبالجر صفة على اللفظ » . اه . قلت : وعلى تقدير البدلية يكون البدل من جملة أخرى ، فيتضح كلام المؤلف .

من الضلال ، ولكنى رسول إليكم من ربّ العالمين بما أمرتكم به من إفراده بالطاعة ، والإقرار له بالوحدانية والبراءة من الأنداد والآلهة :

القول في تأويل قوله تعالى:

أُبَلِّغُكُمْ رِسَالَاتِ رَبِّي وَأَنصَحُ لَكُمْ وَأَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٦٢﴾

❊ وهذا خبر من الله جلّ ثناؤه عن نبيه نوح عليه السلام أنه قال لقومه الذين كفروا بالله وكذّبوه : ولكنى رسول من ربّ العالمين أرسلنى إليكم ، فأنا أبلغكم رسالات ربى ، وأنصح لكم فى تحذيرى إياكم عقاب الله على كفركم به ، وتكذيبكم إياى ، وردّكم نصيحتى (وأَعْلَمُ مِنَ اللهِ ما لاتَعْلَمُونَ) : من أن عقابه لايردّ عن القوم المجرمين .

القول في تأويل قوله تعالى:

أَوَعَجِبْتُمْ أَن جَاءَكُمْ ذِكْرٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنكُمْ لِيُنذِرَكُمْ وَلِتَتَّقُوا وَلَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿٦٣﴾

❊ وهذا أيضا خبر من الله عزّ ذكره عن قيل نوح لقومه أنه قال لهم إذا ردّوا عليه النصيحة فى الله ، وأنكروا أن يكون الله بعثه نبيا ، وقالوا له(ما نَرَاكَ إلاَّ بَشَرًا مِثْلَنا ، وَما نَرَاكَ اتَّبَعَكَ إلاَّ الَّذِينَ هُمْ أَراذِلُنا بادِىَ الرَّأْيِ ، وَمانَرَى لَكُمْ عَلَيْنا مِنْ فَضْلٍ بَلْ نَظُنُّكُمْ كاذِبِينَ) (أَوَعَجِبْتُمْ أنْ جاءَكُمْ ذِكْرٌ مِنْ رَبِّكُمْ) يقول : أوعجبتم أن جاءكم تذكير من الله وعظة ، يذكركم بما أنزل ربكم على رجل منكم ، قيل : معنى قوله (على رَجُلٍ مِنْكُمْ) مع رجل منكم (لِيُنْذِرَكُمْ) يقول : لينذركم بأس الله ، ويخوّفكم عقابه على كفركم به (وَلِتَتَّقُوا) يقول : وكى تتقوا عقاب الله وبأسه ، بتوحيده وإخلاص الإيمان به والعمل بطاعته . (ولَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ) يقول : وليرحمكم ربكم إن اتّقيتم الله وخفتموه وحذّرتم بأسه. وفُتحت الواو من قوله(أَوَعَجِبْتُمْ)لأنها واو عطف دخلت عليها ألف استفهام .

القول في تأويل قوله تعالى:

فَكَذَّبُوهُ فَأَنجَيْنَاهُ وَالَّذِينَ مَعَهُ فِي الْفُلْكِ وَأَغْرَقْنَا الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا عَمِينَ ﴿٦٤﴾

❊ يقول تعالى ذكره : فكذّب نوحا قومُه ، إذ أخبرهم أنه لله رسول إليهم يأمرهم بخلع الأنداد والإقرار بوحدانية الله ، والعمل بطاعته ، وخالفوا أمر ربهم ، ولجوا فى طغيانهم يعمهون ، فأنجاه الله فى الفلك والذين معه من المؤمنين به ، وكانوا بنوح عليه السلام ثلاث عشرة ، فيما حدثنى به ابن حميد ،

قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق : نوح وبنوه الثلاثة : سام ، وحام ، ويافث وأزواجهم ، وستة أناسيّ ممن كان آمن به ، وكان حمل معه فى الفُلك من كلّ زوجين اثنين ، كما قال تبارك وتعالى (وَمَنْ آمَنَ ، وَما آمَنَ مَعَهُ إلاَّ قَلِيلٌ) والفُلك : هو السفينة (وأغْرَقْنا الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآياتِنا) يقول : وأغرق الله الذين كذّبوا بحججه ، ولم يتبعوا رسله ، ولم يقبلوا نصيحته إياهم فى الله بالطوفان (إنَّهُمْ كانُوا قَوْماً عَمِينَ) يقول : عمين عن الحقّ .

كما حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبوعاصم ، قال : ثنا عيسى ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، فى قول الله (عَمِينَ) قال : عن الحقّ .

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد فى قوله (قَوْماً عَمِينَ) قال : العَمِى : العامى عن الحقّ .

القول في تأويل قوله تعالى :

* ﴿ وَإِلَىٰ عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًا ۗ قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ ۚ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴾ ٦٥

❊ يقول تعالى ذكره : ولقد أرسلنا إلى عاد أخاهم هودا ، ولذلك نصب هودا ، لأنه معطوف به على نوح عليهما السلام ، قال هود : يا قوم اعبدوا الله ، فأفردوا له العبادة ، ولا تجعلوا معه إلها غيره ، فإنه ليس لكم إله غيره ، أفلا تتقون ربكم فتحذرونه ، وتخافون عقابه بعبادتكم غيره ، وهو خالقكم ورازقكم دون كلّ ما سواه .

القول في تأويل قوله تعالى :

﴿ قَالَ ٱلْمَلَأُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن قَوْمِهِۦٓ إِنَّا لَنَرَىٰكَ فِى سَفَاهَةٍ وَإِنَّا لَنَظُنُّكَ مِنَ ٱلْكَٰذِبِينَ ﴾ ٦٦ ﴿ قَالَ يَٰقَوْمِ لَيْسَ بِى سَفَاهَةٌ وَلَٰكِنِّى رَسُولٌ مِّن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ ٦٧

❊ يقول تعالى ذكره مخبرا عما أجاب هودا به قومه الذين كفروا بالله : قال الملأ الذين كفروا : يعنى الذين جحدوا توحيد الله ، وأنكروا رسالة هود إليهم (إنا لَنَراكَ) ياهود (فِى سَفاهَةٍ) يعنون فى ضلالة عن الحقّ والصواب ، بتركك ديننا ، وعبادة آلهتنا (وَإنَّا لَنَظُنُّكَ مِنَ الكاذِبِينَ) فى قيلك إنى رسول من ربّ العالمين . (قالَ ياقَوْمِ لَيْسَ بِى سَفاهَةٌ) : يقول : أى ضلالة عن الحقّ والصواب (وَلَكِنِّى رَسُولٌ مِنْ رَبِّ العالَمِينَ) أرسلنى ، فأنا أبلغكم رسالات ربى ، وأؤدّيها إليكم كما أمرنى أن أؤديها .

القول في تأويل قوله تعالى :

﴿ أُبَلِّغُكُمْ رِسَٰلَٰتِ رَبِّى وَأَنَا۠ لَكُمْ نَاصِحٌ أَمِينٌ ﴾ ٦٨ ﴿ أَوَعَجِبْتُمْ أَن جَآءَكُمْ ذِكْرٌ مِّن رَّبِّكُمْ

عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنكُمْ لِيُنذِرَكُمْ وَاذْكُرُوٓاْ إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَآءَ مِنۢ بَعْدِ قَوْمِ نُوحٍ وَزَادَكُمْ فِي ٱلْخَلْقِ بَصْطَةً فَٱذْكُرُوٓاْ ءَالَآءَ ٱللَّهِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٦٩﴾

يعني بقوله (أُبَلِّغُكُمْ رِسالاتِ رَبِّي): أودّي ذلك إليكم أيها القوم. (وأنا لَكُمْ ناصِحٌ): يقول: وأنا لكم في أمري إياكم بعبادة الله دون ما سواه من الأنداد والآلهة، ودعائكم إلى تصديقي فيما جئتكم به من عند الله، ناصح، فاقبلوا نصيحتي، فإني أمين على وحي الله، وعلى ما ائتمنني الله عليه من الرسالة. لا أكذب فيه، ولا أزيد، ولا أبدّل، بل أبلغ ما أمرت به كما أمرت. (أَوَ عَجِبْتُمْ أَنْ جاءَكُمْ ذِكْرٌ مِنْ رَبِّكُمْ على رَجُلٍ مِنْكُمْ لِيُنْذِرَكُمْ) يقول: أوَ عجبتم أن أنزل الله وحيه بتذكيركم وعظتكم على ما أنتم عليه مقيمون من الضلالة، على رجل منكم، لينذركم بأس الله، ويخوّفكم عقابه. (وَاذْكُرُوا إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفاءَ مِنْ بَعْدِ قَوْمِ نُوحٍ) يقول: فاتقوا الله في أنفسكم، واذكروا ما حلّ بقوم نوح من العذاب إذ عصَوا رسولهم. وكفروا بربهم، فإنكم إنما جعلكم ربكم خلفاء في الأرض منهم، لما أهلكهم أبدلكم منهم فيها، فاتقوا الله أن يحل بكم نظير ما حلّ بهم من العقوبة، فيهلككم، ويبدل منكم غيركم، سنته في قوم نوح قبلكم على معصيتكم إياه، وكفركم به. (وَزَادَكُمْ فِي الخَلْقِ بَسْطَةً): زاد في أجسامكم طولا وعِظَما على أجسام قوم نوح، وفي قَوامكم على قَوامهم، نعمة منه بذلك عليكم، فاذكروا نعمه وفضله، الذي فضّلكم به عليهم، في أجسامكم وقَوامكم، واشكروا الله على ذلك بإخلاص العبادة له، وترك الإشراك به، وهجر الأوثان والأنداد (لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ) يقول: كي تفلحوا، فتدركوا الخلود والبقاء في النعيم في الآخرة، وتنجحوا في طلباتكم عنده.

وبنحو الذي قلنا في تأويل قوله (وَاذْكُرُوا إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفاءَ مِنْ بَعْدِ قَوْمِ نُوحٍ) قال أهل التأويل.

ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن الحسين، قال: ثنا أحمد بن المفضل، قال: ثنا أسباط، عن السدىّ (وَاذْكُرُوا إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفاءَ مِنْ بَعْدِ قَوْمِ نُوحٍ) يقول: ذهب بقوم نوح، واستخلفكم من بعدهم.

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا سلمة، عن ابن إسحاق (وَاذْكُرُوا إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفاءَ مِنْ بَعْدِ قَوْمِ نُوحٍ): أي ساكني الأرض بعد قوم نوح.

وبنحو الذي قلنا أيضا، قالوا في تأويل قوله (بَسْطَةً).

ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن الحسين، قال: ثنا أحمد بن المفضل، قال: ثنا أسباط، عن السدىّ (وَزَادَكُمْ فِي الخَلْقِ بَسْطَةً) قال: ما لقوام قوم عاد. وأما الآلاء فإنها جمع، واحدها: إلى بكسر الألف

فى تقدير معَى ، ويقال : ألى فى تقدير قَفاً بفتح الألف . وقد حُكى سماعا من العرب إلى مِثْل حِسْى .
والآلاء : النعم ، وكذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر بن معاذ ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (فاذْكُرُوا آلاءَ اللهِ) أى نعم الله .

حدثنى محمد بن الحسين ، قال : ثنا أحمد بن المفضل ، قال : ثنا أسباط ، عن السدىّ ، أما (آلاءَ اللهِ) فنعم الله .

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله (فاذْكُرُوا آلاءَ اللهِ) قال : آلاؤه : نعمه .

❊ قال أبوجعفر : وعاد هؤلاء القوم الذين وصف الله صفتهم ، وبعث إليهم هودا يدعوهم إلى توحيد الله واتباع ما أتاهم به من عنده .

هم فيما حدثنا به ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ولد عاد بن إرم بن عوص بن سام بن نوح وكانت مساكنهم الشِّحْر من أرض اليمن ، وما والى بلاد حضرموت إلى عُمان .

كما حدثنى محمد بن الحسين ، قال : ثنا أحمد بن المفضل ، قال : ثنا أسباط ، عن السُّدىّ : إن عادا قوم كانوا باليمن بالأحقاف .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، قال : ثنا ابن إسحاق ، عن محمد بن عبد الله بن أبى سعيد الخزاعى ، عن أبى الطفيل عامر بن واثلة ، قال : سمعت علىّ بن أبى طالب عليه السلام يقول لرجل من حضرموت : هل رأيت كثيبا أحمر يخالطه مدرة حمراء ذا أراك وسدر كثير بناحية كذا وكذا من أرض حضرموت ، هل رأيته ؟ قال : نعم يا أمير المؤمنين ، والله إنك لتنعته نعت رجل قد رآه ، قال : لا ، ولكنى قد حُدثت عنه ، فقال الحضرمىّ : وما شأنه يا أمير المؤمنين ؟ قال : فيه قبر هود صلوات الله عليه .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، قال : كانت منازل عاد وجماعتهم حين بعث الله فيهم هودا الأحقاف ، قال : والأحقاف : الرمل فيما بين عمان إلى حضرموت باليمن ، وكانوا مع ذلك قد فشوا فى الأرض كلها ، وقهروا أهلها بفضل قوّتهم التى آتاهم الله ، وكانوا أصحاب أوثان يعبدونها من دون الله : صنم يقال له صُداء ، وصنم يقال له صمود ، وصنم يقال له الهباء ، فبعث الله إليهم هودا ، وهو من أوسطهم نسبا ، وأفضلهم موضعا ، فأمرهم أن يوحدوا الله ، ولا يجعلوا معه إلها غيره ، وأن يكفوا عن ظلم الناس ، ولم يأمرهم فيما يُذكر والله أعلم بغير ذلك ، فأبوا عليه وكذّبوه ، وقالوا : من أشدّ منا قوّة ، واتبعه منهم ناس وهم يسير ، يكتمون إيمانهم ، وكان ممن آمن به وصدّقه رجل من عاد يقال له مرثد بن سعد بن عفير ، وكان يكتم إيمانه : فلما عتوا على الله وكذّبوا نبيهم ، وأكثروا فى الأرض الفساد ، وتجبروا وبنوا بكلّ ريع آية عبثا بغير نفع ، كلمهم هود ، فقال (أَتَبْنُونَ بِكُلِّ رِيعٍ آيَةً تَعْبَثُونَ ،

٢٨ — ٨

وَتَتَّخِذُونَ مَصَانِعَ لَعَلَّكُمْ تَخْلُدُونَ ، وَإِذَا بَطَشْتُمْ بَطَشْتُمْ جَبَّارِينَ ، فَاتَّقُوا اللهَ وأطِيعُونِ) (قالُوا يا هُودُ ما جِئْتَنا بِبَيِّنَةٍ ، وَما نَحْنُ بِتارِكِي آلِهَتِنا عَنْ قَوْلِكَ ، وَما نَحْنُ لَكَ بِمُؤْمِنِينَ . إنْ نَقُولُ إلا اعْتَرَاكَ بَعْضُ آلِهَتِنا بِسُوءٍ) : أى ما هذا الذى جئتنا به إلا جنون أصابك به بعض آلهتنا هذه التى تعيب ، (قال : إنّى أُشْهِدُ اللهَ وَاشْهَدُوا أنّى بَرِيءٌ مِمَّا تُشْرِكُونَ مِنْ دُونِهِ ، فَكِيدُونِي جَمِيعا ثُمّ لاتُنْظِرُونِ) . . . إلى قوله (صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ) ؛ فلما فعلوا ذلك أمسك الله عنهم المطر من السماء ثلاث سنين فيما يزعمون ، حتى جهدهم ذلك ، وكان الناس فى ذلك الزمان إذا نزل بهم بلاء أو جهد ، فطلبوا إلى الله الفرج منه ، كانت طلبتهم إلى الله عند بيته الحرام بمكة ، مسلمهم ومشركهم ، فيجتمع بمكة ناس كثير شتى ، مختلفة أديانهم ، وكلهم معظّم لمكة ، يعرف حرمتها ، ومكانها من الله . قال ابن إسحاق : وكان البيت فى ذلك الزمان معروفا مكانه ، والحرم قائما فيما يذكرون ، وأهل مكة يومئذ العماليق ؛ وإنما سموا العماليق ، لأن أباهم عمليق بن لاوذ بن سام بن نوح ، وكان سيدُ العماليق إذ ذاك بمكة فيما يزعمون رجلا يقال له : معاوية بن بكر ، وكان أبوه حيا فى ذلك الزمان ولكنه كان قد كبر ، وكان ابنه يرأس قومه ، وكان السؤدد والشرف من العماليق فيما يزعمون فى أهل ذلك البيت ، وكانت أمّ معاوية بن بكر كلهدة ابنة الخيبرى رجل من عاد ؛ فلما قحط المطر عن عاد وجهدوا ، قالوا : جهزوا منكم وفدا إلى مكة ، فليستسقوا لكم ، فإنكم قد هلكتم ، فبعثوا قيل بن عير ، ولقيم بن هزال من هذيل ، وعقيل بن ضدّ بن عاد الأكبر ، ومرثد بن سعد بن عفير ، وكان مسلما يكتم إسلامه ، وجلهمة بن الخيبرى خال معاوية بن بكر أخو أمه ، ثم بعثوا لقمان بن عاد بن فلان بن فلان بن ضدّ بن عاد الأكبر ، فانطلق كلّ رجل من هؤلاء القوم معه رهط من قومه حتى بلغ عدّة وفدهم سبعين رجلا ؛ فلما قدموا مكة ، نزلوا على معاوية بن بكر ، وهو بظاهر مكة خارجا من الحرم ، فأنزلهم وأكرمهم ، وكانوا أخواله وأصهاره ؛ فلما نزل وفد عاد على معاوية بن بكر ، أقاموا عنده شهرا يشربون الخمر ، وتغنّيهم الجرادتان ، قينتان لمعاوية بن بكر ، وكان مسيرهم شهرا ، ومقامهم شهرا ؛ فلما رأى معاوية بن بكر طول مُقامهم ، وقد بعثهم قومهم يتغوّثون بهم من البلاء الذى أصابهم ، شقّ ذلك عليه ، فقال : هلك أخوالى وأصهارى ، وهؤلاء مقيمون عندى ، وهم ضيفى نازلون علىّ ، والله ما أدرى كيف أصنع بهم ؟ إن أمرتهم بالخروج إلى مابعثوا له فيظنوا أنه ضيق منى بمقامهم عندى ، وقد هلك مَن وراءهم من قومهم جهدا وعطشا ، أو كما قال : فشكا ذلك من أمرهم إلى قينتيه الجرادتين ، فقالتا : قل شعرا نغنيهم به لايدرون من قاله ، لعلّ ذلك أن يحرّكهم ، فقال معاوية بن بكر حين أشارتا عليه بذلك :

١ — ألا يا قَيْلُ وَيْحَكَ قُمْ فَهَيْنِمْ ... لَعَلَّ اللهَ يُسْقِينا غَمَامَا
٢ — فَيَسْقِي أرْضَ عادٍ إنّ عادًا ... قَدَ امْسَوْا لايُبِينُونَ الكَلامَا
٣ — مِنَ العَطَشِ الشَّدِيدِ فليسَ نَرْجو ... بِهِ الشَّيْخَ الكَبِيرَ وَلا الغُلامَا
٤ — وقَدْ كانَتْ نِساؤُهُمُ بِخَيْرٍ ... فَقَدْ أمْسَتْ نِساؤُهُمُ عَيامَى

٥ — وَإِنَّ الوَحْشَ يَأْتِيهِمْ جِهَارًا   وَلا يَخْشَى لِعَادِيّ سِهَامَا
٦ — وأَنْتُمْ ها هُنَا فِيمَا اشْتَهَيْتُمْ   نَهَارَكُمُ وَلَيْلَكُمُ التَّمَامَا
٧ — فَقُبِّحَ وَفْدُكُمْ مِنْ وَفْدِ قَوْمٍ   وَلا لُقُّوا التَّحِيَّةَ وَالسَّلامَا(١)

فلما قال معاوية ذلك الشعر ، غنتهم به الجرادتان ، فلما سمع القوم ما غنتا به ، قال بعضهم لبعض : ياقوم إنما بعثكم قومكم يتغوّثون بكم من هذا البلاء الذى نزل بهم ، وقد أبطأتم عليهم ، فادخلوا هذا الحرم ، واستسقوا لقومكم ، فقال لهم مرثد بن سعد بن عفير : إنكم والله لاتُسقون بدعائكم ، ولكن إن أطعتم نبيكم وأنبتم إليه سقيتم ، فأظهر إسلامه عند ذلك ، فقال لهم جُلْهُمة بن الخيبرى خال معاوية بن بكر حين سمع قوله ، وعرف أنه قد اتبع دين هود وآمن به :

أبا سَعْدٍ فإنَّكَ مِنْ قَبِيلٍ   ذَوِى كَرَمٍ وأُمُّكَ مِنْ ثَمُودِ
فإنَّا لاَ نُطِيعُكَ ما بَقِينا   وَلَسْنا فاعِلِينَ لِمَا تُرِيدُ
أتأْمُرُنا لِنَتْرُكَ دِينَ رِفْدٍ   وَرَمْلٍ والصُّدَاءَ مَعَ الصُّمُودِ
وَنَتْرُكَ دِينَ آباءٍ كِرَامٍ   ذَوِى رَأْيٍ وَنَتْبَعَ دِينَ هُودِ(٢)

ثم قالوا لمعاوية بن بكر وأبيه بكرا : احبسا عنا مرثد بن سعد ، فلا يقدمنّ معنا مكة ، فإنه قد اتبع دين هود ، وترك ديننا ، ثم خرجوا إلى مكة يستسقون بها لعاد ؛ فلما ولوا إلى مكة ، خرج مرثد بن سعد من منزل معاوية بن بكر ، حتى أدركهم بها ، فقال : لاأدعو الله بشىء مما خرجوا له ؛ فلما انتهى إليهم ، قام يدعو الله بمكة ، وبها وفد عاد قد اجتمعوا يدعون ، يقول : اللهمّ أعطنى سؤلى وحدى ، ولا تدخلنى فى شىء مما يدعوك به وفد عاد ، وكان قيل بن عير رأس وفد عاد ، وقال وفد عاد : اللهمّ أعط قيلا ماسألك ، واجعل سؤلنا مع سؤله ، وكان قد تخلف عن وفد عاد حين دعا لقمان بن عاد وكان سيد عاد حتى إذا فرغوا من دعوتهم ، قام فقال : اللهمّ إنى جئتك وحدى فى حاجتى ، فأعطنى سؤلى ، وقال قَيْل بن عير حين دعا : يا إلهنا إن كان هود صادقا فاسقنا ، فإنا قد هلكنا ، فأنشأ الله لهم سحائب ثلاثا : بيضاء

(١) هذه الأبيات السبعة وأمثالها مما ينسبه الرواة إلى العرب القدماء ، كالعمالقة وعاد وثمود . وممن ذكر بعضها ابن أبى الخطاب القرشى صاحب جمهرة أشعار العرب (ص ٤١ طبعة الأميرية) قال : قال المفضل (؟) : وقد قالت الأشعار العمالقة وعاد وثمود ؛ قال معاوية بن بكر بن الحبتر بن عتيك بن قرمة بن جلهمة بن عملاق بن لاوذ بن سام بن نوح عليه السلام ، وكان يومئذ سيد العمالقة ، وقد قدم إليه « قيل بن عير » ، وكانت عاد بعثوه ولقمان بن عاد ووفدا معهما ، ليستسقوا لهم ، حين منعوا الغيث ؛ فقال معاوية ابن بكر : ألا يا قيل . . . وساق الأبيات (١ ، ٢ ، ٣ ، ٥ ، ٧) مع اختلاف فى بعض الألفاظ .

وذكر الأبيات بتمامها مع اختلاف فى بعض الألفاظ ، وساق معها قصة الوفد المتّسق . المفسر أبو إسحاق أحمد بن محمد بن إبراهيم النيسابورى ، المعروف بالثعلبى ، المتوفى سنة ٤٢٧ هـ فى كتابه « عرائس المجالس » المشهور بـ« قصص الأنبياء » ، طبعة الحلبى سنة ١٩٥١ ص ٦٢ ، ٦٣ وما بعدها .

ونحن نستبعد أن تكون هذه العربية السهلة الواضحة المستقيمة الوزن والقافية ، هى عربية تلك القرون الأولى ، الممعنة فى القدم أيام العمالقة ولقمان بن عاد ، ونرجح أن هذه الأخبار والأشعار ، من وضع القصاص ، والله تعالى أعلم وأحكم .

(٢) روى هذه الأبيات أيضا الثعلبى فى عرائس المجالس ص ٦٣ طبعة الحلبى . ونرى فيها ما رأيناه فى الأبيات السابقة ، أنها من وضع القصاص والأخباريين ، وليس لها نسب صحيح ، وفيها إقواء فى البيت الثانى . وفى تاريخ الطبرى (١ — ١ : ٢٣٧) يروى البيت الثالث هكذا :

أتأمرنا لنترك دين رفد   ورمل وآل ضد والعبود

قال : ورفد ورمل وضد : قبائل من عاد . والعبود منهم .

وحمراء وسوداء ، ثم ناداه مناد من السحاب : ياقيل اختر لنفسك ولقومك من هذه السحائب ، فقال : اخترت السحابة السوداء فإنها أكثرالسحاب ماء ، فناداه مناد : اخترت رمادا رِمْدَدا[1] ، لاتبق من آل عاد أحدا ، لاوالدا تترك ولا ولَدَا ، إلا جعلته هُمَّدا ، إلا بنى اللَّوْذية المُهَدَّى ، وبنى اللوذية : بنولُقيم بن هزال بن هزيلة بن بكر[1] وكانوا سكانا بمكة مع أخوالهم ، ولم يكونوا مع عاد بأرضهم ، فهم عاد الآخرة ، ومن كان من نسلهم الذين بقوا من عاد ، وساق الله السحابة السوداء فيما يذكرون ، التى اختارها قيل بن عير بما فيها من النقمة إلى عاد ، حتى خرجت عليهم من واد يقال له المغيث ؛ فلما رأوها استبشروا بها (وَقَالُوا هَـٰذَا عارِضٌ مُمْطِرُنا) يقول الله (بَلْ هُوَ مااسْتَعْجَلْتُمْ بِهِ ، رِيحٌ فِيها عَذَابٌ أَلِيمٌ . تُدَمِّرُ كُلَّ شيء بأمر ربِّها) : أى كل شىء أمرت به . وكان أول من أبصر ما فيها ، وعرف أنها ريح فيما يذكرون ، امرأة من عاد يقال لها مَهْدَد ؛ فلما تيقنت ما فيها ، صاحت ثم صُعِقت ؛ فلما أن أفاقت قالوا : ماذا رأيت يامهدد ، قالت : رأيت ريحا فيها كشهب النار ، أمامها رجال يقودونها ، فسخرها الله عليهم سبع ليال وثمانية أيام حسوما ، كما قال الله ، والحسوم : الدائمة ، فلم تدع من عاد أحدا إلا هلك ، فاعتزل هود فيما ذكر لى ومن معه من المؤمنين فى حظيرة ، مايصيبه ومن معه من الريح إلا ماتلين عليه الجلود ، وتلتذّ به الأنفس ، وإنها لتمر على عاد بالظُّعن بين السماء والأرض ، وتدمغهم بالحجارة ، وخرج وفد عاد من مكة ، حتى مروا بمعاوية بن بكر وابنه ، فنزلوا عليه ، فبينما هم عنده ، إذ أقبل رجل على ناقة له ، فى ليلة مقمرة مساء ثالثة من مصاب عاد ، فأخبرهم الخبر ، فقالوا له : أين فارقت هودا وأصحابه ؟ قال : فارقهم بساحل البحر ، فكأنهم شكوا فيما حدثهم به ، فقالت هذيلة بنت بكر : صدق ورب الكعبة .

حدثنا أبوكريب ، قال : ثنا أبو بكر بن عياش ، قال : ثنا عاصم ، عن الحارث بن حسان البكرىّ ، قال : قدمت على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فمررت على امرأة بالرَّبَذَة ، فقالت : هل أنت حاملى إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ قلت : نعم ، فحملتها حتى قدمت المدينة ، فدخلت المسجد ، فإذا رسول الله صلى الله عليه وسلم على المنبر ، وإذا بلال متقلد السيف ، وإذا رايات سود ، قال : قلت : ما هذا ؟ قالوا : عمرو بن العاص قدم من غزوته ، فلما نزل رسول الله صلى الله عليه وسلم من على منبره أتيته فاستأذنت فأذن لى ، فقلت : يارسول الله إن بالباب امرأة من بنى تميم ، وقد سألتنى أن أحملها إليك ، قال : يابِلالُ ائْذَنْ لَهَا ، قال : فدخلت ، فلما جلست قال لى رسول الله صلى الله عليه وسلم : هَلْ بَيْنَكُمْ وبينَ تَمِيمٍ شَىْءٌ ؟ قلت : نعم ، وكانت لنا الدائرة عليهم ، فإن رأيت أن تجعل الدهناء بيننا وبينهم حاجزا فعلت ، قال تقول المرأة : فإلى أين يضطر مضطرك يارسول الله ؟ قال : قلت : إن مَثَلى مَثَل ماقال الأول : معزًى حملت حتفها ، قال : قلت : وحملتك تكونين علىَّ خصما ، أعوذ بالله أن أكون كوافد عاد ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : وَمَا وَافِدُ عاد ؟ قال : قلت : على الخبير سقطتَ ، إن عادا قُحِطت ، فبعثت من يستسقى لها ، فبعثوا رجالا ، فمروا على بكر بن معاوية ، فسقاهم الخمر ، وتغنتهم الجرادتان شهرا ، ثم فصلوا من عنده ، حتى أتوا جبال مهرة ، فدعوا ، فجاءت سحابات ، قال : وكلما جاءت سحابة ، قال :

(1) فى التاج : رماد رمدد ، كزبرج ودرهم : كثير دقيق جدا . وهذه العبارات كتبت فى بعض المراجع على أنها سجعات وفى أخرى كتبت على هيئة أشطار خمسة ، كما فى تاريخ الطبرى (١ - ١ : ٢٣٨ طبع أوربة) وقال بعدها : وبنو اللوزية : بنولقيم بن هزال بن هزيل بن هزيلة ابنة بكر ، كانوا سكانا بمكة .

اذهبى إلى كذا ، حتى جاءت سحابة ،فنودى : خذها رمادا رمددا ، لاتدع من عاد أحدا ، قال : فسمعه وكلمهم ،حتى جاءهم العذاب . قال أبوكريب : قال أبوبكر بعد ذلك فى حديث عاد ، قال : فأقبل الذين أتاهم فأتى جبال مهرة ، فصعد فقال : اللهمّ إنى لم أجئك لأسير فأفاديه ، ولا لمريض فأشفيه ، فاسق عادا ما كنت مسقيه ، قال : فرفعت له سحابات ؛ قال : فنودى منها : اختر ،قال : فجعل يقول : اذهبى إلى بنى فلان ، اذهبى إلى بنى فلان ، قال : فمرّت آخرها سحابة سوداء ، فقال : اذهبى إلى عاد ، فنودى: منها خذها رمادا رمددا ، لاتدع من عاد أحدا ، قال : وكلمهم ، والقوم عند بكر بن معاوية يشربون ، قال : وكره بكر بن معاوية أن يقول لهم من أجل أنهم عنده ، وأنهم فى طعامه ، قال : فأخذ فى الغناء وذكّرهم .

حدثنا أبوكريب ، قال : ثنا زيد بن الحباب ، قال : ثنا سلام أبو المنذر النحوى ، قال : ثنا عاصم ، عن أبى وائل ، عن الحارث بن يزيد البكرى ، قال : خرجت لأشكو العلاء بن الحضرمى إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فمررت بالربذة ، فإذا عجوز منقطع بها من بنى تميم ، فقالت : يا عبد الله ، إن لى إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم حاجة ، فهل أنت مبلغى إليه ، قال : فحملتها فقدمت المدينة ، قال : فإذا رايات ، قلت : ما شأن الناس ؟ قالوا : يريد أن يبعث عمرو بن العاص وجها ، قال : فجلست حتى فرغ . قال : فدخل منزله ، أو قال : رحله ، فاستأذنت عليه ، فأذن لى فدخلت ، فقعدت ، فقال لى رسول الله صلى الله عليه وسلم : هَلْ كانَ بَيْنَكُمْ وبينَ تَمِيمٍ شَىْءٌ ؟ قلت : نعم ، وكانت لنا الدائرة عليهم ، وقد مررت بالربذة فإذا عجوز منهم منقطع بها ، فسألتنى أن أحملها إليك ،وهاهى بالباب ، فأذن لها رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فدخلت فقلت : يا رسول الله اجعل بيننا وبين تميم الدهناء حاجزا ، فحميت العجوز واستوفزت وقالت : إلى أين يضطرّ مضطرّك يا رسول الله ؟ قال : قلت : أنا كما قال الأول : معزى حملت حتفها ، حملت هذه ولا أشعر أنها كانت لى خصما ، أعوذ بالله ورسوله أن أكون كوافد عاد ، قال : وَما وَافِدُ عادٍ ؟ قال : على الخبير سقطت ، قال : وهو يستطعمنى الحديث ، قلت : إن عادا قحطوا فبعثوا قيلا وافدا ، فنزل على بكر ، فسقاه الخمر شهرا ، وغنته جاريتان يقال لهما الجرادتان ، فخرج إلى جبال مهرة ، فنادى : إنى لم أجئ لمريض فأداويه ، ولا لأسير فأفاديه ، اللهمّ : اسق عادا ما كنت مسقيه ، فمرّت به سحابات سود ، فنودى منها : خذها رمادا رمددا ، لاتبق من عاد أحدا ، قال : فكانت المرأة تقول : لاتكن كوافد عاد ، ففيما بلغنى أنه ما أرسل عليهم من الريح يا رسول الله إلا قدر ما يجرى فى خاتمى . قال أبو وائل : فكذلك بلغنى .

حدثنى محمد بن الحسين ، قال : ثنا أحمد بن المفضل ، قال : ثنا أسباط ، عن السدىّ (وَإلى عادٍ أخاهُم هُوداً قالَ يا قَوْمِ اعْبُدُوا اللهَ ما لَكُمْ مِنْ إلَهٍ غيرُهُ) : إن عادا أتاهم هود ، فوعظهم وذكّرهم بما قصّ الله فى القرآن ، فكذّبوه وكفروا ، وسألوه أن يأتيهم بالعذاب ، فقال لهم : إنما العلم عند الله ، وأبلغكم ما أرسلت به ، وإن عادا أصابهم حين كفروا قحوط المطر ،حتى جهدوا لذلك جهدا شديدا ، وذلك أن هودا دعا عليهم ، فبعث الله عليهم الريح العقيم ، وهى الريح التى لاتلقح الشجر ؛ فلما نظروا إليها (قالوا

هَـٰذَا عارِضٌ مُمْطِرنا) فلما دنت منهم نظروا إلى الإبل والرجال تطير بهم الريح بين السماء والأرض ؛ فلما رأوها تنادوا: البيوتَ ، فلما دخلوا البيوت دخلت عليهم، فأهلكتهم فيها، ثم أخرجتهم من البيوت، فأصابتهم في يوم نحس ، والنحس : هو الشؤم ، ومستمر : استمرّ عليهم العذاب سبع ليال وثمانية أيام حسوما ، حسمت كل شيء مرّت به ؛ فلما أخرجتهم من البيوت، قال الله: تنزع الناس من البيوت، كأنهم أعجاز نخل منقعر ، انقعر من أصوله ، خاوية : خوت فسقطت؛ فلما أهلكهم الله ، أرسل إليهم طيرا سودا ، فنقلتهم إلى البحر ،فألقتهم فيه، فذلك قوله (فَأَصْبَحُوا لايُرَى إلاَّ مَساكِنُهُمْ) ولم تخرج ريح قطّ إلا بمكيال إلا يومئذ ، فإنها عتت على الخزنة فغلبتهم ، فلم يعلموا كم كان مكيالها ، وذلك قوله (فَأُهْلِكُوا بِرِيحٍ صَرْصَرٍ عاتِيَةٍ) والصرصر : ذات الصوت الشديد .

القول في تأويل قوله تعالى :

قَالُوٓاْ أَجِئۡتَنَا لِنَعۡبُدَ ٱللَّهَ وَحۡدَهُۥ وَنَذَرَ مَا كَانَ يَعۡبُدُ ءَابَآؤُنَا فَأۡتِنَا بِمَا تَعِدُنَآ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّـٰدِقِينَ ﴿٧٠﴾

☼ يقول تعالى ذكره: قالت عاد لهود: أجئتنا تتوعدنا بالعقاب من الله على ما نحن عليه من الدين كي نعبد الله وحده ، وندين له بالطاعة خالصا ، ونهجر عبادة الآلهة والأصنام التي كان آباونا يعبدونها ، ونتبرأ منها ، فلسنا فاعلي ذلك ولا متبعيك على ما تدعونا إليه ،فأتنا بما تعدنا من العقاب والعذاب على تركنا إخلاص التوحيد لله ، وعبادتنا ما نعبد من دونه من الأوثان إن كنت من أهل الصدق على ما تقول وتعد .

القول في تأويل قوله تعالى :

قَالَ قَدۡ وَقَعَ عَلَيۡكُم مِّن رَّبِّكُمۡ رِجۡسٞ وَغَضَبٌۖ أَتُجَٰدِلُونَنِي فِيٓ أَسۡمَآءٖ سَمَّيۡتُمُوهَآ أَنتُمۡ وَءَابَآؤُكُم مَّا نَزَّلَ ٱللَّهُ بِهَا مِن سُلۡطَٰنٖۚ فَٱنتَظِرُوٓاْ إِنِّي مَعَكُم مِّنَ ٱلۡمُنتَظِرِينَ ﴿٧١﴾

☼ يقول تعالى ذكره : قال هود لقومه : قد حلّ بكم عذاب وغضب من الله ، وكان أبو عمرو بن العلاء فيما ذُكر لنا عنه ، يزعم أن الرجز والرجس بمعنى واحد ، وأنها مقلوبة ، قُلبت السين زايا ، كما قلبت شنْز وهي من شئس بسين ، وكما قالوا قربوس وقربوز ، وكما قال الراجز :

ألا لَحَى اللهُ بَنِي السِّعْلاتِ عَمْرِو بْنِ يَرْبُوعٍ لِئامِ النَّاتِ
لَيْسُوا بأعْفافٍ وَلا أكْياتِ

(١) هذه الأبيات الثلاثة من مشطور الرجز ، أوردها أبو زيد الأنصاري في نوادره (ص ١٤٧) طبعة بيروت مع اختلاف في بعض ألفاظ منها ، وهي هذه :

يا قاتَلَ اللهُ بَنِي السِّعْلاتِ عَمْرِو بْنِ يَرْبُوعٍ شِرارِ النَّاتِ
غيرَ أعِفَّاءَ وَلا أكْياتِ

واستشهد بها النحاة على أن التاء في « النات ، وأكيات » بدل من السين ، وأصلهما الناس ، وأكياس .

يريد الناس ، وأكياس فقلبت السين تاء ، كما قال رؤبة :

كَمْ قَدْ رأيْنا مِنْ عَدِيدٍ مُبْزِى   حتى وَقَمْنا كَيْدَهُ بالرِّجْزِ(١)

رُوى عن ابن عباس أنه كان يقول : الرجز : السخط .

حدثنى بذلك المثنى ، قال : ثنا عبد الله بن صالح ،قال : ثنا معاوية ، عن علىّ بن أبى طلحة ، عن ابن‌عباس ، قوله (قَدْ وَقَعَ عَلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ رِجْسٌ) يقول : سخط .

وأما قوله (أَتُجادِلُونَنِى فى أَسْماء . سَمَّيْتُمُوهاأَنْتُمْ وآباؤُكُمْ) فإنه يقول : أتخاصموننى فى أسماء سميتموها أصناما لاتضرّ ولا تنفع أنتم وآباؤكم (ما نَزَّلَ اللهُ بِها مِنْ سُلْطانٍ) يقول : ما جعل الله لكم فى عبادتكم إياها من حجة تحتجون بها ، ولا معذرة تعتذرون بها ، لأن العبادة إنّما هى لمن ضرّ ونفع وأثاب على الطاعة ، وعاقب على المعصية ، ورزق ومنع ؛ فأما الجماد من الحجارة والحديد والنحاس ، فإنه لانفع فيه ولا ضرّ ، إلا أن تلمتخذ منه آلة ، ولا حجة لعابد عبده من دون الله فى عبادته إياه ، لأن الله لم يأذن بذلك ، فيعذر من عبده بأنه يعبده اتباعا منه أمر الله فى عبادته إياه ، ولا هو إذ كان‌الله لم يأذن فى عبادته ، مما يرجى نفعه ، أو يخاف ضرّه فى عاجل أو آجل ، فيعبد رجاء نفعه ،أو دفع ضرّه (فانْتَظِرُوا إنِّى مَعَكُمْ مِنَ الْمُنْتَظِرِينَ) يقول : فانتظروا حكم الله فينا وفيكم ، إنى معكم من المنتظرين حكمه وفصل قضائه فينا وفيكم .

القول فى تأويل قوله تعالى :

فَأَنجَيْنَٰهُ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥ بِرَحْمَةٍ مِّنَّا وَقَطَعْنَا دَابِرَ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا ۖ وَمَا كَانُوا۟ مُؤْمِنِينَ ﴿٧٢﴾

يقول تعالى ذكره : فأنجينا نوحا والذين معه من أتباعه على الإيمان به ، والتصديق به وبما عاد إليه من توحيد الله وهجر الآلهة والأوثان برحمة منا ،وقطعنا دَابِرَ الَّذِينَ كَذَّبُوا بآياتِنا) يقول : وأهلكنا الذين كذّبوا من قوم هود بحججنا جميعا عن آخرهم ، فلم نبق منهم أحدا .

كما حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله (وَقَطَعْنا دَابِرَ الَّذِينَ كَذَّبُوا بآياتِنا) قال : استأصلناهم ، وقد بيّنّا فيما مضى معنى قوله (فَقُطِعَ دَابِرُ الْقَوْمِ الَّذِينَ ظَلَمُوا) بشواهده بما أغنى عن إعادته (وَما كانُوا مُؤْمِنِينَ) يقول : لم يكونوا مصدّقين بالله ولا برسوله هود .

(١) البيتان من مشطور الرجز ، وهما فى ديوان رؤبة طبع ليبسج سنة ١٩٠٣ ، وروايتهما فيه هكذا :

"مارَامَنا مِنْ ذِى عَدِيدٍ مُبْزِى   حتى وَقَمْنا كَيْدَهُ بالرِّجْزِ

والمبزى : اسم فاعل من أبزى فلان بفلان إذا غلبه وقهره ، وهو مبز بهذا الأمر : أى قوى عليه ، ضابط له . ووقم الرجل وقما : أذله وقهره ، وقيل رده أقبح الرد . وكيده : تدبيره وما عزم عليه . والرجز بكسر الراء وضمها . العذاب المقلقل لشدته ، وله قلقلة شديدة متتابعة . يقول : لو رامنا عدو وعز ذو عدد وقهر لأزلنا به وبتدبيره ما يفسد عليه كيده ، وأصليناه عذابا من سيوفنا .

القول في تأويل قوله تعالى

﴿ وَإِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَٰلِحًا ۗ قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥ ۖ قَدْ جَآءَتْكُم بَيِّنَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ ۖ هَٰذِهِۦ نَاقَةُ ٱللَّهِ لَكُمْ ءَايَةً ۖ فَذَرُوهَا تَأْكُلْ فِىٓ أَرْضِ ٱللَّهِ ۖ وَلَا تَمَسُّوهَا بِسُوٓءٍ فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ ٧٣

يقول تعالى ذكره : ولقد أرسلنا إلى ثمود أخاهم صالحا ، وثمود : هو ثمود بن عابر بن إرم بن سام بن نوح ، وهو أخو جديس بن عابر ، وكانت مساكنهما الحجر بين الحجاز والشام إلى وادى القرى وما حوله . ومعنى الكلام : وإلى بنى ثمود أخاهم صالحا ، وإنما منع ثمود ، لأن ثمود قبيلة ، كما بكر قبيلة ، وكذلك تميم قال : (يَاقَوْمِ اعْبُدُوا اللهَ ما لَكُمْ مِنْ إلَه غيرُهُ) يقول : قال صالح لثمود : يا قوم اعبدوا الله وحده لاشريك له ، فما لكم إله يجوز أن تعبدوه غيره ، وقد جاءتكم حجة وبرهان على صدق ما أقول ، وحقيقة ما إليه أدعو من إخلاص التوحيد لله ، وإفراده بالعبادة دون ما سواه ، وتصديقى على أنى له رسول ، وبينتى على ما أقول ، وحقيقة ما جئتكم به من عند ربى ، وحجتى عليه هذه الناقة التى أخرجها الله من هذه الهضبة دليلا على نبوتى ، وصدق مقالتى ، فقد علمتم أن ذلك من المعجزات التى لايقدر على مثلها أحد إلا الله ، وإنما استشهد صالح فيما بلغنى على صحة نبوته عند قومه ثمود بالناقة ، لأنهم سألوه إياها آية ، ودلالة على حقيقة قوله .

ذكر من قال ذلك ، وذكر سبب قتل قوم صالح الناقة .

حدثنا الحسن بن يحيى ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا إسرائيل ، عن عبد العزيز بن رفيع ، عن أبى الطفيل ، قال : قالت ثمود لصالح (ائْتِنا بآيَةٍ إنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ) قال : فقال لهم صالح اخرجوا إلى هضبة من الأرض ، فخرجوا ، فإذا هى تتمخض كما تتمخض الحامل ، ثم إنها انفرجت ، فخرجت من وسطها الناقة ، فقال صالح : (هَذِهِ نَاقَةُ اللهِ لَكُمْ آيَةً ، فَذَرُوها تَأْكُلْ فِى أرْضِ اللهِ وَلا تَمَسُّوها بِسُوءٍ فَيَأْخُذَكُمْ عَذابٌ أَلِيمٌ)(لَهَا شِرْبٌ وَلَكُمْ شِرْبُ يَوْمٍ مَعْلُومٍ) فلما ملوها عقروها (فَقَالَ لَهُمْ : تَمَتَّعُوا فِى دَارِكُمْ ثَلاثَةَ أيَّامٍ ذَلِكَ وَعْدٌ غَيْرُ مَكْذُوبٍ) قال عبد العزيز ، وحدثنى رجل آخر أن صالحا قال لهم : إن آية العذاب أن تصبحوا غدا حمرا ، واليوم الثانى صفرا ، واليوم الثالث سودا ، قال : فصبحهم العذاب ، فلما رأوا ذلك تحنطوا واستعدّوا .

حدثنى محمد بن الحسين ، قال : ثنا أحمد بن المفضل ، قال : ثنا أسباط ، عن السدىّ (وإلى ثَمُودَ أخاهُمْ صَالِحا) قال : إن الله بعث صالحا إلى ثمود ، فدعاهم فكذّبوه ، فقال لهم ما ذكر الله فى القرآن ، فسألوه أن يأتيهم بآية ، فجاءهم بالناقة ، لها شرب ، ولهم شرب يوم معلوم ، وقال (ذَرُوها تَأْكُلْ فِى أرْضِ اللهِ وَلا تَمَسُّوها بِسُوءٍ) فأقرّوا بها جميعا ، فذلك قوله (فَهَدَيْنَاهُمْ فاسْتَحَبُوا العَمَى

على الهُدَى) وكانوا قد أقرّوا به على وجه النفاق والتّقية ، وكانت الناقة لها شرب ، فيوم تشرب فيه الماء تمر بين جبلين فيرجمونها ، ففيهما أثرها حتى الساعة ، ثم تأتى فتقف لهم حتى يحلبوا اللبن فيرويهم ، فكانت تصبّ اللبن صبا ، ويوم يشربون الماء لاتأتيهم ، وكان معها فصيل لها ، فقال لهم صالح : إنه يولد فى شهركم هذا غلام يكون هلاككم على يديه ، فولد لتسعة منهم فى ذلك الشهر ، فذبحوا أبناءهم ، ثم وُلد للعاشر فأبى أن يذبح ابنه ، وكان لم يولد له قبل ذلك شىء ، فكان ابن العاشر أزرق أحمر ، فنبت نباتا سريعا ، فاذا مرّ بالتسعة فرأوه ، قالوا : لو كان أبناونا أحياء كانوا مثل هذا ، فغضب التسعة على صالح ، لأنه أمرهم بذبح أبنائهم ، فتقاسموا بالله (لَنُبَيِّتَنَّهُ وأهْلَهُ ، ثُمَّ لَنَقُولَنَّ لِوَلِيِّهِ ماشَهِدْنا مَهْلِكَ أهْلِهِ وَإنَّا لَصَادِقُونَ) . قالوا : نخرج ، فيرى الناس أنا قد خرجنا إلى سفر ، فنأتى الغار فنكون فيه ، حتى إذا كان الليل وخرج صالح إلى المسجد أتيناه فقتلناه ، ثم رجعنا إلى الغار فكنا فيه ، ثم رجعنا فقلنا : ما شهدنا مهلك أهله وإنا لصادقون ، يصدّقوننا يعلمون أنا قد خرجنا إلى سفر ، فانطلقوا ؛ فلما دخلوا الغار أرادوا أن يخرجوا من الليل ، فسقط عليهم الغار فقتلهم ، فذلك قوله (وكانَ فِى المَدِينَةِ تِسْعَةُ رَهْطٍ يُفْسِدُونَ فِى الأرْضِ وَلا يُصْلِحُونَ) . . . حتى بلغ ههنا (فانْظُرْ كَيْفَ كانَ عاقِبَةُ مَكْرِهِمْ أنَّا دَمَّرْناهُمْ وَقَوْمَهُمْ أجْمَعِينَ) ، وكبر الغلام ابن العاشر ، ونبت نباتا عجبا من السرعة ، فجلس مع قوم يصيبون من الشراب ، فأرادوا ماء يمزجون به شرابهم ، وكان ذلك اليوم يوم شرب الناقة ، فوجدوا الماء قد شربته الناقة ، فاشتدّ ذلك عليهم وقالوا فى شأن الناقة : ما نصنع نحن باللبن ؟ لو كنا نأخذ هذا الماء الذى تشربه هذه الناقة ، فنسقيه أنعامنا وحروثنا ، كان خيرا لنا ، فقال الغلام ابن العاشر : هل لكم فى أن أعقرها لكم ؟ قالوا : نعم ، فأظهروا دينهم ، فأتاها الغلام ، فلما بصرت به شدّت عليه ، فهرب منها ؛ فلما رأى ذلك ، دخل خلف صخرة على طريقها ، فاستتر بها ، فقال : أجيشوها علىّ ، فأجاشوها عليه ، فلما جازت به نادوه : عليك ، فتناولها فعقرها ، فسقطت ، فذلك قوله تعالى (فَنادَوْا صَاحِبَهُمْ فَتَعاطَى فَعَقَرَ) وأظهروا حينئذ أمرهم ، وعقروا الناقة ، وعتوا عن أمر ربهم ، وقالوا : ياصالح ائتنا بما تعدنا ، وفزع ناس منهم إلى صالح وأخبروه أن الناقة قد عقرت ، فقال : علىّ بالفصيل ، فطلبوا الفصيل فوجدوه على رابية من الأرض ، فطلبوه ، فارتفعت به حتى حلّقت به فى السماء ، فلم يقدروا عليه ، ثم دعا الفصيل إلى الله ، فأوحى الله إلى صالح أن مرهم فليتمتعوا فى دارهم ثلاثة أيام ، فقال لهم صالح (تَمَتَّعُوا فِى دارِكُمْ ثَلاثَةَ أيَّامٍ) وآية ذلك أن تصبح وجوهكم أوّل يوم مصفرّة ، والثانى محمرّة ، واليوم الثالث مسودة ، واليوم الرابع فيه العذاب ؛ فلما رأوا العلامات تكفنوا وتحنطوا ، ولطّخوا أنفسهم بالمرّ ، ولبسوا الأنطاع ، وحفروا الأسراب ، فدخلوا فيها ينتظرون الصيحة ، حتى جاءهم العذاب فهلكوا ، فذلك قوله (فَدَمَّرْناهُمْ وَقَوْمَهُمْ أجْمَعِينَ) .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، قال : لما أهلك الله عادا وتقضى أمرها ، عمرت ثمود بعدها ، واستُخلفوا فى الأرض ، فنزلوا فيها وانتشروا ، ثم عتوا على الله ؛ فلما ظهر فسادهم وعبدوا

غير الله ، بعث إليهم صالحاً ، وكانوا قوما عربا ، وهو من أوسطهم نسبا ، وأفضلهم موضعا رسولا ، وكانت منازلهم الحِجر إلى قرح ، وهو وادى القُرى ، وبين ذلك ثمانية عشر ميلا ، فيما بين الحجاز والشام ، فبعث الله إليهم غلاما شابا ، فدعاهم إلى الله ، حتى شمط وكبر ، لا يتبعه منهم إلا قليل مستضعفون ؛ فلما ألحّ عليهم صالح بالدعاء ، وأكثر لهم التحذير ، وخوّفهم من الله العذاب والنقمة ، سألوه أن يريهم آية تكون مصداقا لما يقال ، فيما يدعوهم إليه ، فقال لهم : أىّ آية تريدون ؟ قالوا : تخرج معنا إلى عيدنا هذا ، وكان لهم عيد يخرجون إليه بأصنامهم وما يعبدون من دون الله فى يوم معلوم من السنة ، فتدعو إلهك وندعو آلهتنا ، فإن استجيب لك اتبعناك ، وإن استجيب لنا اتبعتنا ، فقال لهم صالح : نعم ، فخرجوا بأوثانهم إلى عيدهم ذلك ، وخرج صالح معهم إلى الله ، فدعوا أوثانهم وسألوها أن لا يستجاب لصالح فى شىء مما يدعو به ، ثم قال له جندع بن عمرو بن حراش بن عمرو بن الدميل ، وكان يومئذ سيد ثمود وعظيمهم : يا صالح أخرج لنا من هذه الصخرة ، لصخرة منفردة فى ناحية الحجر يقال لها الكاثبة ، ناقة مخترجة جوفاء وبراء ، والمخترجة : ماشاكلت البخت من الإبل ، وقالت ثمود لصالح مثل ما قال جندع بن عمرو ، فإن فعلت آمنا بك وصدّقناك ، وشهدنا أن ما جئت به هو حقّ ، وأخذ عليهم صالح مواثيقهم ، لئن فعلت وفعل الله لتُصدقُنّى ولتؤمنُنّ بى ؟ قالوا : نعم ، فأعطوه على ذلك عهودهم ، فدعا صالح ربه بأن يخرجها لهم من تلك الهضبة كما وصفت .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، عن يعقوب بن عتبة بن المغيرة بن الأخنس ، أنه حدث أنهم نظروا إلى الهضبة حين دعا الله صالح بما دعا به ، تتمخض بالناقة تمخض النتوج بولدها ، فتحركت الهضبة ، ثم أسقطت الناقة ، فانصدعت عن ناقة ، كما وصفوا جوفاء وبراء نتوج ، ما بين جنبيها لا يعلمه إلا الله عظما ، فآمن به جندع بن عمرو ، ومن كان معه على أمره من رهطه ، وأراد أشراف ثمود أن يؤمنوا به ويصدّقوا ، فنهاهم ذؤاب بن عمرو بن لبيد ، والحباب صاحب أوثانهم ، ورُياب بن صمعر ابن جلهس ، وكانوا من أشراف ثمود ، وردّوا أشرافها عن الإسلام ، والدخول فيما دعاهم إليه صالح من الرحمة والنجاة ، وكان لجندع ابن عم يقال له شهاب بن خليفة بن مخلاة بن لبيد بن جواس ، فأراد أن يسلم فنهاه أولئك الرهط عن ذلك ، فأطاعهم ، وكان من أشراف ثمود وأفاضلها ، فقال رجل من ثمود يقال له مهوس بن عنمة بن الدميل ، وكان مسلما :

وكانَتْ عُصْبَةٌ مِنْ آلِ عَمْرٍو   إلى دِينِ النَّبِيِّ دَعَوْا شِهابا
عَزِيزَ ثَمُودَ كُلَّهُمُ جَمِيعا   فَهَمَّ بِأَنْ يُجِيبَ وَلَوْ أجابا
لأَصْبَحَ صالِحٌ فِينا عَزِيزًا   وَما عَدَلُوا بِصاحِبِهِمْ ذُؤَابا
وَلَكِنَّ الغُوَاةَ مِنْ آلِ حِجْرٍ   تَوَلَّوْا بَعْدَ رُشْدِهِمُ ذِئابا[1]

فمكثت الناقة التى أخرجها الله لهم معها سقبها فى أرض ثمود ترعى الشجر ، وتشرب الماء ، فقال لهم صالح

(١) وهذه الأبيات أيضا من التى يتناقلها الرواة ، وينسبونها القدماء ، وكلها منحولة موضوعة .

عليه السلام (هَـٰذِهِ نَاقَةُ اللهِ لَكُمْ آيَةً ، فَذَرُوهَا تَأْكُلْ فِي أَرْضِ اللهِ وَلَا تَمَسُّوهَا بِسُوءٍ فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ) وقال الله لصالح : إن الماء قسمة بينهم ، كلّ شرب محتضر : أي إن الماء نصفان : لهم يوم ولها يوم وهى محتضرة ، فيومها لاتدع شربها وقال لها شرب ولكم شرب يوم معلوم . فكانت فيما بلغنى والله أعلم إذا وردت وكانت ترد غبًّا ، وضعت رأسها فى بئر فى الحجر يقال لها بئر الناقة ، فيزعمون أنها منها كانت تشرب ، إذا وردت تضع رأسها فيها ، فما ترفعه حتى تشرب كلّ قطرة ماء فى الوادى ، ثم ترفع رأسها فتفسح ، يعنى تفحّج لهم ، فيحتلبون ما شاءوا من لبن ، فيشربون ويدّخرون حتى يملئوا كلّ آنيتهم ، ثم تصدر من غير الفجّ الذى منه وردت ، لاتقدر على أن تصدر من حيث ترد لضيقه عنها ، فلا ترجع منه ، حتى إذا كان الغد كان يومهم ، فيشربون ما شاءوا من الماء ، ويدّخرون ماشاءوا ليوم الناقة ، فهم من ذلك فى سعة ، وكانت الناقة فيما يذكرون تصيف إذا كان الحرّ بظهر الوادى ، فتهرب منها المواشى أغنامهم وأبقارهم وإبلهم ، فتهبط إلى بطن الوادى فى حرّه وجدبه ، وذلك أن المواشى تنفر منها إذا رأتها ، وتشتو فى بطن الوادى إذا كان الشتاء ، فتهرب مواشيهم إلى ظهر الوادى فى البرد والجدب فأضرّ ذلك بمواشيهم للبلاء والاختبار ، وكانت مراتعها فيما يزعمون الجناب وحِسمى ، كل ذلك ترعى مع وادى الحجر ، فكبر ذلك عليهم ، فعتوا عن أمر ربهم ، وأجمعوا فى عقر الناقة رأيهم ، وكانت امرأة من ثمود يقال لها عنيزة بنت غنم بن مجلز ، تكنى بأم غنم ، وهى من بنى عبيد بن المهل أخى دميل بن المهل ، وكانت امرأة ذؤاب بن عمرو ، وكانت عجوزا مسنة ، وكانت ذات بنات حسان ، وكانت ذات مال من إبل وبقر وغنم ، وامرأةٌ أخرى يقال لها صدوف بنت المحيا بن زهير بن المحيا سيد بنى عبيد ، وصاحب أوثانهم فى الزمن الأوّل ، وكان الوادى يقال له وادى المحيا ، وهو المحيا الأكبر جد المحيا الأصغر أبى صدوف وكانت صدوف من أحسن الناس ، وكانت غنية ذات مال من إبل وغنم وبقر ، وكانتا من أشدّ امرأتين فى ثمود عداوة لصالح ، وأعظمهم به كفرا ، وكانتا تحبان أن تعقر الناقة مع كفرهما به لما أضرّت به من مواشيهما ، وكانت صدوف عند ابن خال لها يقال له صنتم بن هراوة بن سعد بن الغطريف من بنى هليل ، فأسلم فحسن إسلامه ، وكانت صدوف قد فوّضت إليه مالها ، فأنفقه على من أسلم معه من أصحاب صالح حتى رقّ المال ، فاطلعت على ذلك من إسلامه صدوف ، فعاتبته على ذلك ، فأظهر لها دينه ، ودعاها إلى الله وإلى الإسلام ، فأبت عليه ، وسبّت ولده ، فأخذت بنيه وبناته منه ، فغيبتهم فى بنى عبيد بطنها الذى هى منه ، وكان صنتم زوجها من بنى هليل ، وكان ابن خالها ، فقال لها : ردّى علىّ ولدى ، فقالت : حتى أنافرك إلى بنى صنعان بن عبيد أو إلى بنى جندع بن عبيد ، فقال لها صنتم : بل أنا أقول إلى بنى مرداس ابن عبيد ، وذلك أن بنى مرداس بن عبيد ، كانوا قد سارعوا فى الإسلام ، وأبطأ عنه الآخرون ، فقالت : لاأنافرك إلا إلى من دعوتك إليه ، فقال بنو مرداس : والله لتعطينه ولده طائعة أو كارهة ، فلما رأت ذلك أعطته إياهم ، ثم إن صدوف وعنيزة تحيلا فى عقر الناقة للشقاء الذى نزل ، فدعت صدوف رجلا من ثمود يقال له الحباب لعقره الناقة ، وعرضت عليه نفسها بذلك إن هو فعل ، فأبى عليها ، فدعت ابن عم لها يقال

له مصدع بن مهرج بن المحيا ، وجعلت له نفسها على أن يعقر الناقة ، وكانت من أحسن الناس ، وكانت غنية كثيرة المال ، فأجابها إلى ذلك ، ودعت عنيزة بنت غنم قدار بن سالف بن جندع رجلا من أهل قرح ، وكان قدار رجلا أحمر أزرق قصيرا يزعمون أنه كان لزنية من رجل يقال له صهياد ولم يكن لأبيه سالف الذى يُدعى إليه ، ولكنه قد ولد على فراش سالف ، وكان يدعى له ، ويُنسب إليه ، فقالت : أعطيك أىّ بناتى شئت على أن تعقر الناقة ، وكانت عنيزة شريفة من نساء ثمود ، وكان زوجها ذؤاب بن عمرو من أشراف رجال ثمود ، وكان قدار عزيزا منيعا فى قومه ، فانطلق قدار بن سالف ، ومصدع بن مهرج ، فاستنفرا غواة من ثمود ، فاتبعهما سبعة نفر ، فكانوا تسعة نفر ، أحد النفر الذين اتبعوهما رجل يقال له هويل بن ميلغ خال قدار بن سالف أخو أمه لأبيها وأمها ، وكان عزيزا من أهل حجر ، ودعير بن غنم بن داعر ، وهو من بنى حلاوة بن المهل ، ودأب بن مهرج أخو مصدع بن مهرج ، وخمسة لم تحفظ لنا أسماؤهم ، فرصدوا الناقة حين صدرت عن الماء ، وقد كمن لها قدار فى أصل صخرة على طريقها ، وكمن لها مصدع فى أصل أخرى ، فرّت على مصدع فرماها بسهم ، فانتظم به عضلة ساقها ، وخرجت أم غنم عنيزة وأمرت ابنتها وكانت من أحسن الناس وجها ، فأسفرت عنه لقدار وأرته إياه ، ثم ذمرته ، فشدّ على الناقة بالسيف ، فكشف عرقوبها ، فخرّت ورغت رغاة واحدة تحذر سقبها ، ثم طعن فى لبتّها فنحرها ، وانطلق سقبها حتى أتى جبلا منيعا ، ثم أتى صخرة فى رأس الجبل فرغا ولاذ بها ، واسم الجبل فيما يزعمون صور ، فأتاهم صالح ؛ فلما رأى الناقة قد عقرت ، قال : انتهكتم حرمة الله ، فأبشروا بعذاب الله تبارك وتعالى ونقمته ، فاتبع السقب أربعة نفر من التسعة الذين عقروا الناقة ، وفيهم مصدع بن مهرج ، فرماه مصدع بسهم ، فانتظم قلبه ، ثم جرّ برجله ، فأنزله ، ثم ألقوا لحمه مع لحم أمه ؛ فلما قال لهم صالح : أبشروا بعذاب الله ونقمته قالوا له وهم يهزءون به : ومتى ذلك ياصالح ، وما آية ذلك ؟ وكانوا يسمون الأيام فيهم : الأحد : أوّل . والاثنين : أهون ، والثلاثاء : دبار ، والأربعاء : جبار ، والخميس : مؤنس ، والجمعة : العروبة ، والسبت : شيار ، وكانوا عقروا الناقة يوم الأربعاء ، فقال لهم صالح حين قالوا ذلك : تصبحون غداة يوم مؤنس ، يعنى يوم الخميس ووجوهكم مصفرّة ، ثم تصبحون يوم العروبة ، يعنى يوم الجمعة ووجوهكم محمرّة ، ثم تصبحون يوم شيار ، يعنى يوم السبت ووجوهكم مسودّة ، ثم يصبحكم العذاب يوم الأوّل ، يعنى يوم الأحد ؛ فلما قال لهم صالح ذلك ، قال التسعة الذين عقروا الناقة : هلموا فلنقتل صالحا إن كان صادقا عجلناه قبلنا ، وإن كان كاذبا يكون قد ألحقناه بناقته ، فأتوه ليلا ليبيتوه فى أهله ، فدمغتهم الملائكة بالحجارة ، فلما أبطئوا على أصحابهم أتوا منزل صالح ، فوجدوهم مشدّخين قد رُضخوا بالحجارة ، فقالوا لصالح : أنت قتلتهم ، ثم هموا به ، فقامت عشيرته دونه ، ولبسوا السلاح ، وقالوا لهم : والله لاتقتلونه أبدا ، فقد وعدكم أن العذاب نازل بكم فى ثلاث ، فإن كان صادقا لم تزيدوا ربكم عليكم إلا غضبا ، وإن كان كاذبا فأنتم من وراء ما تريدون ، فانصرفوا عنهم ليلتهم تلك ، والنفر الذين رضختهم الملائكة بالحجارة

التسعة الذين ذكرهم الله تعالى فى القرآن بقوله تعالى(وَكَانَ فِي الْمَدِينَةِ تِسْعَةُ رَهْطٍ يُفْسِدُونَ فِي الأَرْضِ وَلا يُصْلِحُونَ) . . . إلى قوله (لآيَةً لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ) فأصبحوا من تلك الليلة التى انصرفوا فيها عن صالح وجوههم مصفرّة ، فأيقنوا بالعذاب ، وعرفوا أن صالحا قد صدقهم ، فطلبوه ليقتلوه ، وخرج صالح هاربا منها حتى لجأ إلى بطن من ثمود يقال لهم بنوغنم ، فنزل على سيدهم رجل منهم يقال له نفيل ، يكنى بأبى هدب ، وهو مشرك ، فغيبه فلم يقدروا عليه ، فغدوا على أصحاب صالح ، فعذّبوهم ليدلوهم عليه ، فقال رجل من أصحاب صالح يقال له : ميدع بن هرم : يا نبىّ الله إنهم ليعذّبوننا لندلهم عليك ، أفندلهم عليك ؟ قال : نعم ، فدلهم عليه ميدع بن هرم ، فلما علموا بمكان صالح أتوا أباهدب فكلموه ، فقال لهم : عندى صالح ، وليس لكم إليه سبيل ، فأعرضوا عنه وتركوه ، وشغلهم عنه ما أنزل الله بهم من عذابه ، فجعل بعضهم يخبر بعضا بما يرون فى وجوههم حين أصبحوا من يوم الخميس ، وذلك أن وجوههم أصبحت مصفرّة ، ثم أصبحوا يوم الجمعة ووجوهم محمرّة ، ثم أصبحوا يوم السبت ووجوههم مسودة ، حتى إذا كان ليلة الأحد خرج صالح من بين أظهرهم ومن أسلم معه إلى الشام ، فنزل رملة فلسطين ، وتخلّف رجل من أصحابه يقال له ميدع بن هرم ، فنزل قرح وهى وادى القرى ، وبين القرح وبين الحجر ثمانية عشر ميلا ، فنزل على سيدهم رجل يقال له عمرو بن غنم ، وقد كان أكل من لحم الناقة ولم يشترك فى قتلها ، فقال له ميدع بن هرم : يا عمرو بن غنم ، اخرج من هذا البلد ، فإن صالحا قال : من أقام فيه هلك ، ومن خرج منه نجا ، فقال عمرو : ماشركت فى عقرها ، وما رضيت ما صُنع بها ؛ فلما كانت صبيحة الأحد أخذتهم الصيحة ، فلم يبق منهم صغير ولا كبير إلا هلك ، إلا جارية مقعدة يقال لها الذريعة ، وهى كلبية ابنة السلق ، كانت كافرة شديدة العداوة لصالح ، فأطلق الله لها رجليها بعد ما عاينت العذاب أجمع ، فخرجت كأسرع ما يرى شىء قطّ ، حتى أتت حيا من الأحياء ، فأخبرتهم بما عاينت من العذاب ، وما أصاب ثمود منه ، ثم استسقت من الماء فسقيت ، فلما شربت ماتت .

حدثنا الحسن بن يحيى ، قال : أخبرنا عبدالرزاق ، قال : قال معمر : أخبرنى من سمع الحسن يقول : لما عقرت ثمود الناقة ذهب فصيلها حتى صعد تلاً ، فقال : ياربّ أين أمى ؟ ثم رغا رغوة ، فنزلت الصيحة ، فأخمدتهم .

حدثنى محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن الحسن بنحوه ، إلا أنه قال : أصعد تلا .

حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة ، أن صالحا قال لهم حين عقروا الناقة : تمتعوا ثلاثة أيام وقال لهم : آية هلاككم أن تصبح وجوهكم مصفرّة ، ثم تصبح اليوم الثانى محمرّة ، ثم تصبح اليوم الثالث مسودّة ، فأصبحت كذلك ؛ فلما كان اليوم الثالث ، وأيقنوا بالهلاك تكفنوا وتحنطوا ، ثم أخذتهم الصيحة فأهمدتهم . قال قتادة : قال عاقر الناقة لهم : لاأقتلها حتى ترضوا

أجمعين ، فجعلوا يدخلون على المرأة فى خدرها ، فيقولون : أترضين ؟ فتقول : نعم، والصبىّ ، حتى رضوا أجمعين ، فعقروها .

حدثنى المثنى ، قال : ثنا إسحاق ، قال : ثنا عبد الرزاق ، عن معمر ، عن عبد الله بن عثمان بن خثيم ، عن أبى الزبير ، عن جابر بن عبد الله ، قال : لما مرّ النبىّ صلى الله عليه وسلم بالحجر ، قال : لاتسألوا الآيات ، فقد سألها قوم صالح ، فكانت ترد من هذا الفجّ ، وتصدر من هذا الفجّ ، فعتوا عن أمر ربهم فعقروها ، وكانت تشرب ماءهم يوما ، ويشربون لبنها يوما ، فعقروها فأخذتهم الصيحة أهمد الله مَن تحت أديم السماء منهم إلا رجلا واحدا كان فى حرم الله ، قيل من هو ؟ قال : أبو رِغال ، فلما خرج من الحرم أصابه ما أصاب قومه .

قال عبد الرزاق ، قال معمر : وأخبرنى إسماعيل بن أمية ، « أن النبىّ صلى الله عليه وسلم مرّ بقبر أبى رغال ، فقال : أتَدْرُونَ ما هَذَا ؟ قالوا : الله ورسوله أعلم ، قال : هَذَا قَبْرُ أبى رِغالٍ ، قالوا فمن أبو رغال ؟ قال : رَجُلٌ مِنْ ثَمُودَ كانَ فِى حَرَمِ اللهِ ، فَمَنَعَهُ حَرَمُ اللهِ عَذَابَ اللهِ ، فَلَمَّا خَرَجَ أصابَهُ ما أصابَ قَوْمَهُ ، فَدُفِنَ هَهُنا ، وَدُفِنَ مَعَهُ غُصْنٌ مِنْ ذَهَبٍ ، فَنَزَلَ القَوْمُ فابْتَدَرُوهُ بأسْيافِهِمْ ، فَبَحَثُوا عَلَيْهِ فاسْتَخْرَجُوا الغُصْنَ » .

قال عبد الرزاق : قال : معمر : قال الزهرى : أبو رغال : أبو ثقيف .

حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر عن عبد الله بن عثمان بن خثيم ، عن جابر ، قال : « مرّ النبىّ صلى الله عليه وسلم بالحجر ، ثم ذكر نحوه إلا أنه قال فى حديثه : قالوا : من هو يا رسول الله ؟ قال : أبُو رِغالٍ » .

حدثنا محمد بن المثنى ، قال : ثنا معاذ بن هشام ، قال : ثنا أبى ، عن قتادة ، قال : كان يقال إن أحمر ثمود الذى عقر الناقة ، كان ولد زِنْية .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا حكام ، قال : ثنا عنبسة ، عن أبى إسحاق ، قال : قال أبو موسى : أتيت أرض ثمود ، فذرعتُ مصدر الناقة ، فوجدته ستين ذراعا .

حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، وأخبرنى إسماعيل بن أمية بنحو هذا ، يعنى بنحو حديث عبد الله بن عثمان بن خثيم ، عن جابر ، قال : « ومرّ النبىّ صلى الله عليه وسلم بقبر أبى رغال ، قالوا : ومن أبو رغال ؟ قال : أبو ثقيف ، كان فى الحرم لما أهلك الله قومه ، منعه حرم الله من عذاب الله ، فلما خرج أصابه ما أصاب قومه ، فدفن ههنا ودفن معه غصن من ذهب ، قال : فابتدره القوم يبحثون عنه حتى استخرجوا ذلك الغصن » .

وقال الحسن : كان للناقة يوم ولهم يوم ، فأضرّ بهم .

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن الزهرى ، قال : لما مرّ النبىّ صلى الله عليه وسلم بالحجر قال : « لاتَدْخُلُوا مَساكِنَ الَّذِينَ ظَلَمُوا أنْفُسَهُمْ ، إلاَّ أنْ تَكُونُوا

باكِينَ أنْ يُصِيبَكُمْ مِثْلُ الَّذِي أصابَهُمْ ، ثم قال : هَذَا وَادِي النَّفْرِ ، ثُمَّ رَفَعَ رأسَهُ وأسْرَعَ السَّيْرَ حتى أجازَ الوَادِيَ » :

وأما قوله (وَلا تَمَسُّوها بِسُوءٍ) فانه يقول : ولا تمسوا ناقة الله بعقر ولا نحر (فيأخذَكُمْ عذابٌ أليمٌ) يعني موجع .

القول في تأويل قوله تعالى :

﴿ وَٱذْكُرُوٓا۟ إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَآءَ مِنۢ بَعْدِ عَادٍ وَبَوَّأَكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ تَتَّخِذُونَ مِن سُهُولِهَا قُصُورًا وَتَنْحِتُونَ ٱلْجِبَالَ بُيُوتًا ۖ فَٱذْكُرُوٓا۟ ءَالَآءَ ٱللَّهِ وَلَا تَعْثَوْا۟ فِى ٱلْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ﴿٧٤﴾ ﴾

يقول تعالى ذكره مخبرا عن قيل صالح لقومه واعظا لهم (وَاذْكُرُوا) أيها القوم نعمة الله عليكم (إذْ جَعَلَكُمْ خُلَفاءَ) يقول تخلفون عادا فى الأرض بعد هلاكها ، وخلفاء : جمع خليفة ، وإنما جمع خليفة خلفاء وفعلاء إنما هي جمع فعيل ، كما الشركاء جمع شريك ، والعلماء جمع عليم ، والحلماء جمع حليم ، لأنه ذهب بالخليفة إلى الرجل ، فكأن واحدهم خليف ، ثم جمع خلفاء . فأما لو جمعت الخليفة على أنها نظيرة كريمة وحليلة ورغيبة قيل خلائف ، كما يقال : كرائم وحلائل ورغائب ، إذ كانت من صفات الإناث ، وإنما جمعت الخليفة على الوجهين اللذين جاء بهما القرآن ، لأنها جمعت مرّة على لفظها ، ومرّة على معناها .

وأما قوله (وَبَوَّأكُمْ فِي الأرْضِ) فإنه يقول : وأنزلكم فى الأرض ، وجعل لكم فيها مساكن ، وأزواجا (تَتَّخِذُونَ مِنْ سُهُولِهَا قُصُورًا ، وَتَنْحِتُونَ الجِبالَ بُيُوتا) ذكر أنهم كانوا ينقبون الصخر مساكن .

كما حدثنى محمد بن الحسين ، قال : ثنا أحمد بن مفضل ، قال : ثنا أسباط ، عن السديّ (وَتَنْحِتُونَ الجِبالِ بُيُوتا) كانوا ينقبون فى الجبال البيوت .

وقوله (فاذْكُرُوا آلاءَ اللهِ) يقول : فاذكروا نعمة الله التى أنعمها عليكم (وَلا تَعْثَوْا فِي الأرْضِ مُفْسِدِينَ) وكان قتادة يقول فى ذلك ، ما حدثنا بشر بن معاذ ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (وَلا تَعْثَوْا فِي الأرْضِ مُفْسِدِينَ) يقول : لاتسيروا فى الأرض مفسدين . وقد بينت معنى ذلك بشواهده واختلاف المختلفين فيه فيما مضى ، بما أغنى عن إعادته فى هذا الموضع .

القول في تأويل قوله تعالى :

﴿ قَالَ ٱلْمَلَأُ ٱلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوا۟ مِن قَوْمِهِۦ لِلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُوا۟ لِمَنْ ءَامَنَ مِنْهُمْ أَتَعْلَمُونَ أَنَّ صَٰلِحًا مُّرْسَلٌ مِّن رَّبِّهِۦ ۚ قَالُوٓا۟ إِنَّا بِمَآ أُرْسِلَ بِهِۦ مُؤْمِنُونَ ﴿٧٥﴾ قَالَ ٱلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوٓا۟ إِنَّا بِٱلَّذِىٓ ءَامَنتُم بِهِۦ كَٰفِرُونَ ﴿٧٦﴾ ﴾

يعنى جلّ ثناؤه بقوله (قالَ المَلأُ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا مِنْ قَوْمِهِ)قال الجماعة الذين استكبروا من قوم صالح عن اتباع صالح ، والإيمان بالله وبه (لِلَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا) يعنى : لأهل المسكنة من تباع صالح ، والمؤمنين به منهم ، دون ذوى شرفهم ، وأهل السؤدد منهم ، أتعلمون أن صالحا مرسل من ربه أرسله الله إلينا وإليكم ، قال الذين آمنوا بصالح من المستضعفين منهم : إنا بما أرسل الله به صالحا من الحقّ والهدى مؤمنون ، يقول : مصدّقون ، مقرّون أنه من عند الله ، وأن الله أمر به ، وعن أمر الله دعانا صالح إليه ، قال الذين استكبروا عن أمر الله وأمر رسوله صالح : إنا أيها القوم بالذى آمنتم به ، يقول : صدّقتم به من نبوّة صالح ، وأن الذى جاء به حقّ من عند الله كافرون ، يقول : جاحدون منكرون ، لانصدّق به ، ولا نقرّ .

القول في تأويل قوله تعالى :

فَعَقَرُواْ ٱلنَّاقَةَ وَعَتَوْاْ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِمْ وَقَالُواْ يَٰصَٰلِحُ ٱئْتِنَا بِمَا تَعِدُنَآ إِن كُنتَ مِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿٧٧﴾

يقول تعالى ذكره : فعقرت ثمود الناقة التى جعلها الله لهم آية ، (وَعَتَوْا عَنْ أَمْرِ رَبِّهِمْ) يقول: تكبروا وتجبروا عن اتباع الله ، واستعلَوْا عن الحقّ .

كما حدثنى المثنى ، قال : ثنا أبوحذيفة ، قال : ثنا شبل ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد (وَعَتَوْا) علوًّا عن الحقّ لايبصرونه .

حدثنا القاسم ، قال: ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، قال : قال مجاهد (عَتَوْا عَنْ أَمْرِ رَبِّهِمْ) : علوا فى الباطل .

حدثنى الحرث ، قال : ثنا عبد العزيز ، قال : ثنا أبوسعد، عن مجاهد فى قوله (وَعَتَوْا عَنْ أَمْرِ رَبِّهِمْ) قال : عتوا فى الباطل وتركوا الحقّ .

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبوعاصم ، قال : ثنا عيسى ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد، فى قول الله (وَعَتَوْا عَنْ أَمْرِ رَبِّهِمْ) قال : علوا فى الباطل ، وهو من قولهم :جبار عات : إذا كان عاليا فى تجبره (وَقالُوا يا صَالِحُ ائْتِنا بِمَا تَعِدُنا) يقول : قالوا : جئنا ياصالح بما تعدنا من عذاب الله ونقمته ، استعجالا منهم للعذاب (إِنْ كُنْتَ مِنَ المُرْسَلِينَ) يقول : إن كنت لله رسولا إلينا ، فإن الله ينصر رسله على أعدائه ، فعجل ذلك لهم كما استعجلوه ، يقول جلّ ثناؤه (فَأَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ ، فَأَصْبَحُوا فِى دارِهِمْ جاثِمِينَ) .

القول في تأويل قوله تعالى :

فَأَخَذَتْهُمُ ٱلرَّجْفَةُ فَأَصْبَحُواْ فِى دَارِهِمْ جَٰثِمِينَ ﴿٧٨﴾

يقول تعالى ذكره : فأخذت الذين عقروا الناقة من ثمود الرجفة ، وهى الصيحة ، والرجفة : الفَعْلة ،

من قول القائل : رُجف بفلان كذا يرجف رجفا ، وذلك إذا حرّكه وزعزعه ، كما قال الأخطل :

إمَّا تَرَيْنِي حَنَانِي الشَّيْبُ مِنْ كِبَرٍ كالنَّسْرِ أرْجَفَ وَالإنْسانُ مَهْدُودُ [١]

وإنما عنى بالرجفة ههنا : الصيحة التى زعزعتهم وحرّكتهم للهلاك، لأن ثمود هلكت بالصيحة فيما ذكر أهل العلم .

وبنحو ما قلنا فى ذلك ، قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، فى قول الله : الرجفة ، قال : الصيحة .

حدثنى المثنى ، قال : ثنا أبو حذيفة ، قال : ثنا شبل ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، مثله .

حدثنى محمد بن الحسين ، قال : ثنا أحمد بن المفضل ، قال : ثنا أسباط ، عن السدىّ (فَأخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ) وهى الصيحة .

حدثنى الحرث ، قال : ثنا عبد العزيز ، قال : ثنا أبو سعد ، عن مجاهد (فَأخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ) قال : الصيحة .

وقوله (فَأصْبَحُوا فِي دَارِهِمْ جاثِمِينَ) يقول: فأصبح الذين أهلك الله من ثمود فى دارهم ، يعنى فى أرضهم التى هلكوا فيها وبلدتهم ، ولذلك وحد الدار ولم يجمعها ، فيقول فى دورهم ، وقد يجوز أن يكون أريد بها الدور ، ولكن وجه بالواحدة إلى الجمع ، كما قيل (وَالعَصْرِ إنَّ الإنْسانَ لَفِي خُسْرٍ) .

وقوله (جاثِمِينَ) يعنى : سقوطا صرعى لايتحرّكون لأنهم لاأرواح فيهم قد هلكوا ، والعرب تقول للبارك على الركبة : جاثم ، ومنه قول جرير :

عَرَفْتُ المُنْتَأَى وعَرَفْتُ مِنها مَطايا القِدْرِ كالحِدَإِ الجُثُومِ [٢]

وبنحو الذى قلنا فى ذلك ، قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال: قال ابن زيد ، فى قوله (فَأصْبَحُوا فِي دَارِهِمْ جاثِمِينَ) قال : ميتين .

(١) البيت فى ديوانه طبع بيروت سنة ١٨٩١ من قصيدة يمدح بها يزيد بن معاوية ص ١٤٦ . وأرجف : اضطرب اضطرابا شديدا . ومهدود : من الهد : وهو نقض البناء بعد قوته ، والمراد أن الإنسان يعود إلى الضعف بعد الشباب والقوة .

(٢) البيت لجرير (ديوانه ص ٥٠٧ طبعة الصاوى) . ومطايا القدر : هى الأثافى الثلاث ، توضع عليها القدر ، فكأنها لها مطية . والحدأ : بكسر الحاء وفتح الدال جمع حدأة : وهى طائر معروف . والجثوم : الجواثم على الأرض .

القول في تأويل قوله تعالى:

﴿فَتَوَلَّىٰ عَنْهُمْ وَقَالَ يَٰقَوْمِ لَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ رِسَالَةَ رَبِّي وَنَصَحْتُ لَكُمْ وَلَٰكِن لَّا تُحِبُّونَ ٱلنَّٰصِحِينَ ﴿٧٩﴾﴾

يقول تعالى ذكره : فأدبر صالح عنهم حين استعجلوه العذاب، وعقروا ناقة الله خارجا عن أرضهم من بين أظهرهم ، لأن الله تعالى ذكره ، أوحى إليه : إنى مهلكهم بعد ثلاثة ، وقيل: إنه لم تهلك أمة ونبيها بين أظهرها ، فأخبر الله جل ثناؤه عن خروج صالح من بين قومه الذين عتوا على ربهم، حين أراد الله إحلال عقوبته بهم ، فقال : فتولى عنهم صالح ، وقال لقومه ثمود : لقد أبلغتكم رسالة ربى ، وأدّيت إليكم ما أمرنى بأدائه إليكم ربى من أمره ونهيه،ونصحت لكم فى أدائى رسالة الله إليكم فى تحذيركم بأسه ، بإقامتكم على كفركم به ، وعبادتكم الأوثان (وَلَكِنْ لا تُحِبُّونَ النَّاصِحِينَ) لكم فى الله الناهين لكم عن اتباع أهوائكم ، الصادّين لكم ، عن شهوات أنفسكم .

القول في تأويل قوله تعالى:

﴿وَلُوطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِۦٓ أَتَأْتُونَ ٱلْفَٰحِشَةَ مَا سَبَقَكُم بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِّنَ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٨٠﴾﴾

يقول تعالى ذكره : ولقد أرسلنا لوطا ، ولو قيل : معناه : واذكر لوطا يا محمد إذ قال لقومه ، إذ لم يكن فى الكلام صلة الرسالة ، كما كان فى ذكر عاد وثمود ، كان مذهبا .

وقوله (إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ) يقول : حين قال لقومه من سدوم ، وإليهم كان أرسل لوط (أَتَأْتُونَ الفاحِشَةَ) ، وكانت فاحشتهم التى كانوا يأتونها التى عاقبهم الله عليها : إتيانَ الذكور (ما سَبَقَكُمْ بِها مِنْ أَحَدٍ مِنَ العالَمِينَ) يقول : ما سبقكم بفعل هذه الفاحشة أحد من العالمين .

وذلك كالذى حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا إسماعيل بن علية ، عن ابن أبى نجيح ، عن عمرو بن دينار، قوله (ما سَبَقَكُمْ بِها مِنْ أَحَدٍ مِنَ العالَمِينَ) قال : ما رؤى ذكر على ذكر حتى كان قوم لوط .

القول في تأويل قوله تعالى:

﴿إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ ٱلرِّجَالَ شَهْوَةً مِّن دُونِ ٱلنِّسَآءِ بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ مُّسْرِفُونَ ﴿٨١﴾﴾

يخبر بذلك تعالى ذكره عن لوط أنه قال لقومه ، توبيخا منه لهم على فعلهم (إِنَّكُمْ) أيها القوم (لَتَأْتُونَ الرِّجالَ) فى أدبارهم (شَهْوَةً) منكم لذلك (مِنْ دُونِ) الذى أباحه الله لكم وأحله من (النِّساءِ ، بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ مُسْرِفُونَ) يقول : إنكم لقوم تأتون ما حرم الله عليكم وتعصونه بفعلكم هذا ، وذلك هو الإسراف فى هذا الموضع ، والشهوة : الفَعلة ، وهى مصدر من قول القائل : شهيت هذا الشىء أشهاه شهوة ؛ ومن ذلك قول الشاعر :

وأشعثَ يشتهي النَّومَ قلتُ لهُ ارتحل 	إذا ما النُّجومُ أعرضَتْ واسبَطرَّتِ
فقامَ يجرُّ البُردَ لو أنَّ نفسَهُ 	يُقالُ لهُ خذْها بكفَّيْكَ جرَّتِ(١)

القول في تأويل قوله تعالى:

﴿وَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِۦٓ إِلَّآ أَن قَالُوٓاْ أَخْرِجُوهُم مِّن قَرْيَتِكُمْ إِنَّهُمْ أُنَاسٌ يَتَطَهَّرُونَ﴾

يقول تعالى ذكره: وما كان جواب قوم لوط للوط إذ وبخهم على فعلهم القبيح، وركوبهم ماحرّم الله عليهم من العمل الخبيث إلا أن قال بعضهم لبعض: أخرجوا لوطا وأهله، ولذلك قيل: أخرجوهم، فجمع، وقد جرى قبل ذكر لوط وحده دون غيره، وقد يحتمل أن يكون إنما جمع بمعنى أخرجوا لوطا ومن كان على دينه من قريتكم، فاكتفى بذكر لوط فى أوّل الكلام عن ذكر أتباعه، ثم جمع فى آخر الكلام، كما قيل (يا أيُّها النَّبيُّ إذا طلَّقتُمُ النِّساءَ) وقد بيَّنا نظائر ذلك فيما مضى، بما أغنى عن إعادته فى هذا الموضع (إنَّهُمْ أُناسٌ يتطهَّرُونَ) يقول: إن لوطا ومن تبعه أناس يتنزّهون عما نفعله نحن من إتيان الرجال فى الأدبار.

وبنحو الذى قلنا فى ذلك، قال أهل التأويل.

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن وكيع، قال: ثنا هانئ بن سعيد النخعى، عن الحجاج، عن القاسم بن أبى بزة، عن مجاهد (إنَّهُمْ أُناسٌ يتطهَّرُونَ) قال من أدبار الرجال وأدبار النساء.

حدثنا ابن وكيع، قال: ثنا أبى، عن سفيان، عن مجاهد (إنَّهُم أُناسٌ يتطهَّرُونَ) من أدبار الرجال وأدبار النساء.

حدثنى المثنى، قال: ثنا الحجاج، قال: ثنا حماد، عن الحجاج، عن القاسم بن أبى بزة، عن مجاهد فى قوله (إنَّهُمْ أُناسٌ يتطهَّرُونَ) قال: يتطهرون من أدبار الرجال والنساء.

حدثنى المثنى، قال: ثنا إسحاق، قال: ثنا عبد الرزاق، قال: أخبرنا الحسن بن عمارة، عن الحكم، عن مجاهد، عن ابن عباس، فى قوله (إنَّهُمْ أُناسٌ يتطهَّرُونَ) قال: من أدبار الرجال، ومن أدبار النساء.

حدثنى محمد بن الحسين، قال: ثنا أحمد بن المفضل، قال: ثنا أسباط، عن السدىّ (إنَّهُمْ أُناسٌ يتطهَّرُونَ) قال: يتحرّجون.

حدثنا بشر بن معاذ، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة (إنَّهُمْ أُناسٌ يتطهَّرُونَ) يقول: عابوهم بغير عيب، وذموهم بغير ذم.

(١) أورد البيت الأول من البيتين، صاحب اللسان فى (شها) عن ابن برى. قال: شهيت الشىء بالكسر. قال ابن برى: ومنه قول الشاعر: وأشعث . . . . وفى آخر البيت كلمة «اسبكرت» فى موضع «اسبطرت». ولم يورد البيت الثانى، ولم ينسب البيتين. ومعنى اسبطر: امتد. واسبكر: امتد أو انتصب أو اعتدل.

القول في تأويل قوله تعالى

﴿ فَأَنجَيْنَٰهُ وَأَهْلَهُۥٓ إِلَّا ٱمْرَأَتَهُۥ كَانَتْ مِنَ ٱلْغَٰبِرِينَ ﴾ (٨٣)

۞ يقول تعالى ذكره : فلما أبى قوم لوط مع توبيخ لوط إياهم على ما يأتون من الفاحشة، وإبلاغه إياهم رسالة ربه بتحريم ذلك عليهم ، إلا التمادى فى غيهم ، أنجينا لوطا وأهله المؤمنين به ، إلا امرأته ، فإنها كانت للوط خائنة ، وبالله كافرة .

وقوله (مِنَ الغابِرِينَ) يقول : من الباقين ، وقيل من الغابرين، ولم يقل الغابرات ، لأنه يريد أنها ممن بقى مع الرجال ، فلما ضمّ ذكرها إلى ذكر الرجال ، قيل من الغابرين ، والفعل منه : غَبَر يغبر غبورا وغبرا ، وذلك إذا بقى كما قال الأعشى :

عَضَّ بِمَا أَبْقَى المَوَاسِي لَهُ مِنْ أُمِّهِ فِى الزَّمَنِ الغابِرِ[1]

وكما قال الآخر :

وأَبِى الَّذى فَتَحَ البِلادَ بسَيْفِهِ فأذَلَّها لِبَنِى أبانَ الغابِرِ[2]

يعنى : الباقى .

۞ فإن قال قائل : فكانت امرأة لوط ممن نجا من الهلاك الذى هلك به قوم لوط ؟ قيل : لا ، بل كانت فيمن هلك . فإن قال : فكيف قيل (إلاَّ امْرَأَتَهُ كانَتْ مِنَ الغابِرِينَ) وقد قلت : إن معنى الغابر : الباقى ، فقد وجب أن تكون قد بقيت ؟ قيل : إن معنى ذلك غير الذى ذهبت إليه ؛ وإنما عنى بذلك : إلا امرأته كانت من الباقين قبل الهلاك ، والمعمرين الذين قد أتى عليهم دهر كبير ، ومرّ بهم زمن كثير ، حتى هرمت فيمن هرم من الناس ، فكانت ممن غبر الدهر الطويل قبل هلاك القوم ، فهلكت مع من هلك من قوم لوط حين جاءهم العذاب . وقيل : معنى ذلك : من الباقين فى عذاب الله .

ذكر من قال ذلك

حدثنى محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة (إلاَّ عَجُوزًا فِى الغابِرِينَ) : فى عذاب الله .

القول في تأويل قوله تعالى :

﴿ وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِم مَّطَرًا ۖ فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُجْرِمِينَ ﴾ (٨٤)

(١) البيت للأعشى ميمون بن قيس (ديوانه طبع القاهرة بشرح الدكتور محمد حسين ص ١٤٥) من رائيته التى يهجو بها علقمة بن علاثة ، والمواسى : جمع موسى الحديد . والغابر : الماضى ، يريد أنه سيهجوه هجاء حين يبلغه يمض ببظر أمه الذى أبقته المواسى بعد ما أخذت منه ، وهذا كناية عن أنه لايستطيع أن يفعل بمن هجاه شيئا ، بل يندم على إساءته إليه ، فيعض بظر أمه .

(٢) لم أقف على قائل البيت ، وهو شاهد على أن الغابر بمعنى : الباقى الآتى ، وهو الأكثر فى الاستعمال ، وقد يكون الغابر فى غير هذا الموضع بمعنى الماضى قليلا ، قاله فى اللسان .

يقول تعالى ذكره : وأمطرنا على قوم لوط الذين كذّبوا لوطا ولم يؤمنوا به مطرا من حجارة من سجيل أهلكناهم به (فانْظُرْ كَيْفَ كانَ عاقِبَةُ المُجْرِمِينَ) يقول جلّ ثناؤه : فانظر يا محمد إلى عاقبة هؤلاء الذين كذّبوا الله ورسوله من قوم لوط ، فاجترموا معاصى الله ، وركبوا الفواحش، واستحلوا ما حرّم الله من أدبار الرجال ، كيف كانت ، وإلى أى شىء صارت ؟ هل كانت إلا البوار والهلاك ، فإن ذلك أو نظيره من العقوبة ، عاقبة من كذّبك ، واستكبر عن الإيمان بالله وتصديقك ، إن لم يتوبوا من قومك .

القول في تأويل قوله تعالى: وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥ قَدْ جَآءَتْكُم بَيِّنَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ فَأَوْفُوا۟ ٱلْكَيْلَ وَٱلْمِيزَانَ وَلَا تَبْخَسُوا۟ ٱلنَّاسَ أَشْيَآءَهُمْ وَلَا تُفْسِدُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَٰحِهَا ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٨٥﴾

يقول تعالى ذكره : وأرسلنا إلى ولد مدين ، ومدين : هم ولد مدين بن إبراهيم خليل الرحمن .

فيما حدثنا به ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق، فإن كان الأمر كما قال: فمدين قبيلة كتميم . وزعم أيضا ابن إسحاق أن شعيبا الذى ذكر الله أنه أرسله إليهم من ولد مدين هذا ، وأنه شعيب بن ميكيل ابن يشجر ، قال : واسمه بالسريانية بثرون .

فتأويل الكلام على ما قاله ابن إسحاق : ولقد أرسلنا إلى ولد مدين أخاهم شعيب بن ميكيل ، يدعوهم إلى طاعة الله ، والانتهاء إلى أمره ، وترك السعى فى الأرض بالفساد ، والصدّ عن سبيله ، فقال لهم شعيب : يا قوم اعبدوا الله وحده لاشريك له ، ما لكم من إله يستوجب عليكم العبادة ، غير الإله الذى خلقكم ، وبيده نفعكم وضرّكم (قَدْ جاءَتْكُمْ بَيِّنَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ) يقول : قد جاءتكم علامة وحجة من الله بحقيقة ما أقول ، وصدق ما أدعوكم إليه (فَأَوْفُوا الكَيْلَ والمِيزَانَ) يقول : أتموا للناس حقوقهم بالكيل الذى تكيلون به ، وبالوزن الذى تزنون به (وَلا تَبْخَسُوا النَّاسَ أشْياءَهُمْ) يقول ولا تظلموا الناس حقوقهم ، ولا تنقصوهم إياها ، ومن ذلك قولهم: تحسبها حمقاء وهى باخسة ، بمعنى ظالمة ، ومنه قول الله (وَشَرَوْهُ بِثَمَنٍ بَخْسٍ) يعنى به : ردىء .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك ، قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنى محمد بن الحسين ، قال : ثنا أحمد بن المفضل ، قال : ثنا أسباط ، عن السدىّ ، قوله (وَلا تَبْخَسُوا النَّاسَ أشْياءَهُمْ) يقول : لاتظلموا الناس أشياءهم .

حدثنا بشر بن معاذ ، قال : ثنا يزيد، قال : ثنا سعيد، عن قتادة (وَلا تَبْخَسُوا النَّاسَ أشْياءَهُمْ) : قال : لاتظلموا الناس أشياءهم .

وقوله (وَلا تُفْسِدُوا فِي الأَرْضِ) يقول : ولا تعملوا فى أرض الله بمعاصيه ، وماكنتم تعملونه قبل أن يبعث الله إليكم نبيه من عبادة غير الله والإشراك به ، وبخس الناس فى الكيل والوزن (بَعْدَ إِصْلاحِها) يقول : بعد أن قد أصلح الله الأرض بابتعاث النبيّ عليه السلام فيكم ، ينهاكم عما لايحلّ لكم ، وما يكرهه الله لكم (ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ) يقول : هذا الذى ذكرت لكم ، وأمرتكم به من إخلاص العبادة لله وحده لاشريك له ، وإيفاء الناس حقوقهم من الكيل والوزن ، وترك الفساد فى الأرض خير لكم فى عاجل دنياكم ، وآجل آخرتكم عند الله يوم القيامة (إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ) يقول : إن كنتم مصدقّ فيما أقول لكم وأودّى إليكم عن الله من أمره ونهيه .

القول فى تأويل قوله تعالى :

﴿ وَلَا تَقْعُدُوا بِكُلِّ صِرَاطٍ تُوعِدُونَ وَتَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ مَنْ آمَنَ بِهِ وَتَبْغُونَهَا عِوَجًا وَاذْكُرُوا إِذْ كُنتُمْ قَلِيلًا فَكَثَّرَكُمْ وَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ ﴾ ٨٦

يعنى بقوله (وَلا تَقْعُدُوا بِكُلِّ صِراطٍ تُوعِدُونَ) : ولا تجلسوا بكلّ طريق : وهو الصراط ، توعدون المؤمنين بالقتل ، وكانوا فيما ذكر يقعدون على طريق من قصد شعيبا ، وأراده ليؤمن به ، فيتوعدونه ويخوّفونه ويقولون : إنه كذّاب .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر بن معاذ ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (بِكُلِّ صِراطٍ تُوعِدُونَ) قال : كانوا يوعدون من أتى شعيبا وغشيه فأراد الإسلام .

حدثنى محمد بن سعد ، قال : ثنى أبى ، قال : ثنى عمى ، قال : ثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله (وَلا تَقْعُدُوا بِكُلِّ صِراطٍ تُوعِدُونَ) والصراط : الطريق ، يخوّفون الناس أن يأتوا شعيبا .

حدثنى المثنى ، قال : ثنا عبد الله بن صالح ، قال : ثنى معاوية ، عن علىّ بن أبى طلحة ، عن ابن عباس ، قوله (وَلا تَقْعُدُوا بِكُلِّ صِراطٍ تُوعِدُونَ . وَتَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللهِ) قال : كانوا يجلسون فى الطريق ، فيخبرون من أتى عليهم أن شعيبا عليه السلام كذّاب ، فلا يفتنكم عن دينكم .

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبوعاصم ، قال : ثنا عيسى ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، فى قول الله تعالى (بِكُلِّ صِراطٍ تُوعِدُونَ) : كلّ سبيل حقّ .

حدثنى المثنى ، قال : ثنا أبوحذيفة ، قال : ثنا شبل ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، نحوه .

حدثنى محمد بن الحسين ، قال : ثنا أحمد بن مفضل ، قال : ثنا أسباط ، عن السدىّ (وَلا تَقْعُدُوا بِكُلِّ صِراطٍ تُوعِدُونَ) كانوا يقعدون على كلّ طريق يوعدون المؤمنين .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا حميد بن عبد الرحمن ، عن قيس ، عن السدىّ (وَلا تَقْعُدُوا بِكُلِّ صِراطٍ تُوعِدُونَ) قال : العشارون .

حدثنا علىّ بن سهل ، قال : ثنا حجاج ، قال : ثنا أبو جعفر الرازى ، عن الربيع بن أنس ، عن أبى العالية ، عن أبى هريرة أو غيره ، شكّ أبو جعفر الرازى ، قال : « أتى النبىّ صلى الله عليه وسلم ليلة أُسرى به على خشبة على الطريق لا يمرّ بها ثوب إلا شقته ، ولا شىء إلا خرقته ، قال : ما هَذَا يا جِبْرِيل ؟ قال : هذا مثل أقوام من أمتك يقعدون على الطريق فيقطعونه ، ثم تلا (وَلَا تَقْعُدُوا بِكُلِّ صِرَاطٍ تُوعِدُونَ وَتَصُدُّونَ) » وهذا الخبر الذى ذكرناه عن أبى هريرة يدلّ على أن معناه كان عند أبى هريرة أن نبىّ الله شعيبا إنما نهى قومه بقوله (وَلَا تَقْعُدُوا بِكُلِّ صِرَاطٍ تُوعِدُونَ) عن قطع الطريق ، وأنهم كانوا قطاع الطريق ، وقيل (وَلَا تَقْعُدُوا بِكُلِّ صِراطٍ تُوعِدُونَ) ولو قيل فى غير القرآن : لا تقعدوا فى كل صراط كان جائزا فصيحا فى الكلام ، وإنما جاز ذلك لأن الطريق ليس بالمكان المعلوم ، فجاز ذلك كما جاز أن يقال : قعد له بمكان كذا ، وعلى مكان كذا ، وفى مكان كذا ، وقال (تُوعِدُونَ) ولم يقل : تعدون ، لأن العرب كذلك تفعل فيما أبهمت ، ولم تفصح به من الوعيد ، تقول : أوعدته بالألف وتقدّم منى إليه وعيد ، فإذا بينتْ عما أوعدت وأفصحت به ، قالت : وعدته خيرا ، ووعدته شرّا بغير ألف ، كما قال جلّ ثناؤه (النَّارُ وَعَدَهَا اللهُ الَّذِينَ كَفَرُوا) .

وأما قوله (وَتَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللهِ مَنْ آمَنَ بِهِ) فإنه يقول : وتردّون عن طريق الله ، وهو الردّ عن الإيمان بالله ، والعمل بطاعته من آمن به ، يقول : تردّون عن طريق الله من صدّق بالله ووحده ، (وَتَبْغُونَهَا عِوَجًا) يقول : وتلتمسون لمن سلك سبيل الله ، وآمن به ، وعمل بطاعته عوجا عن القصد والحقّ ، إلى الزّيغ والضلال .

كما حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد (وَتَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللهِ) قال : أهلها (وَتَبْغُونَهَا عِوَجًا) تلتمسون لها الزيغ .

حدثنى المثنى ، قال : ثنا أبو حذيفة ، قال : ثنا شبل ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، بنحوه .

حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة (وَتَبْغُونَهَا عِوَجًا) قال : تبغون السبيل عن الحقّ عوجا .

حدثنى محمد بن الحسين ، قال : ثنا أحمد بن المفضل ، قال : ثنا أسباط ، عن السدىّ (وَتَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللهِ) عن الإسلام تبغون السبيل عوجا : هلاكا .

وقوله (وَاذْكُرُوا إِذْ كُنْتُمْ قَلِيلًا فَكَثَّرَكُمْ) يذكرهم شعيب نعمة الله عندهم بأن كثّر جماعتهم بعد أن كانوا قليلا عددهم ، وأن رفعهم من الذلة والخساسة ، يقول لهم : فاشكروا الله الذى أنعم عليكم بذلك وأخلصوا له العبادة ، واتقوا عقوبته بالطاعة ، واحذروا نقمته بترك المعصية (وَانْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ) يقول : وانظروا ما نزل بمن كان قبلكم من الأمم حين عتوا على ربهم ، وعصوا رسله من المثلات والنقمات ، وكيف وجدوا عقبى عصيانهم إياه ، ألم يهلك بعضهم غرقا بالطوفان ؟ وبعضهم رجما بالحجارة ؟ وبعضهم بالصيحة ؟ والإفساد فى هذا الموضع معناه : معصية الله .

القول في تأويل قوله تعالى:

﴿وَإِن كَانَ طَآئِفَةٌ مِّنكُمْ ءَامَنُواْ بِٱلَّذِىٓ أُرْسِلْتُ بِهِۦ وَطَآئِفَةٌ لَّمْ يُؤْمِنُواْ فَٱصْبِرُواْ حَتَّىٰ يَحْكُمَ ٱللَّهُ بَيْنَنَا وَهُوَ خَيْرُ ٱلْحَٰكِمِينَ ﴿٨٧﴾﴾

❊ يعني بقوله تعالى ذكره (وَإِنْ كان طائفةٌ مِنْكُمْ) وإن كانت جماعة منكم وفرقة آمنوا، يقول صدّقوا (بالَّذِي أُرْسِلْتُ بِهِ) من إخلاص العبادة لله، وترك معاصيه، وظلم الناس، وبخسهم في المكاييل والموازين، فاتبعوني على ذلك (وَطائفةٌ لَمْ يُؤْمِنُوا) يقول: وجماعة أخرى لم يصدّقوا بذلك، ولم يتبعوني عليه (فاصْبِرُوا حتى يَحْكُمَ اللهُ بَيْنَنا) يقول: فاحتبسوا على قضاء الله الفاصل بيننا وبينكم، (وَهُوَ خَيْرُ الحاكِمِينَ) يقول: والله خير من يفصل وأعدل من يقضي، لأنه لا يقع في حكمه ميل إلى أحد، ولا محاباة لأحد، والله أعلم.

تمّ الجزء الثامن من تفسير ابن جرير الطبريّ

ويليه الجزء التاسع

وأوّله: القول في تأويل قوله تعالى: (قال الملأ الذين استكبروا من قومه)